مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي القوي القايني

www.haydarya.com

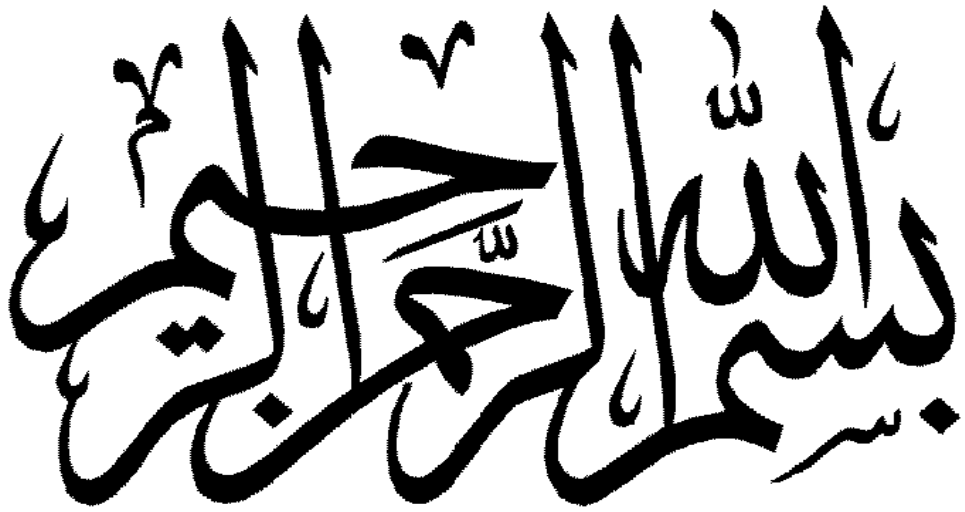
بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة
فی
شرح نهج البلاغة

المجلد السادس

لِمُؤلّفه سید محمد تقی النّقوی

قائن
انتشارات قائن

◁ المعنى

(**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِی لَمْ تَسبِقْ لَهُ حالٌ حالاً**) بأن يكون حالُه اوّلاً مغايراً لحاله ثانياً فيختلف الحالان. (**فَيَكوُنَ اَوَّلاً قَبْلَ اَن يَّكوُنَ آخِراً،**) هذا معنى الحالين المختلفين وكذالك قوله (**وَيَكونَ ظاهراً قَبْلَ اَن يَكوُنَ بَاطِناً،**) لانّ كونه اوّلاً قبل كون آخراً وظاهراً قبل كونه باطناً يدلّ على اختلاف الحالين بالنّسبة اليه وقد فرضنا انّه لم تَسبق له حالٌ حالاً هف. (**كُلُّ مُسَمّیٰ بِالْوَحدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ**)اى مُتّصف بالقلّة لكونها فى مقابل الكَثرَة (**وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيرُهُ ذَلِيلٌ**) لانّ كلّ مخلوقٍ ذليلٌ ولا اقلّ من ذُلّ العُبوديّة (**وكُلُّ قَوِیٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ**) لانّ غَيره معلولٌ له والمعلول مَقهورٌ مغلوب بالنّسبة الى العلّة. (**وَكُلُّ مٰالِكٍ غَيرُهُ مَمْلوُكٌ**)لكونه مملوكاً له تعالى، العَبد وما فى يده كان لمولاه (**وَكُلُّ عٰالِمٍ غَيرُهُ مُتَعَلِّمٌ**) لَمحدوُديّة علمه، وما اوُتيتُم من العلم الّا قليلاً. (**وكُلُّ قٰادِرٍ غَيرُهُ يَقدِرُ وَيَعْجِزُ**) اى القُدرة والعَجز بالنّسبة اليه متساويان بخلافه تعالى حيث انّه لايوُصف بالعَجز. (**سَمِيعٌ غَيرُهُ يَصَمُّ عَن لَطِيفِ الاَصواتِ ويُصِمُّهُ كَبِيرُها وَيَذهَبُ عَنهٰا مٰا بَعدُ فِيهٰا**) والمقصود انّ غَيره مِمّن يتّصف بكونه سَميعاً يكون محدوداً، فى استماعه الأصوات من جَهَة بعدُ المسافة وقُربها وجَهر الاصوات وعدمه. (**وَكُلُّ بَصيرٍ غَيرُهُ يَعمیٰ عَنْ خَفِّیِ الأَلوٰانِ وَلَطِيفِ الأَجسٰامِ**) اى لا يرى الألوان الخَفيّة والأجسام اللّطيفة. (**وَكُلُّ ظٰاهِرٍ غَيْرُهُ غَيرُ بٰاطِنٍ**) لأستحالة كونه متّصفاً بالظُّهور والبُطون فى حالةٍ واحدةٍ. (**وَكُلُّ بٰاطِنٍ غَيرُهُ غَيرُ ظٰاهِرٍ**) فانّ الباطن لايكون ظاهراً. (**لَمْ يَخْلُقْ**) اى الله تعالى (**مٰا خَلَقَهُ**) من الموجودات. (**لِتَشْدِيدِ سُلْطٰانٍ**) وتحكيمه. (**وَلاٰ تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ الزَّمٰانِ** (زمان)) لِتنزّهُه عن الرُّعب والخَوف وعدم احتياجه الى العِدّة والعُدّة. (**وَلاَاستِعٰانَةً عَلیٰ نِدٍّ**) ومثل (مثاور) مُواثب. (**وَلاٰ شَرِيكُ مكاثِرَ، وَلاٰ ضِدٍّ ومُنٰافِرٍ،**) اى ليس له شريك يَعضده ولا ضدٌّ ينافره اذ لاضدّ لَه ولا نِدّ.(**وَلٰكِنْ خَلاٰئِقُ مَربوبُوُنَ،**) مخلوقوُن. (**وَعِبٰادٌ دٰاخِروُنَ**) ذليلوُن (**لَم يَحلُل فِی**

الأشياءِ) فلامعنى لكونه كائناً فيها (فِيهَا وَلَمْ يَنَاءَ عَنْهَا) اى لم يَبعُد عن الأشياء. (فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا) اى من الأشياء بائن. (لَمْ يَؤُدهُ خَلقُ مَا ابتَدَءَ) اى لم يَثقُل عليه خَلق المَوجودات. (وَلاَ تَدْبِيرُ مَاذَرَاءَ) اى ولا تَدبير اُمورهم. (وَلاَ وَقَفَ بِهِ) اى بالله (عَجزٌ) وضَعف (عَمَّا خَلَقَ منهم) (وَلاَ وَلَجَتْ) اى ولا دخلت (عَلَيْهِ) اى على الله. (شُبْهَةٌ فِيمَا قَضىٰ وَقَدَّر) لهم (بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ)لامَردَّ فيه. (وَعِلمٌ مُحْكَمٌ) لاجَهل فيه (وَاَمرٌ مُبرَمٌ) لانقض فيه. (الْمأمولُ مَعَ النَّقَمِ) والشّدة (المَرْهوبُ مَعَ النِّعَمِ) والرَاحة.

◁ **الشّرح**

▫ **قوله**ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ تَسبِقْ لَهُ حالٌ حالاً فَيَكوُنَ اَوَّلاً قَبْلَ اَن يَّكوُنَ آخِراً وَيَكونَ ظَاهراً قَبْلَ اَن يَكوُنَ بَاطِناً، ...

صدّر ﷺ كلامه بقوله: اَلْحَمْدُ للهِ، الدّال على شكر المُنعِم وتعظيمه واتى بأسم الجلالة لكونه موضوعاً للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصّفات الكماليّة بخلاف غيره من الأسماء كما ثبت فى محلّه وعليه فكانّه ﷺ قال الحمدُ للرّازق والخالق والحكيم وامثال ذالك من الأسماء فانّ العامّ يشمل الخاصّ ولا عكس وقد تكلّمنا فى معنى الحمد واسم الجلالة والألف واللاّم الدّاخلة على الحمد من حيث المفهوم والاشتقاق وموارد الأستعمال وغيرها بما لامزيد عليه فى شرح الخُطبة الاولى وغيرها فلا نطيل الكلام بذكرها فى المقام.ثمّ بعد الحَمد والثّناء عليه تعالى: نفى ﷺ عنه تعالى كلّما لايليق بجنابه من الأوصاف والحالات الّتى من لوازم الأمكان والحدوث وحيث انّه فى هذه الخطبة الى قوله ﷺ بل قَضاءٌ مُتقَنٌ الخ تكلّم فى السّوالب وما لايمكن استناده اليه عزّ شأنه الدّالة بالمفهوم على اثبات ضدّها له تعالى فكانّه ﷺ اَثبَت له الصّفات مَفهوُماً و نفى عنه الصّفات منطوقاً ضرورة نفى الصّفة عن الموصوف يستلزم اثبات ضِدّها او نَقيضها له و الاّ يلزم ارتفاع الضّدين او النّقيضين و هما محالان.

منها ـ نفی الحال والیه اشار بقوله لم تَسبَق له حالٌ حالاً فیکون اوّلاً قبل ان یکون آخراً الی آخر ما قال وتوضیحه یستدعی اوّلاً تشریح معنی الحال ومعنی الظّاهر والباطن ثمّ التّکلم فی اثبات المدّعی.

اعلم: انّ الحال مُشتقّ من الحَول بناءً علی کون الفِعل مشتقّاً من المصدر واصل الحَول تَغَیّر الشّیء وانفصاله عن غیره وباعتبار التّغیر قیل حال الشّیء یحوّل حَولاً، وباعتبار الأنفصال قیل حال بینَك وبَینی کذا والی هذا المعنی اشار فی الکتاب بقوله واعلمو انّ الله یَحوُل بین المَرء وقَلبه، ای یُلقی فی قلب الأنسان ما یَصرفه عن مراده لحکمةٍ تقتضی ذالك فهو تعالی فی الحقیقة مُغیّر القلب عمّا کان علیه کما قیل یا مُقلّب القُلوب والأبصار.

ثمّ انّ الحال یقال لما یختصّ به الموجود من انسان وغیره من الامور المُتغیّرة فی نَفسه وجِسمه وقُنَیتِه، وهی تستعمل فی اللّغة للصّفة الّتی علیها الموصوف وفی تعارف اهل المنَطق لکیفیّةٍ سریعة الزّوال نحو حرارة وبُرودةٍ ویُبوسةٍ ورطُوبةٍ عارضة کذا قال الرّاغب فی المفردات.

وامّا الظّاهر والباطن فهما مشتقّان من الظَّهر والبَطن واصل الظَّهر اَن یُجعَل شیء علی وَجه الأرض فلا یخفی کما انّ اصل البَطن اذا حصل شییء فی بَطنان الأرض فیخفیٰ ثمّ صارا مُستعملَین فی کلّ بارزٍ مُبصَر بالبَصَر، والبصیرةٍ وکلّ باطن غیرُ مُبصرٍ بالبَصَر قال الله تعالی: (ما ظَهَر منها وما بَطن) وقال یَعلَمون ظاهراً من الحیاة الدّنیا، ای یَعلمُون الأمور الدُّنیویة، دون الأخرویّة، والعلم الظّاهر والباطن تارةً یشاربُهما الی المعارف الجلّیة والمَعارف الخَفیّة وتارةً الی العلوم الدُّنیویة والعلوم الأخرویّة وان شئت قلت الظّاهر ما یَظهَر من الشّیء والباطن خلافه ای ما یَستُر منه اذا عرفت هذا فاعلم انّه تعالی لم تسبق له حالٌ حالاً، معناه عدم کونه فی حال قبل کونه فی حال غیرها وذالك لما قلناه من انّها تقال لما یختصّ به الموجود من اُموره المُتغیّرة وحیث قد ثَبت فی العقلیّات کونه مُنَزّها عن الاتّصاف بالأمور المتغیّرة لکونها مُستلزمة للحُدوث

بل هى عينه فلا جرم لايتّصف بالحال بهذا المعنى وكذا لايوُصف بالحال على اصطلاح الفلاسفة والمَنطقيّين ايضاً لانّ الحال على اصطلاحهم تطلق على الكيّفيّة السَريعة الزّوال وهو تعالى لايتّصف بها ايضاً لانّها ايضاً تساوق الحُدوث والتّغير.

ان قلت ـ مَنطوُق كلامه ﷺ يدلّ على انّه تعالى لم تسبق له حال حالاً بمعنى انّ له حالاً مغايراً لحاله فى الآن الثّانى حتّى يَثبت السّبق واللُّحوق وانّما يَمتنع هذا عليه للزومه التّغير المُساوق للحدوث المُمتنع عليه كما ذكرت وهذا لاينافى فى ثبوت الحال له تعالى فى نفسه مع قطع النّظر عن كونها سابقة ولاحقة.

وبعبارة اخرى: المَنفىّ فى حقّه هو الحال المُقيّدة بكونها سابقة دون الحال المُطلَق وقد ثبت انّ سلب المُقيّد لايدلّ على سلب المطلق ولا يَستلزمه. قلت: نعم لااشكال عقلاً وشرعاً ثبوت الحال له تعالى مع قطع النّظر عن تقييدها بالسَّبق واللُّحوُق بالمعنى اللّغوى وذالك، لانّ الحال تارةً يراد بها المعنى الأصطلاحى اعنى الكَيفيّة السَّريعة الزّوال على اصطلاح اهل المَعقوُل او الأمور المُتغيّرة فى نفس الشّىء وجسمه وقُنيتَه وتارةً يراد بها معناها اللّغوى اعنى الصّفة الّتى عليها المَوصوف، والّذى يمتنع اتصّافه تعالى به هو الحال بالمعنى الاوّل اعنى الحال الأصطلاحى وامّا الحال بالمعنى الثّانى اعنى اللُّغوى فلا دليل على امتناع صدقها عليه لاعقلاً ولا شرعاً فانّ الحال بهذا المعنى ليست الّا نفس الصّفة الّتى عليها الموصوف من العلم والقدرة والأرادة والتّكلم وامثالها وهذه ثابتة له تعالى الّا انّها عين ذاته كما ثَبت فى محلّه.

ان قلت ـ الحال بهذا المعنى الّذى ذكرَت وجوّزَت صِدقَها عليه تعالى ايضاً لاتَصدُق عليه لانّه لامانع لنا من اعتبار السّبق واللّحوق فيها فيعود المَحذُور.

قلت ـ كلاّ لانّ الصّفات هناك عين الذّات فاتّصافه تعالى مثلاً بالعلم او القُدرة ليس مَسبوُقاً باتّصافه بصفةٍ اخرى حتّى يلزم المحذور بل كونه عالماً

عين كونه قادراً وهكذا فالسّبق واللّحوق لامعنى لهما.

نعم فى الموجودات المُمكنة الأمر كما ذكرت فانّ اتّصاف الأنسان مثلاً بالحياة قبل اتّصافه بالعلم واتّصافه بالعَجز قبل اتصّافه بالقُدرة، وباالفقر قبل الغنى وبالقُعود قبل القيام وبالسّكوت قبل التّكلم وهكذا وذالك لكون الصّفات فيه زائدة على ذاته وهو باعتبار ذاته وصفاته اَنيسُ التّغير والحدوث فالحالات فيه متفاوتة سواء اعتبرناها بالمعنى الأصطلاحى او اللّغوى وهذا بخلاف الواجب وحالاته وصفاته فانّه تعالى حيٌّ كما انّه عالمٌ وعالمٌ كما انّه قادرٌ فَحَيوٰته علمُه وعلمه قدرته وقدرته علمه وارادته وهَلُم جرّاً فلا يمكن القول بكون اتّصافه بأحدايها قبل اتّصافه بالأخرى منها وبهذا ثبت وتحقّق ان ثبوت اصل الحال بمعنى الصّفة له تعالى لاينافى وحدته ووجوبه وانّما ينافيها لو قلنا بثبوت الحال له بالمعنى الاصطلاحى.

وبعد اللّتيا واللّتى نفى عليه السلام عنه تعالى الحال المُقيّدة بالسّبق لاالحال المُطلق وسَلب المُقيّد لايستلزم سَلب المطلق فانّ التّقيُد جزء من الحصّة وان كان القَيد خارجاً عنها فتأمّل فيه وفيما بعده من الجُملات فانّه دقيق جدّاً

▫ **قوله عليه السلام: فَيَكوُنَ اَوّلاً قَبْلَ اَن يَكوُنَ آخِراً،...**

الفاء للتّفريع لكون هذه الجملة متفرّعة على الأولى ولازمة لها وذالك لانّه لو ثبتت له حال قبل حالٍ يلزم منه كونه اوّلاً قبل كونه آخراً ضرورة انّ الحال الأولى امّا ان تكون عين الحال الثّانية فلا يتصّور فيها السّبق واللّحوُق، لانّ السّبق واللُحوق متقابلان لايجتمعان معاً ابداً للزومه اجتماع النّقيضين فما يكون سابقاً لايكون لاحقاً وبالعكس.

وامّا ان تكون مغايرة للثّانية كما هو المفروض فعلى الاوّل يلزم الخلف لانّه خلاف ما فرضناه، وعلى الثّانى تثبت الأوّليّة والآخريّة وهو واضح فكونه تعالى فى الحال الأولى مُقدّمٌ على كونه فى الحال الثّانية كما هو معنى السّبق فيكون اوّلاً قبل ان يكون آخراً وهو معنى قوله عليه السلام: **فيكون اوّلاً الخ** ولأجل

هذا الأستلزام الثّابت فى الموضوع عَبَّر عليه السلام بما عَبَّر واتى الكلام بالفاء المُفيدة للتّرتيب واللّزوم والتّفريع.

ان قلت ـ اليس قد ثَبت عقلاً ونقلاً كونه اوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وانّه هو الأوّل والآخِر والظّاهِر والباطن فما معنى قوله عليه السلام وقولك انّ الأوليّة والآخرية مَسلوبتان عنه تعالى.

قلت ـ المَسلوب عنه تعالى هو الاوّلية الّتى تكون قبل الآخريّة،

وبعبارة اخرى: الأوليّة المُقيّدة بالقَبليّة والآخريّة المقيّدة بالبَعديّة لاالاوّليـة المُطلقة والآخريّه كذالك على ما مرّ تفصيله فى الجملة السّابقة فقولنا هو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن معناه انّه تعالى هو الأوّل بالمَعنى الّذى يكون آخراً وهو الظّاهر بالمعنى الّذى يكون باطناً وبالعكس، لاانّه اوّلٌ بـمعنى انّـه ليس بآخرٍ وآخر بمعنى انّه ليس باوّلٍ وظاهر بمعنى كونه غير باطن وباطنٌ بمعنى كونه غير ظاهرٍ فانّ هذا عليه محال والسّر فيه هو انّ الاوّل والآخر والظّـاهر والباطن لكلّ واحد من هـذه الالفـاظ اعـتباران اعـتبار المـقابلة والمُـواجـهة واعتباره فى نفسه فانّ الاوّل مثلا تارةً يطلق ويراد به الّذى يقابل الآخر وتارةً يطلق ويراد به المعنى فى نفسه مع قطع النّظر عن الآخر وهكذا الأمر فى الآخر والظّاهر والباطن.

اذا عرفت هذا فهو تعالى اوّلٌ وآخرٌ وظاهرٌ وباطنٌ لابالأوّل من المَعنَيين بل بالمعنى الثّانى وهو الأعتبار فى نفسه فهو تعالى اوّلٌ، لابمعنى انّه ليس بآخر بل باعتبار انّه اوّل الموجودات وخالقها ومُبدعها مع قَطع النّظر عن تقابل الأوّل والآخر بمعنى عدم الأعتبار لااعتبار العدم فانّ اعتبار العدم للشّىء نَحو وُجود له وهو بهذا المعنى له حَظٌّ من الوجود واذا كان له حظّاً منه فَتَثبت الآخريّة وهو خلاف المفروض ضرورة انّ اعتبار عدم الشّىء فرعٌ على اعتبار وجوده اوّلاً وهو ينافى ما ذكرناه فالمقصود من الاوّل باعتبار نفسه هو اعتباره من حيث هو هو مع عدم التّوجه وعدم الاعتبار لمقابلة اعنى الآخِر.

وهكذا الكلام فى الثّلاثة الباقية فهو تعالى اوّلٌ بهذا المعنى وآخرٌ بهذا المعنى وكذالك القول فى الظّاهر والباطن، فاذا قلنا انّه اوّل يُعنى به انّه مُبدعُ الأشياء ومُوجدها حيث لاموجود سواه واذا قلنا انّه آخرٌ معناه انّ كلّ الاشياء تَرجعُ اليه كما بَدَءكُم تَعوُدون انّا لله وانّا اليه راجعون لا انّه آخر بمعنى انّه ليس باَوّلٍ.

وكذا اذا قلنا بانّه آخر لانريد به انّه ليس باَوّل بل نُريد انّه آخر فى اوّليتَه واوّلٌ فى آخِريّته وهكذا الكلام فى كونه ظاهراً او باطناً كما سيجىء فانّ بَسيط الحقيقة كلّ الاشياء.

ان قلت ـ على ما ذكرَت يلزم كونه تعالى اوّلاً وآخراً بحذف القبليّة والبَعديّة اى انّه اوّلٌ لابمعنى كونه قبل الأخر وآخر لابمعنى كونه بعد الاوّل فَعَليه نفس الاوّلية والآخريّة ثابته له تعالى وانّما المَنفىّ هو الاوّلية الّتى كانت قبل الآخر مع انّه وَرد فى الأدعية المأثورة عنهم عليهم السلام كونه قبل كلّ شىءٍ وبَعد كلّ شىءٍ كما فى الدّعاء المَعروفة بالجَوشن الكبير حيث قال عليه السلام يا مَن هُو اله كلّ شىءٍ يا مَن هو خالق كلّ شىءٍ يا من هو صانع كلّ شىءٍ يا من هو قبل كلّشىءٍ يا من هو بَعد كلّشىءٍ الخ.

فقوله عليه السلام: يا من هو قبل كلّشىء وبعد كلّشىء يُثبت له القَبليّة والبَعديّة فما معنى نفيهما عنه فى المقام.

قلت ـ المَنفىّ فى المقام غير الثّابت هناك فانّ القبليّة تارةً يراد بها القَبليّة الزّمانيّة الغير الحقيقيّه كما يقال وجود الأب مثلاً قبل وجود الأبن او وجود الواحد قبل وجود الأثنين او الأمس قبل اليَوم وامثالِ ذالك وهذا هو المَنفىّ فى حقّه تعالى فانّ معنى قولنا جائنى زيد قبل عَمرو بيومٍ او يومَينِ او شهراً وشَهرَين هو انّ زمان مجىء زيد كان مُقدّماً على زمان مَجيىء عمرو وهو لايعقل فيه تعالى فقوله عليه السلام فى المقام اشارة الى هذا المعنى والدّليل على عدم اطلاق القبل بهذا المعنى عليه هو كونه مُجرّدا عن الزّمان، والزّمانيات لانّه

خالق الزّمان كيف لا والزّمان انّما يوُجَد من حَرَكة الافلاك والأفلاك مخلوقات له تعالى بوسائط مضافا الى كون الزّمان من الحوادث وهو تعالى مُنزّهٌ عنها كما ثبت.

وتارةً يراد بها معناها الواقعى الحقيقى اعنى قَبليّةً بالحَقّ والحَقيقه وقبليّةً سَرمدّيةً لادَهريةً ولا زمانيّةً فهو تعالى يطلق عليه انّه قبل كلّ شيىء بهذا المَعنى لانّ المَرتبة الأحديّة والوُجود المجرّد عن المجالى والمظاهر اُولَى المراتب فى السّلسِلة الطُّولية قبل الدّهريات والزّمانيات كان الله، ولَم يكُن مَعه شيىء وكذا الوجودُ الّذى هو ذاته واشراقه قبل كلّ اسم وصفةٍ وعَينٍ ومَهيّةٍ بجميع انحاء القَبليّات لانّ وجود الحقّ وامره بما هو داخِل فى صُقعه وساقط الأضافة عن المَمهيّات، والتّوحيد اسقاط الاضافات لاحكم له فى نفسه اذ لانَفس له بهذا النّظر قبل تُعيّن اذ الأطلاق عن جميع القيود حتّى عن هذا قبل التّقييد والصِّرف قبل المَخلوط فالوجود قبل كلّ شىء عيناً كما انّ عنوانه اَبَده البَديهيّات واوّل كلّ تصوّر ذهناً فالمُعنَون مَبدَء المبادى واَوّل الأوائل والعُنوان اَوّل الأوّليات ولذا قال ﷺ ما رأيت شيئاً الّا ورأيتُ الله قَبله على بعض الرّوايات، وبَعده ومَعه على بعضٍ آخر فأثبات القبليّة له تعالى بهذا المعنى لااشكال فيه بل يؤكّد الوَحدة الحقيقيّه الصَرفه ويُثبت كونه مُنزّهاً عن الزّمان والزّمانى فضلا عن اتصّافه به والمقصود من فَقَرة الدّعا هو هذا المعنى.

كما انّ المقصود من البَعديّة هناك ايضاً ليس البَعد المأخوذ فى مَفهومه الزّمان اعنى ما يقابل القَبل حتّى لايقال عليه بل المراد هو المَرجع والمُنتهى فكما انّ فى البادیات وجوداً مجرّداً عن كلّ التّعيُنات وجميع المظاهر قبل كلّ شىءٍ كما عرفت الآن فى معنى القَبل، فكذالك فى العايدات هذا الوجود بعد كلّ شىءٍ وكما انّ فى الاوّل وجوده مُنزّهٌ عن كلّ اسم وعين وفَيضه مُقدّسٌ عن كلّ نقصٍ وشَينٍ، كذالك فى الآخِر كلّ من على ارضِ المَهيّة فهو فان لامحالة ويبقى وجه ربّك ذوالجلال والأكرام الا إلى الله تَصير الأمور هذا.

فثبت وتحقّق ممّا ذكرنا كلّه انّ القَبليّة والبَعديّة الزّمانيتين منتفيان عنه فهو تعالى قبل كلّ شيءٍ وبعد كلّ شيءٍ لابمعنى انّه قبل الأشياء وبعدها زماناً فقوله عليه السلام: **فَيَكُونَ اَوَّلاً قَبْلَ اَن يَّكُونَ اٰخِراً** اشارة الى هذا المعنى فلامنافاة بين قوله هنا وقوله عليه السلام هناك فتأمّل فى المقام فانّه من مزّال الأقدام.

□ وامّا **قوله** عليه السلام: **وَيَكُونَ ظٰاهِراً قَبْلَ اَن يَكُونَ بٰاطِناً**...

فقد ظهر وجهه ممّا حقّقناه لك فى الجُملة السّابقة وذالك لانّا لو قلنا بكونه تعالى ظاهراً قبل ان يكون باطناً بالقَبل الزّمانى يلزم دخوله تعالى فى الزّمانيّات وقد ظَهر لك امتناعه وان قلنا بانّه ظاهرٌ قبل كونه باطناً لابهذا المعنى بل بمعنى القَبليّة السَّرمَديّة لادَهريّة ولا زمانيّة بالتّقريب الّذى مرّ ذكره فلااشكال فيه ومراده عليه السلام فى المقام هو عدم كونه ظاهراً قبل كونه باطناً بالمعنى الاوّل اعنى القبليّة الزّمانيّة لاالمعنى الثّانى الّذى لايلزم منه كونه حادثاً ولا ينافى ايضاً تجرّده.

فما ورد من انّه تعالى هو الظّاهر والباطن هوانّه تعالى ظاهر فى عين كونه باطناً وباطن فى عين كونه ظاهراً. وبعبارة اخرى: ما به الظّهور عين ما به البُطوُن فهو ظاهر بذاته وباطن بذاته لابشىء آخر كما قال السَبزوارى.

يا من هو اَختفى لِفَرطِ نوُره الظّاهر الباطن فى ظُهوُره

امّا كونه ظاهراً فلانّ ظهور الأشياء به فانّ الظّهور هو الوجود ومعلوم انّه هو. الموُجد لكلّ ما سواه ومُعطى الشّىء لايكون فاقد اله وامّا كونه باطن الأشياء فلكونه علّة لها والعلّة مُحيطة بالمَعلول احاطةً تامّةً ولا عكس ولذالك قيل انّ وجود العلّة حدٌّ تامٌّ لوجود المعلول والمعلول حدّ ناقص له فاعلم انّ الله بكلّ شىءٍ مُحيط.

ان قلت ـ معنى كونه تعالى باطن الأشياء على ما ذكرت هو عين الأشياء كما قاله بعض العرفاء حَيث قال الحمد لله الذّى هو اَظهَر الاشياء وهُو عَيُنها ولانفَهم من كونه باطن الأشياء الّا هذا المعنى وهو كما ترى :

قلت ـ كلّا فانّ المراد بكونه باطن الأشياء هو احاطته بها احاطةً العلّة بالمعلول بمعنى انّه غير خارجٍ عنها كما قال عليه السلام في بعض كلماته داخل في الأشياء لاكَدُخول شيءٍ في شيءٍ وخارجٌ عنها لاكَخُروجِ شيءٍ عن شيءٍ.

وامّا قول بعض العرفاء فعلى فَرض صحّته لاينافي ما ذكرناه وله معنى آخر غير ماتفهم العامّة منه وذالك لانّ المراد بالعيْنية في كلامه هو انّ المعلول من رَشحات العلّة وافاضاتها فكيف يكون غيره ومع ذالك فهو موجود بالوجود الظِّلي الأمكاني المَشوُب بالأعدام والنّقائص بخلاف العلّة فانّها مَوجوُدة بالوجود الحقيقي التَجرّدي الّذي حيثيّته ذاته طاردة للأعدام والنّقائص فكيف يكون عَينه فَهُو عَينُه ومع ذالك غَيره وغيره ومع ذالك عَينه وحيث انّ المقام ليس بصالح لهذه الأبحاث الدّقيقة لانّ اكثر العقول ليس لها استعداد لِهَضم هذه المشكلات العَقليّة ولا لَفهم هذه النّكات العَميقة فالسّكوُت اَولى لَنا ولكُم، هذا كلّه اذا حَملنا الباطن على السِّر والخفي وامّا لو حملناه على المعنى اللّغوي اعني ما يقابل الظّاهر بمعنى انّه ليس بمحسوس فالأمر اوضح فهو تعالى باطن اى مَستوُر عن الحَواسّ والأدارك وظاهر اى غير مَستوُرٍ عن الأدراك بعين البصيرة، او يقال انّه ظاهر بمعنى انّه لايُعرَف بشيءٍ آخر بل الأشياء تُعرف به وباطن لانّ وجود الأشياء يدلّ على وجوده وقد تَكلّمنا في هذا البحث سابقاً بما لامزيد عليه.

▫ **قوله عليه السلام: كُلُّ مُسَمّىٰ بِالْوَحدَة غَيره قَليلٌ، ...**

اَثبَت عليه السلام القِلّة لكلّ وحدةٍ غيره تعالى ومَفهوُمه انّ الله تعالى يُسمّى بالوحدة وهو مع ذالك غير قليلٍ وتَوضيح العبارة يستدعي التّكلم في معنى الوحدة واقسامها اوّلاً وكيفيّة اتّصافها بالقِلّة ثانياً فنقول الوَحدة تنقسم اوّلاً الى قسمين: حَقيقيٌّ وغير حقيقيٍّ وكلّ واحد منهما على اقسام:

امّا الوَحدة الحَقيقيّة فيقال في تعريفها انّها لايحتاج في الاتّصاف بالوَحدة الى الواسطة في العُروض، وبعبارة اخرى: هي وصفٌ لِلشّيء بحاله لابحال

متعلّقه وهى ايضاً على قسمين لانّها امّا ذات له الوَحدة ام لابل نفس الوحدة العَينيّة لامَفهوُمه الذّهنى فالثّانى اعنى نفس الوَحدة العَينيّة هو الوحدة الحقّة الّتى هى حقّ الوَحدة كالحقّ الواحد حقّتَ كلمته.

والاوّل ـ اعنى ذات له الوَحدَة إمّا واحدٌ بالخصوص وهى الوَحدَة العَدديّة كوَحَدات الأعداد.

وإمّا واحدٌ بالعُموم كحقيقة الوجود لابشَرط والوجود المُنبسط بحسب عَدم الانقسام فانّ موضوعه وهو مبدء الأعداد لاينقسم.

وتارةً يقال على الموضوع الغير المُنقسم بحسب الوَضع كاالنّقطة فالاوّل غير قابل لِلأنقسام بحسب المَفهوم والثّانى بحَسب الوَضع ايضاً.

وتارةً يقال على المفارق كالعَقل والنّفس حيث لاوضع فيهما فهذه الاقسام الثّلاثه فى الواحد بالخُصوص من حيث انّ موضوعها لايَقبَل القسمة من حيث ذات المَعروض مُشتركة، كما لايقبلها الكلّ من حيث العارض الّذى هو الوَحدَة.

وتارةً موضوع الواحد يقبل التّقسيم وهو على قسمين: لانّه تارةً يقبل الأنقسام بالذّات فهو المقدار وتارةً بالعرض فهو الجسم.

وامّا الوَحدة الغَير الحقيقيّة فهى الّتى تحتاج فى الاتّصاف الى الواسطة فى العُروض كما فى زيد وعَمروًا مثالهما فانّهما واحدٌ فى الأنسان وكما فى الأنسان والفَرس فانّهما واحد فى الحيوان وهكذا فالأنسان واحدٌ حقيقىٌّ وواسطة فى العروض لوَحدة زيد وعمرو وكذا الحيوان واحد حقيقى وواسطة فى العروض لوَحدة الأنسان والفَرس فالوَحدة لِلأنسان مثلاً وصف له بحاله ولزيد وعمر وصفٌ لهما بحال متعلّقهما وهكذا فى سائر اقسام الوحدة الغير الحَقيقيّة ثمّ إن وُحدّ الشّيئان جِنساً فالوَحدة تُسمّى بالتّجانُس او نَوعاً فبالتّماثُل او كَمّاً فبالتّساوى او كَيفاً فبالتّشَابُه او نِسبةً فبالتّناسُب او وَضعاً فباالتّوازى وملخّصَ الكلام فى الأقسام هوان نقول:

الوحده حَقيقيّه وغَير حقيقيّه، والحقيقيّة امّا حَقّة او غير حَقّة والحَقّة هو الواجب لاغيره. وغير الحقّة امّا واحدٌ بالخُصوص او واحدٌ بالعموم والواحد بالعُموم امّا بمعنى السّعة الوجوُديّة وامّا بالعُموم المفهومى وهو امّا نوعىٌ او جِنسىٌ او عَرضىٌ على مراتبها اى مراتب الاجناس والأعراض والأنواع.

والوَحدة بالخُصوص امّا غير مُنقسم وامّا مُنقسمٌ وغير المُنقسم امّا لنفس مفهوم الوحدة ومفهوم عدم الأنقسام وامّا غيره والثّانى امّا وضعىٌ وامّا مفارقٌ والمُفارق امّا مفارقٌ مَحض وامّا مُتعلّق بالجِسم، والمُنقسم امّا منقسمٌ بالذّات وامّا منقسمٌ بالعَرَض هذا كلّه فى الواحد الحقّيقى.

والواحد الغير الحقيقى امّا واحدٌ بالنّوع او بالجِنس او بالكَيف الى آخر اقسامه هكذا قال السّبزوارى فى المنظومة والى هذا التّفصيل اشار بقوله:

وَوَحدةٌ امّا حَقيّقيةٌ، او ... غير حقيقّيةٍ اِدِمَا دَرَوا
اوليهُمْا بحقّةٍ وغيرها ... قَسَّمها اصحَابَنا اولوا النّهى
فالذّات فى الوحدة غير الحقّة ... قد أُخذت فى الصّفة المُشتقّة
وهى انم للخُصوص والعُموم ... بحَسب الوُجود والمَفهوُم
وذوالخُصوص العَددّى منه ما ... كَمَبدء الأعداد كانَ مفهماً
مَوضوُعه عَدم قِسمةٍ فقط ... ومنه ما الوَضعىّ زاد كالنُقطَ
ومنه كالمُفارق ومنه ما ... مَوضوُعة يَقبل ان يَقتسَما
قابله بالذّات مقدارُ وإن ... يَقبَله بالعارض كالجسم زُكن
والوَحدَة الغَير الحقيّقه مَا ... واسطة العروض لَيسَ مَعدما
تَجانُسُ تَماثُلُ تَساوى ... تشابُهُ تَناسُبُ تَوازى
ان وُحِّد الشّيئان جنساً نُوعًا ... كَمّاً وكيفاً نِسبة ووضعاً
وواحد بالنّوع غير النّوعى ... فى مثله التّميزُ ايضاً مَرعىّ

اذا عرفت اقسام الوَحدة فاعلم انّ الوَحدة الّتى تطلق عليه تعالى من هذه الاقسام المذكورة هى الوَحدة الحقيقيّة الحقّة اعنى نفس الوَحدة العَينية

لامَفهومها الذّهنى العُنوانىّ وانّما قالوا وقلنا ذالك لانّ الوَحدة هناك كسائر الصّفات عَين الذّات الواجبيّة لاعارضة عليه لانّ مقتضى العروض المَعلوُليّة فانّ كلّ عارضٍ مُعلَّل وكلٌّ معلّلٍ يَفتقر الى الغير محتاجٌ له وكلّ محتاج معلولٌ ممكنٌ وقد فرضناه واجباً هف ولابدّ لنا من ذكر امور:

الاوّل: انّ الوَحدة مُساوقة للوجوُد مرادفة له بمعنى انّهما متغايران مفهوماً متّحدان مصداقاً وعيناً وعَليه فكلّ ما يطلق عليه الوجود تطلق عليه الوَحدة وبالعكس والى هذا المعنى اشار السّبزوارى فى المنظومة حيث قال:

خُذ وحدةً مع الوُجود اثنَين فى الذّهن لكن عَينه فى العَين

ولاجل هذا يقال باتّحاد الوحدة والذّات كما يقال باتّحاد الوجود والذّات فكما انّ الوجود والوجوب عين الذّات الواجبيّة فكذالك الوحدة.

وبعبارةٍ اخرى: لايقال هناك ذات ووجوُد بمعنى العارض والمعروض كذالك لايقال ذات ووَحدَة اى الذّات معروضة لها.

الثّانى: انّ الوَحدة الحَقّة الحَقيقيّة لاتّتصف بالقِلّة وذالك لبساطتها والوَحدة الّتى تّتصّف بها انّما هى الوَحدة الّتى موضوُعها كان مُنقَسماً امّا بالذّات كالمِقدار او باالعَرض كالجِسم القابل لِلأنقسام بتوسّطِ المقدار كما عرفت وامّا الوَحدَة الحقّة الحقيقة فلَيست كذالك امّا اوّلاً فلانّها عَين موضوعها كما سبق وعلى فرض كونها غيره مفهوُماً فالموضوع فيها ليس الّا الذّات الواجبيّة والذّات اَبسَط البسائط والبَسيط لايَنقسم فاذا كان الموضوع بَسيطاً غير منقسمٍ فكيف يمكن فرض الأنقسام فى الوحدة الّتى هى نفس الذّات على الفرض.

وبعبارة اخرى: الوَحدة هناك نَفس الذّات والذّات بَسيطٌ غير منقسمٍ فالوَحدَة كذالك وهو المطلوب.

واذا ثبت عدم انقسامها فكيف تّتّصف بالقِلّة مع انّ القِلّة تقابل الكثرة وحيث انّ الكَثرة والقِلّة مِن المُتضايفين فكلّما كان اَقلّ افراداً او اقلّ اجزاءً بالنّسبة الى ما هو اكثر افراداً او اجزاءً فهو قليل والآخر كثير.

وان كان الاوّل بالقياس الى ما هو اَقَلّ منه كثيراً والآخر بالقياس الى ما هو اكثر منه قليلاً كما هو شأن المُتضايفين وعليه فالوَحدة الحقّة الحقيقة لاتتّصف بالقِلّة ابداً واذاً لاتتّصف بالكثرة ايضا اداءً لحقّ التّضايف.

وامّا غيرها من الوَحدات باقسامها فهو يَتصّف بها ولا محذُور فيه عقلاً.

فقوله عليه السلام: **كُلُّ مُسَمىً بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ**، معناه انّ كلّما صدقت عليه الوَحدة غير الذّات الواجبيّة فهو يتّصف بالقليل لكون الوَحدة فيها زائد على الذّات وان كان موضوعها غير منقسم كالنُّطقة والعَقل الّا انّ عدم انقسام الموضوع لايدلّ على عدم اتّصافه بالقِلّة فالنُّقطة مثلا لاتنقسِم عيناً الّا انّها تتّصف بالقِلّة باالنّسبة الى الخطّ حيث انّه مؤلّف من النُّقط وهذا واضح فالقِلّة والكثرة لاتَتبَعان الأنقسام وعدم الأنقسام من حيث اتّصاف الشّيء بها هكذا قالوُا.

والحقّ على مَسلكنا غير ما ذكروه وقد حقّقناه فى الفَلسَفة مفصّلاً واجماله هوانّ الوحدة الحقّة الحقيقيه لاتتّصف بالقِلّة ولا بالكثرة لاجل شيءٍ آخر وهو انّ الوَحدة لكونها عين الذّات لاغيرها والذّات على ما ثبت فى العلوم العقليّة ليست الّا صرفُ الوجود وحقيقته وقد ثبت انّ صِرَف الشّيء لايَتَثَنّى ولا يَتكرّر بمعنى انّه ليس له شيء يُعدّ ثانياً له فلا معنى لاتّصافه بالقِلّة او الكثرة.

والبرهان عليه انّ صرف الوجود امّا يقتضى التّوَحُّد او لايقتَضى وعلى الثّانى امّا ان يقتضى الكَثرة او لايقتضى الوَحدة ولا الكثرة.

فعلى الاوّل: اعنى اقتضائه الكثرة فالوَحدة ما حَصَلت لانّ الوحدة على طباع الكثرة على ما هو المفروض. وبعبارةٍ اخرى: الّذى يقتضى الكثرة كيف يكون واحداً لانّه لو يَقتضيها مع كونه واحداً يلزم عليه اجتماع المتقابلين وان يقتضيها لامع وَحدته يلزم الخلف اذ المَقسم هو صِرفُ الوجود وان شئت قلت ذالك الواحد على طباع ذالك الكثير بذاته والمفروض انّ هذا السّنخ يقتضى الكَثرة فلم يوُجَد فيه واحد فلم يوجد فيه كَثيراً ايضاً لانّ الكثير مبدئه

الواحد فاذا كَثّرناه بذاته اَبطَلناه.

وعلى الثّانى : اعنى عدم اقتضاء صرف الوجود الوَحدة ولا الكثرة يلزم ان يكون صِرف الوجود فى وحدَته مُعلّلاً بالغَير لانّ المفروض، عدم اقتضائه لها فى حدّ نفسه فكونه واحداً او كثيراً ليس من قبل اقتضاء نفسه بل من غيره وبغيره وهذا هو المَعلوُليّة.

والوجه الأخصر فى المقام هوانّه لاشكّ انّ هناك وجودٌ بَحت كما ثبت فى التّوحيد ثمّ انّ هذا الوجود الذّى نُعبّر عنه بِصرف الوجود لايخلوا امّا ان يكون مُقتَضياً فى حدّ ذاته التّوحُد والتّفرُد اولا يقتضى، فعلى الاوّل المطلوب ثابت وعلى الثّانى اعنى عدم اقتضائه التَوحُد امّا ان يقتضى الكَثرة ولا يقتضى التّكثُر ولا التّوحُد، وعلى الاوّل ـ اعنى اقتضائه التّكثُر يستلزم المحال لانّ مبد الكثير واحدٌ فَيوُجد بوجوده ويُعدم بعَدمه فاذا افرضنا عدم اقتضاء صرف الوجود التّوحُد كما هو المفروض فكيف يقتضى التّكثُر وهو فرع التّوحُد وجوداً وعلى الثّانى اعنى عدم اقتضائه لهما مُطلَقاً يلزم معلوليّتُه صِرف الوجود اعنى الواجب تعالى لانّه واحد بالعَقل والنّقل فاذا فرضنا انّ ذاته لاتقتضى الوَحدة ولا الكَثرة مثلاً فيقال من اَين جائت الوَحدة له، وحيث انّها ليست من قبل ذاته كما هو المفروض فلامحالة جائت من قبل غيره فهو معلول غيره وهو كما ترى.

فَثَبَت وتحقّق انّ ذات الواجب يقتضى التّوحَدُ والتّفرُد وحيث انّ الذّات هُو صِرف الوجود الّذى لاثانى له فلاتَتصوّر كثرة هناك من سِنخِه فلاتتصّور قلّة ايضاً لانّ القِلّة تقابل الكثرة وحيث انتفت الكثرة انتفت القلّة ايضاً.

وهذا بخلاف غيرها من الوحدات فانّها ليست صرف الوجود، بل وجودات مَشوُبة بالمَهيّات الأمكانيّة والماهيّات مثار الكثرات واذا ثبتت الكثرات فيها ثبتت الوحدات المقابلة لها ايضا وهذه الوحدات لكونها مقابلة للكثرات توُصف بالقلّة فانّ كلّ ما يقابل الكثير يصدق عليه انّه قليلٌ وهذا

معنى قوله عليه السلام: **كُلٌّ مُسَمىً بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ**، فتأمّل فيه.

□ **قوله عليه السلام: وَكُلٌّ عَزِيزٍ غَيرُهُ ذَلِيلٌ، ...**

اى كلّ عَزيزٍ غير الله تعالى فهو ذليلٌ وهذا هو الحكم الثّالث، وتوضيحه يُعلَم ممّا ذكرناه آنفا وذالك لانّ العِزّة والذِّلة ايضا من المتضايفين فيمكن ان يكون شَخصاً عزيزاً بالنّسبة الى مَن دوُنه ذليلاً بالقياس الى من فوقَه كما هو كذالك فيمن كانت عِزّته او ذِلّته من غيره لامن قِبَل نفسه وامّا اذاكانت العِزّة من ذات الشّىء لامن غيرها فلا تتصّور هناك ذِلّة ابداً وعليه فالعِزّة على قسمين: ذاتيّة وعَرَضيّة.

امّا العِزّة الذّاتية ـ فهى العزّة الّتى نشأت من قبل الذّات ولا دخل لغيرها فيها وهذه العِزّة لامحالة تكون ثابتة لها مادام الذّات موجودة فانّ كانت الذّات موجُودة بالوجود الدّائمى الأبدى فالعزّة ايضاً كذالك وحيث انّه قد ثَبت وتحقّق انّ الواجب تعالى اَزَليٌّ اَبَديٌّ لافَناء فيه ولا دُثوُر وثبت ايضاً انّ الواجب الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات فلامحالة تكون عِزّته تعالى كسائر صفاته من العلم والقدرة وامثالها عين ذاته غير زائدةٍ عليها موجودة بوجود الذّات فهذه العِزّة لاتتصّور فيها ذِلّة لانّ الذِّلة عدم العِزّة والعِزّة كمالٌ والذّلة نقصٌ، واتّصافه بالنّقائص والأعدام ينافى الواجبية فلا يتّصف بالذِّلة ابداً وهو المطلوب.

وامّا العَرضيّة منها: فلَيست كذالك لانّها مِن اعطاء غيره حيث انّها لم تكن ثمّ كانت فكما انّها لم تكن ثمّ كانت لايبعُد عَدمها وانتفائها ايضاً لانّها مُمكنة فى حَدّ نَفسها والممكن مَسبوقٌ بالعَدمين عدم السّابق وعدم اللّاحق.

والدّليل العقلى عليه: هوانّ هذه العِزّة الثّابتة لغيره تعالى كائناً من كان امّا ان تكون مُمكنة الزّوال عنه، او لاتكون كذالك لاسبيل الى الثّانى للزومه الخُلف فانّ معنى كونها غير ممكنة الزّوال هو وجوب وجودها له وقد فرضناها مُمكِنة فى حَدّ نفسها وهذا هو الخُلف المحال.

واذا انتفى الثّانى ثبت الاوّل وهو كونها مُمكنة الزّوال وهذا هو الذِّلة المَفروضة فانّ الممكن يحتاج الى غيره فى بقاء العِزّة والأحتياج مساوق لِلذّلة فكلّ عزيزٍ غيره ذليلٌ.

وانْ شئت قلت كلّ موجود غيره تعالى محتاج اليه فى جميع شئونه فى علمه وقدرته وارادته وحَياته وعِزّته وغيرها من الصّفات وكلّ محتاجٍ ذليل فغيره كائناً من كان ذليلٌ.

امّا المقدّمة الأولى: فلا كلام فيها لانّ الممكن من شأنه ان يكون ليساً ومن علّته ان يكون اَيساً فهو فقير محتاج اليه بل ليس المُمكن الّا نفس الفَقر لانّه شيءٌ وفقرٌ.

وامّا الثّانية: اعنى كلّ محتاجٍ ذليل فهو ايضاً واضح فانّ الذِّلة ليست الّا الاحتياج.

وامّا النتيجة: فظاهرة، لانّ الشّكل الاوّل بديهى الانتاج فثبت انّ كلّ عزيز غيره محتاج فى عزّته اليه تعالى فهو ذليل فى نفسه عزيز بغيره وامّا الواجب تعالى فلكونه عزيزاً بذاته لايكون ذليلا فى نفسه لعدم احتياجه الى الغير كما مرّ مراراً ثمّ انّ هذا الحكم كسائر احكامه بالعقل والنّقل.

امّا العقل: فلانّ العِزّة على ما فَسّروُها هى الحالة المانعة لِلأنسان من ان يُغلَب فهى من الكمالات ولذالك ترىٰ النّاس يَطلبونها دائماً وقد ثَبت فى العقليّات انّ كلّ كمالٍ وُجد للأنسان او يمكن ان يوُجد فهو موجود ثابت له تعالى بالفعل اذ ليست هناك حالة منتظرة لمنافاتها الواجبيّة كما ثَبت فى محلّه والمفروض انّ العِزّة من الكمالات بل اصلها ورأسها فهى مَوجوُدة له تعالى بالفعل وهو المطلوب.

دليل آخر: لاشكّ فى اتّصاف كثير من افراد الانسان بها بل كلّها بالنّسبة وهى فيهم امّا من ناحية ذواتهم او من غيرها لاسبيل الى الاوّل اذ عليه يلزم ان تكون العِزّة فى الجميع على حدٍّ سواء فانّ الذّات فيهم واحدة وليس الامر كذالك

فانّا نراها فيهم متفاوتةً شدّةً وضعفاً ونقصاً وكمالاً فنكشف انّها من اعطاء الغير وهو العِلّة.

ثمّ انّ العِلّة المُعطية لهاامّا ان تكون واجدة لها فى حدّ نفسها او لاتكون فان كان الاوّل فهو المطلوب وان كان الثّانى فامّا ان لاتكون واجدة لها اصلاً فيلزم ان يكون مُعطى الشّىء فاقداً لَه وهو محال. وامّا ان تكون واحدة لهـا لامـن نَفسها بل بغيرها فالكلام فيها بعينه هو الكلام فى المعلولات ولمّا ثبت انّ كلّ ما وجد بالغير فهو ينتهى الى ما بالذّات فتنتهى السّلسلة بـالأخرة اليـه وهـو الواجب فالمطلوب ثابت.

وامّا النّقل: فقوله تعالى: ﴿**اَيَبْتَغُونَ عِنْدَ هُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً**﴾(١)

و: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾(٢)

و: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾(٣)

و: ﴿**لااِلٰهَ اِلاّهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٤)

و: ﴿**فَأعْلَمُوا اَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٥)

و: ﴿**وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلَهُمُ الْعِزَّةِ للهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(٦)والآيـات فـى الباب كثيرة جدّاً لاحاجة الى اطالة الكلام بذكرها اَكثر ممّا ذكرناه.

▫ **قوله عليه السلام: وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ...**

وهذا هو الحكم الرّابع اَثبت عليه السلام فى كلامه هذا شيئين احدهما كونه تعالى قَويّاً والآخر كون غيره ضَعيفاً وانّما قُلنا ذالك لانّ اثبات الضّعف لغيره تعالى يوجب اثبات القُوّة له وان شئت قلت مَنطوقِ العبارة ضعف غيره تعالى من المخلوقات ومفهومها يثبت كونه تعالى قويّاً فانّ مفهوم كون غيره ضعيفاً كونه قويّاً وهو واضح:

امّا الاوّل: منهما اعنى كونه تعالى قويّاً فَيَدلُّ عليه العَقل والنَّقل.

١- النساء- ١٣٩
٢- الفاطر- ١٠
٣- الصافات- ١٨٠
٤- آل عمران- ٦
٥- البقرة- ٢٠٩
٦- يونس- ٦٥

امّا العقل: فلانّ القُوّة تستعمل تارةً فی معنی القُدرة وتارةً للتّهیؤ الموجود فی الشّیء نحوِ اَن یقال النَّوی بالقُوة نَخل.

ثمّ انّ الاوّل تارةً تستعمل فی البَدن نحو قوله تعالی:﴿**وَقالُوا مَنْ اَشَدُّ مِنّا قُوَّةً**﴾[1] و :﴿**فَاَعْینُونی بِقُوَّةٍ**﴾[2] وامثال ذالك.

وتارةً تستعمل فی القَلب نحو قوله تعالی:﴿**یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ**﴾[3]ای بقُوّة قلب.

وتارةً فی المعاون من خارج نحو قوله تعالی:﴿**لَوْ اَنَّ لی بِکُمْ قُوَّةً**﴾[4]قوله تعالی:﴿**نَحْنُ اُولُو قُوَّةٍ وَ اُولُو بَأْسٍ شَدیدٍ**﴾[5]وتارةً فی القُدرة الآلهیّة نحو اِنّ الله قَویٌّ عزیز، وکان الله قویّاً عزیزاً وغیرها من الآیات.

اذا عرفت هذا فنقول: امّا القُوّة بمعنی التهیئُو فلا تطلق علیه تعالی وذالك لما ثبت انّ کلّ ما یصدق علی غیره بالأمکان یصدق علیه بالفعل وقد اشرنا الیه سابقاً وقلنا انّه تعالی محض الفِعلیّة فهو مُنَزّهٌ القوّة بهذا المعنی للزومه النّقص المنافی للواجبیّة وقد مرّ انّ الواجب بالذّات واجب من جمیع الجهات.

وکذالك القُّوة المُستَعملة فی البَدن والقَلب ایضاً لاتطلقان علیه لکونه تعالی مُنزّهٌ عن الجِسمیّة والبَدن والقَلب من لوازم الجسم وامّا القُوّة بمعنی المُعاون من خارج فهو ایضا فی حقّه من المحالات لانّ المعاون من خارج لامعنی له الّا لِمَن کان ضَعیفاً فی حدّ ذاته محتاجا الی غیره فی تحصیل غَرَضه والوصول الی مقصده والواجب لایحتاج الی غیره فی امرٍ من الأمور والّا یکون مُمکناً لانّ الأحتیاج یُساوق الأمکان بل عینه وقد فرضناه واجباً هَف. واذا ثبت عدم صحّة القُوّة فی حقّه تعالی بهذه المعانی المذکوره عقلا فقد ثبت جوازها بالمعنی الآخر وهو ان یکون المراد بها القُدرة الألهیّة فکونه (تعالی) قویّاً ای مُقتدراً.

فان قلت ـ عدم جواز اطلاق القُّوة علیه تعالی بالمعانی الأربعة المذکورة

۱- الفصلت- ۱۵
۲- الکهف- ۹۵
۳- مریم- ۱۲
۴- هود- ۸۰
۵- النمل- ۳۳

لايستلزم جواز القُوّة عليه بالمعنى الآخر اعنى القدرة الألهيّة وأيُّ استلزام بينهما.

قلت ـ لاشكّ انّه قادرٌ وان شئت قلت قَويٌّ وذالك لو لم يكن قويّاً لكان ضَعيفاً وكلّ ضعيفٍ يحتاج الى غيره فهو محتاج الى غيره وكلّ محتاجٍ ممكنٌ وقد فرضناه واجباً، هف.

امّا انّه لو لم يكن قويّاً لكان ضعيفاً لانّ القُوّة والضَّعف متقابلان، لايمكن جَمعهما ولا رَفعهما وعليه فان كان قويّاً ثبت المطلوب وان لم يكن قويّاً لكان ضَعيفاً لانّ القُوّة والضّعف متقابلان لايمكن جمعهما ولا رَفعهما وعليه فان كان قَويّاً ثبت المطلوب وان لم يكن قويّاً فلامحالة يكون ضَعيفاً والّا يلزم ارتفاع النّقيضين وهو محال.

وامّا قولنا اذا كان ضعيفاً يحتاج الى غيره فلانّ الضّعيف لابدّ له من الأستمداد من غيره فى اُموره والّا لَم يكن ضَعيفاً وقد فرضناه ضَعيفاً واذا ثبت ضَعفه واحتياجه الى الغير ثبت امكانه وقد فرضناه واجباً، هف.

واذ اثبت اصل القُّوة فيه فلابدّ من ان تكون القُوّة الموجودة فيه، امّا بمعنى التَهَيّئوا والبَدَن او القَلب او المُعاون من الخارج او القُدرة وحيث انّا اَثبَتنا استحالتها بالمعانى الأربعة فتثبت فيه بالمعنى الخاصّ لعدم خُلوّها من الوجوه المذكورة وهو المطلوب.

وامّا النّقل: فمنه قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[1]

و : **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾**[2]

و : **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[3]

و : **﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**[4]

و : **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾**[5]

١- الانفال- ٥٢
٢- هود- ٦٦
٣- الحج- ٤٠
٤- الذاريات- ٥٨
٥- الفصلت- ١٥

و : ﴿اَوَلَمْ يَعْلَمْ اَنَّ اللهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾[1]

و : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً﴾[2] وامثالها من الآيات.

وامّا المقام الثّانى: اعنى كون غيره كائناً من كان ضعيفاً فيدلّ عليه ايضاً العقل والنّقل.

امّا العقل: فلانّ غيره مخلوق له وكلّ مخلوق فهو ضعيف بالنّسبة الى خالقه فغيره ضعيف بالنّسبة اليه.

امّا المقدّمة الاولى: اعنى الكلّ مخلوق له فهو ممّا لاكلام فيه كما مرّ فى ابحاث التّوحيد.

وامّا الثّانية: اعنى كلّ مخلوق فهو ضعيف بالنّسبة الى خالقه فلانّ المخلوق مَقهورٌ ومغلوبٌ لخالقه كما هو شأن المعلول والّا لم يكن معلولاً كيف والمعلول بشراشره محتاج الى العلّة ولا نَعنى بالضّعف الّا هذا واذا اثبتت المقدّمتان ثَبتَت النّتيجة فظهر انّ غيره ضعيف بالنّسبة اليه وان كان قويّاً فى حدّ ذاته ولعلّه الى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله: **وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ** اى كل قوّى فى حدّ ذاته ضعيف بالنّسبة الى خالقه.

وامّا النقل : قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطّالِبُ والْمَطْلُوبُ﴾[3]

و : ﴿اللهُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ﴾[4]

و : ﴿اَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾[5]

و : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَّ شَيْبَةً﴾[6]

و : ﴿فى الأنسان، يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[7] وغيرها من الآيات.

١- القصص- ٧٨
٢- البقرة- ١٦٥
٣- الحج- ٧٣
٤- الروم- ٥٤
٥- الانفال- ٦٦
٦- الروم- ٥٤
٧- النساء- ٢٨

▫ **قوله عليه السلام: كُلُّ مالِكٍ غَيرُهُ مَملوكٌ، ...**

مالِك بكسر اللّام اسم فاعل من مَلك يملِك وهو صاحب المُلك جمع مُلَّك ومُلاّك والمَملوك اسم مفعول له قاله فى المنجد ثمّ انّ المُلك ما يملكه الأنسان ويَتَصرّف به والجَمع منه املاك ومُلوُك العَظَمة والسُّلطة ومنطوق العبارة انّ غيره تعالى مَملوكٌ ومفهومها انّه تعالى ليس بمَملوُكٍ وهو كذالك امّا انّ غيره مَملوُكٌ فظاهر لانّ ما سواه مخلوقٌ له وكلّ مخلوقٍ مَملوكٌ لخالقه فما سواه مخلوقٌ مملوكٌ لخالقه فهو مالكهم وامّا انّه تعالى مالكهم فلانّه اذا ثبت كون غيره مَملوُكاً له ثبت كونه مالكاً لهم اداءً لحقّ التّضايف.

وبعبارة اخرى: ثبوت المَملوُكيّة لغيره تعالى يلزم كونه مالكاً لهم والاّ لايكون المملوك مَملوكاً هف.

امّا دليل النّقل : على كونه تعالى مالِكاً فمنه قوله تعالى:﴿ **قُلِ اللّٰهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]

و:﴿**اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[2]

وقد وَرد فى الدُّعاء المَعروف بالجوشن الكبير، يا خالقَ كلّ مخلوقٍ يا رازقَ كلّ مَرزوُقٍ يا مالكَ كلّ مَملوُكٍ واطلاق المالك

عليه تعالى فى الآيات والاخبار والأدعية فوق حدّ الأحصاء وحيث انّ المالك والمَملوُك من المتضايفين فثبوت احدها يستلزم ثبوت الآخر، ولا يَتحقّق احدهما بدون الآخر وهذا واضح ولمّا ثبت كونه تعالى مالكاً فلا نحتاج الى اثبات مَملوُكيّة غيره وقد ذكرنا انّه خالق الأشياء ومُبدعها والخالق لامحالة يكون مالكاً لمخلوقه وان اَبيت عنه فنقول:

لاشكّ انّ الله تعالى علّة ايجاد الممكنات والعِلّة مُفيضةٌ على المعلول والاّ لاتكون علّة والمُفيض مالك لِلمُستفيض ومُتصَرفٌ له فهى مالكه له وهو

١- آل عمران- ٢٦ ٢- الفاتحه- ٤

المطلوب. امّا كونه تعالى: علّة ايجاد الممكنات فقَد مَرّ تحقيقه مراراً ولا سيّما فى بحث التّوحيد عند شرحنا لقوله عليه السلام: **اوّل الدّين معرفته**.

وامّا مُفيضةٌ فلانّ العلّة لامعنى لها الّا الأفاضة اذ لو لم تكن الأفاضة لاتَوجد العِلّية وهو ظاهر.

وامّا انّ المُفيض مالِكٌ للمستفيض، ومتّصرفٌ له فالوجه فيه واضح اذ لاوجود له واقعاً مع قطع النَّظر عن وجود العلّة فالعلّة المُفيضة كما انّها علّة مُوجدة للمعلول بالأفاضته كذالك علّةٌ مُبقيّة له بها ومعنى كونها علّة مُبقية هو عَدم قَطع الأفاضة من ناحيتها والأستفاضه من ناحيته ولا خفاء فى انّ المعلول ليس له شيئاً غير الأفاضة من المُفيض فكلّ ما يملكه المعلول عبارة عن مواهب العلّة وعطاياها من الوجود والآثار المترتّبة على الوجود لااثر لها مع قطع النّظر عن الوجود بل وجودها يَدور مدار وجوُده واذا ثبت كون اصل الوجود المَنشَاء لِلآثار له فكيف يمكن الشّك فى الامور الاعتباريّة الّتى لاوجود لها باعتبار ذواتها والمالكيّة فى المخلوق من هذا القبيل وقد ثبت انّ الامور الأعتباريّة تدُور مَدار مَنشَاء انتزاعها وحيث انّ منشاء الانتزاع ليس منه فكذالك الأمور الاعتباريّة ومحصّل الكلام انّ هذه الاضافات كلّها من توابع الوجود ولوازمها وحيث قد ثبت انّ الوجود فى كلّ ما سواه عنه تعالى فلا معنى للبحث فى انّ المُنتسَبات اليه لمن تكون هى وعليه فلنا ان نقسم المالكيّة الى الحَقيقيّة والأضافيّة فالحقيقيّة لاتكون الّا الله تعالى والاضافيّة لغيره كما انّ الوجود الحقيقى له والأعتبارى الاضافى لغيره.

كيف وقد اَثبَتنَا فيما مضى من القول اعتباريّة الدّنيا وما فيها بمعنى انّ الدّنيا بل كلّ ما سوى الله ليس له وجود باعتبار ذاته وانّما هو موجودة باعتبار عِلته ومُبدعه فالأنسان مثلا اذا كان وجوده وجود المستعار فكيف يكون لوازم وجوده غير مستعار وهذا امر لايكاد يرتاب فيه عاقل، فضلاً عن عالم.

▫ **قوله عليه السلام: وَكُلُّ عٰالِمٍ غَيرُهُ مُتَعَلِّمٌ، ...**

وهذا الكلام ايضا له منطوق ومفهوم كقبله وبعده فمنطوقه يدلّ على انّ ما سوى الله تعالى ليس بعالمٍ حقيقةً بل هو مُتعلَم كائناً من كان، ومفهومه يدلّ على انّ الله تعالى هو العالمٌ بالحقيقه وهو ايضاً مؤيّد بالعقل والنّقل. امّا الدّليل العقلى ـ على انّ ما سوى الله تعالى مُتعلّم حقيقةً فهو انّ العِلم فى غيره تعالى زائد على الذّات بمعنى انّه لم يَكُن فكانَ سواءٌ قلنا بكونه من مقولة الكيف او الأضافة او غير ذالك من الأقوال الواردة فيه وكلّ زائد على الذّات عارض عليها فانّا لانعنى بالعُروض الّا كون الشّىء زائداً على شىءٍ زائدة خارجة عن حقيقة الجسم والّا لايكون الشّىء عارضاً بل هُو هُو ولانعنى بالخروج، الخروج بمعنى خارج المَحمولُ بل بمعنى المَحمولُ بالضَّميمة فاذا قلنا زيد عالم معناه انّ حقيقة العلم وماهيّته خارجة عن حقيقة زيد وماهيّته زائدة عليها خارجة عنها بالمعنى الّذى ذكرناه، فزيد شيىء والعلم شىء آخر ولو كان العلم عين ذات زيدٍ او خارجاً عنها بمعنى الخارج المَحمولُ المُنتَزع عن مقام الذّات للزَم ان يكون كلّ انسانٍ عالماً دائماً وليس كذالك الا ترى انّ الشَيئيّة والأمكانيّة بالنّسبة الى الماهيّات حيث انّهما تُنتزعان عن مقام الذّات لاتكون الذّات خالية عنهما ولا تختصّان بذاتٍ من الذّوات دوُن اخرى بل الماهيّات باسرها متّصفة بهما ابداً، وليس العلم المحمول على زيد وعَمر من هذا القبيل ضرورة انّا نعلم انّ كثيراً من الافراد لايتّصفوُن به مع كون الذّات فيهم واحدة فلو كان العلم كاالشّيئية من الأمور المُنتَزعة عن مقام الذّات يلزم لكلّ احدٍ الاتّصاف به كاالاتّصاف بها وليس كذالك ويلزم ايضا اتّصاف الذّات به دائماً مادام الذّات موجودة، وليس كذالك فَظَهر وتحقّق ممّا ذكرناه انّ العلم فينا وفى كلّ موجودٍ سوى الله تعالى زائد على الذّات عارض عليها وقد ثبت انّ كلّ عَرَضىٌ مُعلَّل فثبت انّ ثبوت العلم وعروضه عليه بسَبَب شىء آخر غير ذاته، وكلّ ما وجد بالغير لابدّ من ان ينتهى الى الموجود بالذّات فالعلوم كلّها تنتهى اليه تعالى وهو المطلوب دفعاً لِلدّور والتّسلسل.

وامّا علم الواجب فليس كذالك لكونه عين ذاته كما مرّ فى بحث عينيّة الصّفات للذّات فهو فيه حُضوُرىّ وفى ما سواه حُصُولّى كَسبىٌّ وهذا معنى قوله عليه السلام: **وَكُلُّ عٰالِمٍ غَيرُهُ مُتَعَلِّمٌ**، الدّال بالمفهوم على انّه تعالى عالم غير مُتَعلّم هذا.

ويمكن ان يستدّل على المطلوب بدليل آخر وهو انّه تعالى لو كان مُتعلّماً لزم احتياجه الى المُعلّم والأحتياج مساوق للأمكانيّته الّتى تنافى الواجبيّة والواجب بالذّات واجبٌ من جميع الجهات فهو غير مُتعلّم وهو المطلوب.

اقول: والّذى ظَهَر لى فى المقام تَبَعاً للمحقّقين من الفلاسفةً هو انّ العلم ليس من مَقُولةٍ اصلاً لامن مقولة الكيف ولا من مقولة الأضافة ولا من غيرها من المقولات بل هو من لوازم الوجود وآثاره المختّصة به وان شئت قلت انّه من مَقوُلة الوجود فكما انّ الوجود ليس داخلا تحت مقولةٍ من المقولات العشر بأعتبار ذاتها بل يدخل تحتها بالعَرض فكذالك العلم ليس داخلا فيها بالذّات بل دخوله فيها انّما هو بالعَرض. لانقول انّه تابع للمعلوم كما ذهب اليه بعض المحقّقين لِلزومه كَونه اعتبارياً محضاً كما اثبتناه فى محلّه بل نقول هو يدوُر مَدار الوجود فَكما انّ الوجود ظاهر بذاته مُظهرٌ لغيره فكذالك العلم، وكما انّ الوجود يختلف فى الموجودات شدّةً وضعفاً ونقصاً وكمالاً فكذالك العِلم وتفصيل الكلام فيه خارج عن طور الكتاب ومحصّل الكلام انّه يَتبع الوجود فى الكمال والنّقص وسائر مراتب التّشكيك فكلّما كان الموجود اَشدّ وجوداً فهو اَشدّ علماً وكلّما كان انقص وجوداً فهو انقَصَ علماً وعليه فنقول الموجود امّا واجبٌ او ممكنٌ.

امّا الواجب فهو الّذى كان وجوده فى نهاية الشّدة مُنزّهاً عن النّقائص والأعدام بحيث لايتّصور وجود فوق وجوده فعلى ما ذكرناه من كون العلم تابعا للوجود ودائراً مداره يكون العلم فيه ايضا غير متناهٍ فى الشّدة بحيث لايتصوّر علمٌ فَوق علمه كما هو كذالك، ثمّ بعده الصّادر الاوّل وهكذا فى

القَوس النّزولى الى ان تصل النّوبة الى اَضعف الموجودات اعنى هيولى العالم العناصر الّتى هى بالعَدم اَشبه منها بالوجود وفى القوس الصُعودى بالعكس.

وحيث ثبت فى العلوم العقليّة والشّرعية انّ الوجودات الأمكانيّة من رَشَحات فيض وجوُده بل لاوجود لها مع قطع النّظر عن وجوده فلامحالة لاعلم لها مع قطع النّظر عن عِلمه فهو العالم حقيقةً واصالتاً وغيره عالم على سبيل التَّبَعية والمجازيّة كما انّه هو الموجود واقعاً وما سواه موجود بوجوده فاطلاق العلم عليه تعالى على طور الحقيقة وعلى غيره على طَور المجاز وهو غير محتاج وما سواه محتاج اليه وهو غير مَحدودٍ فى وجوده وعلمه وسائر صفاته وغيره محدودٌ فيها.

والى ما ذكرناه اى عَينيّة الصّفات للذّات الواجبيّة اشار بعض الفلاسفة حيث قال هو الوجود كلّه وهو العلم كلّه وهو الأرادة والسّمع والبَصر والتّكلُم كلّها لانّه شيءٌ ثَبتَ له العلم والقُدرة والأرادة فكما انّ ذاته تعالى عين وجوده لاشيءٌ ثَبَت له الوجود فكذالك هو عِلمٌ لانّه شيءٌ ثَبَت له العلم فانّ العروض يَقتضى المَعلوُلّية وهى تقتضى المَحدوديّة ولا نعنى بكون الشئ مُتعلّماً الّا كونه مَحدوداً فى علمه بحدٍّ معيّنٍ.

واما النقل : فيكفيك فيه الآيات الواردة فى الباب فمنها ماوردت فى كونه تعالى عالماً بكلِّ شيءٍ وهى كثيرة.قوله تعالى:**﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُها اِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾**[1]

و : **﴿اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ونَجْواهُمْ وَاَنَّ اللهَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ﴾**[2]

و : **﴿قُلْ لايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وِالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلاَّ اللهُ﴾**[3]

و : **﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الْاَعْيُنِ وَما تُخْفِى الصُّدُورُ﴾**[4]

و : **﴿اِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَاللهُ بَصيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾**[5]

١- الانعام- ٥٩
٢- التوبة- ٧٨
٣- النمل- ٦٥
٤- الغافر- ١٩
٥- الحجرات- ١٨

و : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]

و : ﴿وَاعْلَمُوا اِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي اَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[2]

و : ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ﴾[3]

و : ﴿اَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ﴾[4]

و : ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَه مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5]

و : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[6]

و : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ اَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[7]

و : ﴿وَاِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ والآيات كثيرة.

وممّا ورد في كون غيره تعالى لايعلم الّا قليلاً وانّه اَخَذ ما اَخَذه على سَبيل التَّعلُّم من غيره.

قال اللّه تعالى : ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا اَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ﴾[8]

و : ﴿قُلْ لا اَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ وَلا اَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[9]

و : ﴿وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[10]

و : ﴿ما كُنْتَ تَعْلَمُها اَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذا﴾[11]

و : ﴿وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا اَنْتُمْ وَلا اٰبائُكُمْ﴾[12]

و : ﴿اَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ﴾[13]

و : ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[14]

و : ﴿وَاللهُ اَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ اُمَّهاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[15]

١- البقرة- ٢٣١
٢- البقرة- ٢٣٥
٣- الانبياء- ٨١
٤- العنكبوت- ١٠
٥- البقرة- ٢٤٧
٦- البقرة- ٢٨٢
٧- آل عمران- ٧٦
٨- المائده- ١١٦
٩- الانعام- ٥٠
١٠- الاعراف- ١٨٨
١١- هود- ٤٩
١٢- الانعام- ٩١
١٣- البقرة- ٨٠
١٤- البقرة- ١٥١
١٥- النحل- ٧٨

و : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[1]

و : ﴿عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]

و : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَعِلْمَ لَنَا اِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾[3]

و : ﴿وَاَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[4]

و : ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[5]

و : ﴿اتَيْنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[6]

و : ﴿قُلْ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَاللهِ وَاِنَّمَا اَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[7]

و : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ اَمَنُوا وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[8]

و : ﴿ذَالِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[9]

و : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّي وَمَا اُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلاّ قَلِيلاً﴾[10] هذا كلّه اذا كان قوله ﷺ: **مُتعلِّماً** بكسر اللّام بصيغة اسم الفاعل واما اذا قلنا فيه بفتح اللّام على صيغة المفعوُل فهو ايضاً كذالك اذ لافرق بين ان يكون غيره مُتعلَماً او مُتَعَلَّماً من جهة محدوديّة علمِه واحتياجه الى غيره، فعلى الاوّل غيره يكون مُتعَلَّماً منه تعالى وعلى الثّانى يكون غيره مُتَعلِّماً بالنّسبة الى من كان مُتعلِّماً فيه وعلى ايّ التّقديرين يستفاد من قوله ﷺ هذا امران:

احدهما: انّ علوم غير الواجب مأخوذةٌ منه.

وثانيهما: انّ العلوم فى غيره كَسبىٌ تحصيليٌّ من غيره كائناً من كان سواء كان المُعلِّم هو الله تعالى كما فى علوم الأنبياء والأوصياء او كان من البَشَر كما فى سائر العلوم الكَسبيّة بالنّسبة الى الافراد الّا انّ حقّ العبارة هوانّ المُتعلِّم بكسر اللّام كما لايخفى.

▫ **قوله ﷺ: وكُلُّ قادِرٍ غَيرُهُ يَقدِرُ وَيَعْجِزُ، ...**

١- طه- ١١٠
٢- العلق- ٥
٣- البقرة- ٣٢
٤- النساء- ١١٣
٥- البقرة- ٢٣٩
٦- الكهف- ٦٥
٧- الملک- ٢٦
٨- المجادلة- ١١
٩- النجم- ٣٠
١٠- الاسراء- ٨٥

وهذا هو الحكم السّابع وهو انّ كلّ قادرٍ غير الله تبارك وتعالى يقدر تارةً ويعجز اخرى بمعنى انّ القُدرة والعَجزَ بالنّسبة اليه سيّان فهو من هذه الجهة فى حدّ الأستواء كما انّه فى جميع صفاته كذالك.

والسّر فيه هوانّ ما سواه مُمكن والمُمكِن نسبته الى الوجود والعدم فى ذاته على السّواء وإلّا لايكون ممكناً وذالك لانّه لو كان بشرط الوجود بمعنى انّه لايجوُز عليه العَدم يَصير واجباً ولو كان بشرط العدم بمعنى عدم جواز الوجود عليه يَصيرُ ممتنعاً وكلاهما يوجبان انقلاب الشّىء عمّا هو عليه وهو محال **وبعبارة اخرى**: يلزم ان يكون المُمكن امّا واجباً او ممتنعاً وقد فرضناه ممكناً، هف.

وان شئت قلت الموجود على قسمين: واجبٌ وممكن وذالك لانّ الموجود لايخلوا امّا ان يكون جائز العدم فهو الممكن وانّما يكون جائز العدم لانّ نسبة ذاته الى الوجود والعدم سيّان، وامّا ان لايجوز عليه العدم فهو الواجب فانّ حَيثيّة ذاته تطرد العدم وامّا المُمتنع فهو ممّا لايجوز عليه الوجود اصلا.

فظهر ممّا ذكرناه انّ الممكن فى حدّ ذاته لايقتضى شيئاً فهو فى حدّ ذاته لااقتضاءٌ صِرف فلولا هناك عِلّةٌ مُخرجة ايّاه عن حدّ الاستواء لَلَبِثَ فيه الى الأبد ولذالك قيل فى تعريفه، الممكن من شأنه ان يكون ليساً ومن علّته ان يكون اَيساً وليس المراد بقولهم ان يكون ليساً اى عَدماً لانّه لو كان كذالك لكان ممتنعاً بل اللّيس هنا بمعنى اللّا اقتضاء اى ليس يقتضى الوجود والعدم فالعلّة هى الّتى مُخرجة ايّاه عن الأستواء هذا فى ذات الممكن ممّا لاكلام فيه.

وامّا فى صفاته من العلم والقدرة والأرادة والسّمع والبَصر وغيرها فهو ايضا كذالك وان كان البحث فى العلوم العقليّة يدور على ذاته دون صفاته الّا انّه لايدلّ على جريان القاعدة فى ذاته فحسب وذالك لانّ تركهم البحث فى صفاته امّا لوضوحها فانّ الممكن اذا كان فى حدّ ذاته كذالك فهو فى صفاته

ايضا كذالك بطريق اولى، اَولانّهم لم يَعتَنوُا بها لانّها لايَليق بالبحث عنها مُستقّلاً ولا يبعدان يكون فى المقام شقّاً ثالثاً وهو الغفلة عنها وعلى ايّ التّقادير فنقول كما انّ الواجبَ الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات بمعنى كونه تعالى كما انّه واجب الوجود ذاتا فكذالك واجب العلم وواجب القُدرة وواجب الارادة وهَلُمّ جَرّاً.

فكذالك ممكن الوجود بالذّات ممكن الوجود بالصّفات ايضاً فكما انّ المَهيّة الامكانيّة فى حدّ ذاتها لاموجودة ولا معدوُمة وتحتاج فى الاتّصاف باحدهما والخروج عن حدّ الاستواء الى العِلّة المُخرجة ايّاه عند كذالك فى صفاتها ايضاً فهى لاعالمة ولا غير عالمة ولا قادرة ولا غير قادرة وهكذا بمعنى انّها لاتقتضى فى حَدّ نفسها شيئاً منها كما هو مقتضى الامكان.

وحيث انّ ما سوى الله تعالى لايكون الّا ممكناً لانحصار الموجودات فى الواجب والممكن وحيث انّه لاواجب الّا الله تعالى وحده لاشريك له فلا محالة يدخل ما سواه فى زُمرة الممكنات فكما انّ الممكنات يمكن ان توجد ويمكن ان لاتوجبد فكذالك فى صفاتها فالممكن تارةً يقدر وتارةً لايقدر وتارةً لايَعلَم وتارةً يَسمَع وتارةً لايَسمع وهكذا.

والسّر فيه هوانّ الممكن اذاكان عالماً او قادراً دائماً بمعنى عدم جواز كونه غير عالم او غير قادرٍ فهو لامحالة يكون واجب العلم وواجب القدرة اذ لانعنى بالوجوبّ الّا هذا وعليه فيلزم كون الممكن متّصفاً بالصّفات الوجوبيّة والصّفة تابعة للموصوف فى جميع شئونها وكيف يعقل كون الموجود فى حدّ ذاته ممكناً وفى صفاته واجباً وهل هذا الّا تهافُت، فظهر انّه فى صفاته ايضاً ممكن اعنى يجوز اتّصافه بها وعدم اتّصافه بها وهذا معنى قوله ﷺ: **وكُلُّ قادِرٍ غَيرُهُ يَقدِرُ وَيَعْجِزُ**.

ثمّ انّ مفهوم كلامه هو اثبات القُدرة له تعالى من غير عجزٍ فيه وقد ثبت هذا المدّعى ممّا ذكرناه فانّ معنى كونه واجب القُدرة مثلاً هو عدم جواز سَلبها عنه

وعدم جواز السَّلب يقتضى الثّبوت وهو المطلوب.

دليل آخر: لاشكّ انّه تعالى قادرٌ كما ثبت فى التّوحيد فهذه القُدرة لاتخلوا امّا ان تكون مُمكنة الزّوال عنه او لاتكون فعلى الاوّل يلزم كون الواجب متّصفاً بالصّفة الأمكانيّة وقد قلنا انّ الواجب بالذّات واجب من جميع الجهات

وعلى الثّانى ـ فالمطلوب ثابت فَثَبت انّه تعالى لايتّصف بالعجز الّذى هو عدم القُدرة، وهو المطلوب.

دليل آخر: العَجز هو عدم القُدرة واتّصاف الواجب به يوجِب اتّصافه بالأمر العَدمى وقد ثبت انّ الواجب الوجود حيثيّتة وجوده ووجوبه تَطرُّد الأعدام عن مرحلة الذّات والصّفات فهو لايتّصف بالعَجز وهو المطلوب.

دليل آخر: العَجز نقصٌ فى حدّ ذاته فلو فرضنا كون الواجب متّصفاً به يلزم عليه النّقص والنّقص من شئون الأمكان فيلزم ان يكون الواجب ممكناً فانّ المتّصف بالصّفة الأمكانيّة ممكن، هف. فثبت انّه تعالى قادر ولا يَعجز ابداً وهو المطلوب.

وامّا الدّليل النّقلى على المدّعى: من الآيات الواردة فى الباب فكثيرةٌ نشير الى جملةٍ منها.و قال الله تعالى : **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَاَبْصَارِهِمْ اِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[1]

و : **﴿اَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتَ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً اِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2]

و : **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[3]

و : **﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ اِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيىء قَدِيرٌ﴾**[4]

و : **﴿بَلَى اِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[5]

و : **﴿وَهُوَ عَلىٰ جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾**[6]

١- البقرة- ٢٠
٢- البقرة- ١٤٨
٣- آل عمران - ٢٦
٤- النور- ٤٥
٥- الاحقاف- ٣٤
٦- الشورى- ٢٩

و : ﴿يُحيِي وَيُميتُ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[1] والآيات فى عموم القدرة كثيرة جدّاً.

تقريب الاستدلال بهذه الآيات واضح فانّك ترى كلمة الكلّ المضافة الى الشّيىء فيها وكلاهما موضوعان للعموم وهذا ممّا لاخفاء فيه لتصريح الآيات به مع كونها مويّدة بالدّليل العقل الّذى مرّ ذكره اجمالاً وتفصيل الكلام فيها موكول الى محلّه بقى فى المقام شيىء ينبغى التّنبيه عليه وهو انّ القُدرة فيه تعالى ما هى فقد عَرّفها بعضهم بصحّة الفِعل والتّرك.

وأورد عليه بانّ الصّحة الّتى اخذت فى تعريفها هى الأمكان وَواجب الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات فلا يصحّ تعريف القدرة فى حقّه تعالى الّتى هى عين ذاته بالصّحة الّتى هى الامكان للزومه تعريف الواجب بالممكن وهو محال.

ولذا اَعرضوا عن هذا التّعريف فقالت الفلاسفة القُدرة كون الفاعل بحيث ان شاء فَعَل وان لم يَشَاء لم يَفعل وعليه فالله تعالى مُوجِبٌ بكسر الجيم اى فاعلٌ يَجب فعله بقدرته واختياره وهذا على مذهب الحكماء فانّهم ذَهبوُا الى انّ الشّىء ما لم يَجب لَم يوُجد، وليس الواجب تعالى مُوجَباً فى فعله بفتح الجيم، اى فاعلا يجب فعله لابقدرته واختياره كاالمُضطَرّ فما نسب اليهم من القول بكونه تعالى هو الفاعل بالأيجاب او الفاعل المُوجَب معناه هذا اى الموجب بكسر الجيم لابفتحها كيف وهو تعالى عندهم عين العلم والأرادة والاختيار فكيف يَعتقدون انّ فاعليّته كفاعليّة الشّمس لِلأشراق او النّار لِلأحراق هذا.

▫ قوله عليه السلام: **وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيرُهُ يَصَمُّ عَن لَطِيفِ الأَصواتِ ويُصِمُّهُ كَبِيرُها وَيَذهَبُ عَنه ما بَعدُ مِنهَا، ...**

وهذا هو الحكم الثّامن من الاحكام المذكورة فى هذه الخطبة، وحاصله انّ

١- الحديد- ٢

كلّ سميعٍ من الموجودات غيره تعالى يَسمَع الأصوات لامطلقا بل يشترط فيه امور:

احدها: ان لايكون الصَّوت لطيفاً خفيّاً.

والثّانى: ان لايكون الصَّوت عنه بعيداً غاية البُعد.

الثّالث: ان يكون الصّوت كبيراً فهذا هو منطوق العبارة ومفهومها انّ الله تعالى يَسمَع الّا انّ كَونه سميعاً لايشترط بهذا الأمور وتوضيح الكلام يستدعى التّكلم فى حقيقة السَّمع بالنّسبة الى غيره وبالنّسبة اليه تعالى حتّى يتّضح المقال فنقول:

السَّمع فينا على ما عَرَّفه ارباب التّحقيق والتّشريح هو قُوّةٌ مُوَدَعةٌ فى العَصَب المَفروُش على سَطح باطن الصِّماخ تُدرك الأصوات بسبب تَموَّجُ الهواء الحاصل بالقَرع والقَلع العَنيفَين كذا قال السّبزوارى فى المنظومة.

وقال صدر المتألّهين فى الاسفار هو عبارة عن ادراك الصَّوت ثمّ قال فى كيفيّته حصول السّمع اَبحاث.

الاوّل ـ انّهم قالوا انّ السّماع لايحصل الّا عند تَأَدّى الهواء المُنضَغط بين القارع والمَقروع الى تَجويف الصّماغ عند العَصَبة المَفروشَة فيه قالوُا وهذا التأدّى ظاهر وقد دلّ عليه امور.

احدها: انّ ذالك التَّجويف اذا سَدّا وَاَنسَدّ بَطَل السَّمع.

وثانيها: انّه اذاكان بين الصّائت والسّامع جسمٌ كثيف تَعذَّر السّماع او تَعَسّر.

وثالثها: انّ من رأى انساناً يَقرَع بمطرقةٍ على سندانٍ او بمقرعةٍ على نقّارةٍ فان كان قريباً منه يَسمع الصّوت مع مشاهدة الطَّرق والقَرع وكلّما بعد منه حصل سَمعه بعد زمانٍ يضاهى طوله بعد المسافة.

ورابعها: انّ من وَضَع فَمه على اَبنوبةٍ ووَضَع الطّرف الآخر من تلك الأبنوبة على اُذُن انسانٍ آخر وتَكلَّم فيه فانّ ذالك الانسان يَسمَع ذالك الكلام دون سائر الحاضرين وذالك لِتَأدَّى الهواء الى اُذُنه وامتناع ان يتأدَّى الى اُذن غيره،

وخامسها: انّ عند اشتداد هُبُوب الرّياح ربّما لايَسمع القريب ويَسمَع البَعيد وذالك لأنحراف تلك الأهوية الحاملة لتلك الأصوات بسبب شِدّة هُبوُب الرّياح من سَمعٍ الى سَمعٍ آخر انتهى.

اقول: فهذه هى الوجوه الّتى اقاموها على اثبات السَّمع وكيفيّته وصاحب الاسفار بعد نقله الوجوه الخمسة اورد اشكالا عليهم واطال الكلام فى فى المقام باالنّقض والأبرام بما لافائدة لنا فى ذكره فانّا لسنا بصدد تحقيق الموضوع لخروجه عن طور البحث والكتاب.

وامّا عِلّة حدوث الصَّوت فقال صاحب الاسفار فيها إنّ علّة القريبة تَموَّجُ الهَواء وسَبب التَّمَوج امساسٌ عَنيفٌ او تفريقٌ عنيفٌ كقَرع النَقارة وقَلع الكرباس فيحصل من كلا الأمرين تمَوّجٌ من جَهة انقلاب الهَواء من القارع او انبساطه من القالع الى الجانبين بعَنفٍ شديدٍ فيلزم المُتباعد من الهَواء ان ينقاد لِلشّكل والمَوج الواقعين فى المُتقارب وهكذا يحدث انصدامٌ بعد انصدامٍ مع سكونٍ قبل سكونٍ الى ان يَنتهى ذالك الهواء الّذى عندِ الصّماخ وليس الصّوت نفس التَّمَوج كما ظَنَّه بعض النّاس ولا نفس القَلع والقَرع كما زعمه آخرون فانّ التَّمَوُج مَحسوسٌ باللّمس لانّ الشّديد فيه ربّما ضرب عن الصّماخ فَسَدَّه والقَلع والقَرع مَحسوُسان بالبَصر بتوسّط اللّون ولا شيىء من الأصوات يحسّ باللّمس او البَصر فليسَ التَّمَوُج بصوت ولا القَلع والقَرع وايضا الشّيىء قد يعلم منه انّه تَّمَوُجٌ او قَلعٌ او قَرعٌ ويجهل كونه صوتاً وقد يعلم الصّوت عند ما يكون الامور الثّلاثة مجهولة فهى غير الصّوت انتهى.

ثمّ انّهم ذَهبوُا الى انّ وجود الهَواء بين السّامع وذى الصّوت شرط لتحقّق الاتّصال بينهما مع عدم حاجزٍ كثيفٍ لالأجل ان يحمِل الهواء كيفيّة الصّوت ويتأدّى بها الى السَّمع فانّ القدماء اكتفو فى سماع الفَلَكيّات تماسّ الأفلاك بعضها بعضا كما نسب الى اساطين الحكمة كافلاطون ومَن قَبله انّهم يُثبتون لِلأفلاك اَصواتاً عجيبةً ونَغَمات غريبة يَتَحيّر من سماعها العقل وتَتَعجّب منها

النّفس وحُكى عن فيثاغورث انّه عَرج بنَفسه الى العالم العِلوى فَسَمع بصفاء جَوهر نَفسه وذكاء قلبه نَغمات الأفلاك وأَصوات حركات الكواكب على الموسيقى، كذا قال فى الأسفار ثمّ استدلّ على اشتمال الأفلاك والكواكب على الطُّعوم والرَّوائح والأصوات وجميع ما تدركه الحَواسّ بالادّلة العقليّة بما لامزيد عليه ومن شاء الاطّلاع عليها فليراجع اليها.

اقول: هذا الّذى ذكره (قدّه) من كون الأفلاك مشتمل على الأدراكات الحِسّية والعقليّة انّما هو على مذهبهم من كونها اجساماً لها ارواح فَلَكيّة والنّفوس كذالك وامّا على مسلك المتأخّرين من علماء الهَيئة فالأمر على خلاف ما ذكروه فانّ الافلاك على التّحقيق المُؤيّد بالحسّ لاجسم لها فلا شعور لها ولا روح لها بل الفَلَك عبارة عن مدار الحَرَكة فكلّ كوكبٍ له فَلَك وهو ليس الّا مدار حركته وعليه فالأفلاك ليست الّا موجودات فَرضيّة وهَميّة وما شأنه كذالك لايمكن له اثبات ما اَثبتوه قل كلٌّ يَعمَل على شاكلته ولِلتّحقيق فيه مقام آخر. وعلى اَى التّقادير لاشكّ فى كون الأنسان سميعاً سواء كانت الافلاك وغيرها من العلويّات مُتّصفة به ام لم تكن وانّما الكلام فى انّ السّمع فى الأنسان ما معناه وحيث انّك علمت معنى السّمع وكيفيّته تحقّقه فينا فاعلم انّ للسَّمع شروطاً لابدّ منها فى تحقّقه فى الخارج.

احدها: ان لايكون الصّوت بعيداً عن آلة السَّمع اعنى الأذُن بُعداً مُفرطاً لانّ البُعد المُفرط يَمنع عن الأستماع.

وثانيها: ان لايكون الصّوت خَفيّاً كذالك لانّ الخفاء المُفرط، ايضا مانع منه.

وثالثها: ان يكون بين السّامع والمَسموُع رَبطٌ وسِنخيّةٌ والّا فلايمكن الأستماع ولاجل هذا لايمكن استماع اصوات الأجنّة والملائكة مثلاً لعدم السِّنخيّة بين الجسم الكثيف والجسم اللّطيف.

ورابعها: عدم الحائل بين الصّوت والسَّمع فلو كان هناك حائل مانع عن النّفوذ لايَتحقّق الأستماع.

وقال (فريد وجدى) فى دائرة المعارف فى كَيفيّة السّمع ما هذا لفظه لايخفى انّ المتكلّم بكلامه يحدث ارتجاجاً فى الهواء على توقيع خاصّ متّصل تلك الأرتجاجات الهوئيّة الى حيوان الأذن وفيه تدخل الّى القناة السَّمعيّة الظّاهرة ومنها الى غشاء الطّبلَة الّذى هو اسفل تلك القناة فترجه فَيَرتّج فَتَتنبّه العظيمات السَّمعية الّتى ذكرناها فتحدث فى تلك الغشاء تواتر او رخاوة بواسطة عضلاتها على حسب شدّة الصَّوت وضعفه فانّه مؤثّر حدث عليها من الخارج وفى الوقت نفسه تحدث الأرتجاجات عينها فى الهَواء الموجود فى صندوق الطَّبلة فينتقل منها الى الأذن الباطنة بواسطة الفتحتين اللّتَين ذكرناهما وهناك تتأثر الأعصاب السَّمعيّة وينقل الصّوت الى المُخّ فتدركه الرُّوح وتَفهمه وهذه الحاسّة توجد عند سائر الحيوانات على اشكال متعدّدة وقد شُوهد انّ الحَشَرات تَسمع ولكن لايَعلَم كيف تَسمع وشوُهِد عند الحيوانات الرَّخوة عضو السّمع على شكلٍ مَحفَظةٍ لِيفيّةٍ مَملوّةٍ بسائلٍ سابح فيها جسميّات صُلبَة ويوُجد على سطحها عَصَب آتٍ من العقد المُجاورة انتهى.

هذا كلّه فى كَيفيّة سمع الأنسان ظاهر.

وامّا السّمع ـ فيه تعالى فليس كذالك لكونه عزّ وجلّ منزّهاً عن الجسميّة والآت الجسم من الأذُن والبَصَر وامثالهما فمعنى كونه سميعاً هو كونه عالَماً بالمَسموُعات كما انّ معنى كونه بصيراً ايضاً كونه عالماً بالمُبصَرات وحقّ الكلام فيه يستدعى التّكلم فى امور:

احدها: فى اثبات كونه تعالى سميعاً بالدّليل العقلى.

وثانيهما: اثباته بالنّقل.

وثالثها: البحث فى كَيفيّة السَّمع فيه تعالى. امّا البحث فى الامر الاوّل ـ فقد مرّ انّه تعالى حيٌّ لانّه صِرف النّور ومَحض الوجود وكلّ حيّ، فانّه عالمٌ قادرٌ وكلّ عالم فهو سَميعٌ بصيرٌ فهو تعالى سميعٌ بصيرٌ وهو المطلوب.

امّا كونه حيّا فقد مرّ الكلام فيه لانّ معطى الوجود اَولى بالوجود والّا يكون

مُعطى الشّيء فاقداً له وهو محال.

وامّا كونه عالماً قادراً فقد ثَبَت ايضا وقلنا انّ الحَىّ هو الدَّراك الفَعّال والدّراك هو العالم والفَعّال هو القادر.

وامّا كونه عالماً يلزم منه كونه سميعاً بصيراً لانّ علمه امّا ان يتعلّق بالمَسموُعات او يتعلّق بالمُبصرات وإمّا بالمعقولات فان كان علمه متعلّقاً بالمَسموُعات يُسمّى سميعاً وان كان بالمُبصَرات يُسمّى بصيراً وان كان بالمعقولات يُسمّى عاقلاً. وبعبارةٍ اخرى الواجب تعالى يُسمّى عالماً لانّ الأشياء حاضرة لَدَيه وعلمه بها يكون حُضوُريّاً فهو تَعالى سميع من حيث انّه عالم بالمَسموُعات وبصيرٌ من حيث كونه عالماً بالمَبصَرات ولذالك قيل سَمعُه بَصرُه وبَصره سَمعُه وهما ذاته. وقال السُّهروَردى علمه تعالى يرجع الى بَصره لانّ بَصرَه يَرجع الى علمه اذا علمت كونه سَميعاً بصيراً فتتكلّم فى كيفيّتهما فيه تعالى إعلم انّهم اَختَلفوا فى كَيفيّة السَّمع والبَصر فيه تعالى وانّه ما معناهما فيه بعد اتّفاقهم على كونه متّصفاً بهما وانّه ليس اتصافه بها كاتّصاف غيره بها.

فمنهم ـ من ذهب الى اندراجهما تحت مطلق العلم ورجوعهما الى العلم بالمَسموُعات والمُبصرات كما اشرنا اليه.

ومنهم ـ من ذهب الى كونهما صفتين زائدتين على مُطلَق العلم.

فبعض المتكلّمين كاشياخنا الأماميّة ومنهم المُحقّق الطّوسى (ره) وفاقا لجُمهور الفلاسفة النّافين بعِلمِه بالجِزئيّات وبما سوى ذاته من الهُويّات على الوَجه المَخصوُص الوجوُدى الشُّهودى ارجَعوهما الى مُطلَق العلم فأوّلوا السّمع الى نفس العِلم بالمَسموُعات والبَصَر الى نفس العلم بالمُبصَرات وتبعهم على ذالك الشّيخ الأشعرى ومن تابَعه.

وبعض آخر منهم جعلهما إدراكَين حِسيّين إمّا بناءً على اعتقاد الجسم او مباشرة الأجسام فى حقّه تعالى الله عنه، او اعتقاد انّ الأحساس فى حقّه تعالى

الله عنه، او اعتقاد انّ الأحساس فی حقّه لبرائته عن القُصور والأفتقار الی الآلة یحصل بغیر آلةٍ وان لم یحصل فینا لقصورها الّا الآلة وهذا کلام مُجمَل فان صدر عن عالم راسخٍ یحتمل وجها صحیحاً الّا انّ کثیراً من اهل الکلام لم یَتَفَطّنوا انّ الأحساس بعینه نفس القُصوُر فی المُدرِك والمُدرَك جمیعاً.

وحاصل الکلام انّ السَّمع والبَصر له تعالی امّا نفس الأحساس بالمعنی الّذی عَرفّه النّاس او مُطلق العلم بالمَسموُعات والمُبصَرات کذا قال فی الاسفار ثمّ قال:

والتحقیق انّ السَّمع والبَصر مفهوما هما غیر مفهوم العلم وانّهما علمان مَخصوصان زائدان علی مطلق العلم وهما ایضا اذا حصل مفهوما هما ممّا یصّح عند العقل عُروضه لِمُطلَق المَوجود بما هو موجود بحیث لایستلزمان تَجَسّماً ولا تَغَیّراً ولا انفعالاً فی معروضهما فلابدّ من اثباتهما له فانّك بعد ما علمت انّ مناط الجُزئّیة والشَّخصیة لیس مجرّد الاحساس حتّی لایَتَشخّص شییء الّا عند الحِسّ، بل مناطهما هو نحو الوجود الخاص وانّ الوجود والتَّشخُّصّ شیيءٌ واحد بالحَقیقه متغایرٌ بالمفهوم وانّك قد علمت انّ الحقّ یَعلم الهُویّات الخارجیّة بشخصیّاتها علی وجه یکون وجودها فی نفسها هو حضورها عندها ومَعلوُمیّتها له وهذا الشُّهوُد الأشراقی المُتَعلّق بالمَسموُعات والمُبصَرات زائدٌ علی مطلق العلم بهما ولو علی وجهٍ کلّیٍ کما فی العلم الأرتسامی الکُلّی فَشُهود المَسموُعات سَمعٌ وشُهود المُبصَرات بَصرٌ فقد علمت ممّا ذکرناه انّ سَمعَه وبصره لیسا بحیث یرجعان الی مطلق العلم بل لو قال قائل عکس ذالك منهما لکان أولی وأقرَب الی الحقّ کما قال صاحب الاشراق انّ علمه راجع الی بَصره لاانّ بَصره یرجع الی علمه انتهی ما ذکره فی المقام.

وقال السّبزواری فی حاشیته علی الاسفار فی هذا الموضع ما هذا الفظه بل الشُّهود الأشراقی المُتَعلّق بکلّ الموجودات سَمعٌ وبَصرٌ کما هو مفاد کلام

الشّيخ الاشراقى انّ علمَه يَرجَع الى بَصره بل مفاد كلام نفسه فى مفاتيح الغيب.

ان قلت ـ البَصر تتعلّق بالأضواء والألوان والسَّمع بالأصوات، والكلمات فالتَّخصيص الّذى يُترآئى من كلامه هنا وفى مبحث الأرادة فى دفع شُبَّهة قد استَوثقها واَحتجَّ بها على بعضٍ ثمّ احتَجَّ بها بعض مشائخنا الأماميّة على انّ الارادة زائده على ذاته فى موقِعه.

قلت ـ نِعَم البَصَر يستدعى الضَّوء واللَّون فى المَبصَر والسَّمع يستَدعى كون المَسموُعات كلمات لكن السّنخية مُعتَبرة بين المُدرِك والمُدرَك فالضّوء الّذى يناسب بصره تعالى هو نور الوجود الّذى تَنوَّر به السّموات والأرض واللَّون الّذى يناسبه هو الوان الماهيّات والكلمة الّتى تناسب سمعه هى كلمة كن الوجوُدية المُنشَعبة الى الكلمات التّامات والنّاقصات انتهى ما ذكره فى الحاشية.

وانا اقول: اعتقادنا انّه تعالى سميعٌ بصيرٌ كما انّه عالمٌ قادرٌ الى غيرها من الصّفات ونعتقد ايضا انّها عين الذّات الواجبيّة كما ثَبَت فى محلّه وامّا انّه تعالى كَيفَ يَسمَع ويُبصر فهو خارجٌ عن قُدرتَنا ودَركنا ولا يجب علينا الفَحص عنه عقلاً فانّ كثيراً من الحقائق الّتى لايمكن انكارها عقلاً لايمكن لنا الأحاطة بحَقيقتها وماهيّتها والدّليل العقلى لايثبت لنا اكثر من كونه تعالى متّصفاً بهذه الصّفات الكماليّة لانّ واجب الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات فَعَدم هذه الكمالات له تعالى يوجب النّقص له وهو منزّه عنه مضافا الى انّه خَلق الخَلق وجعل منهم من يَسمَع ويُبصر ومُعطى الشّيىء لايكون فاقد اله فهو بالسَّمع والبَصر اولى.

وامّا كيفيّتها فيه فهى خارجة عن ادراكنا وعلمنا وبهذه الدّلائل الّتى اشرنا الى جملةٍ منها لايثبت ما نحن بصدده فانّها لاتفيد اكثر من الظّن سواء قلنا بمقالة الجُمهور ام قلنا بمقالة الأشراقى وعليه فانتظر لما سيتلى عليك من كلمات المَعصوُمين فى الادّلة النّقلية انشاء الله تعالى فنقول:

امّا الآيات: قوله تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(١)

و: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾(٢)

و: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾(٣)

و: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٤)

و: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾(٥)

و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٦)

و: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٧)

و: ﴿فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٨)

و: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(٩) وتقريب الاستدلال فيها ظاهر اذ مُعطى الشَّيء لايكون فاقداً له وامثالها من الآيات.

وامّا الاخبار الواردة فى المقام فكثيرة ونحن نشير الى جملةٍ منها:

منها ـ مارواه فى الكافى باسناده عن الكاظم عليه السلام ما الّذى لايجتزىء فى معرفة الخالق بدونه فَكَتب عليه السلام اليه لَم يَزَل عالماً وسامِعاً وبَصيراً وهو الفَعّال لِما يُريد، انتهى...

ومنها ـ مارواه فيه ايضا انّه سُئِل ابو جعفر عن الّذى لايَجتزىء بدون ذالك فى معرفة الخالق فقال عليه السلام لَيسَ كَمثله شىء لايَشبَهه شيءٌ ولَم يَزل عالماً سَمعياً بَصيراً، انتهى...

ومنها ـ مارواه فيه ايضا باسناده عن مُحمّد ابن مُسلم عن اَبى جَعفر عليه السلام انّه قال فى صِفة القَديم انّه واحدٌ صَمَدٌ اَحدِىُّ المَعنى لَيسَ بمعانى كثيرة

١- آل عمرات- ١٨١
٢- المجادلة- ١
٣- الزخرف- ٨٠
٤- المجادلة- ١
٥- مريم- ٤٢
٦- الشورى- ١١
٧- النساء- ٥٨
٨- النساء- ١٣٤
٩- الانسان- ٢

مُختَلفة، قال قُلت جُعلت فداك يَزعم قَومٌ من اهل العراق انّه يَسمَع بغَير الّذى يُبصر ويُبصر بغير الّذى يَسمَع، فقال عليه السلام كَذبوُا والحَدَوُا وشَبَّهوُا تعالى الله عن ذالك انّه سَميعٌ بَصيرٌ يَسمَع بما يُبصر ويُبصر بما يَسمَع قال قلت يَزعمُون انّه بَصير على ما يَعقلونه قال عليه السلام فقال تعالى :الله انّما يَعقل ما كان بصفة المَخلوُق وليس الله كذالك، انتهى...

ومنها ـ ماروَاه فيه ايضا باسناده عن هشام ابن الحكم قال فى حديث الزِّنديق الّذى سُئل ابا عبدالله انّه قال له اَتَقول انّه سميعٌ بَصيرٌ فقال ابو عبد الله هو سَميعٌ بَصيرٌ سَميعٌ بغير جارحةٍ وبَصيرٌ بغير آلةٍ بل يَسمَع بنَفسه ويُبصر بنَفسِه ولَيس قَولى انّه سَميعٌ بِنَفسه انّه شيىءٌ والنَّفس شيىءٌ آخر، ولكنّى اردت عبارةً عن نفسى اذ كُنت مَسئولاً وافهامك اذ كُنتَ سائلاً فأقوُل يَسمَع بكلّه لانَّ كُلّه لَهُ بَعضٌ لانّ الكُلّ لنا بعض ولكن اردتُ افهامك والتّعبير عمّا فى نفسى وليس مَرجعى فى ذالك كلّه الّا انّه السَّميع البَصير العالم الخَبير بلااختلاف الذّات ولاأختِلافُ المعنى، انتهى...

اقول: وانت ترى ما فى هذه الرّوايات وامثالها انّه عليه السلام اَثبَت له تعالى كونه سَميعاً وبَصيراً الّا انّ المُستفاد منها امران:

احدهما: كونهما مغايَرين للعلم وهو الّذى يستفاد من الحديث الاوّل فانّ قوله عليه السلام لم يَزَل عالماً وسامَعاً وبَصيراً، حيث انّه عليه السلام اتى بكلمة الواو العاطفة الظّاهرة فى المغايرة وذالك لانّ الواو وان كانت تفيد الجَمع بين المعطوف والمعطوف اليه ولكنّها تفيد المغايرة بينهما ايضا فاذا قلنا جائنى زيد قائماً وآكلاً ومتكلّماً مثلا معناه انّ هذه الصّفات موجودة فيه مجموعة له وامّا انّها متّحدة معاً معنى فليس كذالك والّا لافائده فى العطف وعليه فظاهر الحديث يدلّ على انّه تعالى عالمٌ وسامعٌ وبصيرٌ بمعنى انّه تعالى جامع لهذه الصّفات فكما انّه عالم كذالك سامع وكذالك بصير، فقول الفلاسفة انّ معنى كونه تعالى سميعاً بصيراً انّه عالم بالمَسموعات والمُبصرات لامعنى له بل هو مجرّد

حدس وظنٌّ واجتهاد فی مقابل النّص وهو کذالك اذ لقائل ان یقول ایّ دلیل من العقل والنّقل دلّ علی ما ذکروه من ارجاعهما الی العلم ومجرّد القول بانّه لو لم یکن کذالك فما معنی کونه سَمیعاً وبصیراً مع انّه لیس فیه تعالی آلة السَّمع والبصر، لایُجدی فی المقام ولا یُصحِّح ما استَنبطوُه ضرورة انّ عقولنا لاتحیط بصفاته ولا تُدرك حقیقتها کما انّها عاجزة عن إدراك ذاته تعالی کیف لا وهم یَقولوُن بانّ الصّفات هناك عین الذّات ومقتضی العَینیّة اتّحاد الحکم فاذا فرضنا کون ذاته تعالی مَجهُولة لنا وفرضنا انّ الصّفات عین الذّات، فلا محالة نقول بانّ صفاته ایضا مَجهوُلة لَنا من حیث الحقیقة واَلکُنه فلانفهم منها، الاّ مفاهیمها الّتی وضعت الالفاظ لها من حیث اللّغة وامّا کیفیّتها له تعالی فهی امر آخر فما ذکره المَعصوُم هو المُعتَمد لعدم جواز الخطاء علیه بخلاف غیره.

وثانیها: انّ الصّفات عین الذّات وهو یستفاد من جمیع الرّوایات الّتی ذکرناها والّتی لم نذکرها، فقوله علیه السلام یَسمَع بما یُبصر ویُبصر بما یَسمَع صریح فی المُدّعی وهو کذالك کما قال امیرالمؤمنین علیه السلام فی الخطبة وکمال الأخلاص له نفی الصّفات عنه وهو موافق لما علیه الجمهور من الفلاسفة من اتّحاد الصّفات الألهیّة وعَینیّتها فی وجود الذّات ولا خلاف لهم فی هذا الحکم کما هو ظاهر علی من مارَس کلماتهم.

قال ابو علی ابن سینا الاوّل تعالی لایَتکَثَّر لأجل تَکثُّر صفاته لانّ کلّ واحدٍ من صفاته اذا حقّق یکون الصّفة الأخری بالقیاس الیه فیکون قدرته حیاته وحیاته قدرته ویکونان واحدة فهو حیٌّ من حیث هو قادرٌ وقادر من حیث هو حیٌ وکذالك سائر صفاته من العلم والسَّمع والبَصر والأرادة وامثالها.

ثمّ انّ قوله علیه السلام فی الحدیث الثّالث انّما یعقل ما کان بصفة المخلوق فی جواب قول السّائل قال قلت انّهم یَزعموُن انّه بصیر علی ما یَعقلونه اَدَلّ دلیل علی ردّ من اَرجع السَّمع والبَصر فیه تعالی الی عِلمه کما لایخفی علی المتأمّل فیه.

والعَجَب من صدر المتألّهين حيث قال فی شرحه لهذا الحديث: انّه ردٌّ على من اَرجَع بَصره الى عِلمه بالمُبصرات على وجهٍ كلّيٍ وانّ علمه تعالى عندهم صُورٌ عقليّة حاصلة فی ذاته فاشار عليه السلام الى بطلانه بقوله انّما يعقل اى عقلاً زائداً على ذاته ما كان بصفة المخلوق ليس الله كذالك اى ليس ذاته بصفة المخلوق وليس ان يَعقل الأشياء عقلاً زائداً بل الحقّ انّ علمه بالأشياء يرجع الى بَصره لانّ بَصرَه يرجع الى عَلمه انتهى وانت ترى انّ كلّ ما ذكره وحَمَل كلامه عليه السلام عليه من قبيل حمل الكلام على ما لايرضى به صاحبه فانّ قوله عليه السلام ردّ على القولين جَميعاً وانّ بَصَره غير علمه لا هو يرجع الى علمه ولا علمه يرجع الى بصره اذا عرفت هذا فلنرجع الى شرح المتن ونقول:

فقوله عليه السلام: **وَكُلّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنِ لَّطِيفِ الْاَصْوٰاتِ**، اى كلّ سميع غيره تعالى من المخلوقات يضعف عن لطيف الأصوات وخفيّاتها فَعَبّر عليه السلام عن ضَعف السّامعة بالصَّم وعن الأصوات الخفيّة بلطيفها.

وقوله عليه السلام: **وَيَذْهَبُ عَنْهُ مٰابَعُدَ مِنْهٰا**، اشارة الى انّ السّامِعة فی غيره تعالى كما لايقدر على أستماع الأصوات الضَّعيفة الخفيّة كذالك لاتقدر على استماع الأصوات البعيدة الخارجة عن حَدّ الاعتدال وهو ايضا ظاهر.

وقوله عليه السلام: **وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهٰا**، اشارة الى انّ الصّوت لابدّ له من ان يكون غير خفّيٍ حتّى يسمع وهو الحَدّ الأوسط.

وحاصل الكلام هو انّ الاصوات الموجودة فی الخارج لها حالات ثلاث،

احدها: الصّوت الخفّی الخارج عن الأعتدال.

وثانيها: الصّوت البعيد الخارج عن الأعتدال.

وثالثها: ما يكون مُتوّسطاً بينهما، فالخفّی القريب والبَعيد لايُسمع والصَّوت البعيد ايضاً لايُسمع والمتوسّط بينهما يُسمع، فانّ خير الأمور اوسطها.

وامّا بالنّسبة اليه تعالى فليس الامر كذالك لانّ القَريب والبَعيد بالقياس اليه سيّان فالأشياء قَريبةٌ بالقياس اليه وفی عين قربها به بَعيدة عنه وبَعيدةٌ وفی

بعدها قريبةٌ منه كما انّه تعالى بالقياس الى الأشياء ايضا كذالك فسُبحان مَن لَه فى قُربه بَعُدَ وفى بُعدِه قَرُب والحمد لله ربّ العالمين.

▫ **قوله عليه السلام: وَكُلُّ بَصيرٍ غَيرُهُ يَعمىٰ عَنْ خَفِّي الأَلوانِ وَلَطِيفِ الأَجسامِ...**

بعد فراغه عليه السلام عن السَّمع شَرع فى البَصر وقال عليه السلام كلّ بصير من المخلوقات يَعجز عن رُؤية الألوان الخفيّة والأجسام اللّطيفة ومفهوم العبارة انّه تعالى ليس كذالك بل هو بَصيرٌ بكلّ شىء فالكلام يقع فى مقامين

احدهما: انّه تعالى بَصيرٌ بالأشياء عقلاً ونقلاً بكلّ شىء فالكلام يقع فى مقامين فانّ البَصر والسَّمع حكمهما واحد من هذ الجهة والآيات الّتى اوردناها فى السّمع كانت متضمّنة لِلبَصر ايضا والدّليل العقلى على السَمع هو الدّليل على البَصر والقول فى ارجاع السَّمع الى مُطلق العلم او عدمه يأتى فى البصر ايضا بلا تفاوت بينهما فلانطيل الكلام بذكر الآيات والأخبار والادّلة العقليّة الدّالة على وجود البصر فيه تعالى ثانياً حذراً من الاطناب المملّ فانّ كونه تعالى بصيراً من الواضحات البيّنات بالآيات والرّوايات.

وثانيهما: البحث فى كون البصر فى غيره تعالى ما هو فنقول:

قد مرّ منّا البحث فى كيفيّة الأبصار وحقيقة البَصَر وماهيّته وذكرنا الأقوال الواردة فيه مفصّلاً فى سالف القول وقلنا انّ حقيقة الأبصار امّا ان تَتَحقّق بأنطباع شَبَح المَرئّى فى العُضو الجَليدى وانفعاله عنه كما قاله الطَّبيعيّون او بخروج الشّعاع على هيئةٍ مخروط بين العَين والمَرئّى سواء كان الشّعاع جسماً موجوداً فى الخارج او شيئاً آخر كما قاله الرّياضيون.

او من جهة انّ لِلنّفس بواسطة البدن ووضعه بالقياس الى الصّورة المادية يَقع عِلمٌ حُضوريّ لتلك الصّورة الماديّة وقد فصّلنا الكلام فى هذه الاقوال بما لامزيد عليه ونزيدك فى المقام ونقول:

اعلم: انّ البَصر على ما قيل عند التّقاطع الصّليبى قد ظَهَر فانّهم قالوا فى الباصرة، هى قُوّةٌ مودَعَةٌ فى ملتَقى العَصَبتين المُجوَّفتين اللّتين تَنبُتان من غُور

البَطنَين المُقدّمَين من الدّماغ يَتيامن النّابت منهما يَساراً وبالعكس حتّى يلتَقيا على تقاطعٍ صَليبيٍّ ثمّ يَمتَد النّابت يَميناً الى الحَدَقة اليُمنى والنّابت يساراً الى اليُسرى تدرك الأضواء والألوان اوّلاً وبالذّات وسائر المَبصَرات ثانياً وبالعرض اى بَتبَع الأضواء والألوان فهذه هو حقيقة البَصَر وامّا كيفيّة الأبصار فقد قلنا انّ الاقوال فيها ثلاثة الأنطباع، وخروج الشّعاع وانتساب النَّفس والأشراق.

وزاد صدر المتألّهين فى الاسفار وسائر كتبه قولا رابعاً وهو انّ الابصار بتحقّق بانشاء النَفس صوُرة مثاليّةً حاضره عندها فى عالم التّمثيل مُجرّدةً عن المادّة الطّبيعية ونسبة النّفس اليها نسبة الفاعل فى الوجود فى حقّه وكيفيّته كون الحقيقيات منها نفس الذّات الأحَديّة فعلى مسلكه وجود المُبصَر بالذّات لِلنّفس بنحو القيام الصُّدوُرى ولِلعُضو الشَّفاف الباصر بنحو الظُّهور لِلمظهر وامّا على مَسلَك القائلين بالأنطباع وجوده لها بنحو القيام الحُلولى والفَرق بينهما ظاهر فمَسلَك صاحب الأسفار قريب من مَسلَك القائلين بالأنطباع بَعيدٌ من غيره وفى كفيّته قيام هذه الصّور بالنّفس اقوال لَم نتعرض لها ومن شاء الاطّلاع عليها فَعليه بمراجعة الكُتب المَوضوعة لهذا الابحاث ثمّ انّ الأدراك البَصَرى له شروطٌ لابدّ من تحقّقها فى الابصار.

احدها: المحاذاة بين المُدرِك والمُدرَك والمُبصِر والمُبصَر فلو لم تكن هناك محاذاة بينهما لم يتحقّق الابصار.

و ثانيهما: وجود العلاقة الوَضعيّة بين مادّة القُوّة الحاسّة وذالك الأمر المَحسوُس بان يجعل بينهما جسمٌ مادّى فانّ تلك العلاقة لاتتحقّق بمُجرّد المحاذاة من غير توسّط جسم مادّيٍ بينهما اذا لاعلاقه بين اَمرين، لااتّصال بَينهما وَضعاً ولا نسبة بَينهما طَبعاً بل العلاقة اِمّا ربطٌ عَقلىّ او اتّصالٌ حسّىّ فلابدّ من وجود جسم واصلٍ بينهما.

و ثالثها: ان لاتكونَ الواسطة جِسماً كثيفاً مُظلم الدُّخن ضرورة انّه فى نفسه ليس بقابلٍ للاثر النُّورى فكيف يوجب ارتباط المُبصر بالمُبصَر او ارتباط

المُنير بالمُستَنير فانّ الرّابط بين الشّيئين لابدّ وان يكون من قِبَلهما لا ان يكون منافياً لفعلها.

و رابعها: ان يكون الجسم المادّى مشفّ ٍ غير حاجزٍ ولا مانعٍ لوقوع احد الاثرين اعنى النُّور من النّير الى المُستنير او من البَصر الى المُبصر او تأدية الشَّبَح من المُبصر الى البَصر على اختلاف الأقوال فى الأبصار فهذه الشّروط الأربعة اذ اكملت كمل الأبصار والّا فلا اذا عرفت هذا فنقول:

الأبصار لايتعلّق فى عالم الخلق بشيئين: احدهما ـ الألوان باقسامها وثانيها ـ الاجسام اللّطيفة ويَتَعلّق بغيرهما من الأجسام الكثيفة المتوسّطة فى الكثافة بين البُعد والقُرب المُفرطّين اذا كانت مُتوسّطة بين الحاسّة والأمر المَحسوُس واجمال القول فى الاستدلال على المُدّعىٰ هوانّ الموجود امّا واجب او ممكنٌ ولا كلام لنا فى الواجب فعلا.

والممكن امّا جوهرٌ وامّا عرضٌ، والجوهر امّا جسمٌ، او عقلٌ، او نَفسٌ. او هيولى، او صُورة، العَرض على تسعة اقسام: من اَلكَم والكَيف والأين والوَضع والمَتى، وان يَفعل وان يَنفعل والجُدة، او اربعة او ثلاثة، على اختلافٍ فيه بارجاع بعضها الى بعضٍ.

والجسم على قسمين: جِسم كثيفٌ وجسمٌ لطيف والكثيف ايضا على قسمين، خفيف وان شئتَ قلت خَفّىٌ وغير خفّيٍ، ولمّا شَرطنا فى تحقّق الأبصار ان تكون هناك علاقة وضَعيّة بين مادّة القوّة الحاسّة والأمر المَحسوُس بتوّسُط جسم مادّيٍ بينهما فلامحالة لايتّعلقّ الأبصار بكثيرٍ من الأقسام المذكورة من الجَواهر والأعراض ويتَعلّق ببعضٍ آخر ولابدّ لنا من توضيح المقال ليتّضَح الحال.

امّا الجواهر الخَمسة: فمنها العقل والنّفس والهيولى والصّورة وهذه الأربعة لايَتعلّق الأبصار بها.

امّا العقل والنّفس فلكونها من الجواهر المُجرّدة عن المادّة ولواحقها الّا انّ

العقل مُجرّدٌ ذاتاً وفعلاً والنّفس ذاتاً لافعلاً والوجه فی عدم تعلّق الأبصار بهما ظاهر لعدم العلاقة الوضعيّة بين مادة الحاسة والعقل او النّفس لكونهما، بريئين من الوضع الذّی هو من لواحق المادّة مضافا الى عدم السِنخيّة بين المادّی والمُجرّد.

و امّا الهَيولی، فلانّها لَيست إلّا صِرف القُوّة الّتی بالعَدم اَقرب منها الى الوجود ومعلوم انّ صرف القُوّة الّتی لم تصل الى مَرحَلة الفِعليّة لايليق بالبحث عنها فضلاً عن تَعلُّق الأبصار بها كيف وهی وجودها ليس الّا القُوّة المَحضَة، و امّا الصّوُرة فهی ما به الشّیيء هوهو بالفعل وان شئت قلت فِعليّة الهَيولی وهی ايضا اَجنَبيّةٌ عن تعلّق الأبصار بها فبَقی فی المقام من اقسام الجواهر الجسم وهو المطلوب.

و امّا الاعراض فالّذی يُرى منها هو الكيف لاغير وباعتبار آخرا لكّم والكَيف وامّا باقی الأعراض فلا.

امّا الكم فهو ينقسم الى المُتّصِل والمُنفَصل، والمنفصل هو الأعداد لاغير، وامّا المتّصل فينقسم الى المتّصل القارّ والمُتّصل غير القارّ والاوّل هو الجسم والسّطح والخَطّ والثّانی هو الزّمان.

ثمّ انّ الكم المُنفصل اعنی الأعداد فلا ريب فی عدم تعلّق الرّوية بها انفسها وانّما المَرئی هو الّذی فيه العَدد لانفسه وامّا المُتّصل غير القارّ اعنی الزّمان فهو ايضا لايكون مُتَعلّق الأبصار وهو ظاهر فبقی فی المقام المتّصل القار و هو الجسم التّعليمی والخطّ والسّطح ولا شكّ انّ السّطح يتألّف من الخطوط والجسم من السّطوح وهو الّذی يتعلّق الأبصار به دون الخطّ بما هوهو والسّطح كذالك وانّما يتعلّق الأبصار بها بواسطة الجسم وهو ظاهر فالمرئی هو الجسم وهو المطلوب ولاجل هذا اخرجناه عن الابصار اوّلاً وقلنا باعتبار آخر اى باعتبار الجسم.

و امّا سائر الاعراض فالأمر فيها اوضح لانّها من الأمور النّسبية الأعتبارية

فهى مع قطع النّظر عن منتسباتها لاوجود لها وذالك لانّ الأينَ مثلاً عبارة عن كون الشّيىء فى المكان ومعلوم انّ الّذى يتعلّق به الأبصار هو المكان الذّى هو الجسم والشّيىء الّذى هو ايضاً جسم وامّا النّسبة الواقعة بين الجسمين فمن الأعتباريات المَحضَة لاوجود لها مع قطع النّظر عن الحالّ والمحلّ فكَيفَ يَتعلّق بها الابصار وهكذا الكلام فى باقى الاعراض النّسبية، وأنت تَقدر على استخراج ما استَخرجناه فى الجُدَة والمَتىٰ وغيرهما فثبت وتحقّق انّ الأبصار فى الأعراض لايتعلّق الّا بالكيف و هو المطلوب.

ثمّ انّ الكيف على اقسام اربعة:

احدها : الكيفيّات النّفسانية كالعلم والقُدرة والأرادة وغيرها ولا شكّ فى عدم تَعلّق الأبصار بها لانّها من الامور الباطنة المَستورة عن الحِسّ الظّاهر.

و ثانيها: الكيفيّات المَحضَة بالكميّات كالأستقامة والأنحناء والشّكل ونَحوها ممّا اَختصّ بالكم المتّصل وكاالزّوجية والفَرديّة ونحوها ممّا اختصّ بالكمّ المنفصل امّا القسم الثّانى منها اعنى الزّوجية والفردّية فقد قلنا انّها ليست مُتعلّقة للأبصار وامّا الاوّل منها اعنى المُختَصّة بالكَميّات المُتّصلة كالشّكل والأستقامة والأنحناء فهى احدى الّتى يَتعلّق الأبصار بها من اقسامه الأربعة.

و ثالثها: الكيفيّات الأستعدادية من اللّاقوة والقُوّة من الاستعداد الشّديد، الى جانب الأنفعال كاالليّن والمِمراضيّة ونحوهما وهو المسمّى باللّاقوة، والأستعداد الشّديد الى جانب اللّا انفعال كالصّلابة والمصحاحيّه وهو المُسّمى بالقُوّة ولا شكّ فى عدم تعلّق الأبصار بهما بكلا قِسميه.

و رابعها: الكيف المَحسوُس بخمس قوّةٍ ظاهره من المَلموسات، والمَشموعات والمَسموُعات والمُبصَرات، والّذى يَتعلق الأبصار به هو الاخير منها وامّا الثّلاثة الباقية فلا وهو ظاهر اذ اعرفت هذا فنقول:

قد تَحصّل ممّا ذكرناه انّ الابصار يَتعلّق بالأجسام والألوان والأشكال ويمكن ارجاع الأشكال الى الألوان ايضا لكونها جميعاً تحت الكيف مضافا

الى انّ الشّكل لو لم يكن له لَون لايُرى ولا يَتعلّق به الابصار فَمُتعلّق الابصار فى الحقيقة هو اللّون الّا انّ هذا اللّون تارةً يوجد فى الكيف المحسوس وتارةً فى الكيف المُختصّ بالكّم المتصّل وعليه فمتعلّق الأبصار فى الحقيقة هو الجسم واللّون وهو المطلوب.

ثمّ انّ كلّ واحدٍ منهما ينقسم الى قسمين: فالجسم كثيف ولطيف واللّون خفّىٌ وغير خفّىٍ.

امّا الجسم اللّطيف فلا يَتعلّق به الأبصار للطافته وقد قَلنا فى صدر البحث انّ العلاقة الوضعيّة لابدّ من وجودها بين الحاسّة والمحسوس، والجسم اللّطيف برَبىءٌ عن الوَضع والمحاذاة فلا يَتعلّق الأبصاربه.

و امّا اللّونَ الخَفّى فهو ايضاً بمعزَلٍ عنه بطريقٍ اولى فانّ الجسم اللّطيف اذا كانت لطافته مانعة عن الوضع والمحاذاة والسّنخيّة وامثالها من شرائط الأبصار فاللّون الخَفّى بطريقٍ اولى وهذا معنى قوله عليه السلام: **يَعْمىٰ عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسامِ.**

و امّا الجسم الكثيف واللّون الغير الخفّى فيَتعلّق الأبصار بهما لتحقّق الشّروط فيهما وعدم المانع من الرّؤية بل لايبعد القول بانّ المحسوس بالذّات انّما هو الكيفيّات المحسوسة وامّا غيرها فمَحسوسة بالعَرَض، فليس للحواسّ مَحسوسٌ مُشتركٌ بالذّات فالبَصَر يُحسّ بالعَظم والعَدَد والشّكل والوضع والحَرَكة والسّكون بتوسّط اللّون وعليه فَعَدم تعلّق الأبصار بالجسم اللّطيف انّما هو بسَبب كونه فاقداً لِلّلوْنَ الغَير الخفىّ فاللّون هو الاصل فى تعلّق الأبصار بالأشياء بحيث لولاه لما اَمكَن لأحدٍ الأبصار.

ثمّ انّ الشّارح الخوئى حقّق فى المقام تحقيقاً عجيباً لابأس بالاشارة اليه فانّ المقام من مزالّ الأقدام، قال (قدّه) توضيح ذالك انّ الشّيخ الرّئيس واتباعه ذهبوا الى انّ الألوان غير موجودةٍ بالفعل حالكونها مُظلَمة مُعلّلاً بانّا لانَراها فى الظُّلمة فهو امّا لعدمها او لوجود عايق عن الأبصار والثّانى باطل لانّ الظُّلمة

عدميّةٌ والهَواء نفسه غير مانع من الرُّؤية كما اذا كنت فى غارةٍ مُظلَم وفيه هواء كلّه على تلك الصّفة فاذا صار المَرئى مُستنيراً رأيتَه، ولا يَمنَعك الهَواء الواقف بينه وبينك وردّه المتأخّرون بانّه لاشكّ انّ اللّون له مَهيّة فى نفسه وانّه يَصحّ كونه مَرئيّاً فلعلّ الوقوف على وجود الضّوء هو هذا الحكم والجُملة للجسم مراتب ثلاث: استعداد ان يكون له لونٌ مُعيّن، ووجود ذالك اللّون بالفعل، وكونه بحيث يَصحّ ان يرى فلِمَ لايجوُز ان يكون الموقوف على وجود الضّوء هذا الحكم الثّالث لااصل اللّون ثمّ قال اذا عرفت ذالك فنقول:

انّ معنى قوله هوانّ كلّ بصيرٍ لايمكن له ادراك الألوان الخفيّة اى الألوان فى حال كونها مُظلمة لأنتفاء شرط الأدراك الّذى هو الضّوء كما انّ الأعمى لايمكن له ادراكها لانتفاء قُوّة الأبصار له فكنّى عن عدم ادارك البصير لها بالعَمى لشَبهَه بالعَمى (**بالاعمى**) فى مشاركة ما فى عدم التّمكن من الأدراك وان كان عدم التّمكُن فى حقّ الاوّل من جهة انتفاء الشّرط وفى الثّانى من جهة انتفاء الآلة اعنى البَصَر هذا.

ثمّ قال ـ ولعلّ المراد من لطيف الأجسام الرّقيقة كالبَعَوضة والذَرّة ونحوهما ولمّا كان بصريّته تعالى سبحانه عبارة عن علمه بالمُبصَرات حسب حقّقناً ايضا فى شرح الفصل السّادس من فصول الخطبة الأولى اختصّ العَجز عن أدراك الألوان والأجسام اللّطيفة بغيره سبحانه وامّا هو سبحانه فلا تفاوت فى علمه بين الخَفىّ والجَلّى واللّطيف والكَثيف يَعلَم ما فى البَرّ والبَحر الى قوله فى كتاب مبين انتهى ما ذكره اقول فى كلامه (قدّس سرّه) مواضع من الأنظار.

احدها: ما نَسبه الى الشّيخ الرّئيس واتباعه من القول بعدم كون الألوان مَوجودة مُعللاً بانّا لانراها فى الظُّلمة ووجه النّظر فيما نقله هو انّه لَم يصرّح بانّ الشّيخ فى ايّ كتابٍ من كتبه قال بهذه المقالة ومن تبعه عليها من متابعيه فانّ هذا القول بَعيدٌ من الشّيخ جدّاً وكيف يقول الشّيخ به وقد ثبت عنده وعند

جُمهور الفلاسفة انّ الألوان من الكيفيّات والكيف من الأعراض الموجودة فى الخارج بلاكلام فاالقول بعدم وجود الألوان هو القول بعدم وجود الكيفيّات المَحسوُسة وهو مخالف لصريح الحسّ والوجدان فضلا عن العقل اَلَيس الشّيخ وامثاله من الفلاسفة اَثبَتوا الجواهر والأعراض وقسّموا الممكن فكيف يقول او يَقولوُن بعدم وجود الكيف وهو زئيس الأعراض واَعجب منه تعليله بانّا لانراها فى الظُّلمة، فانّ عدم الرُّوية فى الظُّلمة لو كان دليلا على عدم وجودها لم يكن فى العالم شيىءٌ موجودٌ اصلاً ضرورة انّ الجسم ايضا لايرى فى الظُّلمة فضلا عن اللّون فيلزم ان لايكون موجوداً وليس كذالك.

وقوله، والثّانى باطل لانّ الظُّلمة عَدَميّة والهَواء نفسه غير مانع من الرُّؤية، ففيه انّ المانع من الرُّؤية هو الظُّلمة لاغيرها وقوله لانّ الظّلمة عَدميّة لارَبط له بالمُدّعىٰ اذ لااشكال فى كون الأمر العَدمى مانعاً، فانّ الموانع كثيراً ما تكون من الأعدام كما انّ الأعمى لايقدر على النّظر الى الغير والأصَمّ لايقدر على الأستماع والفَقير لايقدر على الأطعام والخَيرات وهكذا فو كانت الاعدام غير مانعةٍ على ما ذكره او نَقلَه يلزم ان يكون عدم القدرة على النّظر لأجل شيىءٍ آخر لالأجل عدم البَصر وهكذا والحاصل انّه لاشكّ فى كون الاعدام مانعاً.

وامّا تمثيله بكون الأنسان فى غارة مُظلَم وفيه هواء الخ فهو ممّا يضحك به الصّبيان فانّ الشّيىء المُستنير يُرى بنوُره وكَون الغارة مُظلمة لادخل له برؤيته

و امّا قوله عليه السلام: ولعلّ المراد من لطيف الأجسام الأجسام الرّقيقةُ القَوام كالبَعوُضة والذّرة ونحوها، فهو من العجائب فلعلّه (قدّه) لم يفرق بين الأجسام الصّغيرة والأجسام اللّطيفة والبَعوُضة والذّرة ونحوهما، من الاوّل دون الثّانى فانّ الصّغير فى مقابل الكبير واللّطيف فى مقبال الكثيف فيمكن ان يكون الجسم لطيفاً وليس بصغيرٍ وبالعكس الا ترى انّ الملك جسم لطيف رقيقٌ وليس بصغير وهكذا الجنّ والشّيطان مثلاً فالمراد بقوله عليه السلام: **الأجسام اللّطيفة** هو هذه الاجسام ولو كان المراد ما ذكره ينبغى ان يقول عليه السلام صَغيرُ الأجسام بدل

لطيف الأجسام.

و بعد اللّتيا واللّتى ما ذكره (قدّه) فى شرح العبارة ليس بمُعتَمدٍ لو كان مراده ما ذكرناه واَستفدناه منه وان كان غرضه شيىء آخر فانّا لانعلم الغَيب والله اعلم بحقائق الامور.

▫ **قوله عليه السلام: وَكُلُّ ظاهِرٍ غَيْرُهُ غَيرُ باطِنٍ وَكُلُّ باطِنٍ غَيرُهُ غَيرُ ظاهِرٍ،...**

افاد عليه السلام انّه تعالى ظاهر وفى عين كونه ظاهراً باطنٌ وامّا غيره من الموجودات فليس كذالك لانّه وان كان ظاهراً الّا انّ له باطن وباطنه غير ظاهره كما انّ الباطن منه غير ظاهر والظّاهر منه غير باطن.

وامّا كون الظّاهر فى ما سواه غير الباطن فهو ممّا لاريب فيه، وذالك لانّهما اعنى الظّاهر والباطن متقابلان وقد ثبت انّ المتقابلان لايجتمعان فى موردٍ واحد من جهةٍ واحدةٍ فاذاكان الشّىء ظاهراً معناه انّه ليس بباطنٍ واذاكان باطناً معناه انّه ليس بظاهر.

والوجه فيه هو انّ الأشياء الموجودة المَخلوُقة لكونه ممكنات بالذّات وقد ثبت انّ كلّ ممكن زَوجٌ تركيبىٌّ له ماهيّة ووجوُد والماهيّة ظُلمة كما انّ الوجود نورٌ فلا محالة كلّ مخلوقٍ مُركّبٌ من هذين الأمرين فظاهره الوجود النّورى وباطنه الماهيّة المُظلمة والوجود عارض والماهيّة معروضة والوجودات مثار الوَحدة والماهيّات مثار الكثرة وبهذا يظهر انّ كلّ موجود له ظاهر اعنى الوجود وباطن اعنى المَهيّة وكون الوجود غير الماهيّة والماهيّة غير الوجود ممّا لاشكّ فيه فَثَبت انّ كلّ موجود غيره ظاهره اعنى وجوده غير باطنه اعنى ماهيّته وامّا الواجب تعالى فليس كذالك لانّ الوجود فيه تعالى عين الماهيّة والماهيّة عن الوجود ونَعنى بالماهيّة هناك الماهيّة بالمعنى الأعمّ اعنى ذاته وحقيقته لاالماهيّة بالمعنى الأخصّ الّتى يقال فى جواب ما هو فانّها مُركبّةٌ من الجنس والفصل فالتّركيب فيها عقلىّ.

فالواجب تعالى بسيط الحقيقه مُنزّهٌ عن التّركيب العقلى والخارجى

فوجوده عين ذاته مع ان ذاته ايضا عين وجوده فهو ظاهر لنا بالوجود وآثاره مَستورٌ عنّا بالكنه والذّات وخفاء ذاته فى ظهور وجوده كما انّ ظهوره فى خفائه فهو الظّهور فى عين بُطونه والبُطون فى عين ظهوره وهذا معنى قوله فى المقام ولتوضيح المقال نقول:

الظّهور مساوقٌ للوجود فانّ الوجود هو الظُّهور نفسه اعنى الظّاهر بالذّات والمُظهِر للغير وهذا شأن الوجود وخاصّيته سواء كان فى الواجب ام فى غيره من المُمكنات الّا انّ الوجود مقولٌ بالتّشكيك على ما يصدق عليه اذ هو يختلف شدّةً وضعفاً وكمالاً ونقصاً فهو فى الواجب اَشَدّ واَكمَل منه فى الممكن وفى الممكن فى الصّادر الاوّل اَشدّ منه فى غيره وهكذا الى ان ينتهى الى هيولى العالم الّتى هى اَضعَف الموجودات.

واذا كان الوُجود يتفاوت شدّةً وضعفاً فآثاره ايضاً تَتفاوت كذالك فانّ الأثر تابع لمؤثّره فَكُلمّا كان المؤثّر اَقوى واَكمَل يكون الأثر اَقوى واَكمل وكلّما كان اَضعَف فهو اَضعف.

وحيث انّ الظُّهور هو الوجود فكما انّ الوجودات تتفاوت فكذالك بالنّسبة الى الظَهورات اذ لافرق بينهما الّا من جهة اللّفظ فكما انّ الوجود فى الواجب تعالى من حيث الحقيقة غير الوجود فى الممكن وان كانا مشتركين فى مفهوم العام البديهى اعنى كونهما مصداقاً للوجود والموجود، فكذالك فى الظُّهور فهو تعالى ظاهرٌ وغيره ايضا ظاهرٌ وهما اعنى الواجب والممكن يشتركان فى مفهوم الظُّهور اعنى الأنكشاف ولكن حقيقة الظُّهور فى الواجب غيرها فى الممكن كما مَثّلناه فى الوجود فظُهوره تعالى بذاته كما انّ وجوده بذاته وظُهور غيره بغيره لابذاته وظهُوره فى نهاية الشّدة والكمال وفى غيره فى نهاية الضّعف والنّقص ومعلوم انّ مجرّد الاشتراك فى المفهوم لايوجب الأشتراك فى الحقيقة والأصل وكم فرقٌ بين ما يكون الظُّهور فيه بذاته وما يكون الظّهور فيه بغيره.

بل لو قلنا بعَدم الظّهور فی غیره بالنّظر الی الحقیقة وان کـان مـصداقاً له مجازاً لَم نَقُل جُزافاً کما قلنا فی الوجود، فظُهور الأشیاء هو انکشافها للحِسّ او العَقل انکشافاً بیّناً وبطونَها خفائها کذالك ولمّا ثبت فی العلوم العقلیّة کـونه تعالی منزّها عن الجِسمیّة ولواحقها من الأینَ والوَضـع وامـثالهما فـلا جـرم لایُدرَك بالحواسّ لانّ الحواس لاتُدرك الّا ما تحیط به وهو تعالی مُحیطٌ بکلّ شیءٍ ولا یُحیطه شیيء فلا یکون مُدرَکاً بها فهو لایشارك الأشیاء فی ظُهورها بهذا المعنی اعنی الظُّهور المُنکَشف لِلحسّ او العقل ولا شکّ انّه تعالی قـد وَصَف نَفسه به فی کثیر من الأیات فلابدّ من ان یحمل الظّهور علی انکشاف وجوده فی جزئیّات الآثار ما رأیتُ شیئاً الّا ورأیتُ الله قبله، وبَعده ومَعه ویدلّ علی کونه تعالی ظاهراً وباطناً من حیث النّقل قوله تعالی: ﴿**هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ وَالظّٰاهِرُ وَالْبٰاطِنُ وَهُوَ بِکُلِّ شَیْیءٍ عَلِیمٌ**﴾[1] ثمّ انّ الشّارح البحرانی ضَبط العبارة هکذا (**وَکُلُّ ظٰاهِرٍ غَیرُهُ بٰاطِن وَکُلُّ باطِنٍ غَیرُهُ ظٰاهِر**)...

ثمّ شَرَح الکلام وقال فی آخر کلامه وفی بعض النّسخ وکلّ ظاهر غیره غیر باطن وکلّ باطن غیره غیر ظاهر، کما ضَبطناه، ثمّ استشکل علیه وقال وفی هذه النّسخة فانّا انّما اَثبَتنَا کونه تعالی ظاهراً وبـاطناً مـعاً بـاعتبارین وفـی بـعض الممکنات ما هو کذالك کالزّمان مثلاً فانّ کلّ عاقل یـعلم بـالضّرورة وجـود الزّمان وان خَفیت حقیقته علی جمهور الحکماء واضطَرَبت علیه اقوال العلماء وکذالك العلم فلیس اذن کلّ ظاهر غیره غیر باطن ولا کلّ باطن غیره غیر ظاهر انتهی.

اقول: ما ذکره (قدّه) لایرجع الی محصّلٍ وَحقّ العبارة هو الّذی ضَـبَطناه وشَرَحناه والّذی ضَبَطه (قدّه) فی کتابه فهُو بَعید عن الصّواب اذ لامعنی لقوله علیه السلام: **کُلُّ ظٰاهِرٍ غَیْرُهُ غَیرُبٰاطِنٍ** الّا علی وجهٍ بعید یَشبه الأکل من القَفا ضَرورة انّ مفهوم العبارة یدلّ علی انّه تعالی لیس بباطنٍ اذ لو کان کلّ ظاهر غیرٌ باطن

۱- الحدید- ۳

معناه انّه غير باطن وعَليه فالظّاهر على قسمين: ظاهر فى ظُهوره وباطِنٌ ايضاً وظاهر ليس كذالك وحيث قال عليه السلام كلّ ظاهر غيره اى غير الله تعالى باطِن فيلزم ان يكون غَيره غَيره ظاهراً وباطناً وامّا الواجب فهو ظاهرٌ لاغير، وقد قال فى كتابه هو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن.

وبعبارة اخرى: قوله عليه السلام: **كُلُّ ظٰاهِرٍ غَيْرُهُ غَيرُبٰاطِنٍ**، من جهة المنطوق يحتمل معنيين:

احدهما: ان يكون المراد كلّ ظاهر غيره تعالى باطن ايضا كما هو ظاهر

وثانيهما: انّ كلّ ظاهر غيره فهو باطن واقعاً وليس بظاهر كما يتخيّل.

امّا المعنى الاوّل: فيلزم منه كونه تعالى ظاهراً فقط بمقتضى مفهوم اللّفظ وهو مخالف للآية واتّفاق الامّة على انّه تعالى هو الظّاهر والباطن.

وامّا المعنى الثّانى: فيلزم منه ان يكون هو الظّاهر لاغيره لانّ المفروض، انّ غيره باطن ليس بظاهر، فمفهوم العبارة يقتضى انحصار الظّهور فيه وهو مخالف للحسّ والعيان هذا **اوّلا.**

وثانيا: على ما ذكره (قدّه) يلزم ان يكون غيره ظاهراً وفى عين ظُهوره باطناً وهو محال لأستلزامه الجَمع بين المتقابلين.

بيان ذالك، انّ قوله عليه السلام: **كُلُّ ظٰاهِرٍ غَيْرُهُ غَيرُبٰاطِنٍ** يستدعى عدم اتّصاف غيره بالظُّهور واقعاً لانّ الجملة تدلّ عليه بالمَنطوق وقوله: بعد ذالك وكلّ باطن غيره ظاهر يدلّ على اتّصاف غيره تعالى بالظُّهور واقعاً فيلزم كون الشّىء الواحد ظاهراً وباطناً معاً وهو محال لانّه من قبيل جمع المتقابلين.

ان قلت ـ لااشكال فى هذا الجمع باعتبارين فانّ الموجود من جهةٍ يكون ظاهراً ومن جهةٍ اخرى باطناً.

قلت ـ ليس الأمر كذالك فانّ الموجود المَحسوس ظاهر لاغير كيف وهو مَحسوُس لنا فما معنى كونه باطناً مع انّا نعلم وجوده وحقيقته ذاته فهذا الأحتمال لاسبيل اليه فَثَبت وتحقّق انّ هذه العبارة لامعنى لها الّا على وجه

بعيد. وامّا نقضه (قدّه) بالزّمان والعلم فليس فى محلّه والعَجب منه (قدّه) مع كونه من اهل المَعقول كيف تَفوَّه بهذه المقالة وذالك لانّ الزّمان او العلم ليس ظاهراً وَباطناً معاً كما انّ الواجب كذالك فانّ الزّمان مثلاً من الكميّات المتّصلة الغير القارّة ومعنى كونه غير قارّ هو انّ وجُودٌ فى تَصرّمه وتصرّمه فى وجوُده فهو ضعيف الوجود يَشبه بالأمور الاعتباريّة الموهوُمة وليس له وجودٌ اصيل قائم بنفسه فهو من هذه الجَهة اى ضعف الوجود كالهيولى فقوله (قدّه) كلّ عاقلٍ يعلم بالضّرورة وجود الزّمان قولٌ خالٍ عن التّحصيل اذ يقال له الوجوُد الّذى يَعلمه العاقل هو الوجود الوَهمى الفَرضى وهو ليس بوجودٍ واقعاً واين هذا الوجود من الوجود الواجبى الظّاهر فى كلّ الأشياء الّذى خفائه من شدّة ظُهوره، وبهذا التّحقيق ظهر لك وجه خفاء حقيقة الزّمان ايضا فانّه ليس له حقيقة الّا الوَهم والتّخيُل فخفاء حقيقته من هذه الجهة وامّا خفاء حقيقه الواجب فليس كذالك وهكذا الكلام فى العلم فانّه من الموجودات الاضافيّة على قولٍ ومن الكيفيّات النّفسانية على قول آخر ومن لوازم الوجود وتبعاتها على قول ثالث وليس من المَوجودات المتأصّلة القائمة بذاتها اليس العِلم هو الأدراك النّفسى والأدراك قائم بالمُدرِك والمُدرَك لانّه نسبة اعتباريّة بينهما قائمة بهما وقد ثبت انّ وجود النّسبة قائم بوجود الطّرفين.

ومحصّل الكلام قياس الموجودات الغير المتأصّلة بالموجود الحقيقى الّذى هو اصل الموجودات قياس مع الفارق فكونه تعالى ظاهراً وباطناً معناه غير كون الزّمان ظاهراً وباطناً واين الثّرى من الثّريا.

وملخّص الكلام هوانّ النّسخ فى ضبط العبارة متفاوته والأكثر على ما ذكرناه وعلى كلاالتّقديرين يمكن لنا حمل كلامه ﷺ على معناه صحيح الّا انّ استدلال المُحقّق البحرانى (قدّه) على صحّة ما ذهب اليه محلّ نظر بل منع والله اعلم بحقائق الامور.

▫ **قوله ﷺ: لَمْ يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطانٍ وَلا تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ زَمانٍ**

وَلَااستِعانَةً عَلىٰ نِدٍّ مُثاوِر وَلاٰ شَرِيكٌ مكاثِرَ وَلاٰ ضِدٍّ ومنافِرٍ،...

ثمّ انّه شرع فى بيان الخِلقة وانّ الله تعالى ما خَلَق الخَلق لأجل هذه الأمور المذكورة ونحن ننتقل اوّلاً اقوال الشّراح فى المقام ثمّ نتبعها بما هو الحقّ عندنا فنقول:

قال المحقّق البحرانى (قدّه) فى شرح هذه الكلمات ما هذا لفظه:

اقول: انّه تعالى لا يَفعَل لغرضٍ ومَتى كان كذالك كان مُنزّهاً عن خصوصيّات هذه الاغراض امّا الاوّل فبرهانه انّه لو فعل لِغَرضٍ لكان وجود ذالك الغرض وعَدمه بالنّسبة اليه تعالى امّا ان يكونا على السّواء او لَيس، والاوّل باطل والّا لكان حُصول الغَرض له ترجيحاً من غير مرجّحٍ، والثانى - باطل لانّها اذا لم يَستويا كان حصول الغرض اولى به فح يكون حصول ذالك الغرض مُعتبراً فى كماله فيكون بدونه ناقصاً تعالى الله عن ذالك لايقال: ليست اولَويّة الغَرض بالنّسبة الى ذاته بل بالنّسبة الى العَبد اذ غرضه الأحسان الى الغير لانّا نقول غرض احسانه الى الغير وعدمه ان كانا بالنّسبة اليه على سواءٍ عاد حديث الرّجحان بلا مرجّح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنّقص انتهى ما اردنا ذكره وتَبعه على ذالك شارح الخوئى فى شرحه كما هو دأبه فى المشكلات وامّا الشّارح المعتزلى فقد نَقل فى المقام اقوالاً لايعتدّ بها فى هذه المقولة فانّ البَلخى والبَغداديّين وامثالهم ممّن نقل الاقوال عنهم لَيسوُا من فرسان هذا الميدان ونحن بعد ماتدبّرنا فيما ذكره ما فَهِمنا منه شيىء لخُروج ما ذكروه عن المَبحوُث عنه ولست ادرى اَهوفَهِم ما قال ونَقلَ ام لا ومع ذالك فمن اراد الاطّلاع على نقله فَعليه بشرحه فلعلّه يفهَم منه ما لم نَفهم ولا بُعدَ فيه.

وامّا ما ذكره الشّارح البحرانى (قدّه) فى المقام من انّ افعال الله لاتُعلَّل بالأغراض والغايات فلستُ اَفهَم ما اراد منه فان اراد انّ فعله لايَعلّل بالغَرض والغاية او ما شئتَ فَسَمِّه مطلقاً فهو لايرجع الى محصّلٍ كما هو الظّاهر من

كلامه حيث استدلّ على المدّعى بانّ الفعل لو كان لغرضٍ فامّا ان يكون وجوده وعدمه بالنّسبة اليه سيّان او ليس كذالك الى آخر ما قال فانّ ظاهر الكلام يدلّ على نفى الغَرَض مطلقاً وذالك لانّه لو كان الأمر كما ذكره فيلزم ان يكون فِعله عَبثاً ولغواً اذ لانعنّى باالعَبَث الّا عدم ترتّب الغاية المطلوبة والغرض المحبوب عليه وما نحن فيه من هذا القبيل.

وبعبارةٍ اخرى: العاقل لايَفعل الفعل من غير غرض ولعلّه هذا هو الفرق بين افعال العقلاء وافعال غيرهم فقوله (قدّه) انّه تعالى لايفعل لغرض كلامٌ لاطائل تَحته هذا اذا كان المراد نفى الغرض مطلقاً وان اراد غير هـذا المـعنى فـعليه بالبيان والتوضيح وقد قلنا انّ سياق كلامه يأبى المعنى الثّانى فـالمُعتَمد هـو الاوّل وامّا الخوئى والمُعتزلى فلا كلام لنا معهما.

امّا الاوّل: فلانّ ما ذكره مأخوذ من البَحرانى ولم يأت بشيىء غيره.

وامّا الثّانى: فقد قلنا انّ ما نَقلَه من القضايا التّاريخيّة المُفيدة لِلظّن لاربط له بالمقام فهو خارج عن المبحوث عنه فانّ البحث ليس فى الأقوال المنقولة من غير اهل الأصطلاح بل البحث فى انّ الله تبارك لاىَ شىءٍ خَلق الخَلق وهل كان له فى فِعله غَرَض ام لا وكلامه عليه السلام يدلّ على نفى الغرض ام لم يـدَل وهـذا بحث عَميقٌ مُعَضّلٌ لايمكن حلّه بقول الكعبى وامثاله من العوام.

وحيث انّ المقام قابل للبحث والفَحص فلابدّ لنا من التّكلم فـيه بـطريق الأجمال وعلى الله التّوكل وبه الأعتصام وتوضيح الكلام بستدعى ذكر امور:

الاوّل: انّ العِلّة لها مفهومان:

احدهما: الشّيىء الّذى يحصل من وجوده شيىء آخر ومن عدمه عدمه.

وثانيهما: ما يتوقّف عليه وجود الشّيىء فيَمتَنع بعَدِمه ولا يجب بـوجوده وان شئت قلت ما يلزم من عدمه عدمه ولا يلزم من وجوده وجـوده والاوّل كالنّار مثلاً حيث يلزم من وجودها وجود الحرارة ومن عدمها عـدمها وهـذا لايتّصور الّا فى الفاعل المَوجب كـالنّار للأحـراق والمـاء للـرّطوبة والأربـعة

للزّوجية وامثال ذالك سواء كان المعلول من لوازم الوجود الخارجى كاالحرارة المُتوقّفة على وجود النّار فى الخارج ام كان من لوازم الوجود سواء كان خارجيّاً او ذهنيّاً.

وبعبارة اخرى: من لوازم الماهيّة العلّة كالزّوجية للأربعة والفرديّة للثّلاثة.

الثّانى: انّ العلّة بالمعنى الثّانى اعنى ما يلزم من عدمه عدم المعلول ولا يلزم من وجوده وجوده هو الّذى اصطلحوُا عليه بالعلّة التّامة وغيرها، وامّا الاوّل فهو غير تامّة على الأقوى نعم قد يَطلُق على الجُزء الأخير من العلّة التّامة ويقال عليه السَّبب بمعنى اَخَصّ، وقال بعضهم العلّة بالمعنى الثّانى تنقسم الى علّةٍ تامّةٍ وهى الّتى لاعلّة غيرها على الاصطلاح الاوّل، والى علّةٍ غير تامّةٍ مُنقسمةٍ فاعلٍ ومادّةٍ وصوُرةٍ وغايةٍ وتسمّى بالعلل الأربعة.

والأحسن ان يقال العلّة امّا ان تكون تامّة او غير تامّة، والثّانى تنقسم الى الفاعليّة والماديّة والصّورية والغائيّة.

الثّالث : انّ العلّة التّامة قد تكون بسيطة كالعلّة الأولى للمعلول الاوّل ولا اشكال فيه، وقد تكون مركّبة كعِلل الكائنات وقد ظَهَر لك انّ العلة المُنقسمة الى البَسيطة والمُرّكبة هى العلّة التّامة والعلّة المُنقسمة الى العلل الأربعة ليست بتّامةٍ ثمّ انّ اطلاق اسم العلّة على هذه الأربعة اعنى المادّية والصُّورية والفاعليّة والغائية ليس بالأشتراك كما توهّم بل الحقّ انّها مقولة على الكلّ بالمعنى الثّانى اعنى ما يلزم من عدمه عدم المعلول ولا يلزم من وجوده وجوده.

ويمكن ان يستدّل على انحصار العلل فى الأربع بانّ العلّة امّا ان تكون جزأً للشّيىء او لاتكون جزأً منه.

والاوّل- ينقسم الى ما به يكون الشّيىء بالفعل وهو الصّورة والى ما به يكون الشّيىء بالقُوّة وهو المادة.

والثّانى- اعنى ما ليس بجزءٍ امّا ان يكون ما لأجله الشّيىء وهو الغاية او ما يكون به الشّيىء وهو الفاعل فهذه اربعة اقسام وامّا وجه انحصار العلّة التّامة

فى البسيطة والمُركّبة فلا يحتاج الى الدّليل ضرورة انّ الشّيىء لايَخلوُا منهما لعدم الواسطة بين البَسيط والمركّب بل قد يقال انّهما من المتقابلين اللّذين لايمكن اجتماعها ولا ارتفاعهما هذا وامّا تفصيل الكلام فيها فموكول الى محلّه مضافا الى انّه لابحث لنا. فعلا الّا فى العلّة التّامة البسيطة اعنى الواجب تعالى فانّ الخالق لهذه المخلوقات ليس الّا هو كما ثبت فى بحث التّوحيد.

الرّابع : انّ اقسام الفاعل على ما اَحصروها فيه بالأستقراء ستّة:

احدها- الفاعل بالطّبع وهو الّذى يصدر عنه فعل بلا علم منه ولا اختيار ويكون فعله ملائماً لطبيعته كحركة الجِسم الثّقيل الى السّفِل والخَفيف فيه الى العلو لو خُلّى وطبعُه.

وثانيها- القَسّرية وهو الّذى يصدر عنه فعل بلاعلم منه ولا اختيار ويكون الفعل على خلاف مقتضى طَبعه كحركة الجِسم الثّقيل الى العلو مثلا بالقَسر فانّها مخالفة لطبيعة الجسم الثّقيل.

وثالثها- ما باالجبر وهو الّذى يصدر عنه فعله بلا اختيار وبعد ان يكون من شأنه اختيار ذالك الفعل وعدمه وهذه الثّلاثة مشتركة فى كونها غير مختارة فى فعلها وانّ فاعليّتها على سبيل التّسخير والأستخدام من الغير ايّاها.

ورابعها- ما يكون بالقصد وهو الّذى يصدر عنه الفعل مَسبُوقاً بارادته المسبوقة بعلمه المُتعلّق بغَرضه من ذالك الفعل وتكون نسبة اصل قدرته وقُوّته من دون انضمام الدّواعى والصّوارف الى فعله وتركه فى درجةٍ واحدةٍ

وخامسها- الفاعل بالعناية فى عُرف المشّائين وهو الّذى يتبع فعله علمه بوجه الخير فيه بحسب نفس الأمر ويكون علمه بوجه الخير فى الفعل كافياً لصدوره عنه من غير قصدٍ زائدٍ على العلم وداعيةٍ خارجةٍ عن ذالك الفعل.

وسادسها- هو الفاعل بالتّجلى وهو الّذى يكون علمه بذاته الّذى هو عين ذاته سببا لوجود افاعيله الّتى هى عين علومه ومعلوماته بوجه اى اضافةُ عالميّته بها هى بعينها نفس اِفاضته لها من غير تعدّدٍ ولا تفاوتٍ لافى الذّات ولا

فى الأعتبار الّا بحسب اللّفظ والتّعبير وهذه الثّلاثة الاخيرة مشتركة فى كون كلّ واحدةٍ منها فاعلاً باختيارٍ وان كان الأوّل منها مُضطرّاً فى اختياره. لانّ اختياره حادث فيه بعد ما لم يكن والى ما ذكرناه اشار فى المنظومة حيث قال

اِنَّ الَّـذى الشَّـيء اليـه اَفتقرا ... فَـعِلّةُ والشَّـيء مَـعلوُلاً يُـرى
فَـمِنه نـاقصٌ ومـنه مـا اَستَقلّ ... ومـنه خـارجُ ومـنه مـا دَخَـل
فـالعُنصرى الصُّـورى لِـلقوام ... ولِـلوُجود الفـاعِلى التّـمامى
ومـا لأجـله الوُجـوُد حـاصل ... فـغايةٌ ومـا بـه فَـفاعلُ
بالطَّبع او بالقَسر او بالقَصد او ... بالجَبر بالتّخيير فارع مارَعَوا
او بـالتَّجلى ثُـمّ بـالعناية ... او بـالرِّضا فأدِر اولى الدّرايـة.
اذ مَـعَ علم او بـلا علم فهُو ... لطَـبعَه لائـمٌ اَو لافـعله
فـذان الاوّلان والعـالِم ان ... وجوُد الأفعال بها العلم زُكـن
فـذاك بـالفاعل بـالرِّضا قُصد ... وان وجود الفعل علماً ما وَجد
ولا كَـفى العِـلم بـذاتِ الفـاعِل ... بل عَـلم المَـعلوُل قـبل العَـمَل
فالقَصد اِن يَقرُن بداعٍ زيد مَع ... ارادةٍ ودونـها الجَـبر يَـقع
بلا اقتران العلم بـالدّاعى فأن ... قـد زيـد فـعليّاً عـنايةً قَـمن
وان يكـن عَـيناً قَسِّـم تَـجليّاً ... فـى علـمِه العِـلم بـفعلٍ طَـويا
اِرادةُ طَـبعٌ اذا مـا سَـخرّوا ... للـغير فـالفاعل تسـخيراً يُـرى

اذا عرفت هذه الاقسام فنقول:

لاشَك انّ الله تـبارك وتـعالى عـلّة تـامّة للـموجودات وخـالقها وفـاعلها ومُوجدها او ما شئت فَسَمّه عباراتنا شتّى وحسـنك واحـد، وكـلّ الى ذالك الجمال يشير، فلامحالة تكون فاعليّة تعالى لها بأحدى الوُجوه السّتة المذكورة وقد اتَّفَقَت الآراء على انّ فاعليّته تعالى ليست الّا بـالعِناية او بـالتَّجَلى وامّـا الأقسام الأربعة الأخرى فلا ضرورة انّ افعاله الصّادره منه ليست بلا علم ولا اختيارٍ حتّى يكون الواجب فاعلا بالطّبيعة او القَسريّة ولا انّ فعله الصّادرٌ منه

يكون بلااختيار فقط حتّى يكون فاعلا باالجَبر.

ولا انّ الفعل الصّادر منه لأجل الغَرض الزّائد على ذاته حتّى يكون فاعلا بالقَصد واذا انتَفَت هذه الأربعة بقى الاثنان وهما الفاعل بالعناية والفاعل بالتَّجَلى وجمهور المشّائين على انّه تعالى ليس فاعلا بالتَّجَلى بل هو فاعل بالعناية والصُّوفية قالوا بالعكس اى انّه تعالى فاعِل بالتَّجَلى نعم ذهب المعتزلى الى انّه تعالى فاعل بالقَصد حيث انّهم علَّلُو افعاله تعالى مُعلّلاً بالأعراض الزّائدة على ذاته هذا كلّه على مَسلَك حكماء المشّاء وامّا حكماء الأشراق فَسَلكوُا مَسلكاً آخر وهو انّهم قالوا بانّه تعالى فاعل بالرّضا بناءً على ثبوت المثلُ النُّورية عندهم وعليه فيصير جمع الأقوال فى اقسام الفاعل سَبعة والاقوال فى كونه تعالى من ايّ اقسام الفاعل اربعة.

احدها: كونه فاعلا بالعناية وهو قول المشّائين.

وثانيها: انّه فاعل بالتَّجَلى وهو قول الصُّوفية.

وثالثها: انّه فاعل بالقَصد وهو قول المعتزلة.

ورابعها: انّه فاعل بالرّضا وهو قول الأشراقيّين هذا.

وقد نقل صدر المتألّهين (قدّه) فى الاسفار فى فاعليّته تعالى اقوالاً اكثر ممّا ذكرناه قال (قدّه):

فاعلم: انّه ذَهَب جمع من الطّباعية والدَّهريّة خَذلَهم الله تعالى الى انَّ مبدءِ الكُلّ فاعل بالطَّبع وجُمهور المتكلّمين (غرضه المعتزلة) الى انّه فاعل بالقَصد والشّيخ الرّئيس وفاقالجمهور المشّائين الى انّ فاعليّته للأشياء الخارجيّة بالعناية واللصّور العلميّة الحاصلة فى ذاته على رأيهم بالرّضا وصاحب الأشراق تبعا لحكماء الفرس والرّواقيّين الى انّه فاعل للكّل بالمعنى الأخير (اعنى الفاعِل بالرّضا) انتهى ما ذكره ولم يذكر الصّوفية ولكنّه زاد على الأقسام الفاعل بالطَّبع فالأقوال عليه ايضاً اربعة: ثمّ قال (قدّه): انّ فاعل الكلّ لايجوز اتّصافه بالفاعليّة بأحدٍ من الوجوه الثّلاثة الاوّل (اعنى بالطّبيعة والقَسر والجَبر)

وانّ ذاته اَرفع من ان يكون فاعلاً بالمعنى الرّابع (اعنى الفاعل بالقَصد) لأستلزامه مع قطع النّظر عن الأضطرار التّكثُر بل التّجسُم تعالى عن ذالك عُلوّاً كبيراً، فهو امّا فاعل بالعِناية او بالرّضا وعلى ايّ الوجهين فهو فاعل بالأختيار بمعنى ان شاءَ فعَ وان لَم يَشاء لم يَفعل لابالايجاب كما توهّمَه الجماهير من النّاس فانّ صحّة الشّرطية غير متعلّقةٍ بشيىءٍ من مُقدّمها وتاليها بل وجوبه او كذبه بل امتناعه الّا انّ الحقّ هو الاوّل منها فانّ فاعل الكلّ كما سيجىء يعلم الكلّ قبل وجودها بعلمٍ هو عين ذاته فيكون علمه بالأشياء الّذى هو عين ذاته مَنشاءً لوجودها فيكونً فاعلا بالعناية انتهى ما ذكره (قدّه):

ثمّ انّ الفِعل الصّادر من الفاعل اذا كان مَسبوُقاً بالعلم والأرادة والاختيار لابدّ له من غايةٍ مُترتبّةٍ عليه وقد تُسمّى بالغَرض ايضاً والغاية على ما فَسّروها، ما لأجله الشّيىء.

وذالك لانّهم قالوا انّ المختار من كان فِعلُه مَسبوُقاً بالمبادى الأربعة الحياة، والعِلم، والمشيّة، والقُدرة، فكون الفعل مَسبُوقا بهذه الأربعة هُو مِعيار الأختيار وامّا دوام الفعل ووجوبه فلا يصادمه والأمتناع بالاختيار لاينافى الأختيار وحيث انّ فعل الواجب مسبوقٌ بالمبادى الاربعة فهو فاعل مُختار.

امّا كونه مسبوقاً بالحياة فَلِما ثَبَت انّه حيٌّ والّا يلزم ان يكون مُعطى الحياة فاقداً لها وهو محال.

امّا كونه مسبوقا بالعِلم، فالدّليل عليه بعد ما ثبت فى التّوحيد انّه عالمٌ والعلم عين ذاته، انّ الافعال الصّادرة منه تعالى مُتقَنةٌ مُحكمَة والفعل المُتقَن المُحكم لايَصدر الّا من الفاعل العالم، وثانياً ـ انّه تعالى اَوجد المَوجودات وفيها العُلماء فلو لم يكن عالِماً ومع ذالك اَعطى العلم لها يلزم ان يكون مُعطى الشّيىء فاقداً له وهو محال.

وامّا كونه مَسبُوقاً بالمَشية، اعنى ان شاء فَعَل وان لَم يَشاء لم يَفعل او يقال المراد منها الوجود المُنبسط الّذى به صارت الموجودات موجودة وعلى ايّ

التّقادير لاشُبهة فى كون افعاله مَسبوقاً بمشيّتِه كما ورد فى الحديث خلق الله الأشياء بالمَشيّة والمَشيّة بنفسها.

وامّا كونه مسبوُقاً بالقُدرة فهو ايضا ظاهر فانّ الحياة تَستلزم العلم والقُدرة لكون الحياة ملازمة لهما، فانّ الحَىّ هو الدَّراك الفَعّال، اى العالم القادر وقد ثَبَت انّه حىٌّ فَثَبَت انّه عالمٌ قادرٌ وهو المطلوب.

اذ اعرفت انّه تعالى فاعلٌ مختار فاعلم انّ الفعل الصّادر من الفاعل المختار لايكون بلا غَرضٍ ولا غايةٍ والّا يكون عَبثاً فانّ الفعل العَبث ما لايترتّب عليه غَرضٌ ولا غايةٌ وعليه فكلّ فعلٍ صَدَر عن الفاعل لا يَخلوا امّا ان يَترتّب عليه غَرَضٌ او لايَترتّب ولا ثالث لهما لعدم الواسطة بين الغَرض وعدمه والغاية وعدمها فالغَرض وعدم الغَرض متقابلان لايمكن جَمعهما ولا رفعهما فان كان الفعل بلاغرض فهو عَبَثٌ وان كان مع الغَرض فهو غير عبث وحيث انّه لايمكن القول بانّ الله تعالى خَلق الخلق من دون غَرَض للزومه العَبَث وهو منزّهٌ عنه فلامحالة يكون فى فعله غَرَضٌ حتّى لايكون عَبَثاً كيف لا وقد قلنا انّ الغاية ما لأجله يكون الشّيىء.

ان قلت ـ على ما ذكرت من كون افعاله مُعلّلاً بالغَرَض يلزم ما اورده الشّارح البحرانى من كونه تعالى مُستكملاً به وهو يوجب فقره وامكانه والّا فلا فائدة فيه.

قلت ـ الغاية فى الفعل تارةً تكون نفس الفاعل وذاته و تارةً تكون زائدةً عليه فما ذكره من الأشكال انّما يتمّ على الثّانى دون الاوّل وما نحن فيه من قبيل الاوّل.

وبعبارة اخرى: ما ذكره يلزم بناء على كونه تعالى فاعلا بالقَصد وهو الّذى يصدر عنه الفعل مَسبوُقاً بارادته المسبوُقة بعِلمِه المُتعلّق بغَرَضه من ذالك الفعل والغَرض زائدٌ على ذاته وقد قلنا انّه تعالى ليس فاعلاً بالقصد بل هو فاعل بالعناية او بالرّضا، او بالتّجَلى وليسَ فى كلّ واحد منها غرضاً زائداً على

ذاته حتّى يلزم المَحذوُر الّذى ذكره (قدّه).

وبعض المحقّقين قال بانّ الغاية ما يَنتهى اليه الفعل والغَرض ما لأجله الفِعل فَعَليه لكلّ فِعلٍ من الأفعال سَواء كان من الافعال الطّبيعيّة او القَسريّة او غيرهما من اقسام الفاعل غايةٌ، وامّا الغَرَض فلا يكون الّا للمختار وامّا على ما قلناه من انّ الغاية ما لأجله الشيىء فلا فرق بينهما وبين الغرض ولا مشاحة وفيه بحث آخر والكلام فعلاً فى اثبات الغرض فى فعله تعالى وعدمه واذا قلنا الغاية فمرادنا بها ايضاً هو هذا المعنى لا ما يَنتهى اليه الفعل.

ومُحصَّل الكلام هو انّ الله تعالى خالقٌ وفاعلٌ لهذه الموجودات بلاغَرَض زائدٍ على ذاته وامّا انّه لاغَرَض له اصلا فلا لانّ الفاعل المختار متى كانت نسبة المعلول اليه امكانيّة من دوُن داعٍ ومقتضٍ لصُدوره يكون صدوره عنه مُمتنعاً لأمتناع كون المُساوى راجحاً فانّ تجويز ذالك من العاقل ليس الّا قولاً باللّسان دون تصديقٍ بالقلب فذالك الدّاعى هو غاية الأيجاد وهو قيد يكون نفس الفاعل كما فى الواجب تعالى لانّه تامّ الفاعليّة فلو احتاج فى فعله الى معنى خارج عن ذاته لكان ناقصاً فى الفاعليّة وقد ثبت انّه مُسَبّب الأسباب وغاية الغايات، وكلّ ما يكون فاعلاً اوّلاً لايكون لفعله غاية اَوليّة غير ذاته الغايات كسائر الأسباب تستند اليه فلو كان لفعله غاية غير ذاته فان لم يستند وجودها اليه لكان خَرق الفرض وان استند اليه فالكلام عائد فيما هو غايةٌ داعيةٌ لصدور تلك الغاية المفروُضة كونها غير ذاته تعالى وهكذا حتّى ينتهى الى غايةٍ هى عين ذاته.

فذاته تعالى غاية للجميع كما انّه فاعل لها والواجب بالذّات واجب من جميع الجهات فلا يوُجد فيه نقصٌ ابداً هذا.

ويمكن لنا الاستدلال على المُدعىٰ اعنى نفى الغَرض الزّائد على ذاته لانّفيه مطلقاً كما توهّم الشّارح البحرانى وامثاله بالعَقل والنّقل.

امّا الدّليل العقلى عليه: فحاصله انّ واجب الوجود اَعظَم مُبتَهجٍ بذاتِه وذاته

مَصدَر لجميع الاشياء وكلّ من اَبتَهج بجميع ما يَصدُر عن ذالك الشّيء من حيث كونها صادرة عنه فالغاية له فى ايجاد العالم نفس ذاته المُقدّسة وكلّ ما كانت فاعليّته لشيىء على هذا السّبيل كان فاعلاً وغايةً لذالك الشّيء فهو تعالى فاعلٌ، وغايةٌ وهو المطلوب.

ان قلت ـ على ما ذكرت من انّ الغاية فى ايجاد العالم نفس ذاته المُقدّسة فما معنى قوله تعالى يُحبّهم ويُحبّونه، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[1] وامثال ذالك من الآيات الدّالة على انّ الله له مَحَبّةٌ بغيره.

قلت ـ الحُبّ على قسمين، حُبٌّ بالذّات وحُبٌّ بالعَرَض، والمنفىّ فى حقّه تعالى بالنّسبة الى غيره هو الاوّل لاالثّانى وذالك لانّ الله تعالى يُحبّ ذاته وقد ثَبت انّ من اَحبَّ شيئاً اَحَبّ آثاره فالحُبّ للذّات ذاتىّ وللآثار عَرَضىٌّ وبتَبَع الذّات وحَبّه لغيره من هذا القبيل.

وبهذا ظهر لك ايضاً انّ ما قيل انّ العالى لايريدُ السّافل ولا يلتفت اليه والّا لزم كونه مُستكملاً بذالك السّافل لكون وجوده اولى من عدمه والعِلّة لاتستكمل بالمَعلوُل مَدفوع وَجه الدّفع هو انّ المراد بالمَحبّة والألتفات المَنفييّن عن العالى بالنّسبة الى السّافل هو ما هو بالذّات وعلى سبيل القَصد لا ما هو بالعَرَض وعلى سبيل التّبعَية فلو اَحَبّ الواجب تعالى فِعله واراده لأجل كَونه اثراً من آثار ذاته ورَشحاً من رَشحات فَيضه وَجوُده لايلزم من اَحبّه تعالى لذالك الفِعل كون وُجوُده بَهجَةً وخيراً له تعالى بل بَهجَته انّما هى بما هو مبحبوُبه بالذّات وهو ذاته المتعاليّة الّتى كّل كمالٍ وجمالٍ رَشحٌ، وفَيضٌ من كَماله وجَماله.

نقل بعض الفلاسفه انّه قرء القارى بين يَدى الشّيخ ابى سعيد ابن ابى الخَير قوله تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ فقال الشّيخ الحقّ انّه يُحبّهم لانّه لايُحبّ الّا

١- آل عمران- ٣١

نَفسه فليس فى الوُجود الّا هو وما سواه من صنعه والصّانع اذا مدح صُنعه فقد مَدحَ نفسه ومن هذا يظهر حقيقته ما قيل لولا العِشق ما يوجَد سَماءٌ ولا ارضٌ ولا برٌّ لا بَحرٌ.

والغرض انّ مَحبّة الله للخلق عائدة اليه فالمَحبوُب والمراد بالحقيقة نفس ذاته تعالى لذاته كما انّك اذا اَحببت انساناً فتُحبّ آثاره لكان مَحبوُبك بالحقيقة ذالك الأنسان كما قيل.

وما حُبّ الدّيار شَغَفن قلبى ولكن حُبُّ مَن سَكَن الدّيارا

فظهر بذالك كلّه انّ الغرض من ايجاد العالم له تعالى ليس امراً زائداً على ذاته حتّى يكون مُستكملاً به تعالى الله عنه بل الغَرَض هو ذاته بذاته وهذا لاينافى شيئاً ممّا ذكروه فى التّوحيد وانّه غنّى بالذّات.

فقول اميرالمؤمنين عليه السلام فى المقام يدلّ على انّه تعالى لَم يَخلُق ما خَلَقه للأغراض الزّائدة عن ذاته من تَشديد سُلطانٍ ولا تَخَوّفٍ من عواقب زمان الى آخر ما ذكره فانّ كلّ ما ذكره عليه السلام فى المقام من الأعراض الزّائدة مَنفيّة عنه قَطعاً ومَفهوم كلامه عليه السلام يؤيّد ما ذكرناه بل يدلّ عليه فانّ نفى الأعراض الزّائدة على الذّات لايوجب نفى غيرها بل يُثبته ويُحقّقه فالمفهوم من كلامه عليه السلام انّ غرضه من ايجاد العالم غير هذه الأمور وهو الأبتهاج والسُّرور بذاته لذاته وهذا هو الّذى اَردنا استنباطه من كلامه هذا كلّه من حيث العَقل.

واما النّقل: فمنه ـ قوله تعالى: **﴿اَفَحَسِبْتُمْ اِنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَاَنَّكُمْ اِلَيْنا لاتُرْجَعُونَ﴾**[1] دلّت الآيه على انّه تعالى لم يَخلق الخَلق عَبثاً فانّ الهَمزَة للأستفهام الأنكارى اى ليس كذالك وعليه فالمعنى انّا ماخَلقناكم عَبثاً وانتفاء العَبث يوجب اثبات الغَرض لعدم الواسطة بينهما اذ الغَرَض هو عدم العَبث كما انّ العَبَث عدم الغَرض وحيث نفى الله سبحانه فى الآية العَبَث فى الخِلقه فيلزم فيها اثبات الغَرض لما ذكرناه والغرض هو الرُّجوع اليه تعالى لقوله

١- المؤمنون- ١١٥

تعالى: ﴿وَاِنَّكُمْ اِلَيْنا لاتُرْجَعُونَ﴾اى انّكم الينا ترجعون فاذا كان عدم الرّجوع اليه تعالى بزَعمهم هو العَبث فى الخِلقة فلا محالة يكون رجوع الخَلق اليه عدم العبث وهو الغرض فالآية دلّت بالمفهوم على انّ الغرض من الخِلقه هو الرّجوع اليه تعالى واذا كان الغَرض هو الرّجوع اليه فذاته تعالى هو الغاية والغرض لاغيره وهو المطلوب. و منه قوله تعالى:﴿وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ اِلّا لِيَعْبُدُونَ﴾[1]تقريب الاستدلال بها هو انّه تعالى جَعل غاية الخلقة هى قوله ليَعبُدون، واللّام فيه للغاية وقد قالوا انّ المراد به هو المَعرفة اى ليَعرفون وعليه فغاية الخلقة هى المعرفة بالله اى معرفة ذاته وصفاته وهو يدلّ على كون الغَرض من خلق الموجودات معرفة ذاته فأنحصر الغرض فى الذّات فالذّات المتعالية غاية ونهاية كما انّها بذاته فالله تعالى هو المَبدَء والمُنتهى وهو المطلوب. ومنه ـ قال اللّه تعالى : ﴿رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾[2]

و : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذا باطِلاً﴾[3]

و : ﴿مٰا خَلَقَ اللهُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما بِالْحَقِّ﴾[4]

و : ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً﴾[5]وامثال ذالك من الآيات.

دلّت الآيات على انّ الله تبارك وتعالى ما خَلَق السّموات والأرض وما بينهما باطلاً والباطل هو العَبَث، وصَرّح فى الآية الخامسة انّه ما خَلقَها الّا باالحَقّ اى بغير العَبث وقد قلنا انّ العَبَث ما لاغَرض فيه فَثَبت الغرض وهو لايكون الّا ذاته تعالى وهو المطلوب.

ومن النّقل: قوله تعالى: فى الحديث القُدسى كُنت كَنزاً مَخفياً فأحببت اَن اعرَف فَخَلقتُ الخَلَق لكى أُعرَف، الحديث.

وهو يدلّ على انّ غاية الخلقة هى معروفة ذاته ولا شكّ انّ مَعروفَته تعالى

١-الذاريات- ٥٦
٢-آل عمران- ١٩١
٣-آل عمران- ١٩١
٤-الروم- ٨
٥-ص- ٢٧

ليست زائدةً على ذاته بل هى عين الذّات كما انّ صفاته الأخرى عين ذاته.

وبعبارة اخرى: مَعرُوفيّته وجوده الرّابطى لِلأنسان الكامل وبعبارة ثالثة الغاية المَعرُوفيّة الشّهوديّة ومعلوميّتة لِلعُلماء بالله عِلماً حُضوريّاً فى الغاية بحيث لايبقى عالمٌ ولا عارفٌ كما فى الطَّمس الصِّرف وَالمَحق المَحض والفَناء على الفَناء فَتَدبّر فيه ان كنت اهلاً له.

ومنه ـ ماوَرد فى حقّ سيّد الرّسل فى ليلة المِعراج يا اَحمَد خَلقتك لأجلى وخَلقتُ الخَلق لأجلك، وتقريب الاستدلال فيه ظاهر فانّ قوله خَلَقتُك لأجِلى فى المُدّعى والآيات والاخبار فى الموضوع كثيرة.

تنبيه: قال فى الاسفار انّك لو نَظَرت حقّ النّظر الى العلّة الغائية وجدتها فى الحقيقة عين العلّة الفاعليّة دائماً انّما التغاير بحسب الأعتبار فانّ الجائع مثلا اذا اَكَل ليَشبَع فانّما اَكَل لانّه تَخَيّل الشَّبع فَحاوَل ان يستكمل وجود الشَّبع فيَصير من حدّ التَّخيُّل الى حدّ العَين فهو من حيث انّه شَعبان تَخيّلاً هو الّذى يأكل ليَصير شَبعان وجوداً فالشّبعان تخيّلا هو العلّة الفاعليّة لما يَجعَله فاعلاً تامّاً والشَبعان وجوداً هو الغاية المترتّبة على الفعل فالأكل صادرٌ من الشَّبع ومَصدر للشّبع باعتبارين مُختلفين، فهو باعتبار الوجود العلمى فاعل وعلّةٌ غائيّةٌ وباعتبار الوجود العَينى غاية فاعلم انّ العلّة الغائية لاتنفكّ عن الفاعل والغاية المترتّبة على الفعل ايضا سترجع اليه بحسب الأستكمال الى آخر ما ذكره، ثمّ قال بعد اَسطرٍ ما هذا لفظه: ثمّ اعلم انّه قد وُجد فى كلامهم انّ افعال الله تعالى غير مُعلَّلَةٍ بالأغراض والغايات وَوُجد كثيراً فى السنتهم انّه تعالى غاية الغايات وانّه المَبدء والغاية وفى الكلام الألهى، اَلا اِلى الله تصير الأمور، واِنّ اِلى ربّك الرّجعى الى غير ذالك ممّا لايُعدّ ولا يُحصى فان كان المراد من نفى التّعليل عن فعله تعالى نفى ذالك عنه بما هى غير ذاته فهو كذالك لما سبق من انّ الفاعل الاوّل يجب ان يكون تامّاً فى فاعليّته لايمكن ان يتوقّف على غيره فى الفاعليّة لكن لايلزم من ذالك نفى الغاية والغرض عن فعله مطلقاً كما عَلمت سابقا

فَلَك ان تجعل عَلمَه تعالى بنظام الخير الّذى هو عين ذاته تعالى علّةً غائيّة وغرضاً فى الأيجاد ثمّ قال

فان قلت ـ العلّة الغائية كما صرّحوُا به هى ما يقتضى فاعليّة الفاعل فيجب ان تكون غير ذات الفاعل ضَرورة مغايرة المُقتِضى للمُقتضىٰ.

قلت ـ هذه المسامحات فى كلامهم كثيرة فانّهم ما يطلقوُن الأقتضاء على المعنى الأعمّ منه الّذى هو مُطلَق عدم الأنفكاك اعتماداً على فهم المُتدرّب فى العُلوم كيف ولم يَقم برهانٌ ولا ضَرورة على انّ الفاعل يجب ان يكون غير الغاية فى الحقيقة فانّ الفاعل هو ما يفيد الوجود والغاية هى ما يفاد لأجله الوُجود سواء كان عين ذات الفاعل او اعلى منها، اَلَيسَ لو فرضنا الغاية امراً قائماً بذاته وكان ذالك الأمر مصدر فعلٍ ذاتىٍّ لكان فاعلاً وغايةٌ فعلم انّ مراد الحكماء من الغاية الّتى نَفَوها عن فعله تعالى هو ما يكون غير نفس ذاته فى كرامة او محمدةٍ او ثَناءٍ او ايصال نفع الى الغَير او غير ذالك من الأشياء الّتى تَترتّب على فعله من دون الألتفات اليها من جانب القُدس وامّا الغاية بمعنى كون عِلمه بنظام الخير الّذى هو عين ذاته داعياً له الى افادة الخير بوجه الّذى ذكرناه اوّلاً فهو ممّا ساق اليه الفَحص والبُرهان وشَهدت به عُقول الفُحول واذهان الأكابر والأعيان وقد نصّ عليه الشّيخ الرّئيس فى التّعليقات بقوله: ولو انّ انساناً عَرف الكمال الّذى هو واجب الوجود بالذّات ثمّ كان ينظم الامور الّتى بعده على مثاله حتّى كانت الأمور على غاية النّظام لكان غرضه بالحقيقة واجب الوجود بذاته الّذى هو الكمال فان كان واجب الوجود بذاته هو الفاعل فهو ايضاً الغاية، والغَرَض انتهى. قال (قدّس سرّه):

ثمّ نقول: كما انّ المبدء الأوّل غاية الأشياء بالمعنى المذكور، فهو غاية بمعنى انّ جميع الأشياء طالبة لكمالاتها ومُتشبّهة به فى تحصيل ذالك الكمال بحسب ما يتصوّر فى حقّها فلكلّ منها عشقٌ وشَوقٌ اليه إرادّياً كان او طَبيعيّاً والحكماء المتألّهون حَكَموا بسَريان نورُ العشق والشّوق فى جميع

الموجودات على تفاوت طَبقاتهم فالكائنات بأسرها كالمُبدعات على اعتراف شَوق من هذا البَحر الخَضيم وإعترافِ مُقرٌّ بوحدّانيّته الحقّ القديم، فلكلٍّ وجهةٌ هُو مُولّيها، يَحنّ اليها ويقتَبس بنار الشّوق نور الوصول لديها واليها الأشارة فى الصّحيفة الالهيّة بقوله تعالى: **﴿وَانْ مِنْ شَيْىءٍ اِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾**[1] موضع الحاجة منه، ثمّ اطال (قدّه) الكلام فى بيان كَيفيّة الشّوق بما لامزيد عليه ومن اراد الاطّلاع على حقيقة الحال فعليه بالرّجوع الى الأسفار ان كان من اهله.

اقول: الغرض من نقل كلامه هو انّك تعلم انّ ما ذكرناه فى المقام من انّ افعاله تعالى ليست بلا غرض مطلقاً بل معلّلة بنفى الاغراض الزّائدة على ذاته مؤيّد بالآيات والاخبار وكلمات الأساطين من فُحوُل الفلاسفة فما ذكره الشّارح المحقّق البحرانى من نفى الغَرَض مطلقاً امّا انّه على القول بكونه تعالى فاعلاً بالقَصد وإمّا انّه من باب أشتباه الأمر عليه فانّه (قدّه) لمّا رأى الفلاسفة يقولوُن بانّ افعاله تعالى ليست مُعلّلة بالأعراض زَعم انّ غَرضَهم من هذا الكلام نفى الغرض المُطلَق ولم يعلم انّهم اراد ومنه نفى الغَرَض الزّائد على الذّات.

فاذا عرفت هذا، فاعلم إنّ غرض اميرالمؤمنين عليه السلام واللهُ اَعلَم هو نفى الغرض الزّائد على ذاته وذَكَر منه اموراً كلّها من هذا القبيل وهذه الامور المذكورة فى المتن خمسة:

احدها قوله عليه السلام: **لَمْ يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطانٍ**،...

اشار عليه السلام: بقوله هذا الى انّه تعالى لم يَخلقهُم لتَشديد سلطنته وعظمته كما فى السّلاطين الظّاهرة حيث انّهم يحتاجون الى الأفراد، والأتباع فكل من كان اتباعه واشياعه اَكثر كان قدرته وسلطته اَعظَم وبالعكس بالعكس وحيث انّ السّلطنة تَقبل الشّدة والضّعف لكونها مقولة بالتّشكيك على مصاديقها فَعَبّر

١- الاسراء- ٤٤

عليه السلام في المقام بكلمة التّشديد اشعاراً بانّ سلطنته تعالى ما كانت ضَعيفة قبل الخَلق حتّى صارت بسبب المخلوقات قَويّةً شَديدة.

وذالك لانّه لو كان الأمر كذالك يلزم احتياجه الى الخلق في تشديد سلطانه والأحتياج من لوازم الأمكانيّة بل هو عينها وقد فرضنا كونه واجباً وهذا خلف.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَّلاَ تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ زَمانٍ،...**

وهذا هو الأمر الثاني من الأمور الزّائدة المَنفيّة في حقّه تعالى فانّ الخوف من عواقب الزّمان من الضّعف والجُبن والله تعالى مُنزّهٌ عنها امّا الضعف فقد مرّ انّه قادرٌ على كلّ شيىء والقُدرة المطلقة العامة تنافي الضّعف وامّا الجَبن فلانّه لايَتحقّق الّا بالنسبة الى مَن هو اَقوى منه ضَرورة انّ الجُبن من الأضعف لامعنى له واذا كان كذالك فيلزم ان يكون في الوجود من هو اقوى منه او يمكن ان يوُجَد وقد دَلّلنا فيما سبق انّ الله تعالى اَقوى واَقدر من كلّ شيىءٍ اذ القُوّة والقُدرة منه فلا يكون شيئا اقوى منه وهو المطلوب.

ويمكن ان يكون المراد بعواقب الزّمان الحوادث الواقعة فيه وهو ايضاً منفيٌّ عنه تعالى اذا الحوادث كلّها من ناحيته وبأمره فكيف يعقل خوفه تعالى ممّا او جَدَه.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَلاَ اِسْتِعانَةٍ عَلىٰ نِدٍّ مُثاوِرٍ،...**

وهذا هو الثّالث من الأمور المَنفيّة في حقّه، والنِّد هو المشارك في جَوهر الشّيء وهو ضَربٌ من المماثلة فانّ المثل يقال في ايّة مشاركةٍ كانت فكلّ نِدّ مِثلٌ وليسَ كلّ مثلٍ ندّاً قال الله تعالى:﴿**فَلاٰ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ اَنْداداًوَ اَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1]

و : ﴿**وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دوُنَ اللهِ اَنْداداً**﴾[2]

و : ﴿**وَتَجْعَلوُنَ لَهُ اَنْداداً ذالِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ**﴾[3]

وجه الأنتفاء ـ انّ الله تعالى واجب الوجود وقد ثبت في العقليّات والنّقليّات

١- البقرة- ٢٢
٢- البقرة- ١٢٥
٣- الفصلت- ٩

توحيده بمعنى انّه لاشريك له فى الوهيّته وعليه فى العقليّات والنّقليّات توحيده بمعنى انّه لاشريك له فى الوهيّته وعليه فان كان الغرض من الخلق هو الأستعانة على النِّد فامّا ان يكون هذا النِّد مشاركاً فى جوهر ذاته له او لايكون، لاسبيل الى الثّانى لانّه ليس بنِدٍ ولا الى الأوّل لعدم الشّريك له تعالى كما ثَبت فاالنِّد لاوُجود له مضافاً الى كون وجوده لغواً لانّ النِّد ان كان الغَرَض من ايجاده الأستعانة به فيلزم احتياج الواجب الى غيره وقد قلنا انّ واجب الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات والأحتياج الى الغير من خواصّ الممكن وقد فرضناه واجباً هف، وان كان الغرض عدم الأستعانة به بمعنى انّ وجوده وعدمه بالنّسبة الى الواجب سيّان فوجوده كعدمه وهذا هو المراد بكون وجوده لَغواً.

هذا كلّه بناء على كون كلمة (**مثاور**) بالثّاء المُثلثة كما هو الظّاهر من النّسخ وهو بمعنى المُواثب يقال وَثَب وثَوباً نَهَض وقام، ويقال واَثبه مُواثبة بادَره واَنقض عليه.

وامّا بناء على كون الكلمه بالشّين المُعجَمة من شاور يُشاور، كما هو ايضاً محتمل فالمعنى اَظهَر، وعلى ايّ تقديرٍ المقصود انّه تعالى لم يخلق الخلق للأستعانة بهم فى اموره او مَشورته ايّاهم لانّ هذه الامور كلّها تنافى الواجبيّة ضرورة انّ الأستعانة بالغير دليل على الاحتياج والضّعف

ورابعها قوله عليه السلام: **وَلاٰ شَرِيكٍ مُكاثِرٍ**....

وهذا هو الرّابع منها اى لم يَخلق الخَلق ليكون له شريكاً فى مُلكه وقد تَكلّمنا فى نفى الشّرك عنه مفصّلاً فيما مضى والمُكاثر، اسم الفاعل من كاثر يكاثر يقال كاثره اى فاخَره بالمال او العَدد قال الله تعالى:**﴿اَلْهٰيكُمُ التَّكٰاثُرُ، حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ﴾**[1] اى التّفاخُر والمعنى انّه لاشريك له حَتّى يَفخَر احدهما على الآخر.

١- التكاثر- ١/٢

وقال الشّارح الخوئی فی شَرح الجملة ولا شریك او مثل، مکاثر، ای مُتعرّض للغَلبة، والحقّ انّ التّعبیر بالمکاثر الّذی من باب المفاعلة یستدعی التّعرض للغَلبة من الطّرَفَین لا من جانب الشّریك فحسب کما توهّمه (قدّه) فانّ باب المفاعلة یستدعی الطّرفین وعلیه فالمقصود انّه اذا کان له شریك فی مُلکه فکلّ واحد منهما یرید الغَلَبة علی الآخر.

وخامسها قوله: **وَلاٰ ضِدٍ مُنٰافِرٍ،...**

وهذا هو خامس الأمور المَنفیّة عنه تعالی وذالك لانّ الضّدین امران وجوُدیاً یَتعاقَبان علی موضوعٍ واحدٍ وبَینهما غایة الخلاف ویکونان داخلین تحت جنسٍ قریبٍ وحیث انّ الواجِب تعالی حَقیقه الوجود لاشیءٌ له الوجود ونَفس الوجود لامَوضوُعَ له ولا جَنس لَه ولا له غایة البُعد والخلاف مع شیءٍ فلا یتصّور له ضِدّ فالواجب لاضِدّ له، وقوله ﷺ: **مُنٰافِرٍ**، فیه اشارة الی ما ذکرناه من انّ الضّد لابدّ وان یکون مخالفاً منافراً الضِدِّه.

▫ **قوله ﷺ: وَلٰکِنْ خَلاٰئِقٌ مَرْبُوبوُنَ، وَعِبٰادٌ دٰاخِروُنَ،...**

کلمة (**لٰکِنْ**) تُؤتی بها للأستدارك کانّه قیل له ﷺ فایّ شیيء ذالك الخَلق فقال ﷺ: **وَلٰکِنْ خَلاٰئِقٌ مَرْبُوبوُنَ**،الخ وکَونهم مربوُبین لانّ الله تعالی هو الرَّب لَهم فلامحالة یکون الخلق مَربوُباً له فانّ الرّب والمَربوُب من المتضایفین اَمّا کونه تعالی ربّاً لهم فهو معلوم کما قال تعالی:**﴿اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ﴾**

و :**﴿قٰالَ رَبُّکُمْ وَرَبُّ اٰبٰائِکُمُ الْاَوَّلِینَ﴾**[1]

و :**﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ثُمَّ تُوبُوا اِلَیْهِ﴾**[2]والآیات فیه کثیرة فکذالك المَربوُب.

وقوله ﷺ: **وعبادٌ داخروُن** ای مَقهوُرون، مَغلوبوُن یقال: دَخَر الشّیيء اذا ذَلّ وَصَغُر، وهذا ایضا ممّا لاشکّ فیه فانّ المَربوُبیّة تلازم المَقهوُریّة وقد وَرَدت به آیاتٌ کثیرة واخبارٌ واَدعیةٌ متضافرةٌ متواترةٌ ولا نحتاج الی ذکرها فانّ احداً لایشکّ فی کونه وکون کلّ مخلوق ضعیفاً ذلیلاً بالنّسبة الی الخالق.

۱-الشعراء- ۲۶

۲-هود- ۹۰

▫ **قوله عليه السلام: لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ كَائِنٌ فِيهَا وَلَمْ يَنَاءَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ،...**

اى لَم يَحلُل الله تعالى فى الأشياء فيقال هو فيها اى فى الأشياء كائنٌ ثابتٌ ولم يَنَأعنها، اى لَم يَبعُد عن الأشياء، فيقال هو عن الأشياء بائنٌ وباعِدٌ وهذا كقوله داخل فى الأشياء لابممازجةٍ وخارجٌ عن الأشياء لابمزايلةٍ، وقوله عليه السلام: فى الخُطبة الأولى مع كلّ شيءٍ لابمقارنةٍ وغير كلّ شيءٍ لابمزايلةٍ، وقوله الآخر داخلٌ فى الأشياء لاكدُخول شيءٍ فى شيءٍ وخارجٌ عنها لاكخروج شيءٍ عن شيء وامثال ذالك من الكلمات فى الأخبار والآثار والخَطَب ونحنُ قد تكلّمنا فى هذا المعنى عند شَرحنا لخطبته الأولى إلّا انّه عليه السلام عَبَّر هناك بقوله مع كلّ شيءٍ وعَبَّر هنا بقوله عليه السلام: **لَم يَحلُل** وهناك قال لابمزايلةٍ وهنا قال بائنٌ والمآل فيهما واحد ولا يبعد ان يكون المقام من قبيل الرّد على الحُلولَيته حيث عَبَّر بقوله عليه السلام: **لَمْ يَحْلُلْ** وتوضيحه انّ بعض النّاس مِمّن لايُعباء بهم قالوُا بالحُلول والاتّحاد. والقائلون بالحُلول حيث شاهدوُا الحقّ ظاهراً فى مظاهره وما عرفوُا كَيفيّته وما حَصَل لهم الفرق بين الظّاهر والمُظهِر حَكموُا بحُلوله تعالى فى مظاهره وهو مذهب بعض النّصارى وبعض الفرق من الصُّوفية فانّ النّصارى ذهبوُا الى انّ الحقّ جَلّ وعلا حَلّ فى بَدن عيسى عليه السلام والصّوفيّة ذهبوا لى انّه حَلّ فى قلوُب بعض عباده ولكلّ واحدٍ منها فى هذا الباب مقالات طويلة، وكلمات غريبة نَعوُذ بالله منهم ومن مقالاتهم.

وامّا الأتحاد ـ فمعناه اتّحاد الحقّ مع الخَلق مع بقاء الأثنينيّة، والغَيريّة وبيانه: انّ من شاهد الحقّ فى مظاهره وشاهد نفسه مَعها بانّها من جملتها حَكَم باتّحادها بالحقّ وصار بذالك اتّحادياً ملعوُناً نَجساً وهو ايضاً مذهب النّصارى وبعض الصّوفية لَعنهم الله تعالى وامّا الصّوفية الحَقّه من ارباب الباطن فهم مُنزّهون عن هذه الأقاويل الفاسدة الكاذبة، ولتحقيق المقام موضع آخر.

فقوله عليه السلام: **لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: فِيهَا كَائِنٌ**، اشارة الى بطلان هذه

الأوهام الجزافيّة وانّه تعالى قد ظَهَر بصوُر كمالاته وخُصوصيّاته المسَّماة بالمظاهر وليس غيره فيها حَقيقةً واعتباراً، فح يكون هو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن والواحد والكثير والقريب والبعيد اى هو الاوّل من حيث الذّات والآخر من حيث الأسماء والصّفات الظّاهر من حيث الكمالات، والخصوصيّات، والباطن من حيث الوجود والذّات والواحد من حيث الذّات والكثير من حيث المَجالى والمَظاهر وهكذا.

▫ **قوله عليه السلام: وَلَمْ يَنَاءَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ...**

اشارة الى انّه ليس بينه وبين مظاهره تباعُدٌ بحسب المكان بل بحسب الأعتبار الّذى هو القَهر والقُدرة فانّ القُرب والبُعد المكانيّين من لوازم الجسم وهو تعالى مُنزّهٌ عنه كما ثَبت مضافا الى انّ الحُلول والبُعد يوجبان المَحُدوديّة والواجب غير مَحدوُد بشيءٍ من الأشياء وقد تكلّمنا فى هذا البحث فى المجلّد الاوّل فى الخُطبة التّوحيديّة.

▫ **قوله عليه السلام: لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَءَ وَلاَ تَدْبِيرُ مَاذَرَءَ،...**

اى لم يَثقُله ولَم يَعيه خَلق ما ابتَدء واختَرع ولا تدبير ما ذَرَء وبَرء،

امّا الاوّل: من الحكمين فهو اشارة الى قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلاٰ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمٰا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1]

والثّانى:

﴿يُدَبِّرُ الْاَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[2]

و : **﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ﴾**[3]

و : **﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّٰهُ﴾**[4]

و : **﴿يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْاَرْضِ﴾**[5] وحاصل الكلام انّه عليه السلام اَثبَت فى كلامه هذا حكمين:

١- البقرة- ٢٥٥
٢- الرعد- ٢
٣- يونس- ٣
٤- يونس- ٣١
٥- السجده- ٥

كلامه هذا حكمين:

احدهما قوله عليه السلام: **لَمْ يَؤُدهُ خَلقُ مَا ابتَدَءَ...**

وثانيهما قوله عليه السلام: **ولاتَدبير ما ذَرَء** وهو كذالك نقلا وعقلاً.

امّا النّقل: فقد ذكرنا الآيات فيه.

وامّا العقل: فلانّ الثّقل والخِفة والأحساس بهما من لوازم الجِسم والمجرّد بما هُو مُجرّد مُنزّهٌ عنهما وحيث قد ثَبت تجرّده تعالى وكَونه بريئاً من المادة ولواحقها فلا توجد فيه هذا المعانى هذا **اوّلاً.**

وثانياً: ما سوى الله معلولٌ له والمعلول رشحٌ من رَشَحات فَيض العلّة وحفظ العِلّة ايّاه وتَدبيرها له عبارة عن عدم انقطاع فيض العِلّة عن المعلول وهو لامحالة متحقّق وإلّا لَم يبقَ من المَعلول عَينٌ ولا اثرٌ.

وثالثاً: انّ حفظ الشّيىء والتّدبير له انّما يوجبان المَلالة والسّأم فيما اذا كان الجسم والفِكر مشغولين بهما واشتغالهم بهما لايتحقّق الّا لجلب المنافع او دَفع المَضّار وهما لايتصوّران الّا فى صورة الأحتياج والعجز، والضّعف والواجب تعالى مُنَزهٌ عن الكلّ كما ثبت وتقدّم القول فيه.

▫ **قوله عليه السلام: وَلاٰ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمّا خَلَقَ وَلاٰ وَلَجَتْ عَلَيهِ شُبْهةٌ فِيمٰا قَضىٰ وَقَدَّرَ،...**

ثمّ انّه نفى عن الواجب شئين واَثبَت له بالمفهوم شيئين، نفى عنه العَجز عمّا خَلق ولازمه اثبات القُدرة له، ونفى عنه الوَلوُج فى الشّبهات والشُّكوك فيما قَضى وقَدّر، ولازمه اثبات العلم واليقين بالنظّام الخير على الوجه الأصلَح الأكمل.

امّا البحث فى الجُملة الأولى ـ فقد مرّ الكلام فيها عند كلامنا فى القُدرة ومعلوم انّ اثبات القُدرة له تعالى ينافى العَجز فهو تعالى قادر على الخلق دائماً كما اشار اليه فى كتابه حيث قال: **﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ الَّذى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ قٰادِرٌ**

عَلىٰ اَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[1]

و : ﴿اَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ اَنْ يَخْلُقَ مِيْلَهُم﴾[2]

و : ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقٰادِرٍ عَلىٰ اَنْ يُحيِيَ المَوْتىٰ﴾[3]

و : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلَى اَربَعٍ يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ﴾[4]

و : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَختارُ﴾[5]

و : ﴿اَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمينَ﴾[6]

و : ﴿اِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ﴾[7]

و : ﴿كَما بَدَأْنا اَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا اِنّا كُنّا فاعِلينَ﴾[8]

و : ﴿يَزيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ اِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾[9]

و : ﴿اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلّاقُ الْعَليمُ﴾[10]

و : ﴿بَلىٰ وَ هُوَ الْخَلّاقُ الْعَليمُ﴾[11]

واما الكلام فى الثّانية فيقع تارةً من حيث النّقل وتارةً من جَهَة العقل.

امّا النّقل: فمن الآيات قال اللّه تعالى : ﴿فَاِذا قَضىٰ اَمْراً فَاِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾[12]

و : ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ طينٍ ثُمَّ قَضىٰ اَجَلاً﴾[13]

و : ﴿وَقَضَيْنا اِلَيْهِ ذٰلِكَ الْاَمْرَ اَنَّ دابِرَ هٰؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾[14]

و : ﴿وَقُضِيَ الْاَمْرُ وَ اِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ﴾[15]

و : ﴿وَقُضِيَ بَينَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لايُظْلَمونَ﴾[16]

١- الاسراء- ٩٩
٢- يس- ٨١
٣- الاحقاف- ٣٣
٤- النور- ٤٥
٥- القصص- ٨٦
٦- الاعراف- ٥٤
٧- ابراهيم- ١٩
٨- الانبياء- ١٠٤
٩- الفاطر- ١
١٠- الحجر- ١٦
١١- يونس- ٨١
١٢- البقرة- ١١٧
١٣- الانعام- ٢
١٤- الحجر- ٦٦
١٥- البقرة- ٢١٠
١٦- يونس- ٥٤

و : ﴿وَأَنْذِرهُم يَومَ الْحَسرةِ إذ قُضى الأمر﴾[1]

وامّا العقل : فلانّ الأشتباه فى الأمور كيفما كان يُنشَاء من الجهل وعدم العلم بالمَوضوع وهذا لايُتَصور فيه تعالى ضرورة انّه تعالى عالم بالخفيّات فَضلاً من غيرها فاذا ثبت كونه عالماً بجميع الامور ولا يَعزب عن علمه مِثقال ذرّة لافى الأرض ولا فى السَماء فكيف يَشتَبه عليه الأمر وهذا ظاهر لايحتاج الى اطالة الكلام ولاجل هذا اَردَف كلامه بقوله عليه السلام: **بل قضاءٌ مُتقنٌ وعِلمٌ مُحكَمٌ واَمرٌ مُبرَمٌ المأمولُ مَعَ النِّقَم المَرهوُب مع النَّعم**،...

كَلمة (**بل**) تُؤتى لِلأستدراك وذالك لانّه عليه السلام لمّا نفى عنه تعالى الأشتباه فى الأمور قال عليه السلام: **بل قضاءٌ** اى خال عن التَّزلزل والأضطراب، وعِلمٌ مُحكَمٌ، بَرىءٌ مِن الفساد والشَّك والغَلط، واَمرٌ مُبرَمٌ، مُوثَّقٌ غير مُحتمل لِلخَلط والزّيادة والنّقصان والغرض تنزيهه تعالى عن هذه الأمور وهو ظاهرٌ بَيّن.

وامّا قوله عليه السلام: **اَلْمَأمولُ مَعَ النِّقَمِ الْمَرْهوبُ مَعَ النِّعَم**، فهذان وصفان له تعالى فانّ الله تعالى هو المأمول مع النّقم والمَرهوب مع النّعم.

وتوضيحه انّ الانسان عن نُزول البلايا وحلولُ النّقمات يَتَوجّه الى ما وقع فيه يَتَضرّع ويَفزع الى الله تعالى اذ لامَلجاء له غيره كما انّه فى موارد الأحسان والنِّعَم يشكُر له تعالى ويَرهبُه فالأنسان فى صُورة الأولى يكون آملاً رَفع البَليّة عنه فَيصيرُ الله مأمولاً له وفى الثّانية راهباً راجياً شاكراً فيكون هو تعالى مَرهوباً له.

والغرض من هذا الكلام هو انّ الله تعالى يكون مَلجاءً وملاذاً للموجودات فى الشّدة والرّخاءِ والنِّعمة والنَّقَمة وهذا ممّا لاكلام فيه فانّ النّقمة والنّعمة منه على وِفق مَصلحته فلا يُعقل الألتجاء بغيره كما سيأتى فى موضَعه انشاء الله تعالى والحمد الله ربّ العالمين.

١- مريم- ٣٩

و من كلامٍ له عليه السلام (٦٥)

▫ قوله عليه السلام مَعَاشِرَ النّاس ،اِسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةِ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ ،وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَاِنَّهُ اَنبىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ، وَاَكْمِلُوا اللَّأمَةَ ،وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي اَغْمادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، والْحَظُوا الْخَزْرَ، واَطْعَنُوا الشَّزْرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَاء، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَاء، وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَعَاوِدُوا الكَرَّ ،وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِ فَاِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ،وَطَيبُوا عَنْ اَنْفُسِكُمْ نَفْساً ،وَ امْشُوا اِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَ عَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ ،فَاِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ،وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَاَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً، حَتّٰى يَنْجلّىٰ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَاَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُم اَعْمالَكُمْ.

◁ اللّغة

(مَعَاشِرَ)، جمع مَعشَر وهو الجماعة (،اِسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةِ) اى اضمِرُوها من استَشعَر الرَّجُل اذا لَبَس الشّعار وهو مايلى الجَسَد من الثّياب (تَجَلْبَبُوا) اَمرٌ من تَجلبب كتَد حَرَج اى البِسوا (السَّكِينَةَ) والوقار (عَضُّوا) اَمرٌ مِن عَضَّ يقال عَضضت اللّقمة بها وعَليها اَمسكتُها بالأسنان (النَّوَاجِذِ) بالذّال المُعجَمة اواخر الأسنان وقيل الّتى بعد الأنياب (اَنبىٰ) من نَبَاء السّيف اذا كَلَّ ورَجَع فى الضَّربة

(**واللَّأَمَةَ**) كَتَمرة الدِّرع، (**وَالقِلقلَة**) التَّحريک (**الأَعْمادِ**) جَمع عَمَد وهو بَيتُ السَّيف (**سَلِّها**) سَلَّ السَّيف اَخرَجه من الغَمَد (**اَلْخَزْرَ**) بفتح الخاء وسكون الزّاء المُعجَمتين النَّظَر بمُوخَّر العَين وتضييقها ولَحظُ الخَزر من امارات الَغضَب (**الشَّزْرَ**) بفتح الشّين وسكون الزّاء الطَّعن على غير استقامة بل يَميناً وشمالاً (**نَافِحُوا بِالظُّبَاء**) المُنافِجة المضاربة، والظُّباء كَهُدا جَمع ظبة وهى حَدُّ السَّيف والسّنان، (**وَصِلوُا السُّيُوفَ بِالْخُطَاء**) الخُطا بالضَمّ جمع خُطوَة وهى ما بَين القَدَمين (**اَلْكَرَّ**) الرُّجوع (**الأَعْقَابِ**) جمع عَقِب اى الوَلَد ووَلَد الوَلَد الخ (**سُجُحاً**)، بضمّتين السَّهل (**سَوادُ**) النّاس عامّتهم (**والرَّواقِ**) ككتاب الفُطاط (**المُطَّنَبِ**) المَشدوُد بِالطّناب (**ثَبَجَهُ**)،ثبَجَ الشّى بالتَّحريک وَسَطه (**كَامِنٌ**) فاعل مَن كَمِن اذ اخفِى (**كِسْرِهِ**) كِسر الجناء بالكسر الشّقة السّفلى (**اَلوَثَبة**)الطّفرة (**النُّكُوصِ**) الرّجوع (**الصَّمداً**) القَصد (**يَنْجَلى**) الانجَلاء الانكَشاف (**يَتِرَكُمْ**) من وترَتُ زيداً حقّه واتره من باب وَعد نقصتُه انتهى.

◁ المعنى

خاطب ﷺ اصحابه فى الصّفين وقال لهم **مَعاشِرَ النّاس ،اِسْتَشْعِروُا الْخَشْيَةِ**، من الله تعالى وشِعاركُم (**وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ**) اى اتّخذوا الوقار والطُّمأنينة كااللّباس والجلباب لكم (**وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ**) اى اَمسِكو على الأضراس الأنياب (**فَاِنَّهُ**) اى العَضّ عليها (**اَنبىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الهام**) اى اشدّ ابعاداً لها (**وَاَكْمِلوُا اللَّأمَةَ**) اى اَكمِلو الدُّروع والآت الحَرب (**وَقَلْقِلُوا**) اى حَركّوُا (**السُّيُوفَ فِى اَغْمادِها قَبْلَ سَلِّها**)، ليَسهَل السَّل وقت الحاجة (**والْحَظُوُا الْخَزْرَ**) اى انظرو بمُوخَّر العَينَ (**واَطْعَنُوا الشَّزْرَ**) اى يَميناً وشُمالاً (**وَنافِحُوا بِالظُّبَاء**) اى قاتلوُا بالسُّيوف (**وَصِلوُا السُّيُوفَ بِالْخُطَاء**)، بضم الخاء جمع خُطوة والمعنى اجعلوُا سُيوفكُم مُتّصلة بخُطا اعدائكم (**وَاعْلَمُوا**) معاشر اصحابى (**اَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ** ﷺ) اراد ﷺ نفسه الشّريفة (**فَعاوِدُوا الكَرَّ**) اى عاودوا الرّجوعُ والحَملة (**وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِ**) فانّ الفرار

عن الجهاد ذَنبٌ فی الدّارین (فَإِنَّهُ) ای الفرار منه (عَارٌ فِی الْأَعْقَابِ) هذا بالنّظر الی الدّنیا (وَنَارٌ یَوْمَ الْحِسَابِ) هذا بالنّظر الی الآخرة (وَطَیبُوا عَنْ أَنْفُسِکُمْ نَفْساً) ای ابذلوها فی سبیل الله وارضو بها للحیاة الباقیته (وَ امْشُوا إِلَی الْمَوْتِ مَشْیاً سُجُحاً) وسَهلاً بلا تکلُّفٍ ومَشَقّة (وَ عَلَیْکُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ) ای معظم القوم (وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ) ای الخیام المَشدُودة بالأطناب (فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ) ای وَسَطه (فَإِنَّ الشَّیْطَانَ کَامِنٌ فِی کِسْرِهِ) ای انّ الشّیطان مُختفٍ فیه (وَ قَدْ قَدَّمَ) ای الشّیطان (لِلْوَثْبَةِ) ای الرُّجُوع (یَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّکُوصِ) الرّجوع (رِجْلاً فَصَمْداً صَمْداً، حَتّٰی یَنجلّیٰ لَکُمْ عَمُودُ الْحَقِّ) ای أقصُدوهم قَصداً حتّی یَظهَر لکم امارات الفتح ونُور الحقّ ((وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) لکونهم علی الحقّ (وَاللهُ مَعَکُمْ) لانّ الله مع المُومنین (وَلَنْ یَّتِرَکُمْ أَعْمٰالَکُمْ)ای لاینتقصکم جزاء اعمالکم فی الآخرة.

◁ الشّرح

اعلم انّ هذه الخطبة صَدَرت منه ﷺ فی تعلیم رُسُوم الحَرب وآدابها والأرشاد الی کَیفیّة المقاتلة وما ینبغی للمجاهد مراعاته فی الغَزَوات وهی أمور.

احدها قوله ﷺ: **مَعَاشِرَ النّاس ،اِسْتَشْعِرُوا الْخَشْیَةِ...**

معاشر جَمع مَشعر وهو الجماعة وهو منصوب علی الأختصاص واستشعار الخشیة عبارة عن کون الأنسان علی خشیةٍ من رَبّه دائماً وفی جمیع الأحوال وانّما ابتدَء کلامه بهذا المعنی لانّ المجاهد فی سبیل الله لابدَّ له من ان یکون فی اوّل الأمر مُتوجّهاً الی ربّه ومتقرّباً الیه فانّ الجهاد لأعلاء کلمة الحقّ فما لم یَعرف الحقّ کیف یجاهد بنفسه فی سبیله فکانّه ﷺ رَغبَّهم وحَرضّهم علی هذا المعنی اشعاراً بانّ الحَرب للّه وفی سبیل اللّه لالأجل الوُصول الی الدّنیا وزخارفها کما بالنّسبة الی معاویة واصحابه، ثمّ انّ الخَشیة من الله تعالی امرٌ مُرَغّبٌ فیه فی جمیع الشّئون ولا اختصاص لها بالحُروب الّا انّها فیها اولیٰ

لانّ حرص الغَلَبة على العَدُو كثيراً مايوجب عدم التّوجه الى المَبدء القيّوم فتَقتُل وتُقتَل من غير اَجرٍ ولاثوابٍ وهو اى المقاتلة كذالک مَطرودٌ مردودٌ عند العقل والشّرع فينبغى له مراعات هذا الأصل ونحن نشير الى بعض ما وَرد فى مَدح الخَشية منه تعالى على كلّ حالٍ. فمن الآيات قال الله تعالى: **وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[1]

و : ﴿**اِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**﴾[2]

و : ﴿**لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَاَيْتَه خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾[3]

و : ﴿**اَلَمْ يَاْنِ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ**﴾[4]

و : ﴿**وَ يَخِرُّونَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾[5]

و : ﴿**قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[6]

و : ﴿**وَاِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ اِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[7]

و : ﴿**وَ يَدْعُونَنَا رَغَباً وَّ رَهَباً وَّ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[8]

و : ﴿**خُشَّعاً اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ كَاَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ**﴾[9]

و : ﴿**خَاشِعَةً اَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾[10]

و : ﴿**اِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ**﴾[11]

و : ﴿**مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**﴾[12]

و : ﴿**فَاللهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَوْهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[13]

و : ﴿**اِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[14] و غيرها من الآيات فأنت اذا تأمّلت هذه الآيات المذكورة وكثيراً ممّا لم نذكره تَجد الخَشيَة من الله تعالى رأس

١- البقرة- ٧٤
٢- المؤمنون- ٥٧
٣- الحشر- ٢١
٤- الحديد- ١٦
٥- الاسراء- ١٠٩
٦- المؤمنون- ٢
٧- البقرة- ٤٥
٨- الانبياء- ٩٠
٩- القمر- ٧
١٠- القلم- ٤٣
١١- يس- ١١
١٢- ق- ٣٣
١٣- التوبة- ١٣
١٤- الفاطر- ٢٨

العبادات والطّاعات.

امّا الاخبار الواردة فی مَدح الخشية فكثيرة.

منها ـ ما روی عن جامع الأخبار عن النّبی ﷺ قال رسول الله ﷺ من كان بالله أعرَف كان من الله أخوَف انتهی...

ومنها ـ ما روی عنه ﷺ قال يابن مَسعُود إخش الله تعالی بالغيب كانّک تراه فان لم تَره فانّه يراک يقول الله تعالی: **﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجٰاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، ادْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰالِکَ يَوْمُ الْخُلُودُ﴾**[1]

ومنها ـ قال روُی انّ النّبی ﷺ كان يصلّی وقلبه كالمُرجل يغلی من خشية الله قال الله تعالی: **﴿الَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**[2]

ومنها ـ ما عنه ﷺ قال كلّ عينٍ باكيته يوم القيمة الّا ثلاث اعين عينٌ بَكت من خَشيَته الله وعينٌ غضَّت عن محارم الله وعينٌ باتَت ساهرة فی طاعة الله انتهی...

ومنها ـ قال النّبی ﷺ اذا شَعَر قلب المؤمن من خشية الله تَحاتَت عنه خطاياه كما يُتحات فی الشّجرة ورَقها انتهی...

ومنها ـ ما عن الصادق ﷺ انّه قال مَن خاف الله اَخافَ الله منه كلّ شيءٍ ومن لَم يَخفِ الله اخافَه الله من كلّ شيءٍ انتهی...

ومنها ـ ما عنه ﷺ قال مَن عَرف الله خافَ الله ومَن خافَ الله سَخَت نفسه عن الدّنيا انتهی...

ومنها ـ ما عنه ﷺ ايضاً قال انّ من العبادة شدّة الخوف من الله عزّ وجلّ و: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ﴾**[3]

و: **﴿وَلاٰ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾**[4]

و: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾**[5]

١ـ ق ـ ٣٣/٣٤
٢ـ الانفال ـ ٢
٣ـ الفاطر ـ ٢٨
٤ـ البقرة ـ ١٥٠
٥ـ الطلاق ـ ٢

ومنها ـ ما روُى عنه ايضاً قال انَّ حُبّ الشَّرَف والذّكر لايكونان فى قلب الخائِف الرّاهِب انتهى...

ومنها ـ ما روُى عن علّيِ ابن الحسين انّه قال يابن آدَم انّك لاتزال بخيرٍ ما كان لك واعظٌ من نَفسك وما كان الخَوف شعارك والحزن وثارك إنّك ميّتٌ ومُحاسِبٌ فاعدّ الجواب انتهى والرّوايات كثيرة ـ هذا كلّه نقلاً وامّا عقلاً فلانّ الأنسان اذا علم الزام الله سُبحانه كلّ اَثَرٍ مُؤثّره وحَصَل فى صدره صورة هذا المعنى هو عالمٌ بالأشياء وعالمٌ بالله عزّ وجلّ ويخاف لامحالة فاذا صحّ خوفه هرب من العمل بمقتضى الماهيّة والأنّيِة اَلبَتة...

وبعبارةٍ اخرى: اذا علم الأنسان انّه يُجازاى على فعله إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً فلا محالة يعمل الحَسَنات ويَجتنب السّيّئات واذا علم قدرته تعالى وانّه محيط بكلّ شيىء فلا قدرة فوق قدرته وما سواه ضعيفٌ فى جنبه لايقدر على شيىءٍ الّا بعد الأستعانة منه والألتجاء اليه فلامحالة يخاف منه ويخشاه فالخَشيَة والخَوف منه قهرّىٌ عَقلّىٌ.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ** ...

شبّه عليه السلام السَّكينة والوقار وعدم الأضطراب فى الأمور بالجلباب الّذى يَكسوُه الأنسان لدفع الحَرّ والبَرد وغير ذالك فكما انّه مُحيطٌ بالبَدن فكذالك السَّكينة مُحيطةٌ بالقلب لمن كان متّصفاً بها وكما انّ التَّجَلبُب باالشّى يحفظه عن كلّ ما يَضُرّ بجِسمِه من الحوادث فكذالك السّكينة تحفظه عن التَّعجيل فى الأمور الّذى يوقعه فى الهَلَكات وعن الأضطراب الّذى يُوقعه فى الشَّك والحَيرَة فى الأمور الدينّية والعقليّة.

ثمّ انّ السّكينة من السُّكون وهو ثُبوت الشّيى بعد تَحَرُّكٍ فتارةً يُستعمل فى الأستيطان نحو سَكَن فلانٌ مكان كذا اى استوَطنَه وتارةً فى المَعقوُلات كقوله تم إنّ صَلاتك سَكَنٌ لهم وقوله وجاعل اللّيل سَكَناً وامّا السّكينة فأختصّت استعمالها فى الأمور القَلبيّة والأعتقادية الدّينية وقد قيل فى معناها، انّها مَلَكٌ

يُسكِّن قَلبَ المُؤمن ويُؤمنّه، وقيل هو العقل، وقيل الأِعراض عَن الشّهوات وقيل زَوال الرُّعب، وعلى اى تقدير فقد وَرد فى مَدحها وحُسن الاتّصاف بها آيات وروايات.قال الله تعالى:﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾(١)

و : ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً**﴾(٢)

و : ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾(٣)

و : ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٤)

و : ﴿**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا**﴾(٥)

و : ﴿**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٦)

ويظهر من الأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السّلام انّ السكينة هى حقيقة الأيمان ورُوحه.

منهاـما رواه فى البحار باسناده عن علىّ ابن ابى حَمزةعن ابى جعفر عليه السلام قال سئلته عن قول الله عزّ وجلّ، أَنزل السَّكينة، قال عليه السلام هى الأيمان قال وسئلته عن قول الله وأَيَّدهم برَوحٍ منه قال عليه السلام هو الأيمان انتهى« ج ١٥ ص ٢٧٠»...

منهاـما رواه فيه ايضاً عنه عليه السلام قال عليه السلام السَّكينة هى الأيمان انتهى «ص ٢٧٠»...

منهاـمارواه باسناده فيه عن ابى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ وجلّ هو الّذى أَنزَل السَّكينة الاية قال هى الأيمان انتهى« ص ٢٧٠»...

منهاـمارواه ايضاً فيه باسناده عن جميل قال سئلت ابا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ هو الّذى أَنزَل السَّكينة فى قلوب المؤمنين، قال عليه السلام هى الأيمان قلت وأَيَّدهم برَوحٍ منه قال عليه السلام هو الأيمان وعن قول الله عزّ وجلّ والزَمهم

١- البقرة- ٢٤٨
٢- الفتح- ٤
٣- الفتح- ١٨
٤- التوبة- ٢٦
٥- التوبة- ٤٠
٦- الفتح- ٢٦

كَلمة التَّقوىٰ قال هو الأيمان انتهى« ص ٢٧٠»...

وامثال ذالك من الاخبار.

وعليه فالمراد بقوله عليه السلام: **وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ** اى تجلببوا الأيمان وهو كذالك فانّ الأيمان بالله يوجب الطُّمانينة فى القلب وعدم الأضطراب فى الأمور.

والدّليل العقلى عليه هو انّ المؤمن بالله وبرسوله لايَتَوجّه الى غير المَعبوُد اَبداً فيعتقد انّ كلّ ما اصابه منه موافق للمصلحة ومطابق للمشيّة الألهيّة فلا معنى لأضطرابه وتَزلزُله بعد انكشاف الواقع لديه وهو ظاهر.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنبىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ** ...

بعد ما رَغَبَهم وحَرَّصهم على استشعار الخَشية وتَجلبُب السّكينة شَرع فى بيان قواعد الحَرب وما يَنبغى مراعاته للحارب الماهر وانّما قدّم عليه السلام ما قَدَّم من استشعار الخَشيَة وتَجلُبب السّكينة اشعاراً بانّ الأنسان فى ميدان الحرب ينبغى له التَّوجُه الى المَعبُود والأيمان الرّاسخ به قبل كلّ شيىء وان لايعتمد على قدرته وشجاعته فانّ الامور بيده والنَّصر ليس الّا من عنده لانّ من ينصره الله فلا غالب له وبعد التّوجه اليه والأعتماد عليه ينبغى له المُواظبته على قواعِد الحَرب الّتى يجب الأهتمام بها فى ظاهر الأمر وقد عَدَّ عليه السلام منها اموراً.

▫ **١ـ قوله** عليه السلام: **وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنبىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ** ...

وذالك لانّ العَضّ على النّواجذ يُورث تَصَلّب الاعضاء والعَضُلات فيكون تأثير السّيف فيه اَقَلّ والنّواجذ جمع ناجذ وهو اسم فاعلٍ من نَجِذَه نَجذاً اى عَضَّه شَديداً بالنّواجذ اَلَّح عليه، والنّواجذ على ما قيل اقصى الأضراس وهى اربعة يقال عَضَّ على ناجذهاى بَلغ اشدّه لانّ النّواجذ تَنبُت بَعد البُلوغ وكمال العقل كما يقال ضَحِكَ حتّى بَدت نواجذه اى بالغ فى الضّحك، ويقال اَبدت الحرب ناجذَيها اى اشتدّت، وعَضَّ الرّجُل على ناجذيه اى صَبر كذا قال فى المُنجد.

اقول وعليه اِمّا ان يكون قوله عليه السلام: **وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ وعَضّو على**

النّواجذ مَحمولاً على ظاهره كما قال ﷺ: **فَإِنَّهُ أَنبىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ** وهذا من المَحسوسات فانّا نرى انّ العَضّ عليها يوجب تَصَلُّب الأعضاء ولا سيّما بالنّسبة الى الرّأس وإمّا أن يَحمل على الأستعارة فيكون المراد به الصّبر اى إصبِروا على الشّدائد فى الحروب ولا شك انّ الصّبر من المحاسن ولا سيّما فى الشدائد فانّه مفتاح الفَرج ومقياس الظَّفر.

▫ **٢ـ قوله ﷺ: وَاَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ...**

وهذا هو الثّانى من الأحكام فانّ اللأَمَة هى الدِّرع او مطلق الآت الحرب وعلى ايّ التقديرين يجب اكمالها فى الحَرب لِعَدم الفُرصته فيها وهو واضحٌ.

▫ **٣- قوله ﷺ: وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِى اَغْمادِهٰا قَبْلَ سَلِّهٰا ...**

وهذا هو الثّالث منها والمراد به هو تَحريك السُّيوف فى اغمادها قبل سَلّ السُّيوف واخراجها من الغمد وذالك لانّه اَسهَل تَناولاً لَدَى الأحتياج.

▫ **٤- قوله ﷺ: وَاَلْحَظُوا الْخَزْرَ...**

اَلخِزر إمّا بفتح الخاء والزاء المُعجَمتين مصدر خَزرت العَين خَزراً من باب تَعَب وإمّا بسكون الزّاء بمعنى النّظر وهو علامة الغضب وقال الخوئى بعد نقله ما نقلناه فى معنى الخزر ولعلّه (اى المعنى الثانى) لملاحظة السَّجعَة الثانية فكانّه اختار الاوّل منهما وهو الخَزَر بفتح الخاء والزّاء وهو كذالك قال فى المُنجد خَزر خَزراً نَظر بموخّر عينه وَتُداهىٰ فهو خازِر وعلى كلّ حالٍ المقصود بهذا الكلام هو التّوجُه الى اَقصى العَسكر

▫ **٥- قوله ﷺ: وَاَطْعَنُوا الشَّزْرَ...**

والشَّزر بالفتح فالسّكون الطّعن عن اليَمين واليَسار والمقصود منه عدم الأهمال والمُسامحة فى امر الحَرب بل لابدّ له من الطّعن على الأعداء كيفما اَتّفق وعدم امهالهم فيها لانّ الغفلة توجب النّدم على مامضىٰ والتّأسُف على مافات وكلّ ذالك لايفيد بعد الواقعة.

▫ **٦- قوله ﷺ: وَنافِحُوا بِالظُّبات...**

وهذا هو السّادس من الأمور المذكورة فى المتن قالوا فى شرح العبارة المعنى قاتلوا بالسُّيوف وقيل اى ضاربوا بأطراف السُّيوف وذالك لانّ شارحى كلامه ﷺ ذَهبوا الى انّ الظّباء جمع ظُبَتُه بالتّخفيف وبضم الظّاء فيها وهو حَدّ السَّيف، وقوله نافِحُو اَمرٌ من نافَح منافَحةً والمنافحة المضاربة والمدافعة وعليه يَستقيم ما ذهبوا اليه اى قاتلوا ودافِعوا بالسّيوف هذا.

اقول: انّى بعد مراجعتى الى كتب اللّغة لم اَروَجهاً صَحيحاً لِما قالوه وذالك لانّ الظِّباء بالمَدّ والهَمزَة او بالقَصر لَيست جمع ظُبته بالتّخفيف على ما ظنّه الشّارح الخوئى تبعاً للشّارح البحرانى ولا جمع ظَبته على ما ظَنَّه الشّارح المعتزلى وذالك لانّ الظُبته تُجمَع على ظُبات وظُبين واما الظُّبة بالتّشديد فهى تُجمَع على ظُبَات وظِبَوُن وظُبَوُن وامّا الظَّبية فتجمعُ على ظباء.

قال فى النّهاية ظبة السّيف هو طَرفه وتُجمع على الظُّباة والظُّبين وبه قال فى لسان العرب، وقال فى المُنجد، الظُّبتَه حَدّ السَّيف او السّنان ونحوهما جمع ظُبات وظُبَى وظُبون وظِبون واَظبٌ قال فى لسان العرب الظُّبة حدّ السّيف والسّنان والنَّصل والخَنجر والجَمع ظبات وظِبون وظُبون فهذا ما قاله اللُّغويون وانت ترى انّه لم يقل اَحَدٌ بانّ الظّباء جمع ظبته بالتّخفيف كانت او بالتّشديد وانّما جمعها على ظباة وعليه فالصّحيح فى العبارة هو ان يقال نافحو بالظّباة ولَم يَضبطوها هكذا فانّ النّسخ الّتى رأيناها كما تراها فقول الشّراح انّ الظّباء جمع ظَبته بمعنى حدّ السّيف لامعنى له بل الأصحّ ان يقال بالظّباة كما قال الشّاعر.

اذ الكماة تَنَّخو اَن ينالهم حَدُّ الظُّبات وَصلناها بأَيدينا+

وفى انّ الظُّبة بالتّشديد تُجمَع على ظبيات وظِبون وظُبون قال الشاعر.

يرمى الرّواوُوّن بالشّعرات بنّا وفود ابى حبائب والظُّبينا

وفى انّ الظَّبية على ظِباء قال الشاعر.

بيت جَلوذفٍ طَيّبٍ ظِلّه فيه ظِباء ودواخيل خُوض

قال فى النّهاية بعد نقله ما نقلناه وفى حديث علّيٍ نافِحوا بالظَّبىء وهو جمع ظَبْة السَّيف وهو طَرفه وحَدّه واصل الظّبة ظُبَوا على وزن صُرَ وفحذفت الواو وعُوّض عنها الهاء انتهى.

وقال فى لسان العرب وفى حديث علىّ كرّم الله وجهه نافِحوُ بالظُّبىء جمع ظبته السّيف وهو طَرفه وَحدّه انتهى.

اقول: ولعلّه ايضاً نقل ما نقل عن النّهاية والحاصل انّهم نَسَبو اليه ﷺ انّه قال نافحوُ بالظُّبَى ولَستُ ادرى انّهم اراد وبحديثه ما هو فى النّهج او فى غيره ولا يبعدان ان تكون النُّسخة الّتى بأيديهم كانت كما نقلناه منهم اعنى ونافحو بالظُّبى ويحتمل غير هذا وبعد اللّتيا واللّتى ان كانت الظّباء على ما فى النّسخ الموجودة جمع ظبته بمعنى حدّ السّيف فلا يمكن المساعدة عليه الّا ان تكون الظُّبَى والظُّبات والله اعلم بحقائق الامور.

□ **٧- قوله ﷺ: وَصِلوُا السُّيُوفَ بِالْخُطا...**

صَلوُا اَمرٌ مِن الوَصل والخُطأ بضمّ الخاء جَمع خُطوَة والمعنى لاتَقنعوُا فى الحَرب بالسُّيوف فقط حتّى اذا قَصُرت السُّيوف عن الضَربة لِحَقَكُم العَدّو بل قَدّموا بالخُطا ولا تَصبروا وفيه قال الشّاعر.

وَوَصل الخُطا بالسَّيف والسَّيف بالخُطا
اذا ظُنَّ اَن المَرء ذا السَّيف قاصرُ

وقال آخر:

نَصِل السُّيُوف اذا قَصرِن بِخُطوِنا يَوماً ونَلحقُها اذا لم تَلحَق

وقال آخر:

واذا السُّيُوف قَصرُن طَوّلها لنا حتّى تَناوَل ما نُريد خُطانا

وقال آخر:

اذا قَصُرتُ اَسيافنا كان وصلها خُطانا الى اعدائنا فنُضارب

□ **٨- قوله ﷺ: وَاعْلَموُا اَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ....**

اى واعلموا انّكم بمرئى ومَنظَر من الله تعالى فهو يَرَيكم بل هو اَقرَب اليكم من حَبل الوَريد فعليكم بالتُّثبت فى اَمر الجهاد والثُّبات على النِّيات وعَدم الأضطراب فى الامور فانّ من يَنصُره الله فلا غالب له. وامّا قوله عليه السلام: **مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ** فكانّه دليلٌ على قوله عليه السلام **وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ بُعَيْنِ اللهِ** وذالك لانّ من كان مع ابن عَمّ رسول الله فلا محالة يكون مُؤيّداً مَنصُوراً من عند الله لانّه خليفة الله الأعظم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه اللّهم اُنصُر من نَصرَه واَخذُل من خَذَله وقوله صلى الله عليه وآله يا على حَربك حَربى وحَربى حَربُ الله وسِلمك سِلمى وسِلمى سِلمُ الله وامثال ذالك من الرّوايات الدّالة على انّ نُصرة امير المؤمنين نصرة الله وخذ لانه خَذِ لأنه.

▫ ٩- قوله عليه السلام: **فَعاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَاِنَّهُ عارٌ فِى الأَعْقابِ وَنارٌ يَوْمَ الْحِسابِ** ...

ثمّ اَمرهُم عليه السلام بالعَود والرّجُوع عند التّحَرُّف لِلقتال والمعنى ولا تيأسوُا عن حصول الغرض بل عاوِدوا واَحمِلوا كرّةً بعد اُخرى وثانيتةً بعد اوُلى اذ لَعلَّ الفَتح والغَلَبته فى الكرّة الثانية والثالثة.

ثمّ اَمرهم بعدم الفرار عن الجهاد واَستَدلّ عليه السلام عليه بأمرين احدهما انّ الفرار عارٌ فى الأعقاب وثانيهما انّه مُوجبٌ لِدخُول النّار يوم الحساب وكلا الأمرين ممّا لاكلام فيه اَمّا الاوّل فمعلومٌ فانّ الفرار عن المَعركة دليل على الجُبن وهو ممّا يُضرب به المَثل فى الأعقاب وامّا الثّانى فللأخبار الدّالة على ثبوت العقاب له فى الآخرة فانّ الفرار عن الجهاد من الكبائر وقدّ مَرّمنّا الكلام فى الجهاد وما يترتّب عليه فى الدّنيا والآخرة فراجعه ان شئت مَع انّه يكفى فى ذمّ الفرار عنه قال الله تعالى:«**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه اِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ اَوْ مُتَحَيِّزاً اِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَ مَاْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصيرُ**»[1]

▫ ١٠- **قوله عليه السلام: وَطِيبُوا عَنْ اَنفُسِكُمْ نَفْساً...**

١- الانفال- ١٦

المراد بالنّفس الأولى هى النّفس الزائلة الداثرة المقتولة فى المعرَكة والمراد بالنّفس الثانية هى الحَياة الأبديّة الباقيته وعليه فالمعنى بدّلوا الحياة الفانيته بالحياة الباقيته ففى الكلام استعارة جيّدة ومعلومٌ انّ الحياة الثّانيته أحسَن وأطيَب من الأولى لبقائها وفناء الأولى ولأجل هذا عبَّر عليه السلام بقوله وَطِيبُوا واليه الأشارة قال الله تعالى:﴿وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾(١)

و : ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢)

و : ﴿وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٣)

و : ﴿وَالَّذِينَ هٰاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا وَمٰاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ﴾(٤)

و : ﴿وَلاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوٰاتٌ﴾(٥)

و : ﴿وَمَنْ يُقٰاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(٦)

و : ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرٰاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بٰايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٧)وامثال ذالك من الآيات.

وهذه الآيات بأسرِها دالة على انّ القتل فى سبيل الله ليسَ مَوتاً واقعاً بل هو الحياة الباقية فَمن قُتل كذالك ففى الحقيقة بدّل نفساً بنفسٍ وحياةً بحياةٍ كما قال الله تعالى:﴿فَلْيُقٰاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ﴾(٨)

□ ١١- قوله عليه السلام: وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوٰادِ الْأَعْظَمِ وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ...

المراد بالسّواد الأعظم هو جيش معاوية والرّواق المطَنب رواق معاوية الّذى كان مُطَنباً بأطنابٍ عظيمة وحوله من اهل الشام وصنا ديدهم مأته الف

١- آل عمران- ١٥٧
٢- آل عمران- ١٥٨
٣- آل عمران- ١٦٩
٤- الحج- ٥٨
٥- البقرة- ١٥٤
٦- النساء- ٧٤
٧- التوبة- ١١١
٨- النساء- ٧٤

كانوا تعاهدوا اِن لاينفرجُوا عنه او يُقتلوا.

▫ **١٢- قوله عليه السلام: فَأضْرَبُوا بَثَجَهُ فَإنَّ الشَّيْطٰانَ كٰامِنٌ فِي كِسْرِهِ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَاَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رَجْلاً...**

ثمّ انّه عليه السلام بعد ما اَمرَهم بقتل هولاء القاسطين الّذين عَبَر عنهم بالسّواد الأعظم فى الجملة السّابقة اَمرهم بالضَرب ثانياً وقال لهم فاضربوا بثَجه اى وَسطه وذالك لانّ وَسط الجيش بمنزلة القلب للبَدن فكما انّ موت الأنسان بموت القلب وحياته بحياته كذالك كَسر الجيش بكَسر وسطه والسّر فيه هو انّ امير القوم يكون فى وَسَطهم وهو الّذى يأمرهم ويَحرّصهم على القتال كما انّ القلب فى البدن يكون كذالك. وامّا قوله عليه السلام: **فَإنَّ الشَّيْطٰانَ** الخ بمنزلة التعليل لِلحكم الّذى صَدر منه فكانّه طُولب منه الدّليل على هذه المقاتلة لانّ القوم كانوا ظاهراً من المسلمين الّذين حُقنت دمائهم شَرعاً فقال عليه السلام فى الجواب فانّ الشّيطان كامِنٌ فى كسره اى الشّيطان مَستُورٌ فى كَسر الوَسَط وهَزمه هذا اذا كان الكَسر بفتح الكاف وامّا اِن قلنا بكسر الكاف كما عليه الشّراح والنّسخ الموجودة فالمعنى انّ الشّيطان كامِنٌ فى جُزءٍ من السّواد الأَعظم وهو الوَسَط فانّ الكسر بالكسر معناه الجُزء من العُضو او الجُزء من العَظم مع ما عليه من اللّحم وعلى التّقديرين فالشّيطان كامِنٌ فى وَسَطه والمراد بالشّيطان فى قوله عليه السلام هذا امّا مصداقه الأتم الأكمل فى عالم الأجسام وهو معاوية ابن ابى سفيان او عمرو ابن العاص فانّهما كانا كامنين فى وَسط القَوم ولا شك فى كونهما شيطانين مُجَسَّمين من شياطين الأنس.

واِمّا المراد به هو معناه الظّاهر فانّ القوم كانوا من اتباعه واشياعه فَقَتلهم وطَردهم هو قتل الشّيطان وطَرده الى قوله عن الآخر. ثمّ متابعة الحقّ حتّى يكون مأجُوراً مثاباً عند الله تعالى اذ ليس فى كلّ قتلٍ وشهادةٍ ثواب ولا فى كلّ مُجاهدة نَفعٌ وسعادة فانّ كثيراً ما يتّفق للأنسان ان يجاهد بنفسه وماله زعماً منه انّه يجاهد فى سبيل الله مع انّه فى الواقع يجاهد فى سبيل الشّيطان كما انّ

اكثر اصحاب معاوية والخوارج واصحاب الجَمَل كانوا كذالك فانّ البصيرة فى الدّين اَمرٌ مشكلٌ قال اللّه تعالى:﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَالَه مِنْ نُورٍ**﴾[1]

١- النور- ٤٠

ومن كلام له عليه السلام (٦٦)

▫ قوله عليه السلام: فَهَلّا اَحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِاَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَصّىٰ بِاَنْ يُحْسَنَ اِلىٰ مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجاوَزَ عَن مُّسِيئِهِمْ. قالُوا: وَمٰا فِي هٰذا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فقال عليه السلام: لَوْ كانَتِ الْاِمارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّه بِهِمْ ،ثُمَّ قالَ عليه السلام فَمٰاذٰا قالَتْ قُرَيْشٌ: قالُوا: احْتَجَّتْ بِاَنَّهٰا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله فَقالَ عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ!...

◁ اللّغة

(اَحْتَجَجْتُمْ) الأحتجاج اقامة الدّليل على المُدّعىٰ(وَصّىٰ)من التّوصية وهى واضحة المعنى (اَضاعُوا) اى فَسَدوا (الثَّمَرَةَ) النّتيجة.

◁ المعنى

قالوا انّما قال عليه السلام هذا الكلام بعد ما اَنتَهت اليه اَبناء السّقيفة واخبارها بعد وفات الرّسول صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام ما قالت الأنصار قالوا قالت منّا اَمير ومنكم اَمير قال عليه السلام فَهَلّا احْتَجَجْتُمْ الخ.

قوله عليه السلام فَهَلّا احْتَجَجْتُمْ واستَدَللتُم (عَلَيْهِمْ) اى على الأنصار (بِاَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَصّىٰ) قريشاً (بِاَنْ يُحْسَنَ، اِلىٰ مُحْسِنِهِمْ) اى مُحسن الأنصار (وَيَتَجاوَزَ)ويُعفى (عَن مُّسِيئَهُمْ) اى مُقصّرهم ومُذنبهم (قالُوا وَمٰا فِي هٰذا) اى فى هذا القول (مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ)على الأنصار (قال عليه السلام لَوْ كانَتِ الْاِمارَةُ

فِيهِمْ) اى فى الأنصار (**لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ**) من الرّسول (**بِهِمْ**) اى بالأنصار فمعنى وصيّته ﷺ بالتّجاوز عن مُسيئهم هو انّهم لامحالة لايتّصفُون بها (**ثُمَّ قَالَ**) بعد ذالك (**فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ**) اى ما قالت قريش فى جواب الأنصار رَدّاً على احتجاجهم (**قَالُوا اَحْتَجَّتْ**) اى اَحتَجّت قريش (**بِاَنَّهَا،شَجَرَةُ الرَّسُولِ فَقَالَ** عليه السلام **اَجْتَجُّوا**) اى اَحتَجّت قُريش (**بِالشَّجَرَةِ وَاَضَاعُوا**) وَاَفسدوُا (**الثَّمَرَةَ**) والمراد بالثَّمَرة اهل بيت النُبَوة وهو عليه السلام كان فى رأسهم بعد النّبى ﷺ.

الشَرح

قد مَرَّ منّا الكلام فى كَيفيّته غَصب الخلافة بعد الرّسول ﷺ فى المجلّد الاوّل من هذا الكتاب فى شرح الخطبة الشّقشقية وقد فَصّلنا الكلام فيها واستدلّلنا على انّ الأمام بعد الرّسول لابدّ من ان يكون مَنصُوباً من قِبل الله تعالى بسببَ الرّسوُل وانّ الامامة ليست بأختيار الامّة وكذا تكلمّنا فى شروط الأمام فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً فانّ الأمر بحَمد الله اَوضح من ان يخفى على احدٍ اِلّا على المتعصّب العَنيد.

▫ **قوله** عليه السلام: **فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِاَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **وَصّى بِأَن يُحْسَنَ اِلىٰ مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجاوَزَ عَن مُّسِيئَهِمْ** ...

كلمة هَلّا. للتّحضيض ومعناها اذا دَخَلت على الماضى التّوبيخ واللّوم على ترك الفعل وفى المضارع الحَضّ عليه والمقصود انّ الأنصار لمّا قالت لقريش منّا اَميرٌ ومنكم اميرٌ قال عليه السلام: **فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ** على الأنصار بانّ رسول الله ﷺ وصّىٰ بأن يُحسَن الى مُحسنهم ويُتجاوز عن مُسيئهم، اى يُحسَن الى مُحسن الأنصار ويُتجاوَز عن مُسيئهم وفى هذا الكلام اشار عليه السلام الى ماروُى عن النّبى ﷺ فى هذا الموضوع كما نقله الشارع المعتزلى عن صَحيحى البخارى والمُسلِم عن أنس ابن مالك انّه قال مَرَّ ابوبكر والعبّاس بمَجلسٍ من الأنصار فى مَرض رسول الله ﷺ وَهم يبكوُن فقالا ما يُبكيكُم، قالواذَكرنا محاسن رسول الله فَدَخلا على النّبى ﷺ واخبراه بذالك فخَرَج وقد عَصَب على رأسه

حاشيته برده فصعد المنبر ولم يَصعَده بعد ذالك اليوم فَحَمدِ الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال اوُصيكم بالأنصار فانّهم كرشى وعَيتبى وقد قضو الّذى عَليهم وبقى الّذى لهم فأقبلوا من مُحسنهم وتَجاوَز واعن مُسئيهم هذا.

وانا اقول: الرّوايات فى فضل الأنصار فى صحاحهم كثيرة ونحن نَذكُر شَطراً منها مضافاً على ما ذكره الشّارع المعتزلى.

منها- ما رواه البخارى فى صحيحه بعد الرّواية الّتى نَقلَها الشارع المعتزلى عنه قال: حدّثنا احمد ابن يعقوب حدّثنا ابن الغسيل سمعتُ عكرمة يقول سمعتُ ابن عبّاس رضى الله عنهما يقول خَرج رسوُل الله وعليه مَلحَفةٌ مُتعطّفاً بها على مَنكبَيه وعليه عصابةٌ دَسَماء حتّى جَلس على المَنبر فحَمد الله واثنى عليه ثمّ قال امّا بعد ايّها النّاس فانّ النّاس يَكثُرُون وتقلّ الأنصار حتّى يكونوا كالمِلح فى الطّعام فَمَن وَلِىَ منكم اَمراً يضرّ فيه احداً او يَنفَعُه، فليَقبَل من مُحسِنهم ويتجاوز عن مُسيئهم انتهى «صحيح البخارى ج ٥ ص ٤٣»...

ومنها- ما رواه ايضاً باسناده عن انس ابن مالك عن النّبى ﷺ قال ﷺ الأنصار كَرِشى وعَيتبى والنّاس سيكثرون ويَقلّوُن فأقبلوا من مُحسِنهم وتَجاوَزوا عن مُسئهم انتهى «ج ٥ ص ٤٣»...

ومنها- ماروَاه فيه ايضاً باسناده عن اَنس قال رأى النّبى ﷺ النّساء والصّبيان قال حَسبتُ انّه قال من عُرسُ فقام النّبى ﷺ ممثّلاً فقال اللّهم انتُم اَحَبّ النّاس إلىّ قالها ثلاث مرار انتهى« ج ٥ ص ٤٠»...

ومنها- ماروَاه ايضاً باسناده عن هشام ابن زيد قال سمعتُ اَنَس ابن مالك قال جائت امرأة من الأنصار الى رسول الله ﷺ ومعها صَبىٌّ لها فكلَّمَها رسول الله ﷺ فقال والّذى نفسى بيده انكم اَحَبّ النّاس إلىَّ مَرَّتين انتهى «ج ٥ ص ٤٠»...

ثمّ روى روايات كثيرة غير ما ذكرناه فى فضل الأنصار وفيما ذكرناه كفاية ثمّ

انّ لنا كلام مع البخارى ومتابعيه وهو انّه بناء على ما ذكره فى صحيحة ولا سيّما الرّوايتين الأخيرتين يلزم ان تكون الأنصار اَحَبّ النّاس الى رسـوُل الله ﷺ حتّى من ابى بكر وعُمر اللّذين قالوا فى حقّهما ومَدحهما انّه ﷺ قال هـما عَيناى اوهما بمنزلة السّمَع والبَصَر وامثال ذالك وعلى ما ذكره فى صحيحه يلزم ان تكون الأنصار احبّ الى رسول الله من عَينه وسَمعه.

واَعجَب منها مارواه فيه ايضاً باسناده عن ابى التّياح قال سمعت اَنساً يقول قالت الأنصار يوم فَتح مكّة واعطىٰ قريشاً والله اَن هذا لهو العَجب انّ سيُوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمِنا تُرَدّ عليهم فَبَلغ ذالك النّبى ﷺ فدَعا الأنصار فقال ماالّذى بَلَغَنى عنكم وكانوا لايكذبون فقالوا هو الّـذى بَـلَغك قـال اَوَلا ترضون ان يرجع الناس بالغنائم الى بيوتهم وترجعون برسوُل الله الى بُيوتكم لَـو سَـلَكت الأنـصار وادياً او شِـعباً لسَـلكتُ، وادى الأنـصار او شَـعِبهُم انتهى«ج ۵ص۳۸».

وافت خيبر بمافيها من التناقض فانّ صدر الرّواية يدلّ على ذَمّهم حيث انّهم عابوُا على الرّسول اَعطائه قريشاً وقالوا والله انّ هذا لهو العَجَب سيوُفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا تُردّ عليهم، وذالك لانّ هذا الكلام منهم ردٌّ على فعله ﷺ وتكذيب لِعَمله فانّ من آمن بالله واليوم الآخـر وصـدّق النّـبى فـى رسالته لايقول بهذه المقالة ثمّ انّ آخر الحديث يدلّ على انّ الرّسول كان تابعاً للأنصار لقوله ﷺ لَو سَلَكت الأنصار وادياً الخ فيقال لصاحب الكتاب لازم هذا الحديث انّ النّبى ﷺ كان فى افعاله واعماله تابعاً لِلأنصار لا انّ الأنصار كانوا تابعين له وهذا من العجائب وكيف يُصدّق عاقلٌ بانّ النّبى كان تابعاً لغيره فى مَسلَكه وقد قال الله تعالى ولكم فى رسول الله ﷺ **﴿اُسْوَةٌ حَسَنَتَه﴾**[1]

و : **﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾**[2]

وقد روى بسندٍ آخر عن ابى هريرة عن النّبى لو انّ الأنصار سَلَكو وادياً

۱- ممتحنه-۶ ۲-آل عمران- ۳۱

او شِعبا لَسَلكتُ فی وادی الأنصار ولولا الهجرة لكُنت امرأءً من الأنصار فقال ابو هُريرة ماظَلَم بأبی وأُمّی آوَوَه ونَصروُه او كلمةً اخری انتهی «ج ٥ ص ٣٨٠»...

وانت تری انّ لازم هذه الاحاديث هو انّ الأنصار لو سَلَكوا وادياً سواء كان باطلاً او حَقّاً لكان رسول الله ﷺ يسلك فی واديهم مع انّه ﷺ هو المُتّبع فی جميع الأمور وبالنّسبة الی جَميع الأفراد كائناً من كان.

ثمّ انّ هذه الرّوايات تدلّ على بطلان ما ذهبوا اليه فی خلافتهم فانّهم نقلو انّ الأنصار قالوا فی السَّقيفة فی امر الخلافة منّا اميرٌ ومنكم اميرٌ فَرَّد عَليهم عُمر وابوبكر وقالا اِنّ الأئمة مِن قريش مناً الأمراء ومنكم الوُزراء وعليه فلوصحّت الرّوايتان بانّ رسول الله ﷺ قال فيهم لو انّ الأنصار سَلَكوا وادياً او شِعباً لَسَلَكتُ وادی الأنصار فهلّا سَلَكَ غيره مسلَكَهم وبعبارة اخری لو كانت الأنصار صالحين لِأن يكون الرّسول سَلَك مَسلَكهم فكونهم صالحين للمتبوعيّته بالنسبة الی ابی بكر وعمر وامثالهما بطريق اولی فَلِم لَم يَسلك عُمرو امثاله مَسلَكهم وَرَدّ عليهم فلازم ذالك كون عمر وابی بكر اشرف من الرّسول وهو كما ترى.

فهذه الرّوايات تنادی بأعلی صوتها انّها من المجعولات فانّ انس بن مالك وابی هريرة كانا من الكذابّين الوضّاعيّن والاّ فكيف اَقَرّ النّبی ﷺ على نفسه بمتابعة الأنصار ولو كانت مُعَلّقة على شرطٍ ولَم يعلموا انّ النّبی ﷺ لاينطق عن الهَوی إن هو الاّ وحیٌ يُوحیٰ، وهو منزّهٌ عن المزاح والمبالغة والموجودات من الجنّ والأنس لابدّ لهم من متابعته لانّه مَبعوثٌ على الشّرق والغرب الی يوم القيمة ومن كان كذالك فكيف يقرّ على نفسه مانقلوه فی كتبهم اَلَيس الرّسول قال لو كان اخی موسی او لو كان موسی حيّاً ما وَسعه الاّ اتّباعی فهذا ايضاً معلّقٌ على الشّرط الاّ انّ هذا الشرط معناه الأمكان لاالمحال والمقصود انّ موسی عليه السلام لو كان حيّاً لابدّ له من المتابعة لعدم صلاحيّته

للمتبوعيّته فمن كان مُوسىٰ تابعاً له كيف يكون تابعاً او يمكن ان يكون تابعاً للأنصار.

وحاصل الكلام انّ الرّسول لايمكن ان يكون تابعاً لغيره مطلقا والّا لايكون نبيّاً فهذه الأقاويل من الموضوُعات والمَجعُولات وصحاحهم مَشحُونة بها وستَقَفُ على شَطرٍ منها فى كتابنا هذا انشاء الله .

▫ **قوله عليه السلام: لَوْ كانَتِ الْإِمارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ...**

اقول: لمّا لم يفهموا معنى كلامه عليه السلام فهلّا احتججتُم الى آخره ودلالته على بطلان دعواهم استفهموا عنه عليه السلام وقالوا ما فى هذا الكلام من الحُجّة عليهم فقال عليه السلام فى الجواب لو كانت الأمارة فيهم لم تكن الوَصيّته بهم.

وحاصل الأحتجاج هو انّ النّبى صلى الله عليه وآله اَوصىٰ بهم اى بالأنصار بالأحسان الى مُحسنهم والتّجاوز عن مُسيئهم وهذا الكلام يدلّ بمفهومه انّ الأمارة ليست فيهم لانّ الوصيّته انّما تكون الى الرّئيس فى حقّ المَرؤُوس وهو واضح فثَبت انّ الأمارة ليست فيهم وحيث انّ امر الخلافة كانت تدور مدار المهاجر والأنصار فعدم صلاحيّة الأنصار يدلّ على كونها فى المهاجرين فهو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: فَماذا قالَتْ قُرَيْشٌ قالُوا احْتَجَّتْ بِاَنَّها شَجَرَةُ الرَّسُولِ فقال عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ...**

ثمّ بعد ردّ استدلال الأنصار بقولهم مِنّا اَميرٌ ومنكم اميرٌ، شَرع فى ردّ احتجاج المهاجرين اعنى قريشاً وقال فماذا قالت قريش قالوا احتجّت بانّها شَجَرة الرّسول، وذالك لانّهم جميعاً من اغصان اصلٍ واحدٍ اعنى نضر ابن كنانة فقال عليه السلام: **احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ** وهو ردٌّ على استدلالهم وذالك لانّ الشّجرة مع قطع النّظر عن الثّمرة لاتفيد ضَرورة انّ العلّة الغائية من ايجاد الشّجرة ليست الّا وجود الثّمرة المُترتّبة عليها فمن اَفسَد الثّمرة لاتَنفعه الشّجرة والمراد بالثّمَرة فى المقام هو نفسه الزكيّة فانّها هى الثّمَرة لهذه الشّجَرة

الطّيبة وحيث انّ قريشاً افسَدُ والثّمَرة اى تركوها فلاتنفعهم الشّجرة وفى هذا الكلام دقّة تحتاج الى توضيح اَبسَط.

اعلم: انّ العلّة الغائية ما لأجلها الشيى فهى مُوخّرةٌ فى الوجود الخارجى متقدمة فى الوجود الذّهنى فكلّ فعلٍ يَصدرُ عن الفاعل العاقل لامحالة تكون له غايةً من الغايات والّا يكون عَبثاً وهذه الغاية تختلف باختلاف الموجودات فغاية كلّ شيىءٍ بحَسبه تجمعها المَنفَعة او المنافع المُترتّبة عليه الّتى لأجله وُجد الشّيى بحيث لولوها لَم يوُجَد وهذه العلّة الغائية قد تكون نفس العلّة الفاعليّة كما فى فعل الله تعالى فانّ افعاله لاتكون مُعلّلة بالأغراض الزّائدة على ذاته لكونه غنيّاً بالذّات غير محتاجٍ الى غيره وقد مَرَّ الكلام فيه مُفصّلاً عند بَحثنا فى ايجاده العالم، وقد تكونٌ زائدةً على الذّات كما فى افعالنا واعمالنا واذا كانت زائدة فلامحالة تكون غير العلّة الفاعليّة ومن هنا قالوا بانّ فى الواجب ما هُو ولِمَ هو واحد بخلافه فينا كما تُقرّر فى مَوضِعه.

اذا عَرَفت هذا فنقول قوله عليه السلام هذا يدلّ على انّ الاحتجاع منهم بالشّجرة فهو فى مورده فانّ الخلافة بعد النّبى لابُدّ من ان تكون فى بَيته عَقلاً وشَرعاً الّا انّهم اعنى قريشاً لَم يَتوجّهوا الى انّ العلّة الغائية للشّجرة هى الثّمَرة المُترتّبة عليها بحيث لولاها لَم تُوجَد الشّجرة اَصلاً وعليه فالاحتجاج بأصل الشّجرة مع قطع النّظر عن ثَمَرتها لامعنى له بل هو قَبيحٌ عقلاً فانّ الشّجرة لم توُجد الّا لأجل الثّمرة فتضِيع الثّمرة وحفظ الشّجرة خارجٌ عن طَور العقل بل هو بعمل المجانين والسّفهاء اَشبَه منه بعمل العقلاء وقد قلنا انّ المراد بالثّمَرة هو اميرُالمؤمنين والائمّة مِن وُلدِه والدّليل عليه من النّقل والعقل ثابتٌ لامِرية فيه.

امّا النّقل ـ قال الله تبارك وتعالى:**﴿اَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّ فَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ، تُؤْتِي اُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِاِذْنِ رَبِّهَا وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ﴾**[1]

١- ابراهيم- ٢٤/٢٥

روُى الشارع الخوئى (قده) عن البحار من تفسير على ابن ابراهيم باسناده عن سلام ابن مستنير عن ابى جعفر عليه السلام قال الشَّجَرة رسول الله ونَسبه ثابت فى بنى هاشم وفرع الشّجرة علىّ ابن ابيطالب وغُصن الشَّجَرة فاطمة وثَمَرتها الائمّة من وُلد علىٍّ وفاطمة وشيعتهم وَرَقها وانّ المؤمن من شيعتنا ليَموت فَيسقُط من الشَّجَرة وَرَقة وانّ المؤمن لَيولَد فَتوُرق الثَّمَرة (الشَّجرة) ورقة قلت أرأيت قوله توتىٰ أُكلَها كلّ حين بأذن ربّها،

قال عليه السلام يعنى بذالك ما تفتون الائمّة شيعتَهم فى كلّ حَجٍّ وعُمرةٍ من الحلال والحرام انتهى «شرح الخوئى ج ٥ ص ٨٤»...

اقول-روى فى تفسير البرهان باسناده عن عمروُ بن حريث قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله:﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُها ثابِتٌ وَّ فَرْعُها فِى السَّماءِ**﴾[1] قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انا اصلها واَمير المؤمنين فرعها والأئمّة مِن ذُريّتها اغصانها وعلم الأئمّة ثَمَرتها وشيعتهم المُؤمنون وَرقها هل فى هذا فضل قال قلت لا والله قال والله انّ المُؤمن ليولد فتُورق وَرَقة فيها وانّ المؤمن ليَمُوت فتَسقُط ورقة منها انتهى «تفسير البرهان ج ١ ص ٥٣٦»...

وروى فيه ايضاً باسناده عن ابى حمزة الثمالى عن ابى جعفر عليه السلام قال سئلته عن قول الله تعالى:﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُها ثابِتٌ وَّ فَرْعُها فِى السَّماءِ، تُؤْتِي اُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِاِذْنِ رَبِّها**﴾[2] قال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا اصلها واميرالمؤمنين فرعها والأئمّة اغصانها وعِلمنا ثَمرها وشيعتنا وَرقها يا ابا حمزة هل ترى فى هذا فضلاً قال لافقال يا ابا حَمزَة والله اّ المولود لَيوُلَد من شيعتنا فتورق وَرَقة منها وانّ المؤمن ليموت فتَسقُط وَرَقة منها انتهى« ص ٥٣٦»...

ثمّ نقل الرّواية الّتى رواها الخوئى قدّه عن البحار وقد نقلناها عن شرحه الّا انّه اى صاحب التّفسير زاد فى آخرها بعد قوله عليه السلام من الحلال والحرام قوله

١-ابراهيم-٢٤ ٢-ابراهيم-٢٤/٢٥

عليه السلام فی کلّ سنةٍ الی شیعته.

وروی فیه ایضاً باسناده عن الصّادق فی قول الله تبارك وتعالی کلمة طیّبة الایة قال علیه السلام النّبی والائمّة هم الأصل الثّابت والفَرع الولایة لمن دَخَل فیها انتهی« ص ٥٣٦»...

وروی فیه ایضاً باسناده عن جابر الجعفی قال سئلت ابا جعفر عن قول الله عزّ وجل:﴿کَشَجَرَةٍ طَیِّبَةٍ اَصْلُهَا ثابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِی السَّمَاءِ، تُؤْتِی اُکُلَهَا کُلَّ حِینٍ بِاِذْنِ رَبِّهَا﴾قال علیه السلام امّا الشّجرة فرسول الله صلی الله علیه وآله وفرعها علیٌّ وغُصن الشَّجَرة فاطمة بنت رسول الله وثمرها اولادها ووَرقها شَیعَتنا الحدیث« ص ٥٣٧»...

وروی فیه ایضاً باسناده عن عمر ابن صالح السائری قال سئلت ابا عبد الله عن هذه الآیة اصلها ثابت وفرعها فی السّماء قال علیه السلام اصلها رسول الله وفرعها امیرالمؤمنین، والحَسَن والحسَین ثمرها، وتسعةٌ من وُلد الحُسین اغصانها والشّیعة ورقها الحدیث« ص ٥٣٧»...

وروی فیه ایضاً باسناده عن ابی جعفر وابی عبدالله فی قول الله ضرب الله مثلاً کلمةً طیبةً الآیة قال علیه السلام یعنی النّبی والائمّة من بعده وهم الأصل الثّابت والفَرع الولایة لمن دَخَل فیها انتهی« ص ٥٣٧»...

وامثالها من الروایات فی کتب الأخبار الدّالات علی انّ ثَمَرة هذه الشّجرة هی امیرُالمؤمنین واولاده المَعصومین فقوله علیه السلام: **اِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ** المراد منه انّهم تَمَسَّکوُا فی اِثبات الخلافة لِقریش بانّهم من شَجَرة الرّسول ولم یَتنفطنّوا انّ الشّجرة لأجل الثَّمرَة مع اَنّهم تَرکوُها واَخَذُوا بخشَیتَها وهذا من العجائب والحاصل انّ الخلافة لو کانت فی قریش فینبغی ان تکون فی اصلها وهو الرّسول صلی الله علیه وآله وفرعها وهو امیرالمؤمنین وامّا الخَشَبة مع قطع النَظر عن اصل الشّجرة وفرعها فلا نفع فیها یعتدّ به بل کَثیراً ما تصلح للأحراق بالنّار کما هو کذالك فیما نحن فیه فانّ مُجرّد کون الشَخص من قریش لایدلّ علی فَضله.

واما الدّليل العقلى على المدّعىٰ: فحاصله انّا قد بيّنا انّ الثّمرة فى الشّجرة هى العلّة الغائية لها والعلّة الغائية عبارة عماً لاجله الشّيى وعليه فوجُود الشّجرة لأجل الثّمرة والعقل يحكم حُكماً قطعيّاً بوجوب الأخذ بالثّمرة وحُبّ الشّجرة لأجلها وحيث قد ثَبَت عقلاً كونه عليه السلام هو الثّمرة لها فيَجب الأخذ به وترك غيره وهو المطلوب.

انّ قلت ـ ما الدّليل على كونه عليه السلام هو الثّمرة لها عقلاً وما ذكرته من الرّوايات لاربط له بالعقل اذ لقائلٍ ان يقول لانسلّم الرّوايات الواردة من طُرقكم على اثبات المدّعىٰ لكونها ظنّية الدّلالة.

قلت ـ لاشكّ انّه ليست فى المقام شَجَرة وثمرة واقعاً وانّما ذكرهما تنزيلاً واستعارةً فكما انّ الشّجرة الحَسيّة لها ثمرةٌ بحَسبها فكذالك لكل بيت من البُيوت ثمرةٌ بحَسَبها تَشبيهاً لها بالشّجرة المُثمرة والثّمرة تارةً تكون فى بعض الأشجار حُلواً وفى بعضٍ الآخر مرّاً فكذالك الثّمرات فى البيوت تارة تكون مُفيدة حَسَنة وتارةً مُضرّةً سيئّة فكل بيتٍ تَشبه الشّجرة من هذه الجهة وكما ان الشّجرة تارة تكون طيّبة وتارة خَبيثه فكذالك البيت وعليه فَثَمرةٍ كلّ بيتٍ من البُيوت انّما هى الأفراد المولَدَة منها والموجودة فيها فى كلّ عصرٍ وزمانٍ فكلّما كانت الأفراد اَصلَح واَكمَل واَحسَن فالثّمَرة اَحسَن وبالعكس بالعكس فثَمَرة بيت هاشم ابن عبد مناف مثلاً عبارة عن هاشم وابنه عبد المطّلب وابنائه عبد الله وابوطالب وحَمزة وامثالهم ولا سيّما رسوُل الله صلى الله عليه وآله وابو طالب وَاميرالمؤمنين وجعفر وهكذا ولا يَضرُّهم وجود غيرهم كابى لَهيب وامثاله كما لايَضُرّ فى ثمرات الأشجار وجود بعض الثّمار الغير المفيدة فانّ الحكم باعتبار الأعم الأغلَب فانّ شجرة الرّمان او السّفر جل او النخل وامثالها من الاشجار يحكم بانّها من الأشجار المُفيدة مع إنّه توجد فيها احياناً الثّمرات الّتى لاتنفع ضرورة انّ شجرة الرّمان قلّما يتّفق ان تكون صحيحة الثّمرة ولا يُوجَد فيها رمانٌ فيه عيبٌ ونقص فهذه الشجرة اعنى الشّجرة الّتى اصلها رسول الله

وفرعها اميرالمؤمنين شَجَرةٌ طيّبة اصلها ثابت لكون الرّسول ﷺ ثابت الى يوم القيمة فانّ حلال مُحمّدٍ حلالٌ الى يوم القيمة وحرامه كذالك فبَعد الرّسول اذا توجّهنا الى هذه الشّجَرة الطيّبة وفَتشّنا افرادها الّتى بمنزلة اثمارها لانرىٰ ثمرةً اعلى واَحسَن واَكمَل من علىّ ابن ابيطالب عليه السلام والائمّة المعصومين من وُلده وذالك لانّه كما انّ حُسن الثّمرة الحسّية انّما هو بالحلاوة او مطلق الأنتفاع مثلاً كذالك حُسن الثّمرة المَعنويّة باتّصافها بالكمالات النّفسانية وتَخَلُّقها بالأخلاق الحَسَنة الرّبّانية ولا شك للمُنصف انّ علياً عليه السلام بعد الرّسول كان اَكمَل مصاديقها من جميع الجهات فلو لم يكن هو الثّمرة فَمَن تكون الثَمَرة فتَثبَت انّ عليّاً كان ثمرة هذه الشّجرة بعد النّبى نقلاً وعقلاً فالمطلوب ثابت.

واما قوله عليه السلام: **وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ** اى افسدوها وَضيّعوها ففيه حقائق ودقائق.

١- منها- انّ الثّمرة لأجل الأنتفاع بها فما لاينتفع به فهو بمنزلة التّضييع الا ترى انّ الأثمار فى كل فصل من الفُصول ينتفعوُن النّاس بها فكذالك الأنسان الكامل ينبغى ان يستفاد منه فعدم الأستفادةً عنه بسوء اختيارهم يوجب اضاعته فكانّهم اضاعوه واَفسدوُه ولهذا قال عليه السلام اضاعوا الثّمرة ولم يقل اُصنيعت الثّمرة لانّ النّاس هم الّذين اضاعوها بأختيارهم.

٢- ومنها ـ انّه لو كان الأحتجاج بالشّجَرة الطّيبة فى امر الخلافة صَحيحاً كما هو كذالك فكيف يمكن قطع النّظر عن ثَمَرتها مع انّ العقل يحكم بانّ الشّجَرة لأجل الثّمرة وبعبارة اخرى الثّمرة الجيّدة احقّ بالاتّباع ام غيرها قال الله تم اَفَمن كان يَهدى للحقّ احقّ ان يتّبع امَّن لايَهِدّى الا ان يُهدىٰ فما لكم كيف تَحكُمون وعليه فالاحتجاج من قريشٍ عَلى الأنصار فى غير محلّه.

٣- ومنها ـ انّ اصحاب السّقيفة الملعوُنة صاروُا مانعين من انتفاع النّاس بهذه الثَّمَرة وفيه ظلمٌ عظيمٌ على نَسل البَشر الى يوم القيمة واىّ ذَنبٍ اعظم من هذا الذّنب وبعبارة اخرى اجتماعهم فى السقيفة وطردهم اميرالمؤمنين عليه السلام

عن الخلافة ونَصبهم ابابكر لها صار سَدّاً بين النّاس واهل البيت الى يوم القيمة وعدم استضائتهم بأنوارهم كما هو حقّه فهولاء لم يَظلموا على انفسهم فقط بل ظَلَموا على النّاس طَرّاً واهلَكوهم واَوقَعوهم فى الحَيرة والضّلالة وسَيَعلم الّذين ظَلَموا ايّ منقلبٍ ينقلبون.

۴- ومنها- انّه عليه السلام قال اضاعوا الثّمرة ولم يقل اَفسدوا الثّمرة او مايُراد فها للدّلالة على انّهم لم يُفسدوها بل اضاعوها وذالك لِلفرق بين الأضاعة والأفساد فانَّ الأضاعة عبارة عن جعل الشيى بحيث لاينتفع منه بايجاد المانع بمعنى انّه لولا المانع او فى صورة رفعه لأمكن الأنتفاع به وهذا بخلاف افساد الشّيى فانّه عبارة عن جعل الشّيى خارجاً عن حَنّير الانتفاع بالمَرّة ولا شك انّهم لم يقدروا على افساد الثّمرة وان ارادوه كما قال الله تعالى حكاية عنهم **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[1]

وامّا الأِضاعة فقد اَضاعُوا الثّمَرة بلاكلام اى اَوجَدُ والمَوانع بين ارباب الرُّجُوع والائمة فى طول التّاريخ بحيث لم يَمكن لأحِدٍ من الشّيعة مراجعتهم عَلَناً من غَير تَقيّةٍ حتّى قالوا التّقيةُ دِينى ودين آبائى، وقالوا ايضاً من لاتَقيّتة له لا دين له وامثال ذالك من الأحكام الّتى قد دَلّت على شدّةِ استيلاء الباطل عَلى الحقّ والكُفر على الأيمان ومن المعلوم انّ هذه الأمور الحادثة فى الحكومات الأسلامية ليست الّا لأجل اضاعة المهاجرين والأنصار الثّمرة فى صدر الأسلام فى السّقيفة وهذا ظاهرٌ.

۱- الصف- ۸

ومن كلامٍ له عليه السلام (٦٧)

▫ قوله عليه السلام وَقَدْ اَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هٰاشِمَ ابْنَ عُتْبَتَه، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ اِيّاهٰا لَـمٰا خَلّىٰ لَهُمُ الْعَرْصَةَ وَلاٰ اَنْهَزَمُ الْفُرْصَتَه، بِلاٰ ذَمٍّ لِمُحَمَّدٍ، فَلَقَدْ كٰانَ اِلَّىَ حَبِيباً، وَكٰانَ لِيَ رَبِيباً ...

◁ اللّغة

العَرصته، كلُّ بُقعةٍ ليس فيها بناء والمراد بها هنا عَرصَه مصر (**الْفَرْصَة**) بضمّ الفاء المَجال (**رَبِيباً**) الرَّبيب ابن امرئة الرَّجُل من زَوجٍ غيره.

◁ المعنى

(**وَقَدْ اَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ**)وحكومتها (**هٰاشِمَ ابْـنَ عُـتْبَتَه،**) اى اردت ان اُولّيه عليها (**وَلَوْ وَلَّيْتُهُ**) اى لَو ولّيتُ هاشم ابن عتبته عليها (**لَمٰا خَلّىٰ لَهُمُ**) اى لِلأعداء (**الْعَرْصَةَ**) اى عَرصَة مصر (**وَلاٰ اَنْهَزَم الْفُرْصَتَه**) كـما اَنـهزم مُـحَمّد ايّاهم(**بِلاٰ ذَمٍّ لِمُحَمَّدٍ**) اى محمّد ابن ابى بكر (**فَلَقَدْ كٰانَ**)محمّد ابن ابى بكـر (اِلَّىَ حَبِيباً، وَكٰانَ لِيَ رَبِيباً) لانّ امّة اسماء بنت عميس كانت تحته قد تزوّج بها بعد ابى بكر.

◁ الشرح

اعلم انّ هذه الكلمات قد صَدرت عنه ﷺ بعد توليته مُحمّد ابن ابى بكر حكومة مصر وقتله بها ونحن نتكلّم اوّلاً فى نَسَبَ محمّد ابن ابى بكر وحالاته وهاشم ابن عتبته وحالاته ثمّ نشرع فى شرح الكلمات بعَون الله وكيفيّة صُدور الخُطبة عنه وانّه لاذمّ فيها لمُحمّدِ ابن ابى بكر فنقول.

امّا محمّد ابن ابى بكر:

قال ابن عبد البرّ القرطبى فى كتابه الموسوم بالأستيعاب فى معرفة الاصحاب ما هذا لفظه.

محمّد ابن ابى بكر الصّديق امة اسماء بنت عُميس الخَثعَمِيّة وُلدَ عام حَجَّة الوداع فى عقب ذى القعدة بذى الحَليفة او بالشَّجَرة فى حين تَوجُّه رسول الله ﷺ الى حَجّه ذكر الواقدى قال حدّثنا عمر ابن ابى عاتكة عن عبد الرّحمن ابن القاسم عن ابيه انّ عائشة سَمَّت مُحمّد ابن ابى بكر وكَنَّتهُ ابا القاسم ثمّ نَقل عن ابن عُمير اللّيثى ان مُحمّد ابن اَبى بكر قد سمّى ابنه القاسم فكان يُكنّىٰ بابى القاسم الى ان قال.

ثمّ كان فى حِجر علىّ ابن ابيطالب رضى الله عنه اذ تَزَوَّج اُمَّه اسماء بنت عُميس وكان على الرّجالة يوم الجمل وشهد مَعه صفّين ثمّ وَلّاه مصر فقُتل بها قَتله معاوية ابن خديج صبراً وذالك فى سنته ثمان وثلاثين ومن خَبَره انّ على ابن ابيطالب ولّىٰ فى هذه السَّنَة مالك ابن الحارث الأشتر النَّخَعى مصر فمات بالقلزم قبل ان يَصل اليها فى زَبدٍ وعَسلٍ قُدِّم بَين يَديه فأكَل منه ومات فَولّىٰ عَلىٌّ محمّد ابن ابى بكر فسار اليه عمرو بن العاص فاقتتلوا فأنهَزَم محمّد بن ابى بكر فدَخل فى خَربةٍ فيها حمار ميّت فدَخل فى جوفه فأُحرِق فى جوف الحمار وقيل بل قَتَله معاوية ابن خديج فى المَعركة ثمّ اُحرق فى جَوف الحمار بَعدُ ويقال انّه اُتى به عمرو ابن العاص فقتله صَبراً قال.

وكان علىّ ابن ابى طالب يُثنى على محمّدِ ابن ابى بكر ويُفضّله لانّه كانت له

عبادة واجتهاد وكان ممّن حَضر قَتل عثمان وقيل انّه شارَك فى دَمه وقد نفى جماعة من اهل العلم والخبر انّه شارك فى دَمه الى آخر ما قال.

اقول ما ذكره صاحب الأستيعاب من نَسبه ومَولده ومَقتله ممّا لاكلام فيه اجمالاً وامّا ما ذكره من انّ اميرالمؤمنين ولّىٰ محمّد ابن ابى بكر على مصر بعد شهادة مالك ابن الحارث الأشتر فهو خطأ بل الأمر بالعكس وانّه ولّىٰ عليها مالكاً بعد قتل محمّد ابن ابى بكر وشرح هذه القِصّة على ما ذكره ابن الأثير فى الكامل وهو اَعرَف بالتاريخ من صاحب الأستيعاب هو هكذا.

وفى هذه السّنة فى صَفر بَعَث علىٌّ قيس ابن سعد اميراً على مِصر وكان صاحب رأية الأنصار مع رَسوُل الله ﷺ وكان من ذَوِى الرّأى والبأس فقال له سِر الى مِصر فقد وليتُبكَها واخرُج الى رَحلَك واجمع اليك ثقاتك ومن اَحبَبت ان يَصحَبك حتّى تأتيها ومَعَك جُند فانّ ذالك اَرعب لِعَدُّوك واَعَزّ لِوَلِّيك واَحسِن الى المُحسِن واشدّ على المُريب وارفق بالعامّة والخاصّة فانّ الرِّفق يمن الى ان قال.

فخرج قيس حتّى دخل مِصر فى سبعة من اصحابه على الوجه الّذى تقدّم ذكره فصَعِد المَنبر وجلس عَليه واَمَر بكتاب اميرالمؤمنين فقرء على اهل مصر بأمارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته واِعانته علَى الحَقّ ثُمّ قام قَيس خَطيباً وقال. اَلحَمدُ للّه الّذى جاء بالحقّ وامات الباطل وكَبت الظّالمين ايّها النّاس انّا قد بايَعنا خَير مَن نَعلم بعد نبيّنا فقوموا ايّها النّاس فبايعُوه على كتاب الله وسُنّته رسوله فان نحن لم نَعمل لكم بذالك فلا بَيعة لنا عليكم فقام النّاس فبايَعوا واستقامت مصر وبَعَث عليها عُمالّه اِلّا قَريةٌ يقال لها خَربتا فيها ناسٌ قد اَعظموا قتل عثمان عليهم رجل من بنى كنانة ثمّ من بنى مَدلج اَسمَه يزيد ابن الحرث فبعث الى قيس يَدعوُ الى الطّلب بدَمِ عثمان وكان مسلمة ابن مُخلّد قد اَظهَر الطّلب ايضاً بدَم عثمان فارسل اليه قيس ويَحَك اَعلَّى تثب فَوَ الله ما اُحبّ اَنّ لى ملك الشام الى مِصر وانّى قَتَلتك فبَعث اليه مسلمة انّى كاف عنك

ما دمتُ وأنت والى مصر وبعث قيس وكان حازماً الى اهل خربتا انّى لاُكرهكم على البيعة وانّى كاف عنكم فهادَنهم وجَبى الخراج ليس احدٌ ينازعه وخرج اميرالمؤمنين الى الجَمَل وهو بمكانه وكان أثقل خلق الله على معاوية مخافة ان يُقبَل عَلىٌّ فى اهل العراق وقَيس فى اهل مصر فيقع بينهما معاوية فكَتَب معاوية الى قيس سلام عليك امّا بعد فانّكم نَقمتُم عَلى عُثمان ضَربة بسوط او شتيمة رجل او تيسير آخر واستعمال فتى وقد علمتم انّ دَمَه لايَحلّ لكم فقد رَكبتُم عَظيماً وَجئتم امراً إدّاً فَتُب الى الله يا قيس فانك من المُجلبين على عثمان وامّا صاحبك فانّا استيقنا انّه الّذى أغرى النّاس وحَملَهم حتّى قتلوه وانّه لَم يسلم من دَمه عظم قومك فان استطعت يا قيس ان تكون ممّن يُطالب بدم عثمان فأفعَل وتابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت مابقيت ولِمَن أحبَبت من اهلك سلطان الحجاز مادام لى سلطان وسَلنى ما شئت فانّى اُعطيك واكتب إلىَّ برأيك.

فلمّا جائه الكتاب أحَبَّ ان يدافعه ولا يُبدى له أمره ولا يَتعَجّل الى حَربه فكتب اليه.امّا بعد فقد فهمت ما ذكرته من قتلة عثمان فذالك شيىء لَم اُقاربه وذكرتَ انّ صاحبى هو الّذى أغرىٰ به حتّى قتلوه وهذا ممّا لَم أطّلع عليه وذكرَت انّ عظم عشيرتى لم تسلم فاوّل النّاس كان قياما فيه عِشرتى وامّا ما ذكرته من متابعتك فهذا امرٌ لى فيه نظر وفكرة وليس هذا ممّا يُسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قِبَلى شيء تكرهه حتّى تَرىٰ ونَرى ان شاء الله.

فلمّا قرأ معاوية كتابه رآه مقارباً مباعداً فكتب اليه. امّا بعد فقد قرأت كتابك فَلم أرِكَ تَدنُو فَأعِدّك سِلماً ولا متباعداً فأعِدّك حَرباً وليس مثلى بصانع المخادع ويَنخدع للمكايد ومعه عدد الرّجال وأعِنّة الخَيل والسّلام.

فلمّا قرأ قيس كتابه ورأى انّه لايفيد مَعه المُدافعة والمُماطلة أظهَر له ما فى نفسه فكتب اليه.

امّا بعد فالعجب من اغترارك بى وطَعمَك فِىّ واستسقاك ايّاى أتَسوُمنى

الخروج عن طاعة اولى النّاس بالأمارة وأقولَهم بالحَقّ وأهديهُم سَبيلاً وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلةً وتأمرنى بالدّخول فى طاعتك طاعة أبعد النّاس من هذا الأمر وأقولَهم بالزُّور وأضلَّهم سَبيلاً وأبعدهم من رسول الله ﷺ وسيلةً وَلَدُ ضالّين مُضلّين طاغوت من طواغيت ابليس وامّا قولك انّى ماليٌ عليك مِصر خيلاً ورجالاً فوالله إن لَم أشغلك بنفسك حتّى تكون اهمّ اليك انّك لذو جدٍّ والسّلام.

فلمّا رأى معاوية كتابه يَئس منه وثَقُل عليه مكانه ولم تَنجع حِيَله فيه فكادَه من قِبَل عليٍّ فقال لأهل الشّام لاتَسُبّوا قَيس ابن سَعد ولا تَدعُو الى غَزوه فانّه لنا شيعة قد تأتينا كُتُبه ونصيحته سِرّاً ألاترون مايَفعَل باخوانكم الّذين عنده فى اهل خربتا يجرى عليهم اعطياتهم وارزاقهم ويحسن اليهم وافتَعَل كتاباً عن قيس اليه بالطّلب بدم عثمان والدّخول معه فى ذالك وَقَرائَه على اهل الشام فبلغ ذالك عَلّياً ابلغه ذالك مُحمّد ابن ابى بكر ومُحمّد ابن جعفر ابن ابيطالب واعلمته عُيُونه بالشّام فأعظَمه واكبره فدعا أبنيه وعبدالله ابن جعفر فأعلَمهم ذالك فقال ابن جعفر دَع ما يُريبك الى ما لايُريبك اعزل قيساً عن مِصر فقال عليٌ عليه السلام انّى والله ما أُصدِقّ بهذا عنه فقال عبدالله اِعز له فان كان هذا حقّاً لايعتزل لك فَبَينا هم كذالك اذ جائهم كتاب قيس يخبر اميرالمؤمنين بحال المُعتزلين وَكَفّه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما أخوَفنى ان يكون ذالك ممالاة منه فمُره بقتالهم فكتب اليه يأمرُه بقتالهم فلمّا قرأ الكتاب كَتب جوابه امّا بعد فقد عَجبتُ لأمرك تَأمُرنى بقتال قومٍ كافين غمك مفرغيك لِعدّوك ومتى حادَناهم ساعدوا عليك عَدُّوك فأطِعنى يا أميرالمُؤمنين واكفُف عنهم فانّ الرّاى تَركهم والسّلام فلمّا قرأ عليٌ الكتاب قال ابن جعفر يا اميرالمؤمنين ابعث محمّد ابن ابى بكر على مِصر وَاعزل قيساً فقد بلغنى انّ قيساً يقول انّ سُلطاناً لايستقم الّا بقتل مسلمة ابن مخلّد لسلطان سَوء وكان ابن جعفر اخا محمّد ابن ابى بكر لِأمّه فَبَعث عليٌ محمّد ابن ابى بكر الى مصر وقيل بعث الأشتر النّخعى فمات

بالطّريق فبعث محمّداً، فَقَدِمَ مُحمّد على قيس بمصر فقال له قيس ما بال اميرالمؤمنين ما غيره اَدخَلَ احدٌ بَينى وبَينه قال لا وهذا السّلطان سُلطانك قال لا والله لاأقيم وخرج منها مُقبلاً الى المدنية وهو غضبان لعزله فجائه حَسّان ابن ثابت وكان عُثمانيّاً يشمتُ به فقال له قَتَلت عثمان ونزَعك علّيّ فبقى عليك الأثم ولم يحسن لك الشّكر فقال له قيس يا اعمى القلب والبَصَر والله لو اُلقى بين رهطى ورَهطك حَرباً لضربت عُنُقك اُخرَج عَنّى ثمّ اخاف مروان ابن الحَكَم قيساً بالمدنية فخرج منها هو وسهل ابن حنيف الى علّيٍ فشهدا معه صفّين فكتب معاوية الى مروان يتغيّظ عليه ويقول له لو مَددت علياً بمأته الف مقاتل لكان ايَسر عندى من قيس ابن سعد فى رأيه ومكانه فلمّا قدم قيس على علّيٍ واَخبَره الخبر عِلمَ انّه كان يقاسى امورٌ عظاماً من المكايدة وجائهم خبر قتل محمّد ابن ابى بكر فَغَطّمَ محلّ قيس عنده واطاعَه فى الأمر كلّه انتهى ما اردنا ذكره عن ابى الاثير فى الكامل.

اقول والحق فى المقام كما يظهر من بعض التّواريخ انّ عُزله عليه السلام قيساً عن الأمارة لم يكن باختيارٍ منه بل اَجبَروُه عليه كما اَجبَروه على قبوله التّحكيم والّا فهو عليه السلام كان اجلّ قدراً واعظم شأناً من أن لايعلم حقيقة الحال هذا وامّا كيفية قتل مُحمّد ابن ابى بكر.

قال فى الكامل فى هذه السّنة (سنة ثمان وثلاثين) قُتِل محمّد ابن ابى بكر بمصر وهو عامل علّيٍ عليها وقد ذكرنا سبب تَولية علىٍّ ايّاه مصر وعزل قيس ابن سعد ودخوله مصر وإنفاذه ابن مضاهم الكلبى الى اهل خربتا فلمّا مضى ابن مضاهم اليهم قتلوه وخرج معاوية ابن خديج السّكونى وطلب بدَم عُثمان ودعا اليه فاجابه ناس وفَسدَت مصر على مُحمّد ابن ابى بكر فبلغ ذالك علياً فقال مالمِصر الّا اَحَد الرَّجُلين صاحبنا الّذى عزلناه يعنى قيساً او الأشتر وكان الأشتر قد عاد بعد صفّين الى عَمله بالجزيرة وقال علّيٌ لقيس اَقِم عندى على شُرطتى حتّى تنقضى الحكومة ثمّ تسير الى آذربايجان فلمّا بلغ غليّاً امر مصر

كتب الى الأشتر وهو بنصيبين يستدعيه فَحضَر عنده فأخبره خَبر اهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها(اقول سيأتى كيفية قتله وشهادته بقُلزُم بالسّم عند شرحنا لكلامه عليه السلام حين ولّاه مصر انشاء الله مولّف.

قال صاحب التّاريخ وكان اهل الشّام ينتظرون بعد صفّين امر الحَكَمين فلمّا تفرقّا بايع اهل الشّام معاوية بالخلافة ولَم يَزدد الّا قوة واختلف النّاس بالعراق على عليٍّ فما كان لمعاوية هَمٌّ الّا مصر وكان يهاب اهلها لقربهم منه وشدّتهم على من كان على رأى عُثمان وكان يرجوا انّه اذا ظَهر عليها ظَهر على حرب عليٍّ لعِظم خراجها فدعا معاوية عمرو ابن العاص وحبيب ابن مسلمة وبسر ابن ارطاة وضحّاك ابن قيس وعبد الرّحمن ابن خالد وابا الأعور الأسلمى وشُرحبيل ابن السّمط الكندى فقال لهم اَتدرُون لِمَ جَمعتكُم فَانّى جمعتكُم لأمرٍ لِى مُهمّ فقالوا لَم يطّلع الله على الغيب اَحَداً وما نَعلَم ماتُريد فقال عمرو ابن العاص دعوتنا لتسألنا عن رَأينا فى مصر فأن كنت جمعتَنا لذالك فاعزَم واصبر فنعم الرّاى رأيتَ فى افتتاحها فانّ فيه عِزّك وَعِزّ اصحابك وكَبَت عَدُوِك وذُلّ اهل الشّقاق عَلَيك فقال معاوية اهمك يابن العاص ما اَهمَك وذالك انّ عمراً كان صالَح معاوية على قتال عليٍّ على انّ له مُصر طُعمة مابقى واقبل معاوية على اصحابه وقال اصاب ابو عبد الله فما تَرون فقالوا مانَرى الّا مارأى عَمرو قال فكيف اصنع فانّ عمراً لم يفسّر كيف اَصنَع فقال عَمرو ارىٰ ان تَبعَث جَيشاً كَثيفاً عليهم رجل حازمٌ صابر صارمٌ تأمَنه وتثق به فيأتى مِصر فانّه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عَدُّونا فان اجتمع جندك وَمَن بها على رأينا رَجَوتُ ان يَنصُرك الله قال معاوية ارى ان نكاتب من بها مِن شيعتنا فَنُمينّهم ونأمُرهم بالثُّبات ونكاتب مَن بها مِن عَدُوّنا فندعوهم الى صُلحنا ونُمينّهم شُكرنا ونُخوفّهم حَربنا فان كان ما اَردنا بغير قتالٍ فذالك الّذى اَردناه والّا كان حَربهم من بعد ذالك انّك يابن العاص بورك لك فى الشّدة والعَجَلة وانا بوُرك لى فى التّودة قال عمرو افعل ما ترى فما اَرىٰ اَمرنا يَصير الّا الى

الحرب.

فكتب معاوية الى مسلمة ابن مُخَلّد ومعاوية ابن خديج السَّكُونى وكانا قد خالفا عليّاً يشكرهما على ذالك ويَحثّمها على الطّلب بدم عثمان وبعدهما المواساة فى سلطانه وبَعثه مع مولاه مسبع فلمّا وقفا عليه اجاب مسلمة ابن مخلّد عن نفسه وعن ابن خديج، امّا بعد فانّ الأمر الّذى بَذَلنا اَنفسنا واتبعنا به اَمر الله امرٌ نَرجُو به ثواب ربّنا والنّصر على من خالَفنا وتعجيل النّقمة على مَن سَعىٰ على امامنا وامّا ما ذكرت من المواساة فى سلطانك فتا الله انّ ذالك امرٌ ماله نهضنا ولا ايّاه اَردنا فعجّل الينا بَخيلَك ورجلك فانَّ عَدّونا قد اصبحولنا هائِبين فأن يأتنا مَدَد يَفتح الله عليك فجاء الكتاب وهو بفلسطين فدعا اولئك النَّفر وقال لهم ماتَرون قالوا نرى ان تَبعثُ جُنداً.

فأمر عمرو ابن العاص ليتهجّن اليها وبعث معه ستّته الأف رجل ووَصّاه بالتّودة وتَرك العَجَلة فسار عَمرو فَنَزل ادانى اَرض مِصر فأجتَمعت اليه العثمانيّته فاقام بهم وكتب الى مُحمّد ابن ابى بكر.

امّا بعد فتَنَّحَ عَنّى بدَمك يابن ابى بكر فانّى لاأُحبّ ان يُصيبك مِنّى ظَفَر انّ النّاس بهذه البلاد قد اجتَمَعُوا على خلافك وهُم مُسلّمُوك فأخرج منها انّى لك من النّاصحين وبعث معه كتاب معاوية فى المعنى ايضاً ويَتَهدّده بقصدَه حصار عثمان فأرسل محمّد الكتابين الى علىٍّ ويخبره بنزول عمرو الى ارض مِصر وانّه رأى التَشَاقُل مِمّن عنده ويستمّده فكتب اليه يأمُره ان يَضُمّ شيعته اليه ويعده انفاذ الجُيوش اليه ويأمره بالصَّبر لعدّوى وقتاله وقام محمّد ابن ابى بكر فى النّاس وندَبَهم الى الخروج الى عَدُّوِهم مع كنانة ابن بشر فانتَدب معه الفان وخَرج محمّد ابن ابى بكر بعده فى اَلفَين وكنانة على مقدمته واقبل عمرو نحو كنانة فلمّا دنامنه سَرع الكتائب كتيبةً بعد كتيبةٍ فجعل كنانة لاتأتيه كتيبة الّا حمل عليها فالحقها بعمرو ابن العاص.

فلمّا رأى ذالك بعث الى معاوية ابن خديج فاتاه فى مثل الدّهم فأحاطوا

بكنانة واصحابه واجتمع اهل الشّام عليهم من كلّ جانب فلمّا رأى ذالك كنانة نزل عن فَرَسه ونَزل معه اصحابه فضاربهم بسيفه حتّى اَستَشهَد وبَلَغ محمّد ابن ابى بكر فتفرّق عنه اصحابه واقبل نحوه عَمرو وما بقى مَعه احد فخرج مُحمّد يمشى فى الطّريق فانتهى الى خربة فى ناحية الطّريق فأوىٰ اليها وسار عمرو ابن العاص حتّى دخل الفسطاط وخَرج معاوية ابن حذيج فى طلب محمّد ابن ابى بكر فانتهى الى جمامة على قارعة الطّريق فسألَهُم عنه فقال اَحَدهم دخل تِلك الخَربة فدخلوا عليه فأستخرَجوُه وقد كاد يموت عطشاً واقبلوا به نحو الفسطاط فوَثب اُخوه عبد الرّحمن ابن ابى بكر الى عمرو ابن العاص وكان فى جنده وقال اَتَقتُل اَخى صَبراً ابعث الى ابن خديج فأنهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمُحمّد فقال قتلتم كنانة ابن بشر واُخَّلى انا مُحمَّداً كفّاركم خيرٌ من اولئكم اَم لكم برائةٌ فى الزُّبر هيهات هيهات فقال لهم محمّد ابن ابى بكر اسقُونى ماءً فقال له معاوية ابن خديج لاسقانى الله ان سَقيتُك قَطرةً ابداً انّكم مَنعتُم عثمان شرب الماء والله لاقتلّنك حتّى يُسقيك الله من الحَميم والغساق فقال له محمّد يابن اليهوديّة النسّاجة ليس ذالك اليك انّما ذالك الى الله يُسقى اوليائه ويُظمئى اعدائه اَنتَ وامثالك امّا والله لو كان سَيفى بيَدى ما بَلغتُم منّى هذا.

ثمّ قال له اَتدرى ما اَصنع بك اُدخِلُك جوف حمار ثم اُحرِقه عليك بالنّار فقال محمّد ان فعلت بى ذالك فطالما فعلتُم ذالك بأولياء الله وانّى لارجوُا ان يجعلها عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تَلَظّىٰ كلَّمَا خَبت زادها الله سَعيراً فغَضب منه وقتله ثمّ القاه فى جيفة حمار ثمّ احرَقه بالنّار فلمّا بلغ ذالك عائشة جَزَعت عليه جَزعاً شَديداً وقنَتَّت فى دبر الصّلوة تدعوا على معاوية وعمرو واخذت عيال محمّد اليها فكان القاسم ابن محمّد ابن ابى بكر فى عيالهم وَلَم تأكل من ذالك الوقت شواء حتّى تُوفيّت هذا ثم قال وامّا علىّ فلمّا جائه كتاب محمّد ابن ابى بكر فأجابَه عنه ووَعدَه المَدَد وقام فى الناس خَطيباً

وأخبرهم خَبر مِصر وقَصد عمرو ايّاها ونَدَبهم الى انجادهم وحثّهم الى ذالك وقال اخرجوبنا الى الجرعة وهى بين الكوفة والحيرة فلمّا كان الغد ضَرج الى الجرعة فنَزلها بكرة واقام بها حتّى انتَصَف النّهار فلم يأته احد فَرجع.

فلمّا كان العشى استدعى اشراف النّاس وهو كَئيب فقال.

الحمد للّه على ما قَضىٰ من اَمره وقَدَّر مِن فعله وابتلانى بكم اَيَّتُها الفِرقَة الّتى لاتطيع اذا اَمرتُ ولا تجيب اذا دَعوتُ لاباً لِغيركم ماتَنتظرُون بمصرِكم والجهاد على حَقّكم فو الله لئن جاء الموت وليأتينى ليُفرّقنَ بَينى وبَينكم وانا لِصُحبتكم قال وبَكُم غير كثير للدَدٌ انتم اَما دينٌ يَجمَعكم ولا حَميَّته تحمَيكم اذ اَنتُم سَمِعتُم بعدَوكم ينتقصِ بلادكم ويَشنّ الغارة عليكم الى آخر ما ذكره فى الكامل ثمّ قال صاحب التّاريخ بعد هذه الخُطبة باسطرٍ.

ثمّ انّ الحجاج ابن غزية الانصارى قدم من مصر فاخبره بقتل محمّد ابن ابى بكر وكان مَعه وقَدِم عليه عبد الرّحمن ابن شبيب الفزارى من الشّام وكان عينه هناك فأخبره انّ البشارة من عَمرو وردَت بقتل مُحمّد ومُلك مصر وسُرور اهل الشّام بقتله فقال عليه السلام امّا انّ حُزننا عليه بقدر سُرورهم به لابل يزيد اضعافاً فقام فى النّاس خَطيباً وقال عليه السلام الّا انّ مصر قد اَفتَتحها الفَجَرة اُولى الجِور والظَّلَمة الّذين صَدّوُا عن سبيل الله وبَغوُ الأسلام عِوَجاً الا وانّ مُحمّد ابن ابى بكر اَستَشهد فعند الله نَحتسبُه اَما والله وان كان كما علمت لَمِنّ ينتظر القضاء ويَعمل للجزاء وينغض شكل الفاجر ويُحبّ هُدَى المُؤمن وانّى والله ما الوُم نفسى على تقصير وانّى لمقاساة الحُروُب لَجديرٌ خبيرٌ وانّى لَأتَقَدّم عَلَى الأمر واَعرف وجه الحزم واَقوَم فيكم بالرّاى المُصيب واَستصرُخكم مُعلِناً واُناديكم نداء المُستغيث فلا تَسمعون لِى قَولاً ولا تُطيعون لى اَمراً حتّى تصير بىالامور الى عواقب المائة فأنتم القوم لايُدرك بكم الثّار ولا تنفض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتَجَرجَرتُم جَرجَرة الجَمَل الأشدَق وتَثاقَلتُم الى الأرض تَثاقُل مَن لَيست له نيّة الجهاد ولا اكتساب الأجر

ثمّ خَرج إلىّ منكم جُنيد متذانِبٌ كانّما يساقون الى الموت وهم ينظرون فأُفٍ لَكُم ثُمّ نَزَل عليه السلام انتهى.

هذا ما اردنا ذكره فى نسب محمّد ابن ابى بكر وشهادته وقد نقلناه عن الكامل والعلم عند الله وامّا هاشم ابن عُتبة قال فى الأصابة.

هو هاشم ابن عتبة ابن ابى وقّاص ابن اهيب ابن زهرة ابن عبد مناف الزّهرى الشُّجاع المَشهور المعروف بالمِر قال ابن اخى سعد ابن ابى وقّاص قال الدّو لابى لقَّب بالمِر قال لانّه كان يرقل فى الحرب اى يَسعىٰ ويَسرَع من الأرقال وهو ضَربٌ من العَدُّو.

وقال فى الأستيعاب اسلم هاشم ابن عتبته يوم الفتح يُعرَف بالمرقال وكان من الفضلاء الخيار وكان من الأبطال البهم فقُئِت عنيه يَوم اَليرموُك وساق الكلام الى ان قال.

ثمّ شهد هاشم مع علىٍّ عليه السلام الجَمل وشَهِد صفّين واَبلىٰ فيها بلاءً مذكوراً وبيده كانت رأية علىٍّ على الرّجالة يوم صفّين ويومئذٍ قُتل رضى الله عنه وهو القائل يومئذٍ.

اَعوَر يَبغى اهله محّلاً قد عالج الحَيْوة حتّى مَلّا

لابدّ ان يقلّ او يفّلا وقُطعت رِجله يومئذٍ فَجَعل يقاتل مَن دَنامنه وهو بارك ويقول الفَحل يَحمى شوله ومقولاً، وقاتل حتّى قُتل وفيه يقول ابو الطُفيل عامر ابن وائلة.

يا هاشم الخَير جُزِيَت الجَنّته قاتِلَت فى الله عَدُّو السُنة
اَفلَح بما فُزتَ به من مَنّه

رؤى عنه انّه قال سمعتُ رسول الله يقول يظهر المسلمون على جزيرة العَرب وعلى فارس وعلى الرُّوم وعَلى الأعوُر الدّجال انتهى.

اقول ـ لاشك عندنا وعند مخالفينا انّه كان من اصحاب علّي عليه السلام وشيعته

وقد نقل فى الأصابة عن المرزبانى انّه لمّا جاء قَتل عثمان الى اهل الكوفة قال هاشم لابى موسى الأشعرى وهو يومئذ امير الكوفة من قِبَل عثمان، فَقال يا ابا موسى بايع لِخير هذه الامّة علّىّ عليه السلام فقال ابو موسى ولاتَعجَل، فوضع هاشم اَحدىٰ يديه على الأخرى وقال هذه لعلّىٍ وهذه لِى وقد بايعتُ علّياً وانشد يقول.

أبـــايع غـير مكـتَرثٍ عَـليّاً ولا اَخشـــى اَمـيراً اَشـعريّاً
أُبـــايعه واَعـلُم ان سأرخَـى بـــذاك الله حَـــقّاً واَلنـــبيّاً

وهو يدلّ على حُبّه لعلّىٍ عليه السلام وانّه كان من شيعته ولأجل هذا قال عليه السلام: **وَقَدْ اَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مَصْرَ هٰاشِمَ ابْنَ عُتْبَتِه** اذ لو لم يكن لأيقاً بهذا المقام لَم يَقُل عليه السلام فى حَقّه مأقال وهو ظاهر.

▫ **قوله عليه السلام: وَلَوْ وَلَّيْتُهُ اِيّاهٰا لَمٰا خَلّىٰ لَهُمُ الْعَرْصَتَه وَلاٰ اَنْهَزَمُ الفُرْصَتَه...**

اى ولو وَلَيت هاشم ابن عُتبة على مِصر لما خَلّىٰ لهم اى لِحزب الشّيطان العَرصته ولا اَنهَزهم الفُرصة كما اَنهَزها مُحمّد ايّاهم وخَلّاها لهم وفَرَّ منها ظانّاً منه انّه به يَنجُو بنفسه فلم ينج بل اُخذ وقُتل

▫ **قوله عليه السلام: بِلاٰ ذَمٍ لِمُحَمَّدٍ فَلَقَدْ كٰانَ اِلَىَّ حَبِيباً وَكٰانَ لِى رَبِيباً...**

والمقصود من هذا الكلام دفع ما ربّما يتوَّهم انّه عليه السلام كان بصَدَد ذَمّ محمّد ابن ابى بكر فَدَفع عليه السلام هذا التّوهم بقوله عليه السلام: **بَلاٰ ذَمٍّ لِمُحَمَّدٍ الخ...**

وقوله عليه السلام: **فَلَقَدْ كٰانَ اِلَىَّ حَبِيباً وَكٰانَ لِى رَبِيباً**، فهو بمنزلة الدّليل على عدم ذمّه عليه السلام له اى وكيف اَذُمّه مع انّه كان اِلىّ حَبيباً، اى انا كُنتُ اُحبّه وهو ايضاً كان يحبنى والحَبيب لايذمّ حَبيبه وهو مع ذالك كان لى ربيباً لانّ اُمّه اسماء بنت عُمَيس وهو عليه السلام قد تَزَوّج بها بعد ابى بكر فانّ اسماء كانت اوّلاً تحت جعفر ابن ابيطالب ثمّ بعد شهادة جعفر قد تَزوَّج بها ابوبكر وولدت له محمّد ابن ابى بكر ثمّ بعد ابى بكر كانت تحت علىّ عليه السلام وكان محمّد هذا فى حجره عليه السلام الى ان قُتل بمصر كما مرّ ذكره فكان رُبيبه.

ثمّ انّ محمّداً هذا كان أخاً لمحمّد ابن جعفر ابن ابيطالب لأمّه وامّهما اسماء بنت عُميس وهو اى محمّد ابن جعفر قُتل بصّفين على ما قيل.

روُى انّ عبد الله ابن عبّاس قِدَم من البَصرة على علىٍّ فَعزّاه بمُحمّد ابن ابى بكر وعن مالك ابن الجَون الحَضرمى انّ علياً قال عليه السلام رَحِمَ الله مُحمّداً كان غلاماً حَدثاً لقد كُنت اردت اَن اُولّى المِرقال هاشم ابن عُتبة مِصر فانّه والله لَو وَليتُها لَما خَلّىٰ لابن العاص واَعوانه العَرصَة ولا قُتل إلّا وسيفه فى يَده بلاذمٍّ لمحمّدٍ فلَقَد اَجهَد نفسه وقَضىٰ ما عليه.

وقال المَدايني قيل لعلّيٍ لقد جَزّعت على محمّد ابن ابى بكر جَزَعاً شديداً يا اميرالمؤمنين فقال عليه السلام وما يَمنعنىٰ انّه كان لى رَبيباً وكان لِبنّىَ اَخاً كُنت له والداً اعدُّه وَلداً انتهى اقول وقد وَردت فى مَدحه روايات

منها ـ ما ذكره المجلسى فى البحار باسناده عن حمزة ابن محمّد الطّيار قال ذكرنا محمّد ابن ابى بكر عند ابى عبد الله فقال ابو عبد الله رَحِمه الله وصَلّى عَليه قال لأمير المؤمنين يوماً من الايّام اَبُسط يدك ابايعك فقال عليه السلام او ما فَعَلت قال بلىٰ فَبسط يَده فقال اشهد انك امام مفترض الطّاعة (مفترضٌ طاعتك) وانّ اَبى فى النّار فقال ابو عبد الله عليه السلام كان النجابة من قبل امّه اسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل ابيها انتهى...

ومنها ـ ما ذكره ايضاً باسناده عن زراره عن ابى جعفر عليه السلام انّ محمّد ابن ابى بكر تابَع عَلياً على البرائة من ابيه انتهى...

ومنها ـ ما باسناده عن ابى جعفر عليه السلام قال بايع مُحمّد ابن ابى بكر على البرائة فى الثّانى انتهى...

ومنها ـ ماروا ه باسناده عن شعيب عن ابى عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول ما فى اهل بيت الّا ومنهم نجيبٌ من انفسهم واَنجب النُّجَباء من اهل بيت سوء منهم محمّد ابن ابى بكر انتهى» بحار الانوار ج ٨ ص ٦٥٦ ط كمپانى»...

اقول: وكان محمّد من زهّاد قريش ونسّاكها وكان ممّن اعان يوم الدّار وامّا

انه باشَرَ قتل عثمان ام لافقد اختلف فيه ومن وَلدِه قاسم ابن محمّد فقيه الحجاز ومن وُلد القاسم عبد الرّحمن ابن القاسم وهو ايضاً كان من فضلاء قريش تُكنّى ابا محمّد ومَن وُلد القاسم ايضاً امّ فَروة تَزَوّجها الباقر عليه السلام وقد تُولّد منها الصّادق جعفر ابن محمّد عليه السلام وهذا ممّا قد كَفى لها فخراً فأمامنا الصّادق ينسب من قِبَل اُمّه الى محمّد ابن ابى بكر ولأجل هذا اى حُبّ محمّد ابن ابى بكر لعلّي واولاده صار مَغضوباً عند العامّة فانّك ترايهم يُسمّون معاوية بسَبَب اُخته امّ حبيبة خال المؤمنين ولا يُسَمون مُحمّداً بذالك مع انه كان اخاً لعايشة بنت ابى بكر وليس هذا الّا لنصب معاوية عداوته لأمر المؤمنين وسَبّه ايّاه وكون محمّد رضى الله عنه من خواص اصحابه ومن شعره ره فى هذا الباب قوله.

يا اَبانا قد وَجدنا ما صَلَح ... خاب مَن اَنتَ اَبوُه واَفتَضح
اِنّما اَخرَجنا منك الّذى ... اَخرَج الدُّر من الماء المَلح
اَنسَيَت العَهد فى خمٍّ وما ... قاله المَبعوُث فيه وشَرح
فيكَ وصّىٰ احمدُ فى يَومها ... اَم لمن ابواب خيرٍ قد فَتح
اَم بارثٍ قد تَقَمَّصت بها ... بعد ما يحتجّ عجلك وكَشَح
وسئلك المُصطَفىٰ عَمّا جرى ... من قضاياكم ومن ملك القَبح
ثُمّ عن فاطمة وارثها ... مَن رَوىٰ فيه ومَن فِيه فَضَح
ماتَرىٰ عُذرَك فى الحَشر غَداً ... يا لَكَ الوَيل اذ الحقّ اتَضّح
فعليك الخِزى مِن ربِّ السَّماء ... كلمّا ناح حَمامُ وصَدَح
يا بَنى الزَّهراء انتم عُدّتى ... وبكم فى الحَشر ميزانى رَجح
واذ اَصّحَ وِلائِى بكُمُ ... لااُبالِى اَىُّ كَلبٍ قد نَجَح

ومن كلامٍ له عليه السلام (٦٨)

□ قوله عليه السلام كَمْ اُدارِيكُمْ كَما تُدارَى الْبِكارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيابُ الْمُتَداعِيَةُ ،كُلَّما حِيصَتْ مِن جانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّما اَطَلَّ عَلَيْكُمْ مُنسِرٌ مِن مَّنْاسِرِ اَهْلِ الشّامِ اَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ بابَهُ، وَانْحَجَرَ الضَّبَّةِ فِى حُجْرِها، وَالضَّبُعَ فِى وِجارِها! اَلذَّلِيلُ وَاللهِ مَن نَّصَرْتُمُوهُ، وَمَن رَّمىٰ بِكُمْ فَقَدْ رُمِىَ انحجار بِأَفْوَقَ ناصِلٍ ،اِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِى الْباحاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرّايـاتِ، وَاِنّـى لَعالِمٌ بِما يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ اَوَدَكُمْ، وَلٰكِنّى لا اَرىٰ اِصْلاحَكُمْ بِإِفْسادِ نَفْسِى، اَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ ،وَاَتْعسَ حُدُودَكُمْ، لاتَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْباطِلَ، وَلا تُبْطِلُونَ الْباطِلَ كَإِبْطالِكُمُ الْحَقَّ.

وقال عليه السلام فى سُحْرَةِ الْيَوْمِ الَّذِى ضُرِبَ فِيهِ: مَلَكْتَنِى عَيْنِي وَ اَنَا جالِسٌ، فَسَنَحَ لِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ،فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ماذا لَقِيتُ مِنْ اُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ، فَقالَ: ادْعُ عَلَيْهِمْ ،فَقُلْتَ: اَبْدَلَنِىَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِى مِنْهُمْ، وَاَبْـدَلَهُمْ بِى شَرّاً لَهُمْ مِنّى.

قال السّيد (قدّه) يَعْنِى بِالْأَوَدِ الِاعوِجاجَ، وَبِاللَّدَدِ، الْخِصامِ، وَهٰذا مِـنْ اَفْصَحِ الْكَلامِ.

اللّغة

(**البِكَارُ**) بالكسر جمع بَكر بالفتح وهو الفتى مِن الأبل (**العَمِدَةُ**) بكسر الميم وفتح العين هى الّتى اَنشَدخ داخل سنامها من الرُّكوب وظاهره صحيح (**المُتَداعِيَةُ**)المنخرقة(**حِيصَتْ**) الحَوص الخياطة (**اَطَلَّ**)اَقبَل (**مَنِسرٌ**) كمَجلَس القِطعة من الجيش (**حُجُرِهٰا**)بضمّ الحاء المَهلة وسكون الجيم كلّ ما يحتفره السُّباع والهَوام لأنفسها وحَجَر الضّب. دَخَله (**الضَّبَّةِ**) انثى الضّباب (**الضَّبُعِ**)دابة بريّة (**وِجٰارِهٰا**) بكسر الواو وفتحها بَيتها (**النّٰاصِلِ**) المَنزوع النَّصل (**البٰاحٰاتِ**)الباحة السّياحة (**الرّٰايٰاتِ**) جمع رَايَة وهى العَلَم (**الجُدُود**) الخطوط (**الْأَوَدِ**) العَوج (**اَتعس**) اَلتَّعس الهلاك.

المعنى

(**كَمْ اُدٰارِيكُمْ**) يا اهل الكوفة (**كَمٰا تُدٰارَى الْبِكٰارُ الْعَمِدَةُ**) اى كما يُدارِى صاحب البعير بَعيره المُنشدع السّنام ولابس الأثواب ثيابه الخَلقة المنخرقة (**كُلَّمٰا حِيصَتْ**) الثّياب (**تَهَتَّكَتْ** من جانب **آخَرَ، كُلَّمٰا اَطَلَّ**) واَقبَل (**عَلَيْكُم**)، يا اهل الكوفة (**مَنِسرٌ**) وقِطعةٌ (**مِنْ مَنٰاسِرِ اَهْلِ الشّٰامِ**) وجُيُوشهم (اَغْلَقَ) انسَّد (كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بٰابَهُ) ولزم بَيته خَوفاً منهم (**وَانْحَجَرَ انحِجٰارَ الضَّبَّةِ فِي حُجْرِهٰا، وَالضَّبُعَ فِي وِجٰارِهٰا!**) شَبَّههم بالضَّب والضبّة لجهلهم وحماقتهم (**اَلذَّلِيلُ وَاللهِ مَن نَّصَرْتُمُوهُ،**) لنقاقكم وشقاقكم، (**وَمَن رَّمىٰ بِكُمْ**) واَعتَمد عليكم (**فَقَدْ رُمِيَ**)،واَعتمد (**بِأَفْوَقَ نٰاصِلٍ**) والمعنى من رُمِيَ بكم فقد رُمِيَ بالسَّهم المَكسُور الفَوق المنزوع النَّعل لعدم الأنتفاع به(**وَوَاللهِ انّكم**) يا اهل الكوفة (**لَكَثِيرٌ فِي الْبٰاحٰاتِ**) اى عددكم كثير (**قَلِيلٌ تَحْتَ الرّٰايٰاتِ**) اى فى الحرب (**وَاِنِّي لَعٰالِمٌ بِمٰا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ اَوَدَكُمْ،**) وهو اقامة مراتب السياسة فيهم فى القتل والتّعذيب (**وَلٰكِنِّي لاٰ اَرىٰ اِصْلاٰحَكُمْ بِإِفْسٰادِ نَفْسِي**) لكونه مُوجباً لِلظّلم وهُو يوجب فساد النّفس (**اَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ**) وهو كناية عن

ذلّة النفس (**وَاَتْعسَ حُدُودَكُمْ**) وهو كناية عن الخسران (**لاٰتَعْرِفُونَ الْحَقّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ**) وهو دليل على جَهلهم (**وَلاٰ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَاِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ**) وهو دليل على كونهم من اتباع الباطل دون الحقّ(**مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ اَنَا جَالِسٌ**،) اى غَلَبَنى النّوم (**فَسَنَحَ**) وظَهَر (**لى رسول الله** ﷺ فقلت يا رسول الله (**مٰاذٰا لَقِيتُ مِنْ اُمَّتِكَ مِنَ الْاَوَدِ**) اى الأعوجاج (**وَ اللَّدَدِ**) والخصام (فقال اُدع عليهم، حتّى يَحلّ عليهم العذاب (،**فَقُلْتَ: اَبْدَلَنِيَ اللهُ بِهِمْ**) اى بدلاً منهم (**خَيْراً لِي مِنْهُمْ**) وأبدَلهم بى اى بدلاً منّى (**شَرّاً لَهُمْ مِنّي**.

◁ الشّرح

▫ **قوله** ﷺ **كَمْ اُدٰارِيكُمْ كَمٰا تُدٰارَى الْبِكٰارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيٰابُ الْمُتَدٰاعِيَةُ ،كُلَّمٰا حِيصَتْ مِن جٰانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ...**

شَبَّههم ﷺ بشَيئَن احدهما بالبعير المُنشدخ السَّنام وثانيهما بالثّياب المُتداعية المنخرقة وكلاهما صحيحان.

امّا الوجه فى الاوّل: هو ان البكار العَمِدَة الّتى قد انهَمكَها حَملها لاصَبر لها فى حَمل الأثقال عليها بل تفرّ من معاودة الحَمل وتُجرّجر اذا راد صاحبها الحَمل عليها فكذالك حال اصحابه حيث انّهم لاصبر لهم على الجهاد ولا يَرضَون لَحمل التّكاليف عليهم فاذا قيل لهم جاهد وَعَدُّوكم يقولون كَيت وكَيتَ كلّ ذالك للفرار عن حمل ثقل الجهاد عليهم فيقولون نَفعَل كذا وكذا بألسنتهم وليس قولهم هذا الّا كجَرجَرة البكر العَمِد.

وامّا الوجه فى الثّانى: وهو الثّياب المُتداعية لايمكن اصلاحها لانّ اصلاحها يوجب افسادها اذ المفروض انّها مُنحزقة كلّما حَيصَت وخِيطَت من جانب تهتَّكَت من جانب آخر وتَفسُد فكذالك هؤلاء القوم الّذين هُم عن الحقّ مُعرضوُن فالشّقاق والنّفاق فيهم قد اَوجَب أليأس عن اصلاحهم واستقامتهم على الحقّ ولأجل صُعوبة اصلاحهم قال ﷺ: **كم اُداريكم**، اى كم ارفَق بكُم واَمشى فيكم بالمُداراة والمُماشاة كما يُدارى صاحب البكار العَمِدة والثّياب

المُنحرقة وفيه ايماء الى انّ المداراة الكثيرة لاتَنبغى الّا بـالنّسبة الى الجُـهلاء والسّفهاء ولَيس ذالك من شِيم الرّجال ذَوى العُقُول بل من شأن البهائم ومن لاعقل له فانّ العاقل تكفية الأشارة.

▫ **قوله** ﷺ: **كُلَّمٰا اَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنسِرٌ مِن مَّنٰاسِرِ اَهْلِ الشّٰامِ اَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بٰابَهُ ...**

وَصفهم بالجُبن والخَوف الّذى ليس من شأن الرّجال وذالك لانّه كلّما اَطَلّ واَقبَل منسِرٌ اى قطعةٌ من جُيوش اهل الشّام اَغلَق كلّ رجلٍ منكم بابه خَوفاً من الأعداء ومن كان كذالك فهُو لايستحقّ باطلاق اسم الأنسان عليه فَضلاً عـن الأسلام فانّ المُسلم لابدّ له من ان يكون غَيُوراً مدافِعاً عـن حـريم الأسـلام والمسلمين لا ان يكون مثل الحيوان يأكل ويَمشى ويستريح.

ثمّ انّ فى تعبيره ﷺ: **بمنسِر**، الّذى هو القطعة اشارة الى انّ اهـل الكـوفة يَكفيهم مَنسِرٌ من مناسِر اهل الشّام ولا يحتاج الى اَزيَد من هذا مثل ان يتَّوَجه اليهم جَيشٌ عَظيم لعدم لياقتهم واستعدادهم وغلبته الجُبن عليهم

▫ **قوله** ﷺ: **وَانْحَجَرَ انْحِجٰارَ الضَّبَّةِ فِى حُجْرِهٰا وَالضَّبُعِ فِى وِجٰارِهٰا ...**

ثُمّ بعد ما اَثبَت لهم الخوف شَبَّههُم فيه بـالضَّبته والضَّـبع، وفـى هـذين التَشبهين نكات ولطائف.

امّا تشبيهم بالضَّبة الّتى هى الأنثى من الضِّباب وهى دابّة بَريّة فمن وجوه.

احدها: انّ هذا الحيوان له هَيئةٌ حَسَنته يَتعجّب النّاظر من حُسـنه ولطـافة جلده وهو غافل عن السّم الّذى جُعل فى باطنه واهل الكوفة كانوا هكذا لانّهم فى ظاهر الأمر كانوا من اهل العبادة والنُّسُك وامّا فى باطن الأمر كانوا من اهل الشّقاق والنّفاق.

وثانيها: انّ هذا الحيوان لايقدر على ان يَظهَر عَلناً فى المَرائى والمَناظر الّا مدّةٌ قليلة لعِلمِه بانّه لو يُرىٰ يُقتل لامحالة بل لابدّ له من التّـعيشُ فـى زوايـا الخمول من البَرارى والصّحارى والجبال والحُجوُر الّتى تحت الأرض وامثالها

ممّا يَستَقرّ ويَتمكّن فيه وحيث انّ اهل الكوفة كانوا على هذا المنوال فى مدّة حياتهم وكانوا فى زوايا بُيوتهم خَوفاً من اعدائهم وصَوناً لأنفسهم عن القتل والجرح فشَّبهَهُم به.

وثالثها: انّ هذا الحيوان انّما يقدر على اِضرار غيره من افراد الأنسان مثلاً فى صور الغفلة كأن ان يكون نائماً او غافلاً او ساهياً او صَبيّاً وامّا اذا لم يكن متّصفاً بهذه الأمور فلا يقدر على شيءٍ بل يفرّ عن الأنسان اذ رآه فقوله عليه السلام اشارة الى انّ اهل الكوفة كانوا هكذا بالنّسبة الى اعدائهم.

ورابعها: انّ هذا الحيوان كما قلنا يعيش فى البَرارى وزوايا الأختفاء ولا يليق بالتّعيش فى الأجتماع عَلَناً فكذالك اهل الكوفة ومَن يَحذُ وحَذوهم فانّهم لشقاقهم وعنادهم لايليقون بأدامة الحياة الأنسانية الّتى لابدّ لها من الحُرّية فلا محالة يكونون مَقهوُرين مخذوُولين فى بيوتهم.

وخامسها: انّ هذا الحيوان كانت العَرب فى الجاهلية يأخذونه ويأكلوُنه فقوله عليه السلام اشارة الى انّ اهل الكوفة حيث انّهم تقاعَدوُا عن القتال فكانّهم صار وبذالك لأهل الشّام بمنزلة الضَّب الّذى يوُكَل لَحمه وفيه ايماء الى حقارتهم وذِلّتهم.

وسادسها: انّه عليه السلام شبّه اهل الكوفة بالضَّبة الّتِى هى الأنثى من الضَّب لكونها اَضعفَ منه بمراتب والدّليل على ضَعفها وجُبنها هو انّه إذا ارادت الضَّبة ان تخرج بيضها حَفَرت فى الأرض حَفَرة ورفت فيها البيض وطَمّتها بالتّراب وتَتعاهدها كلّ يوم حتّى يخرج وذالك فى اربعين يوماً وهى تبيض سَبعين بَيضَة واَكثر وحيث اَنجرّ الكلام الى الضّبة فلا بأس بالأشارة الى بعض خواصّها.

قال الدّميرى فى حياة الحيوان الضَّبَ بفتح الضّاد حيوان بَرّىّ معروف يشبه الورل الى ان قال وكُنيته ابو حل والجمع ضِباب واَضُب مثل كَفّ واَكُفّ والأنثى ضَبّته قالت العرب لاافعله حتّى يرد الضَّب الماء لانّ الضَّب لايرد الماء

قال ابن خالويه الضَّب لايشرب الماء ويَعيشُ سبع مائة سنة فصاعداً ويقال انّه يبول فى كلّ اربعين يَوماً قطرةً ولا تسقط له سنّ ويقال انّ اسنانه قطعة واحدة ليست مفرقّة الى ان قال ولمّا كان بَين الحُوت والضَّب هذا التّضاد اشار اليه حاتم الأصّم بقوله.

وكيف اخاف الفَقر والله رازقى
و رازق هذا الخلق فى العُسر و اليُسر
تكفَّل فى الأرزاق للخلق كلّهم
و للضَّب فى البيدا و للحوُت فى البحر

ثمّ نَقل له خواصّاً نشير اليها على سبيل الاجمال.

منهاـ انّه يخرج من حُجره كليل البَصر فيجلوه بالتَّحدّق للشّمس وتعتدى بالنَسيم ويعيشُ ببرد الهَوىٰ وذالك عند الهَرم وفناء الرُّطوبات ونقص الحرارات وبينه وبين العقارب مَوَدّة فلذالك يؤويها فى حجره لتَلسَع المُتحوّش به اذا دَخَل يده لأخذه ولا يتخّذ حُجره الّا فى كدية حجر خوفاً من السّيل والحافر وفى طَبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المَثَل فى الحَيرة.

ومنها ـ انّه لايحفر حُجرة الّا عند اكمة او صخرة لئلّا يضلّ عنه اذا خَرَج لِطلب المَطعَم.

ومنها ـ انّه يوُصف بالعُقُوق لانّه يأكُل حُسوله واولاده فلا يَنجُو منها الّا ماهَرب كما قال الشّاعر.

اَكلَت بَينك اكلَ الضَّب حتّى تركت بَينك ليس لهم عديدُ

ومنهاـ انّه طويل العُمر ومن هذه الجهات يناسب الحَيّات والأفاعى.

ومنها ـ انّه يرجع فى قَيئه كالكَلبُ يأكل رجيعَه وهو طويل اللدّم (الدّماء) بعد الذبح وهشم الرأس يقال انّه يَمكُثُ بعد الذّبح ليلة ويلقىٰ فى النّار فَيَتحرّك.

ومنهاـ انّه لايخرج من حجره فى الشّتاء والى هذا المعنى اشار امّية ابن ابى

الصّلت حيث قال.

أَءَذكر حاجتى ام قد كفانى	حياءُك ان شيمتك الوفاء
اذا أثنىٰ عليك المَرء يَوماً	كفاه من تعرّضَه الثّناء
كريمٌ لايغيّره صَباحُ	عن الخلقِ الجَميل ولا مَساءُ
يُبادى الرّيح مَكرمةً ومَجداً	اذا ماالضَّب أَحجره الشّتاء
فأرضك كلّ مكرمة بناها	بنوتيم وانت لها سماءُ

وانت اذا تامَلّت هذه الأوصاف وجَدتها مُنطبقة عَلى اهل الكوفة وأَمثالهم من المنافقين المعاندين المسامحين للقتال مع الأعداء خوفاً منهم على انفسهم ولَم يَعلموا انّ هذا يوجب تَقوية المنكر وتائيد الظّلم والظّالم وتضعيف الحقّ واهله ومَن كان هذا شأنه فلا ينبغى ان يخاطَب بكلام.

خاتمة فيها فائدة روى الدّميرى عن الدّار قطنى والبيهقى وغيرهما باسناده عن ابن عُمر قال انّ النّبى ﷺ كان فى مَحفلٍ من اصحابه اذ جاء اعرابىٌ من بنى سليم قد صاد ضَبّاً وجَعله فى كُمّه ليذهب به الى رَحله فرآى جماعةً مُحتفّين بالنّبى ﷺ فقال على مَن هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا الّذى يزعم انّه نَبى فاتاه وقال يا محمّد ما اشتملت النّساء على ذى لهجةٍ أَكذَب منك فلولا ان تُسمّينى العرب عَجوُلاً لقَتلتك وسَررتُ بقتلك اجمعين فقال عمر يا رسول الله دَعنى اقتله فقال ﷺ أَما علمتَ انّ الحَليم كاد ان يكون نَبيّاً.

ثمّ اقبل الاعرابى على رسول الله ﷺ وقال واللّات والعزّى لاآمنتُ بك حتّى يؤمن هذا الضّب وأَخرَج الضّب فى كُمّه وطرحَه بين يدى رسوُل الله وقال إن آمَن بك آمَنتُ بك فقال رسول الله يا ضَبّ فكَلّمه الضّبّ بلسانٍ طَلَقٍ فصَيح عَربّى مُبينٍ صريح يَفهَمه القوم جميعاً لبّيك وسَعْديك يا رسول الله ﷺ فقال ﷺ مَن تعبُد قال الّذى فى السّماء عَرشه وفى الأرض سُلطانه وفى البَحر سبيله وفى الجنّته رَحمته وفى النّار عذابه فقال ﷺ من أَنا يا ضَبّ قال انت رسوُل الله ربّ العالمين وخاتم النّبيين قد أَفلَح من صَدّقك وقد خاب من

كَذَّبك فقال الاعرابى اشهد ان لااله‌الاّالله وانّك رسول الله حقّاً والله لقد اتيتك وما على وجه الأرض اَحدٌ هو اَبغَض الىّ منك ووالله لأنتَ السّاعة احبُّ الىّ من نَفسى ومن وُلدى فَقدا مَنّ بك شَعرى وبشرى وداخَلى وخارجى وسِرّى وعلانيتى فقال له رسول الله الحمد للّه الّذى هداك الى هذا الدّين الّذى يَعلوُا ولا يُعلىٰ عليه الحديث اقول كانت العرب فى الجاهليّة تأكُله واكثر العامّة على حليّة اكله فى زماننا ايضاً والحقّ انّه حرام لانّه من الحَشرات البرّية ولا خلاف لنا فيه واستدلّ المخالف على كونه حلالاً بقول الشّاعر:

اَكَلتُ الضُّباب فما عِفتُها ... وانّى اشتَهيتُ قديمَ الغَنَم
ولَحم الجُزوف حَنيذاً وقد ... اَتيتُ به فاتراً فى الشَّمم
وامّا البُهَض وحيتانكم ... فأصبحتُ منها كَثير السَّقَم
وركّبتُ زَبَداً على تَمرةٍ ... فنعم الطّعام ونعم الأدِم
وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُوْ ... فلَم اَرَ فيها كَضَّبٍ هَرَم
وما فى التُّيوس كبيض الدّجاج ... وبيض الدّجاج شفاءً القرم
ومكن الضّباب طعام العريب ... وكايشه منها رؤوس العَجم

فهذه الأشعار الّتى قالها رجلٌ من سُكّان البادية الّذى كان لايَعلَم شيئاً من الأحكام الشّرعية والنواميسُ الالهيّته هى دليل العامّة على جواز اَكله فانّهم يقولون لولا إنّه يجوز اَكلُه لما قال الشّاعر ما قال فانظروا معاشر النّاس الى هذه الفتاوى وما صَدرَ عَنهم وللبحث فيه مقام آخر.

تنبيهٌ يَظهَر من بعض الأقوال انّ الضَّب له سَمٌّ فى جوفه ومن بعضٍ آخر خلافه كما علمتَ من الدَّميرى وعلى كلا القولين لاشك انّه من الحيوانات البَرّية الموصوفة بالصّفات المذكورة والعلم عند الله.

وامّا تَشبيهه عليه السلام اهل الكوفة بالضَّبعُ حيث قال واَلضُّبَّع فى وِجارها فهو ايضاً فى محلّه وفيه دقائق.

احديها: انّ اَلضَّبعُ مؤلعةٌ نبنَبش القُبُور لكثرة شَهوَتها لِلحوُم بنى آدم وحَتّى

رأت انساناً نائماً حَضِرت تحت رأسه وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دَمه.

وهكذا كانت اهل الكوفة وذالك لانّهم لم يكونوا من رجال الحَرب وذوات الغيره فى دفع الأعداء عن نفوسهم بل كانوا كالضبع ينتظرون الفرصة للغلبة على الأعداء فى النّوم لافى اليقظة وبالنسبة الى الأموات لابالنسبة الى الأحياء وهذا شأن المنافقين الفارّين عن الجهاد فى سبيل الله.

وثانيها: انّ الضّبع فاسقة لايَمرُّ بها حيوان فى نوعها الّا حلاها وتَضرب العَرب بها المَثَل فى الفساد فانّها اذا وقعت فى الغَنَم عاثت ولَم تَكتَف بما يكتفى بها الذّئب فاذا اجتَمَع الذّئب والضبُّعُ فى الغنم سلمت لانّ كلّ واحدٍ يمنع صاحبه والعَرب تقول فى دعائها اللّهم ضَبُعاً وذبئاً اى اجمعهما فى الغنم لتسلم كما قيل:

تــفرقّت غَــنمى يَــوماً فــقلت لهـا

يــا ربّ سِـلّط عـليها الذّئب والضّـبعا

وهكذا كانت الأراذل من اهل الكوفة من جهة الحرص والوَلع وعدم القدرة على الفعل مَنع الغير عنه وهو دليل على تَفرُّقهم وتَشتُّتهم فى الأمور.

وثالثها: انّ الضَّبع فى الحُمق ممّا يُضرب به المَثَل واهل الكوفة كانوا كذالك فانّ من لايدفع عن دينه ونفسه وماله وعرضه فهو من أحمق النّاس وهو ظاهرٌ وامثال ذالك من وجوه الشَّبَه بينها وبينهم.

▫ **قوله عليه السلام: اَلذَّلِيلُ وَاللهِ مَن نَّصَرْتُمُوهُ ...**

والمقصود ومن هذا الكلام انّكم لَستُم بناصرين فى الواقع فانّ فى نُصرتكم الذِّلة والحِقارة كما هو شأن المنافق وذالك لعدم الأعتماد على قول المنافق فَمن اعتَمد عليه فقد خَسر خُسراناً مُبيناً وانّما مَثَلَه مثل السَّراب فى بقيعةٍ يحسَبه الظّمان ماءً فاذا وَصل اليه لَم يَجد شيئاً.

وفى هذا الكلام اشارة الى انّه عليه السلام لم يغتر باقوالهم والفاظهم لعلمه بنفاقهم وانّهم ليسوُا بناصرين له فكانّه قال لهم لست مِمّن اعتَمدُ على نُصرتكم حتّى

اكوُن ذليلاً بعد عدم نُصرتكم لى بل انا عَزيزٌ قـوىٌّ لعـدم اعـتمادى عـليكم فقوله عليه السلام هذا لايدلّ على صَيروُرته ذليلاً بعد ما لم يَنصُروه بل يدلّ على ثبوت العزّة والشَوكة له عليه السلام لعدم اعتنائه بهم.

▫ **قوله عليه السلام: وَمَنْ رُّمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رَمِىٰ بِاَفْوَقَ نَاصِلٍ...**

وهذا الكلام منه عليه السلام يويّد كلامه السّابق وفيه استعارة حيث انّه عليه السلام شَبَّههم بالنّصل المنزوع الّذى كان مكسور الفوق فكما انّه لايمكن الرّمى بذالك النّصل فكذالك لايمكن الغلبته على الأعداء بسبب نُصرة اهل الكوفة وهذا دليل على عدم صلاحيّتهم ولياقتهم لِلأِستمداد والأِستِنصار.

▫ **قوله عليه السلام: وَوَاللهِ اِنَّكُمْ لَكَثِيرٌ فِى الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ...**

ثم وصفَهم بشيئين احدهما كونهم كثيرين فى الباحات اعنى السّياحات وثانيهما انّهم قليلون تحت الرّايات اعنى ميادين الحُروُب وهما دليلان على ضَعفهم وجُبنهم وانّهم اشباه الرّجال ولا رجال وفيه اشارة الى عدم اطاعتهم له عليه السلام حين اَمرَهم بالجهاد مع الأعداء كما سبق شَرحه مفصّلاً.

▫ **قوله عليه السلام: وَاِنّى لِعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ اَوَدَكُمْ...**

ثم افاد عليه السلام فانه كان عالماً بما يصلح اهل الكوفة ويرتفع الأعوجاج عنهم باقامة مراتب السّياسته فيهم من القتل والتّعذيب واستعمال وجوه الحِيَل والتّدبير واخذ المَظلوُم بالظّالم كما فَعلَ بهم من كان بعده من الأمراء والحكّام الجائر ولكن هذا الطّريق مُخالف لأمر الله سبحانه وهو لايليق به ولذالك استدرك الكلام بقوله

▫ **قوله عليه السلام: وَلٰكِنِّى لاٰ اَرىٰ اِصْلاٰحِكُمْ بِاِفْسَادِ نَفْسِي ...**

اى هذا الطريق يوجب افساد نفسى وان كان فيه اصلاحكم وذالك للزومه الظّلم ومن المعلوم انّ المتّصف بالظّلم يكون فاسداً فى حدِّ نفسه واذا كان اصلاح الغير مُتوقّفاً على افساد النّفس فحفظ النّفس اولى من اصلاح الغير فانّ كلّ انسانٍ يجب عليه حفظ دينه اوّلاً ثمّ اصلاح غيره وفى هذا الكلام ردٌّ على

من يُفسِد نفسه فى اصلاح غيره والغَرَض من الأصلاح فى المقام ليس هو الأصلاح الواقعى الدّينى فانّه لايمكن مع فساد النّفس كما هو واضح بل الغَرض هو الأصلاح بحسب ظاهر الأمر من حيث الأطاعة والأنقياد وهذا الأصلاح لايُعباء به ولا قيمة له ولذالك قال عليه السلام ما قال.

▫ **قوله عليه السلام: اَضْرَعَ اللهُ خُدوُدَكُمْ وَاَتْعَسَ جُدوُدَكُمْ...**

ثمّ دعاء عليهم بقوله اَضْرَعَ اللهُ خُدوُدَكُمْ والمعنى اذلّكم الله وقوله عليه السلام: **اتَعَس جُدوُدكم** اى آيَسكُمُ الله عن رَحمَتَه فى الدّنيا والآخرة ثمّ استدلّ عليه السلام على هذا الدّعاء بقوله.

▫ **قوله عليه السلام: لاتَعْرِفُونَ الْحَقّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْباطِلَ، وَلا تُبْطِلُونَ الْباطِلَ كَاِبْطالِكُمُ الْحَقَّ...**

والدّليل على الاوّل: عدم متابعتهم له عليه السلام ومتابعتهم للشّيطان وهو دليل على عدم معرفتهم اياه اذ لو عرفوه اطاعوه لانّه امام مُفتَرض الطّاعة وحيث انّهم كان من مخالفيه قولاً وعملاً ومتابعى الشّيطان كذالك فلامحالة صَحَّ القول بعدم معرفتهم الحقّ كمعرفتهم الباطل فانّ القول والفعل يدّلان على الضّمير.

واما الدّليل على الثانى: فهو ايضاً واضح لانّهم لو كانوا يبطلون الباطل لما تقاعدوا عن القتال مع اعداء الدين اعنى معاوية واصحابه ومن المعلوم ان عدم ابطال الباطل ملازمٌ لأبطال الحقّ لعدم الواسطة بينهما وهذا واضح لاخفاء فيه ومن كان كذالك فهو يليق ويَستحق بالدّعاء عليه.

ومن خطبة له عليه السلام (٦٩)

▫ **قوله عليه السلام مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ اَنَا جالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ،فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ماذا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ، فَقالَ: ادْعُ عَلَيْهِمْ ،فَقُلْتَ: اَبْدَلَنِيَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِي مِنْهُمْ، وَاَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي....**

اعلم انّ هذه الجملات قد مرّ شر لغاتها وذالك لانّا ادرجنَاها فى الخطبة السّابقة ولمّا رأينا انّ الشّراح اَفردوها بالذّكر وعَدُّوها من الخُطَب فنَحن ايضاً اقتَفَينا اَثرهم مراعاةً لترتيب الخُطَب فنقول.

▫ **قوله عليه السلام: مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ اَنَا جالِسٌ** الى آخر الخطبة فيه اشارة الى امور.

اَحدَها قوله عليه السلام: **مَلَكتنى الى قوله رسوُل الله...**

ففيه اشارة الى رؤيته عليه السلام رسول الله فى المنام وقد قال صلى الله عليه وآله مَن رآنى فقد رَأنّى فيلزم منه انّ مارآه كان حقاً لامرية فيه وفى التّعبيرِ عن النّوم بقوله مَلَكتنى عَينى اشارة الى استعارةٍ حَسنته وذالك لانّه كما انّ المَلِك يكون غالباً على الرّعيته مُسلّطاً عليها فكذالك النّوم اذا غلب على الأنسان يكون قاهراً مسلّطاً عليه بحيث لايمكن دفعه.

وثانيها قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ماذا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ، ...**

وفيه ايماء بل اشعار بانّه عليه السلام قد شكىٰ الى رسول الله ممّا لقىٰ من الامّة من

الأوَد واللَّدد، اعنى تركهم ايّاه وعدم متابعتهم له مع انّهم كانوا مامورين باتّباعه والأخذ منه ففى هذا الكلام دلالة على غاية كربه منهم من جهة تقصيرهم فى الاجابة الى دعائه وتوانيهم فى القتال والجهاد الى آخر ما فَعلوا به بعد الرّسول.

ثالثها قوله عليه السلام: **فقال ادْعُ عَلَيْهِمْ...**

اى قال لى رسول الله اُدع عليهم اى على الامّة فأمره ايّاه عليه السلام بالدّعاء عليهم دليل على عدم رضايته صلى الله عليه وآله عنهم والّا لما اَمرَه به.

ورابعها قوله عليه السلام: **فَقُلْتَ: اَبْدَلَنِيَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِى مِنْهُمْ، وَاَبْدَلَهُمْ بِى شَرّاً لَهُمْ مِنّى....**

اى لمّا اَمرَنى رسول الله صلى الله عليه وآله بالدّعاء عليهم فقلت اَبدَلنى الله الخ دَعا عَليهم بدعائين.

احدهما قوله عليه السلام: **اَبْدَلَنِيَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِى مِنْهُمْ...**

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَاَبْدَلَهُمْ بِى شَرّاً لَهُمْ مِنّى....**

امّا الاوّل: منهما فالمراد به انّ النّاس لنفاقهم وعنادهم لايليقون لِلمجالسة والمؤانسة والمومّن لابدّ له من جَليسٍ من اهل الأيمان ليأنس به ولا شك انّ مرافقة الأبرار من اعظم النّعم ولمّا كان اكثر اهل زمانه من الأشرار فتمنّى عليه السلام المفارقة عنهم والمجالسة لغيرهم ولا يبعد ان يكون كلامه هذا مُشعراً بتميّنه الموت ضرورة انّ الآخرة هى الدّار المُعدَّة لهذه الأخيار.

وامّا الجملة الثّانية ففيها اشعار بل اخبار بظلم الولاة والحكّام بعده كما كان كذالك فانّ زياد ابن ابيه وابنه عبيد الله وامثالهما ممّن سُلّطوا عليهم بدعائه عليه السلام لَم يَرحَموُهم بل قَتلوهُم ونهبوُهم وسَلبوُهم وهَتكوُهم على ما شهدت به التّواريخ.

ثمّ انّ قوله عليه السلام: **شَرّاً مِنّى**، ليس فيه دلالة على وجوُد الشَرّ فيه عليه السلام بل المراد منه اِمّا الأنسلاخ عن معنى التّفصيل كما هو اَحَد الاحتمالين او على زعمهم

الفاسد فانّهم كانوا يزعمون انه عليه السلام شَرٌّ لهم ولأجلٍ هذا خالفوه وعَصَوه وعليه فكان الكلام على اعتقادهم الكاسد اى ان كنتم زَعمتم كذالك فَسَترون مَن يكون شراً وامّا كيفيّة شهادته عليه السلام فقد مضىٰ والحمد للّه ربّ العالمين.

ومن خطبة له عليه السلام (٧٠)

▫ قوله عليه السلام أَمَّا بَعد يا اَهْلَ الْعِراقِ فَاِنَّما اَنْتُمْ كَالْمَرْئَةِ الْحامِلِ حَمَلَتْ! فَلَمَّا اَتَمَّتْ اَمْلَصَتْ، وَماتَ قَيِّمُها، وَطالَ تَأَيُّمُها، وَوَرِثَها اَبْعَدُها. اَما وَاللهِ ما اَتَيْتُكُمُ اخْتِياراً، وَلٰكِنْ جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي اَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ قاتَلَكُمُ اللهُ، فَعَلىٰ مَنْ اَكْذِبُ ؟اَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ اَم عَلٰى نَبِيِّهِ؟ فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ! كَلاَّ وَاللهِ وَلٰكِنَّها لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْها، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِها، وَيْلُ امّه كَيلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كانَ لَهُ وِعاءٌ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ...

◁ اللّغة

(اَمْلَصَتْ) املَصَت الحامل وَلدها القَته مَيتاً (قَيِّمُها) قيّم المِرئة زَوجها (تَأَيُّمُها) التّايم على وزن التَّصَرُّف وتأيم المِرئة خلّوها من الزَّوج والأيم مَن لازوج له (اللَّهجة)اللّسان.

◁ المعنى

(اَمّا بَعْدُ) اى بعد الحَمد والثّناء عليه او بعد ماذِكرناه بناءً على كون هذه الكلمات فى خطبة طويلة كما هو المُحتَمل قَوياً (يا اَهْلَ الْعِراقِ فَاِنَّما اَنْتُمْ كَالْمَرْئَةِ الْحامِلِ)،شبَّههم بها والكاف للتّشبيه (حَمَلَتْ) اى حَمَلت المرئة(فَلَمّا اَتَمَّتْ) اى فلمّا اتمّت المرئة ذالك الحمل بمضّى تسعة اشهر مثلاً عليها

(**اَمْلَصَتْ**) الحامل واَلقَت ولدَها ميتاً، (**وَمَاتَ قَيِّمُهَا**) اى زَوجها (**وَطَالَ تَأَيُّمُهَا**) اى تأيّم الزّوجة بخلّوها منه (**وَوَرِثَهَا اَبْعَدُهَا**) بفقدان الوارث القريب ثمّ اَقسم عليه السلام بالله وقال (**اَمَا وَاللهِ**)، اى اُقسِم بـه (**مَااَتَيْتُكُمْ**) مـن المـدينة الى العراق (اختِياراً) منّى (**وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً**) واضطراراً (**وَلَقَدْ بَلَغَنِى اَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللهُ**) دعاءٌ منه عليه السلام عليهم (**فَعَلَىٰ مَنْ اَكْذِبُ اَعَلَى اللهِ**) اَكذِب (**فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ**) والمؤمن لايكذب وهـو مـؤمن (**اَم عَلَىٰ نَبِيِّهِ فَاَنَا اَوَّلُ مَن صَدَّقَهُ**)، بالرّسالة ومن كان كذالك فكيف يكذّب عليه (**كَلاّ وَاللهِ**)انّى لا اكذب (**وَلٰكِنَّهَا**) اى الأخبار الغيبية (**لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَـمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِهَا**) لضِعف عُقُولكم وقِلّة ادراككم (**وَوَيل اُمِّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ دَعَاءٌ**) تعجّب عليه السلام من جهلهم واستَعظم مقالتهم او دَعـا عـليهم (**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاَئَه بَعْدَ حِينٍ**) اى ولَتعلمُنّ ثمرة قولكم هذا بعد مفارقتى عنكم.

الشّرح

هذه الخطبة انّما صَدرَت عنه عليه السلام فى ذمّ اهل العراق ومعدن الشّقاق والنّفاق حيث نَسبوه الى الكذب فقال عليه السلام: **اَمَّا بَعْدُ يَا اَهْلَ الْعِرَاقِ** الى قوله عليه السلام: **اَمَا وَاللهِ**...

شبّه عليه السلام اهل الكوفة بالمرئة الحامل الّتى اتَّمّت حَملَها ثمّ اسقَطَت حَملها ميتاً ومات زوجها عنها وطال خُلّوها منه ووَرثها اَبعدها ووَجه الشّبه فيه هو انّ المرئة اذا كانت كذالك فتثبت لها اوصاف خمسة.

احدها: حَملها بما فى بطنها من الجنين.

وثانيها: اتمام الحمل لها بمُضّى تسعة اشهر وتسعاً عليها.

وثالثها: الأملاص له او هو اسقاطها جنينها ميتاً.

ورابعها:مَوت قَيّمِها اعنى زوجها.

وخامسها: عدم وجود الوارث القريب لها وهذه الوجوه المذكورة هى الّتى صارت وجوه الشّبه بين اهل الكوفة والمرئة الموصوفة بـها فأستعداد اهـل

الكوفة وقابليّتهم للحرب يَشبَه حمل المرئة، ومشارفتهم لأستيصال اهل الشام والظَّفَر على المَقصُود الّذى حَصَل لهم فى وَقعة الصِّفين يَشبَه اتمام الحَمل للمرئة) واجابتهم اهل الشام الى التَّحكيم تَشبه املاصها اى اسقاطها الوَلد مَيتاً من جهة كون هذا الأمر منهم على خلاف الطَّبيعة كما انّ الأملاص كذالك وبقائهم بعد ذالك فى الدّنيا بمنزلة موت القَيّم للمرئة فانّه لاآمر لِمَن لايُطاع فكانّه عليه السلام مات عنهم من جهة عدم اطاعتهم له وتَسلُّط معاوية واصحابه على بلادهم شبيه الوارث البَعيد لكونه بَعيداً عن الأيمان والأسلام وحاصل كلامه هو انّ اهل الكوفة بسبب المسامحة والمساهلة فى امر الجهاد وعدم اطاعتهم له عليه السلام فى الأمور صاروا كالمرئة الموصوفة بما ذكره عليه السلام من جهة عدم الأنتفاع فكما انّ المرئة المَوصوُفة لم تَنتفع بهذا الحمل ولم تَبق لها الّا المشّقة والكُلفة فكذالك هؤلاء القوم لم تنتفعوا من افعالهم واعمالهم شيئاً لعدم استقامتهم وثباتهم على الدّين واستحفاظهم على الأوامر الشّرعية الّتى كانت فى متابعتهم ايّاه فلامحالة صارت اعمالهم بلانتيجة وافعالهم واقوالهم بلاثَمرة.

▫ **قوله عليه السلام: اَمّا وَاللهِ مٰا اَتَيْتُكُمْ اخْتِياراً وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً ...**

ثمّ اقسم عليه السلام بالله وقال ما اَتيتُكم اختياراً الى آخره وفى العبارة احتمالان:

احدهما: ان يكون المراد بها هو ظاهر الأمر اعنى هجرته عليه السلام من المدينة الى الكوفة واستقراره بها بعد الخلافة والوجه فيه هو انّه عليه السلام بايعُوا له بالخلافة فى المَدنيته ارادان يقيم بها كغيره ممّن كانوا قبله من الخلفاء لانّها كانت دار الهجرة ومَقرّ الحكومة والخلافة ومَسكن اصحاب الرّسول من خيار الصّحابة وانّما هَجر عليه السلام عنها وانتَقَل الى الكوفة من غير اختيار منه بل لِأجَل نكث النّاكثين بيعته وخروجهم من المدينة الى مَكّة ومنها الى البصرة وقتلهم شيعته بها كما مرّ تفصيل ذالك فى وقعة الجَمل فلا جرم خَرج عليه السلام من المدينة وتَوجّه نحو البصرة لِقَلع مادّة الفساد وقتل النّاكثين الموصوفين بالعناد والنّفاق ثمّ انّه عليه السلام بعد وروده العراق لم يرجع الى المَدينة ودار الأمر بين الأقامة بالبَصرة والأقامة

(**اَمْلَصَتْ**) الحامل واَلقَت ولدَها ميتاً، (**وَمَاتَ قَيِّمُهَا**) اى زَوجها (**وَطَالَ تَأَيُّمُهَا**) اى تأيّم الزّوجة بخلوها منه (**وَوَرِثَهَا اَبْعَدُهَا**) بفقدان الوارث القريب ثمّ اَقسم عليه السلام بالله وقال (**اَمَا وَاللهِ**)، اى اُقسِم بـه (**مَااَتَيْتُكُمْ**) مـن المـدينة الى العراق (**اختِيَاراً**) منّى (**وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً**) واضطراراً (**وَلَقَدْ بَلَغَنِي اَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ عليه السلام يَّكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللهُ**) دعاءٌ منه عليه السلام عليهم (**فَعَلَىٰ مَنْ اَكْذِبُ اَعَلَى اللهِ**) اَكذِب (**فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ**) والمؤمن لايكذب وهـو مـؤمن (**اَم عَلَىٰ نَبِيِّهِ فَاَنَا اَوَّلُ مَن صَدَّقَهُ**)، بالرّسالة ومن كان كذالك فكيف يكذَب عليه (**كَلاَّ وَاللهِ**)انّى لا اكذب (**وَلٰكِنَّهَا**) اى الأخبار الغيبية (**لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَـمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِهَا**) لضِعف عُقُولكم وقِلّة ادراككم (**وَوَيل اُمّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ دَعَاءٌ**) تعجّب عليه السلام من جهلهم واستَعظم مقالتهم او دَعا عـليهم (**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاَئَه بَعْدَ حِينٍ**) اى ولَتَعلمُنّ ثمرة قولكم هذا بعد مفارقتى عنكم.

◁ الشّرح

هذه الخطبة انّما صَدرَت عنه عليه السلام فى ذمّ اهل العراق ومعدن الشّقاق والنّفاق حيث نَسبوه الى الكذب فقال عليه السلام: **اَمَّا بَعْدُ يَا اَهْلَ الْعِرَاقِ** الى قوله عليه السلام: **اَمَا وَاللهِ**...

شبّه عليه السلام اهل الكوفة بالمرئة الحامل الّتى اتّمّت حَملَها ثمّ اسقَطَت حَملها ميتاً ومات زوجها عنها وطال خُلّوها منه ووَرثها اَبعدها ووَجه الشّبه فيه هو انّ المرئة اذا كانت كذالك فتثبت لها اوصاف خمسة.

احدها: حَملها بما فى بطنها من الجنين.

وثانيها: اتمام الحمل لها بمُضّى تسعة اشهر وتسعاً عليها.

وثالثها: الأملاص له او هو اسقاطها جنينها ميتاً.

ورابعها:مَوت قَيّمِها اعنى زوجها.

وخامسها: عدم وجود الوارث القريب لها وهذه الوجوه المذكورة هى الّتى صارت وجوه الشّبه بين اهل الكوفة والمرئة الموصوفة بـها فأستعداد اهـل

الكوفة وقابليّتهم للحرب يَشبَه حمل المرئة، ومشارفتهم لأستيصال اهل الشام والظَّفَر على المَقصُود الّذى حَصَل لهم فى وَقعة الصِّفين يَشبَه اتمام الحَمل للمرئة) واجابتهم اهل الشام الى التَّحكيم تَشبه املاصها اى اسقاطها الوَلد مَيتاً من جهة كون هذا الأمر منهم على خلاف الطّبيعة كما انّ الأملاص كذالك وبقائهم بعد ذالك فى الدّنيا بمنزلة موت القَيّم للمرئة فانّه لاأمر لِمَن لايُطاع فكانّه عليه السلام مات عنهم من جهة عدم اطاعتهم له وتَسلُّط معاوية واصحابه على بلادهم شبيه الوارث البَعيد لكونه بَعيداً عن الأيمان والأسلام وحاصل كلامه هو انّ اهل الكوفة بسبب المسامحة والمساهلة فى امر الجهاد وعدم اطاعتهم له عليه السلام فى الأمور صاروا كالمرئة الموصوفة بما ذكره عليه السلام من جهة عدم الأنتفاع فكما انّ المرئة المَوصوُفة لم تَنتفع بهذا الحمل ولم تَبق لها الّا المشَقة والكُلفة فكذالك هؤلاء القوم لم تنتفعوا من افعالهم واعمالهم شيئاً لعدم استقامتهم وثباتهم على الدّين واستحفاظهم على الأوامر الشّرعية الّتى كانت فى متابعتهم ايّاه فلامحالة صارت اعمالهم بلانتيجة وافعالهم واقوالهم بلاثَمرة.

▫ **قوله عليه السلام: اَمّا وَاللهِ ما اَتَيْتُكُمْ اخْتِياراً وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً ...**

ثمّ اقسم عليه السلام بالله وقال ما اَتيتُكم اختياراً الى آخره وفى العبارة احتمالان:

احدهما: ان يكون المراد بها هو ظاهر الأمر اعنى هجرته عليه السلام من المدينة الى الكوفة واستقراره بها بعد الخلافة والوجه فيه هو انّه عليه السلام بايعُوا له بالخلافة فى المَدنيته ارادان يقيم بها كغيره ممّن كانوا قبله من الخلفاء لانّها كانت دار الهجرة ومَقرّ الحكومة والخلافة ومَسكن اصحاب الرّسول من خيار الصّحابة وانّما هَجر عليه السلام عنها وانتَقَل الى الكوفة من غير اختيار منه بل لِأجَل نكث النّاكثين بيعته وخروجهم من المدينة الى مَكّة ومنها الى البصرة وقتلهم شيعته بها كما مرّ تفصيل ذالك فى وقعة الجَمل فلا جرم خَرج عليه السلام من المدينة وتَوجّه نحو البصرة لِقَلع مادّة الفساد وقتل النّاكثين الموصوفين بالعناد والنّفاق ثمّ انّه عليه السلام بعد وروده العراق لم يرجع الى المَدينة ودار الأمر بين الأقامة بالبَصرة والأقامة

(**اَمْلَصَتْ**) الحامل واَلقَت ولدَها ميتاً، (**وَمَاتَ قَيِّمُهَا**) اى زَوجها (**وَطَالَ تَأَيُّمُهَا**) اى تأيّم الزّوجة بخلوها منه (**وَوَرِثَهَا اَبْعَدُهَا**) بفقدان الوارث القريب ثمّ اَقسم عليه السلام بالله وقال (**اَمَا وَاللهِ**)، اى اُقسِم بـه (**مَااَتَيْتُكُمْ**) مـن المـدينة الى العراق (**اختِيَاراً**) منّى (**وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً**) واضطراراً (**وَلَقَدْ بَلَغَنِي اَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللهُ**) دعاءٌ منه عليه السلام عليهم (**فَعَلَىٰ مَنْ اَكْذِبُ اَعَلَى اللهِ**) اَكذِب (**فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ**) والمؤمن لايكذب وهـو مـؤمن (**اَم عَلَىٰ نَبِيِّهِ فَاَنَا اَوَّلُ مَن صَدَّقَهُ**)، بالرّسالة ومن كان كذالك فكيف يكذَب عليه (**كَلاَّ وَاللهِ**)انّى لا اكذب (**وَلٰكِنَّهَا**) اى الأخبار الغيبية (**لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَـمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِهَا**) لضِعف عُقُولكم وقِلّة ادراككم (**وَوَيل اُمّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ دَعَاءٌ**) تعجّب عليه السلام من جهلهم واستَعظم مقالتهم او دَعا عليهم (**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاَّه بَعْدَ حِينٍ**) اى ولَتَعلمُنَّ ثمرة قولكم هذا بعد مفارقتى عنكم.

الشّرح

هذه الخطبة انّما صَدرَت عنه عليه السلام فى ذمّ اهل العراق ومعدن الشّقاق والنّفاق حيث نَسبوه الى الكذب فقال عليه السلام: **اَمَّا بَعْدُ يَا اَهْلَ الْعِرَاقِ** الى قوله عليه السلام: **اَمَا وَاللهِ**...

شبَّه عليه السلام اهل الكوفة بالمرئة الحامل الّتى اتَّمَت حَملَها ثمّ اسقَطَت حَملها ميتاً ومات زوجها عنها وطال خُلّوها منه ووَرثها اَبعدها ووَجه الشّبه فيه هو انّ المرئة اذا كانت كذالك فتثبت لها اوصاف خمسة.

احدها: حَملها بما فى بطنها من الجنين.

وثانيها: اتمام الحمل لها بمُضّى تسعة اشهر وتسعاً عليها.

وثالثها: الأملاص له او هو اسقاطها جنينها ميتاً.

ورابعها:مَوت قَيّمِها اعنى زوجها.

وخامسها: عدم وجود الوارث القريب لها وهذه الوجوه المذكورة هى الّتى صارت وجوه الشّبه بين اهل الكوفة والمرئة الموصوفة بـها فأستعداد اهـل

الكوفة وقابليّتهم للحرب يَشبَه حمل المرئة، ومشارفتهم لأستيصال اهل الشام والظَّفَر على المَقصُود الّذى حَصَل لهم فى وَقعة الصِّفين يَشبَه اتمام الحَمل للمرئة) واجابتهم اهل الشام الى التَّحكيم تَشبه املاصها اى اسقاطها الوَلد مَيتاً من جهة كون هذا الأمر منهم على خلاف الطّبيعة كما انّ الأملاص كذالك وبقائهم بعد ذالك فى الدّنيا بمنزلة موت القَيّم للمرئة فانّه لاأمر لِمَن لايُطاع فكانّه عليه السلام مات عنهم من جهة عدم اطاعتهم له وتَسلُّط معاوية واصحابه على بلادهم شبيه الوارث البَعيد لكونه بَعيداً عن الأيمان والأسلام وحاصل كلامه هو انّ اهل الكوفة بسبب المسامحة والمساهلة فى امر الجهاد وعدم اطاعتهم له عليه السلام فى الأمور صاروا كالمرئة الموصوفة بما ذكره عليه السلام من جهة عدم الأنتفاع فكما انّ المرئة المَوصوفة لم تَنتفع بهذا الحمل ولم تَبق لها الّا المشَقة والكُلفة فكذالك هؤلاء القوم لم تنتفعوا من افعالهم واعمالهم شيئاً لعدم استقامتهم وثباتهم على الدّين واستحفاظهم على الأوامر الشّرعية الّتى كانت فى متابعتهم ايّاه فلامحالة صارت اعمالهم بلانتيجة وافعالهم واقوالهم بلاثَمرة.

□ **قوله عليه السلام: اَمَا وَاللهِ ما اَتَيْتُكُمْ اخْتِياراً وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً ...**

ثمّ اقسم عليه السلام بالله وقال ما اَتيتُكم اختياراً الى آخره وفى العبارة احتمالان:

احدهما: ان يكون المراد بها هو ظاهر الأمر اعنى هجرته عليه السلام من المدينة الى الكوفة واستقراره بها بعد الخلافة والوجه فيه هو انّه عليه السلام بايعُوا له بالخلافة فى المَدنيته ارادان يقيم بها كغيره ممّن كانوا قبله من الخلفاء لانّها كانت دار الهجرة ومَقرّ الحكومة والخلافة ومَسكن اصحاب الرّسول من خيار الصّحابة وانّما هَجر عليه السلام عنها وانتَقَل الى الكوفة من غير اختيار منه بل لِأجَل نكث النّاكثين بيعته وخروجهم من المدينة الى مَكّة ومنها الى البصرة وقتلهم شيعته بها كما مرّ تفصيل ذالك فى وقعة الجَمل فلا جرم خَرج عليه السلام من المدينة وتَوجّه نحو البصرة لِقَلع مادّة الفساد وقتل النّاكثين الموصوفين بالعناد والنّفاق ثمّ انّه عليه السلام بعد وروده العراق لم يرجع الى المَدينة ودار الأمر بين الأقامة بالبَصرة والأقامة

فى الكوفة فاختار الكوفة على البصرة ولا يبعدان يكون اختياره الكوفة من جهة عدم اعتماده عليها لكثرة المنافقين بها او لكونها مركز ثقل الأجتماع وعلى اىّ تقدير لو لم يكن نَكث النّاكثين لَما تَركَ المَدينة ظاهراً.

وثانيهما: ان يكون المراد بقوله هذا الخَلافة وعليه فالمعنى انّى ما اَتيتُكم بالخلافة اختياراً بل جِئت اليكم مُبلساً بها سَوقاً واضطراراً وقد مَرّ منه عليه السلام ما يدلّ على هذا المعنى عنه قوله عليه السلام دَعونى والتمسُوا غيرى الخ

▫ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ بَلَغَنِى اَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللهُ فَعَلَىٰ مَنْ اَكْذِبُ اَعَلَى اللهِ فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ اَم عَلىٰ نَبِيِّهِ فَاَنَا اَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه...**

ثمّ قال عليه السلام: **وَلَقَدْ بَلَغَنِى** الخ صَدَّر كلامه بلام التأكيد ثمّ بعدها اتىٰ بكلمة (قد) المفيدة ايضاً للتّحقيق والتأكيد للأشعار بانّ مابَلَغه عنهم كان واقعاً منهم جارياً على اَلسنتهم وقوله عليه السلام: **فَعَلىٰ مَنْ اَكْذَبُ** الخ.

مشعرٌ بانّهم نَسَبوه الى الكذب فيما كان عليه السلام يُخبرهم عن الحوادث الواقعة بعد زمان التّكلم الّتى يُعبّرها عنها بالمغيبات لاانّهم نسبوه الى الكذب فى اقواله المتعارفة والدّليل على ماذكرناه هو قوله عليه السلام: **اَعَلَى اللهِ اَم عِلىٰ نَبِيِّهِ**، اذ لو لم يكن المراد ماذكرناه لكان فى المقام شِقاً ثالثاً وهو الكذب على النّاس وحيث انّه لَم يَتعرّض لنفسه فيُعلم انّ هذا الشّق كان خارجاً عن مورد البحث وهو ظاهرٌ على المتامّل.

ثمّ انّه عليه السلام استدلّ على بطلان ما ذكروه ونَسبوه اليه بالنّسبة الى الله بكونه عليه السلام **اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ** وبالنّسبة الى رسول بانّه عليه السلام: **اَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ** به وكلاهما فى الواقع دليلان على بطلان الأنتساب.

امّا الاول: اعنى الكذب على الله فالوجه فى ما ذكره عليه السلام هو انّه كان اوّل من اَمن به وكلّما كان الأيمان كذالك اى كان صاحبه اوّل من آمَن لايكذب عليه فهى عليه السلام لايكذب على الله.

امّا الصّغرى: اعنى كونه عليه السلام: اوّل من آمن بالله فقد مَرّ الكلام فيه مفّصلاً

وذكرنا شطراً من الأخبار الواردة من العامّة والخاصّة وهو مع ذالك ممّا لاشك فيه لَدى الفَريقين فانّ المسلمين اتّفقوا على انّ اَوّل من آمَنَ بالله وصدّق بَنيّه فيه من الرّجال هو عليّ ابن ابيطالب ومن النّساء خديجة بنت خويلد.

امّا الكبرى: اعنى كلّ من كان كذالك فهو لايكذب على الله فالدّليل عليه هو انّ الكذب على الله يكون مُسبّباً عن نقص المعرفة به وامّا من كان تامّ المعرفة به فلايكذب عليه لِعِلمه بقبح الكذب عقلاً وتَنزُّهه تعالى عن القبائح كما ثبت بالادّلة العقليّته والنقليّة وكونه عليه السلام: **اَوَّلُ مَنْ اٰمَنَ بِهِ** دليل على تمام معرفته به وكمال عرفانه اذ لو لم يكن كذالك لم‌يؤمن به اوّل الأمر فالأيمان الاوّل دليل على عدم الشكّ قطعاً والكذب عليه يدلّ على الأضطراب والتّزلزُل فى الأيمان به وهذان ممّا لايجتمعان لكونهما من المتناقضين اللّذين يستحيل اجتماعها فأحدهما ينفى الآخر وحيث قد ثبت الأيمان فى بدو الأمر فلامحالة ينفى الآخر وهو الكذب عليه فثبت المطلوب.

وامّا الثانى: اعنى الكذب على الرّسول فتقريب الأستدلال فيه يظهر ممّا ذكرناه فى الشّق الأوّل بلاتفاوت بينهما مضافاً الى امكان الرّجوع فيه الى الاوّل اذا الكذب على الرّسول هو الكذب على الله فاذا ثَبَت عدم الكذب عليه تعالى ثبت عدمه على الرسول ايضاً فالمَطلوب ثابت.

▫ **قوله عليه السلام: كَلاّ وَاللهِ وَلٰكِنَّهٰا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهٰا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِهٰا...**

اى حاشا وكلاّ ان يكون الأمر كما زعمتم ولكنّها اى ولكنّ الأخبار الّتى سمعتُموها منّى لهجةٌ غُبتم عنها، اى غابت عُقولكم الضّعيفه عن ادراكها لكونكم ضعفاء العُقول ولا يبعدان يكون المراد انّ الحاضر يرىٰ مالايراه الغائب وذالك لانّى سمعتُ رسوُل الله صلى الله عليه وآله ما لَم تَسمَعوُ منه لانّكم لم تكونوا من اهله وعلى اىّ التقادير لاينبغى للعاقل انكار مالا يَفهَمه ولا يمكن له ان يعقله لِقلّه عقله وَدركَه وهذا من الواضحات.

▫ **قوله عليه السلام: وَيلُ اُمّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كٰانَ لَهُ وِعٰاءٌ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ**

حِينٍ...

قالوا الضمير فى قوله ﷺ: (أُمّه) يرجع الى المُكذّبِ اوّانَ الجُملة دعاء عليهم والمعنى عذّبه الله وقاتَله وعَلى الاوّل تكون الجملة تّعجُّباً من جهلهم واستعظاماً لمقالتهم وعلى الثّانى دعاءٌ عليهم وَرَدٌّ على تكذيبهم ايّاه ثم قالوا المَعنىٰ فانّى اَكيلُ العِلم لَهُم كيلاً بلاثَمَنٍ لو وجدت له حاملاً انتهى.

وامّا قوله ﷺ: **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** فمعناه واضح اى ولَتعلمُنَّ صدق ما اقول لكم بعد موتى فانّ ما اَخبرتُكم به فهو واقعٌ لامحالة وذالك لانّ قوله ﷺ قول الرّسول وقول الرّسول قول الله تعالى وهو حقّ لامرية فيه.

ومن خطبة له عليه السلام (٧١)

□ قوله عليه السلام اَللّٰهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوّٰاتِ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلىٰ فِطْرَتِهَا، شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ،الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ ،وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ،وَالدَّامِغِ صَوْلاٰتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ ،غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَّ لاٰ وَاهٍ فِي عَزْمٍ دَاعِياً لِوَحْيِكَ ،حَافِظاً عَلىٰ عَهْدِكَ، مَاضِياً عَلىٰ نِفَاذِ اَمْرِكَ، حَتّٰى اَوْرٰى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَاَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَاَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلاٰمِ، وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ اَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَ رَسُولُكَ اِلَى الْخَلْقِ .اللّٰهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِن فَضْلِكَ. اللّٰهُمَّ وَاَعْلِ عَلىٰ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَائَهُ، وَاَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ، وَاَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِن ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ،ذَا مَنطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ. اللّٰهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ ،وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَاَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنتَهَى الطُّمَانِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ انتهى....فَقُلْتُ: اَبْدَلَنِيَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً لِي مِنْهُمْ، وَاَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي....

◁ اللّغة

(**دٰاحِيَ الْمَدْحَوّٰاتِ**) الدَّحوَ اَلبَسط يقال دَحَى الأرض دحواً بَسَطها فهى مَدحُوّة والجمع على مدحُوّاة والمراد بها الأرضُون او الاعمّ منها (**دٰاعِمَ الْمَسْمُوكٰاتِ**) الدّعم الحِفظ والمَسمُوكات السّموات (**جٰابِلَ**) الخالق النّامى الزّايد (**والنَّوٰامِيَ**)جمع النّامى (**بَرِكٰاتِ**) الخيرات (**جَيْشٰاتِ**)جمع جيشة من جاشَت القِدر اذا غلا (**الدّٰافِعِ**)، دَفعتُه دَفعاً من باب نَفَع كَسُرت عَظم دماغه (**صَوْلاٰتِ**) جمع صَولة(**الأَضٰالِيلِ**) جمع ضلال وهو الجَهل،(**فَأَضْطَلِعَ**)، الأضطلاع من الضلاع وهو القُوّة (**مُسْتَوْفِزاً**)من الوَفز وهو العَجلة (**نٰاكِلٍ**)، نَكَلَ نكولاً نَكَص وَجَبُن (**اَوْرىٰ**) ورَى الزّند يُورى خَرَج ناره (**قَبَسَ**) القَبَس بفتحتين شُعلة من النّار (**والْقٰابِسِ**) طالبها (**الأَعْلاٰمِ**)جمع عَلَم بفتحَتين وهو ما يستدلّ به على الطّريق (**بَعِيثُكَ**)البَعيث بمعنى المَبعُوث كالجريح والقتل بمعنى المَجروح والمَقتُول(**اَفْسَحْ**) فَسَحتُ له فَسحاً فَرَجتُ له (**خُطَّةٍ**) بالضمّ الخصلة والحالة (**رَخٰاءِ الدَّعَةِ**)سِعة العَيش (**تُحَفِ**) جمع تُحفة.

◁ المعنى

هذه الخطبة انّما اَوردها عليه السلام لتعليم النّاس الصّلوة على النّبى صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام:**اللّٰهُمَّ دٰاحِيَ الْمَدْحُوّٰاتِ**، اى باسط المَبسُوطات من الأرضين السَّبع (**وَدٰاعِمَ الْمَسْمُوكٰاتِ**) اى حافظ السّموات بغير عَمَدٍ (**وَجٰابِلَ الْقُلُوبِ**)وخالقها، (**عَلىٰ فِطْرَتِهٰا**)، اى فطرة القلوب (**شَقِيِّهٰا وَسَعِيدِهٰا**) اى القلوب الشَقية والسّعيدة (**اجعَلْ شَرٰايِفَ صَلَوٰاتِكَ**)وتَحيّاتك (**وَنَوٰامِيَ بَرَكٰاتِكَ**) اى خيراتك الكثيرة (**عَلىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ**) الّذى ارسلته الى خَلقك (**الْخٰاتِمِ لِمٰا سَبَقَ**) من الأنبياء، والشّرايع (**وَالْفٰاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ**) من المُعضلات والمشكلات (**وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ**) ومُظهرها (**بِالْحَقِّ**) اى بسببه (**وَالدّٰافِعِ جَيْشٰاتِ الْأَبٰاطِيلِ**) والموهُومات والخرافات (**وَالدّٰامِغِ صَوْلاٰتِ**

الْأَضَالِيلِ)والجُهّال (كَمَا حُمِّلٍ) اعباء الرّسالة (فَاضْطَلَعَ)نُهَض بها قَوِيّاً (قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوفِزاً)مُستعجلاً (فِي مَرْضَاتِكَ ،غَيْرَ نَاكِلٍ عَن قُدُمٍ، وَّ لاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ) اى غير جبانٍ ولا متوانٍ فى الأتيان بما عَزم عليه (دَاعِياً) وحافِظاً (لِوَحْيِكَ ،حَافِظاً عَلىٰ عَهْدَكَ) الّذى عَهِدتَ اليه (مَاضِياً عَلىٰ نِفَاذِ اَمْرِكَ)مُصّراً فى اجرائه (حَتّىٰ اَوْرٰى قَبَسَ الْقَابِسَ) وخرج نُور الحقّ (وَاَضَاءَ الطَّرِيقَ) اى طَريق الحقّ (لِلخَابِطِ) فى ظُلُمات الجهل (وَهُدِيَتْ بِهِ) اى بسبب النّبى (الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ) والأنهماك فيها(وَاَقَامَ) النّبى (بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلاَمِ) والأدّلة الواضحة علىٰالحَقّ (وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ)الشّرعية (فَهُوَ) اى الرّسول (اَمِينُكَ الْمَأْمُونُ) على وَحيك (وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ)الّذى لايقدر على حمله غيره (وَ شَهِيدُكَ) على عبادك (يَوْمَ الدِّينِ)اى يوم القيمة (وَبَعِيثُكَ) اى مَبعُوثك (بِالْحَقِّ، وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ) من عندك (اللّٰهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ) ورحمتك (وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِن فَضْلِكَ)وكَرمِك ورَحمتك (اللّٰهُمَّ وَاَعْلِ عَلىٰ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَائَهُ، وَاَكْرَمْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ) ومقامه ﷺ (وَاَتْمِمْ لَهُ) ﷺ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِن ابْتِعَاثِكَ)ايّاه (مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ) عندك (مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِذَا مَنطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةِ فَصْلٍ) دعاء منه ﷺ (اللّٰهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ)اى بَين النّبى ﷺ (فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعمَةِ الى آخر ما قال والمعنى واضح.

◁ **الشّرح**

اعلم انّ اميرالمؤمنين ﷺ فى هذه الخطبة ذَكَر اَوصافاً للّه تعالى وهى ثلاثة.

احدها قوله ﷺ: **اللّٰهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ...**

وثانيها قوله ﷺ: **وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ...**

وثالثها قوله ﷺ: **وَجَابِلَ الْقُلُوبِالخ**

ثم ذكر ﷺ اَوصافاً للنّبى ﷺ وهى عِشرُون ونحن نتكلّم فى كل واحدٍ منها بحسب مايقتضيه المقام فنقول قوله ﷺ: **اللّٰهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ...**

وهذا هو الوصف الاوّل له تعالى وهو انّه داحى المَدحُوّات لاغيره اى باسط الأرضين المَبسوُطة وفى قوله هذا اشارة الى قوله تعالى حيث قال :﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰالِكَ دَحٰاهٰا﴾[1]

وقد روُى عن تفسير علىّ ابن ابراهيم سَميّت مكّة اُمّ القُرى لانّها اَوّلُ بقعةٍ خَلقَها الله من الأرض لقوله تعالى

:﴿إِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبٰارَكاً﴾[2] وسَألَ الشّامى اميرالمؤمنين لِم سُميّت مَكّة اُمّ القُرى قال عليه السلام لانّ الأرضَ دُحيتِ من تحتها وسَأَل عن اَوّل بقعةٍ بسطت من الأرض ايّام الطُّوفان فقال له مَوضَع الكَعبة وكانت زَبَرجدةً خَضراء انتهى...

وعن ارشاد القلوب سئل اميرالمؤمنين عليه السلام لَم سميّت مكّة قال عليه السلام لانّ الله مَكَّ الأرض من تحتها اى دحاها انتهى...

وعن العلل والعيون عن الرّضا عِلّة وَضع البَيت وَسط الأرض انّه الموضع الّذى مِن تَحته دُحيت الأرض الحديث...

وعن العلل ايضاً باسناده عن ابى حَمزة الثّمالى قال قال ابو جعفر عليه السلام انّ الله خَلَق البيت قبل خَلق الأرض ثمّ خَلَق الله الأرض من بعده فدحاها من تَحته انتهى والأحاديث كلّها نقلناها عن «البحار ج ١٤ ص ١٥»...

ثانيها قوله عليه السلام: وَدٰاعِمَ الْمَسْمُوكٰاتِ...

وهذا هو الوصف الثانى له تعالى والمراد بالمَسموُكات المَرفوعات اى السَماوات، قال فى المنجد المَسمُوكات السّماوات وذالك لانّ السَّماء لعلُّوه وارتفاعه سُمّى به وفيما ذكره عليه السلام اشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿اَللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا﴾[3]

و: ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا﴾[4]

١- النازعات- ٣٠
٢- آل عمران- ٩٦
٣- الرعد- ٢
٤- لقمان- ١٠

وعن العِلل انّ معنى السّماء انّها ارتفعت اى سُمت من السُمّى ومعنى الأرض انّها انخَفضَت وكلّ شيىءٍ انخَفَض فهو ارضٌ وسياتى فى بعض كلماته عليه السلام ما يدلّ عليه وقد تقدم منه عليه السلام فى الخطبة الأولى ايضاً.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَجابِلَ الْقُلُوبِ عِلىٰ فِطْرَتِهٰا شَقِيِّهٰا وَسَعِيدِهٰا...**

وهذا هو الوصف الثالث له تعالى وهو انّه جابل القلوب وجاعلها على فطرتها وفيه اشارة الى قوله تعالى :**﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهٰا لاٰتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾**(١)

و : **﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنٰا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**(٢)

و : **﴿قٰالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلىٰ مٰا جٰاءَنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ وَالَّذِي فَطَرَنٰا﴾**(٣)

و : **﴿وَمٰالِيَ لاٰ اَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**(٤)

و : **﴿قٰالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾**(٥)

و : **﴿اِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَاِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾**(٦) و غيرها من الآيات وفى التّعبير بقوله عليه السلام جابل القلوب اشارة الى ان النّاس مَجبُولون على الفِطرة سَعيدهم وشَقيّهم وفيه اشارة الى رَدّ قول الفلاسفة انّ الماهيّات غَير مَجعُولة والمَجعُول انّما هو الوجود لاغير قالوا ماجَعَل الله المشمِش مشمِشاً ولكن اَوجَده.

وتوضيح الكلام انّ الجعل على قسمين: بسيطٌ و مركّبٌ، امّا البَسيط: فهو ما كان مُتَعلّقه الوجود النّفسى، والثّانى اعنى المُركّب: او التأليفى، ماكان متعلّقه الوجوُد الرّابط فانّ الاوّل جَعل الشّيى وافاضة نَفس الشّيى وبلسان الأدباء الجَعل المُتعدّى لواحدٍ، والثّانى جَعل الشّيى شيئاً اَى الجَعل المُتعدّى لأثنين.

ثمّ انّهم ذهبوا الى انّ الجَعل المولّف يختصّ بالعَرضيّات المفارقة لخَلوّ الذّات عنها ولا يتصّور بين الشّيى ونفسه ولا بينه وبين ذاتياته ولا بينه وبين عَوارضه اللّازمة كالأنسان انسان والأنسان حيوان لانّها نَسب الضَرورِيّة وهذا

١- الروم- ٣٠
٢- الاسراء- ٥١
٣- طه- ٧٢
٤- يس- ٢٢
٥- الانبياء- ٥٦
٦- الزخرف- ٢٧

معنى قولهم ماجَعَل الله المِشمَش مِشمشاً الخ.

وامّا فى غير الأعراض المفارقة فلايَجرى المولّف بل لابدّ فيها من جَعل البَسيط اذا عرفت هذا فنقول لاشك انّ القُلوب لَيست من الأعراض المُفارقة بل هى من الجَواهر الّتى هى مَحلّ الأعراض وموضوعها ولعلّه لأجل هذا يُسمّى القلب بالقلب لتقلبّه وعدم بقائه على حالةٍ واحدةٍ وعلى قول الفلاسفة يلزم اَن لايَتعلّق الجَعل الغير البَسيط به بل هو مَجعُولٌ بالجَعل البَسيط دوُن المؤلف منه ومعنى تعلّق البسيط به هو ايجاده لاغير و عليه فهو جاعل القلوب باالجعل البسيط اى موُجدها لاانّه جَعَلها قَلباً حتّى يلزم الجَبر فالقُلوب على فِطرتها وماهيّتها مَجعُولة مَوجُودة به تعالى سَعيدها وشَقيّها وقد ثبت انّ الوجود خَيرٌ مَحض لاشَرّ فيه وانّما الشُّرور نَشأت من جانب الماهيّات فما صَدر منها من الخيرات فهو من ناحيته الوجود الّذى فِعله تعالى وما صَدر منها من الآفات والشُّرور فهو مِن الماهيّات الّتى كانت غير مَجعُولة والى هذا المعنى أُشير فى الكتاب بقوله تعالى : ﴿**مَااَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا اَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ**﴾[1] هذا كلّه اذا قلنا بانّ المراد من قوله عليه السلام: **وَجَابِلَ الْقُلُوبِ** هو جاعل القلوب كما هو الظّاهر فانّ الجابل مُشتَقٌّ من الجِبِلّة وهى فى اللّغة الطَّبيعة كما عَلَيه ارباب اللّغة وامّا اذا قلنا بانّ المراد منه ايجاده القلوب فالأمر اوضَح.

▫ **قوله عليه السلام: اِجْعَلْ شَرَايِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ...**

اعلم انّ اميرالمؤمنين بعد ما حَمِد الله واَثنىٰ عليه اردَف كلامه بذكر النّبى صلى الله عليه وآله والدّعاء له صلى الله عليه وآله وفيه مباحث.

الاوّل : انّ الصّلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد التّحميد امرٌ مرغوبٌ فيه فى الشّريعه المُقدّسته.

١- النساء- ٧٩

فَعَن ابی عبدالله عليه السلام انّ رجلاً دخل المَسجد فَصلّیٰ رکعتین ثمّ سئل الله عزّ وجلّ فقال رسول الله صلی الله علیه وآله عَجّل العبد ربّه وجاء آخر وصَلّی رکعتین ثمّ اَثنیٰ علی الله وصَلّیٰ علی النّبی فقال سَلَ تُعطی انتهی...

وعنه صلی الله علیه وآله -اِنّ فی کتاب علیٍ انّ الثناء علی الله والصّلوة علی رسوله قبل المَسئلة انتهی...

ورَوی فی الکافی بأسناده عنه صلی الله علیه وآله قال لایزال الدُّعاء محجوُباً حتّی یُصلّی علی محمّدٍ وآله انتهی...

وعنه صلی الله علیه وآله مَن دَعا وَلَم یذکر النّبی زَحرف الدُّعاء علی نفسه وعلی رأسِه فاذا ذَکر النبی رَفع الدعاء انتهی...

وایضاً فی الکافی عنه صلی الله علیه وآله انّه قال اذا ذکر النّبی فاکثروا الصّلوة علیه فانّه من صلّیٰ علی النّبی صلوة واحدة صَلّی الله طیبه اَلف صَلوة فی اَلف صفّ من الملائکة ولم یَبقَ شیء ممّا خلق الله الّا صلّیٰ علی العبد بصلوة الله وصلوة ملائکته فمن لَم یرغب فی هذا فهو جاهل مَغرورُ فرقه بَرأ الله منه ورسوله واهل بیته انتهی...

وعنه صلی الله علیه وآله من صلّیٰ علی محمّدٍ وال محمّدٍ عَشراً صلّی الله علیه وملائکته اَلفاً اَما یَستَمع قول الله عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[1]

وعن اَحدهما ما فی اقراره شیئٌ اَثقَل من الصّلوة علی محمّدٍ وآله وان الرَّجُل لَتوُضَع اعماله فی المیزان فیَمثل به فیخرُج صلی الله علیه وآله فیُضعها فی میزانه فیرّجح انتهی...

وعن ابی عبد الله قال رسول الله صلی الله علیه وآله ارفَعُوا اَصواتکم بالصَّلوة عَلَیَّ فانها تُذهَب النّفاق انتهی...

والرّوایات فی فضل الصّلوة علی النّبی صلی الله علیه وآله کَثیرة.

١- الاحزاب- ٤٣

قال بعض المحققين والسّر فى قبول الدّعاء اذا اَقترن بالصّلوة اَمران،

الاوّل: انّ النّبى ﷺ واهل بيته وسائط بَينَ الله سُبحانه وبين عباده فى قَضاء حَوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب معرفته عزّ وجلّ فلابدّ من التّوسّل بذكرهم فى عَرضِ الدّعاء عليه وقبوله لَدَيه وذالك كما اذا اراد احدٌ من الرَّعية اظهار حاجته على السُّلطان تَوَسّل بمن يُعَظّمه ولا يَرُدّ قوله.

الثانى اذا ضَمَّ العَبد مع دعائه وعَرَض المَجمُوع على الله تعالى والصّلوة غير مَحجُوبة فالدّعاء غير مَحجوُب لانّه تعالى اَكرم من ان يقبل الصّلوة ويَرُدّ الدّعاء فيكون قد قَبِل الصّحيح وَردّ المعيب كيف وقد نهى الله تعالى عباده عن تبعيض الصَفقة ولا يمكن رَدُّ الجميع لكرامة الصّلوة عليه فلَم يَبقَ الّا قبول الكلّ وهو المطلوب.

الثّانى: اختلفوا فى اشتقاق الصّلوة فقيل من صلّيت العُود بالنّار اذا قوَّمته وَلَيَّنته لانّ المُصلّى يلينُ بالحَنو والعطف ويَسعىٰ فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخَشَب الّذى يُعرض على النّار.

قال النّووى على ما نقل عنه وفى هذا القول غباوة عن صاحبه لانّ الصّلوة واوية وصلّيت العود من ذوات الياء فكيف يَصحّ الاشتقاق.

وقال الزّركَشى وهو عجيب فانّ المشدد نقلت منه الواو ياء كما فى زَكَيْتُ المال الى اخر ما قال.

وقال السيّد المحقّق فى شَرحه على الصّحيفة السّجادية بعد نَقله مانقلناه عنهما وهذا التّعجُب اَعجب واعجب فانّ كلّاً من صلّيت العُود وسيلة المخففّة والمشددّة من ذوات الياء فلَم تقلب الواد فى المشدّدة ياء كما زَعمه الزّركشى بل الياء فيهما من سنخ الكلِمة بخلاف التّزكية فانّها واويّة فقلّبت الواو ياء مَع التشديد، وقيل مِن الصِّلوين وهما عِرقان من حانبى الذّنب وعَظمان ينحنان عند الانحناء فناسب اَن يراد بهما الحَنو والأنعطاف المَعنَويين وقال الزّمخشرى فى الكشاف فَعلة كالزّكاة من زكّىٰ وكُتبنا بالواو عكى لفظ المُضخم

وحقيقه صَلّىٰ حَرك الصّلوين لانّ المُصلّى يَفعل ذالك فى ركوعه وسجوده.

الثالث: ذهب الجمهور الى انّ الصلوة من الله الرّحمة ومن الملائكة والاستغفار ومن الادميّين الدُّعاء وقال المحققّون انها لُغة بمعنى واحد وهو العطيف ثمّ العطف من الله الرّحمة اللاّحقة به ومن الملائكة الأستغفار ومن الآدميين الدّعاء اعنى دعاء بعضهم لبعض.

الرّابع: معنى الصّلوة على رسول الله ﷺ تعظيمه فى الدّنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفى الاخرة انّما هو بتضعيف مَثوُبته والزّيادة فى رَفع دَرجته قيل وغاية الدّعاء بذالك عائدةٌ الى المُصلّى لانّ الله تعالى قد اعطاه من إعلاء الكلمة وعَلىُّ الدَّرجة ورفع المنزلة مالا يوثَر فيه صلوة مصلٍ ولا دعاءِ وقبل بل غايته طلب زيادة وقُربه من الله اذ مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية وعلى ايّ حالٍ لاشكّ انّ الصّلوة على النّبى ﷺ ممّا اَمرِ الله تعالى به وحَثَ عليه وقد مرّت الرّوايات الدّالة عليه ويُويَد ماذكرناه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَ مَلاٰئِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1]

واما قوله عليه السلام: **عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ** بتقديم العبد على الرّسول ففيه اشعارٌ بل تصريح بكونه ﷺ عبداً له تعالى ومَخلوقاً له وانّ مقام العُبُوديّة قبل مقام الرّسالة وهو كذالك لانّ الأنسان ما لم يَصر عبداً اوّلاً لايَصير رسولاً والعُبُوديّة من اَرفع المقامات ولا مقام فَوقها قال الله تعالى فى كتابه: ﴿**سُبْحانَ الَّذِي اَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصىٰ**﴾[2]

و : ﴿**لَّنْ يَّسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ اَنْ يَّكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ**﴾[3]

و : ﴿**اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجاً**﴾[4]

و : ﴿**وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلىٰ عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ**﴾[5] والآيات الدّالة على كونه ﷺ عَبداً من عباد الله كثيرة وهذا مما لاريب فيه كماترى فى

١- الاحزاب- ٥٦
٢- الاسرى- ١
٣- النساء- ١٧٢
٤- الكهف- ١٠
٥- البقرة- ٢٣

الصَّلَوات كلّها تقول اَشهدُ انّ مُحمّداً عَبده ورسوله.

ثمّ انّ العُبوديّة اظهار التّذَلّلل والعَبد يقال على اربعة اَحزاب.

الاوّل: عَبدٌ بحكم الشّرع وهو الأنسان الّذى يصحّ بيعه وابتياعه نحو العَبدُ بالعَبد، وعَبداً مَملوكاً لايَقدر على شيىءٍ.

الثّانى: عَبدٌ بالأيجاد وذالك ليس الّا للّه وايّاه قَصدَ بقولهاِن كُلّ مَن فَى السَّموات والأَرض الّا اَتى الرَّحمن عَبداً.

الثالث: عبدٌ بالعبادة والخِدمة والنّاس فِى هذا ضربان، عبدٌ للّه مُخلِصاً وهو المقصود بقوله واذكُر عَبَدنا ايّوب انّه كان عَبداً شكوراً قال الله تعالى:﴿**نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلىٰ عَبْدِهِ**﴾[1]

و : ﴿**اِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**﴾[2]

و : ﴿**كُونوا عباداً لِى، اِلّا عِبادِكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصينَ**﴾[3]

و : ﴿**وَعِبادُ الرَّحْمٰنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوناً**﴾[4]و غيرها

الرّابع: عبدٌ للدّنيا واَعراضها وهو المُعتكف على خدمتها ومراعاتها وايّاه قَصد النبى ﷺ بقوله تعِس عبد الدّرهم تَعِس عبد الدّينار وعليه فقد عرفت انّه يصّح ان يقال ليس كلّ انسانٍ عَبداً للّه والنّاس كلّهم عباد الله فقوله عليه السلام **عَبدك**، امّا اشارة الى انّه ﷺ كان عبداً له تعالى بايجاده ايّاه وامّا بالعبادة والخدمة وهو واضح.

وانمّا يقال له ولغيره عبدالله لكون الأنسان مُظهِراً اَلتَذلُّلل والخُضُوع يقال طَريقٌ معبَّد اى مُذلَّلَل بالَوطَ وبَعيرٌ مُعبَّد اى مذّلّلل بالقَطران وعَبدت فلاناً اذا ذَلَّلته ومعلومٌ انّ المخلوق ذليلٌ فى جَنب الخالق.

وامّا قوله عليه السلام: **ورسولُك**، فهو ايضاً ممّا لاريب فيه لكونه ﷺ رسولاً من الله تعالى الى خلقه قال الله تعالى:﴿**يا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[5]

١- الفرقان- ١
٢- الحجر- ٤٢
٣- الحجر- ٤٠
٤- الفرقان- ٦٣
٥- المائده- ٦٧

و : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1]

و : ﴿وَ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[2] وغيرها من الآيات والأخبار ومع تصريح الآيات بكونه ﷺ رسولاً لانحتاج الى ذكر الأخبار فيه.

ثمّ انّ الرّسول مشتقّ مِنَ اَلرُّسل وهُو الأنبعاث على التُّؤدة ويقال ناقة رَسِلة اى سَهلةُ السَّير فإن أُريد من الرَّسَل الرِّفق يقال على رِسلِك اذا اَمرته بالرِّفق وان أُريد منه الأنبعاث فأشتقّ منه الرَّسوُل والرّسول تارةً يقال للقَول المُتَحمّل كقول الشاعر. اَلا اَبلغ ابا حَفصٍ رسُولاً.

وتارةً لمُتحمّل القَول والرِّسالة ويقال للواحد والجمع قال تعالى:﴿لَقَدْ جَائَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسَكُمْ﴾[3] وقال ايضاً انا رَسوُل رَبّ العالمين وجَمعُ الرَّسول رُسُل، وإنّما سُمّى الرَّسوُل به لكونه مُرسَلاً الى الخَلق من اَلحقّ وحيث إنّ الرَّسِل اللَّبَن الكثير المُتتابع الدَّر والرَّسُول ايضاً كذالك فى المعنى فانّه ايضاً يكون مُتتابع الخَيرات والبَركات فلاجَرم صَحّ إطلاق الرَّسوُل المُشتَق مِن الرَّسَل عليه بل لاخَير احسَن واَدوَم واَنفَع منه فى عالم الأرشاد كَيف وهُو مُنقذهُم من الضَّلالة والغَواية ومُرشِدهم الى السّعادة والهداية ولأجل هذا تَرى الله تعالى قد مَنّ بوجوده على المؤمنين حيث قال: ﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾[4]

▫ قوله ﷺ: اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا اَنْغَلَقَ...

قال فى المُنجد، الخاتَم والخاتِم، جَمع خَواتم وخُتُم، مايُختَم به انتهى وقال فى المفردات (وخاتم النّبيين) لانّه خَتَم النُّبوة اى تَمّها بمَجيئه انتهى فقوله ﷺ اشارة الى كونه ﷺ خاتماً لما سبق من الشّرايع والأحكام والوَحى والرّسالة والنُّبوة فلا بَنىّ بعده الى يَوم القيمة والّا لم يكن خاتماً وقد ثَبَت عَقلاً ونقلاً

١- آل عمران- ١٤٤
٢- الاحزاب- ٤٠
٣- ق- ١٦
٤- آل عمران- ١٦٤

كونه ﷺ خاتماً لما سَبق امّا اثباته عقلاً ونقلاً فقد مضى شرحه مُفصّلاً فى المجلّد الاوّل فلا نعيده قال الله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النّبيين).

▫ **وامّا قوله** ﷺ: **وَالْفاتِحِ لِما اَنْغَلَقَ...**

قال فى المنجد اَنغلق الباب ضدّ الفتح عَسِيرٌ فتحه انتهى وعليه فقوله ﷺ يدلّ على كونه ﷺ فاتحاً لما اَنغلَق من المُشكلات والمُعضَلات فى امر الدّين والدّنيا ففيه ايماء الى انّ دينه اكمل الأديان وشريعته احسَن الشّرايع بحيث لم يبقَ فى البَين مُعضلةٍ غير مُنفتحة وهو كذالك لانّه ﷺ واهل بيته هم الرّاسخون فى العلم.

▫ **قوله** ﷺ: **وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدّافِعِ جَيْشاتِ الْأَباطِيلِ وَالدّامِغِ صَوْلاتِ الْأَضالِيلِ...**

اشار ﷺ فى المَقام بامور كلّها تترتب على بعثته ورسالته.

احدها: كونه ﷺ مُعلِن الحقّ بالحقّ، (اى مُظهِره قال) قال المُعتزلى فى شرح هذا الكلام اى المُظهِر الحَقّ الّذى هو خلاف الباطل بالحقّ اى الحَرب والخُصُومة يقال حَاقَ فلانٌ فلاناً اى خاصَمه فَخَصَمه انتهى.

وقال الخوئى بعد نقله هذا الكلام من المعتزلى اَقُول ومنه الحاقّة للقيامة قال تعالى:﴿**اَلْحاقَّة مَاالْحاقَّة**﴾[1] سمّيت بذالك لانّها تحاقّ الكفّار الّذين حاقّوا الأنبياء اى خاصَموُهم هذا ثم قال.

والأظهران يكون المراد بالحقّ الاوّل الدّين وبالثانى الحقّ المرادف لِلصّدق اى مُظهِر الدّين بقولٍ حقّ ثابت فى نَفس الأمر وبيان صواب انتهى ماذكره وحقّقه.

اقول: ماذكراه لابأس به والعبارة محتملة لكلا المَعنيين والحاصل انّ الرّسول ﷺ قد اَظهر الحَقّ بالحقّ وتوضيح المَقال هو انّ كلمة الحقّ تقال بالأشتراك الصّناعى على القول المطابق للمخبر عنه اذا طابق القول، وعلى

١- الحاقه- ١/٢

الموجود الحاصل بالفعل، وعلى الموجود الّذى لاسَبيل لِلبطلان اليه.

فيمكن ان يراد بالحقّ الاوّل المعنى الاوّل من المعانى الثلاثة المذكورة اعنى القول المطابق للمخبر عنه وهو الدّين الأسلام اَعنى مَجمُوع الأحكام الشّرعية وبالحَقّ الثّانى المعنى الثّانى اعنى الموجود بالفعل وهو الله تعالى وعليه فالمعنى انّه ﷺ اَظهَر الدّين والشّريعة المقدسّة بسبب الموجود بالفعل اعنى الله تعالى وفيه ايماء الى كونه ﷺ مُويَّداً من عنده تعالى وكون الدّين ايضاً منه تعالى لامِنه ﷺ وهو كذالك لِقوله تعالى **﴿وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ اِنْ هُوَ اِلاّ وَحْيٌ يُوْحىٰ﴾**[1]

و : **﴿يُرِيدُوْنَ لِيُطْفِئُوا نُوْرَ اللهِ بِاَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُوْرِه وَلُو كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ﴾**[2]

و : **﴿وَما رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ﴾**[3]

و : **﴿اَلاَ لِلّهِ الدِّيْنَ الْخَالِصُ﴾**[4]

و : **﴿هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُوْلَه بِالْهُدىٰ وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ﴾**[5] و غيرها من الآيات الدّالة على انّ الدّين للّه تعالى وانّه ﷺ كان رسُولاً له واذا كان الامر على هذا المنوال فلامحالة كان ﷺ مُويَّداً مَنصُوراً من عنده فأفعاله واقواله واعماله كانت بمشيّته وارادته وهذا معنى ظُهُورهم الحقّ بالحقّ.

ويمكن ان يراد بالحقّ الثانى المعنى الثالث اعنى الموجود الّذى لاسبيل للبطلان اليه وعليه فالمعنى انّه ﷺ اَظهَر الحقّ اعنى الدِّين بالحَقّ اى بالموجود الّذى لاسَبيل للبطلان اليه وهو الدّليل القاطع والبرهان السّاطع ففيه ايماء الى انّ الأسلام قد ظَهَر بالدّليل القَطعى الّذى لاسبيل للبطلان اليه.

ويمكن ان يراد بالحقّ الاوّل التّوحيد وبالثّانى القول المطابق للمخبر عنه وعليه فالمعنى انّه ﷺ قد اَظهَر التّوحيد فى قُلُوب المُنكرين والمُشركين

١- النجم- ٣/٤
٢- الصف- ٨
٣- الانفال- ١٧
٤- الزمر- ٣
٥- التوبة- ٣٣

بالدّليل والبرهان وقول الصّدق الّذى لامرية فيه وعليك باستخراج المعانى المُتحملة غير ماذكرناه فانّ العبارة ذو وجوه.

وثانيها قوله عليه السلام: وَالدّافِعِ جِيْشاتِ الْأَباطِيلِ...

وهذا وصفٌ آخر له صلى الله عليه وآله وهو انّه كان دافعاً لها اى لِثَوران فِتَن المشركين واجتماعهم على اطفاء نور الله، او لعاداتهم الّتى كانت بينهم من القتل والغارة والحُروُب الموُحشة فانّ كُلّ هذه الأمور كانت خارجة عن قانون العدالة وقد اندفع ذالك كلّه بميامِن قُدومه ورسالته صلى الله عليه وآله هذا ما قالوا فى شرح الكلام.

والّذى يختلج بالبال هو انّ جيشات الأباطيل اعمّ ممّا ذكروه والمراد بها العقائد الفاسِدة والخُرافات والأوهام الواهية مِن زمان بعثته صلى الله عليه وآله الى يوم القيمة فانّها مَدفوُعةٌ بنورُ شريعته وحلاوة سُنّته و دلالة كتابه.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَالدّافِعِ جِيْشاتِ الْأَباطِيلِ...**

وهذا وصف آخر له عليه السلام وهو انّه كان دافعاً اى مُهلكاً صَولات الأضاليل و سَطواتهم و هذا المعنى ايضاً عامٌ الى يوم القيمة بِسَبب الكتاب و السنّته كما هو ظاهر

▫ **١ـ قوله عليه السلام: كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِى مَرْضاتِكَ، غَيْرَ ناكِلٍ عَن قُدُمٍ، وَلاٰ واهٍ فِى عَزْمٍ، واعِياً لِوَحْيِكَ، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلىٰ نَفاذِ اَمْرِكَ...**

ثمّ انّه عليه السلام بعد ماوَصفَه صلى الله عليه وآله بما وَصف اَثبَت له صلى الله عليه وآله الثّبات والأستقامة فى امر الرّسالة واشار الى امور كونه صلى الله عليه وآله كما حُمّلَ اعباء الرّسالة فأضطَلع ونَهَض بها قَويّاً والى هذا اشار بقوله عليه السلام: **كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قائِماً بِأَمْرِكَ** وذالك لانّ حَمل الرّسالة ثقيل جدّاً لايَقدر على القيام بها الّا من كان مُويَّداً من عنده مَنصُوراً من قِبَله كيف لاوهى من الأمانات الالهيّته الّتى لايقوم بها الّا اَوحَدىٌ من النّاس فانّ الشّرائط المُقَرّرة من العِصمة وطهارة المَولد وكَون الرّسول اَعلم النّاس واَشجع النّاس واَسخى النّاس وغيرها من الصّفات لاتوجد اِلّا فى القليل

وهو مع ذالك لأبد وان يكون ذا ارادةٍ قَويّة لايَخاف فى الله لومة لائم سالِكاً سبيل العدل والأنصاف تاركاً طريق الغَىّ والأِعتساف مخالفاً لهواه مُطيعاً لأمر مولاه قال الله تم مخاطباً لنبيّه ﷺ فأستقم كما اُمرت، وقال رسول الله ﷺ شَيبَتى سوُرة هود لمكان هذه الآية، فانّ الأستقامة على الطّريق المستقيم صَعبٌ جداً ولأجل هذا عَبَّر عليه السلام فى المقام بقوله فأضطلع فانّ الأِضطلاع هو النّهوض على الأمر والقيام به.

▫ **٢ـ قوله عليه السلام: مُسْتَوْفِزاً فِى مَرْضاتِكَ...**

وفيه اشارة الى كونه ﷺ مُستعجِلاً ومُجِدّاً فى تَحصيل رِضاالله سُبحانه ورضوانه.

▫ **٣ـ قوله عليه السلام: غَيْرَ نَاكِلٍ عَن قُدُمٍ وَلاٰوٰاهٍ فِى عَزْمٍ...**

وذالك لانّ النّكول عن الشّيى وعدم الأتيان به لايخلوا امّا ان يكون النّاكِل عاجزاً عن الأتيان به غير قادرٍ على فعله او لايكون كذالك وعَلى التّقدير الثّانى امّا ان يكون مُستنده الجُبن او التّساهل والتّوانى.

امّا الوجه الاوّل: وهو العَجز عن الأتيان بالمأمورية فلا يعقُل فى المقام لانّ العاجز لايكون رسولاً والوجه فيه هو انّ العاجز لو كان رسُولاً يلزم عليه التّكليف بما لايطاق وقد قال الله تعالى:﴿**لاٰ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً اِلاّ وُسْعَهٰا**﴾[1] فاذا فرضنا انّ الله تعالى اَرسَلَ الى الخَلق رسُولاً عاجزاً فقد اَمرَه بما لايقدر عليه وهو عليه تعالى مُحالٌ.

وامّا الوجه الثّانى: وهو الجُبن فهو ايضاً لايكون لانّا قد اَثبتنا فى النُبوّة والرّسالة كون الرّسول اَشجَع النّاس والأشجعيّة تنافى الجُبن مع انّ الجبن فى حدٍّ نفسه من رذائل الأخلاق ونقائصه والرّسول مُنزهٌ وَمُبرّءٌ عنه كما ثَبت فى محلّه.

وامّا الثّالث: اعنى التّوانى والتّساهل فى الأمور فَمَنشَانه قلّة المبالات فى

١- البقرة- ٢٧٦

الأمور الشّرعية وعدم الأعتناء بالأوامر الالهية ومن كان كذالك فهو لا يليق بهذا المقام واذا ثبت انتفاء هذه الأمور فى حقّه ﷺ فَقَدْ ثَبت المطلوب

▫ **٤- قوله ﷺ: وٰاعِياً لِوَحْيِكَ...**

وفيه اشارة الى استعداده ﷺ لمقام الرّسالة وقوّة نفسه الشّريفة على حفظ وَحى الله وضَبطه.

▫ **٥- قوله ﷺ: حٰافِظاً لِعَهْدِكَ...**

وفيه اشارة الى كونه ﷺ حافظاً لعهده تعالى والمقصود به فى المقام هو عهد الرّسالة والمراد بحفظه عدم الزّيادة والنّقصان فى الدّين الّذى أُمر بتبليغه والدّليل عليه هو انّ الرّسول لولم يكن حافظاً لِعَهده فلامحالة يكون خائِناً فيه فانّ عدم الحَفظ مع القدرة عليه خيانة والخائِن لايكون رسُولاً.

▫ **٦- قوله ﷺ: مٰاضِياً عَلىٰ نَفٰاذِ اَمْرِكَ...**

اى كان مُصِرّاً فى اجرائِه كما اَمرهَ الله فانّ النّبى يكون مُجرياً لِأوامِر الله فى خَلقه وهو ظاهر.

▫ **٧- ٨- قوله ﷺ: حَتّىٰ اَوْرىٰ قَبَسَ الْقٰابِسِ وَاَضٰاءَ الطَّرِيقَ لِلخٰابِطِ....**

اى اَخرَج نور الحقّ واَشعَله لطالبيه والمُقتبسين له والمستضيئين به واضاء طريق الجنّة والصّراط المستقيم للخابط فى ظُلُمات الجهل والمُنهَمك فى بحر الغواية والضّلالة.

▫ **٩- قوله ﷺ: وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضٰاتِ الْفِتَنِ...**

والباء فى قوله ﷺ: (بِهِ) لِلسببيّة اى هُديت بسَبب وجود النّبى ﷺ القُلوب بعد كونها خائضات فِى الفِتَن والآثام اللّازمة عما اجتَرحته من السّيئات وفيما ذكره ﷺ اشعار بل تصريح بانّ القلوب تهتدى بنوُره ﷺ بحيث لولا وجوده ﷺ ورسالته لَما كان من السّعادة والهداية فيها عينٌ ولا اثرٌ.

▫ **١٠- قوله ﷺ: وَاَقٰامَ مُوضِحٰاتِ الْأَعْلاٰمِ وَنَيِّرٰاتِ الْأَحْكٰامِ...**

اى اقام النّبى ﷺ الادلّة الواضحة على الحقّ الّتى هى كالأعلام المُستَدلّ بها

على الطّريق هكذا قالوا فى المقام ولا يبعد ان يكون المراد بها الائمة الأثنى عشر بعد النّبى ﷺ الّذين اقامَهم النّبى ﷺ بامرٍ من الله بعد وفاته ﷺ فانّ الأعلام جمع عَلَم وهو الّذى يُستدلّ به على الطّريق وهو تارةً يكون فى الطّريق المَحسُوس وتارةً فى المعقول فكما انّ العَلَم المَحسُوس ممّا يستدلّ به فى الطّريق المَحسُوس كذالك العَلَم فى الطّريق الشّرعى وهو لايكون الّا النّبى او الوَصّى او من قام مقامهما بأذنهما وملخّص الكلام هو انّ العَلَم ما يستدلّ به على الطّريق سواء كان الطّريق مَحسُوساً او غير مَحسُوس فمعنى كونه ﷺ اقام مُوضحات الأعلام هو تعيينه وتَنصيصه على الخلفاء بعده ليُستدلّ بهم الى الطّريق الشّرعى ولا شكّ انّ هؤلاء الأعلام هُم الائمّة الاثنى عَشَر لكونهم واجدين مرتَبتى العلم والعَمَل ولا يقاس بهم احدٌ مِن افراد الامّة كائناً من كان.

وامّا نيّرات الأحكام فالمراد بها الأخبار والآثار الصّادرة عنهم فى الأحكام الشّرعية المعبّر عنها بالسّنة النّبويّة والتّعبير عنها بالنّيرات لانّ النّور ظاهرة بذاتها مُظهِرةٌ لغيرها والأحكام كذالك.

امّا كون الأحكام ظاهرة بالذّات لانّها كَلمات الله والصّفات هناك عين الذّات وامّا كونها مُظهِرةٌ لغيرها فالوجه فيه معلوم فانّ اراضى القُلُوب مُنَوّرةٌ بانوارِ الأحكام الشّرعية مِن الأعتقاديّات والأقتصاديات والسّياسيات وهذا ممّا لاخَفاء فيه.

▫ ١١- **قوله ﷺ: فَهُوَ اَمِينُكَ الْمَأْمُونُ...**

اى فالرّسول ﷺ اَمينك على وَحيك وتبليغ احكامك وفى قوله ﷺ **المَأْمُونُ**، اشارةٌ الى انّ هذه الأمانة والصّداقة ايضاً من تَوفيقِك لاحَول ولا قوّة اِلّا بالله.

▫ ١٢- **قوله ﷺ: وَخازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ...**

قال فى المنجد، الخازن، فا، المدّخر، خازن الأمير الّذى يَتوّلى حفظ ماله جمع خَزَنة وخزّان والخازن اَيضاً اللّسان اِنتهى.

اقول:انّما عَبَّر عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله بالخازن للأشارة الى انّه صلى الله عليه وآله باب عِلم الله تعالى او لسان علمه وعلى التقديرين ففى الكلام استعارة ضَرورة انّه ليس لِلعلم بابٌ او لِسان حقيقةٌ وانّما هو من جهة تشبيهه بالجواهر القَيّمة المُدّخَرة فى البَيت فى الاوّل وبالحقايق المَستُورة فى الضّمائر والقلوب فى الثّانى فكما انّه لايمكن الوصول الى ما فى البيت الّا بسبب خازنه او لايمكن الأطلاع على ما فى القلوب الّا باللّسان الّذى هو مُظهِرٌ لما فى القلب فكذالك لايمكن الوصول الى علم الله بقَدر الأستطاعة الّا بسبب النبى صلى الله عليه وآله فهو الخازَن له والمُظهِر ايّاه من الغَيب الى الشُّهود ومن الخِفاء الى الظّهور فمن اراد العلم الواقعى فَعليه بالتّمسُك بعلمه صلى الله عليه وآله الّذى هو علم الله حقيقةٌ هذا شرح العبارة على مايقتضيه ظاهر اللّفظ.

وامّا اذا دقّقنا النّظر فى كلامه عليه السلام هذا يُستفاد منه اصلٌ اخَروهو انّه عليه السلام قال خازن عَلمِك المَخزون ولم يقل عالِم عِلمك المَخزوُن او مايرادفه مثلاً لِلأشارة الى انّ عَلِمه المَخزوُن لم يطّلع عليه اَحَد ولايبعدان لايكون الخازن مثلاً عالماً بما فى البيت كما هو ظاهر والدّليل على ما ذكرناه عقلىٌ ونقلىٌ.

امّا العقل: فلانّ العلم بالشّيى عبارة عن ظُهور المُدرَك او انكشافه لَدى المُدرِك ولا شك انّ الأنكشاف الحقيقى والظُّهور الواقعى لايمكن الّا بعد احاطة المُدرِك على المُدرَك اذ لو لم يُحطِ به كما هو حقّه فهو لم ينكشف عليه حقّ الأنكشاف وقد ثبت انّ احاطة المخلوق كائناً من كان على الخالق مَحال لانّ الله تعالى بكلّ شيىٍ مُحيط والسّر فيه هو انّ المحيط دائماً يكون اَعَظم من المُحاط ولا شيى اعظم من الله حتّى احاط به بل هو اعظم من كلّ موجود ووُجوده اوسَعَ من كلّ وجود اذبه وجود كلّ شيىٍ وعند نور وجهه سواه فيىء، فلايكون مُحاطاً واذا لم يكن محاطاً فكيف يمكن العلم بحقيقة ذاته وصفاته والصّفات عين الذّات.

وامّا النّقل: فمنه مارواه فى البحار باسناده عن ابى جعفر عليه السلام قال عليه السلام انّ

للّه عِلماً عامّاً وعِلماً خاصاً فأما الخاصّ فهو الّذى لَم يطّلِع عليه مَلَكٌ مقرّب ولانبيٌّ مرسل وامّا علمه العام فهو الّذى اطّلعَت عليه الملائكة المُقرّبون والأنبياء المُرسلون فقد دفع ذالك كلّه الينا ثمّ قال عليه السلام اَما تَقرَء وعنده علم السّاعة ويُنزّل العنث ويَعلَم ما فى الأرحام وما تَدرى نفسٌ ماذا تكسُب غداً وما تَدرى نفسٌ بايّ ارضٍ تموت انتهى« بحار الانوار ج٧ ص ٣١٤ ط كمپانى»...

وباسناده ايضاً عن ابى عبد الله عليه السلام قال انّ للّه عِلمَين عِلمٌ مَكنُونٌ مخزون لايعلمه الّا هو من ذالك يكون البداء وعِلمٌ عَلَّمه ملائكته ورُسله وانبيائه ونحن نعلمه انتهى «ص ٣١٥»...

وباسناده ايضاً عن فريس عن ابى جعفر قال سمعته يقول انّ للّه علمَين علمٌ مَبذوُل وعلمٌ مَكفوُف، فامّا المبذول فانّه ليس من شيىءٍ يعلمه الملائكة والرّسل الّا ونحن نعلمه وامّا المَكفُوف فهو الّذى عنده فى علم الكتاب اذ اخرج نفذ انتهى «ص ٣١٥»...

وباسناده ايضاً فى حديث الى ان قال فقال ابو عبدالله، انّ للّه علمين علمٌ عنده لم يطّلع عليه احدٌ فى خلقه وعلمٌ نَبذَه الى ملائكته ورُسله فما نَبَذه الى ملائِكته ورُسلِه فانتهى الينا انتهى« ص ٣١٥»...

وباسناده ايضاً عن ابى جعفر عليه السلام قال انّ للّه علما لايَعلَمه غيره وعِلماً قد اَعلمه ملائكته وانبيائه ورُسُله فنَحنُ نَعلمه ثم اشار عليه السلام بيَده الى صَدره انتهى «ص ٣١٥»...

والأحاديث فيه كثيرة ان شئتَ فراجع البحار وغيرها.و حاصل الكلام انه لاشك انّ للّه تعالى عِلماً مَخزوُناً مكتوُماً لَم يَطّلع عليه اَحَدٌ من مخلوقاته.

وفى المقام شقٌّ ثالث وهو ان يكون المقصود من هذا الكلام هو انّ عنده صلى الله عليه وآله علماً مخزوناً مَكتُوماً لَم يَطّلع عليه غير اوصيائه من افراد الامّة وهو صلى الله عليه وآله كان خازنه وحافظه واستناده الى الله لانّه منه فانّ المخلوق كما انّ حياته

ووجوده منه تعالى فكذالك علمه وقدرته وسائر صفاته الّتى هى من آثار وجوده عليه فالمعنى انّ النّبى ﷺ كان خازناً لعِلمِك الّذى كان مَخزوُناً عنده ﷺ ولم يُؤمَر باظهاره الّا على اوصيائه لِقِلّة فهم النّاس وعدم استعدادهم لِدَركه واَخذه كما قال زين العابدين ﷺ.

انّى لأكتم فى علمى جواهره
كَيلا يرى النّاس ذو جهلٍ فيفتننا
و رَبّ جوهر علمٍ لو اَبوُح به
يقل لى اَنت مِمّن تعبد الوَثَنا

وعليه فلايبعد ان يكون كثيراً من العلوم مَخزوُناً عند النّبى او الوصّى بعده لم يظهر على احدٍ كما ورد فى بعض الأحاديث ما يشير الى هذا المعنى وانّ خاتم الأوصياء اعنى صاحب الزمان حجّة ابن الحسن ﷺ هو حامل هذا العلم المَخزوُن ومعلومٌ انّ علمه ﷺ وعلم ابائه عن علم رسول الله وهو من علم الله فَهُمُ خُزّان علم الله وهو المطلوب.

□ **١٣- قوله ﷺ: وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ** ... وهو ايضاً مُويّدٌ بالعقل والنّقل.

امّا العقل: فهو انّ خاتم الأنبياء ﷺ اَشرَف المخلوقات فى عالم الوجود لقوله تم فيه لولاك لَما خَلقتُ الأفلاك وقوله تعالى: خَلَقتُكَ لأجلى وخَلَقتُ الخَلقَ لأجلِك وهذا المعنى ثابت فى حقّه بلاكلام.

ثمّ انّ العقل يحكم بانّ الشّاهد على الشّيى لابدّ له من ان يكون مورداً للوثوق والأطمينان عند القاضى فى المَحكَمة فكلّ من كان اَوثَق واَعرف واَعدل فَهُو اَولى بالشّهادة من غيره وحيث قد ثبت انّ رسول الله ﷺ اَقرب الموجودات واشرفها واكملها عندالله فلامحالة تكون شهادته بين يديه فى القيامة اَثبَت من غيره والّا يلزم ترجيح المفضول على الفاضل وهو قبيحٌ عقلاً ولا سيّما على الحكيم الخبير.

وامّا النّقل: فمن الآيات.قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ**

مِّنْ اَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَابِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاءِ﴾[1]

و : ﴿وَكَذٰالِكَ جَعَلْنٰاكُمْ اُمَّةً وَّسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2]

و : ﴿فَكَيْفَ اِذٰا جِئْنٰا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَّ جِئْنٰابِكَ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾[3]

: ﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مّٰا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[4]

و : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾[5]

و : ﴿يٰا اَيُّهَا النَّبِيُّ اِنّٰا اَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِداً وَّ مُبَشِّراً وَّ نَذِيراً﴾[6]

و : ﴿اِنّٰا اَرْسَلْنٰا اِلَيْكُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَيْكُمْ﴾[7] وامثالها من الآيات.

امّا الأخبار:

١ـ فمنها مارواه فى تفسير البرهان فى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ اِذٰا جِئْنٰا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ﴾[8] الخ باسناده عن سُماعة قال قال ابوعبدالله فى قول الله عزّ وجلّ فكيف اذا جئنا الاية نزلت فى أُمّة محمّد خاصّة فى كلّ قرنٍ منهم امام منّا شاهدٌ عليهم ومحمّد ﷺ فى كل قرنٍ شاهدٌ عَلينا انتهى...

٢- ومنها ـ مارواه فى تفسير هذه الاية باسنادِه عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال عليه السلام الأوصياءهم اصحاب الصّراط وُقُوفاً عليه لايدخل الجنة اِلّا مَن عَرفَهم عند اَخذهم المَواثيق عَليهم وَوَصفَهُم فى كتابه فقال عزّ وجل يُعرفُون كلًّا بسيماهم وهُم الشّهداء على اوليائِهم والنّبى الشّهيد عليهم اَخذَلهم مواثيق العباد بالطّاعة واَخَذ للنبّى ﷺ الميثاق بالطّاعة فجرت نُبُوّته عليهم وذالك قول الله عزّ وجل فكيف اذ جئنا فى كلّ امّةٍ بشهيد الآية انتهى...

٣- ومنها ـ مارواه فيه ايضاً باسناده عن علىّ ابن ابى طالب عليه السلام قال عليه السلام فى صفة يوم القيمة يجتمعون فى موطنٍ يَستَنطق فيه جميع الخلق فلايَتَكلّم

١- النحل- ٨٩
٢- البقرة- ١٤٣
٣- النساء- ٤١
٤- المائده- ١١٧
٥- الحج- ٧٨
٦- الاحزاب- ٤٥
٧- المزمل- ١٥
٨- النساء- ٤٨

اَحدٌ الّا مِنَ اَذِنَ له الرَّحمٰن وقال صواباً فيقام الرّسل فيسئل فذالك

قوله تعالى:﴿لمحمّدٍ فَكَيْفَ اِذا جِئنا﴾[1] الخ وهو الشّهيد على الشُّهداء والشّهداء هم الرّسل انتهى...

□ ١٤- قوله عليه السلام: وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولِكَ اِلَى الْخَلْقِ ...

قال فى المنجد، البَعيث المَبعُوث انتهى والبعث الأرسال قال بَعَثه بَعثاً وتبعاثاً اَرسَله وَحده، وقال ايضاً بَعثه من نَومه، ايقَظَه وبَعثه على الشّيى حَملَه على فِعله، وفى كلامه عليه السلام هذا اشارة الى اصلين اصيلين.

احدهما كونه صلى الله عليه وآله مَبعوُثاً من عنده تعالى، وثانيهما كون البَعث الى جميع الخلق فاشار عليه السلام

الى الأصل الاوّل بقوله عليه السلام: وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ **والى الثانى** بقوله عليه السلام: وَرَسُولِكَ اِلَى الْخَلْقِ ونحن نتكلّم فيهما اجمالاً فنقول.

امّا الأصل الاوّل اعنى كونه صلى الله عليه وآله مَبعوُثاً بالحقّ فقد دلّ عليه العقل والنّقل.

امّا العقل :فلوجوه. احدها- انّه صلى الله عليه وآله اَدّعى النُبوة واَتىٰ بالمُعجزات البيّنات الدالات على دعواه وكلّ من كان كذالك فهو رسول من عنده تعالى فهو رسولٌ بلا كلام.

امّا الصّغرى: اعنى اِدّعائه النّبوة واتيانه بالمُعجزات فهو ممّا لاكلام فيه ظاهراً عند اُولى الألباب امّا ادّعائه النّبوة فظاهر وامّا المُعجزات الّتى صَدَرت منه فهى كثيرة قد سبق منّا الكلام فيها فى المجلّد الاوّل مُفصّلاً ومع ذالك لابأس بالأشارة الى بعضٍ منها.

فنقول معجزاته صلى الله عليه وآله على قسمين: **باقية،و غير باقية.**

امّا الباقية منها: فهى القرآن الكريم وكونه مُعجزاً من وجوهٍ.

احدها: عَجز الفُصحاء والبلغاء عن الأتيان بمثله بل بآيةٍ من آياته مع تَوَفُّر دواعَيهم عليه ومن المعلوم انّهم لو كانوا قادرين على المعارضة لم يَسكتوا

١- النساء- ٤٨

عنها والسّكُوت مع وجوُد الدّاعى على عَدمه دليلٌ على العَجز واذا كان كذالك فهو الدّليل على كونه كلام الخالق واذا ثبت كونه كلام الخالق وقد أتىٰ به النّبى ﷺ فلامحالة يكون رَسُولاً من عنده اذ لانعنى به الّا هذا المعنى ثمّ انّ الدّليل على عجزهم وقصورهم عنه هو قوله تعالى حيث قال: **﴿قُلْ لَئِنْ اِجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلىٰ اَنْ يَّاْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا﴾**[1] وغيرها من الآيات.

وثانيها: ان يكون اعجازه بسبب التّراكيب العجيبة والأساليب الغريبة الموجودة فيه وهذا قول بعض المعتزلة.

وثالثها: ما ذهب اليه الجاحظ وهو انّ وجه اعجاز القرآن كونه فى اعلى مرتبته البلاغة بحيث لاتنال اليها افكار البلغاء من الاوّلين والآخرين.

ورابعها: ماذهب اليه السّيد المرتضى قدّه من القول بانّ الله تعالى قد صَرف قلوب العباد عن المعارضة بمثله وهذا هو القول بالصّرفة وفيه ما لايخفى.

اقول والتّحقيق عندى فى هذا البحث هو انّ اعجاز القرآن بكل الوجوه المُحتَملة وغيرها ممّا لايمكن تَصَوّره لنا فانّ الجمع مهما امكن أولىٰ مِن الطَّرح وعلى ايّ تقديرٍ لاشكّ فى كون القرآن من المعجزات الباقية.

وامّا الكبرى: اعنى كل من كذالك فهو رَسُول فهو اَظهَر من ان يخفى على احدٍ لانّ الرّسول عبارة عن الأنسان الّذى أُرسل من عندالله بكتابٍ وشريعة وبعد ثبوت المقدّمتين فقد ثبتت اَلنّتيجة وهو المطلوب.

وامّا غيره من المعجزات الّتى وَقعت فى حياته ﷺ ممّا تواتَرت به الرّوايات فلانطيل الكلام بذكرها مع انّه قد صَرَّح القرآن ببَعضٍ مِنها كشقّ القَمر والمعراج وغيرهما.

وثانيها: انّ العقل يحكم حكماً قطعياً بلزوم البعثه على الله تعالى ولا سيّما عند غلبته الكُفر وشيوع الفساد وهذا هو المُسمّىٰ عندهم بقاعدة اللّطف فانّ

١- الاسراء- ٨٨

الله تبارك وتعالى لَم يَخلُق الخلق عُبثاً ولَم يَتركهُم سُدىً لبرائته تعالى عن الظّلم وارتكاب القبيح ولا شك فى كون اِهمال الخَلق ظُلماً وقُبحاً ومن المعلوم انّ النّاس قبل بَعثته ﷺ كانوا متصفّين برذائل الاخلاق مُنهمكِين فى الغَىّ والضّلال كما تشهد به التّواريخ فنقول انّه ﷺ ادّعى النُّبوة فى زمانه ولم يُعلَم ادّعاء غيره بها واذ لَيسَ فلَيس.

وثالثها: انّه قد ثَبَت كونه ﷺ اُميّاً لايَقرَء ولا يَكتُب ولَم يتعلّم العلم عند احدٍ من ابناء زمانه ومع ذالك كان ﷺ جامعاً لأنواع العلوم عازماً باللّغات والألسن مُتّصفاً بالكمالات النّفسانية والنّعوت الأنسانيّة بحيث لم يكن يشذّ عنه شيىء مِن علوم الأوّلين والآخرين ولا شكّ فى انّه من كان كذالك كان مُويَّداً من عندالله مَورداً لعنايته ولُطفه بَريئاً عن الكذب وغيره من القبائح صالحاً لأرشاد الخلق وانقاذهم من الضّلالة والشّقاوة داعياً لهم الى الله تعالى ولانعنى بالرّسول الّا هذا وحيث اَنّه ﷺ ادّعى النّبوة وكان متصنفاً بهذه الأوصاف ولَم يَدلُّ دَليلٌ على كذبه وعدم صلاحيّته لما ادّعاه فلامحالة كان رسولاً وهو المطلوب.

ورابعها: انّه ﷺ كان حين بَعثه قليل المال والأعوان وهذا ممّا لاكلام فيه ومن الظّاهر انّ الأنسان اذا لم يكن له اموالٍ ولااعوان لايمكن له الوصول الى مَقصَده عادةً الّا ان يكون مُويّداً بالتّائيدات الرّبانية ومُوَفقاً بالعنايات الآلهيّة وحيث انّا نرى خلاف العادة فى دعوته وبعثته بانتشار كلمة التّوحيد فى صَفحَة الأرض واعلاءصيته ﷺ وعظمته فى مدّةٍ قليلة مع وجود الموانع من مخالفة النّاس ولا سيّما اقربائه وعشيرته كما هو ظاهر على الممارس خلال هذه الدّيار نكشِف منه كونه ﷺ رسُولاً نبيّاً من عندالله وهذا ممّا لاريب فيه.

وخامسها: انّ الرّسول عبارة عن الأنسان الّذى يَدّعى الرّسالة من الحقّ الى الخلق وهذه الدّعوة ان كانت بلامُعجزة وبَيّنة فهى كاذبة وان كانت مقرونة بها فى صادقة وقد ثبت صدقه ﷺ فيها عقلاً ونقلاً ولم يقدر احدٌ من ابناء زمانه

الى زماننا هذا على رَدعه ومَنعه بالحُجّة القاطعة مع تَوفُّر الدّواعى عليه فهو كان رسولاً وهو المطلوب والادلّة العقلية على اثبات رسالته ﷺ كثيرة جدّاً ونحنُ اعرضنا عن ذكرنا واطالة الكلام فيها حذراً عن الأطناب.

وامّا الادلّة النّقلية الدّالة على المدّعى فكثيرة من الكتاب والسّنة ونحن نشير الى شطرٍ منها.

امّا الآيات قال الله تعالى:﴿**اِنّٰا اَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشيراً وَنَذيراً وَّ لاٰتُسْئَلُ عَنْ اَصْحابِ الْجَحيمِ**﴾(١)

و : ﴿**تِلْكَ اٰياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلينَ**﴾(٢)

و : ﴿**وَما مُحَمَّدٌ اِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾(٣)

و : ﴿**يا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ**﴾(٤)

و : ﴿**مٰا كانَ مُحَمَّدٌ اَبا اَحَدٍ مِّنْ رِّجالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيّينَ**﴾(٥)

و : ﴿**قُلْ يا اَيُّهَا النّاسُ اِنّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ جَميعاً الَّذي لَه مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ**﴾(٦)

و : ﴿**يٰا اَيُّهَا النَّبِيُّ اِنّٰا اَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً**﴾(٧)

و : ﴿**يٰس ،وَالْقُرْاٰنِ الْحَكيمِ، اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلينَ**﴾(٨)والآيات فى هذا الباب كثيرة واظنّ انّ القرآن يكفى فى اثبات الرّسالة من جهة النّقل ولا نحتاج الى ذكر الأخبار من العامّة والخاصة فيها ومن اراد الاطّلاع عليها فعليه بمراجعة الكتب الموضوعة لها ثمّ بعد اثبات رسالته ﷺ عقلاً ونقلاً يبقى الكلام فى قوله ﷺ: **رَسُولِكَ اِلىَ الْخَلْقِ** ...

ان قلت ـ بعد ماذكر ﷺ انّه كان مَبعُوثاً بالحقّ ولا شك انّ البعثة بالحق تلازم الرّسالة فايّ نفعٍ فى قوله بعده ورسُولك الى الخلق مع انّ البعثة لاتكون الّا

١- البقرة- ١١٩
٢- البقرة- ٢٥٢
٣- آل عمران- ١٤٤
٤- المائده- ٦٧
٥- الاحزاب- ٤٠
٦- الاعراف- ١٥٨
٧- الاحزاب- ٤٥
٨- يس- ١/٢/٣

اليهم بعنوان الرّسالة.

قلت ـ الفائدة فى هذه الجملة لاتخفى على العقلاء وذالك لانّه ﷺ افاد فى الجملة الأولى كونه ﷺ مَبعُوثاً من عند الله حَقّاً وبالثّانية كونه ﷺ رسولاً الى كافة الخلق من الجِنّ والأِنس ومن المعلوم انّه لاملازمة بين اصل الرّسالة والبعثة وعُمومُها وشُمولها بالنّسبة الى تمام الموجودات اذ يمكن كون النّبى مَبعُوثاً من عند الله على بعض الخلق كما فى كثير من الأنبياء وبهذا يفرق بين اوْلى العَظم فيهم وغيره او بَين النّبى والرّسول وعلى ايّ تقدير لاشك انّ بعض الأنبياء لم يكُن مَبعُوثاً الى جميع الخلق بل اكثرهم كانوا كذالك وحيث انّ الرّسول ﷺ كان مَبعوْثاً الى جميع الخلق قال ﷺ ورسولك الى الخلق فانّ الخلق بمعنى المخلوق وهو يشمل جميع الممكنات وتستفاد منها امور لابأس بالأشارة الى بعضها.

١- منها ـ انّه ﷺ اَشرفُ المخلُوقات من الاوّلين والآخرين اذ البِعثة والرّسالة تستدعيان ذالك والاّ يلزم الخُلف كما هو ظاهر.

٢- ومنها ـ كونه ﷺ رسولاً بالنّسبة الى كافّة المُمكنات ولازمه وجوب اطاعتهم له كائناً من كان.

٣- ومنها ـ كونه ﷺ واسطة بين الخالق والمخلوق بمعنى انّ التّقرب الى الله لايمكن لأحدٍ الاّ بالتّمسّك بذيل عنايته والتّشبُّث بأوامره وترك نواهيه وهو ايضاً ممّا لاكلام فيه وقد نطق القرآن بكلا الأمرين اعنى كونه ﷺ مبعوثاً بالحق ورسولاً الى الخلق.

فمن الاوّل:قال اللّٰه تعالى:**﴿إِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَّ نَذِيراً وَّ اِنْ مِّنْ اُمَّةٍ اِلاّ خَلافِيهَا نَذِيرٌ﴾**[1]

و : **﴿إِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَّ نَذِيراً وَّ لاَ تُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾**[2]

١- الفاطر- ٢٤ ٢- البقرة- ١١٩

ومن الثّانی: قال الله تعالی: **وَمٰا اَرْسَلْنٰاكَ اِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ»**[1] والحمد للّه رب العالمين.

▫ قوله عليه السلام: **اللّٰهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِی ظِلِّكَ وَاجْزِهِ مُضٰاعَفٰاتَ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ...**

بعد ما ذكر عليه السلام فيما تقدم من الكلام اوصاف النّبی صلى الله عليه وآله على سبيل الأجمال واَثبَت كونه صلى الله عليه وآله مبعوثاً من عند الله تعالى الى جميع الخلق اشار بما اشار طلباً للرّحمة واداءً لبعض حقوق الرّسالة وذالك لانّ حقّ الرّسول عظيم فقال عليه السلام اللّهم اَفسَح لَه مَفسَحاً فِی ظِلّك.

الفَسخ والفَسيح بمعنى وهو الواسع من المكان يقال فَسَّحت مجلسه فَتَّفسح فيه قاله الراغب فی المفردات ومنه قال اللّٰه تعالى: **«يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذٰا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِی الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ»**[2] والظِّل هُو اعمّ من الفيئ ويقال لكلّ موضع لَم تَصل اليه الشّمس ظلٌّ ولا يقال الفئ الّا لِما زالَ عنه الشّمس وهذا هو السِّر فی تعبيره بالظِّل دون الفئ.

ثمّ انّ الظّل يُعبّر به عن العِزّة والمَنعة وعن الرّفاهة قال الله تعالى انّ المتّقين فی ظلالٍ، اى فی عزّةٍ ومَناعٍ وقال ايضاً فی وصف نعيم الجنّته اُكلها دائم وظِلّها، وقال ايضاً هم وازواجهم فی ظلالٍ، وقال ايضاً وظلّلنا عليكم الغَمام، وقال ونُدخِلُهم ظِلّاً ظليلاً وامثال ذالك من الآيات اذا عرفت هذا فنقول.

اراد عليه السلام بقوله هذا طلب العِزّة والمَنعة فی جوار قربه وهذا من احسن الأدعية لانّ وصول الأنسان فی سيره وسلوكه بتوفيقٍ من الله تعالى وعنايته الخاصة الى مقام القرب اعنی جوار رحمته وفضله من افضل القُربات واَكمَل الحَسَنات بل لامقصد سواه قال الله تعالى انّ المتّقين فی جنّاتٍ ونَهرَ فی مَقعد صِدقٍ عند مَليكٍ مُقتدرٍ.

▫ **وامّا قوله عليه السلام: وَاجْزِهِ مُضٰاعَفٰاتَ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ...**

١- الانبياء- ١٠٧ ٢- المجادلة- ١١

ففيه اشارة الى انّ وصول الخير منه تعالى الى العبد لايكون الّا بفضله وجوُده وفى قوله عليه السلام: **مضاعِفات الخير** اشارة الى كثرته على سَبيل الدّوام وعدم الانقطاع فانّه دائم الفضل على البريّة وباسط اليَدين بالعطّيه ولا يبعد ان يكون قوله عليه السلام هذا اشارة الى ما ذهب اليه بعض العرفاء من انّ العبد لايستحقّ شيئاً فى عُبوديّته لانّ العُبُوديّة من وظائفه الاوليّته وشُئُونه الذّاتية بناءً على وجُوب شُكر المُنعِم عقلاً اذ لامحيص له عن معرفة خالقة كما هو شأن المعلول بالنّسبة الى العلّة ولا شك انّ معرفة الخالق لاتنفك عن الخضوع والعُبَوديَة له بحسب القدرة والطّاقة واذا كان الأمر على هذا المنوال فايّ شيّيٍ يستحقّ وعليه فالثّواب الواصل منه تعالى الى العبد لايكون الّا بفضله وكرمه واذا ثبت هذا المعنى فى اصل الخير فثبوته فى تضاعف الخير بطريقٍ اَولىٰ ويستفاد هذا المعنى من قوله عليه السلام: **مِنْ فَضْلِكَ** حيث اَسند عليه السلام تضاعف الخيرات اليه صلى الله عليه وآله بفضل الله ورَحمته فتامّل.

□ **قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ وَاَعْلِ عَلىٰ بِنٰاءِ الْبانِينَ بَنٰائِهُ...**

يحتمل ان يكون المراد ببناء البانين الأديان والشّرايع الالهية الّتى اَمرَ الله تم انبيائه بتشييد مبانيها وتحكيم اصولها وفروعها وعليه فالمراد بالبانين الأنبياء بأذنه ومن جملة الأديان الأسلام واعلاء بنائه اعلاء دينه فانّ الأسلام يَعلُوا ولايُعلىٰ عليه قال الله تعالى: ﴿**انّ الدّين عندالله الاسلام**﴾ ويمكن ان يكون المراد بأعلاء بنائه صلى الله عليه وآله اعلاء صبته وذكره فى عالم الوجود واليه الأشارة بقوله تم ورَفَعنا لك ذكرك، قال الله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِاَفْوٰاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِه**﴾[1] و يمكن ان يكون المراد مايَشيَّده صلى الله عليه وآله من المَلكات الخيريّة واستحقّه من مراتب الجنّة قال البحرانى قدّه فى شرحه اقول كلّ هذه المعانى لابأس بها لِشمول العبارة ايّاها والّذى يختلج بالبال هو انّ فى العبارة دِقّة ونُكَتةٌ اخرى وهى انّ اِعلاء الله تعالى بنائه بايّ معنى كان يستفاد منه امران.

١- الصف- ٨

احدهما: انّ الأمر بيَده تعالى فانّ وظيفة العبد الأتيان بما اَمره الله به قُربةً اليه وامّا بقائه ودوام وجوده وصيته فهو اَمرٌ آخر خارج عن قدرة العبد وارادته لانّ العمل من ايّ شخصٍ صَدر يدُور مدار اخلاصه ومعرفته بالله فكلّما كان الأخلاص له اَشَدّ واَكثر فى العمل كان اَقرَب بالقبول وحيث انّه ﷺ كان فى اعماله وافعاله واقواله واداء رسالته ونبوّته فى اعلى مراتب الأخلاص والقُربة فلاجَرَم استحقّ دوام دِينه وبقاء اثاره ولمّا كان هذا البقاء والدّوام بيده لاغير فَصَّح السئوال به.

وثانيها: انّ فيه ايماء الى كون البناء الّذى بناه الرّسول ممّا اَمرَ الله رسوله به فالبناء حقيقة له والنّبى واسطة فى تشييد مبانيه وتبليغ احكامه وفرامينه قال الله : ﴿**وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ اِنْهُوَ اِلاّ وَحْىٌ يُوحىٰ**﴾[1] والى حفظه فى عالم الوجود اشار قال الله تعالى:﴿**اِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنّا لَهُ لَحافِظُونَ**﴾[2]

ففى دعائه ﷺ هذا اشارة الى دوام الدِّين وبقاء ذكر النّبى الى يوم القيمة ولو كَرِه المشركون ولا شكّ انّ هذا الدّعاء فيه ﷺ اصار مُستجاباً حقّ الأستجابة كما لايخفى على المتأمّل.

▫ **قوله ﷺ: وَاَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ...**

اشارة الى قوله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ قال اللّه تعالى : ﴿**وَ قُلْ رَبِّ اَنْزِلْنى مُنْزَلاً مُبارَكاً وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلينَ**﴾[3] والمراد بالمنزلة فى المقام هو القرب المعنوى كما انّ المراد بالعنديّة المِعنَوية دون الحِسيّة الّتى من لوازم الجسم وحيث انّه تعالى مُنزّهٌ عن الجِسميّة ولواحقها فلايعقل فيه العِنديّة المُصطَلحة العُرفيّة وعلى كلّ حالٍ هو دعاء له ﷺ بترفيع مقامه وفيه اشارة الى انّ فَوق كلّ مقام مقام وانّ مراتب القرب غير متناهية

▫ **قوله ﷺ: وَاَتْمِمْ لَهُ نوُرَهُ...**

١- النجم- ٣

٢- الحجر- ٩

٣- المؤمنون- ٢٩

قال الخوئی فی شرح العبارة المراد بذالك اتمام نُوره یوم القیمة بحیث یُطفی سائر الأنوار وهو النّور الّذی یَسعیٰ بین یَدی الامّة حتّی ینزلوا منازلهم فی الجنته والیه الأشارة بقوله تعالی ﴿**یَوْمَ لایُخْزِی اللهُ النَّبِیَّ وَالَّذِینَ اٰمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ یَسْعیٰ بَیْنَ اَیْدِیهِمْ وَ بِاَیْمَانِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْلَنَا اِنَّکَ عَلیٰ کُلِّ شَیءٍ قَدِیرٌ**﴾[1]

وقال المُحقق البَحرانی وهو اِمّا النُّور الّذی بعث به واتمامه انتشاره فی قلوب العالمین واِمّا النّور الّذی فی جوهر ذاته وتمام زیادة کما له انتهی.

اقول: امّا ماذکره الخوئی قُدّه فهو لایرجع الی مُحَصّلٍ بل هو خروجٌ عمّا نحن بصدده واَوهَن منه استدلالة قده علی مدّعاه بالآیة الشّریفة مع انّ الآیة صریحة فی انوار المؤمنین یوم القیمة ولا ربط لها بالموضوع.

امّا اوّلاً: فلانّ النّور المذکور فی الآیة ثابته له ﷺ فی القیامة بصریح الآیة فالطّلب بها من تحصیل الحاصل.

وثانیاً: تقیید اتمام النّور بیوم القیامة یحتاج الی الدّلیل واذ لَیس فلَیس کما ثبت فی الأصول.

وثالثاً: انّ الآیة الشّریفة قد دَلّت علی انّ الله تعالی اَتّم نوُره ﷺ یوم القیمة وعلیه فدعائه علیه السلام به من تحصیل الحاصِل.

ورابعاً: یستفاد من الایة انّ الامّة تستضئی بنوره یوم القیمة وهو ممّا لاکلام لنا فیه.

وامّا ماذکره البحرانی قدّه فهو ممّا لابأس به فانّ انتشار نور بعثته ونبوّته فی قلوب العارفین واتمامه فی صدور التّابعین ممّا یلیق بان یُطلب وحرّیٌ بان یُذکر.

ولا یبعد ان یکون المراد به مضافاً الی ما ذکروه شیئاً آخر وهو انّ النّور من شأنها ان تکون ظاهراً بالذّات مَظهِراً للغیر کما هو شأن حقیقة الوجود کما قرّر

۱- التحریم- ۸

فی محلّه.

ثمّ انّ الوجود والنّور واحدٍ والفرق بینهما، فی اللّفظ فقط ولذالك تری الأشراقیین یُعبّرون عن الواجب تعالی بنور الأنوار کما انّ المشائین یعبّرون عنه بواجب الوجود وحقیقته وعلی کلا المسلکین لاخلاف بین الأشرقیین وطائفة من حکماء المشائین المُعبَّر عنهم بالفهلوبیین فی انّ کلَیهما یصدقان علی مراتبها علی سبیل التشکیك دون التّواطؤ کما قال السبزواری قده فی المنظومة.

اَلفَهلوُیّون الوجود عندهم حَقیقةٌ ذات تشکّكٍ تَعُمّ
مراتباً غنیً وفقراً تختلف کالنّور حَیثُما تقوّی وضعف

وانّما قلنا طائفة من المشائین ولم نقل کلّهم لانّ کثیراً منهم لم یقولوا به وتفصیل الأقوال فیه یطلُب من کتب الموضوعة للأبحاث العقلیّة.

اذا عرفت هذا فقوله علیه السلام: **وَاَتْمِمْ لَهُ نوُرَهُ** لعلّ المراد به هو اتمام نوره الوجودی بحسب لیاقته واستعداده صلی الله علیه وآله فیصیر المعنی اَتمِم له صلی الله علیه وآله وجوده، ومعنی اتمام الوجود اتمامه بحسب وجوده الأمکانی لابالنّظر الی اصل الوجود وذاته اذا تمامه بهذا المعنی وجوبه لاغیر والوجوب ینافی الامکان وقد ثبت امکان ما سوی الله تم وانحصار وجوب الوجود فیه وهذا امرٌ مفروغ عنه فی الفلسفة فانّ کَمال کلّشیءٍ وتمامه انّما هو بحسبه فحاصل الکلام یرجع الی طلب اتمام وجوده صلی الله علیه وآله من الله تعالی بحسب الأمکان فانّ الوجود او النُّور کما قلنا له مراتب ومراحل نَقصاً وکَمالاً وشِدّةً وضَعفاً وغنیً وَفَقراً وغیرها

ان قلت علی ما ذکرت یلزم ان یکون وجوده صلی الله علیه وآله فی حَدّ ذاته ناقصاً حتّی یصّح طلب الکمال فیه.

قلت ـ نعم الوجودات الأمکانیة کلّها ناقِصة فی حَدّ ذاتها کاملة بخالقها ومُوجدها بالنّسبة وبعبارة اخری النّقص فی وجود الممکن یتصوّر علی قسمین:

احدهما: النّقص الذّاتی ای بالنّظر الی امکانه ومَعلولیّته وهذا النّقص لاینفكّ عن الممکن أبَداً کائناً من کان فانّ الأمکانیة مُساوقة لِلفقر والأحتیاج وقد قال ﷺ الفَقرِ فَخری.

وثانیهما: النّقص النّسبی فانّ کلّ مرتبةٍ من الوجود ناقصة بالنّسبة الی المَرتبة الأعلی وهکذا فقوله ﷺ فی مقام الدّعاء له ﷺ ناظرٌ الی الثّانی دون الاوّل فانّ الممکن لایَصیر واجباً وبدونه لامعنی لکونه تامّاً حقّ التّمام فالمراد اتمامه النّسبی بحسب مراتب الوجود الأمکانی وهو المطلوب.

بقی فی المقام شیی لابدّ لنا من ذکره وهو انّه ربما یمکن ان یقال ان کان المراد بقوله ﷺ هذا ما ذکرت من اتمام نوره النّسبی الأمکانی فما الفائدة فی هذا الدّعاء.

فنقول فی حَلّه قد ثبت فی العلوم العَقلیّة انّ الکمالات النّفسانیة وغیرها کلّها من لوازم وجود الموجود وشُئونه فکلّما کان الوجود فیه اَقویٰ واَتمّ کان الکمال تابعاً له الا تری انّ الواجب تعالی جامع لجمیع الکمالات والخیرات بحیث لایتّصور کمالٌ فوق کماله لانّه لایتصّور وجُودٌ فوق وجوده وبعبارة اخری کما انّه تعالی من حیث الوجود لایقاس بغیره کذالك من حیث الکمالات والأوصاف لایقاس بغیره وهذا الأصل اعنی الکمال تابعاً للوجود ومن شئونه یَجری فی جمیع الموجودات الأمکانیة ایضاً فکلّما کان المِوجُود اَشدّ واَتمّ وجوُداً کان اَشدّ واَتمّ کَمالاً وبالعکس بالعکس.

اذا تدّبرَت فیما تلوناه علیك حقّ التّدبر فاستمِع لما یوُحی الیك وهو انّه ﷺ استدعی منه تم اتمام نور النّبی واکمال وجوده بحسب الأمکان وهو یلزم اتمام الکمالات والأوصاف الحمیدة الرّبانیة فیه ﷺ لکونها تَدوُر مَدار الوجوُد حیثما دار فکانّه قال اللّهم اتمِم للنّبی ﷺ الکمالات والفیوضات والخَیرات الفائضة من جنابك بقدر الأمکان بحیث لایساویه فیها اَحَد ومن المعلوم انّ من کان کذالك یکون فی اَعلیٰ مراتب القُرب من ربّه وان شئت قلت المَدعُوّ به

فى المقام عبارة او كناية عن ايصاله ﷺ الى اعلى المقامات وارفع الدَّرجات بحيث لايكون بين الخالق والمخلوق مَوجُود آخر وهذا من اَحسَن الأدعية واَفضَل النِّعمة وهو لايليق الاّ بجنابه ﷺ.

▫ **قوله عليه السلام: وَاجْزِهِ مِن ابتعاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهادَةِ وَمَرْضِيَّ الْمَقالَةِ...**

اراد عليه السلام ان يجزيه الله سُبحانه عن بعثته ورسالته وتبليغ احكامه الى خَلقه شيئاً يليق به من المَعنويّات فانّ الدّنيا وما فيها من الماديّات لااعتبار بها لكونها فانيته داثرة ولذالك لم يذكر عليه السلام منها شيئاً وخَصَّ المسئول عنه بالآخرة وقد ذكر فى المقام شيئين احدهما كونه ﷺ مقبول الشهادة عنده تعالى فى يوم القيمة وثانيهما كونه مرضّى المقالة.

امّا الاوّل: فقد اشير اليه فى الكتاب بقوله تم فكيف اذا جِئنا من كلّ امّةٍ بشهيدٍ وجئنابك على هؤلاء شهيداً، دلّت الآية الشّريفة على كونه ﷺ شَهيداً على الكلّ يوم القيمة وقد مرّت الأخبار الدّالة عليه فيما سَلَف من الكلام.

ان قلت ـ اذا ثبت بصريح الآية كونه ﷺ شهيداً يوم القيمة فما معنى دعائه عليه السلام فى المقام اَلَيس من تحصيل الحاصل.

قلت ـ دلّت الآية على كونه ﷺ شَهيداً عَليهم وامّا قبول شهادته فأمرٌ آخر والمَدّعُو به هو كونه ﷺ مقبول الشّهادة لاكونه شَهيداً فقط ولا شك انّ قبول الشّهادة عند الله تعالى يدلّ على صدق الشّاهد وكونه مورداً للوثوق والأطمينان عنده وهو من اعلى مراتب العُبُوديّة.

واما الثّانى: اعنى كونه مَرضّى المقالة فهو اشارة الى كون اقواله ﷺ مَرضيّاً عند الله تعالى وهذا انّما يتمّ فيما اذا كانت الأقوال كلّها مُستندة الى الوَحى والإلهام والاّ كيف يمكن ذالك فقوله عليه السلام هذا يدلّ على كونه ﷺ مَعصوماً فى افعاله واقواله فى دار الدّنيا وهو كذالك اذ فى صورة عدم العِصمة لايُعقل كون الأنسان مرضّى المقالة وعلى كلّ حالٍ اراد عليه السلام بذالك صدق قوله ﷺ وانّه مايَنطق عَن الهَوى إن هو الاّ وَحىٌ يوُحى.

□ قوله عليه السلام: **ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطَّةٍ فَصْلٍ ...**

وفى بعض النّسخ وخطبة فصل، وهو اَنسَب بسياق الكلام ثمّ انّ الشّارح الخوئى قدّه قال فى شرح العبارة ما هذا لفظه والخُطّة بالضّم الخِصلة والحالة وفى اكثر النّسخ وخطبة فصل وهو الأظهر انتهى.

اقول ـ بعد الفَحص الكامل فى كتب اللّغة التى بين اَيدينا لَم نَجد الخُطّه بمعنى الخِصلة والحالة ولا نَعلَم من ايّ مأخذٍ اخذه قدّه هذا المعنى قال فى لسان العرب، الخُطّة كالخَطّ كانّها اسمٌ للطَّريقة انتهى وقال فى المجمع والخُطّة بالضّم من الخَطّ كالنُّقطة من النّقط والأمر سَهل ولعلّه قده وجده فيما ليس بأيدينا، وعلى فرض كون العبارة وخُطّة فصلٍ، فكون الخُطّة بمعنى الطّريقة كما ذكره فى لسان العَرب اَوفَق بالمقام ممّا ذكره قده كما لايخفى على المُتامّل البصير.

وامّا على قول المشهور وهو ضبط العبارة بالباء اعنى خطبة فصلٍ، فالمعنى اَوضَح واَنسب بسياق العبارة فانّ الخُطبة تناسب المَنطِق فهذا المعنى اَنسب بلفظ الكتاب والاوّل بمعنى الكلام فتأمل.

ثمّ انّ عليّاً عليه السلام اشار بكلامه هذا الى وَصفين من اوصاف النّبى صلى الله عليه وآله اعنى كون منطقه صلى الله عليه وآله عدلاً وخطبته فصلاً قال الشّارح المُعتزلى فى شرح العبارة وقوله عليه السلام: **ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ** اى عادلٍ وهو مصدر اقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر وصوم اى مُفطرٌ وصائمٌ ثمّ قال قوله وخُطبة فصل اى يَخطب خطبة فاصلة يوم القيمة كقوله انّه لَقولٌ فصلٍ وما هو بالهَزل اى فاصل يُفصَل به بين الحقّ والباطل وهو المقام المحمود الّذى ذكر الله تعالى فى الكتاب فقال: **﴿عَسىٰ اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾**[1] الى آخر ما قال انتهى ما ذكره.

والحقّ انّ ماذكره فى تحقيق الكلام من كون، عدل بمعنى عادل خروجٌ عمّا نحن بصدده بل لايساعده التّحقيق اَصلاً اذ لانحتاج الى هذا التأويل الغَلط فانّ

١- الاسراء- ٧٩

المنطق لايوصَف بالعادل كما انّ الخطبة لاتوصف بالفاصل والّذى يوصف بهما هو النّاطق فى الأوّل والخاطب فى الثّانى فيقال ناطقٌ عادلٌ وخاطبٌ فاصلٌ ولو كان الأمر كما ذكره فاىّ مانع مَنعه عليه السلام عن الأتيان بالنّاطق بدل المنطق والخاطب بدل الخُطبة وهو عليه السلام من اهل اللّسان ومعدن الفصاحة وهذا ممّا لاكلام فيه.

والّذى يقوّى فى النّظر ويساعده التحقيق هو انّ الأتيان بكلمة (عدل وفصل) للدّلالة على المبالغة والمعنى انّ منطقه صلى الله عليه وآله صار نفس العدل وخطبته نفس الفَصل لانّها مَوصُوفان بالعدالة والفَصل وذالك لانّ الاتّصاف يوجب الأثنيته والمُغايرة بين الصّفة والموصوف والمدّعىٰ اثبات العنيّته مبالغةً فهو من قبيل زيّد عدلٌ اى من كثرة عدالته كانّه صار نفس العَدل وهذا من محاسن الكلام فى باب الأستعارات والكنايات وملّخَص المقال فى المقام هو انّه صلى الله عليه وآله كان ناطقاً بالحقّ غير ناطقٍ بالباطل فكان كلامه صلى الله عليه وآله حقّاً وقوله فَصلاً بين الحقّ والباطل.

▫ **قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ اَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِى بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النَّعْمَةِ وَمُنىَ الشَّهَوَاتِ وَاهْوَاءِ اللَّذَاتِ ...**

بعد ذكره عليه السلام اوصافَ النّبى والدّعاء له اَردف عليه السلام كلامه فى ختام البحث بامورٍ كُلّها مطلوبة.

احدها: الجمع بيننا وبينه صلى الله عليه وآله فى بَرد العيش اعنى الجَّنته ومقاماتها وانّما عَبّر عنها ببَرد العيش لخلّوها عن الافات والبَليّات والهُموم والأحزان والدُّثور والنّقصان بخلاف الحياة والعيش فى هذه الدّنيا الدّينية الفانية المحفوفة بالبلايا والنّكَبات.

وامّا تعبيره عليه السلام فى اللّفظ ببَرد العيش مع انّ حقّ الكلام اتّصاف العيش بالبَرد كما يقال عيشٌ بارد فهو من اضافة الصّفة الى الموصوف والبَرد فى المقام بمعنى الثّبوت وبمعناه المصطلح اعنى ضدّ الحرارة ضَرورة انّ العيش

لايكون بَرداً بهذا المعنى الّا على وجهٍ بعيد كما لايخفى فالمراد ثبوته ودوامه ومنه قول الشاعر:

قد بَردَ الموت على مصطلاه اى ثبت الموت عليه

ولا شك انّ العيش فيها ثابت دائم لايقبل الفناء والدّثور كما نطق به القرآن والأخبار ولأجل ثبوت العَيش فيها اَتبعَ كلامه بقوله وقرار النّعمة فانّ نِعم الجنّته باقيته والآيات فيها كثيرة قال اللّٰه تعالى:﴿**فَاَثابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ خالِدِينَ فيها وَذالِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾(۱)

و : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ، اُدْخُلُوها بِسَلامٍ اٰمِنِينَ** الى قوله **لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ**﴾(۲)

و : ﴿**اُولئِكَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ اَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**﴾(۳)

و : ﴿**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِياً**﴾(۴)وامثالها من الآيات.

وثانيها قوله ﷺ: **وَمُنىَ الشَّهَوٰاتِ**، فانّ المُنى بضم الميم جمع مُنية وهى ما تيمّناه الأنسان لنفسه والشّهوات ما يشتهيه والمقصود انّه ﷺ طَلَب من الله تعالى الجَمع بيننا وبينه ﷺ فى كلّ مايتّمناه الأنسان لِنفسه ويشتهيه قضاءً لحقّ العطف وهذا المعنى ايضاً لايحصل الّا فى الجَنّته فانّ فيها ما تشهية الأنفس وتَلَذّبه الأعينُ قال الله تعالى فى كتابه الكريم.

قال اللّٰه تعالى:﴿**يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَّ اَكْوابٍ وَ فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾(۵)

و : ﴿**كَذالِكَ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ اٰمِنِينَ**﴾.

و : ﴿**فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(۶)

۱- المائده- ۸۵
۲- الحجر- ۴۸الى ۴۵
۳- الكهف- ۳۱
۴- مريم- ۶۳
۵- الزخرف- ۷۱
۶- الدخان- ۵۷=۵۴

و : ﴿وَالسّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ، أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ﴾ الى قوله ﴿عَلىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ، مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوٰابٍ وَ أَبٰارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ الى قوله ﴿وَفٰاكِهَةٍ مِّمّٰا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمّٰا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثٰالِ اللُّؤْلُوءِ الْمَكْنُونِ، جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] الى آخر الآيات والى هذا المعنى اشار بقوله عليه السلام واهواء اللّذات كما لايخفى.

▫ قوله عليه السلام: وَرَخٰاءِ الدَّعَةِ وَمُنتَهى الطُّمَانِينَةِ وَتُحَفِ الْكَرٰامَةِ...

هذه الجملات مَعطوفة على ماقبلها والرَّخاء من قولهم رجل رخّى البال اى واسع الحال والدَّعة سكون النّفس واطمئنانها والتُّحَف جمع تُحفة وهى مايُكرَم به الأنسان من اللّطف والبرّ والمعنى اللّهم اجعَل بَيننا وبَينه فى سعة الحال وسكون النفس وغاية الأطمينان والطافك الواسعة الشّاملة وفيها اشارة الى منتهى آمال العارفين وغاية سلوك السالكين المُعَبّر عنه بمقام الأطمينان والذّكر قال الله تعالى :﴿أَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2] و هو ممّا لاغاية ورائة وقد يعبّر عنه فى لسان العرفاء بمقام الوصل وفيه ايماء الى انّه صلى الله عليه وآله بلغ الغاية القُصوىٰ فى مقام العبودية والسُّلوك الى الله تعالى وهو كذالك والحمد للّه رب العالمين وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطّاهرين.

١- الواقعه- ٢٤=١٠ ٢- الرعد- ٢٨

ومن خطبة له عليه السلام (٧٢)

▫ قوله عليه السلام قالوُا اُخِذَ مَروانُ ابْنُ الْحَكَمِ اَسِيراً يَوْمَ الْجَمَلِ، فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسِينَ(عَلَيْهِمَا السَّلامُ) اِلىٰ اَمِيرِالْمُؤمِنِينَ عليه السلام فَكَلَّماهُ فِيهِ، فَخَلّىٰ سَبِيلَهُ فَقالا لَهُ يُبايِعُكَ يا اَمِيرالْمُؤمِنِينَ:

قال عليه السلام اَوَلَمْ يُبا يِعْنِى بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاحاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ! اِنَّها كَفٌّ يَّهُودِيَّةٌ، لَوْ بايَعَنِى بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ، اَما اِنَّ لَهُ اِمرَةً ،كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ اَنفَهُ، وَهُوَ ابُو الاَكْبُشِ الاَّ ربَعَةِ، وَسَتَلْقَى الاُمَّةُ مِنْهُ وَمِن وُلْدِهِ يَوْماً اَحْمَرَ .

اللّغة

(بِسبَّتِهِ) السُّبة بالضَّم الأَست وهُو ممّا يحرص الأنسان على اخفائه وكنّى به عن الغَدر الخَفّى (الاَكْبُشِ)جمع كَبش وهو رَئيس القَوم (الأِمرَةً) الأِمارة (لَعْقَةِ) لعقة الكَلب لَحسُه.

المعنى

اَوَلَمْ يُبا يِعْنِى)اى مَروان ابن الحَكَم لَعَنه الله (بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاحاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ!اى بيعة مَروان ثانياً بعد ما بايَعنى اوّلاً (اِنَّها) اى يَده (كَفٌّ يَّهُودِيَّةٌ)من حيث المكر والغَدر (لَوْ بايَعَنِى بِكَفِّهِ) اى بيَدَه (لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ) كما هو شأن المنافق (اَما اِنَّ لَهُ اِمرَةً) وامارةً (كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ) ولُحسه(اَنفَهُ وَهُوَ) اى

مروان ابُو الْاَكْبُشِ الْاَ ربَعَةِ،)وسيأتى شرحها (وَسَتَلْقَى الْاُمَّةُ) اى المسلمُون (مِنْهُ وَمِن وُلْدِهِ يَوْماً اَحْمَرَ) كناية عن ظلمهم على النَاس وانحرافهم عن العدل.

◁ الشّرح

قالوا فى جهة صدور هذا الكلام فيه عليه السلام انه لمّا **اُخِذَ مَروانُ ابْنُ الْحَكَمِ اَسِيراً يَوْمَ الْجَمَلِ، فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسِينَ(عَلَيْهِمَا السَّلاٰمُ) اِلىٰ اَمِيرِالْمُؤمِنِينَ عليه السلام فَكَلَّماهُ فِيهِ، فَخَلّىٰ سَبِيلَهُ فَقالاٰ لَهُ يُبايِعُكَ يا اَمِيرِالْمُؤمِنِينَ:**

فقال عليه السلام ماقال ونحن نتكلّم اوّلاً فى حالاته ونسبه على سبيل الأجمال ثم نشرع فى شرح كلماته عليه السلام فيه.

امّا نَسَبه ـ قال ابن حجر العَسقلانى فى الأصابة فيه هو مروان ابن الحكم ابن ابى العاص ابن امّية ابن عبد شَمس ابن عبد مناف القُرشى الأموى وكنيته ابو عبدالملك وهو ابن عمّ عُثمان وكاتبه فى خلافته يقال وُلد بعد الهجرة بسنيتن وقيل بأربع وقال ابن شاهين مات النّبى صلى الله عليه وآله وهو ابن ثمان سنين فيكون مولده بعد الهجرة بسَنَتين قال وسمعت ابن ابى داود يقول وُلِدَ عام اُحُد يعنى سَنَته ثلاث الى آخر ماقال فى مَولده.

قال ـ وقصّة اسلام ابيه ثابتة فى الفتح الى ان قال لكن لم اَرمن جَزم بصُحبته فكانّه لَم يكُن ح مميّزاً ومن بعد الفتح اُخرِج ابوه الى الطّائف وهُو مَعه فلم يثبت له ازيد من الرُّؤية، واطال الكلام بما لافائدة فيه الى ان قال وكان مع ابيه بالطّائف الى ان اذن عثمان لِلحَكم الرّجوع الى المدينة فَرَجع مع ابيه ثمّ كان من اسباب قتل عُثمان ثمّ شهد الجَمَل مع عائشة ثمّ صفّين مع معاوية ثمّ وُلّى اِمرةُ المدينة لمعاوية ثمّ لم يزل بها الى ان اخرجهم ابن الزّبير فى اوائل اِمرَة يزيد ابن معاوية فكان ذالك من اسباب وَقعة الحرّة بالشّام الى ان مات معاوية ابن يزيد ابن معاوية فبايعه بعض اهل الشام فى قصّةٍ طَويلة ثمّ كانت الوقعة بَينَه وبَين الضّحاك ابن قيس وكان اميراً لابن الزّبير فانتصر مروان وقُتِل

الضَّحاك واستوثق له ملك الشام ثم تَوَجّه الى مِصر واستَولىٰ عليها ثـمّ نـعته الموت فَعهِد الى ابنه عبد الملك فكانت مدّته فى الخلافة قدر نِـصف سَـنَة ومات فى شهر رمضان سنة خمس وستّين انتهى ماارردنا ذكره من كتابه.

وقال ابن عبد البرّ فى الأستيعاب بعد نقله الاقوال فى مولده انّ رسوُل الله ﷺ كان قد نفى اباه الحَكَم اليها فلم يزل بها حتّى ولىَ عثمان ابن عفان فَرَدّه عثمان وقدم المدينة هو وولده فى خلافة عثمان فاستولى عـليه الى ان قـتل عثمان ونَظر اليه علىٌّ عليه السلام يوماً فقال له وَيلَك وويل امّةِ مُحمّد منك ومن بَينك اذا سائت درعك وكان مروان يقال له خيط باطل وضرب يوم الدّار على قفاه فلمّا بويع له بالامارة قال فيه أخوه عَبد الرّحمن.

فـوالله مـا ادرى وانّـى لسـائلُ حَليله مضروب القفاكَيف يَصنَعُ
لَحَى الله قَوماً اَمّرُ وخيط بـاطل على النّاس يُعطِى مايشاء ويـمنَع

وقال فيه ايضاً اخوه:

وَهَبَتُ نَصيبى منكَ يأمـر وكُـلّه لعمرو ومـروان الطّـويل وخـالد
فكـلّ ابـن امٍّ زائـد غـير نـاقصٍ وانت ابـن امٍّ نـاقصٍ غـير زائـدِ

وقال فيه ايضاً مالك ابن الرّيب يهجوه:

لعمروك مامروان يقضى اُمُـورنا ولكنّما تـقضى لنـا بـنت جـعفرٍ
فـيـاليتها كـانت عَـلينا امـيرةٌ ولَـيتك يـامرون اَمسَـيت داجِـرُ

والأشعار والأخبار فى قَدحه كثيرة فانّه كان رأس المنافقين فى عَصره ناصباً لعلّىٍ عليه السلام واولاده مُبغضاً للّه ولِرسوله ومُجمل القول فيه وفى ابيه وابنائه انّهم كانوا من الزّنادقة فى صَدر الأسلام ولا سيّما شخص مروان فانّه كان مسلماً ظاهراً كافراً واقعاً لَم يُؤمن بالله وبرسوله طَرَفة عينٍ ابداً ضاعف الله فى عذابه.

قال ابن الاثير فى الكامل وكان اَبوُه قَد اَسلَم عام الفتح ونَفاه رسول الله ﷺ الى الطائف لانّه يتجسّس عليه ورآه النّبىﷺ يوماً يَمشى ويتحلّج فى مشيه كانّه يحكيه فقال عليه السلام له كُن كذالك فما زال كذالك حتّى ماتٍ ولمّا توفّى رسول

الله ﷺ كلّم عثمان ابابكر فى ردّه لانّه عَمّه فلم يفعل فلمّا توفّى ابوبكر وولّى عمر كلّمه ايضاً فى ردّه فلم يفعل فلمّا ولّى عثمان ردّه وقال انّ رسول الله وعَدنى ردّه الى المدينة فكان ذالك ممّا انكر النّاس عليه ثمّ قال وقد رويت اخبار كثيرة فى لَعنه ولَعن مَن فى صُلبه رواها الحافظ وكان مَروان قَصيراً اَحمراً يكنّى ابا الحَكم وابا عبد الملك الى آخر ماذكره فى الكامل اذا عرفت هذا فلنرجع الى شرح الالفاظ

فنقول لمّا أُخذ مروان اسيراً يوم الجمل واستشفع له الحسن والحسين الى اميرالمؤمنين وكلّماه فيه فخلّىٰ سَبيله وقالا يُبايعك يا اَميرالمؤمنين.

- **قوله ﷺ: اَوَلَمْ يُبَايِعْنِى بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لاٰحاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ ...**

والهمزة فى قوله ﷺ: **اَوَلَمْ يُبَايِعْنِى** ،لِلاٰستفهام الأنكارى اى بايَعنى بعد قتل عثمان بالمدينة لاحاجة لى فى بيعته، وذالك لنفاقه وشقاقه فانّ المنافق لاعَهدَ له فكما انّه نَكَث البيعة اوّلاً ولَم يَفِ بها فكذالك الأمر فى تجديدها وعليه فلاحاجة الى هذه البيعة وامثالها من المنافقين.

- **قوله ﷺ: اِنَّهَا كَفٌّ يَهودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِى بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ ...**

وهذه الجملة بمنزلة التعَليل لقوله ﷺ: **لاٰحاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ** فكانّه قيل له ﷺ لِمَ لاحاجة لك فى بيعته فقال ﷺ: **اِنَّهَا كَفٌّ يَهودِيَّةٌ** الخ والضَمير فى قوله انّها يرجع الى اليد المُقدَرة او الكَفّ المُقدّر باعتبار اليد بقرينة السّياق وانّما قال يَهوُديّة لشيوع الغَدر والمكر فيهم وامّا قوله ﷺ: **لَوْ بَايَعَنِى بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ** ، ففيه اشارة الى كونه من المنافقين فانّ المنافق يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ويفعل بجوارحه ما لايعتقد به باطناً وحيث انّ النّفاق يرجع الى الكفر بل هو اقبح منه فى كثيرٍ من الموارد قال الله تم فى حقّهم انّ المنافقين فى الدّرك الأسفل من النّار ولم يقل فى شأن الكفار بهذه المقالة وقوله ﷺ بسُبّته مشعر بأهانته وحقارته فانّ من كان كذالك لايعباء به شَرعاً وعقلاً.

- **قوله ﷺ: اَمَّا اِنَّ لَهُ اِمْرَةٌ كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ اَنفَهُ...**

بعد ما اشار عليه السلام فى صَدر كلامه بكونه منافقا لادين له ولايفى بعهده قال عليه السلام: **اَمّا اِنَّ لَهُ اِمْرَةٌ** الخ وفيه اِخبارٌ بما سَيَقع منه ومن اولاده ففى هذه الجملة اَخبَر عليه السلام بانّه يصير من الأمراء والخلفاء على المسلمين اَلّا انّ امارته عليهم لاتكون الّا كَلعقة الكلب انفه وفى هذا التّشبيه اشارَ الى شيئين.

احدهما: كون مُدّة خلافته قليلة كما انّ لَعقَة الكَلب اَنفه لاتَدوُم وهو كان كذالك لانّ مَوت يزيد ابن معاوية كان لاربع عَشرة خَلت من شهر ربيع الاوّل سنة اربع وستين وفى هذه السّنة بعد موته بويع لمعاوية ابن يزيد بالخلافة بالشّام ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز واختلفوا فى مدّة خلافة معاوية فقيل ثلاثة اشهر وقيل بل مَلَك اربعين يوماً ثمّ مات وبُويع مروان ابن الحَكَم بعده لثلاث خلون من ذى القعدة سنة اربع وستين وقال مروان حين بويع له.

لمّا رأيت الأمر امراً أنهبا ... سِرتُ عناة لهم وكلبا
والسّكسِيكيين رجالاً غُلّباً ... وطيباً يأباه الّا خربا
والقين يمشى فى الحديد نكبا ... ومِن تَنُوخ مشمِحّزاً صَعبا
لايأخذون المُلك الّا غَصَبا ... فان دَنت قيسُ فقل لأقرّبا

وقد ذكر المورّخون فى كيفيّة استيلاء مروان وغلبته على الملك قَصصاً وحكايات لانطول الكلام بذكرها ومن اَراد الاطّلاع عليها فعليه بمراجعتها.

ثمّ انّهم اتّفقوا على انّه مات فى شهر رمضان من هذه السّنة وهُو ابن ثلاث وستّين وقيل احدى وستين سنته فكانت مُدّة خلافته دوُن سنته ولأجل هذا قال عليه السلام، ما قال وشَبّه مدّة خلافته بَلَعقة الكَّلب انفه.

وامّا كيفيّته وفاته على ماذَكَره فى الكامل هو انّ معاوية ابن يزيد لما حضرته الوفاة لَم يَستَخلف احداً وكان حسان ابن بجدل يريد ان يجعل الأمر بعده فى اخيه خالد ابن يزيد وكان صغيراً وحسّان خال ابيه يزيد فبايع حسّان مروان ابن الحَكَم وهو يُريد ان يجعل الأمر بعده لخالد فلمّا بايعه هو واهل الشام قيل لمروان تَزوّج امّ خالد وهى بنت ابى هاشم ابن عتبة حتّى يصغّر شأنه

فلايطلب الخلافة فتزوَّجها فَدَخَل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة وهُو يَمشى بين صَفَّين فقال مروان والله انّك لَأحمَق فقال يابن الرَّطبة الأَبِت تُقصِّر به لِتُسقِطه مِن اَعيُن اهل الشّام فرجع خالد الى امّه فأخبرها فقالت له لايعلمنّ ذالك منك الّا انا اَنا اكفيكه فَدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فِيَّ شيئاً قالت لاإنّه اَشَدُّ لك تَعظيماً من ان يقول فيك شيئاً فصدّقها ومَكَث ايّاماً ثمّ انّ مروان نام عندها يوماً فغطّته بِوسادةٍ حتّى قَتَلته فمات بدمشق وقيل غير ذالك فى موته.

وثانيهما: انّ هذا التّشبيه يدلّ على دنائته وحقارِته وذالك لانّ الكلب من اَخبَث الحيوانات لانّه نجس العين فتشبيه المروان وحكومته باالكَلب ولَعقه يرشدنا الى انّه ممَّن لايُعباء به وهو كذالك لانّ الأنسان اذا لم يتّصف بالصّفات الأنسانيته والمَلَكات الفاضلة فهو اَدون من الكلب واَخبث منه وهذا عند العقلاء مُسلَّمٌ لاِمرية لهم فيه.

▫ **قوله** عليه السلام: **وَهُوَ اَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِن وُلْدِهِ يَوْماً اَحْمَراً**...

وَهُو، ابوُ الأكبُش الأربعة، قيل فى تفسيره بانّ المراد اولاده من صُلبه بلاواسطة وهم عبد الملك الّذى ولّى الخلافة، وبشِر الّذى ولّى العراق، ومُحمّد الّذى وَلّى الجَزيرة، وعبد العزيز الّذى ولّىَ مِصر.

وقيل المراد من الأكبش الأربعة اَولاد عبد الملك ابن مروان، وهم الوَليد ابن عبد الملك، وهشام ابن عبد الملك، وسُليمان ابن عبد الملك، ويَزيد ابن عبد الملك، ولم يل الخلافة من بنى اميّة ولا من غيرهم اربعة اخوة الّا هؤلاء وانّما عَبَّر عنهم بالأكبش الأربعة لانّ الأكبش جَمع كَبش وهو رئيس القوم وقائدهم وهؤلاء الأربعة كانوا فى بنى اُمَيّة كذالك.

واما قوله عليه السلام: **وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ** الخ ففيه اشارة الى ظلمهم وفسادهم فى الأرض وَمن راجَعَ التّواريخ يعلم صدق مقالته عليه السلام وانّ ماخَبَّرها به قد وَقَع

ولولا الخوف من اطالة الكلام والخروج عمّا نحن بصدده لأشبعنا الكلام فيهم لكنّا اَعرَضنا عنِ ذكر افعالهم القَبيحة واعمالهم الشَّنيعة لِانّ فسادهم وظلمهم اَظهَر من الشَّمس واَبيَن من الأمس مضافاً الى اَنّ عدم لَوث الأوراق والصّفحات اَولىٰ من لَوثها .

ومن خطبة له عليه السلام (٧٣)

▫ قوله عليه السلام وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنِّی اَحِقُّ بِهٰا مِنْ غَيْرِی، وَ وَاللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مٰاسَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فَيهٰا جَوْرٌ اِلاّ عَلَّیَ خٰاصَّةً، اِلْتِمٰاساً لَأَجْرَ ذٰالِكَ مِن فَضْلَهَ ،وَزُهْداً فَيمٰا تَنٰافَسْتُمُوهُ مَن زُخْرِفِها وَزِبْرِجِها ...

◁ **اللّغة**

(**تَنٰافَسْتُمُوهُ**) نافَسَت فی الشَّیی اذا رغبَت فیه (**الزُّخرِف**) الذّهب وقیل کمال حسن الشّیی (**وَزِبْرِجِهٰا**) بکسر الزاءای زَینتها.

◁ **المعنی**

(**وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ**)، ایّها الناس فیما مَضیٰ (**اَنِّی اَحِقُّ**) واَولیٰ(**بِهٰا**) ای بالخلافة (**بِهٰا مِنْ غَيْرِی**) کائناً من کان (**وَاللهِ**) اُقسِم بالله (**لَأُسَلِّمَنَّ مٰاسَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ**) ای انا اترک المخالفة مِعکُم مهما کان فی ترکی وتَسلیمی هذا الامر سلامة اُمور المُسلمین (**وَلَمْ يَكُنْ فَيهٰا**) ای فی الخلافة (**جَورٌ**) وظلمٌ (**اِلاّ عَلَّیَ خٰاصَّةً**) دون غیری من المسلمین (**اِلْتِمٰاساً لَأَجْرَ ذٰالِكَ مِن فَضْلَهَ**) ای فضل الله تعالی (**وَزُهْداً**) ای ترکاً (**فَيمٰا تَنٰافَسْتُمُوهُ**) ورغبتم فیه (**مَن زُخْرِفِها**) ای الدّنیا او الخلافة (**وَزِبْرِجِها**) کذالك.

◁ **الشّرح**

قیل هذا الکلام صدر منه عليه السلام بعد ان بایع اهلُ الشّوری عثمان ابن عفّان وقد

مرّ شرح القضيّة مُفصّلاً وسيأتى الكلام فيها فى شرح الخُطَب الآتية انشاء الله.

▫ **قوله عليه السلام: وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنِّى اَحِقُّ بِهٰا مِنْ غَيْرِى، ...**

واللّام فى قوله عليه السلام: **لَقَدْ** للتاكيد والواو للتّحقيق فالجملة تفيد التأكيد فى التحقيق وهو مُشعرٌ بكون الموضوع ممّا لاشك فيه لهؤلاء الأشخاص فى الواقع ونفس الأمر ولاجل ذالك عَبَّر عليه السلام بقوله **عَلِمْتُمْ**، فان العلم عبارةٌ عن انكشاف الواقع لَدَى العالم والمقصود انكم عَلِمتُم عِلماً قَطعيّاً بانّ الخلافة حقّى والتّعبير بفعل الماضى دون المستقبل والحال لأِفادة انّ هذا العلم قد تَحقّق لهم من قبل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله عليه السلام: **مِنْ غَيْرِى**، للدّلالة على انّه عليه السلام كان اَحَقّ بها اى بالخلافة من غيره مطلقا كائنا من كان فانّ الضمير يشمل جميع الأفراد فلو كان صدور هذا الكلام منه عليه السلام فى قِصّته الشّورى الّتى اَمرَبها عمر ابن الخطاب بعد بَيعة عبد الرَّحمن ابن عوف لِعثمان على مامَضىٰ شَرحه كما عليه الشارح المعتزلى فى شرحه لهذا الكلام فيرجع الكلام الى انّ اميرالمؤمنين عليه السلام كان احقّ واَولىٰ بها بهما لامِن عثمان فقط بل من ابى بكر وعُمر ايضاً كما هو كذالك لدخولها فى الغير وفى الكلام اشعارٌ بل تصريح بانّهم غَصبُوا الخلافة بعد النّبى صلى الله عليه وآله واصحاب السّقيفة والشّورىٰ ومن حَذى حَذوهم فى تعيين الخليفة انّما سَلَكوا هذا المَسلَك واَعرضُوا عن اهل البيت مع عِلمهم بانّهم كانوا اَحَقّ واَولىٰ بها من غيرهم لانّهم اى اصحاب الجلّ والعَقد كانوا جاهلين به ومن المعلوم انّ الأعراض عن الحقّ والأقبال الى الباطل فى صُورة العَمد ذَنبه اَعظَم واَشَدّ منه فى صوُرة الجهل وعدم العلم وانّما دَعاهم الى هذا حبّ الدّنيا لِعلمهم بانّ اهل البيت اهل الحقّ والعَدل ولا شك انّ الظّالم والمنافق الّذى دينه ودُنياه لايَتّبع الّا من وافقه فيه واغناه على طبق المشتهيات النّفسانية والغرائز الحيوانية وهو غير اهل البَيت ومتابعيهم هذا.

▫ **قوله عليه السلام: وَ وَاللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مٰاسَلِمَتْ اُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فَيهٰا جَوْرٌ**

اِلاّ عَلَّىَ خاصَّةً، الخ ...

صَدَّر عليه السلام كلامه بواو القسم مَع اِسم الجلالة للدّلالة على انّ المقوُل حقٌّ ومع ذالك اتى عليه السلام باللّام المفيدة للتّاكيد فى قوله عليه السلام: **لَأُسَلِّمَنَّ** وخَتمه بالنّون التّأكيد الثّقيلة حتّى لايرتاب فى كلامه عليه السلام عاقل فانّ الكلام المُصدَّر بواو القسم مع اسم الجلالة ثمّ بعده لام التأكيد وفى آخره النّون المفيدة للتأكيد الثّقيلة ممّا لاخلاف فى صِحّته خُصُوصاً اذا صَدر عن المؤمن ولا سيّما عن المعصوم المُنزّه عن الأرجاس الظاهريّة والباطنيّة.

قال الشّارح المعتزلى فى المقام والّذى صَحَّ عندنا انّه لَم يَكُنِ الأمر كما رُوىَ من تلك التّعديدات الطّويلة ولكنّه قال لهم بعد ان بايع عبد الرّحمٰن والحاضرون عُثمان وتَلَكَّاءَ هو عليه السلام عن البيعة انّ لنا حقّاً ان نُعطِه نَأخُذُه وان نَمنَعه نَركَب اَعجاز الأبل وان طال السُّرى فى كلامٍ قد ذكره اهل السّيره وقد اورَدنا بَعضَه فيما تقدم ثمّ قال لهم اُنشدكم الله اَفيكم اَحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله انت منّى بمنزلة هرون من موسى الّا انّه لابنّى بعدى قالوا لاقال عليه السلام اَفيكم من أوتُمِن على سورة البرائة وقال له رسول الله انّه لايؤدّى عنّى الّا رجل (الّا انا او رَجلٌ) مِنّى غيرى قالوا لاقال اَلا تعلمون انّ اصحاب رسول الله فرّوْا عنه فى ماقِط الحرب فى غَير موطن وما فرَرتُ قَطُّ قالوا بلى قال عليه السلام الاتَعلمُون انّى اَوّل النّاس اسلاماً قالوا بلى قال عليه السلام فَأيُّنا اَقرَب الى رسول الله نَسَباً قالوا اَنت، فقَطَع عليه عبد الرّحمن ابن عوف كلامه وقال يا على قد اَبَى النّاس الّا على عثمان فلا تَجعلّن على نفسك سَبيلاً ثمّ قال يا ابا طلحة ماالّذى اَمرَكَ به عُمر قال اَن اَقتُل مَن شَقَّ عصا الجماعة فقال عبدالرّحمن لعلّى بايع اَذِن والّا كُنتَ متّبعاً غير سَبيلِ المؤمنينِ واَنفَذنا فيك ما اُمِرنا به فقال عليه السلام: **لَقَدَ عَلِمْتُمْ اَنّى اَحَقُّ بِهٰا مِنْ غَيْرَى** الى آخر الفصل ثمّ مَدَّ يده فبايَع انتهى.

قول الشارح المعتزلى اقول لاشكّ فى اصل صُدور الكلام منه عليه السلام لِما نَقلَه غير واحدٍ من اهل السِيَر عنه عليه السلام وامّا صُدوره بعد قَتل عثمان او بعد بيعة عبد

الرّحمن له او فى صدر الأسلام بعد موت النّبى ﷺ وبيعة النّاس لأبى بكر وغيرها من الاوقات كلّ ذالك لادليل عليه وذالك لأطلاق الكلام من حيث الوقت واثبات الاّ حقية له عليه السلام على غيره كائناً من كان والتّقيد سواء كان بالوَقت او بالشّخص يحتاج الى الدّليل وحيث لَم يَثبتُ فالكلام على اطلاقه مطلقا وعلى ايّ التّقادير فى كلامه عليه السلام هذا اسرارٌ كَثيرةٌ لابأس بالأشارة الى بَعضها اجمالاً فنقول.

١- **منها** ـ اثبات الاحقّية للخلافة بعد النّبى على كافّة الخلق وقد تَكلّمنا فيه فى بحث الأمامة عند شرحنا على الخطبة الشّقشقية ولا نعيد الكلام بذكره مخافة التّطويل مضافاً الى كون الموضوع اَظهر من الشمس وأَبين من الأمس عند مَن له عقلٌ وفَضلٌ وذهنه فارغ عن اللّجاج والعناد والتّعصّب ومَن ليس كذالك من اتباع الأهواء فلا بحث لنا معه.

٢- **ومنها**ـ اثبات الأفضيّلته على غيره وذالك لانّ الأحقّية للخلافة تستلزم الأفضّيلة والاّ يلزم تقديم المَفضُول على الفاضل وهو من القبائح العَقليّة والشّرعية وقدمَّرَ الكلام فيه ايضاً مفصّلاً.

٣- **ومنها** ـ انّ السّبب فى عدم مخالفته عليه السلام وتقاعده عن الأمر وعدم قيامه بالسّيف انّما هو لترجيح مصالح المسلمين على مَصلحة شخصه لاماتوّهَمَه بعض من لاخُبرة له من انّ السّبب فيه خوفه من الأعداء وعدم وجوُد النّاصر له عليه السلام وغير ذالك من الأحتمالات وذالك لانّ الأمام انّما جُعل لأرشاد الخلق وانقاذهم عن الضّلالة والجهالة وهذا لايعقُل الاّ بعد ايجاد الوَحدة واتّفاق الكلمة فيهم فلو كان قوله او فعله مُوجباً للتشّتتُ والتّفرّق وسَفك الدّماء وهنك الأعراض بغير حقٍّ فهو من نقض الغرض اللّهم الاّ ان يخاف على الدّين فكما انّ كلّ قيام لايَصلح لِقمع الفساد ولا يوجب احياء الحقّ كذالك كلّ سكوتٍ ليس بنافع للّذين والتّشخيص فى هذه الموارد مُشكلٌ جداً إلاّ على الأمام العارف بالحقائق او من كان قلبه منورّاً بنور الأيمان المُقتَبس من مشكاة انوار

الأنبياء والأوصياء الّذين اَدَّبَهم الله تعالى بآدابه وأيقظهم من نَوم الغفلةِ وعَصَمهم من الذَّنوب والهَفَوات فانّهم لايُريدون الّا ما ارادالله ولا شكّ انّ خلفائهم فى زمان الغَيبة الواجدين لشرائط النّيابة العامّة ايضاً كذالك بحسب قدرتهم ولياقتهم والحاصل انّه عليه السلام حيث رأى المَصلَحة التّسليم ظاهراً فقال ما قال ثمّ عَمل به.

۴- ومنها ـ انّ فى ذالك التّسالم كان جَوراً عليه وهو ايضاً ممّا لاكلام فيه فانّ الأنسان اذا كان ممنوعاً عن حقّه يكون مَظلُوماً والظُّلم جَورٌ عليه وحيث انه قال فى صَدر الكلام ما قال من اثبات الأحقيّة لِلخلافة وانّه اَحقّ بها من غيره مطلقا وقد مَنعُوه من الوصول الى حقّه قَهراً وظُلماً عليه فَصَحّ ان يقال بانّه جورٌ عليه.

۵- ومنها ـ اثبات انّ الجَور كان عليه خاصّته ومَفهُومه عدم تحقق الجَوز بالنّسبة الى غيره من المُسلمين مع انّ الأمر لم يكن كذالك بل الجور كان على جميع المُسلمين كما هو واضح والوجه فيه هو انّ الحاكم على النّاس اذا لم يكن صالحاً للحكومة واجداً لشرائطها فنفس هذه الحكومة ظُلمٌ وجَورٌ لوقوعها فى غيرِ محلّهَا لانعنى بالظّلم غيره وكيف يعقل كون الحكومة فى غير محلّها وعدم الجَور على الرّعية وحيث انّا نقول بعدم لياقة الخلافة فى حقّ غيره عليه السلام فلامحالة يثبت الظّلم والجَور على المُسلمين وهو المطلوب فما وجه تخصيصه عليه السلام الجَور على نفسه وتَقييده بقوله خاصّته ويمكن الجواب عنه بوجوه.

احدها: انّ الجَور الواقع فى كلامه عليه السلام ليس جَوراً بمعناه الأعَم بل المراد به الجَور النّاشى عن غَصب الخلافة فَقَط وهو لم يقع الّا عليه خاصّته لعدم لياقة غيره بها كما هو المفروض المُصَّرح به فى كلامه فكانّه عليه السلام قال عضب الخلافة جَورٌ عَلَىَ خاصّة وهو ظاهر.

وثانيها: انّ الجَور عليه فى الحقيقة جورٌ على جَميع المُسلمين وعَليه

فتكون كلمة (خاصّة) منصوبةً على الحاليّة من الجَور لامن الياء فى قوله عليه السلام (عَلَّى، والتقدير ولم يكن منها جَوراً خاصّة الّا عَلَّى) وهو لاينافى اثبات الجور على سائر المُسلمين ايضاً الّا ان الجَور الخاصّ عليه والجور العامّ على غيره.

وثالثها: ان يكون المراد انّ غصبهم الخلافة انّما وَقَع منهم لأجل البُغض والعداوة بالنّسبة الى آل مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وعليه فتخصيص الجور بنفسه الشّريفة لكونه اكملهم وافضلهم لابمعنى انّ غيره، من الائمّة لم يكونوا مظلومين.

ورابعها: ان يُحمَل اللّفظ على ظاهره ويقال بانّ غصب الخلافة كان ظُلماً عليه عليه السلام لاعلى غيره لوجود السّنخية بَينَهم وبين الخُلفاء وتَعيينهم ايّاهم بالخلافة والحكومة ضَرورة انّ حكومة الظّالم على الظّالم قد وَقَعت فى مَحلّها ولا تكون من الظّلم بشيءٍ بالنّسبة اليهم وانّما هى بالنّسبة الى غير الظّالم ظُلم اللّهم الّا ان يقال بكونها فى هذه الصّورة ايضاً ظُلماً من جهة انّ الحاكم على النّاس اذا كان عادلاً فلا يَبعُد رجوع الظّالمين عن ظلمهم فى حكومته بخلاف الحاكم الظّالم لعدم تَرَقُّب هذا المعنى فى حكومته فكانّه مُوجبٌ لأستمرار الظّالمين على ظلمهم فهذه هى الوجوه المُحتملة فى شرح العِبارة ولا يبعد ان يكون فى المقام وجه آخر لم يَخطُر ببالنا والله العالم.

۶- ومنها ـ انّ المفهوم من العبارة انّه عليه السلام يُسَلَّم الأمر اليهم فيما لم يكن فى تسليمه جَورٌ الّا عليه عليه السلام خاصّة كما هو ظاهر العبارة وامّا اذا كان فى التّسليم جَورٌ على النّاس فلا ومَرجعه الى انّه يجوز او يجب رفع اليد عن الحَقّ الشّخصى وقبول الظّلم عن الظّالم فيما اذا كان فيه مصلحة عامّة ونفعٌ للعموم وامّا فى غيره فلا وهو كذالك فقوله عليه السلام: **والله لاسّلِمَنّ** الخ صَريحٌ فى انّ تَسليمه عليه السلام الأمر اليهم كان مشروطاً ومراعى بعدم الجَور على النّاس وهو يدلّ على كونه عليه السلام مَوثِراً بنفسه الشّريفة فى جميع الشّئون الأجتماعيّة والحياتيّة وهذا انّما يصّح فيما اذا لم يكن فيه ضَرَرٌ على الدّين والّا فلا يجوز.

۷- ومنها ـ انّ هذا الأيثار منه عليه السلام لَمْ يَكُن لأجل الدّنيا وجَلب المَحبّة من

النّاس او غير ذالك من الأمور بل الوجه فيه التّقرُب الى الله وجلب رضايته ومَحبّته وبعبارةٍ اخرى انّما تَرَكَه لكون رضى الله تعالى فيه لاالِلدّنيا وما فيها كما فى كثير من ابناء زمانه وزماننا والدّليل عليه قوله عليه السلام: **اِلْتَماساً لِاَجْرِ ذالِكَ مِنْ فَضْلِه** الخ وفيه ايضاً ايماء الى انّ الاجر منه تعالى على افعال العباد انّما هو على سبيل الفَضل والرّحمة لاالأِستحقاق فانّ العبد لايَستحقّ شيئاً فى افعاله لانّ العُبُوديّة من وظائفه العَقليّة الّتى لامحيص له عنها عقلاً كما ثَبَت فى مَحَلّه وعليه فكلّ مايصل اليه من الله تم فهو من فَضله ورَحمته.

٨- **ومنها** ـ انّ هذا اعنى تسليم الأمر اليهم لم يكن لأجل الدّنيا وزُخرُفها وزِبرِجها بل لكونه وسيلة ومؤجبته للتّقرب اليه تعالى فانّ كثيراً من النّاس فى كلّ زمانٍ يتركون المشاغل والمناصب الدّنيوية بل الحظوظ واللّذائذ الجِسمانيّة لأجل الدّنيا او لعدم امكان الوصول اليها وامّا امير المؤمنين عليه السلام فقد تركها لالأجلِ هذه الأمور او لضَعفٍ فيه بقلّة الأعوان والأنصار بل تَرَكها للّه تعالى وتَقرُّباً اليه مع كمال القدرة والشّوكة وهذا من اهمّ الفضائل والكمالات النّفسانية.

اذا عرفت هذه الوجوه فأعلم انّ هذه الخطبة منه عليه السلام قد انحَلّت بها العقدة المُشكلة المشهورة على اَلسِنة العوام والخَواصّ ولا سيّما اتباع غيره عليه السلام من الخُلفاء من فِرق المسلمين فانّه كثيراً مايُسمع منهم ويُرىٰ فى كتبهم انّ اميرالمؤمنين عليه السلام لو كان مَنصُوصاً بالخلافة كما هو ادّعاء الشّيعة فَلِمَ تَرَك حقّه وَقعَد فى بيته ولَم يُنازعهم فى الخلافة بالقيام عليهم فانّ الحقّ يجب الأخذ به وان بَلَغَ مابَلَغ ولا سيّما على قول الشيعة حيث يقولون فيه مايقولون من كونه اشَجَعُ النّاس واَقدرَهم وانّه قال والله لو تظاهرت العَرب عَلَّى لما وَلّيت منهم وقوله عليه السلام والله لأبن ابى طالب آنس بالموت من الطّفل ثدى اُمّة كما هو مذكور فى محلّه وعلى هذا فما هذا التّقاعد منه عليه السلام.

فقد اجاب عليه السلام عن هذا الأشكال بقوله عليه السلام: **والله لَأسلِمَنّ ما سَلِمَتْ** الخ

وحاصله انّ الأمر ليس كما ظَنّوا او يَظُنّون من انّ علّة قُعوده عليه السلام عن الأمر الخَوف من الأَعداء او عدم الحقّ فى الخلافة او قلّة الأعوان والأنصار وامثالها بل العلّة فيه ايثاره بنفسه وتَرجيح مصالح الدّين على مَصلحة نفسه وحيث انجز الكلام الى هذا البحث فلا بأس بالأشارة الى بعض مالابدّ لنا من ذكره تشريحاً للموضوع وتتميماً للبحث.

فنقول ـ لاشك فى انّ القيام بالحقّ واجب وتَركه حَرام كما انّ القيام بالباطل حرام وتركه واجب وذالك لكون الاوّل مُوجباً لأحياء الحقّ وآثاره كما انّ الثانى يكون باعثاً وسَبَباً لاحياء الباطل واماتة الحقّ ففى الاوّل عزّ الاسلام والمُسلمين وفى الثانى ذِلّة الأسلام والمُسلمين وتشخيص المورد من شأن الأمام ومن قَام مقامه فى كلّ عهدٍ وزمان سواء كان فِي زمن الحُضُور او فى زمن الغيبة الّا انّ الحكم فى زمان الحُضُور بيد الأمام لاغيره وفى زمان الغيبة بيد الفَقيه الجامع للشّرائط النّائب له بالنّيابة العامّة وعلى النّاس المتابعة له ولنائبه.

ثمّ انّ القيام له وُجُوه لابُدّ من مراعاتها من حيث الزّمان والمكان والأجتماع والجامع لها وجود المُقتضى وفقد المانع وامّا اذا كان المُقتضى مَوجُوداً والمانع ايضاً موجود او كان المانع والمقتضى كلاهما مفقودان فلا.

ثمّ المانع على قسمين عَقليٌّ وشَرعىّ.

والاوّل: كما اذا لَم يَترتّب على القيام اثرٌ عقلاً وان لم يَمنع عنه الشّرع كما هو ثابت فى باب الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر وقد وَرَدت به الرّوايات وحاصله انّ الأمر بالمعروف والنّاهى عن المنكر اذا عُلِم انّه لايَترتّب على امره ونهيه اثر فهما ساقطان عنه لانّهما يحرمان عليه والضّابط انّ المانع الشّرعى عبارة عن نهى الشّارع وبعبارة اخرى يصير الفعل به حراماً وامّا المانع العقلى فلايصير الفعل به حراماً فما آتاكم الرّسول فَخُذوه وما نهاكُم عنه فَانتهوُا هذا.

ويمكن ان يقال بانّ المانع العقلى عبارة عمّا لايمكن مَعه الأقدام على العمل عقلاً كما اذا كان الأنسان مَريضاً مَثلاً او مَحبُوساً ففى امثال هذه الموارد

المُقتضى وهو العلّة الموجبة له موجودٌ على الفَرض والمانع الشّرعى اعنى رَدعه ونهيه عن الفعل مفقود الّا انّ العقل يحكم بانّ المَحبُوس مثلاً لايقدر على القيام والمانع العقلى فى الحقيقة عُذرٌ للمكلّف لتركه الفعل والّا يكون عاصياً كما هو ظاهر.

والثّانى: اعنى المانع الشّرعى فهو عبارة عن نهى الشّارع عن القيام او مطلق الفعل ولا شكّ انّ الفعل مع النّهى يكون حراماً لايجوز الأقدام عليه هذا.

اذا عرفت هذا فالمانع الّذى يجب ان يكون مَفقُوداً فى صدور الفعل عنه اعمّ من العقلى والشّرعى فلو كان احدهما موجوداً والآخر مفقوداً فان كان الموجود منه هو المانع الشّرعى اعنى نهى الشّارع عنه فلابدّ له من ترك الفعل لكونه حَراماً كما ذكرناه وان كان المانع عنه هو العقل دون الشّرع فهو معذور فى التّرك مادام كونه مَوجوداً وهذا من اَوضح الواضحات.

اَمّا قُعُوده عليه السلام عن الأمر وعدم قيامه فى عهد الخلفاء الثّلاثة فالّذى يستفاد من كلمات الفحول هو انّ السّبب فيه عدم وجود المُقتِضى اعنى وجود الأعوان والأنصار ولازم ذالك كونه عليه السلام مأموراً بالقيام مع وجُودهم وبالقعُود مع عدمهم او عدم نُصرتهم ايّاه وقد وَرِدَت بعضُ الرّوايات به وقد مرّت الأشارة الى شطرٍ منها فى شرح الخطبة الشّقشقية وانّه صلى الله عليه وآله قد اَمره بالقيام مع وجود الأنصار وَبلزوم البيت مع عدمه.

وامّا المانع فقد قالوا بانّه كان مَفقُوداً لانّ القيام بالحقّ فى قبال الباطل اَمرٌ ممدوحٌ عقلاً وشرعاً لوجود المَصلَحة دائماً فى احياءِ الحقّ وإماتة الباطل فقعودِه عليه السلام عن القيام انّما كان لعدم المقتضى لالوجود المانع هذا.

والتّحقيق يَستَدعى خلاف ما ذكروه واَعتَقدوا به فانّ الحقّ فى المقام هو ان يقال السَّبَب فى قعوده عليه السلام عن الأمر انّما هو لأجلِ وجود المانع لالِفَقد المُقتِضى ويَدُلّ عليه.

اما اوّلاً: انّ المستفاد من كلامه عليه السلام فى المقام هو ماذكرناه فانّ قوله عليه السلام: **وَاللهِ**

لَأُسَلِّمَنَّ مٰا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ الخ مُشعرٌ بل مُصرّحٌ بانّه عليه السلام انّما تَرَك القتال مَعهم لحفظ المصالح الدّينية والدّنيوية فى الأسلام والمُسلمين فتلك المصالح عاقته ومَنعته عن القيام ومَفهُوم هذا الكلام هو انّه لولا وجودها لم يَقعُد فى بَيته فلو كان العلّة فى عدم القيام هو عدم وجود المقتضى لكان حقّ العبارة ان يقال والله لاسلّمن الأمر اليكم لِفَقد الأعوان والأنصار او لِعَجزى عن قتالكم وامثال ذالك من العبارات اللّائقة مع انّه عليه السلام لَم يَقُل بها وبعبارةٍ اخرى انّه عليه السلام فَرَّع تسليمه الأمر ايّاهم بما سَلِمَت أُمور المسلمين لاعلى عدم القُدرة والعَجز عن القيام الّذى نُعبّر عَنه بعدم المقتضى.

وثانياً: انّ تعبيره عليه السلام بِقوله: (**لاسلِمَنّ**) يدلّ على المدّعىٰ وذالك لانّ التّسليم لايكون الّا فى صورة الأختيار فاذا يقال فلانٌ سَلَّم الأمر الى غيره او سَلَّم نَفسَه اليه يُستفاد منه انّه فَعَل مافَعَل بأختيار منه لأجل المصلحة التى رآها فيه وبعبارةٍ اخرى التّسليم لايقال الّا فى صورة القُدرة على تركه فلو لم يَقدر عليه السلام على اخذ الخلافة مطلقا فلامعنى لقوله هذا.

وثالثاً: رَتَّب عليه السلام التّسليم على سلامة أُمُور المُسلِمين ومفهومه انّه لولا هذه الجهة لَما سَلَّم الأمر اليهم وهو يستدعى المدّعىٰ.

ان قلت ـ يلزم على ماذكرته من كُونه عليه السلام قادراً على رَدعِهم ومَنعهم عن الخلافة فى حَدِّ نفسه ان يكون عليه السلام عاصياً فى قُعوده وذالك لانّ المَفروُض انّ الخلفاء كانوا غاصبين لها والغَصب ظُلمٌ ودَفع الظّلم ورفعه واجبٌ على كلّ مكلفٍ قادرٍ وعليه فالسّكُوت عنه مع القدرة حرامٌ وهو من اَقبح المعاصى.

قلتُ ـ نعم لكنّ الأمر ليس كما توهُمّته اذ ربُّما تكون المفسدة فى الفعل اَكثر منها فى التّرك وما نحن فيه من هذا القبيل فان القيام لِدَفع الظُّلم وانّ كان فيه المَصلَحة الّا انّ المصلحة الموجودة فى تركه اَعظَم واَشدّ ممّا فى فِعله وذالك لانّ القيام بالسّيف مع التّوجه الى شرائط الزّمان والمكان وانّ النّاس كانوا حديث عَهدٍ بالأسلام والعَدُوّ يَنتَهز الفرصة وغير ذالك من المحاذير المترتّبة

عليه لانفع فيه لِلدّين بالنّسبة الى المفاسد المُترتّبة عليه الا ترى انّ الأنسان فى كثير من الموارد يتحمّل المشّاق لتحصيل المَنافع المُترقّبة وبالجُملة ليس كلّ فعلٍ من الأفعال اذا كانت فيه مَصلَحة ما صالِحاً للقيام به وايجاده فى الخارج ضَرورة انّ كثيراً من الأفعال والأعمال لايصّح الأتيان بها مع انّ المصلحة مَوجُودة فيها فى حَدّ انفسها، اَلَيس فى الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر مَصلَحة فَلِم لايجب الاتيان بهما فى جميع الموارد بل يَحرّم فى بعضها كما فى صورة كون المَفسَدة فى الفعل اَعظَم منها فى التّرك وما نحن فيه من هذا القبيل لانّ القيام اذا كان مُوجِباً لِهَدم الدّين او وَهَنه وضَعفه فتركه اولى من فعله بل لايبعد ان يكون فِعله حراماً فى بعض الموارد.

قال الشّارح المعتزلى فى المقام ما هذا لفظه.

فان قلت فهلّا سَلَّم الى معاوية والى اصحاب الجمل واغضىٰ على اغتصاب حقّه حِفظاً للأسلام من الفِتنة.

قلت ـ انّ الجَور الدّاخل عليه من اصحاب الجَمَل ومن معاوية واهل الشّام لَم يكُن مَقصُوراً عليه خاصّة بل كان يَعُمّ الاسلام والمُسلمين جَميعاً لانّهم لم يكونوا عنده ممّن يَصلَح لرياسة العامّة وتحمل اعباء الخلافة فلم يكن الشّرط الّذى اشترطه مُتحقّقاً وهو قوله عليه السلام: **وَلَمْ يَكُنْ فَيهَا جَوْرٌ اِلاّ عَلَىَّ خاصَّةً** وهذا الكلام يدلّ على انّه لم يكن يَذهَب الى انّ خلافة عثمان تَتَضمّن جَوراً على المُسلمين والأسلام وانّما كان يَتَضّمن جوراً عليه خاصّة وانّها وقعت على جهة المخالفة الاولى لاعلى الجهة الفساد الكلّى والبطلان الأصلى وهذا محض مذهب اصحابنا انتهى ماذكره بالفاظه وعباراته.

ثمّ انّ الشّارح الخوئى قده بعد نقله مانقلناه عنه فى شرحه قال فى مقام الرّد عليه مالفظه.

واقول: امّا ماذكره من التّفرقة بين المُتّخلفين الثّلاثة وبَينَ النّاكِثين والقاسطين بكون جَور الأوّلين مقصوراً عليه خاصّة وجور الآخرين عاماً له

وللأسلام والمُسلمين فضعيفٌ جداً كضعف توهّمه صلاحية الاوّلين عنده لرياسة العامة وعدم صلاحيّة الآخرين لها ثمّ ذكر قدّه في وجه الضّعف قصة خالد ابن الوليد حيثُ بَعثه ابوبكر الى قبيلة مالك ابن نويرة فقتله وقتل اصحابه وزنى بأمرئته على مافُصِّل في التواريخ واَردَفَها بقصّة فَدَك ومَنع ابى بكر بضعة الرّسول فيه وقال اَلَيسَ جَوراً بَيناً وظُلماً فاحشاً فضلاً عن ساير ماصَدَر عنه وقال اَولم يأمر الثّاني باحراق بيت الصّديقة ومنعها حقّها واعطى عايشة وحَفَظه عشرة الاف درهم في كلّ سنةٍ وظَلَم المسلمين في بيت مالهم.

ثمّ بعد ذالك اشار الى بعض مَطاعن عثمان وذكر منها قصّته اخراجه اباذر الى الرّبَذَة وكسر ضلع عبدالله ابن مسعود وحَمل بَنى ابى معيط على رقاب النّاس واتلاف مال المسلمين الى ان قال ولو لم يكن منهم جَورٌ اِلّا في حقّه ﷺ لكفى في بطلان خلافتهم اذ الجائر لايكون اماماً لقوله تعالى : ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1] ثمّ قال ـ وامّا ثانياً فلمنع صلاحية الاوّلين عنده للرّياسة وكيف يُتوّهم ذالك مع تصريحة في الخطبة الشّقشقية وغيرها ممّا مرّت ويأتى بعد ذالك ببطلان خلافتهم واغتصابهم حقّه فَضلاً عمّا حقّقنا سابقاً في غير موضع فساد خلافتهم وبطلان دعواهم لها انتهى ماذكره في وجه الضّعف ثمّ تصدّى قدّه لرفع الاشكال وقال.

فان قلت ـ فَلِم اَمسَك عنهم ونهض الى معاوية واصحاب الجمل.

قلت ـ قد بيّنا جواب ذالك فيما سَبَق وقلنا انّ امساكه النّكير على الاَوّلين لعدم وجود ناصرٍ ومُعينٍ له يومئذٍ ينصُره ويحمى له فاَمسَك عنهم تَقيّةً وحِقناً لِدَمه بخلاف يَوم الجَمَل وصفّين كما مرّ تفصيلاً في تنبيهات كلامه السّابع والثّلاثين وبالجملة لاريب في بطلان خلافة الجميع وكون الكلّ جائراً ظالماً في حقّه وفي حقّ المسلمين غاية الامر انّ معاوية واصحاب الجمل هَتَكوا حرمة الأسلام بالمَرّة واَعلنوا بعداوتِه ﷺ وشَهَروا سيوفهم عليه والاوّلين لَم

١- البقرة- ١٢٤

يَبلُغوا هذه المثابة وبهذا كلّه ظهر فساد ماتوّهمه اخيراً ونَسَبه اليه من عدم ذهابه الى بطلان خلافة عثمان اَصلاً ورأساً وانّما كان يذهب الى انّها مُتَضمنَته للجور عليه خاصّة فأفهم جَيّداً انتهى ما ذكره قده فى المقام ردّاً على الشارح المعتزلى وتحقيقاً من نفسه.

وانا اقولـ امّا ماذهب اليه الشّارح المعتزلى من الفَرق بين الخُلفاء الثّلاثة ومعاوية واصحاب الجمل بانّ الجور من معاوية واصحاب الجمل لم يكُن مقصوراً عليه خاصة لانهم عنده لم يكونوا ممَّن يَصلَح لرياسة الامّة بخلاف غيرهما وانّ خلافة عثمان كانت جوراً عليه خاصّة وانّما وقَعت على جهة مخالفة الأولى لاعلى جهة الفساد الكلّى والبطلان الاصلى وغيره ممّا ذِكره ممّا لايعباء به فانّ حَمل كلامه ﷺ على هذه الأراجيف من حَمل الكلام على ما لايرضىٰ به صاحبه واىّ دليلٍ دَلَّ على هذا المعنى نعم كلّ حزبٍ بما لَدَيهم فرحوُن.

امّا اولاً: فلعدم الدليل على كون الخُطبة ممّا صدرت عنه ﷺ فى قصّة الشّورى بعد خلافة الأوّلين بل ظاهر الكلام يدلّ على عدمه كما هو مقتضى الأطلاق والتّقييد يحتاج الى الدّليل واذ ليس فلَيس وانّما هو من مُتخيّلات الشّارح المعتزلى كما هو واضح وعليه فلا فرق فى كلامه ﷺ هذا بين الاوّلين وعثمان.

وثانياً: على فرض التّسليم ايضاً لايدلّ على مدّعاه اذ اثبات الشّيى لاينفى ماعداه وعليه فلو ثَبت كون خلافة عثمان جوراً عليه ﷺ كما هو مُقتضى ظاهر الكلام لايستفاد منه انّ خلافة غيره لم تكن جوراً عليه فاذا قيل مثلاً زيدٌ ظَلَمنى ليس معناه انّ عَمراً لَم يَظلِم عَلَّى وهذا ايضاً واضح.

وثالثاً: انّ الملاك فى الخلفاء الثلاثة واحدٌ وذالك لانّ اَمر الخلافة لايخلوا امّا ان يكون له ﷺ لاغير اَولا وبعبارةٍ اخرى الخلافة امّا كانت تابعة للنّص من الله ورسوله واو لم تكن كذالك بل كانت باختيار النّاس وتَعيينهم الخليفة ولا ثالث

لهما.

فعلى الاوّل: لافرق بين الخلفاء الثّلاثة فى كونهم غاصبين لها لعدم النّص فيهم حتّى على مذهب الخَصم وهذا هو الّذى عبَّرنا عنه بوَحدة الملاك وهو كان موجوداً فيهم وحيث انّه عليه السلام كان من قبل الله ورسوُله منصوُصاً بها كما هو المفروض المسلّم عقلاً ونقلاً فقال عليه السلام ماقال وعليه فنسبة الظّلم الى احد الخلفاء من جهة غَصبه الخلافة بعينه نسبتهٌ الى غيره منهم لوحدة الملاك لعدم القول بالفصل.

وعلى الثانى: يلزم كذب هذه الكلام او عدم وروده على الخَصم ضرورة انّ الخلافة لو كانت باختيار النّاس فالأمر اليهم مع انّ صدر كلامه عليه السلام اعنى قوله لقد علِمتُم، ينفيه فتعيّن الاوّل وهو المطلوب.

ورابعاً: انّ كلامه عليه السلام فى هذه الخطبة يدلّ على انّه سلَّم الأمر الى عثمان مثلاً مع تَحمُّله الجَور والظّلم فى هذا الأمر لابالأختيار والأرادة حِفظاً لمصالح الأسلام والمسلمين وصوناً لبَيضة الأسلام وبهذا الملاك ايضاً سلّم الأمر الى ابى بكر وعُمر ولم يخالفهما الّا من باب الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر فعلى هذا الكَلام فى خلافة عثمان بالنسبة اليه هو الكلام فى خلافة من تقدّمه بعينه.

وامّا معاوية واصحاب الجمل وحَربه عليه السلام مَعهما فليس الأمر فيهما كما ذكره المعتزلى من الفرق مِن انّ الظّلم من معاوية واصحاب الجمل كان عاماً له عليه السلام ولِلمُسلمين بخلاف الظّلم من الخُلفاء الثّلاثة على مَسلِكَنا ومن عثمان على مسلِكه حيث انّه كان عليه خاصة ضرورة انّ الظّلم فى الجميع واحد لافرق فيه وذالك لعدم صلاحيّتهم رياسة العامّة والحكومة على المسلمين.

بل الوجه فى تَسَلُّمه عليه السلام بالنّسبة الى الثلاثة وسكُوته ظاهراً دون معاوية واصحاب الجَمَل شيىء آخر وهو انّ موضوع الخلافة على رأى العامّة ومَن لايقول بالنّص فيها مستندٌ الى موافقة اصحاب الحلّ والعقد من الامّة على

مايقولون به ومعاوية واصحابُ الجَمَل لم يكونوا من هذا القبيل وعلى هذا فادّعائهم الخلافة والزّعامة كان بلامُجوّزٍ شرعيٍّ وعُرفيٍّ ومن كان كذالك فهو بالمُفسد اَولىٰ ولا شكّ انّ المفسد فى الأرض يجب قتله اَينما وُجِد فقتاله عليه السلام مَعهم كان من هذه الجهة وبعبارةٍ اخرى الخلافة لهولاء الثلاثة اعنى ابابكر وعُمر وعُثمان وان لم تكن على معيارٍ شرعىّ الّا انّها كانت على معيار العُرف فكان لهم مُومّنٌ عُرفاً من هذه الجَهَة وكثيراً من النّاس لولا قاطبتهم كانوا راضين بها فالقتال معهم يُوجِب قتل كَثيرٍ من المسلمين وضَعفِ الأسلام فى مقابل الكُفر على ما اشرنا اليه تفصيلاً وهذا بخلاف ادّعاء الأشرار والأوباش الّذين كانوا بمَعزلٍ عنها شَرعاً وعُرفاً وعقلاً.

وثانياً: انّ الخلفاء الثلاثة ولا سيّما الاوّل والثّانى منهم كانوا مراعين لجانب الشّريعة فى ظاهر الأمر ولَم يَتجاهروا بالفِسق عَلَناً وهذا بخلاف معاوية واصحاب الجمل الّذين قَتَلوا الأخيار وهتكوا اَلنّواميس على ما فُصِّل فى التّواريخ فقياسهم بالخلفاء الثلاثة قياسٌ مع الفارق فى ظاهر القضيّة وان كانوا فى الواقع على خلاف ظاهرهم ولا شك انّ الأمام عليه السلام كان مأموراً بظاهر الأمر لابباطنه وواقعه.

وثالثاً: انّ معاوية واصحاب الجمل كانوا تحت بيعته عليه السلام امّا اصحاب الجَمَل فمعلومٌ وامّا معاوية واصحابه فبحكم البَيعَة العامّة الّتى وَقَعت بالنّسبة اليه عليه السلام فى المدينة فمخالفتهم له عليه السلام بعد تماميّة الأمر اوجَب هَدر دمائهم ونُفوسهم على مَذهب القوم ايضاً وهذا بخلاف الخلفاء الثّلاثة حيث كان الأمر فيهم بالعكس ظاهراً وان كان بالعكس واقعاً.

ورابعاً: انّه عليه السلام كان مأموراً بقتال القاسطين والنّاكثين والمارقين من قِبَلِ الله ورسُوله والأحاديث فيه كثيرة وقد اشرنا سابقاً الى شطرٍ منها ولم يكن عليه السلام مأموراً بقتال الخلفاء الثّلاثة كذالك وهو واضح فبهذه الوجوه المذكورة وغيرها ممّا لم نذكره تَرَك القتال مَعَهم دون معاوية واصحاب الجَمَل لابما ذكره

الشّارح المعتزلى من انّ الظّلم من مُعاوية واصحاب الجمل كان عامّاً لجميع المُسلمين دون الخلفاء الثّلاثة وانّ الظّلم منهم كان عليه عليه السلام خاصّة.

ولا بما ذكره الخوئى قدّه ايضاً من انّ امساكه النّكير على الاوّلين لعدم وجود ناصرٍ ومعينٍ له يومئذ ينصره ويَحمى له فأمسَك عنهم تقيّةً وحِقناً لِدَمه بخلاف يوم الجَمَل وصِفّين بل الوجه فيه ماذكرناه والله اعلم بحقائق الأمور

﴿و من كلام له عليه السلام (٧٤)﴾

▫ قوله عليه السلام اَوَلَم يَنْهَ بَنِي اُمَيَّةَ عِلْمُهٰا عَن قَرفِي، اَوَ مٰا وَزَعَ الْجُهّٰالَ سٰابِقَتِي عَن تُهْمَتِي، ولَمّٰا وعَظَهُمُ اللهُ بِهِ اَبْلَغُ مِن لِسٰانِي !اَنَا حَجِيجُ الْمٰارِقِينَ، وَ خَصِيمُ الْمُرتٰابِينَ، وَعَلىٰ كِتٰابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأمثٰالُ، وَبِمٰا فِي الصُّدُورِ تُجٰازىٰ الْعِبٰادُ ...

◁ اللّغة

(قَرفِي)القَرف العَيب يقال قَرفَتُه بكذا اى عَيبتّه(وَزَعَ)وزَّعَه عنه صَرَفه وكفَّه.

◁ المعنى

(اَوَلَم يَنْهَ بَنِي اُمَيَّةَ) اى اَوَ لم يَمنعهم (عِلْمُهٰا) اى علم اميّة او بنى اميّة على اختلاف النّسخ، (عَن قَرفِي) اى عن قَذفى وانتسابى بدَم عثمانٍ (اَوَ مٰا وَزَعَ الْجُهّٰالَ) اى اَوَ ما يمنّعهم (سٰابِقَتِي) فى الأسلام (عَن تُهْمَتِي) والأفتراء بى(وَلَمّٰا وَعَظَهُمُ اللهُ) اى بنى اُميّة (بِهِ اَبْلَغُ مِن لِسٰانِي) فى كلام الله سُبحانه (اَنَا حَجِيجُ الْمٰارِقِينَ) اى غالبٌ بالحُجة عليهم (وَخَصِيمُ الْمُرتٰابِينَ) اى وانا مُخاصمٌ للمُرتابين فِيَّ (وَعَلىٰ كِتٰابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأمثٰالُ) حتّى يُعلَم صِحّتها (وَبِمٰا فِي الصُّدُورِ تُجٰازىٰ الْعِبٰادُ) يوم القيمة.

الشّرح

رُوى انّه لمّا بَلَغه عليه السلام اتّهام بنى اميّة له بالمشاركة فى دم عثمان فقال عليه السلام: **اَوَلَم يَنْهَ** الخ.

اعلم: انّ الشّارح المعتزلى قال فى شرحه لهذا الكلام مالايخلوا عن النّظر والعجب إنّ الشّارح الخوئى نَقلَ ما نَقل عنه ولَم يَتوجّه الى ما فيه ونحن نشرح كلامه عليه السلام اوّلاً ثمّ نشير الى وجه الخِلَل من كلام المعتزلى.

▫ قوله عليه السلام: **اَوَلَمْ يَنْهَ بَنِى اُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِى عَن قَرفِى...**

والهمزة فى قوله عليه السلام: (**اَوَلم**) للأستفهام الأنكارى التّوبيخى والمقصود (**انّه**) اَنكَر عليهم وَوَبَّخَهُم على هذا القول وحاصل ماافاده عليه السلام فى وجه التّوبيخ والأنكار عليهم هو عِلمهم بحاله عليه السلام وانّه عليه السلام اجلّ شأناً من هذه الاتّهامات الواهية والخرافات الباطلة الكاذبة وذالك من وجوه.

احدها: انّه عليه السلام كان مأموراً من قِبَل الله ورسُوله بعدم القتال مَعهُم اعنى الخلفاء الثّلاثة اعنى ابابكر وعمر وعثمان لامن جهة عدم المُقتضى كما عليه الأكثر بل من جهة وجُود المانع كما هو المُختار وقد تكلّمنا فيه فى الخطبة السّابقة وحيث انّ وجود المانع كان عاماً بالنسبة الى الثلاثة فكما انّه عليه السلام لم يأمر بقتل ابى بكر وعمر كذالك لم يأمر بقتل عثمان.

وثانيها: انّه لوقلنا بأَمره له فلابدّ لنا من القول بانّه عليه السلام اَمَر بقتل عُمر ايضاً فانّ الملاك فى جواز قتلهما وعدمه واحد وهو كونهما غاصَبَين للخلافة ظالَمين عليه وعلى الامّة بل كان ينبغى له ان يأمر بقتل ابى بكر ايضاً لما قلناه من وَحدةِ الملاك فقتل احدهم او الأمر به دون الآخرين لايجوز عقلاً وذالك لانّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لايجوز واحد.

وثالثها: انّ اَمرَه بقتل عثمان دوُن الآخرين غير مَعقوُلٍ وذالك لانّ الأمر بقتله لايخلوا إمّا ان يكون لأجل الدّنيا وغَلَبته الهَوى وشَهوَةِ الرّياسة واما لأجل الآخرة واقتضا، الدّين والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر ودفع الظّلم عن

الأسلام والمُسلمين وايجادهم البَدع والحوادث فى الدّين وغير ذالك من الأمور الموُجبة المُجوّزة للقتل وعلى كلاالتّقديرين فالحقّ ماذهبنا اليه من انّه لاوجه لسكوته عليه السلام بالنّسبة الى ابى بكر وعمر وامره بقتل عثمان لاشتراك الجميع فى الجهات الموجبة للقتل وهو واضح.

ورابعها: انّه لاشك فى انّ ذنبهما اعنى ابابكر و عمر كان اَعظَم من ذَنب عثمان ضرورة انّهما كانا باغَين لجلوسه فى مَسند الخلافة كما عرفت فى قصّته تعيين ابى بكر عُمر وتعيين عُمر الشّورى على الوجه الّذى خَرَج عثمان بعنوان الخلافة والحكومة فما ذَنبُ عُثمان اَكثر من ذنبهما حتّى يُؤمَر بقتله دوُنهما ولَم يَقُل احدٌ بكونه عليه السلام مُتهِماً بقتلهما او بقتل عُمر فكذا فى المقام.

وخامسها: انّه عليه السلام كان عالماً بانّ قتل عُثمان لافائدة فيه وايُّ نَفع كان له عليه السلام فى قتله حتّى بأمر بقتله مع عِلمِه عليه السلام بانّ النّاس عَبيد الدّنيا والدّين لئِقٌ على اَلسنتهم يَحوُطونه ما دَرَّت به معايشهم فاذا مُحِصّوُا بالبلاء قَلَّ الدَّيانُّون، وعليه فأن كان اَمرُه بقتلَ عثمان لأجل وصُوله الى الخلافة واقبال النّاس اليه فهذا ممّا لايمكن الذّهاب اليه لانّ النّاس بعد رسُول الله صلى الله عليه وآله اجتَمعُوا فى السّقيفة وبايَعوُا ابابكر ولم يُراعُوا فيه عليه السلام قرابته ووصايته ولياقته للخلافة مع إنّهم سَمِعُوا منه صلى الله عليه وآله ما لم يَسمعوُا منه فى احدٍ فاذا كان الأمر بعد الرّسول هكذا من المهاجر والأنصار فكيف يَظُنّ عاقلٌ بانّهم بَعد قَتل عثمان يَتَمسّكون به ويعكِفُون على بابه فَضَلاً عنه عليه السلام وهو كان عالماً بسرائرهم وضمائرهم ونفاقهم.

مضافاً الى انّ طَول الزّمان وبُعد المدّة من يَوم السَّقيفة الى يوم قتل عثمان وانحراف النّاس عن اهل البيت وايجاد الحوادث والبَدع فيهم وتسليمهم لها والعمل بها وتقسيم الأموال على وفق اميال الخلفاء واميال النّاس وغيرها من الأمور الموافقة لطبائهم وغرائزهم فى المدّة المذكورة كلّها تُوجب اليأس عن اصلاح النّاس ورَدعهم عمّا كانوا فيه وهذه الأمور لم يكن مَجهُولة

لأميرالمؤمنين عليه السلام وعليه لامعنى لأمره عليه السلام بقَتله مع توجّهه بهذه الأمور وغيرها.

وسادسها: انّ عثمان لم يكن احقّ بالقتل عن اَخوَيه فى نَظَره ونظر الشّارع حتّى يُؤمَر بقتله ولايُؤمر بقتلهما بل ظلمها وجُرمهما اَكثَر واَعظَم كما لايخفى على المُتتبّع الخبير.

فقد ظهر ممّا ذكرناه انّه عليه السلام لم يأمر بقتل عثمان وانّما قتله النّاس على ماذكروه فى كتبهم وسنشير الى وجهه اجمالاً من دوْن اِذنٍ ولا رُخصةٍ منه كما انّهم بايَعوُه وبايَعوُ من تَقَدّمه كذالك.

ثم انّ فى قوله عليه السلام: (**عَن قَرفِى**) سرٌّ لطيفٌ وهو انّ القَرف ليس بمعنى العَيب او الاتّهام فحسب على ماذهب اليه المعتزلى وتَبِعُه فيه الخوئى وغيره من الشّراح بل القَرفى فى كلام العرب يُستَعمل فى معانٍ.

احدها: الكَسب يقال رجل قَرف على نفسه ذُنُوباً اى كَسَبها.

وثانيها: العلم يقال قَرَف الذّنب واقتَرَفه اذا عَلِمه.

وثالثها: اللَّصق يقال قارف الذَّنب اذا ولاصَقه.

ورابعها: التُّهمَة يقال قرفَه بكذا اى اضافه اليه واتَّهَمَه به.

وخامسها: الجَمع يقال قارف امرئةً اذا جامعها، ذكرها ابن الاثير فى النهاية ثمّ قال ومنه حديث عايشة انّه كان يُصبح جُنباً من قرافٍ غير احتلام ثمّ يَصُوم اى من جماعٍ ومنه الحديث فى دفنِ امّ كُلثوم من كان منكم لم يقارف اهله الليلة فيدخلْ قبرها، ومنه حديث الاِفك اِن كنتِ قارفَتِ ذنوباً فَتوُبى اِلى الله وكُلُّ هذا مرجَعه الى المقارنة والمداناة، وفيه انّ النّبى صلى الله عليه وآله كان لايأخذ بالقرف اى التُّهمَة والجَمع القراف ثمّ قال ومنه حديث اَوَلم يَنه اُميّة عِلمها بى عن قَرفى اى عن تُهمَتى انتهى وقد ذكر هذه المعانى كلّها فى لسان العرب وزاد عليها المخالطة والوباء الخليق والكذب وغيرها من المعانى الّتى لانطول الكلام بذكرها.

اذا عرفت هذا فنقول كلامه عليه السلام هذا يمكن حمله على كلّ واحدٍ من هذه المعانى المذكورة وأحسنها الملاصقة ثمّ المخالطة وعليه فالمعنى انّى لِمَ الأصِق وَلَم اخالِطُ النّاس فى قتل عثمان وانّما عَبَّر عليه السلام بالقرف لانّ هذه الكلمة لاتُستَعمل الّا فى الأشياء الدَّينة الرَدِّية وفيه اشارة الى انّ قتل عثمان لايليق بشأنه لعدم اعتنائه به لما ذكرناه والى استعماله فى الاشياء الدَّنية اشار طرفة حيث قال.

وقراف من لايستفيق دعارةً يُعدى كمايُعدى الصَّحيح الأجرَب

وقال النّابغة:

وهى لم تجرب وباع لَها من الفصافِص بالنِّمى مِفنير

ولأجل هذا قال الرّاغب فى مُفرداته الأقران فى الأسائة اكثر استعمالاً قال وقد حُمِلَ على ذالك قوله تعالى:﴿ **وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾[1] و حاصل الكلام انّه عليه السلام تَبَرّء من قَتله لكونه من الرّديات عنده ومباشرته او تَسبيبه له دوُن شأنه فلايستفاد من هذا الكلام انّ عثمان قُتل مظلوماً.

وبعبارةٍ اخرى: انّه عليه السلام تَبرَّءَ من قتل عثمان لكونه دوُن شأنه لاانّه تَبرَّء عن قَتلَته كما تُوَّهم وكم فرق بين التَّبرءُ عن اصل القَتل به عنوان المُباشرة او التَّسبيب وبين التَّبرءُ عن القاتل وكَيف يمكن له عليه السلام التّبرء عن قاتليه وقد كان فيهم عَمّار ابن ياسر ومُحمّد ابن ابى بكر ومالك الأشتر وغيرهم من اكابر المهاجر والأنصار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى عَمّار بنقل الفريقين عَمّار مَعَ الحَقّ والحَقّ مَعه يَدوُر مَعه حيثما دار وهُو ممّا لاينكر.

فَتَحصّل ممّا ذكرناه انّه عليه السلام لَم يأمُر بقتله لما ذكرناه وهو عليه السلام مع ذالك لم يكن ساخِطاً على من قَتله لكون عثمان مُستحِقاً له خلافاً لما زَعَمه الشارع المُعتزلى وامثاله من اتباعه واشياعه وذالك لجوره وظُلمه على المُسلمين ولا سيّما الأكابر منهم كَعَبد الله ابن مَسعُود وابىذرّ وعُمّار وغَيرهم وتسليطه بنى

١-الانعام- ١١٣

أميّة على رقاب النّاس وتقسيم الأموال بينهم وغير ذالك ممّا هو مذكور فى المطوّلات.

ان قلت ـ يلزم على ما ذكرت كَونُه شَريكاً فى الواقع فى قتله وظاهر كلامه عليه السلام هنا وفى غير المقام ينفيه.

قلت ـ كلّا لانّ الشّريك لايَصدُق الّا فى صُورة المباشرة أو التّسبيب مع غيره فى ظاهر الأمر وكلامه عليه السلام لايدلّ على أكثَر من هذا واما كونه عليه السلام فى الواقع راضياً به ام لافالكلام ساكتٌ عنه.

▫ قوله عليه السلام: **أوَ ما وَزَعَ الْجُهّالَ سابِقَتِي عَن تُهْمَتِي...**

ظاهر هذا الكلام يدلّ على انّ ايمانه عليه السلام وسابقته فى الأسلام يدّلان على نفى التُّهمَة عنه كما زَعمه الشّارح المُعتزلى وتَبعه الخوئى قده ايضاً فيه واستدلّ المُعتزلى على المدّعىٰ بقوله تعالى:﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ**﴾[1] و قوله صلى الله عليه وآله أنت مِنّى بمَنزلة هٰرون من مُوسىٰ وامثال ذالك ممّا يدلّ على عصمته، ونزاهته ومن المعلوم انّ تلك السّابقة صارت موجبة لرفع التّهمة.

والحقّ انّ الكلام فيه كالكلام فى سابقه والمعنى انّ التّوجُه الى سوابق امرى فى عهد ابى بكر وعمر وقُعُودى فى بيتى يَدُلّ على عدم التُّهمَة فى قتل عثمان لعدم الفرق بين عثمان ومَن تَقدَّمه فى الخلافة فلو كُنت آمِراً بقتل عثمان لَكُنتُ آمراً بقتل عُمر ايضاً لكونهما او لكونهم اعنى الثّلاثة كانوا يرتضعون بلَبنٍ واحدٍ على ما مَرَّ تحقيقه وحيث لم آمرُ هناك فكذا فى المقام وهذا المعنى لاربط له بما استخرجه المعتزلى واتباعه من هذا الكلام كما سيجئى تفصيله عند كلامنا مَعَه.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَمّا وعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أبْلَغُ مِن لِسانِي ...**

وفيه اشارة الى ما وعَظَهم الله به فى كتابه من الآيات النّاهية عن سُوء الظّن

١- الاحزاب- ٣٣

بالغير.

كقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَااكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِيناً﴾(١)

و: ﴿وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٢)

و: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾(٣) و امثالها من الآيات، ولا شك انّ القرآن اَبلَغ واَكمل فى الموعظة عن غيره فَمَن لايَتعَظ به لايتعَظ بغيره بطَريقٍ اَولىٰ.

▫ قوله عليه السلام: **اَنَا حَجِيجُ الْمٰارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتٰابِينَ ...**

اى انا غالبٌ بالحُجّة على المارقين من الدِّين وهم الخوارج فى الأصطلاح الشَّرعى وامّا فى اصل اللغة فهمُ يطلقون على كلّ من خَرج عن الدّين بخروجه عن طاعة الأمام المفترض الطّاعة وعليه فاستعمال هذه الكلمة فى الخُطبة يدُلّ على كون هذا الكلام صادراً منه عليه السلام فى حَقّ الخوارج وهو خلاف بازعَمه المعتزلى من صُدورها فى غَيرهم والّا فكلامه عليه السلام هذا يَدُلّ على صحّة اطلاق الخوارج على كلّ من خالفه وامّا قوله عليه السلام: **وخَصيمُ المُرتابين** فهو يدلّ على كونه عليه السلام خصيماً للمرتاب فيه عليه السلام كائناً مَن كان لانّ الأرتياب فيه عليه السلام ارتيابٌ فى الدّين والمُرتاب فى الدّين لاشَكَّ فى كُفره.

امّا كونه عليه السلام حجيج المارقين فقد مرّ الكلام فيه مفصّلاً فى قصّة المارقين وذكرنا الأحاديث الواردة عن النّبى صلى الله عليه وآله واَمره صلى الله عليه وآله ايّاه بقتالهم وامّا كونه عليه السلام خَصيماً للمُرتابين وانّ هذا يوجب كُفر المُرتاب.

فمن الرّوايات مارواه المجلسى قدّه فى البحار عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال عليه السلام قال النّبى صلى الله عليه وآله لعلّيٍ اَنتَ خَيرُ البَشَر ولا يَشكُّ فيك الّا كافِر «بحار الانوار ج ٩ ص ٣٦١ ط كمپانى»...

١- الاحزاب- ٥٨
٢- الاسراء- ٣٦
٣- النجم- ٢٨

ومنها ماروا ه ايضاً باسناده عن الأعمش عن عطا عن عائشة قالت ذاك خَيرُ البَشَر ولا يشّك فيه الّا كافر انتهى «ص ٣٦١»...

ومنها ـ ماوراه ايضاً باسناده عن منصور عن ربعى عن حذيفة انّه سُئل عَن علّيٍ فقال ذاك خير البَشَر ولا يَشُكّ فيه الّا منافق انتهى «ص ٣٦١»...

ومنها ـ ماروا ه ايضاً باسناده عن حذيفة عن النّبى قال علّى ابن ابيطالب خَير البَشَر ومن اَبىٰ فقد كفر انتهى «ص ٣٦١»...

ومنها ـ ماروا ه باسناده ايضاً عن جابر ابن عبدالله قال علّى خَير البَشَر فمن اَبىٰ فقد كَفَر انتهى «ص ٣٦١»...

ومنها ـ ماروا ه عن تاريخ الخطيب باسناده قال رسول الله ﷺ مَن لَم يَقُل علىٌّ خير البَشَر فَقَد كَفَر انتهى «ص ٣٦٢»...

ومنها ـ ماروا ه ايضاً باسناده عن ابن عُمر قال رسول الله ﷺ من فَضَّل اَحداً من اصحابى على علّيٍ فقد كَفَر انتهى «ص ٣٦٣»...

ومنها ـ ماروا ه ايضاً باسناده عن جابر ابن عبدالله الأنصارى قال ذاك والله اَميرُ المُؤمنين وبوار الكافرين وقاتل القاسطين والنّاكثين والمارقين فانّى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول علىٌّ بعدى خير البَشَر فَمَن شَكّ فيه فقد كَفَر انتهى «ص ٣٦٣»...

والأحاديث فى هذا الباب كثيرةٌ من العامّة والخاصّة.

وعليه فكونه عليه السلام خَصِيماً لِلمرتابين يُوجب كُفرهم ونفاقهم لِوجود الشَّك فيهم.

▫ قوله عليه السلام: **وَ عَلىٰ كِتابِ اللهِ تُعْرَضُ الْاَمْثالُ...**

وذالک لانّ القرآن تِبيان كلّ شيىء وفاصل الحقّ مِن الباطل وكتابه المُنزَل على رسوله.

فقد روى فى الكافى باسناده عن مرازم عن ابى عبدالله عليه السلام قال انّ الله تعالى اَنزَل فى القرآن بتيان كلّ شيىءٍ حتّى والله ماتَرَك الله شَيئاً يحتاج اليه

العباد حتّى لايَستطيع عَبدٌ يقول لو كان هذا اُنزِل فى القرآن الّا وقد اَنـزَل الله فيه انتهى «مقدّمة الصّافى ص ١٤»...

وبأسناده عن عمرو ابن قيس عن ابى جـعفر قـال سـمعته يـقول انّ الله تعالى يَدَع شيئاً يحتاج اليه الامّة الّا اَنزَله فى كتابه وبيّنَه لِرسوله وجَعَل لكلّ شيءٍ حَدّاً وجَعَل عليه دليلاً يدلّ عليه وجَعل على من تَعدّىٰ ذالك الحَدّ حَدّاً انتهى «ص ٤»١...

وبأسناده عن المعلّى ابن خنيس قال قال ابو عبدالله ما من اَمرٍ يختلف فيه اثنان إلاوّله اصلٌ فى كتاب الله ولكن لاتَبلُغه عُقُول الرّجال انتهى ص ١٤

وبأسناده عن عمّار عن ابى عبدالله قال سمعتُه يقوُل ما من شىءٍ الّا ومنه كتابٌ وسنّة انتهى« ص ١٤»...

وباسناده ـعن سماعة عن ابى الحسن (مُوسىٰ) قال قلت له اَكُلّ شيىءٍ فى كتاب الله وسُنّة نَبيّه او تقولون فيه قال بل كلّ شىءٍ فى كتاب الله وسُنّة نَبيّه انتهى« ص ١٤»...

وبأسناده عـن ابـى الجـارود قـال قـال ابـوجعفر اذ احـدثبتكم بشـيىءٍ فاسئلونى اينَ هُو من كتاب الله ثمّ قال فى بعض حديثه انّ رسول الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السُّئوال الحديث بطوله

فقوله ﷺ: وَ عَلىٰ كِتابِ اللهِ تُعْرَضُ الْاَمْثالُ فيه اشارة الى إنّه كلّ ما خالف الكتاب ينبغى ان يُترك ولا يُعمَل به وكلّ ماوافق الكتاب يَجُب الأخذ به وهذا ممّا لِامرَية فيه.

▫ قوله ﷺ: وَبِمٰا فِى الصُّدُورِ تُجٰازَى الْعِبٰادُ...

اى انّ الله تَبارك وتعالى يجزى العباد على نيّاتهم وضمائِرهم يوم القيمة فانّ الأعمال بالنّيات، كَما وَرَد انّ الله تعالى لاينظر الى صُوَركم بل يَنظُر الى قُلُوبكم، وهذا ممّا لايَعلَمه الّا الله تعالى وسيأتى الكلام فيه انشاءالله (خاتمة) نذكُر فيها ما وَعدناه فى صَدر البَحث من نقل كلامِ المُعتزلى فى المـقام وبـيان وجـوه

الخلل فيه قال ما لَفظُه يقول عليه السلام أما كان فى عِلم بنى اميّة بحالى ماينهاها عن قَرفى وقذفى بدم عثمان وحاله الّتى اشار اليها وذَكَر انّ عِلمَهم بها يقتضى انّ لايقترفوه بذالك هى منزلته فى الدّين الّتى لامنزلة اعلى منها وما نَطَق به الكتاب الصّادق مِن طِهارته وطهارةٌ بَنيه وزَوجته فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيتِ وَيُطَهرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1] وقول النّبى صلى الله عليه وآله انت منّى بمنزلة هرون من موسى وذالك يقتضى عضمته عن الدّم الحرام كما انّ هٰرون معصومٌ عن ذالك وترادف الاقوال والأفعال من رسول الله فى امره الّتى يَضطَّر معها الحاضرون لها والمُشاهِدون ايّاها الى انّ مثله لايجوز ان يَسعىٰ فى اراقة دم اَميرٍ مُسلم لَم يُحدِث حَدَثاً يَستوُجب به احلال دَمه وهذا الكلام صحيحٌ معقولٌ وذالكً انّا نَرى من يظهر ناموس الدّين ويواظب على نوافل العبادات ونشاهد من وَرَعه وتقواه مايَتَقرَّر معه فى نفوسنا استشعاره الدّين واعتقاده ايّاه فيَصَرفنا ذالك عن قَرفه بالعُيوب الغامشة ونَستبعد مع ذالك طعن من يَطعَنُ فيه ونُنكروه ونأباه ونُكذّبه فكيف ساغ لأعداء امير المؤمنين مع علمهم بمنزلة العالية فى الدّين الّتى لَم يَصل اليها اَحدٌ من المُسلمين ان يُطلقوا اَلسَنتهُم فيه ويُنسبوه الى قتل عثمان او المُمالاة عليه لاسيّما وقد اَتّصل بهم وثَبَت عندهم انّه كان من انصاره لامن المُجلبين عليه وانّه كان اَحسَن الجماعة فيه قولاً وفِعلاً انتهى كلامه وفى كلامه هذا مواضع من الأنظار.

امّا اوّلاً: فلان قوله بعد ذكر آية التّطهير وحديث المَنزلة، وذالك يقتضى عصمته عن الدّم الحرام كما انّ هٰرون مَعصُوم عن ذالك، فلايرجع الى مُحصّلٍ ولا يُثبت مُدّعاه لانّ ماذكره من كون دم عثمان من قبيل الدّماء المُحرمَّة مصادرة بالمطلوب فكان عليه اثبات حُرمة دَمه اوّلاً ثمّ التَّقُول بهذا القول.

وثانياً: لَم يَثبُت شَرعاً حُرمة اراقة الدّم مطلقا بل الثّابت فيه حُرمةِ اَراقة الدّم الّتى حَرَّمها الله وانّىٰ له باثبات ذالك الّا من جهة كونه مدّعياً لِلأسلام وهذا

١- الاحزاب- ٣٣

القدر لايكفى فى الحُرمة والّا يلزم حرمة قتل اصحاب الجَمَل واصحاب معاوية والخوارج لكونهم مُدّعين لِلأسلام كما لايخفىٰ.

وثالثاً: لو كان قتله حَراماً كما زَعِمَه فكيف قتلوه وهُم من الصّلحاء الأَخيار واكابر المهاجر والأنصار اَيَظُّن عاقلٌ انّ عمار ابن ياسر سَفَك الدَّم الحَرام مع كونه مستلزماً لِفِسقه وهو منافٍ لما قاله الرّسول فيه الّذى اتّفق عليه الكلّ انّه مع الحقّ والحقّ معه يدوُر مَعه حيثما دار، وامثاله من الأحاديث الواردة فيه، اَلَيس ذالك يدلّ على اَن قوله وفِعله حَقٌّ دون باطل، ومن افعاله قتل عثمان فلابدّ للشّارح اختيار احد الأمرين، تكذيب النّبى فى حَقّ عمّار، او كون عَمّار مُصِيباً فى فِعله حيث لاسبيل الى الاوّل ظاهراً لاستلزامه الكُفر الصّريح فلامحالة يلتزم بالقول الثّانى وهو يوجب كون قتله حلالاً غير مُحَرَّمٍ وهو المطلوب وهكذا القول بالنسبة الى غير عَمّار من الأصحاب.

وَرابعاً: قوله وترادف الأقوال والأفعال من رسُول الله الى قوله لايجوز ان يَسعىٰ فى اراقة دم امير مُسلمٍ لَم يُحدِث حَدَثاً يستوجب به احلال دَمه، نقول فيه.

امّا كون عثمان مُسلِماً ظاهراً ممّا لاكلام فيه وامّا قوله لَم يُحدِث حَدثاً الخ فهو من غرائب الأقوال ومَحض التّعصُب والعِناد بشهادة التّواريخ وكُتُب السّير ولولا تَسليطه بنى اميّة وغيرهم من الأشرار والأراذل على رقاب المُسلمين واموالهم واعراضهم حتّى فعلوا ما فَعلوا لكفىٰ فى جواز قتله وهَدر دَمِه فَضلاً عن سائر جناياته وقبائح اعماله كَضَربه ابن مسعود حتّى مات وعمّار ابن ياسر حتّى فَتق وتقسيمه الأموال فى عَشيرته واقربائه وَوَوفأن لم تَكُن هذه الأمور من الحوادث المؤجبته لجواز قَتله على زعم الشّارح المعتزلى فاىّ شيىءٍ يُوجبه.

فان قلتـ انّه كان مُجتهداً وهو يَعمَل برأيه وقد قالوا انّ للمُصيب اجران وللمُخطِى أجرٌ واحد.

قلت ـ عمّار ابن ياسر وامثاله ايضاً كانوا من المُجتهدين فما يقولون فيه نقول فيهم هذا فى النَقص وامّا فى الحَلّ فقد ثبت انّ الأجتهاد فى مقابل النّص لامعنى له.

ثمّ على فرض تسليم ذالك كلّه نسئل عن الشّارح المعتزلى وامثاله ممّن لايُجوّز قتل عثمان ومن يَحذوُ حذَوه ونقول اذا كان الحاكم جائِراً ظالِماً لايقبل الوَعظ والنَّصيحة وهو يَستمرُّ على ظلمه وتعدّيه فوظيفة النّاس معه ماهى فلابدّ له من الجواب بأحد الأمرين إمّا القول بالتّسليم فى مقابل الظّلم مع القدرة على دفعه، وامّا القول بعَزله ثُمّ قتله لو لم ينعزل ولا ثالث.

امّا الاوّل: فلايساعده الشّرع والعقل فانّ التّسليم للظّالم مع القدرة على عَدمه ظلمٌ فاحِش بل اَفحَش للزومه تَقوية الظّالم عَملاً مع كونه شَريكاً له فى العذاب يوم القيمة كما هو صريح قول رسول الله ﷺ فالقول الثّانى هو المُتّبع وعَلَيه فيجب على المَظلُومين الدّفاع عن نفوسهم واَعراضهم وحُقوقهم بعَزله اولاً وقتله فى صورة عَدم الاتعَزال وقد نقل فى التّواريخ إنّ المسلمين استدعوا منه العَزل عن مقام الخلافة والحكومة وهو لم يقبله وقال لااَنزَع قميصاً اَلبَسنَيه الله فلمّا آيسوُ عن خلعه قَتَلوُه لامحالة ويدلّ على هذا كونه مَحصُوراً فى بيته اربَعين صباحاً ومن المعلوم انّهم لواراد وقَتله من اَوّل الأمر لقتلوه كما قتلوه فى المرحلة الثانية فعدم قتلهم ايّاه من اوّل اليوم دليل على ماذكرناه.

وبهذا يظهرلك انّ النّاس صاروُا مُضطَرّين فى قتله ولم يكن لهم طريق الى اصلاح الأمر والتّخليص من شَرّه وشَرّ عُمّا له إلّا بقتله فانّ الطّريق كان منحصراً فيه.

وامّا عثمان فكان يَجُب عليه شَرعاً حِقن دَمه وحِفظ نفسه بانغزاله عن الحكومة والخلافة لقوله تعالى:﴿**وَلا تُلْقُوابِاَيْديكُمْ اِلَى التَّهْلكه**﴾[1]و حيث لَم يُراع فى حقّه هذا الحكم فلامحالة كان دمه هَدراً ولا اَجر له يوم القيمة بل هو

١- البقرة- ١٥٩

مُعاقبٌ مُعذّبٌ لِإلقائه نَفسَه فی التَّهلُكة.

وثالثاً: قوله ولا سيّما وقد اتّصل بهم وثبت عندهم انّه كان من انصاره لامن المُجلبين عليه وانّه كان اَحسن الجماعة فيه قَولاً وفعلاً.

اقول: كلّ ذالك لم يكن، امّا قوله انّه من انصاره، فيقال له من اين ثَبت لك انّه عليه السلام كان من انصاره وایّ دليل من العقل والنقل دلّ عليه بل الحقّ خلافه لابالنّسبة الى عثمان فقط بل بالنّسبة الى الثلاثة ضرورة انّه عليه السلام لو كان من انصاره وانصارهم لكان يكذب نفسه اولاً ويكذب على الله ورسوله ثانياً نعوذ بالله منه ومن هَفَوات الشّياطين من الجنّ والأنس اَجمعين.

امّا تكذيبه نفسه فلانّه كان يعتقد الخلافة والوصاية لنفسه وهو كذالك وعليه فلو فرضنا كونه من انصار مَن غَصَب الخلافة يلزم منه تكذيبه عليه السلام نَفسه وانّ غيره كان اليَق بها مع انّه عليه السلام قال فيما مضى من الكلام، لقد عَلِمتُم انّی اَحقُّ بها من غيری هذا **اَوّلاً**..

وثانياً: يلزم كونه ظالماً لانّ من نَصَر ظالماً فهو ايضاً ظالم، والمفروض انّ غيره كان غاصباً للخلافة والغاصب ظالم وصُورة الشكل هكذا، فلان تَقَمّص بها، وكلّ من تَقَمّص بها غيره عليه السلام فهو ظالم، ففلان ظالم امّا الصُّغرى فَمَعلومٌ وامّا الكبرى فقد ثَبَت فی بحث الأمامة، والنَّتيجة قَطعيّة لانّ الشّكل الاوّل بديهی الأنتاج ثمّ نقول هذا ناصِر ظالم، وكلّ من نَصَر ظالماً فهو ايضاً ظالم، فهذا ظالم، امّا الصغرى فلا شك فيه لانّ المفروض انّه من انصاره واعوانه، وامّا الكبرى ايضاً لاكلام فی كليّته ثمّ النتيجة قَطعيّته لما ذكرناه فثبت كونه عليه السلام ظالماً نعوذ بالله منه.

وامّا تكذيبه الله ورسوله لانّ المَفروُض انّ الله تعالى هو الّذی كان امر الخلافة بيده على الفرض ولأجل هذا اَمَر رسوله صلی الله عليه وآله بتبليغ الحكم فی قوله: **﴿يا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾**[1] الى آخر الآية والرّسول ايضاً بَلّغه

١- المائده- ٦٧

بقوله ﷺ من كُنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه الخ وعليه فمعنى كونه من انصار عثمان واعوانه وأحسَن الجماعة فيه قولاً وفعلاً هو الحكم بصحّة خلافته وحكومته ولازم ذالك عدم كونه غاصباً لها، فما معنى الآية الشّريفة وما المراد بقوله ﷺ من كنتُ مولاه الخ فيلزم تكذيبه للّه ولرسوله فى تعينها وتنصيصها عليه نَعُوذ بالله منه.

فثبت وتحقّق انَ ماقاله الشّارح المعتزلى ليس إلّا مصداقاً لقولهم كلٌّ يَجُرّ النّار إلى قرصته وهو من قبيل حمل الكلام على ما لايرضى صاحبه بل هو إتّهامٌ وافتراءٌ محضٌ وبما فى الصّدور تجازى العباد هذا اجمال الكلام فى شرح كلامه ﷺ فى المقام ولتفصيله مقامٌ آخر والحمدُ للّه ربّ العالمين.

ومن خطبةٍ له عليه السلام (٧٥)

▫ قوله عليه السلام رَحِمَ اللهُ عَبْداً (امْرَاءً) سَمِعَ حُكْماً فَوَعىٰ، ودُعِيَ اِلىٰ رَشادٍ فَدَنىٰ، واَخَذَ لحُجْزَةِ هادٍ فَنَجىٰ، رٰاقَبَ رَبَّهُ، وَخٰافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خٰالِصاً، وَ عَمِلَ صٰالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَّمىٰ غَرَضاً، وَاَحْرَزَ عِوَضاً، كٰابَرَهَوٰاهُ، وَكَذَّبَ مُنٰاهُ، جَعَلَ الْصَّبرَ مَطِيَّةَ نَجٰاتِهِ، وَالتَّقوىٰ عُدَّةَ وَفٰاتِهِ، رَكِبَ الطَّرِيقَةِ الْغَرّٰاءَ، وَلَزِمَ الْمُحَجَّةَ الْبَيْضٰاءَ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وَبٰادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ ...

◁ اللّغة

(فَوَعىٰ) اَلوَعى الحفظ يقال وَعَيت الحَديث اى حفظتُه (لحُجْزَةَ) اَلحُجزة بالضَّم معقد الأزار وهى كناية عن الأعتصام يقال اَخَذ فلان بحُجزته اى اعتَصَم به (رٰاقَبَ) اصل المُراقبته المحافظة يقال رقبتهاى حفظتَه راقبت الله خِفتُ عَذابه (اكتَسَبَ) اى كَسَب (مَذْخُوراً) اى مَستُوراً (مَحْذُوراً) من الحَذَر وهو المَنع اى مَمنُوعاً (غَرَضاً) الغَرَض مايُرمى بالسّهام وفى بعض النّسخ عَرضاً بالعين المهملة وهو متاع الدّنيا (كٰابَرَ) اى غَلب وعانَد (مُنٰاهُ) جمع مُنية وهى الأمل (مَطِيَّةَ) المَركَب (الْمَهَلَ) بفتح الميم فالسُّكُون اِسمٌ من المُهلة ومصدر على ما قيل (بٰادَرَ) اى سابق.

◁ المعنى

(رَحِمَ اللهُ عَبداً (اَمْرءً) ای انساناً تغلیباً لجانب الذّکُوریة علی الأنوثّیة (سَمِعَ حُکْماً) من الأحکام العقلیّة والنّقلیة المُفیدة بحاله فی الدّارین (فَوَعیٰ) وحِفظ ذالك الحَکم بالعَمَل به (وَدُعِیَ) بالمَجهُول، ای ورَحِم الله عَبداً دُعِیَ قضاءً لحکم العَطف (اِلیٰ رَشادٍ فَدَنیٰ) وقَرُبَ الیه (وَاَخَذَ لحُجْزَةِ هٰادٍ) ای تمسّك واعتصم بمَن یَهدیه (فَنَجیٰ) من الهَلکات (رٰاقَبَ رَبَّهُ) بخوفه من قهره وغَضَبه (وَخٰافَ ذَنْبَهُ) الّذی فَعَله واَتیٰ به فانّ الله لَیسَ بظلّام للعبید(قَدَّمَ خٰالِصاً) من العَمل فی الدنیا لیوم لاینفع فیه مالٍ ولا بنون الّا من اَتی الله بقَلبٍ سَلیم (وَ عَمِلَ صٰالِحاً)لذالك الیوم (اکتَسَبَ) ای کَسَب (مَذْخُوراً) ای ذخیرة مرجّوة لیوم فاقته (وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً) ای اَعرض عما نَهی الشارع عنه (رَّمیٰ غَرَضاً) ای رمیٰ بسهام اعماله الصالحة (وَاَحْرَزَ عِوَضاً) ای اَحرز متاع الآخرة عِوَضاً عن متاع الدّینا (کٰابَرَ) ونازَع (هَوٰاهُ) ای نفسه الامّارة بعدم اطاعتها والأنقیاد لها (وَکَذَّبَ مُنٰاهُ) وآماله الشّیطانیة (جَعَلَ الْصَّبرَ مَطِیَّةَ نَجٰاتِهِ) ای جَعل الصّبر مَرکَباً لنجاته (وَالتَّقویٰ عُدَّةَ وَفٰاتِهِ) ای جعل التّقوی عدّة وفاته ووقایة لما تحصل به نجاته (رَکِبَ الطَّرِیقَةِ الْغَرّاءَ) ای سَلَك جادّة الشریعة الواضحة (وَلَزِمَ الْمُحَجَّةَ الْبَیْضٰاءَ) الّتی لااعوجاج فیها (اغْتَنَمَ الْمَهَلَ) ای ایّام مُهلته ومُدّة عُمره (وَبٰادَرَ الْأَجَلَ) وسارَع الیه.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: رَحِمَ اللهُ عَبْداً (اَمْرءً) سَمِعَ حُکْماً فَوَعیٰ...

الظّاهر انّ المراد بالعبد او المَرء مطلق الأنسان سواء کان ذَکراً او انثی تغلیباً لجانب الذّکورة علی الأنوثة وانّما عمّمنا الحکم لانّ حفظ الحکم والعمل به من وظائف المکلّف بل اصلها وسنامها ولا شك انّ المرئة ایضاً مُکلّفة به والمراد بالحکم علی ماذهب الیه الشّارع البحرانی قدّه الحِکمة وقال المعتزلی

هو الحكم كما قال الله تم وآتيناه الحُكم صَبيّاً، وعلى الاوّل فالمراد بها الاعمّ من الحكمة العلميّة والعَمَليّة على ما ذهب اليه البحرانى قدّه وقال ايضاً وَوَعاها اى فَهَّمها كما القيت اليه.

اَعلم: انّ الحُكم بضَمّ الحاء وسكون الكاف والميم يطلق فى اللّغة على معنيين.

احدهما: العِلم والفِقه ومنه قوله تم وآتيناه الحُكم صبيّاً اى عِلماً وفِقهاً ومنه قول الشّاعر حيث قال.

الصُّمت حُكمٌ وقليلٌ فاعله،

وقد نَسَب فى اللّسان (لسان العرب) هذا المصراع الى الشّاعر والرّاغب فى المفردات الى قول الرّسول ﷺ والله اعلم.

وثانيهما: العلم والفقه والقضاء بالعَدل وعليه فالحُكم بالمعنى الثّانى اعمّ من الاوّل.

وامّا الحِكمة فهى عبارة عن اصابة الحق بالعلم والعقل فهى من الله تعالى معرفة الأشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الأنسان معرفة الموجودات على ما هى عليه بقدر الطّاقة البشّرية وفعل الخيرات وهذا هو الّذى وصفُ به لقمان فى قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ اٰتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ**﴾[1]

و : ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[2]و من هنا قيل انّ الحكم اَعَمّ من الحكمة فكلّ حكمةٍ حكم، وليس كلّ حكم حِكمة.

اذا عرفت هذا فقوله عليه السلام: **سَمِعَ حُكْماً**، المرادُ به ان كان الحُكم بالمعنى الاوّل فهو واضح وان كان بالمعنى الثّانى فيراد به المَعنى الاعمّ من الاوّل ولا يخفى انّ الاوّل اَظهَر والثّانى اَشمل وامّا حَملُه على الحكمة كما ذهب اليه المعتزلى وتبعه فيه الشارع الخوئى فَبَعيدٌ عن مساق الكلام وكيف كان فالأمر سهل. وامّا الوَعى فهو فى اللّغة الحِفظ، وقال الرّاغب هو حفظ الحديث ونحوه،

١- اللقمان- ١٢

٢- البقرة- ٢٦٩

قال الله تعالى وتَعِيَها أُذنٌ واعِيَته وعليه فيُصير المعنى، رَحِم الله عبداً سَمِع حُكماً اى عِلماً وفقهاً فوَعَاه وحِفظه للعمل به اذا العلم للعمل ولا فائدة فيه بدونه وفيه تعريضٌ على كثيرٍ من المهاجرين والأنصار حيث انّهم قد سمِعوُا مِن النّبى ما سَمِعوُا فى الولاية والإمامة بعده ﷺ وحفظوه فى قلوبهم الّا انّهم لَم يَعمَلوا به فكانّهم لم يحفظوه.

▫ قوله ﷺ: **وَدُعِيَ اِلىٰ رَشادٍ فَدَنىٰ** ...

والواو للعطف اى رَحِم الله عبداً دُعِيَ الى رشادٍ فَدنىٰ اليه لِلأسترشاد به وانّما عبّر ﷺ عن الاوّل بقوله ﷺ: **سَمِع**، وعن الثانى بقوله ﷺ: **(وَدُعِيَ)** لأنّ الأرشاد يحتاج الى الدّعوة بخلاف الحُكم.

قال الله تم مُخاطباً لَنبيّه ﷺ أُدع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة قال اللّٰه تعالى :﴿**قُلْ هٰذِهِ سَبيلى اُدْعوُا اِلَى اللهِ**﴾[1]

و : ﴿**وَيا قَوْمِ مالِى اُدْعوُكُمْ اِلَى النَّجاةِ وَتَدْعوُنَنى اِلَى النّٰارِ**﴾[2]

و : ﴿**وَلٰكِنْ اِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلوُا فَاِذا طُعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا**﴾[3]

و : ﴿**وَاِذا دُعُوا اِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[4] و غيرها من الآيات والدّنوّ، القُرب بالذّات او بالحكم والمراد به فى المقام هو الثانى قال الله تعالى:﴿**ثُمَّ دَنىٰ فَتَدَلّىٰ**﴾[5]

▫ قوله ﷺ: **وَاَخَذَ بِحِجْزَةِ هادٍ فَنَجىٰ**...

الحُجزة فى الأصل مَعقد الأزار والمراد بها فى المقام التّمسُك بِمَن يَدعوُه الى الرّشاد والعمل بقوله لتَترتّب عليه النّجاة ففى الكلام استعارة والفاء فى قوله ﷺ: **(فنجىٰ)**للتّفريع ايّ النّجاة عن الدّركات تتوقّف على الاطّاعة والأنقياد من الهادى وهو من الواضحات.

▫ قوله ﷺ: **راقَبَ رَبَّهُ** ...

١- يوسف- ١٠٨
٢- الغافر- ٤١
٣- الاحزاب- ٥٣
٤- النور- ٤٨
٥- النجم- ٨

قال فى لسان العرب رَقب الشّيى يَرقبُه وراقَبَه مراقبةً ورقاباً حَرسَه وقال ايضاً فى اسماء الله تعالى الرَّقيب وهو الحافظ الّذى لايَغيبُ عنه شىء فعيل بمعنى فاعل وفى الحديث اِرقَبُوا مُحمّداً فى اهل بيته‌اى اِحفَظُوه فيهم، وقال فيه ايضاً رَقبَه يَرقبُه رقبةً ورقباناً انتظره انتهى.

اقول: ونقل عن بعض اهل اللّغة انّ المراقبة بمعنى المواظبة ولا يخفى انّ المَرجع واحد فانّ المواظبة والمحافظة لافرق بينهما الّا بحسب الأعتبار هذا.

وحاصل الكلام انّه عليه السلام قد ترحّم لِمن راقَبَ ربّه بان يَعمَل له خالِصاً فانّ المراقبة عبارة عن حفظ مقام اُلوهيّته ورُبوُبيّته فى جَميع الشئون وعدم مخالفته كذالك فكانّه يَراه حاضراً وناظراً فى اعماله واقواله ومن المعلوُم انّ لازم ذالك الأجتناب عن العصيان.

قال بعض العُرفاء، فى قوله تعالى:﴿**لايَرْقَبوُنَ فى مُؤْمِنٍ اِلّا وَلا ذِمَّةً**﴾[1] و : **فَارْتَقِبْ اِنَّهُمْ مُرْتَقِبوُنَ**﴾[2]انّ المراقبة دوام ملاحظة المَقصُود وهى على ثلث درجات.

الدّرجة الأولى: مراقبة الحقّ فى السَّير اليه على الدّوام بين تعظيم مُذهلٍ ومداناةٍ حاملة، وسُرورٍ باعث.

والدّرجة الثانية: مراقبة نظر الحقّ اليك برفض المعارضة وبالأعراض عن الأعتراض ونقص رُعُونة التّعرُض.

والدّرجة الثالثة: مراقبة الاوّل بمطالعة عين السّبق استقبالاً لعَلم التّوحيد ومراقبته ظهور اشارات الأزَل على الحائّين الأبد ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة انتهى وتوضيح كلامه يستدعى التّكلم فيه.

فنقول ـ امّا المراقبة بالمعنى الاوّل: فالمقصود منها مراقبة المُريدين السّائرين الى الله وقوله على الدّوام يَتعلّق بالمراقبة لابالسَّير وكذا كلمة (بَين) ظرفٌ لها لا له اى مراقبتهٌ دائمةٌ بين هذه الأمور الثلاثة لاتخلو منها فى آنٍ واحدٍ

١- التوبة- ٩ ٢- الدخان- ٥٩

وهى تعظيمٌ يَليق بعَظَمته وبهائه فى جنب حقارةِ العَبد وذُلّة بحيث يشاهد تَلاشِى كلّ المخلوقات فى نور عظمته وفنائها فى قهر سلطانه وجلالته فيَذهَل فى ذالك الشّهود عن نفسه وغيره.

ومداناة، اى قَرُبَ فى غاية الدُّنُو يَقتضيه تلاشى اَحقَر الأشياء فى نُور تجلّى الأعظم (اعظم الاشياء) ولا شك انّ مثل هذه المُداناة حاملة على تعظيمٍ بالغٍ الى الدَّرجة القصوىٰ.

و سُرور ـ اى سُرور لايكتنه كنهه ولا يمكن وَصفُه ولا يُدرَك الّا بالذّوق باعثٌ على سيرٍ حَثيث الى المقصود المُراقب لافُتورَ فيه ولا وَهَن وهذا من المواهب السّنية هذا فى الدّرجة الأولى.

وامّا الدّرجة الثانية: اعنى مراقبة نظر الحقّ اليك فهو فوق مراقبة الحقّ فى السّير اليه فانّ الاوّل دَوام حضُور القَلب مَعه وملاحظته له وهذه دَوام شُهود نَظَر الحقّ اليك وهو ان تَشهَد انّه رقيبك وشاهدك فلايستطيع ان تعارض فعله بفعلك ولا ارادته بأرادتِك فَتترك فِعلك وارادَتك فانِيينَ فى فعله وارادته فلاتَفعَل ولا تُريد الّا ماراد ولا يمكنك مخالفته بقولك وفعلك وارادتك وامّا الأعراض عن الأعتراض فهو ان لاتَعترض عليه فى حكمه وعِلمه وتَسلم لحُكمِه وتَترُك عِلمك يفنى فى علمه ولا يخطر ببالك انّه لو فَعَل كذا لكان اَولى واَحسن ولو غَفر الكلّ لكان اَولى بكرمه لانّه تَحكُّمٌ عليه وظهور بصفة العلم ودعوى انّ علمك فوق علمه اعاذَنا الله من ذالك.

وامّا الرّعونة ـ فهى النّظر فى المراقبة الى نفسك ووجودك فيجب نَقضه فضلاً عمّا يتبعه من الخواطر والصّفات التّابعة للوجود فانّه تعرض له بوجودك فيَجب نقض تلك الرّعونة والنّظر الى نفسك عنك فانّ هذا التّعرض يوجب ان يَحجُبك الله عن شُهودك لانّ شهود الحقّ مع بقاء العبد محال فأن اِحتَست فى شهودك بشيىٍ من نفسك او من غيرك فقد بَطَل شُهود اَلحقّ بالحَقيقة فلا يصّح هذا الشّهود الّا بغيبتك عنك حتّى تُتَهيّاء لِلفناء وَهذِه المُراقبة الشّهودية بمَعنى

التَّهيوءُ لِلفناء لايَتيسّر الّا بنورٍ مِن التّجلى.

وامّا الكلام فى المرتبة الثالثة: اعنى شهود معنى الأزل يعنى اَوّلية الأوائل الّتى لااَوّل لها بان يطالع حقيقة سابقيّة الحقّ للكلّ اى القدم الذّاتى هو ازل الأزال لتستقبل بذالك الشُّهود علم التوحيد الذّاتى فيُعلَم تَقدُّم الحقّ بالذّات على الكلّ تَقدُّماً يتأخّر عنه الزّمان وما فَوقَه فيكف بما تحته ويجوزان يكون عَلَم التّوحيد اى استقبالاً لآية التّوحيد الكُبرى يعنى تهيئوا واستعداداً لقبول تَجَلّى التّوحيد الذّاتى وشُهُود ظُهور اشارات الأَزل يعنى معانى معلومات الحقّ فى الأزل على اجزاء الزّمان مترتّبةً الى الأبد فيرى كلّ معنى اَزلّى ظاهراً فى وقتٍ مُعيّنٍ من اوقات الأَبد ويتّصل فى شهوده الأَزل بالأَبَد ويرى عينه معنى من تلك المعانى الأزلية الّتى تَجلّى الذّات الأَحديّة بها فى الأزل فَيفتُقد عينه فى ذالك الشهود لانّه شُهود الحقّ للحقّ بالحقّ وذالك هو شهود الخلاص من ربطة المراقبة فانّ مراقبة تقيُّده برَسمه فاذا فنىٰ رَسمُه فَنىٰ قَيدُه والرّبطة هى القَيد، انتهى ما ذكره بعض العرفاء فى شرح المراتب الثلاثة ولعمرى انّه تحقيق رشيق يليق بان يُتامّل فيه حتّى يَظهر سِرّ قوله عليه السلام: **رٰاقَبَ رَبَّهُ.**

▫ **قوله عليه السلام وَخٰافَ ذَنْبَهُ ...**

اعلم: انّ الخوف هو تألّم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروهٍ فى الأستقبال مَشكُوك الوقوع، كما انّ الجُبن هو سكون النّفس عمّا يَستَحسَن شَرعاً وعقلاً من الحركة الى الأنتقام او شيى آخر وهذا السّكون قد يتحقّق من غير حدوث التّألّم الّذى هو الخَوف مثلاً من لايجترىء على الدّخول فى السّفينة اَوِالنّوم فى البيت وَحدَه يمكن اتّصافه بالسُّكون المذكور مع عدم تالّمٍ له بالفعل فمثله جبان وليس بخائفٍ.

ومن كان له مَلَكة الحَركة الى الأنتقام وغيره من الأفعال الّتى يُجوّزها الشّرع والعقل ربّما حصل له التألُّم المَذكُور مِن تَوقّع حُدوث بعض المكاره كما اذا اَمر السّلطان بقتله فمِثله خائِف وليس بجبانٍ هكذا قالوا.

والذّنب: فى الأصل الأخذ بذَنب الشّيى يقال ذَنبْته اَصَبتُ ذَنبَه ويُستعمل فى كلّ فعلٍ يُستوخَم عُقباه اعتباراً بذنب الشّيى ولهذا يسمّى الذّئب تَبِعة اعتباراً لما يَحصُل من عاقبته، قاله الرّاغب فى المفردات ثمّ إنّ الخوف على نوعين.

احدهما: مذموم لجميع اقسامه وهو الّذى لم يكن مِن الله ولا من صفاته المقتضية لِلهَيبة والرُّعب ولا من معاصى العبد وجناياته بل يكون لغير ذالك من الأمور وهذا النّوع من رذائل قُوّة الغَضَب من طرف التّفريط ومن نتايج الجُبن.

وثانيهما: مَحمُودٌ وهو الّذى يكون من الله ومن عظمته ومن خَطاء العبد وجنايته وهو من فضائل القوّة الغَضَبيّة وهذا هو المقصود فى المقام وعليه فالخوف تارةً يكون من الله تعالى واخرىٰ من خطاء العبد وجنايته وبعضهم زاد فى المقام شقاً ثالثاً وهو الخوف منهما جميعاً هذا ماقالوه فى المقام.

ويدلّ على الاوّل: قال الله تعالى:﴿**يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مايُؤْمَرُونَ**﴾[1]

و : ﴿**إِنَّما ذالِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ اَوْلِيائَه فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[2]

و : ﴿**ذالِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادِه يا عِبادِ فَاتَّقُونِ**﴾[3]

و : ﴿**وَاَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ اَنْ يُحْشَرُوا اِلىٰ رَبِّهِمْ**﴾[4] و غيرها منها.

اذا عرفت هذا فنقول.

الحقّ انّ المعانى المذكورة فى معنى الخوف كلّها يرجع الى خوف العبد من جنايته وتقصيره فى العُبوديّة فانّ العبد اذا كان مواظباً فى اَعماله واقواله فى جميع الشّئون بمعنى اتيانه بما اَمَرَهُ الله به وتركه ما نهى الله عنه حتّى يَصدُق عليه انّه مُطيعٌ لأمرِ مَولاه فلا معنى لخوفه منه كما انّه فى صورة العكس لابدّ له

١- النحل- ٥٠
٢- آل عمران- ١٧٥
٣- الزمر- ١٦
٤- الانعام- ٥١

من الخَوف على نفسه بسبب اتيانه الأعمال القبيحة السيّئة .

وبعبارةٍ اخرى: خوف العبد منه تعالى يرجع الى خو فه من ذنبه لاغير اذا الخَوف منه من غير ذَنب ولا قُصُورٍ من العبد لامعنى له ويويّده العقل والنّقل.

امّا العقل: فلانّ الخوف على ماذكروه هو تألّمٌ القلب واحتراقه بسبب تَوَقّعِ مَكروُهٍ فى الأستقبال مَشكُوك الوُقوع ولا شكّ انّ ايصال المكروه من الغير الىٰ الأنسان مُسبّبٌ عن فعل العبد فاذا فرِضنا انّ العبد لَم يَفعل مايوُجبه فلا معنى لخوفه فيرجع الخوف فى الحقيقه الى الخوف من الذَّنب وهو المطلوب.

نِعم قد يتصّور تحقّقه بالنّسبة الى الشَّخص فى الحُكومات الظّالمة الجائرة اذ الظّالم كثيراً مايأخُذ الاشخاص بغير ذنبٍ ولا تقصير وهذا المعنى لايعقل فيما نحن بصدده فانّ البحث فى خوف العبد من الله تعالى وحيث انّ الله تبارك وتعالى لايَظلم اَحداً فالخوف بالمعنى الثّانى منه غير معقولٍ.

وامّا النّقل :فمن الآيات. قال الله تعالى:**﴿قُلْ اِنّي اَخافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ﴾**[1]

و : **﴿اِنَّ الَّذينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ اَلاّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾**[2]

و : **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلايَخافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾**[3]

و : **﴿يا مُوسىٰ لا تَخَفْ اِنّي لايَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾**[4]

و : **﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلايَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً﴾**[5]

و : **﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها﴾**[6]

و : **﴿فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[7]

و : **﴿فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[8]

١- الانعام- ١٥
٢- الفصلت- ٣٠
٣- طه- ١١٢
٤- النمل- ١٠
٥- الجن- ١٣
٦- الشمس- ١٤
٧- البقرة- ٣٨
٨- البقرة- ٦٢

و : ﴿بَلىٰ مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ اَجْرُه عِنْدَ رَبِّهِ وَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

و : ﴿فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]

و : ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَلاٰخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]

و : ﴿يا عِبادِ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاٰ اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[4]

و : ﴿اَلاٰ اِنَّ اَوْلِيٰاءَ اللّٰهِ لاٰخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]

و : ﴿فَمَنِ اتَّقىٰ وَاَصْلَحَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6]

و : ﴿اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاٰخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاٰ اَنْتومْ تَحْزَنُونَ﴾[7] و انت اذا تأمّلت فيما ذكرناه من الآيات وما لم نذكره حَذَراً عن الأطناب لَدَريت انّ العقاب يتوقّف على الذّنب ومعلومٌ انّ الخوف يكون من العقاب لامن الثّواب فاذا كان العقاب والعذاب ممّا يتوقّف على الذّنب فكذالك الخوف منه وهو المطلوب.

ان قلت ـ ماتقول فى الآيات الدّالات على الخوف منه تعالى مطلقاً سواء كان صَدَر منه ذَنب ام لم يَصدِر وهى ايضاً كثيرة. قال الله تعالى:﴿وَلِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ﴾[8]

و : ﴿وَاَمّا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنَ الْهَوىٰ، فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾[9]

و : ﴿اِنّي اَخٰافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰالَمِينَ﴾[10]

و : ﴿فَلاٰ تَخٰافُوهُم وَخٰافُونَ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[11]

و : ﴿اِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[12] وامثالها من الايات.

قلتُ ـ مَرجع هذه الآيات كلّها الى ماذكرناه اوّلاً حملاً للمطلق على المقيّد

١- البقرة- ١١٢
٢- البقرة- ٢٦٢/٢٧٤/٢٧٧
٣- المائده- ٦٩
٤- الزخرف- ٦٨
٥- يونس- ٦٢
٦- الاعراف- ٣٥
٧- الاعراف- ٤٩
٨- الرحمن- ٤٦
٩- النازعات- ٤٠
١٠- الحشر- ١٦
١١- آل عمران- ١٧٥
١٢- الانسان- ١٠

كما هو مقتضى القاعدة وهو ظاهرٌ.

تنبيه عرفانيّـ الخوف على مذهب العُرفاء هو الأنخلاع عن طمأنينة الأمر بمطالعة الخبر.

ثمّ انّ مرادهم بالخوف هو الأنزعاج، وبالطّمانينة هى السّكون، وبالأنخلاع عنه هو الأضطراب، وبمطالعة الخبر استحضار الخبر الوراد مِن الله تعالى على لسان الرّسول بالتّرهيب وهو على ثلاث درجات.

الدّرجة الأولى: الخوف من العقوبة وهى الخوف الّذى يصحّ به الأيمان وهو خوف العامّة.

الدّرجة الثانية: خوف المَكر فى جريان الأنفاس المُستغرقة فى اليَقظة المَشُوبة بالحلاوة.

الدّرجة الثالثة: خَوفُ الهَيبَة والأجلال وهو اقصى دَرَجةٍ يشار اليها فى غاية الحقارة.

وعَبَّروُا عن الخوف بالمعنى الاوّل بالخوف العامّة وعن الثّانى بالخوف بالنّسبة الى ارباب المراقبة، وعن الثالث بالخوف بالنّسبة الى اهل الخُصوص.

قال بعضهم ليس فى مقام اهل الخصوص وحشة الخوف لانّ العارف الصّادق اذا كوُشف له انوار جمال الذّات استأنسَ بها وفَرِحَ بمواصلتها على الدّوام ثمّ دَخل فى نُور البسط وغلب عليه الطّمانينة والرّجاء ثمّ يدخل فى سُماع الأنبساط فى روح الوصال فيغلب عليه النّشاط والأستبشار وذالك مقام لايدخل فيه وجَل القلوب من سَطَوات العَظَمة ولا اضطرابّ الأَرواح من انوار الهَيبة ولا فناء الاسرار من قَهر سلطان الأوَليّته ولا اضمحلال الوُجود من قوارع العزّة الى آخر ما ذكره فى المقام.

▫ **قوله عليه السلام: قَدَّمَ خالِصاً وَعَمِلَ صالِحاً ...**

اشار عليه السلام الى امرين آخرين احدهما الخُلوص فى العبادة وثانيهما العَمل الصالح وقد دلّت الآيات والآثار عليهما.

فمن الآيات فی الخُلوص والحَثّ علیه . قال اللّٰه تعالی:﴿وَمٰا اُمِرُوا اِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1]

و : ﴿هُوَ الْحَيُّ لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]

و : ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3]

و : ﴿وَاِذٰا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4]

و : ﴿فَاِذٰا رَكِبُوا فِی الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[5]

و : ﴿وَ ظَنُّوا اَنَّهُمْ اُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[6]

و : ﴿وَاَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[7]

و : ﴿اِلَّا الَّذِينَ تٰابُوا وَ اَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَاَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ فَاُولٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8]

و : ﴿اِنّٰا اَنْزَلْنٰا اِلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[9]

و : ﴿قُلْ اِنِّی اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[10]

و : ﴿قُلِ اللهَ اَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِی﴾و امثالها من الآيات.

ومن الثانی قال اللّٰه تعالی : ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

و : ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صٰالِحاً فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[11]

و : ﴿مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰی وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً﴾[12]

و : ﴿وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُ جَزٰاءً الْحُسْنٰی﴾[13]

و : ﴿فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً﴾[14]

۱- البينه- ۵
۲- الغافر- ۶۵
۳- الغافر- ۱۴
۴- اللقمان- ۳۲
۵- العنكبوت- ۶۵
۶- يونس- ۲۲
۷- الاعراف- ۲۹
۸- النساء- ۱۴۶
۹- الزمر- ۲
۱۰- الزمر- ۱۱
۱۱- المائده- ۶۹
۱۲- النحل- ۹۷
۱۳- الكهف- ۸۸
۱۴- الكهف- ۱۱۰

و : ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[1]

و : ﴿وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُّدْخِلْهُ جَنّٰتٍ﴾[2]

و : ﴿اِلاَّ مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَاُولٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾[3] و الآيات فى الباب كثيرة.

وامّا الآثار الواردة فى الاوّل.

فمنها ـ مـارواه المـجلسى قدّه فـى البـحار بأسـناده عـن ابـى الحَسَـن الرّضاعليه السلام انّ اميرالمؤمنين عليه السلام كان يـقول طَـوبىٰ لِـمَن اَخـلَص للّـه العـبادة والدُّعاء لَم يَشغل قلبه بما تَراه عَيناه ولم يَنس ذكر الله بما تَسمَع اُذُنـاه ولم يَحزُن صَدره بما اعطى غيره انتهى ج ١٥ كتاب الايـمان والكـفر« ص ٨٠ ط كمپانى»...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام فى قـول الله عـزّ وجـلَّ لِيَبلُوكُم ايّكُم اَحسَن عملاً قال عليه السلام ليس يَعنى اَكثَركُم عَـملاً ولكـن اَصـوبكُم عَملاً وانّما الأِصابة خَشيَة الله والنّية الصّادقة ثمّ قال عليه السلام الأبقاء على العَـمل حتّى يَخلص اَشَدّ من العَمل والعَمل الخالص الّذى لاتريد ان يحمدك عَليه احدٌ الّا الله عزّ وجل والنّيّة اَفضَل من العَمل اَلاَ وإنّ النيّة هى العَـمل ثـم تَـلا قـوله تعالى:﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[4] يَعنى على نِيّته انتهى «ص ٨٢»...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن ابى جَعفر عليه السلام قال عليه السلام ما اَخـلَص عَـبدٌ الأيمان بالله اَربَعين يَوماً او قال ما اَجمَل عبدٌ ذكر الله اربَعين يوماً الّا زهدَّه الله فى الدّنيا وبَصَّره دائها ودَوائها واَثبَت الحِكمة فى قـلبه واَنـطَق بـها لِسـانَه الخبر« ص ٨٥»...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن الرّضا عليه السلام عن ابائه عن اميرالمـؤمنين عليه السلام قال عليه السلام الدّنيا كلّها جَهل الّا مواضع العلم والعلم كُلّه حُجّة الّا ما عَمِلَ بـه

١- الفصلت- ٤٦
٢- الطلاق- ١١
٣- السباء- ٣٧
٤- الاسراء- ٨٤

والعَمل كلّه رِياء الّا ما كان مُخلِصاً والأخلاص على خَطَرٍ حتّى ينظر العبد بما يختم له انتهى «ص ٨٥»...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام فى قول الله حَنيفاً مُسلماً قال عليه السلام خالصاً مُخلصاً لايَشوُبه شيءٌ انتهى «٨٥»...

ومنها ـ مارواه ايضاً عن علىّ ابن سالم قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول قال الله عزّ وجلَّ انا خير شريك مَن اَشرَك معى غَيرى فى عَمله لَم اقبله الّا ما كان خالصاً انتهى «ص ٨٥»...

ومنها ـ مارواه ايضاً قال محمّد ابن علىّ الرّضا افضل العبادة الأخلاص الخبر «ص ٨٦»...

وامّا الأخبار الواردة فى الحَثّ على العَمل الصالح فلانحتاج الى ذكرها فى المقام فانّها كالشّمس فى رابعة النّهار مضافاً الى انّ العَمل اذا صَدر عن المكلّف خالِصاً لوَجه الله فهو لامحالة يكون صالحاً ايضاً ولا عكس.

ان قلت ـ ماالفرق بين العَمل الخالص والعَمل الصّالح فانّ الظاهر عدم الفرق وعليه يكون قوله عليه السلام: **وَعَمِلَ صالِحاً** توضيحاً وتفسيراً لقوله عليه السلام: **قَدَّم خالصاً**...

قلت ـ ليس الأمر كذالك والنّسبة بينهما العموم والخصوص مطلقاً فانّ العَمل اذا كان خالِصاً فلامحالة يكون صالحاً ويمكن ان يكون صالحاً ظاهراً ولا يكون خالِصاً كما هو ظاهر فانّ الصّلوة او الصّوم او غيرهما من الأعمال لاشك فى كونهما من الأعمال الصّالحة وامّا كونها فى حدّ الأخلاص فهو شيىء آخر وعليه يكون قوله عليه السلام: و **عَمِل صالِحاً** بعد قوله عليه السلام: **قَدَّم خالِصاً** من قبيل ذكر العامّ بعد الخاص.

تنبيهٌ عرفانى ـ قال بعض العرفاء فى معنى الأخلاص، الأخلاص تَصفية العَمل من كلّ شَوبٍ وهو على ثلاث درجات

الدّرجة الأولى: اخراج رُؤيةِ العَمَل مِن العَمل والخلاص من طلب العِوَض

على العَمل والنُّزوُل عن الرّضا بالعَمل ومراده من إخراج رُؤية العَمَل من العَمل هو ان لايعتّد بعَمله ولا يَرى انّ عَمله من كسبه فكيف يَستحقّ به ثواباً بل يَراه مَحض المَوهبة اجراه الله على يَده وبهذا يَخلص من طلب العِوَض على العمل فانّه اذا رآى كلّ مايجرى عليه من اعماله وحَسَناته فضلاً واحساناً من الله لم يَرَ له ثواباً اذ ليس له مدخل فى وجوده عَمله كيف وهو عبد ذليل لاحَول ولا قوّة الّا بالله والعَمل انّما يكون بالحَول والقُوّة فَمَن لم يكُن له بنفسه حَولٌ ولا قُوّة لم يكن له عَمل فكيف يطلب جزاء ما لَم يَعمَل، ومعنى النّزول عن الرّضا بالعمل انّه لايستحسن عمله فيرضىٰ به ويَقِفُ معه فاذا لايرى عَمَله مِن نَفسه كيف يستَحسنُه وكيف يَرضىٰ به ويَقِفُ معه بل يَبرَء منه فيكون خالصاً للّه ليس له فيه نصيب ويرى انّ المطلوب منه ليس هو العَمَل بل المَعرفة والفناء فى الحقّ فيَسقُط العَمَل عن عَينه.

الدّرجة الثّانية: الخَجِل من العَمَل مع بَذلِ المَجهوُد وتَوفير الجُهد بالأحتماء من الشُّهود ورؤية العَمَل فى نُور التَّوفيق من عين الجُود.

قالوا المراد من الخجل من العمل مَع رؤيته فضلاً من الله لاكسباً منه انّما يستقيم اذا رآى نفسه محلّاً له فيرى نَقص العَمَل من نقص المَحلّ كطول الوجه فى المرآة الطّويلة فيخجلُ من عيب العمل العارض له بسبب عيب نفسه الّتى هى محلّه كملوحة ماء العذب لحريانه على السّنجة مع بذل الجهد والطّاقة فيه للقيام بحَقّ العُبوديّة فانّه عبدٌ مأمورٌ بذالك لابدّ له من امتثال امر السّيد.

وامّا توفير الجُهد بالأحتماء من الشّهود معناه انّ حكم الشُّهود هُو ترك السّعى والأجتهاد لرؤية العَمَل فى الشُّهود من المَشهُود لافيه فيجب ان يَحتمى نفسه من حكم الشّهود بان يرى انّ الشهود حال الباطن يحرى حكمه عليه لاعلى الظّاهر فانّ الظّاهر حاله حال العبد المَحكوم عليه المأمور بأمر السيّد فلابدّ له من الجِدّ فى الأمتثال وبَذل الوُسع فيه مَع رُؤية ذالك العَمَل بنور التَّوفيق الآلهى من عين الجُود كنفس القَدره عليه والطّاقة.

والدّرجة الثّالثة: اخلاص العَمَل بالخَلاص من العَمَل تدعه يسير مسير العلم وتسير انت مشاهداً للحكم حُرّاً من رِقّ الرّسم.

يعنى اخلاص العمل من كلّ شَوبٍ حتّى كونه مَنسُوباً اليك بوَجهٍ من الوجوه فَتَخلص من نفس العَمَل تاركاً له يَسير بمقتضى العلم الظّاهر مُسيره كان العلم يقتضى العمل المطابق له ولا تعلّق له بك ولا لَك به وانت تَسير فى وادى الطَّريقة شاهداً لحكمه عَلَيك بمقتضى حِكمَته الأزلّيته فتكون مَحكُوماً لحِكمُه حُرّاً من رقّ الخَلق فانّ الرّسم هو الأثر يقال رُسُوم المنازل والدّيار لآثارها وكلّ ما سوى الحقّ من الخلائق وما يجرى عليها آثار قدرته تعالى فانت وكلّ ما ينطلق عليه اسم الغير فهو رسم فاذا شاهدت حكم الله عليك وَحده صرتَ عبداً خالصاً لله وخَلَصتَ من رِقّ الكون بأسرِه انتهى فتامّل فيه واغتنمه.

□ **قوله عليه السلام: اِكْتَسَبَ مَذْخوُراً وَاَجْتَنَبَ مَحْذُوراً...**

اشار عليه السلام فى المقام الى امرين آخرين احدهما اكتسابه المَدخوُر اعنى ذخيرة مَرجُوة ليوم لاينفع فيه مال ولا بَنوُن الّا من آتى الله بقلبٍ سَليم، وثانيهما التَّجَنُّب ممّا يلزمه الحَذَر منه وهو مخالفة الأوامر الشّرعية ثمّ انّ المذخور بالذال المعجمة على ما ضَبطوُه ولا يبعد ان يكون بالدّال المهملة والخاء المعجمة والمعنى فيهما واحد قال الرّاغب فى المفردات اصل الادّخار اذ تخار يقال ذخرته وادخّرته اذا اعددتَه للعقبى وروُى انّ النّبى صلى الله عليه وآله كان لايدّخر شيئاً لغدٍ والمذاخر الجَوف والعُروق المُدّخرة لِلطّعام قال الشّاعر.

فلمّا سقيناها العَكيس تَمَلّات مذاخرها واَمتَّد رَشحاً وَريدها

قال الله تعالى:﴿**وَ اُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَاْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾(١)

والى الثانى اشار بقوله:﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾(٢)

١- آل عمران- ٤٩
٢- الاسراء- ٥٧

و : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]

و : ﴿وَاَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾[2]

و : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ اَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[3] و غيرها من الآيات.

والحاصل انّ المراد منهما الاتيان بالواجبات والأجتناب عن المحرّمات تَقَرّباً الى الله تعالى وهو واضح.

▫ **قوله عليه السلام: رَّمىٰ غَرَضاً واَحْرَزَ عِوَضاً ...**

الغَرَض بالتحريک السّهم وهو كناية فى المقام عن العمل الصّالح والأحراز الوُصُول والبلوغ والمقصود من هذا الكلام رَمى المُكَلّف سَهام اعماله الصّالحة واحرازه العِوَض اعنى متاع الآخرة الباقية الذى هو عِوَضٌ من متاع الدّنيا الفانية قال الله تعالى:﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ اَمَلاً﴾[4]

▫ **قوله عليه السلام: كَابَرَ هَوَاهُ وَكَذَّبَ مُنَاهُ...**

الهَوىٰ مَيل النّفس الى الشّهوة ويقال ذالك للنّفس المائلة الى الشّهوة وقيل سُمّى بذالك لانّه يهوى بصاحبه فى الدّنيا الى كلّ داهيةٍ وفى الآخرة الى الهاوِية والهُوِىّ سقوطٌ من عُلوٍ الى سفلٍ، قاله الرّاغب فى مفرداته والمكابرة المنازعة والمخالفة اى نازَعَ وخالف هواه.

ومُناه جمع مُنية وهى الأَمل الكاذب ولهذا يقال الأمنيّة الكَذِب ايضاً.

وحاصل المعنى انّ الأنسان العاقل ينبغى ان يكابر هَواه اى يخالفه ويكذّب مايُمنيّه من الآمال الكاذبة قال الله تعالى:﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[5]

و : ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوىٰ اَنْ تَعْدِلُوا﴾[6]

١- آل عمران- ٣٠
٢- المائده- ٩٢
٣- النور- ٦٣
٤- الكهف- ٤٦
٥- النجم- ٢٣
٦- النساء- ١٣٥

و : ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ، اِنْ هُوَ اِلاّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[1]

و : ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحِقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ﴾[2]

و : ﴿وَنَهَى النَّفْسِ عَنِ الْهَوىٰ﴾[3]

و : ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ﴾[4]

و : ﴿وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللهِ﴾[5]

و : ﴿قُلْ لا اَتَّبِعُ اَهْواءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ اِذاً وَّما اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[6] و الآيات فيه كثيرة.

وبالجملة لاشك انّ متابعة الهَوىٰ امّ الفساد ومنشاء الوقوع فى الحرام كما انّ مخالفته ومنازعته اصل الخيرات وسبب الوصول الى السّعادات قال الله تعالى:(﴿اَرَأَيْتَ مِنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ هَواهُ اَفَاَنْتَ تَكُونَ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[7]

قال رسول الله ﷺ طُوبىٰ لِمَن تَرَك شَهوةً حاضرة لِمَوعودٍ لَم يَرَه انتهى «بحار الانوار ج ١٥ باب ترك الشهوات»...

وايضاً رَوى باسناده فيه عن ابى جعفر عليه السلام قال انّ الله عزّ وجلّ يقول بجلالى وجَمالى وبهائى وعلائى وارتفاعى لايُؤثرُ عبدٌ هَواى على هواه الّا جَعلتُ غناه فى نَفسه وهَمُّه فى آخرته وكَفَفتُ عنه ضيعَتَه وضَمِنت السّموات والأرض رزقَه وكُنتُ له من وراءِ تجارة كلّ تاجر انتهى «ج ١٥ ط كمپانى»...

وايضاً باسناده عن جابر ابن عبدالله قال رسوُل الله ﷺ انّ اَخوَف ما اخاف على اُمّتى الهَوىٰ وطوُل الأمل امّا الهَوى فَيُسدّ عن الحقّ وامّا طول الأمل فَيُنسى الآخرة انتهى...

٤- وايضاً باسناده عن الصّادق عليه السلام قال انّى لَأرجُوا النّجاة لهذه الامّة لِمَن عرف حقّنا منهم اِلّا لأحدِ ثلاثة، صاحب سلطانٍ جائر وصاحب هوى،

١- النجم- ٣/٤
٢- ص- ٢٦
٣- النازعات- ٤٠
٤- الكهف- ٢٨
٥- القصص- ٥٠
٦- الانعام- ٥٦
٧- الاسراء- ٤٣

والفاسق المُعلن انتهى...

وايضاً بأسناده عن الصادق عليه السلام قال قال اميرالمؤمنين اَشجَعُ النّاس مَن غَلب هَواه انتهى...

وايضاً روُى باسناده عن الصادق عليه السلام انّه قال عليه السلام اِحذَروُا هَوائكم كما تَحذَروُن اعدائكم فليس شيئٌ اعدىٰ للرّجال من اتباع الهَوىٰ (من اتباع اَهوائهم) وحَصَائد السنتهم انتهى «والأحاديث التى ذكرناها اخذناها من الجزء الثانى من كتاب الأيمان والكفر ومكارم الاخلاق وهو المجلد الخامس عشر من طبع المشهور بكمپانى ص ٤٣ وص ٤٤»...

ومن اراد اكثر ممّا ذكرناه فعليه بمراجعة هذا الكتاب.

وممّا ورد فى الثانى اعنى قوله عليه السلام: وَكَذَّبَ مُناهُ.

فمنه مارواه المجلسى قده ايضاً فى الكتاب المذكور باب طُول الأمل بأسناده عن ابن ابى يَعفوُر قال سمعتُ ابا عبدالله، يقول من تَعلَّق قلبه بالدّنيا تَعلَّق منها بثلث خصال هَمٌّ لايفنى واَمَلٌ لايُدرِك ورَجاءٌ لايَنال انتهى...

ومنه مارواه فيه ايضاً باسناده عن السّكونى عن الصّادق عليه السلام عن ابائه عن علّيٍ قال عليه السلام من طال اَمَله ساءَ عَمله انتهى...

وقد ذكرنا بعض الأخبار الواردة فى ذَمّ طُول الأمل فلانطول الكلام بذكرها.

قال بعض المحققين ينبغى ان يعلم انّ ماتهواه النّفس ليس كلّه مذمُوماً وما لاتهواه النّفس ليس كلّه مَمدوحاً بَل المعيار هو انّ كلّ مايرتكبُه الأنسان لمحض الشَّهوة النَّفسانية واللّذَة الجِسمانيّة والمقاصد الفانية الدّنياوية ولم يكن الله مقصوداً له فى ذالك فهو من الهَوى المَذمُوم ويتَّبع فيه النّفس الامارة بالسُّوء وان كانت مُشتمِلاً على زَجر النّفس عن بعض المشتهيات ايضاً كمن يترك لذيذ المأكل وَالمَطعم والمَلبَس ويُقاسى الجوع والصّوم والسّهى للأشتهار بالعبادة وجلب قلوب الجهال وما يرتكبه الأنسان لِأطاعة امرُه

ويحصل رضاه وان كان ممّا تشهية نفسه وتهواه فَلَيس هُو من الهَوىٰ المذمُوم كمن يأكل ويَشرب لأمرِه تعالى بهما او ليَحصُل القوة على العبادة الى آخر ماذكره.

اقول: ماذكره لابأس به لكونه مُويّداً بالعقل والنّقل والحَمدُ للّه رب العالمين.

▫ قوله ﷺ: **جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ** ...

قال الرّاغب فى المفردات الصّبر الأمساك فى ضِيقٍ يقال صَبرتُ الدّابة حَبستُها بلا عَلَف وصَبرتُ فلاناً خَلفَته خِلفَةً لاخُروج له منها ثم قال.

والصّبر حَبس النّفس على ما يَقتضيه العقل والشّرع او عمّا يَقتضيان حبسهُما عنه انتهى موضع الحاجة منه.

وقال بعض العرفاء الصّبر هو ثُبات النّفس وعدم اضطرابها فى الشّدائد والمصائب بان تقاوم معها بحيث لاتخرجها عن سعة الصّدر انتهى.

والمطَيته هى الدّابة الّتى تَركب والجمع منها على مطايا قال الشّاعر.

اَلستُم خَير مَن رَكِب المَطايا وَاَندَى العالَمين بُطون راحٍ...

وكيف كان ففى الكلام استعارة حيث انّه ﷺ شَبّه الأنسان اعنى النّفس النّاطقة الأنسانية الّتى هى فَصله الأخير وشيئية الشّيى بصورته لابمادّته، بالرّاكب والصّبر باالدّابة الّتى تركب عليها فكما انّ الأنسان يَركَب على الدّابة او أىّ مَركوبٍ كان لأجل طَىّ المسافة والبلوغ الى الغاية فى السّير الظّاهرى فكذالك لابدّ له من الرُّكوب على مَطية الصّبر فى السّير الواقعى والسُّلوك الى الله تعالى ضرورة انّه لو لم يَركب عليها يقع فى خَطَرٍ عظيم فانّ الدّنيا دارٌ بالبلاء مَحفُوفة وبالغَدر مَعروُفة والحوادث فيها كثيرة ولا مَخلَص لِلأنسان منها اِلا بالصّبر كما سيأتى تفصيل الكلام فيه.

ثمّ انّه لاشك فى مدح الصّبر وحُسنه وقد دلّت عليه الادّلة النَقليّة والعَقليّة.

امّا النّقلية: فمن الآيات قال الله تعالى:﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ**

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، اَلَّذِينَ إِذا اَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[1]

قوله تعالى مُخاطباً لنبيّه ﷺ: فَاصْبِرْ كَما صَبَرَوا أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2]

و: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ ما كُذِّبُوا﴾[3]

و: ﴿اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4]

و: ﴿وَّ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ ماكانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]

و: ﴿اُولئِكَ يُؤْتَوْنَ اَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ بِما صَبَرُوا﴾[6]

و: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا﴾[7]

و: ﴿وَاَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[8]

و: ﴿وَاصْبِرْ فَاِنَّ اللهَ لايُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[9]

و: ﴿وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ اِلاّ بِاللهِ﴾[10]

و: ﴿وَّ اِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَاِنَّ ذالِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[11]

و: ﴿فَاصْبِرْ عَلىٰ مايَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[12]

و: ﴿فَاصْبِرْ اِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[13]

و: ﴿اِصْبِرْ عَلىٰ مايَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ﴾[14]

و: ﴿رَبَّنا اَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَّ ثَبِّتْ اَقْدامَنا﴾[15]

و: ﴿وَالصّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[16] و غيرها من الآيات.

وامّا الاخبار الواردة في مَدح الصّبر فكثيرة ايضاً ونحن نذكر شَطراً منها.

روى في البحار باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال عليه السلام الجَنَّة مَحفُوفة

١- البقرة- ١٥٥/١٥٦
٢- الاحقاف- ٣٥
٣- الانعام- ٣٤
٤- النحل- ٤٢
٥- النحل- ٩٦
٦- القصص- ٥٤
٧- السجده- ٢٤
٨- النساء- ٢٥
٩- هود- ١١٥
١٠- النحل- ١٢٧
١١- آل عمران- ١٨٦
١٢- طه- ١٣٠
١٣- الغافر- ٧٧
١٤- ص- ١٧
١٥- البقرة- ٢٥٠
١٦- البقرة- ١٧٧

بالمكارة والصَّبر فَمن صَبر على المكاره فى الدّنيا دَخَل الجَّنته وجَهنَّم مَحفُوفة باللَذّات والشَّهوات فَمَن اَعطىٰ نَفسَه لَذَّتَها وشهواتها دَخَل النّار انتهى...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام قال اذا دَخل المُؤمن قبره كانت الصّلوة عن يَمينه والزّكوة عن يَساره والبرّ مُطِلٌ عَليه وتنحى الصّبر ناحية فاذا دَخل عليه المَلَكان اللَّذان يَليان مسألته قال الصَبر لِلصّلوة والزّكوة والبِرّ دوُنكم صاحبكم فأن عجزتُم عنه فانا دونه انتهى...

ومنها ـ مارواه ايضاً عن ابى حمزة قال قال ابو جعفر عليه السلام لما حَضرت ابى على ابن الحسين عليهما السّلام الوفاة ضَمَّنى الى صدره وقال يا بُنىّ اوّصيك بما اوصانى به ابى حِين حَضرَته الوفاة وبما ذَكَر انّ اَباه اَوصاه يا بُنىّ اِصبِر على اَلحقّ وان كان مُرّاً انتهى...

ومنها ـ مارواه عن يونس ابن يعقوب قال اَمرَنى ابوُعَبدالله ان آتِى المفَضل واُعَزّيه بأسمعِيل وقال اقرء المُفضَّل السّلام وقل له انّا قد اُصبنا بأسمعيل فَصَبرنا فأصبر كما صَبَرنا اردنا امراً واراد الله اَمراً فَسلّمنا لامر الله عزّ وجل انتهى...

ومنها ـ مارواه عن ابى حمزة الثمالى قال قال ابو عبدالله من ابتلىٰ من المؤمنين ببلاءٍ فَصَبر عليه كان له مثل اَجر الف شهيدٍ انتهى...

ومنها ـ مارواه عن ابى عبدالله عليه السلام قال الصَّبر من الأيمان بمَنزَلة الرّأس من الجَسَد فاذا ذَهب الرأس ذَهب الجَسد كذالك اذا ذَهَب الصَّبر ذَهب الأيمان انتهى...

ومنها ـ مارواه ايضاً باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام قال اِصبِروُا على المصائب وقال اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ اين الصّابروُن فيَقوّم فئام من النّاس ثمّ يُنادى اين المُتصَبِّرون فيقوم فِئامٌ من النّاس قلت جعلت فداك ومـاالصّابرون قال اداء الفرائض والمُتصبرّوُن على اجتناب المحارم

انتهى...

ومنها ـ مارواه عن ابى عُمير عن جميل عن ابى عبدالله قال عليه السلام نحن صُبَّرو شِيعتُنا أصبَر منّا وذالك إنّا صَبَرنا على مانَعلَم وصَبَروا على مالايَعلمُون انتهى...

ومنها ـ مارواه باسناده عن عليٍّ قال عليه السلام لايَذوُق المَرء من حقيقة ايمانٍ حتّى يكون فيه ثلث خصال الفقه فى الدّين والصَّبر على المَصائب وحُسن التَقدير فى المَعايش انتهى...

ومنها ـ مارواه ايضاً عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام كَم من صبرِ ساعةٍ قداَورثت فَرَحاً طَويلاً وكم من لذّة ساعةٍ قد اورَثَت حُزناً طَويلاً انتهى...

ومنها ـ ما عن داود ابن فرقد عن الصّادق عليه السلام قال عليه السلام اوحى الله الى موسى ابن عمران ما خلقت خَلقاً هو اَحَبّ اليَّ من عَبدى المؤمن انّى انّما ابتليه لما هو خَيرٌ له وازوى عنه لما هو خيرٌ له واُعطيه لما هو خيرٌ له وانا اَعلَم بما يصلح له (عليه) حال عبدى المَومن فَليَرض بقضائى وليَشكُر نَعمائى وَليَصبر على بلائى اَكتُبُه فى الصّديقين اذا عمِل برضاى واطاع لِأمرى انتهى...

منها ـ مارواه بأسناده عن ابى عبدالله عليه السلام قال عليه السلام انّ العبد ليكون له عِند الله دَرَجة لايبلغها بعَمله فيَتبله الله فى جَسده او يُصاب فى وُلده بماله او يُصاب فى ولده فأن هُو صَبَر بَلَّغه الله ايّاها انتهى...

«اقول الأحاديث الّتى رَويناها نقلناها عن البحار ج ١٥ الجزء الثانى منه ص ١٤٠ الى ص ١٤٦ ط كمپانى»...

واما الأدّلة العقليّة:فمنها ـ انّ الصَّبر من كمال النّفس وكلّما كان كذالك يَجُب الأخذ به عَقلاً فالصَّبر ممّا يجب الأخذ به.

امّا انّه كمالٌ للنّفس فلانّه على ماعَرَفوه عبارة عن ثُبات النّفس وعدم اضطرابها فى الشّدائد بأن تُقاوم معها بحيث لاتخرجها عن سعة الصّدر او انّه مقاومة النّفس مع الهَوىٰ وكيف كان فلا شكّ فى كونه كمالاً لها ضَرورة انّ

النّفس ما لم تكمُل بالثّبوت والطّمانينيّة تكون ناقصة وامّا الكبرى اعنى وجوب الأخذ به فهو ايضاً مسلّمٌ فالنّتيجة قطعيّة.

ومنها ـ انّ ضِدّ الصّبر هو الجَزَع وقد ثَبت عقلاً قُبح اَلاِتّصاف به لكونه من الضّعف فيجب تركه وعدم الاتّصاف به اَلا ترى انّ العُقلاء يَذُمّون مَن يَتّصفَ به وكون الجَزَع مذمُوماً يوجب كون الصّبر مَمدوُحاً حَسَناً قضاءً لِحقّ الضدّين ولا شكّ فى حكم العقل بمتابعة المَمدوُح.

ومنها ـ انّ الأنسان لَو لَم يَصبَر على الشّدائد والمصائب الواقعة الخارجة عن قدرته واختياره فلامحالة يَجزَع ويَضطرب والمفروض انّ الجزع لايَنفعه عاجلاً وآجلاً مع انّ الصّبر يَنفعه ومعلوم ان العَقل يَحكُم بالأخذ بما يَنفعه دون مالايَنفَعه وهو المطلوب.

فظهر بذالك كلّه انّ الصّبر من الكمالات النّفسانية الّتى يجب الأَخذ به والرُّكُون اليه وكَفىٰ به مَدحاً ماوَردت فى الآيات والأخبار وكلمات الأخيار واتّصافهم به كيف وقد ذَكَر الله سبحانه وتعالى الصّبر فى كتابه العَزيز فى نيّف وسَبعين مَوضعاً وأَمر نبيّه ﷺ به فقال فاصبِر كما صَبَر اولُوالعَزم من الرُّسل ولا تَستَعجل لهم وقال ﷺ النَّصر فى الصَّبر وقال ﷺ بالصّبر يُتوقع الفَرج وقال ﷺ الأناة من الله والعجلة من الشّيطان فَمَن هداه الله تعالى بنور توفيقه اَلهَمه الصَّبر فى مواطن طلباته والتّثبُّت فى حركاته وسَكناته وكثيراً ماأَدرَك الصّابر مرامه اوكاد، وَفات المُستعجل غَرضَه اوكاد.

قال الاشعث ابن قيس دخلت على اميرالمؤمنين عليه السلام علىّ ابن ابيطالب فوَجدتُه قد اثر فيه صبره على العبادة الشّديدة ليلاً ونهاراً فقلت يا اميرالمؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشّدة فَما زادنى الى ان قال عليه السلام:

اصبر على مضض الأدلاج فى السَّحَر

وفى الرَّواح الى الطّاعات فى البكر

أنّـــى رأيت وفـــى الأيـــام تَـــجربةُ
للـــصَّبر عـــاقبةٌ مَـــحمُودة الأثـــر
وَقَـــلّ مـــن جَـــدّ فـى امـرٍ يُـؤملّه
وَاســـتصحب الصَّـبر الّا فـازَ بـالظَّفر

وقال الآخر:

واذا اَمسَك الزّمـــــان بـــضُرٍّ ... عَظُمت دوُنه الخُطُوب وجِلَّت
واَتَت بَـــعده نَـــوائب اُخـرى ... سَـمَت نـفسك الحياة ومِلَّت
فأصبطروا اَنتظِر بُلُوغ الأمـانى ... فـــالرِّزايـا اذا تـوالَت تَـولّت
واذا وَهَـــنَّت قـــواك وجَـلّت ... كشـفت عـنك جـملةً وتـخلّت

وقال الآخر:

انّ الامور اذا اشـتَدَّت مسـالكها ... فالصَّبر يَفتح مـنها كُـلّ مـارتجا
لايَـتأسَّنَ وان طـالت مـطالبه ... اذا استَعنَت يَصبرٍ ان تَرى فَرَجا

ولمحمود الورّاق فيه:

انّـى رأيت الصَّـبر خَـيرُ مُـعوّلٍ ... فِـى النّـائبات لِـمَن اراد مُـعوّلاً
ورأيتُ اسـباب القـناعة اُكـدّت ... بَعر الغـنىٰ فَـجَعلتُها لِـى مَـعقلاً
فـــاذا يـــنابى مـــنزِل جـاوزته ... وجـعلت مـنه غـيره لى مـنزلاً
واذا غَـــلا شـــيىءُ عَـــلّى تـــركته ... فيكون اَرخَص مـايكون اذا غَـلا

وقال الآخر:

اذا ما اتاك الدَّهـر يَـوماً بِـنكبةٍ ... فاَفرَغ لها صَبراً وَوَسِّع لها صَدراً
فـــانَّ تَـصاريف الزَّمـان عَـجيبةٌ ... فَيَوماً تَرى يُسراًَويَوماًتَرى عُسراً

وقال الآخر:

وما مَسَّنى عُسرُ فـفَوَضّتُ اَمـرَه ... الى المَـــلَك الجـبّار اِلّا تَـيَّسرا

وايضاً قال بعضهم:

الدَّهـــر لايَـبقىٰ عـلى حـالةٍ ... لابُـــدّ ان يُـــقبل او يُـــدبرا

فأن تَـــــلَّقاك بـــــمَكروهةٍ فـأصبِر فـانّ الدَّهـرَ لايَـصبراً

وقال الآخر:

اَما والَّذى لايَـعلَم الغَـيب غَـيره ومَن لَيس فى كلّ الامور له كُفوُ

لئن كان بَدء الصّبر مُـرّاً مـذاقـه لقد يُجتَبىٰ من بَعده الثَّمَر الحُلُو

وقال الاخر:

علىٰقَدر فَضل المَرء تأتِى خُطُوبه ويحمد فـيه الصّبر مـمّا يُـصيبه

فَمَن قـلّ فـيما يـلتفيه اصطباره لقـد قَـلَّ فـيما يَـرتجيه نـصيبُه

وقال الاخر:

ما اَحسَن الصَّبر فى الدّنيا واَجمله عـند الاَلِـه واَنـجاه مـن الجَـزَع

خاتمة ـ نذكر فيها بعض كلمات العُرفاء فنقول.

اعلم: يرحمك الله انّ الصّبر منزلٌ من منازل السّالكين ومقامٌ من مقامات المُوحّدين وبه يَنسلك العَبد فى سِلك المُقرّبين ويَصل الى جوار ربّ العالمين وقد اضاف الله اكثر الدّرجات والخيرات اليه وذكره فى ينفّ وسبعين موضعاً فى القرآن ووَصفَهم باوصافٍ قال الله تعالى:﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسنىٰ عَلىٰ بَنِي اِسْرائيلَ بِما صَبِروُا**﴾[1]

و : ﴿**اُولئِكَ يُؤْتوْنَ اَجْرَهُمْ مَرَّتَينِ بِما صَبَروا**﴾[2]

و : ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَروُا اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ ما كانوُا يَعْمَلوُنَ**﴾[3] وغيرها مِن الآيات وقد تَقدّم شطر منها فما من فَضيلةٍ الّا واَجرَها بتقديرٍ وحساب الّا الصَّبر ولذا قال الله تعالى:﴿**اِنَّما يُوَفّىَ الصّابِروُنَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ**﴾[4] و وَعدَ الله الصابرين بانّه مَعهُم وقال واصبر انّ الله مَعَ الصّابرين، وجَمَع للصّابرين الصَلوة والرّحمة والهُدى فقال اُولئك عَليهم صَلواتٌ من ربّهم ورَحمةٌ واُولئك هم المُهتَدون.

١- الاعراف- ١٣٧
٢- القصص- ٥٤
٣- النحل- ٩٧
٤- الزمر- ١٠

وقال رسول الله ﷺ الصّبر نصف الأيمان وقال ﷺ ايضاً مِن اَقلّ ماأُوتيتُم اليَقين وعزيمته الصّبر ومن أُعطِى حَظّةٍ منهما لم ينال مافاته من قيام اللّيل وصيام النّهار الحديث.

وقال ﷺايضاً الصّبر كَنزٌ من كُنُوز الجنة وقال ﷺ ايضاً اَفضَل الاعمال ماأُكرِهت النُّفوس عليه والآيات والأخبار فى باب الصّبر ومدحه كَثيرة كما لايخفى على المتامّل.

ثمّ انّ الصّبر تارةً يكون على الطّاعات وتارةً على المعاصى وتارةً على المصائب، وافضلها الصّبر علىالمعاصى ثمّ الصّبر على الطّاعات واَدناها الصّبر على المصائب قال رسول الله ﷺ الصّبر ثلاثة صَبرٌ عند المُصيبة، وصَبرٌ على الطّاعة، وصَبرٌ عن المَعصية ثم قال ﷺ.

فمن صَبَر على المُصيبة حتّى يَردُّها بحُسن عزائها كَتَب الله له ثلاثمائه درجة مابين الدَّرَجة الى الدّرجة كما بَين السّماء الى الأرض، ومَن صَبَر على الطاعة كَتَب الله له ستمائة دَرَجة ما بين الدّرجة الى الدّرجة كما بين تُخُوم الأرض الى العَرش، ومن صَبر على المَعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدّرجة الى الدّرجة كما بين تخوم الأرض الى مُنتهى العرش انتهى.

وقال ﷺ ايضاً سيأتى على النّاس زمان لاينال المُلك الّا بالقتل والتّجبُر، ولا الغِنى الّا بالغصب والبُخل ولا المَحَبّة الّا باستِخراج الدِّين واتّباع الهوى فَمَن اَدرك ذالك الزّمان وصَبَر على الذُّل وهو يقدر العِزّ وصَبر على الفقر وهو يقدر على الغِنى وصَبَر على البَغضَة وهُو يقدر على المَحَبّة اتاه الله تواب خَمسين صِدّيقاً مِمّن صَدّق بى انتهى «جامع السعادات ج ٣ ص ٢٨٤».

قال بعض العرفاء فى تَفسير قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[1] ما هذا لفظه.

لانّ الصّبر انّما يكون بالقُوّة وانّ القوّة للّه جَميعاً فَمَن لايوَيّده الله بقُوّته

١- النحل- ١٢٧

لايستطيع ان يَصبر ثمّ قال والصّبر حَبس النّفس على جَزَعٍ كامِن عن الشكوى اقول مراده به حبس النّفس عن اظهار الجزع بالشّكاية الى الغير مع كُمونٌ الجَزع فى الباطن لانّه لولاه لم يكن حَبساً للنّفس فلم يكن صَبراً بل كان رضاء انتهى.

ولِنعم ما قال الشاعر العارف فى المقام حيث قال:

اِذا اشتَمَلت على البُؤس القُلوب ... وضاق بما به الصّدر الرَّحيبُ
واَوطَنَت المَكارِه واطمأنّت ... واَرسَت فى مَكامِنها الخُطُوب
ولَم تَر لِأنكشاف الضُرّ وجهاً ... ولا اغنى بحِيلَته الأريبُ
اَتاكَ على قُنُوطٍ مِنك غوثٌ ... يَمُنّ به اللّطيف المُستجيبُ
عَسَى الّهم الّذى امسيتَ فيه ... يكُونُ ورائَه فَرجُ قريبُ
فَيأمَنُ خائِفٌ ويُغاث عانٍ ... ويأتِى اهله النّائى الغَريبُ
تَصَبَّر ايّها العَبد اللّبيب ... لَعَلَّك بَعد صَبرك ان تحيبُ
وكُلّ الحادثات اذا تناهَت ... يكون وَرائها فَرَجٌ قَريبُ

وسيأتى منّا الكلام فى هذا الباب فى شرح بعض كلماته عليه السلام فى مضامين الخُطَب فأتنتظر انشاء الله.

□ **قوله عليه السلام: وَاَلتَّقْوىٰ عُدَّةَ وَفَاتِهِ...**

قد سبق منّا الكلام فى التّقوى مُفصّلاً وحيث انّ التّقوى عبارة عن حفظ النّفس عن مخالفة امر الله جلّ جلاله وارتكاب مانُهِى عنه قال الله تعالى: ﴿**ما اٰتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ**﴾[1] فلاجَرَم صحّ القول بانّها عُدّة وفاته ومَوته.

قال الشّارح المحقّق البحرانى قدّه فى شرحه لهذا الكلام لمّا كان التّقوى قد يراد به الزّهد وقد يراد به الخَوف من الله المُستلزم لِلزّهد كما علّمت وكانت العُدة هو مااستعدّ به الأنسان لِلقاء الحوادث وكان المَوت اَعظم حادثة يسبق

١- الحشر- ٧

الى الأنسان من احوال الآخرة كان التّقوى عُدّة لِلموت اذ كان المتّقى مشغول السّير بعظمة الله وهيبته عن كلّ حالةٍ يَلحَقه فلايكون للموت عنده كثير وقع ولا عظيم كَربٍ وقد يُراد بالتّقوىٰ مطلق الأيمان وبالوفاة ما يُعدّها مَجازاً وظاهر كون الأيمان عدّةً واقيته من عذاب الله انتهى بالفاظه وعباراته.

اقول: لمّا كانت العُدة بضمّ العين هى الأستعداد يقال كُونُوا على عُدّةٍ،وهى ماأعددته لحوادث الدّهر من مالٍ وسلاحٍ كما يقال اَخَذ للأمر عُدّته، فقال عليه السلام ما قال وحاصله انّ الأنسان لابُدّ له من المَوت قال الله تعالى:﴿**قُلْ اِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَاِنَّه مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ اِلىٰ عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ**﴾[1]و غيرها فيها ولا شك انّ الموت من اعظم الحوادث واَوحش الأسفار فينبغى ان يستعدّ الأنسان له بما يليق به ومن المعلوم انّ التّقوى خير الزّاد وقد اشار عليه السلام بما ذكرناه فى خطبةٍ اخرى حيث قال :**أُوصيكم عباد الله بتَقوى الله** الّتى هى الزّاد وبها المعاذ زادٌ مُبلِغ ومعاذٌ مُنجِح الى آخر الخطبة وسيجيىء شرحها انشاء الله ففى الكلام اشارة بل تصريحٌ بانّ التّقوى خير زادٍ للموت وهو ممّا لاريب فيه فانّ المتّقين فى مقام امين والحمد للّه رب العالمين.

▫ **قوله عليه السلام: رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرّاءَ وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضاءَ ...**

والمراد بالطريقة الغرّاء الطّريقة الواضحة النّيرة وبالمَحجَّة البيضاء مُعظم الطّريق الّذى لاأعوجاج فيه والطّريق فى المقام عبارة عمّا يَسلُكه السّالك فى سَيره وسُلوكِه إلى الله تعالى وحيث انّ الطُّرُق الى الله كثيرة فى ظاهر الأمر كما ترى كثيراً من النّاس واتباع المَذاهَب المختلفة يَدَّعُون التّوحيد والسّلوك الى جنابه وليس الأمر كما زعموه كما قيل:

وكـــلٌّ يَـدّعى وَصـلاً بِـليلىٰ ولَيـــلىٰ لاتـقِرُّ لَـهم بـذاكـا

فقال عليه السلام: **رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرّاءَ** وهى مُنحصِرةٌ فى طريق الأنبياء والأوصياء لِوضُوحه وعدم خفائه وامّا سائر الطُّرق فمَيسرها الى الشّيطان ويَدُلّ عليه

١- الجمعه- ٨

وُجُوهٌ من العقل والنّقل.

امّا العقل: فلانّ الأنبياء ثمّ الأوصياء مَن يَحذو حذَوهم شأنهم ارشاد النّاس الى الهُدى وانقاذهم من الهَلَكات والسَقَّطات ومن كان كذالك لايجوز عليه العُدول عن طريق الحقّ والّا يلزم الخُلف وهو المطلوب.

وثانياً: انّه قد ثَبَت عقلاً ونقلاً عِصمة الأنبياء والأوصياء ومَن كان مَعصُوماً لايجوز عليه الخطاء.

وثالثاً: انّهم حُجَج الله على خلقِه ووسائط بين المخلوق والخالق والعقل يحكم بمتابعتهم واذا حَكَم العقل بمتابعتهم فالطَريق طريقهم لاغيره فثبت انّ الطَريقة الغرّاء هى ماذكرناه وهو المطلوب.

وامّا النّقل: فمنه قال الله تعالى:﴿**وَمَا اٰتيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1]

و: ﴿**قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[2]

و: ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[3]

ثم انّه بعد ماثبت انّ الطريقة الغرّاء هى طريقة الرّسول ﷺ فى حياته فلقائلٍ ان يقول بعد موت الرّسول ﷺ ما هذه الطَريقة الّتى يجب الأخذ بها هل هى الطَريقة الّتى سَلَكت بها عامّة النّاس وجمهورهم او ليس كذالك وهذا هو المقصود الاهمّ فى الباب والّذى ينبغى الأعتماد عليه وتعضده الآيات والأخبار هو الثّانى.

وتوضيح ذالك انّ المراد بالطَريقة الغرّاء ليس الّا كونها صراطاً مُستقيماً غيرِ ذى عوج ويدلّ عليه قوله تم فى سورد الحمد: ﴿**اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ الى قوله﴿**وَلاَ الضّٰالّينَ**﴾[4]وقد اَستَفدنا من الأخبار انّ الصّراط المستقيم هو صراط علّيٍ واهل بيته.

١- الحشر- ٧
٢- آل عمران- ٣١
٣- الاحزاب- ٢١
٤- الحمد- ٦/٧

فمنها مارواه المجلسى قدّه فى البحار باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام فى قوله هذا صراط عَلَيَّ مستقيم، قال عليه السلام هو والله على الصّراط والميزان...

وباسناده ايضاً عن عبدالله ابن سليمان عن ابيعبدالله قال قلت له قد جائكم بُرهانٌ من رَبّكم وأنزَلنَا اليكُم نوراً مُبينا، قال عليه السلام البُرهان محمّد صلى الله عليه وآله والنّور علّى، قال قلت له صراطاً مستقيماً، قال الصّراط المستقيم علىٌ «بحار الانوار ج ٩ ص ٦٩ ط كمپانى»...

والأحاديث كثيرة ان اَردَت الاطلاع عليها فراجع البحار وغيرها.

▫ **قوله عليه السلام: اَغْتَنَمَ الْمَهَلَ...**

قال فى المنجد المَهل والمَهَل مصدران الرّفق والتُؤده انتهى اقول وقال الجوهرى المَهَل بالتّحريك التّودة والتباطى والأسم المُهلة وفلان ذو مَهَلٍ بالتّحريك اى ذوُ تقدّم فى الخير ولا يقال فى الشّر انتهى.

وعليه فالمعنى اَغتَنِم ايّام مهلته وَهِى حيوته فى الدّنيا للعمِل الصّالح وقد وردَت به الآيات والآثار.

امّا الآيات فكثيرة. قال الله تعالى:﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ اَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[1]

و: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ اوُلِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾[2] امّا الآثار.

فمنها- ماروُى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال اِغتَنم خَمساً قبل خَمس شبابك قبل شيبك، وغناك قبل فقرك وفرافك قبل شُغلك، وَصحّتك قبل سُقمك، وحياتَك قبل مَماتك انتهى «مواعظ العدديّة ص ١٥٢»...

ومنها - مارواه فى البحار بأسناده عن النّبى صلى الله عليه وآله قال عَلى العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يُناجى فيها ربّه عزَّ وجَل وساعةٌ يُحاسب فيها نَفسه وساعةٌ يَتفكّر فيها فيما صَنَع الله عز وجل اليه وساعة يَخلُوا فيها بحظ نفسِه مِن الحلال انتهى« ج ١٥ باب التفكر والأعتبار ص ١٩٤»...والأخبار فيه كثيرة.

١- الطارق- ١٧

٢- المزمل- ١١

□ **قوله عليه السلام: وَبادِرَ الْأَجَلَ...**

قال فى المنجد بادِر مُبادرةً وبداراً الى الشّيى اَسرَع انتهى والأجل على ما قاله الرّاغب فى المفردات المدّة المضروبة للشّيى ويقال للمدّة المَضروبة لحياة الإنسان اَجَل فيقال دنىٰ اجله عبارة عن دُنُّو المَوت انتهى.

وعليه فالمراد بقوله عليه السلام فى المقام التّوجه الى المَوت وعدم الغفلة عنه فانّ الغفلة عنه رأس كلّ خطيئة وقد نَطَق به الكتاب والسّنة.قال الله تعالى:**﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ اَوِ الْقَتْلِ﴾**[1]

و : **﴿وَاَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِىَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾**[2]

و : **﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذالِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾**[3] و يظهر ممّا ذكرناه من الآيات وما لم نذكره انّ الموت حقّ لابدّ لكلّ احدٍ من الوُرود عليه سواء شاء اَم لَم يشاء فانّ كلّ نفسٍ ذائقة الموت، وكلّ من عليها فانٍ، واَينما تَكونُوا يُدرككم المَوت وغيرها واذا كان كذالك فلابدّ لِلأنسان من اَلتّهيُوءِ له باتيانه الأعمال الصّالحة المأمورة بها فى الشّريعة المطّهرة واجتنابه عن قبائح الأعمال وسَيئات الأفعال واصلاح افعاله واعماله بالتّوبة والأنابة الى الرّب وهذا هو المبادرة الى الأَجل كما لايخفىٰ على المُتامّل.

□ **قوله عليه السلام: وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ...**

هذه الجملة كانّها مفسّرة لما قبلها فانّ المُبادرة الى الأَجل لاتكون الّا بالتّزوُّد من العَمَل ضرورة انّ العمل تارةً يكون حَسناً مَرضيّاً عند الله ورسوله كالصّلوة والصّوم والحجّ وغيرها من العباديّات وغيرها وهذا هو المقصود بالعبارة اذ لايمكن التّزَوُّد بغيرها من الأعمال ليوم لاينَفَع فيه مال ولا بنون الّا من اتى الله بقلبٍ سليم وتارةً لايكون العمل كذالك ولا شك انّ المبادرة الى الأجل لاتتحقق الّا بالاعمال الصّالحة وهو ظاهر.

١- الاحزاب- ١٦
٢- المنافقون- ١٠
٣- ق- ١٩

ومن كلام له عليه السلام (٧٦)

▫ قوله عليه السلام إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله تَفْوِيقاً، وَاللهِ لَئِن بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللِّحَامِ اَلْوِذَامَ التَّرِبَةَ.

وَيُرْوَى التُّرَابَ الْوَذَمَةَ وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ. قاله الرّضى قدّه ...

◁ اللّغة

(التُّرَاثَ) بضمّ التّاء الأرث والتاء والهمزة فيها بدل من الواو (لَأَنْفُضَنَّهُمْ) نَفَض، حَرَّك يزول عند الغبار والنّون فى كلامِه عليه السلام للتأكيد (اللِّحَامِ) القصّاب (وَاَلْوِذَامَ) جمع وَذَمَة مُحَرَّكة (التَّرِبَةَ) تُرب الشّى من باب تَعب بمعنى لَصِق بالتّراب.

◁ المعنى

قال الرّضى قدّه فى معنى هذا الكلام ما هذا لفظه قوله عليه السلام (لَيُفَوِّقُونَنِي) اى يُعطوننى من المال قليلاً قليلاً كفواق الناقة وهى الحَلبَة الواحدة من لَبنها (اَلْوِذَامَ) جمع وذمة محركّة وهى الحزّة من الكَرش والكَبِد يقع فى التّراب فتنفضّ انتهى.

◁ الشّرح

قبل الشّروع فى بيان المقصود لابأس بصرف الكلام الى نسب بنى اميّة على سبيل الأجمال فتقول قال الشارع الخوئى فى المقام ما هذا لفظه.

فى البحار من كامل البهائى انّ اُمية كان غلاماً رومياً لعبدِ الشّمس فلمّا لَقاه كيّساً فطناً اَعتقه وَتَبنّاه فقيل اميّة ابن عبد الشّمس كما كانوا يقولون زَيد ابن مُحمّد لذا روَى عن الصّادقين عليه السلام فى قوله تعالى:﴿**الٓمٓ، غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾[1]انّهم بنو اميّة ومن هنا يظهر نَسَب عثمان ومعاوية وحَسَبهما وانّهما لايصلحان للخلافة لقوله صلى الله عليه وآله الائمّة من قُريش ثمّ قال قدّه.

وقال مولّف كتاب الزام النواصب اُميّة لم يكن من صُلب عَبد شمس وانّما هو من الرُّوم فاستلحقه عبد شمس فنُسِب اليه فَبَنو اميّة كلّهم ليس من صَميم قريش وانّما هُم يلحقون بهم ويُصدّق ذالك قول اميرالمؤمنين عليه السلام: **اِنَّ بَنِى اُمَيَّةَ لُصّاق** ولَيسُوا صحيحى النَّسب الى عبد مناف ولم يستطع معاوية انكار ذالك انتهى ماذكره قدّه فى شرحه.

اقول - ماذكروه فى المقام لاكلام فيه عند اهل التّحقيق وعليه شواهد كثيرة كما لايخفى على المتّتبع فى الأثار والأخبار ولولا مخافة طول الكلام لَقلنا فيهم وفى نسَبَهم مااستَفدناه من المُورّخين فى المقام وللبحث فيه مقام آخر.

قال الشارح المُعتزلى فى شرحه اعلم انّ اصل هذا الخبر قد رواه ابو الفرج فى كتاب الاغانى باسناد رَفعَه الى الحرب ابن جيش قال بعثنى سعيد ابن العاص وهو يومئذٍ امير الكوفة من قبل عثمان بهدايا الى المدينة وبعث مَعى هدية الى علىٍّ وكتب اليه انّى لم اَبعث الى اَحدٍ اَكثر ممّا بعثت به اليك الّا الى اميرالمؤمنين فلمّا اتيتُ عَليّاً وقَرء كتابه قال عليه السلام لشدّ مايَخطُر على بَنى اُميّة **تُراثَ مُحَمَّدٍ**.

ثمّ قال ابو الفرج باسنادٍ آخر ذكره فى كتابه انّ سعيد ابن العاص حيث كان امير الكوفة بَعث مَع ابن ابى عايشة مولاه الى علىّ ابن ابيطالب بصلةٍ فقال علىّ عليه السلام والله لايزال غلام من غلمان بنى اميّة يبعث الينا ممّا افاء الله على رسُوله بِمثل قُوت الأرملة: **وَاللهِ لَئَن بَقِيتُ لَأَنفُضَنَّهَا نَفْضَ** القصّاب: **الوِذَامَ التَّرِبَةَ**

١-الروم- ١/٢

انتهى.

ثمّ انّ سعيد ابن العاص على ما فى الأصابة والأستيعاب هو سعيد ابن العاص ابن سعيد ابن العاص ابن اميّته القُرشى الأموى ابو عثمان، وامّه ام كلثوم بنت عبدالله ابن ابى قيس ابن عَمر والعامرية ولم يكن للعاص وَلدٌ غَير سعيد المذكور وكان له يوم مات النّبى صلى الله عليه وآله تِسع سنين وقُتِل ابُوه يَوم بَدر قتله علىٌّ عليه السلام ثم قال فى الأستيعاب استعمله عثمان على الكوفة ثمّ عَزله عُثمان وولّى عليها الوليد ابن عقبة ثمّ شكّاه اهل الكوفة فعزله وَرَدّ سَعيداً الى اهل الكوفة فَردّوه الى عُثمان وكَتبوا اليه لاحاجة لنا فى سَعيدك ولا فى وَليدك وكان فى سَعيد تَجَبُرٌ وغِلظةٌ وشدّةٌ سلطان فلمّا اجتمع النّاس الى معاوية واَستَوثق لَه الأمر وَلّاه المَدينة الى آخر ماقالوا فيه.

وكان لسعيد سبعة بَنين عمرو ابن سَعيد الأشدق، ومُحمَّد وعبدالله، ويحيى، وعثمان وعَنبَسة وابان وتوفّى سعيد ابن العاص هذا فى خلافة مُعاوية سنة تسع وخمسين انتهى.

والحاصل انّ المقصود من هذا الكلام وامثاله هو اثبات مَظلُوميّته ومظلوميّة اهل بيته من جميع الجهات فانّ هذا المَورد وامثاله كلّه من شئون غصب الخلافة بعد النّبى صلى الله عليه وآله وهذا ممّا لاشكّ فيه وقد سبق الكلام فيه.

ومن كلام له عليه السلام (٧٧)

▫ قوله عليه السلام اَللّٰهُمَّ اَغْفِرْلِي مٰا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ،فَاِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَّي بِالْمَغْفِرَةِ، اللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي مٰا وَأَيْتُ مِن نَّفْسِي وَلَمْتَجِدْ لَهُ وَفٰاءً عِنْدِي ،اللّٰهُمَّ اغْفَرْلِي مٰا تَقَرَّبْتُ بِهِ اِلَيْكَ بِلِسٰانِي ثُمَّ خٰالَفَهُ قَلْبِي ،اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزٰاتِ الْأَلْحٰاظِ، وَسَقَطٰاتِ الْأَلْفٰاظِ، وَشَهَوٰاتِ الْجَنٰانِ، وَ هَفَوٰاتِ اللِّسٰانِ...

◁ اللّغة

(وَأَيْتُ) من وأى يأى بمعنى وَعَد والأمر منه إِ والتّاء للمتكلّم اى وَعَدتُ. (رَمَزٰاتِ الْأَلْحٰاظِ) رمزات جمع رَمز والألحاظ جمع لَحظ وهو باطن العَين (وَسَقَطٰاتِ الْأَلْفٰاظِ)اى لَغوها (وَشَهَوٰاتِ الْجَنٰانِ) اى شَهَوات القلب والغَرَض مَيله الى غير الفَضيلة (وَ هَفَوٰاتِ اللِّسٰانِ) زلّاته وخطيئاته.

◁ المعنى

(اَللّٰهُمَّ اَغْفِرْلِي مٰا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) من الخطيئات وسَيّئات الاعمال،(فَاِنْ عُدْتُ) ورجعتُ الى ما فعلتُه اَوّلاً،(فَعُدْ عَلَّي بِالْمَغْفِرَةِ) ثانياً اذ لاغافر للذّنب الّا انت (اللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي مٰا وَأَيْتُ) اى وَعدتُ واَضمَرتُ فى نَفسى، (وَلَمْتَجِدْ لَهُ) اى لما اضمرتُه ووعدتُه (وَفٰاءً عِنْدِي) (اللّٰهُمَّ اغْفَرْلِي مٰا تَقَرَّبْتُ بِهِ اِلَيْكَ بِلِسٰانِي ثُمَّ خٰالَفَهُ قَلْبِي) لمخالفة قلبى لسانى وهذا ممّا

لايليق بالمؤمن الحقيقى، (**اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحاظِ**) اى المعاصى الّتى تصدر منها، (**وَسَقَطَاتِ الْأَلْفاظِ وَشَهَوَاتِ الْجَنانِ، وَ هَفَوَاتِ اللِّسانِ**) اى الالفاظ الرديّة الساقطة والشَّهَوات القلبيّة المَمنُوعة وما يصدر عن اللّسان من الأباطيل والخرافات.

◁ الشّرح

المقصود من هذه الألفاظ والعبارات هو غُفران الله تعالى للعبد العاصى وصَفحه عمّا يودّيه الى الفضاحة والهَلاكة فى النَشأَتين ضرورة انّه لاغافر للذّنوب الّا هو وهذا ممّا لاريب فيه عقلاً وشرعاً فانّ شأن العبد المَعصية وشأن الحقّ المَغفرة فانّه هو الغفّار لِلذّنوب والسَّتار لِلعُيوب وقد دلّت عليه الآيات والآثار بما لامزيد عليه وانّما الأشكال فى انّ هذه الكَلمات والألفاظ صادقة فى حقّه ﷻ مع كونه ﷻ مَعصُوماً عقلاً وشرعاً والمعصوم لايَعصى ولا يخطى لابالأركان ولا بالجنان ولا بسائر اعضائه وجوارحه مطلقا سواء كان الذَنب من الصغائر ام من الكبائر اَو لاتصدق فعلى الاوّل تنافى العصمة وعلى الثّانى فما المراد بها فى المقام وغير المقام فنقول.

لاكلام فى ثبوت العِصمَة فى حق الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام عقلاً ونقلاً وقد مرّ الكلام فيه مُفصّلاً فى المجلّد الاوّل من هذا الكتاب واَشبَعنا الكلام فيه تَبَعاً لأصحابنا الاماميّة رضوان الله عليهم اجمعين.

ولا شك انّ العِصمَة عبارة عن عدم الخطاء عَمداً وسَهواً ونَسياناً فى الظّاهر والباطن والأفعال والأقوال وبعبارةٍ اخرى حِفظ الظّاهر والباطن فى القول والعَمل واذا ثبت فى حقّهم هذا المعنى فلابدّ لنا من حمل هذه العبارات وامثالها ممّا هو موجود فى مُتون ظواهر الاخبار والأدعيته المأثورة عنهم على معنى آخر والجواب عنه من وجوهٍ.

احدها: انّه لتأديب الامّة وتَعليمهم وتنبيهم على كَيفيّة الاقرار بالتّقصير والأعتراف بالذّنب والتّوبة فانّ هذا ممّا لابدّ منه ضَرورة انّه فى كيفيّة التّلفظ

والتّكلم عند التّوبة اثرٌ لايمكن انكاره.

وثانيها: انّه من قبيل التواضع والأعتراف بالعُبوديّة فانّ تَذكية المَرء نَفسه قبيحٌ.

وثالثها: انّ هذا الأعتراف والاقرار بالذّنب والأستغفار منه انّما هو على تقدير وقوعها بمعنى انّه ان صَدَر مِنّى شيىءٌ من هذه الأمور فَاغفِرلى وقالوا انّ صدق الشرطية لايلزم منه صدق كلّ واحدٍ من جُزئَيها وفيه ما لايخفى.

ورابعها: انّهم يَتكلّمُون على لسان امّتهم فاعترافهم بالذّنوب اعتراف بذنوب اُمّتهم لانّ كلّ راع مَسئُولٌ عن رَعيّته وانّما اضافوا الذّنوب الى انفسهم المقدّسة للاتّصال والسّبب ولا سبب اوكَدُ ممّا بين الرّسول او الأمام وبَينَ اُمّته ويُويّد هذا الأحتمال ماروى عن الصّادق عليه السلام فى قوله تعالى:﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَاَخَّرَ**﴾[1] حيث قال عليه السلام والله ما كان له ذَنبٌ ولاَهَّم بذنب ولكنّ الله حَمَله ذنوب شيعته ثمّ غَفَر ونقل عن المجمع اِنّه عليه السلام قال والله ما كان له ذنب ولكنّ الله سبحانه ضَمن له ان يَغفِرَ ذُنُوب شيعته على ماتقدّم من ذَنبهم وما تأخّر.

وخامسها: ما ذكره الشيخ علىّ ابن عيسى الأربلى فى كشف الغمة على مارواه فى شرح نهج البلاغة واستَحسَنه اكثر من تأخَر عنه كالمجلسى والشَيخ البهائى والطّريحى وغيرهم فانّه قدّه قال ماقال فى الدّعاء الّذى رواه عن ابى‌الحسن عليه السلام فى سُجدةِ الشُّكر وهو.

ربّ عَصيتُك ولو شئتَ وعزّتك لأخرسَتَنى، وعَصيتُك ببصرى ولو شئتَ وعِزّتك لاكُممتَنى وعَصيتُك بسمَعى ولَو شئتَ وَعزّتك لأصممتَنى الى ان قال عليه السلام وعَصيتُك بجميع جوارحى الّتى انعمتَ بها عَلَّى ولم يكن هذا احزاك منّى انتهى.

قال قدّه بعد ما قال وتقريره انّ الأنبياء والأئمة عليهم السّلام تكون اوقاتهم مَشغُولة بالله وقُلُوبهم مَملُوّه وخواطرهم مُتعلّقة بالمَلاء الاعلى وهُم عليهم

١- الفتح- ٢

السّلام اَبَداً فى المراقبة كما قال عليه السلام اُعبِدُالله كانّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك فَهُم اَبداً مُتوجّهُون اليه ومُقبلون عليه فَمتى انحَطّو عن تلك الرّتبة العالية والمنزلة الرّفيعة الى الاشتغال بالمأكِل والمَشرب والتَّفرّغ الى النّكاح وغيره من المباحات عَدُوّه ذَنباً واَعتقدوه خَطيئةً واستَغفروا منه ثمّ قال قدّه بعد كلام ذكره، والى هذا اشار عليه السلام انه لَيعان عَلى قلبى وانّى لأستَغفِرُ بالنّهار سَبعين مرّة ولفظة السّبعين انّما هى لعدّ الأستغفار لاالى الرّين وقوله عليه السلام حَسَنات الأبرار سَيّئات المُقرّبين انتهى ماارادنا ذكره وهذه الوجوه نقلها الخوئى قده فى شرحه ثم نقل بعد ذالك وجهاً آخر عن البَيضاوى ووجُوهاً عن المجلسى قدّه وقد نقلها عن المجلّد السّابع من البحار ونحن اعرضنا عن نقلها حذراً عن الأطناب ومن شاء الاطّلاع عليها فعليه بمآخِذها.

وسادسها: ماذكره الخوئى قدّه بعد نقله مانقلناه، وتَحسينه ماحقّقوه فى المقام ولا بأس بذكر عباراته قال قدّه وهو انّك قد عرفَت فى التّذييل الأوّل من تذييلات الفَصل الثّامن من فُصول هذه الخطبة انّ اوّل ما خَلَق الله سبحانه اَنوار النّبى والأئِمة عليهم السّلام كما عَرفت انّه سبحانه خلق تلك الأنوار من قبل ان يخلق العالم بالُوفِ مِن السّنين ومَرّ هناك فى حديث ابن الحسن العسكرى (البكرى) انّه سبحانه خَلَقها قبل ايجاد العالم باربَعة وعشرين واربَعمائة الف عام اذا تذكّرت ذالك فنقول.

انّهم قد كانوا حينئذٍ انواراً بَسيطة وجواهر محرّدة عن التّعلُّق بالأجسام والجسمانيّات خالصة عن الكُدورات فارغة عن القُيودات والعلاقات مُستغرفة فى تلك المدّة المتطاولة فى شهود جمال الحقّ سبحانه وتعالى مُشتغلة فى جميع هذه المدّة بالتّسبيح والتّقديس والتّنزيه تارةً فى حجاب القدرة واخرى فى حجاب العَظَمة وثالثة فى حجاب العزّة ورابعة فى حجاب الهَيبَة الى غير هذه من حُجب النّور المذكورة فى الحديث المذكور.

ثمّ اقتضت الحكمة الرّبانيته اهباطهم من عالم التّجرد الى عالم التّقيُّد

والتَّعلُق فَتَصَوَّروا بالصُّوَر الأنسانيّة هدايةً للخلق وارشاداً لِلامّة وحَصَلت لهم فى هذا العالم من القُيودات والعَلاقات ما هو مقتضى البَشريّة والجسمانيّة ولمّا لَم يَتمكّنوا فى هذا العالم من الأستغراق التّام والفراغ الكامل مثل تمكّنهم فى ذالك العالم لوجود التّعلّقات المانعة هنا وعدمها هناك استَغفَرو الله سبحانه لذالك واعترفوا بالتقصير اعتراف المُذنب المُقصّر هذا ماخطر بالخاطر القاصر والله الهادى الى المنهج القويم والصّراط المستقيم انتهى كلامه قدّه.

اقول : لانحتاج فى حلّ الاشكال الى هذه التكلّفات الّتى لاترجع الى مُحصّلٍ فانّ فيها ما لا يخفى على المتامّل العارف بالحقائق ولا سيّما ما ذكره الشّارح الخوئى قده وارتضاه وتَخَيّل انّ نسبته الى الوجوه السّابقة كنسبة الثّريا الى الثّرى ولَم يَتفطّن قدّه انّه اَوهن الوُجوه واَضعَفها ولا يَنبغى ان يُعتَمد عليه اصلاً وذالك لانّ حاصل ما ذكره قدّه هو انّ الجلبات البَشَريه صار مانعاً لهم عليهم السلام عن العُبُوديّة الكاملة الّتى كانت لهم قبل ذالك فانّهم عليهم السّلام على زعمه قدّه قبل الهُبوط من عالم التّجرد الى عالم التّقيد والتّعلق كانوا تامّين فى العُبوديّة مُستغرقين فى بحار معرفته ثمّ بعد ذالك حَصَل لهم التّقيد كما هو مقتضى البَشَريّة والجسمانية ولمّا لم يتمكّنوا فى هذا العالم مثل تمُكنّهم فى ذالك من الاستغراق التّام والفراغ الكامل لوجود المُعلّقات هنا وعدمها هناك استَغفَرُ والله لذالك واعترفوا بالتّقصير اعتراف المذنب المقصّر انتهى ويرد عليه.

امّا اوّلاً: انّ الكلام فى العِصمَة الثّابتة فيهم وانّه مَاالمراد منها فى هذا العالم فان كان المراد بها هو العِصمَة عن الذّنب اَىّ ذَنبٍ كان كما هو الحقّ فما معنى كلامه قدّه اَوَلَم يَعلَم قدّه انّه وَقَع فيما لايقول به مِن حيثٍ لايَحتَسب ضرورة انّ عدم الأستغراق التّام والفراق الكامل فى مقام العُبوديّة يُعدّ ذنباً وتَقصيراً واقعاً سواء كان منشائه التّعلُقات والقُيودات البَشريّة الجسمانيّة كما هو يقول به ام شيىء آخر فانّ البحث ليس فى عِلّة التقصير بل البحث فى ثبوته وعَدمِه.

وثانياً: انّ لازم ما ذكره هو القُصور لاالتَّقصير بل لايُعدَّ هذا تقصيراً ولا شكَ انّ الاستغفار يصّح مِن المُقصّر لاالقاصر وذالك لانّ الاختيار داخل فى التّقصير وخارج عن القاصر فانّ المقصّر مَن يَذنب بالأختيار والقاصر بغيره وعَليه فلوكان الأستغفار منهم ناشئاً عن هُبوطهم الى عالم التَقيُّد والتَعلُّق لاغير والمَفروُض انّ الأهياط بأمره تعالى وارادته ولا دَخَل لِإرادة العبد فيه وبعبارةٍ اخرى وَقع بأمر الله فيما لايَتمكّن من الأستغراق التّام فايّ ذنبٍ للمخلوق فى هذا المقام حتّى يَستَغفر منه وان كان مراده من العِصمَة العِصمَة النّسبى اعنى كونهم عليهم السّلام مَعصومين بالنّسبة الى غيرهم من افراد البشر، فما ذكره يتمّ وهُو قدّه لايقُول به.

وثالثاً: انّ التَّعلُقات والقُيُودات الماديّة ليست مانعة عن الأستغراق التّام والعُبوديّة الكاملة على اطلاقها حتّى يقال مايقال بَل التعلّقات المادّية تتصوّر على قسمين.

احدهما: مايصير مانعا عَن التوجّه الكامل الى المَعبوُد كما اذا اَنظَر الأنسان اليها بالنّظر الأستقلالى الحَقيقى فأَحَبَّ او تَعَلّق بشيءٍ لغير الله وذالك كما فى حقّنا وذالك لانّ هذه القيود المادّية والتَّعلُقات الدُّنيويّة قد اورَثت لنا غفلةً وَحزناً طويلاً فى الدّنيا والآخرة فانّا لانقدر على اداء الوظائف المُقرّرة لنا فى الشّريعة المُطهّرة لأنغمارنا فيها وتَعَلّقُنا بهما اِنغماراً يكاد يغرقنا فيها وهذا ممّا لاكلام فيه بشهادة الحسّ والعيان.

وثانيهما: كونها غير مانعة عن العُبوديّة الكاملة وذالك فيما اذا كان النّظر اليها بالنّظر الآلّى دوُن الاستقلالى وبعبارةٍ اخرى لايرى الأنسان فيها غير الحقّ كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام فى بعض كلماته ما رأيت شيئاً الّا ورأيت الله قبله وبعده ومَعه والتّعلقات فى حقّ المعصومين من هذا القبيل وعَليه فلامانع لهم من العبوديّة الكاملة فى هذه النّشأة وهو ظاهرٌ على من ذاق من كأس المعرفة...

ورابعاً: لايبعد القول بانّ التّعلقات المادّية على انّها غير مانعة تكون من قبيل

المُعدّ بل العلّة لأحراز العبد مقام الكامل من العبوديّة اذا لم يكن اسيراً لها والمعصوم كذالك فالأكل والشّرب والنكاح وغيرها فى طريق العبوديّة عين العبادة فضلاً عن كونها مانعة لها وحاصل الكلام هو انّ ماذكره قدّه لاينطبق على القواعد العقليّة الّتى أُقيمت على اثبات العصمة فى حقّهم هذا كلّه فيما ذكره قدّه وامّا سائر الأجوبة المذكورة فى الكتاب وغيرها ممّا لم نذكره فلانحتاج الى الجواب عنها وانت تقدر بعد الأحاطة بما ذكرناه ان تستنبط وجوه الخلل فيها.

والّذى يحتلج بالبال فى حلّ الاشكال هو انّ كلماتهم عليهم فى متون الأخبار والأدعية تحمل على الحقيقة ولا نحتاج الى هذه التأويلات البعيدة والتحزيجات الرّكيكة الفاسدة الموجبة لحمل اللّفظ على غير ظاهره وتوضيح ذالك يحتاج الى رسم مقدمتين.

المقدّمة الأولى: اعلم انّه قد ثبت فى العلوم العقلية والشّرعية انّ العبادة فرع على المعرفة بمعنى انّها تدور مدارها شدّة وضعفاً وكمالاً ونقصاً فكلّما اشتدّت المعرفة اشتدّت وخلصت العبادة وكلما ضَعُفت ضَعُفت.

امّا عقلاً: فواضح فانّ العبوديّة ليست الّا الخضوع فى قبال المعبود مخلصاً فاذا لم يعرف المعبوُد فكيف يخضع له.

وامّا شرعاً: فلقوله تعالى:﴿**مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ**﴾[1] وقد قالوا فى تفسيره اى ليعرفون وقال علىّ عليه السلام:اوّل الدّين معرفته الخ.

الثّانية: انّ التّقصير المبحوث عنه فى المقام وغيره على قسمين، تقصيرٌ فى المعرفة وتقصير فى العبادة والاوّل مقدّمة للثانى الّا انّ التّشقّيق العقلى يقتضى التّرديد والتّقسيم.

ثم انّ المعرفة ايضاً على قسمين وان شئت قلت مرتبتين، كاملة وناقصة والكاملة عبارة عن معرفة العبد بذاته تعالى وصفاته وافعاله كما هو اهله وعلى

١- الذاريات- ٥٦

ماينبغى له تعالى، والنّاقصة عبارة عمّا دونها فى المرتبة وقد يعبّر عنها بالمعرفة الضّعيفة وهى ايضاً مقولة بالتشكيك لكثرة مراتبها وتشتّت فروعها واغصانها.

امّا القسم الاوّل: اعنى المعرفة الكاملة التّامة فلم يحصل فى عالم الوجود لأحدٍ من المخلوقات كائناً من كان سواء كان المخلوق من الأنبياء المرسلين ام من الملائكة المقرّبين فانّ هذا الأمر فوق طاقة المخلوق وقد قال الله تعالى: ﴿**لاٰ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً اِلاّٰ وُسْعَهٰا**﴾[1].

و امّا عقلاً: فلانّ التّكليف بما لايطاق من المحالات فقد ثبت استحالتها على هذا الوجه ويمكن ان يستدلّ على استحالتها فى حقّ العبد بما حاصِله انّ الواجب تعالى محيط باالممكنات والمخلوقات كما هو شأن الخالقيّة ولازم ذالك كون المخلوق محاطاً له تعالى ومن المعلوم انّ المحاط لا يحيط بالمحيط والّا يلزم خروجه عما هو فيه هف.

واذا لم يمكن له الأحاطة عقلاً فلايمكن له المعرفة الكاملة ضرورة ان المعرفة بالشّيى بعدالاحاطة به او حيث انّ الأحاطة بذاته تعالى اوصفائه الغير المتناهية خارجة عن قدرة العبد وادراكه فالمعرفة به تعالى كما هى ايضاً خارجة عن قدرته وهو المطلوب.

اذا عرفت هاتّين المقدمتين فاستمع لها يوحىٰ اليك وكن عليه من الشّاكرين و هو انّ المعصومين عليهم السلام وان كانوا فى اعلى درجة العبودّية فى عالم الخلقة الّا انّهم لكان مخلوقيّتهم ومغلوبيّتهم لم يقدروا على المعرفة التّامة الّذى ذكرناه للزومه الأحاطة الكاملة بذاته تعالى المستحيلة فى حقّ المخلوق واذا كان الأمر على هذا المنوال وقد قلنا انّ العبوديّة فرع على المعرفة فيصير محصّل الكلام انّ العبوديّة الكاملة لم تحصل لهم ولا لغيرهم كما قال ﷺ ماعَرفناك حق معرفتك وعليه فلا يبعد كون الأستغفار الصّادر

١- البقرة- ٢٧٦

منهم لأجل هذه الأمكانية وانّما عُبّر عن هذا المقام بالذّنب وعن صاحبه بالمُذنب لانّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين.

ان قلت ـ فعلى ما ذَكَرت يثبت التّقصير فى المعرفة فى حقّهم عليهم السلام وهو ينافى فى العصمة.

قلت ـ كلاّ والّذى ينافى العصمة هو التّقصير فى العبادة النّاشى عن التّقصير فى المعرفة الّذى يمكن للمخلوق الوصول اليه وامّا المعرفة الّتى لايمكن الوصول اليها قضاءً لحقّ الامكانيّة فلا والّذى ثبت فى حقّهم بالادّلة العقليّة والنّقلية هو الاوّل لاغير واما اثبات العصمة بالمعنى الثانى فيحتاج الى الدّليل العقلى او الشّرعى و اذليس فلَيس فتامل فى المقام فانّه من مزّال الأقدام وحيث اتضّحَ لك هذا وتَدبّرتَ فيما قالوا وقلناه فى المقام فلنرجع الى شرح المتن فيقول:

▫ **قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اِغْفِرْلِى ما اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنّي ،فَاِنْ عِدْتُ فَعُدْ عَلَىَّ بِالْمَغْفِرَةِ...**

فى ما ذكره عليه السلام فى المقام اشارة الى انّ الغافر للذّنب ليس الّا هو كما هو المستفاد من العقل والنّقل وايضاً اشعار بانّ الذّنب الّذى ينبغى التّوبة عنه ليس بمُنحصرٍ فى ما هو معلوم للمكلّف بل منه ما هو غير معلوم له امّا لغفلته عنه وعدم توجّهه اليه او لصِغره وقلّة المبالاة به وعلى التّقديرين ينبغى له الرّجوع عنه ويمكن ان يكون المراد هو طلب الغفران عمّا هو ذنباً وتقصير عندالله ولا يُعدّ ذنباً لدى المكلّف فالجامع فى طلب الغفران هو هذه العبارة الشاملة لجميع اقسامه ويستفاد من قوله عليه السلام هذا كونه تعالى اعلم بذنوب العبد منه نفسه وهو كذالك اذ هو تعالى اقرب الينا من حبل الوريد.

ان قلت ـ على ما ذكرت فى تحقيق المقام من انّ المراد من الذّنب هو الذّنب الامكانى اللازم لذات الممكن فى ايّ مقامٍ كان فما المراد من عوده ومعلومٌ انّه لايعود اذ العود لايقال ولا ينطبق على لازم الذّات وهو واضح.

قلت ـ نعم لكنّه عليه السلام لم يصرّح بالعود حتّى نحتاج الى تكلّف الجواب بل صّرح به على سبيل الشرط وقد ثبت انّ الشّرطية لاتستدعى تحقق اجزائه.

▫ **قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِى مٰا وَأَيْتُ مِن نَّفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفٰاءً عِندِى...**

فيه اشارة الى انّ الأنسان كثيرة ما يضمر فى قلبه ما لايوجد بعد فى الخارج امّا للغفلة والنّسيان واما لأجل امرٍ آخر فانّ دائرة التّصور اوسع من دائرة التّصدّيق كما انّ عالَم الذهن اوسع من عالم الخارج وهذا المعنى وان لم يكن فى حقّنا من قبيل نقض العهد وخلفه الّا انّه فى حقّهم عليهم السلام يُعدّ منه بالتّقريب الّذى ذكّرناه فى الذّنب.

▫ **قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِى مٰا تَقَرَّبْتُ بِهِ اَلَيْكَ بِلِسٰانِى ثُمَّ خٰالَفَهُ قَلْبِى...**

وهو ايضاً لابأس به فانّ كثيراً ما يقول الأنسان لسانه ما لايوافقه عليه قلبه وقد يعبّر عنه بسبق اللّسان وحيث انّ هذا المعنى لايتصوّر فيهم فلا يبعد ان يكون المراد ماقاله بلسانه لأجل التقيته وغيرها من المصالح الشّرعية فانّه يصدق عليه هذا المعنى.

▫ **قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِى رَمَزٰاتِ الْأَلْحٰاظِ، وَاسْقَطٰاتِ الْأَلْفٰاظِ ،وَشَهَوٰاتِ الْجَنٰانِ ،وَهَفَوٰاتِ اللِّسٰانِ...**

اشبه عليه السلام فى قوله هذا الى امورٍ اربعة والكلام منهاكالكلام فى ما قبلها فانّ هذه الامور من لوازم الأمكانيّة وَلا استحالة فيها فى حدّ نفسها واما وقوعها فى حقّه وحقّهم فلا دلالة فى كلامه عليه السلام عليه وعلى فرض الوقوع فهذه الأمور لاتنافى العصمة والحمد للّه رب العالمين.

ومن كلامٍ له عليه السلام (٧٨)

▫ قوله عليه السلام اَتَزْعَمُ اَنَّكَ تَهْدِى اِلَى السّاعَةِ الَّتِي مَن سارَ فِيهٰا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟وَتُخَوِّفُ مِنَ السّاعَةِ الَّتِي مَن سارَ فِيهٰا حاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَن صَدَّقَكَ بِهٰذا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْانَ ،اِلىٰ وَاسْتَغْنىٰ عَنِ الْاِسْتِعانَةِ بِاللهِ فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَيَنْبَغِي فِى قُوْلِكَ لِلْعامِلِ بِاَمْرِكَ اَن يُوَلِّيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِاَنَّكَ بِزَعْمِكَ اَنْتَ هَدَيْتَهُ اِلَى السّاعَةِ الَّتِى نالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَاَمِنَ الضُّرَّ!!

ثُمَّ اَقْبَلَ عليه السلام عَلَى النّاسِ فَقالَ:

اَيُّهَا النّاسُ اَيّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ اِلاّ ما يُهْتَدِى بِهِ فِى بَرٍّ اَوْ بَحْرٍ، فَاِنَّها تَدْعُوا اِلَى الْكَهانَةِ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكاهِنِ، وَالْكاهِنِ كَالسّاحِرِ، وَالسّاحِرُ كَالْكافِرِ، وَالْكافِرُ فِى النّارِ، سِيرُوْا عَلَى اسْمِ اللهِ...

◁ **اللّغة**

(حاقَ بِهِ الضُّرُّ) احاط به (فِى نَيْلَ الْمَحْبُوبِ) النّيل الوصول (يُوَلِّيكَ) اى جَعَلته والياً (الْكَهانَةِ) القضاء بالغيب والمفرد منه كهن والجمع كَهنَة وكهان، واِمّا (الْكِهانَةِ) بكسر الكاف نهى بمعنى الحِرفة وباقى اللغات واضحة.

◁ **المعنى**

(تَزْعَمُ) ايها القائل (اَنَّكَ تَهْدِى) النّاس (اِلَى السّاعَةِ الَّتِى مِن سارَ فِيهٰا) اى فى تلك السّاعة (صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ)والبلاء (وَتُخَوِّفُ مِنَ السّاعَةِ الَّتِي

مَن سارَ فِيهٰا) اى فى السّاعة (حٰاقَ بِهِ الضُّرُّ) واحاط به (فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذٰا) اى بما تقول له وعمل به (فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْانَ) حيث يقول وما تدرى نفسٌ ماذا تكسب غداً وامثاله من الآيات الّتى مستمرٌ عليك (اِلىٰ وَاسْتَغْنىٰ عَنِ الْاِسْتِعٰانَةِ بِاللهِ فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ) والوصول به (وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ) عن نفسه (وَيَنْبَغِى فِى قَوْلِكَ) بالنّجوم (لِلْعٰامِلِ بِاَمْرِكَ اَنْ يُوَلِّيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ) لانّك هَديته الى ما هو خير له دون الرّب فأنت تستحقّ الحمد دونه تعالى كما قال عليه السلام (لِاَنَّكَ هَديته) وارشدته (اِلَى السّاعَةِ الَّتِى نٰالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَاَمِنَ الضُّرَّ!!) ومن كان كذالك فله الحمد (ثُمَّ اَقْبَلَ) واَشرف(عَلَى النّاسِ) وخاطبهم (فَقٰالَ) لهم (اَيُّهَا النّاسُ اِيّٰاكُمْ) اى اجتنبوا (وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ اِلاّٰ مٰا يُهْتَدِى بِهِ فِى بَرٍّ اَوْ بَحْرٍ،) اى بقدر الضّرورة (فَاِنَّهٰا تَدْعُوا) صاحبه (اِلَى الْكَهٰانَةِ،)والقضاء بالغيب الّذى خارج عن قُدرة البشر (المنجّم كالكاهن(وَالْمُنَجِّمُ كَالْكٰاهِنِ،) فى الحكم وما يترتب عليه من العواقب (وَالْكٰاهِنِ كَالسّٰاحِرِ،) فى حكمه ترتّب اثاره (وَالسّٰاحِرُ كَالْكٰافِرِ،) كذالِك (وَالْكٰافِرُ فِى النّٰارِ،) بصريح الآيات والأخبار (سِيرُوْا عَلَى اسْمِ اللهِ) والتّوكل عليه فمن يتوكّل على الله فهو حسبُه.

◁ **الشّرح**

قيل فى وجه صدور هذا الكلام منه عليه السلام انّه عليه السلام لمّا عَزم المسير الى الخوارج فى النّهروان فقال له بعض اصحابه وهو عفيف ابن قيس اخو اشعث ابن القيس الكندى رأس المنافقين ان سِرتَ فى هذا الوقت خشيتُ ان لاتظفر بمرادك فقال عليه السلام فى جوابه ما قال ونحن نتكلّم فى اصل النُّجوم اَو لاثمّ فى احكامها والاقوال فيها شرعاً حتّى يتضّح الحال وبالله التّوفيق فنقول.

نَجَم الشى ينجم ونجوماً ما ظَهَر وطَلَع، والنّجم الكوب، والنّجم ايضاً ما ظهر من النّبات من غير ساق وهو خلاف الشجر قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ

وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ»[1] هذا بحسب اللّغة.

واما اصطلاحاً فالتّنجيم على ما قال ابن خلّدون فى مقدمته على التّاريخ عبارة عن الصّناعة الّتى يزعم اصحابها انّهم يعرفون بها الكائنات فى عالم العناصر قبل حدوثها من قَبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها فى المولّدات الصّغرية مفردة ومجتمعة فتكون لذالك اوضاع الأفلاك والكواكب دالّة على ما يحدث من نوع من انواع الكائنات الكليّة والشّخصية فالمتقدّمون منهم يرون انّ معرفة قوى الكواكب وتأثيرها بالتّجربة وهو امرٌ تقصر الاعمال كلّها لو اجتمعت عن تحصيله الى ان قال.

وذهب ضعفاء منهم الى انّ معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو راى قائل وقد كفونا مؤونة ابطاله ومن اوضح الادلّة فيه ان الأنبياء عليهم السلام ابعد النّاس عن الصّنائع وانّهم لايتعرّضون للأخبار عن الغيب الّا ان يكون عن الله فكيف يدّعون استنباطه بالصّناعة ويشيرون بذالك لتابعيهم من الخلق وامّا بطليموس ومن تبعه من المتاخّرين فَسَيرون انّ دلالة الكواكب على هذه دلالة طبيعيّة من قبل مزاج يحصل للكواكب فى الكائنات العنصريّة قال لانّ فعل النّيرين واثرهما فى العنصريّات ظاهر لايسع احدٌ جحده مثل فعل الشّمس فى تبدّل الفصول وافرجتها وبضح الثمار والزّرع وغير ذالك وفعل القمر فى الرّطوبات والماء والفناج المواد المعقنة وفواكه العثاء وسائر افعاله ثم قال.

لنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان، الاوّل التّقليد لمن نقل ذالك عنه من ائمّة الصّناعة الّا انّه غير مقنع للنّفس، الثّانية الحَدس والتّجربة بقياس كلّ واحدٍ منهما الى النّير الأعظم الّذى عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذالك الكواكب عند القرآن فى قُوّته ومزاجه فنعرف موافقته لى فى الطّبيعة او ينقص عنهما فنعرف مضادّته ثم اذا عرفنا قواها مفردةً عرفناها مركّبة وذالك عند تناظرها باشكال التثليث والتّربيع وغيرهما ومعرفة ذالك من قِبَل طبائع

١- الرحمن- ٦

البروج ويقاس ايضاً الى النّير الأعظم ثمّ قال.

او اذا عرفنا قوى الكواكب كلّها فهو موثّرة فى الهواء وذالك ظاهر والمزاج الّذى يحصل منها للهواء يحصل لما تحتها من المولّدات وتنخلق به النّطف والبرز فيتقصر حالا للبدن المتكوّن عنها وللنّفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتبة لما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الأحوال لانّ كيفيّات البَرزة والنّطفة كيفيّات لما يتولّد عنهما وينشاء منهما قال ومع ذالك ظنّى وليس من اليقين فى شىء وليس ايضاً هو من القضاء الالهى يعنى القَدر انّما هو من جملة الأسباب الطّبيعته الكائن والقضاء الآلهى سابق على كلّ شيىء هذا محصّل كلام بطليموس واصحابه وهو منصوص فى كتابه الأربع وغيره ومنه تبيّن ضعف مدرک هذه الصّناعة وذالك انّ العلم الكائن او الظنّ به انّما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصّورة والغاية على ما تبيّن فى موضعه والقوى النّجومية على ما قرّر وانّما هى فاعليّة فقط والجزء العنصرى هو القابل ثمّ انّ القوى النجوميّة ليست هما الفاعل بجملتها بل هناك قوى اخرى فاعلة معها فى الجزء المادّى مثل قوّة التّوليد للأب والنّوع الّتى فى النّطفة وقوى الخاصّة الّتى يميز بها صنف من صنف من النّوع وغير ذالك مانقوى النّجومية اذا حصل كمالها وحصل العلم فيها انّما هى فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثمّ اطال الكلام فى ردّ اهل النّجوم بما لامزيد عليه ومن اراد الاطّلاع عليه فَعليه بكتابه اعنى مقدّمة ابن خلدون، وقد نقلة بتفضيله صاحب كتاب دائرة المعارف (فريد وجَدى) ج ١٠، حرف النّون (نَجَم) ص ٥٨ الى ص ٦٣، ونحن نقلنا ما نقلناه عن ابن خلدون، عن دائرة المعارف مع انّ الكتاب موجود فى مَكتبنا الّا انّا لم نراجعه اعتماداً على الناقل والأمر سَهل.

ثمّ انّ صاحب دائرة المعارف بعد نقله ما نقلناه عن ابن خلّدون نقل عن ابو محمّد ابن حزم الظّاهرى فى كتابه الفصل ما هذا لفظه.

وزعم قوم انّ الفلك والنّجوم تعمل وانّها ترى وتسمع ولاتذوق ولا تشم وهذا دعوى بلابرهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كلّ طائفة اذ ليست اصّح من دعوى اخرى تضادّها وتعارضها وبرهان صحّة الحكم بانّ الفلك والنّجوم لاتعقل اصلاً هو انّ حركتها ابداً على رتبته واحدة لاتتبدّل عنها وهذه صفة الجماد الّذى لااختيار له فقالوا الدّليل على هذا انّ الا فضل لايختار الّا افضل العمل فقلناهم لهم ومن اَين لكم بانّ الحركة افضل من السّكون الأختيارى لانّا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختيارياً واضطرارياً فلادليل على انّ الحركة الأختيارية افضل من السكون الأختيارى ثمّ اين لكم بانّ الحركة الدّورية افضل من سائر الحركات يمنياً ويساراً او امام او وراء، ثمّ اين لكم بانّ الحركة من شرق الى غرب كما يتحرّك الفلك الأكبر افضل من الحركة من غربٍ الى شرقٍ كما تتحرّك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح انّ قولهم محرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموّهة الى ان قال.

واهل القضاء ينقسمون قسمين احدهما القائلون بانّها والفلك عاقلة مميّزة فاعلة مدبّرة دون الله تعالى او مَعه وانّها لم تزل فهذه الطّائفة كفّار مشركون حلال دمائهم واموالهم باجماع الامّة وهؤالاء عن رسول الله اذ يقول انّ الله تعالى قال اصبح من عبادى كافرٌ بى مؤمن بالكواكب) وفسرّه رسول الله ﷺ انّه القائل مطرنا نبوء كذا وكذا.

وامّا من قال بانّها مخلوقة وانّها غير عاقلة لكن الله خلقها وجَعلها دلائل على الكوائن فهذا ليس كافراً ولا متبدعاً وهذا هو الّذى قلنا فيه انّه اَخطاء الى آخر ما قال وكلامه طويل انظر دائرة المعارف (نجم) ص ۶۳ وص ۶۴ وص ۶۵ وص ۶۶.

قال صاحب الكتاب هذا ما يستخلص من اقوال العلماء الاسلاميّين وهو ممّا يحسن ايراده فى هذا الباب ولكن لايجوز لنا الانتقال من هذه المادة حتّى

نورد تاريخ علم التّنجيم من المصادر الاوربية ليكون المبحث تاماً من كل وجهٍ فنقول.

يطلق التنجيم عند الأوربيين على صناعة الأبناء بالحوادث المستقبلة من النّظر فى الكواكب والحوادث العلوية وقد رأى العلماء الباحثون فى اساطيرهم انّه اقوالاً عن هذه الصنّاعة وان لم تكن بالغة من الأتقان مبلغاً يرفعها الى درجة العلوم المقرّرة قال.

اوّل امّة رقت هذا العلم الى درجته المعروفة هى امّة الكدانيّين ثمّ اَخذ عنهم المصريون الأقدمون وعن هؤلاء اَخذ اليونان فنقله عنهم الهنديون والرّومانيون وانتقل هذا العلم من العالم القديم الى القرون الوسطى واشتغل به ناسٌ كثير وعكفوا عليه وما زال آخذاً من الأذهان محلاً الى القرن الماضى حيث انتشرت العلوم الكونيّة وعرف النّاس حقائق الأجرام السّماوية.

فَقَلّ الأشتغال به وكاد يزول لولا اَن العالم لايخلُو فى كلّ زمانٍ مِن رؤوسٍ لاترى لها لذّة الّا فى التّمسُك بكل قديم وإن ناقضَ العقل والحسّ معا.

كان القدماء لايُفرّقون بَين عِلمى الهنية والتّنجيم فكان المتكلّم فى حركات النّجوم وعلاقات بعضها ببعضٍ هو نفسه الّذى ينبئى بالحوادث المقبلة من النّظر لِتلك الحركات ولم يُميّز بين هذين العلمين الّا فى نحو القرن الاوّل الميلادى.

قال – اشتَغَل الكلدّانيون بعلم النجوم اشتغالا جديداً لإرتباط ديانَتهم وطغوسها بحركاتها و كانت فيهم اكثر المُنبّئهين بالحوادث المُقبلة وكانوا يزعمون انّهم مراقبون حركات النّجوم منذ (۴۷۳۰۰۰) سنة وتطّرف بعضهم وزَعم انّ سِنّ عملهم مبلغ (۱۴۴۰۰۰۰ سنة) لامشاحة انّ هذا خطاءٌ مُبينٌ فانّ تاريخ وجود كلدانّيين مَعْروفٌ الآن وقد عثر فى خرائب نَينوى على مؤلّفٍ فى الفلك مَنسوبٌ الى الكلدانيين تاريخه الى القرن السّابع قبل الميلاد والذى حَيّر الباحثين هو البحث فى ايّ، الأُمّتين سبقت اختها الى هذا العلم، الامّة المصرية،

أُم الاءمّة الكلدانّية، والمُتّرجح انّ الأولى هى الّتى اَخَذت عن الثانية وانّ اليونانيين اخذوه عن المِصّريين كما تبيّن ذالك ممّا ذكره عند الشاعر (هومير) وعلم الآن انّ الّذى نَشَره فى بلاد اليونان هو الفيلسوف طاليس، ثمّ فيثاغورث وديموكريت وغيرهم من العُلماء اليُونانيين بقى علم التنجيم مبتكراً فى يد طائفةٍ من المصريين لايفشون اصوله لغير المختارين فى آحادهم حتّى اَخَذه اليونانيون فعَمَّموه على عادتهم واذا عُوه بين النّاس فصار سهل المأخذ تشتغل به من اراد فوجد اشياعاً كثرين وانتقل الى كلّ مكانٍ حتّى وصل الى ايطاليا فى سنة (٣٩) قبل الميلاد فلمّا جائت الديّانة المَسيحيّة قاومَت صناعة التنجيم مقاومةً عَنيفة حُّجة انّها تنافى صحّة العقيدة بارادة الخالق وتطرف بعض زعمائها فَأعتبروه وحياً من الشيطان الى الشّريرين من اوليائه فاصطهد اهل هذه الصناعة اشدّ اصطهاد وايّد اميراطرة الرّومان رجال الكنيسة حتّى كاد يقضى على هذه الصّناعة لولا انّها ادّت الى بعض الأذهان فى طىّ الكتمان مع انحرافات الكيّماوية وغيرها من بقايا الوساوس القديمة ثمّ قال.

خلف اهل اوروبا فى زعامة هذه الصّناعة اليهود والعرب فَنَبغ منهم مَن رفعها الى مكانة العلوم العالية وكان لاهلها خَطوة عند الخلفاء والقادة فى اجمل عُصور المَدينة العَربيّة.

ولا تزال هذه الصّناعة تأوى الى رؤس فى الشّرق والغرب فَيَتلقّفَ بعض الناس ما يقوله اهلها كانّه الوحى ويذهَبُون فى النَّظَر فيه وتأويله وتوجيهه كلّ مذهب ويلتمسون لقائليه الأعَذار مهما كذبتهم الحوادث حتّى انّنا لَنرى انّ من النّاس من يَسهل عليه ان يتّهم عقله فى فهم اقوال اولئك ألأفاكّين ولا يَسهل عليه ان يتّهمهم بالأِفك على انّ مبنى هذه الصنّاعة على البطلان ولا يحتاج الى اطالة بيان.

وذالك انّ اكثر الأقدمين كانوا يؤلّهوُن الكواكب ويَعبدُونها وكانو يَتَخيّلون انّ لكلّ منها نصيباً فى ادارة الكون وكان الكلدانيون والمِصريُون من اكثر الأمم

تَشبّثاً بهذه العقيدة فلا عجب ان تكون صناعة التنّجيم نتيجة لازمة لهذه العقائد الباطلة فما دامت الكواكب آلهة وابناء آلهة وانّ لها اَرواحاً وحياة وتعريفاً فى الكون فما الّذى يَمنع مِن تَعَرُّف ارادتها بوجهة حركاتها او بوقت اقترانها بسواها فلمّا جاء الأسلام واسقط الآلهة الخيالّية والحسيّة وقَرّر عبادة الخالق الحقّ وحده لم يبق لصناعة التنجيم مجال لانّ طبيعة الاسلام تنافى التأثير لغير الله ولكنّ العُقُول المتعرّفة لأحتذاء مشاكلة الأقدمين مالَت الى التّاويل تسويغاً للتأويل على هذا العلم فقالوا نحن لا نعتقد بانّ للكواكب تأثيراً وانّما نعتقد انّها منفعلة لِلارادة الآلهّية فاذا راقبناها عرفنا وجهة هذه الأرادة وتبيّنا بعض الحوادث الّتى يُريد الله ان يكشفها للنّاس ادَرَعوا بهذ الدّرع التأويل واكّبُوا على تلقى صناعة التنجيم والتوسّعُ فيها مبدّلين الهيّة الكواكب بروحانيّتها وطفقوا يلعَبون بالألفاظ ويُقررون الظُنّون والأوهام حتّى خيل للناس انّ هؤلاء القوم يدركون بنَظَرةٍ فى السّماء ما يُريد الخالق ان يقوم النّاس عليه فى خيرٍ او شرٍّ فان تعجب من هؤلاء القوم فأعجب منهم من يعتمد على اقوالهم ويُعيرهم ويشغل من وقته برهةً فى قرائة ما يكتُبون او تأويل ما يأفكون وقد يكون لأكثر المشتغلين بهذه الصنّاعة عُذرٌ فى عدم الأقلاع عنها وهو الجهل بحقائق هذه الأجرام السّماوية ولكن منهم من يدرك حقائقها وفساد مابنى على حركاتها من الأبناء بالغيب و يُصّر على ما هو عليه ابتزازاً احوال النّاس بالباطل او طلباً للشّهرة الكاذبة فهولاء يَستّحقوُن التّعذير ولاكرامة انتهى ما ذكره فى المقام وانّما ذكرناه بطوله فى الباب لكونه وافياً بما قصدناه ولتتميم الحبث نقول.

اعلم: رحمك الله ان ما ذهب اليه ابن خلدّون وابن حَزم وتبعها صاحب دائرة المعارف فى حكم النّجوم لايصح على اطلاقه ولا يمكن الحكم بكغر المُنّجم واباحة دمه وماله كما قال به من قال بل لابدّ لنا فى المقام فى التّفصيل وهو يحتاج الى التّوضيح اكثر ممّا مضى فنقول.

قال بعض المحققين منّا اعلم انّ الشّمس والقمر والنّجوم اجسام مُحدثة من جنس اجسام العالم مؤتلفة من اجزاء تحلّها الأعراض وليست بفاعلةٍ فى الحقيقة ولا ناطقة ولا حيّة قادرة وقد قال المفيد قدّه انّها اجسام نارّية فامّا حركاتها فهى فعل الله فيها وهو المُحرّك لَهما وهى فى آياتها الباهرة فى خلقه وزينةً لسمائه وفيها منافع لعباده لاتُحصىٰ وبها يهتدى السائرون برّاً وبحراً قال الله تعالى وبالنَّجم هم يَهتَدون، وفيها للخلق مصالح لايعلمها الّا الله وامّا التأثير المَنسُوب اليها فانّا لاندفع كون الشَّمس والقمر موثّرين فى العالم ونحن نعلم انّ الاجسام وان كان لا يُؤثّر احدها فى الآخر الّا مع ممّاسة بينهما بأنفسها او بواسطةٍ فانّ للشّمس والقمر شعاعاً متّصلاً بالأرض وما عليها يوم يقوم مقام المماسة وتصّح به التّاثيرات الحادِثة و مَن ذالّذى ينكر تأثير الشّمس والقَمر وهو موجود مشاهد وان كان تأثير الشّمس اظهَرَ للحسّ وابيَن من تأثير القمر فى الأزمان والبلدان والبنّات والحيوان وامّا غيرهما فى الكواكب فلسنا نجدلها تأثير نحن ولا نقطع على وجوبه بالعقل ولا ايضاً هو من المُمتنع المُستحيل بل من الجائز فى العقول لانّ لها شعاعاً متصلاً بالارض وان كان دون شعاع الشّمس والقمر فغير مُنكران يكون لها تأثير يخفى عن الحىّ خارج عن افعال الخلق فان كان لها تأثير كما يقال كان تاثير مع تأثير الشّمس والقمر فى الحقيقة من افعال الله عزّ وجلّ وليس يقح اضافته اليها لاعلى وجه التَّوسُع والتّجُوز كما تقول احرقت النار وبرد الثلج وقَطَع السّيف وشَّجَ الحَجر وفى الحقيقة انّ النّار احرق بها. الثّلج بَردّ بها وقطع ايضاً بالسّيَف وشَّج بالحَجَر وكذالك قولنا احمت الشّمس الارض ونفعت الزرع وفى الحقيقة انّ الله تعالى احَمى بها و نَفع و ممّا يدّل على انّ الله تعالى يستعمل شيئاً بشىء قوله عزّ وجلّ: ﴿**هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾[1] فَسَلكه ينابيعٌ فى الارض ثم يخرج به ذرعاً مختلفاً الوانه ثمّ تهييج فتراه مصّفراً الاية وقوله ثم:﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ**

١- الانعام- ٩٩

رَحْمَتِهِ حتّىٰ إذا اَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ»[1] و ليس فيما ذكرناه رجوع الى قول اصحاب الأحكام والأقرار بما انكرناه عليهم فى متقدّم الكلام لانّا انكرنا عليهم اضافتهم تأثيرات الشّمس والقمر اليهما من دون الله سبحانه الى ان قال قدّه وقد قال المفيد قدّه انّ الاستدلال بحَركات النّجوم على كثيرٍ ممّا سيكون لايمنع العقل فيه ولسنا نمنع ان يكون الله جلّ اسمُه اعلمه بعض انبيائه وجَعله علماً على صدقه انتهى كلامه.

وممّن تصّدى لتحقيق البحث من الشيعة شيخ المتكلمين محمود ابن على الحمّصى ره قال قدّه.

انّا لانردّ علماً فيما يَتعلّق بالحساب فى تسيير النُّجوم واِتصّالاتها الّتى يذكرونها فانّ ذالك ممّا لايهمّنا ولا هو ممّا يقابل بانكارٍ ورَدٍّ وقال ره فى انكار كون النجوم عللاً موجبة يبطل ذالك بكل ما يبطل به دعوة المجبّرة بانّنا غير مختارين.

فان قيل كيف تنكرون الاحكام وقد علمنا انّهم يحكمون بالكسوف والخسوف ورؤية الأهلة ويكون الأمر على مايَحكمون فى ذالك وكذالك يَحكمون عن امورٍ مُستقبله تجرى على الأنسان وتجرى تلك الأمور على ما اخبر و عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف ندفع الأحكام.

قلنا ـ انّ اخبارهم عن الكُسوف والخُسوف و رؤية الأهّلة فليس من الأحكام وانّما هو من باب الحساب انّما الحكم ان يقولوا اذا كان الكُسوف او خُسوف كان من الحوادث كذا وكذا ثمّ قال وامّا الأمور المُستقبله الّتى يُخبرون عنها فاكثرها لاتَقَع على ما يُخبرون عنه وانّما يقع قليلٌ فيه بالاتّفاق ومثل ذالك يتفّق لأصحاب الفال والزجّر الّذين لايعرفون النجوم بل للعجائز اللّلواتى تتفّألن بالأحجار والّذى قد يخبر المصرع وكثير فى ناقص العقول عن اشياء فينتفّق وقوعه انتهى.

١- الاعراف- ٥٧

وممّن له اُنسٌ قليلٌ لهذا العلم هو السيّد الجليل النّبيل عليّ ابن طاوس (ره) فانه قدّه على ما قيل عملٌ فى ذالك رسالة وبالغ فى الأنكار على من اعتَقَد انّ النّجوم ذوات ارادةٍ او فاعلةٍ او موثّرةٍ واستدلّ على ذالك بدلائل كثيره وايّده بكلام جمٍّ غفيه من الأفاضل الّا انّه انكر على السيّد الأجل المرتضى قدّه فى تحريمه وذهب الى انّه من العلوم المباحات وانّ النجوم علامات ودلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر الحكيم ان يغيّرها بالبرّ والصدّقة والدّعاء وغير ذالك فى الاسباب والدّواغى على وفق ارادته وحكمته وجوّز تعليم علم النُّجوم و تَعَلُّمه والنّظر فيه والعمل به اذا لم يعتقد انّها موثّرة وحمل اخبار النّهى والذّم على ما اذا اعتقد ذالك ثم ذكر قدّه تأييداً لصحّة هذا العلم اسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال انّ جماعة من بنى نوبخت كانو علماء النجوم وقدوه فى هذالباب ووقفت على عدّة مصنّفات لهم فى النجوم وانّها دلالات على الحادثات.

١ـ **منهم**ـ الحسن بن موسى النّوبختى من علماء المُنجّمين.

٢ـ **ومنهم**ـ احمد ابن محمّد ابن خالد البرقى ذكر النّجاشى فى كتبه كتاب النّجوم .

٣ـ **ومنهم**ـ احمد ابن محمّد ابن احمد ابن طَلحة فقد عدّ الشيخ والنجاشى من كتبه كتاب النجوم.

٤ـ **ومنهم**ـ والشّيخ النجاشى كان له كتاب فى النجوم.

٥ـ ومن المذكورين فى علم النُّجوم الجلودى البصرى.

٦ـ **ومنهم**ـ على ابن محمّد ابن العدوى الشمشاطى فانّه ذكر النجاشى له رسالة فى ابطال احكام النّجوم.

٧ـ **ومنهم**ـ على ابن محمّد ابن العبّاس.

٨ـ **ومنهم**ـ محمّد ابن ابى عمرو.

٩ـ **ومنهم**ـ محمّد ابن مسعود العياشى.

۱۰ـ ومنهمـ موسى ابن الحسن ابن عباس ابن اسماعيل ابن ابى سهل ابن نوبخت قال النجاشى كان حسن المَعرُفة بالنّجوم وله مصنّفات فيه.

۱۱ـ ومنهمـ الفضل ابن ابى سهل ابن نوبخت وصل الينا من تصانينه ما يدلّ على قوة معرفته بالنجوم.

۱۲ـ ومنهمـ السيّد الفاضل علىّ ابن ابى الحسن العلوى المعروف بابن الأعلم وكان صاحب الزّيج.

۱۳ـ ومنهمـ ابوالحسن النقيب.

۱۴ـ ومنهمـ الشيخ الفاضل الشيعى علىّ ابن الحسين ابن على ابن المَسعُودى مصنّف كتاب مروج الذّهب.

۱۵ـ ومنهمـ ابوالقاسم ابن نافع من اصحابنا الشيعة.

۱۶ـ ومنهمـ ابراهيم الفرازى صاحب العقيدة فى االنّجوم.

۱۷ـ ومنهمـ الشيخ الفاضل احمد ابن يوسف ابن ابراهيم المصرى كاتب آل طولون.

۱۸ـ ومنهمـ الشيخ الفاضل محمّد ابن عبدالله البازيار القمى تلميذ ابى معشر.

۱۹ـ ومنهمـ الشيخ الفاضل ابوالحسن ابن ابى خضيب القمى.

۲۰ـ ومنهمـ ابو جعفر السّقاء.

۲۱ـ ومنهمـ محمّد ابن احمد ابن سليم الجعفى مصنّف كتاب الفاخر.

۲۲ـ ومنهمـ محمود ابن الحسين ابن السنّدى ابن شاهك المعروف و منهم غير هؤلاء من العامّة.

ثمّ قال وممّن ادركته من علماء الشيعة العارفين بالنجوم وعرفت بعض اصاباته الفقيه العالم الزّاهد المُلقّب خطير الدّين محمود ابن محمّد، وممّن رأيته الشيخ الفاضل ابو نصر الحسن ابن على القمى ثمّ عدّ قدّه من اشتهر بعلم النُّجوم وقيل انّه من الشيعة منهم احمد ابن محمّد السنجرى، والشيخ الفاضل

على ابن احمد العمرانى واسحق ابن يعقوب الكندى الى آخر ما ذكره قدّه.

والّذى حَصَل لنا فى المقام من هذه الأقوال هو ذمّ النّجوم وقدحها وكون هذه الأشخاص فى زمرة المُنجّمين لايوجب مدح النّجوم ضرورة انّهم لم يكونوا من المعصومين حتّى يقال بحجية فعلهم وتقريرهم وبعبارة اخرى نحن لايمنع كون المنجم فى كل عهدٍ وزمانٍ بل نمنع جواز الاتّصاف و مُجرّد وجود المنجم سواء كان من العامة او الخاصة لايثبت المدعى ومع ذالك كله نورد بعض ماورد فى قدحهم من الأخبار فنقول.

منها ـ مارواه فى الخصال باسناده عن ابى الحصين قال سمعت ابا عبدالله، يقول سُئل رسول الله ﷺ عن السّاعة فقال ﷺ عند ايمان بالنّجوم وتكذيب القدر انتهى (والمقصود انّ الأيمان بالنّحوم مُتضمّنٌ للتكذيب بالقَدر مؤلفٌ)...

ومنها ـ مارواه فى الخصال ايضاً باسناده عن جعفر ابن محمّد عن آبائه عن علىّ عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ اربعة لاتزال فى امّتى الى يوم القيمة، الفخر بالأحساب، والطّعن بالأنسأب، والأستسقاء بالنّجوم، والنياحة الحديث...

ومنها ـ مارواه فيه ايضاً باسناده عن الحسين ابن علىّ قال عليه السلام نَهى رسوله الله ﷺ عن خصالٍ وعن النّظر فى النّجوم انتهى...

ومنها ـ مارواه فيه باسناده عن نصر ابن قابوس قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول، المُنّجِم مَلعُون والكاهن مَلعُونٌ، والسّاحر معلونٌ، والمغنّية ملعونة و مَن اوأها واكل كَسَبها ملعون وقال عليه السلام المُنّجم كالكاهن، والكاهن كالسّاحر والسّاحر كالكافر والكافر فى النّار انتهى...

قال الصّدوق فى شرحه المُنّجم الملعون هو الّذى يقول بقدم الفلك ولا يقول بِمُفلِّكِه و خالقه و فيه ما فيه. فان قلت ما تقول فى قوله تعالى:**«وَ هُوَ الَّذِي**

جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»[1] و:**«لِتَعلمُو عدد السِنّين وَالْحِسَابَ»**[2] و غيرهما من الآيات والأخبار الدالاّت على الجواز والمدح قلت هذا لاينافى ما ذكرناه فانّ هذا القدر من النُّجوم لايضرّ قطعاً بل هو ممّا لابدّ منه لكلّ مكلّف فى صُورة الأمكان وانّما الكلام فى الأخبار عن المستقبل وكون الحوادث موقُوفة مُترتّبته على استنباط المُنّجم واعتقاد الجاهل به وامّا الشارع البحرانى قده فقد ذكر فى وجَه المنع وجهين آخرين.

احدهما: اشتغال مُتعلّميها بها واعتماد كثير من الخلق السّامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما بسنده الى الكواكب والأوقات والاشتغال بالفَزَع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفَزَع الى الله ـ والغفلة عن الرّجوع اليه فيما بهمّ من الاحوال وقد علمت انّ ذالك غير مطلوبٍ الشّارع اذ كان غرضه ليس الاّ دوام التفات الخلق الى الله و تذكّرهم لَمعبُودهم.

الثّانى: انّ الاحكام النّجومية اخبارات عن امور وهى نسبة الاطّلاع على الأمور الغيّبية واكثر الخلق من العوام والنّساء والصّبيان لايميّزون بينها وبين علم الغيب والأخبار به فكان تَعَلّم تِلك الاحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق ومؤهناً لأعتقاداتهم فى المعجزات اذ الأخبار عن الكائنات منها وكذا فى عظمة بارئهم و تشككّهم فى عموم صدق قال اللّه تعالى :**«قُلْ لايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ اِلَّا اللهُ»**[3]

و : **«وَعِنْدَه مَفاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُهٰا اِلاّ هُوَ»**[4]

و : **«اِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَة»**[5] فالمُنجِّم اذ حَكَم لنفسه بانّه يصيب كذا فقد ادّعىٰ انّ نفسه تعلم ما تكسب غداً وبايّ ارضٍ تموت وذالك عين التكذيب للقران وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسّحر والعزايم ونحوها الى آخر ما ذكره قدّه بطوله ومن اراد الاطّلاع على ما ذكره وحقّقه

١- الانعام- ٩٧
٢- يونس- ٥
٣- النمل- ٦٥
٤- الانعام- ٥٩
٥- اللقمان- ٣٤

فعليه بمتراجعة شرحه فانّه ذكر فيه مسلك المعتزله والأشاعرة والفلاسفة وامّا نحن فلا نحتاج الى اطالة الكلام فى المقام بعد وضوح، المقصد والمرام ولا يبعد ان يكون السّر الحقيقى فى تحريمه شرعاً هو اعراض النّاس عن الخالق واقبالهم على الأسباب والأجرام الفَلَكية وهذا ينافى التّوحيد الحقيقى وان لاموثّر فى الوجود الّا الله ولنرجع الى شرح كلماته عليه السلام وبالله التّوفيق.

▫ **قوله عليه السلام: أَتَزْعَمُ إِنَّكَ تَهْدِى إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِن سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ...**

قاله عليه السلام فى جواب عفيف ابن قيس الكندى الّذى قال له عند مسيره الى النّهروان لحرب الخوارج (يا امير المؤمنين ان سِرت فى هذا الوقت خَشيت ان لاتظفر بمرادك) الّذى هو الغلبة على اصحاب الخوارج (من طريق علم النّجوم) اى الّذى قُلته لك انّما قلته من طريق علم النّجوم فقال عليه السلام: له **أَتَزْعَمُ إِنَّكَ**الخ وهذا اعنى رَدّه عليه هو الّذى صار ملاكاً ومنشأً لكون النّحوم مذموماً والقائل به مَطرودٌ.

فان قلت ـ لايبعدان يكون رَدّه عليه السلام عليه باعتبار نهيه الأمام عن المسير من طريق النّجوم لا بأعتبار اصل النّجوم فانّ الأمام لايخفى عليه شيىءٌ فضلاً عن القواعد النُّجومية وعليه فلا يدلّ كلامه عليه السلام فى ردّه على ذمّ النّجوم مطلقاً بل على ذمّه فى ذالك المورد وهو ممّا لاكلام فيه.

قلت ـ ليس الأمر كذالك لانّ المورد وان كان خاصاً الّا انّ جوابه كما ترى عامّ والدّليل عليه استعماله فى الجواب كلمة (مَن) الّتى للعموم اماماً كان او غيره وهو يدلّ على النّهى ثم وهو مطلقاً وهو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: وَتُخَوِّفَ مِن السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ ...**

اى اتزعم انّك تُخوّف النّاس من الساعة الّتى من سار فيها احاط به الضرّ والبلاء، وليس كذالك بل الأمر بيد الله ولا يَعلم الغَيب الّا هو ومع ذالك الأعتقاد بقول المنجّم لايَصّح من جهات.

الأولى قوله عليه السلام: **فَمَن صَدَّقَكَ بِهٰذا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْانَ ...**

و هذا هو الجهة الأولى الّتى تدلّ على ذمّ النجوم والأخذ بقول المنّجم واىّ ذمٍّ اكبر و اقبح من مخالفة القرآن وتكذيبه مع انّ تكذيبه يستلزم تكذيب النّبى وتكذيبه تكذيب الله ومن كذّب الله فهو كافر و يَدلّ على المدّعى اعنى كون تصديق المنجّم فى الاخبار عن الغيب موجباً لتكذيب القرآن، الآيات قال اللّٰه تعالى:﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً﴾(١)

و : ﴿وَّما تَدْرِي نَفْسٌ بِاَيِّ اَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٢)

و : ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلّا بِاِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً﴾(٣)

و : ﴿ما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾(٤)

و : ﴿اِنّي اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ﴾(٥)

و : ﴿قُلْ لااَقُولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ وَلا اَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾(٦)

و : ﴿وَعِنْدَه مَفاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُها اِلّا هُوَ﴾(٧)

و : ﴿وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾(٨)

و : ﴿فَقُلْ اِنَّمَا الْغَيبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُوا اِنّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾(٩)

و : ﴿وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَاِلَيْهِ يُرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّه﴾(١٠)

و : ﴿قُلِ اللهُ اَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَه غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١١)

و : ﴿عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهٰادَةِ فَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾(١٢)

و : ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللهُ﴾(١٣)

و : ﴿اَنْ لَّوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ﴾(١٤)

١- اللقمان- ٣٤
٢- اللقمان- ٣٤
٣- آل عمران- ١٤٥
٤- البقرة- ١٧٩
٥- البقرة- ٣٣
٦- الانعام- ٥٠
٧- الانعام- ٥٩
٨- الاعراف- ١٨٨
٩- يونس- ٢٠
١٠- هود- ١٢٣
١١- الكهف- ٢٦
١٢- المؤمنون- ٩٢
١٣- النمل- ٦٥
١٤- السباء- ١٤

و : ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1] والآيات فى الباب كثيره وانت اذا تأملّت هذه الايات لا تَشكّ فى انّ الأخبار عن الغيب منحصرٌ فيه تعالى لا غير نعم الأنبياء والأوصياء حيث انّه قد ثبت انّ علمهم علم الله وارادتهم ارادته فهم خارجون عن هذه القاعدة وذالك لأتصال علومهم بعلوم المبدء فعلمهم فى الحقيقه علمه تعالى و اخبارهم هم عن الغيب كذالك وامّا غيرهم من افراد البشر كائناً من كان فهو داخل تحت القاعدة ولا يمكن الأعتماد على قوله وبعبارةٍ اخرى الايات دلّت على انحصار علم الغيب فيه ثم ومن ثبت هذا فى حقّه عقلاً وشرعاً وهم الانبياء والأوصياء وامّا غيرهم فلا لعدم الدليل بل وجود الدليل على المنع هذا.

الثّانية قوله عليه السلام: **وَاسْتَغْنىٰ عَنِ الْأِسْتِعٰانَةِ بِاللهِ فِى نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ ...**

وهذا هو الجهة الثانية المرتّبته على تصديق المُنجّم فى قولها وتقريره انّه قد ثبت بالادّلة العقلية والنقلية الأستعانة بالله تعالى فى الأمور كلها فى جلب المنفعة ودفع المضرّة اذ هو المَلجاء والملاذ فى الأمور وعليه التّوكل وبه الأعتصام ولا شك فى انّ تصديق المنجّم يضادّه ويغايره بل يوجب الأعتماد على قوله والأستعانة فى الأمور به ولازم ذالك هو الاعراض عن الله تعالى بالكليّة و به ينسدّ باب الدّعاء والتّضرُع والأنابة والأعتماد وقد اُمرنا بالتّوجه اليه والأستعانة به والآيات تدلّ عليه قال اللّه تعالى فى سورة الحمد: **﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِين﴾**

و : **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ﴾**[2]

و : **﴿قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾**[3]

و : **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[4]

١- الفاطر- ٣٨
٢- البقرة- ٤٥
٣- الاعراف- ١٢٨
٤- يوسف- ١٨

و : ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ﴾[1]

روى عن النّبى ﷺ انّه قال اوحى الله الى بعض انبيائه فى بعض وحيه اليه وعزّتى وجلالى لاقطّعن اَمَل كلّ مُومّلٍ غيرى باليأس ولا كسوّنه ثوب المَذّلة فى النّار ولأبعُدّنَه من فَرَجى و فَضلى اَيؤملّ عبدى فى الشّدائد غيرى والشّدائد بيدى او يرجوا سواى وانا الغَنى الجواد بيدى مفاتح الأبواب وهى مغلقَةَ وبابى مفتوحٌ لِمَن دعانى اَلَم يعلم انّه ما او هنته نائبته لم يملك كشفها عنه غيرى فمالى اراه بأمله معرضاً عنّى قد اعطيته بجودى و كِرَمى ما لَم يَسألنى فأعرض عنّى ولم يسألنى وسئل فى نائبته غيرى الحديث «بحار الانوار ج ١٥ باب التوكّل»...

وايضاً روى باسناده عن النَّبى ﷺ قال يَقُول الله عَزّ وَجلّ ما مِن مَخلوقٍ يَعتصمُ بمخلوقٍ دُونى الّا قَطُعت به اسباب السّموات واسباب الأرض من دونه فأن سَئلنى لم اعطه وان دعانى لم احبه وما من مَخلوقٍ يعتصم بى دون خلقى الّا ضمنت السّموات والأرض رزقه فان دعانى اجتبة وان سَئلنى اعطية وان استغفرنى غفرت له انتهى «بحار الانوار ج ١٥ باب التّوكل»...

وقال الجواد ﷺ كيف يَضيعُ من الله كاملة وكيف ينحو من الله طالبه ومن انقطع الى غير الله وكَلَه الله اليه انتهى...

اقول: يستفاد من الآيات والرّوايات لزوم الأستعانة بالله تعالى فى جميع الأمور وعليه فلا مجال لقول المنجّم فى عواقب الامور والأخذ به و تَرتّب الأثر عليه اليس هذا اعراضاً عن الله واقبالاً على خلقه والأستعانة به فهل هذا الّا شِركٌ بالله والتّوجه الى غيره.

الثانية قوله ﷺ: **وَيَنبَغِى فِى قُولِكَ لِلْعامِلِ بِأَمْرِكَ اَن يُوَلِّيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ** ...

وهذا هو الاشكال الثالث المترتّب على تصديق المنجم والعمل بقوله وهو

١-الانبياء- ١١٢

انّه يجب على العاقل بأمر المنجّم ان يحمده ويشكره كما قال عليه السلام.

▫ **قوله عليه السلام: لِاَنَّكَ بِزَعْمِكَ اَنْتَ هَدَيْتَهُ اِلَى السّاعَةِ الَّتِى نالَ فِيهَا النَّفْعَ وَاَمِنَ الضُرَّ ...**

وكلامه هذ تعليل لقوله عليه السلام وينبغى ان يوليك الحمد، فكانه قال المنجم له عليه السلام لاىّ شىءٍ ابتغى ان يُولّينى الحمد فقال عليه السلام فى جوابه لانّك بِزَعمك الى آخر.

ووجه الاشكال فيه هو انّ الحمد مطلقاً للّه ربّ العالمين اذ الحمد لا يليق الّا له لانّه هو الخالق المُنعم المُصّور الرّازق الهادى ولا مَعبُود ولا مَلجَاء الّا هو فاذا فرضنا انّ المُنجّم هداه الى ما هو خيرٌ له او دَفع عنه ما هو شَرٌّ له فلا يحتاج الى الله تعالى فى جلب النّفع ودفع الضُرّ وقد ثَبت انّ شُكر المُنعم واجبٌ عـقلاً فوجب شكره وحمده وهو ظاهر.

ان قلت ـ فعلى ما ذكرت لا يجوز الشكر لأحدٍ من النّاس وكذالك الحمد مع انّ الامر ليس كذالك يقال حمدت اللّؤلؤ على صفائها وقال صلى الله عليه وآله من لَم يَشكُر المَخلُوق لم يَشكر الخالق، فَوَجب شكر المخلوق به.

قلت ـ نعم الشُكر والحمد جائز ان لغير الله وان كانا يرجعان اليه بالأخرة الّا انّ توليتهما للّه تعالى لاغير ولأجل هذه الدّقيقة قيل المُحامِد كلّها ترجُع اليه تعالى، فَشُكر المخلوق او حَمدهُ فى الحقيقه شكرٌ للّه تعالى وانّما هو واسطة بين الحامد وربّه ولا ضير فيه ولم يقل احدٌ بانّا نُولّى الحمد لشخصٍ.

▫ **قوله عليه السلام: اَيُّهَا النّاسُ اِيّاكُمْ وَتَعَلُّمُ النُّجُومِ اِلاّ ما يُهْتَدِى بِهِ فِى بَـرٍّ او بَحرٍ...**

اشار عليه السلام بقوله هذا الى قوله تعالى: **﴿وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾**[1] قد فصّلنا الآيات لقوم يَعلَمون و: **﴿وَعلاماتٍ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾**[2] و ذالك لانّ الأنسان لابدّ له من النُّجُوم والعلم بها بقدر الضرورة ولا

١- الانعام- ٩٧

٢- النحل- ١٦

سيّما فى الأسفار وتشخيص القبلة واوقات اللّيل فى مسالك البَرارى والبحار. وقد روى ابن عبّاس عن الرّسول ﷺ انّه قال الجُدى علاقه قبلتكم وبه تَهتَدون فى بَرّكم وبَحركم انتهى...

وقد روى الصّدوق باسناده قال قال رجل للصّادق ﷺ انا اكون فى الضّر ولا اهتدى الى القبلة باللّيل قال ﷺ اتعرف الكوكب الّذى يقال له جُدَى قلت نعم قال إجعله على يَمنيك واذا كنت فى طريق الحجّ فأجعله بين كتفيك انتهى...

وقال ﷺ فى حديث آخر ضع الجُدَى فى قفاك وصَلّ هذا.

وَانت اذا تأمّلت فى الكتب الفقهيّته ولا سيّما ابواب الوقت والقبلة والحجّ وغيرها ترى انّ النّجوم لابدّ منها فى تشخيص الوقت والقبلة قبلاً الّا انّها من قبيل الضّرورات وقد قيل انّ الضّرُورات تُبيح المحذورات ولعلّ وجه الأستثناء بقوله ﷺ: (**الّا ما يُهتدى به**) هو هذا الّا انّه لايوجب جواز التّعلم مطلقاً بل يُوجب هذا القَدر من النُّجوم و هو ظاهر.

▫ **قوله ﷺ: فَاِنَّهَا تَدْعُوا اِلَى الْكَهَانَةِ ...**

هذه الجملة منه ﷺ كانها بمنزلة التّعليل لحكمه ﷺ بِمَنع جواز تَعلّم النُّجوم وذالك لانّ النّجوم وتَعلّمها يُؤدّى اليها وهى مَمنُوعة شَرعاً فكذالك مايؤجبها وهو المطلوب ونَحن نتكلّم فى الكهافة ليسّتضحّ الحال والمقال فنقول.

الكهانة ـ على ما قيل هى استخدام الجنّ فى معرفة الأمور المَغيتبه وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان اذا اَراد اَحدهم اَمراً يُريد معرفة دخيلته او مستقبله منه ذهب الى الكاهن فأخبره بما يَهمُّه منه وكان لكلّ كاهنٍ منهم صاحب من الجنّ يحضر اليه فيخبره بما يريد وليس هذا الأستخدام يُعيد عن العقل واَشهَر كهان العرب سَطيح الغانى اكهن النّاس فقد كان انذر بسيل المرّ وكان مرتخى الغطام يدرج جسده كما يدرج الثّوب خلا جُمجُمة رأسه

وكانت اذا مسّت باليَد اثّر ذالك فى عظمها هكذا قيلها قيلها من كهانته انّه لمّا كانت ليلة ولد رسُول الله ﷺ اَرتَّج ايوان كسرى فَسقَطت منه اربع عَشرَة شرفه فأعظم ذالك اهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام انّ وادى السّماوة انقطع تلك اللّيلة وكتب اليه صاحب اليَمَن انّ بحيرة ساوة غاضت تلك اللّيلة وكتب اليه صاحب طَبرّية انّ الماء لم يجر تلك الليلة فى بَحيرة طَّرية وكتب اليه صاحب فارس ان بيُوت النار خَمِدت تلك اللّيلة ولم تخمد قبل ذالك بألف سَنَة فلمّا تواترت عليه الكُتُبِ اَظهَر سَريره وبَرز الى اهل مملكته فاخيرهم الخبر فقال المُوبدان ايّها الملك انّى رأيت تلك اللّيلة رؤياها لتنى رأيت ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً حتّى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تأويلها قال ما عندى شيىء ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يُوّجه اليك رجُلاً من عُلمائهم فانّهم اصحاب علم بالحدثان فبعث اليه فَوّجه عبد المسيح ابن نفيلة الغانى فأخَبره كَسرى بالخَبَرُ فقال ايّها الملك ما عندى فيها شيىء ولكن جهّزنى الى الشام الى خالى تطيع فجهّزه فلما قدم اليه وَجَده احتَضَر فناداه فلم يحببه فقال.

اَصَمّ ام يَسمع غطريف اليَمَن رسول قيل العجم يَهوى لِلوثن
يا فاصل الخطّة اعيت مَن ومَن اَتاك شيخ الحىّ من آل سُنَن
ابيض فضفاض الرّداء والرَّسَن

فَرَفع سَطيح رأسه وقال عبد المسيح على جملٍ مشيخ اَقبَل الى سطيح وقد اَوفىٰ الى الضَّريح بَعثَك مَلِك بنى ساسان لأرتجاح الايوان وخُمود النيَران ورؤيا الموبدان رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً حتّى اقتَحَمت الواد وانتشرت فى البلاد، عبد المَسيح اذ اظهرت التلاوة وفاض وادى السَماوة وظهر صاحب الهداوة فليست الشّام لسطيح بشام يملك منهم مُلُوكاً وَمَلكات بعدد ما سقط من الشّرفات وكلّ ما هو آت ثمّ قال.

ان كان مُلك بنى ساسان اَفرطهم فأنّ ذاالدّهر اطوارُ دهارير
منهم بنو الصّرح بهرامٌ واخوته والهرمزان وسابورُ وسابورُ
فربّما اَصبَحوا منهم بمنزلةٍ يُهاب صَولهم الأسد اليعا فير
حَنُّوا المُطّى وجدّ وفى رَحيلهم فما يقوم لهم سرجُ ولاكور
والنّاس اَبناء عَلاّت فمن عَلموا ان قد اَحَدّ فمحقورُ ومَهجُورُ
والخَير والشّر مَقرُونات فى قرنٍ والخير مُتبَعُ والشّر مَحذُورُ

فأتى كسرى فأخبره فغمّه ذالك فقال الى ان يملك منّا اربعةَ عَشر ملكاً يدور الزّمان فملكوا كلّهم فى اربعين سنة انتهى قال صاحب دائرة المعارف بعد نقله هذه القصّة ونحن نقلناها من كتابه، ما هذا لفظه نقول هكذا تروى هذه الحكاية وهى موضوعة بقصد تعظيم شأن النّبى ﷺ ولو عِلم ذالك الوضّاع انّه ﷺ فى غير حاجة الى هذا التّلفيق لَمَا اَقدَم على ما اقدم عليه انّ رسول الله ﷺ غَنّىٌ عن مثل هذه الأخبار المُصطنعة فانّ ما اتاه من الأعمال الّتى تعجز البشر من نشردينٍ وجمع كلمةِ قبائل متفرقة وحفظ وجودها بشريعة لايأتيها الباطل من بَينَ يَديها ولا من خَلفها وبَعثها لحمل خلافة الله فى الأرض بعض هذا اَكبر من اَكبر معجزة انتهى ما ذكره.

وقال الرّاغب فى المفردات مادة (كَهن) الكاهن هو الّذى يخبر بالأخبار الماضية الخَفيّة بضربٍ من الظّن والعراف الّذى يخبر بالأخبار المُستقبلة على نحو ذالك ولكون هاتين الصناعتين مبيّتين على الظّن الّذى يُخطىء ويصُيب قال عليه الصلوة والسّلام، من آمن عرّافاً او كاهناً فصدّقه بما قال فقد كفر بما اُنزِل على ابى القاسم، ويقال كَهَن فلان كهانة اذا تعاطى ذالك وكهن اذا تخصّص به، وتكّهن تكلّف ذالك قال تعالى: **﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾**[1]

وقال فى لسان العرب مادّة كهن ج ١٣ الكاهن معروف كَهَن له يكهَن

١- الحاقه- ٤٢

ويَكهُن وكَهنَ كهافة وتكَّهَن تكَّهنا وتكهنيا قضىٰ له بالغَيب الى ان قال وفى الحديث نُهى عن حلوان الكاهن، الكاهن الّذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزّمان وَيَدَّعى معرفة الأسرار وقد كان فى العَرب كهنته كشّقٍ وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم انّ له تابعاً من الجنّ وَرِّياً يُلقىٰ اليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم انّه يَعرف الأمُور بمُقدّمات اسباب يستدلّ بها على مواقعها من كَلام مَن يَسئله او فعله او حاله وهذا يخصّونه باسم العرّاف كالّذى يدّعى معرفة الشّىء المسروق ومكان الضّالة ونحوهما ثمّ قال وقال الأزهرى وكانت الكهانة فى العرب قبل مبعث سيّدنا رسول الله ﷺ فلمّا بُعِث نَّبياً وحُرست السّماء بالشُّهب ومُنعت الجنّ والشّياطين من استراق السَّمع والقائه الى الكهنة بطل عِلم الكهانة وازهق الله اباطيل الكّهان بالفرقان الّذى فرّق الله عزّ وجل به بينَ الحَق والباطِل واطّلع الله سبحانه نبيّه ﷺ بالوحى على ماشاء من عِلم الغُيوب الّتى عجزت الكَهنة عن الأحاطة به فلا كهانة اليوم بِحَمد الله وَمِنّه واغنائه بالتّنزيل عنها الى آخر ما ذكره انتهى.

▫ **قوله** ﷺ: **وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ** ...

المقصود انّ المُنّجم وهو من يخبر عن الحوادث المستقبلة بالقواعد النّجومية كالكاهن من حيث عدم اعتبار قوله وحرمة الأخذ به ضرورة انّ الملاك وهو انبتاء اقوالهم على المُستخرجات الظّنية الواهية فيها واحد.

▫ **قوله** ﷺ: **وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ** ...

اعلم: انّ السّحر عبارة عن كلّ ما لَطُفَ مأخذه ودَقّ وقيل السّحر تصوير الباطل بصورة الحقّ، وقال بعضى العلماء هو مايستعان فى تحصيله بالتّقرّب الى الشّياطين ممّا لايقدر عليه الأنسان.

وقال ابن خلّدون فى مُقدّمته هو العلم بكيفيّته الأستعدادات تقتدر النّفوس البَشّرية به على التاثيرات فى عالم العناصر امّا بغير معينٍ او بمعينٍ من الأمور السّماوية والاوّل هو السر والثّانى هو الطِلسمات ولما كان هذا لعلم مَهجُورة

عند الشرايع لما فيه من الضّرر ولما يشترط فيه الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كُتُبها كالمفقودة بين النّاس الّا ما وجد فى كتب الامم والأقدمين فيما قبل بنوة مُوسىٰ عليه السلام مثل البنّط والكلدانيّين فانّ جميع من تقدّمه من الأنبياء لَم يَشرعُوا الشرايع ولا جاوءُوبالأحكام انّما كانت كتبهم مواعظ وتوحيداً للّه وتذكيراً بالجنّة والنّار ثمّ قال وكانت هذه العلوم فى اهل بابل من السّريانين والكلدانيين وفى اهل مصر فى القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لنا كتبهم فيها الّا القليل مثل الفلامة النَبطيّة من اوضاع اهل بابل فأخذ النّاس منها هذا العلم وتَفنّنوا فيه ووضعت بعد ذالك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السّبعة وكتاب طمطم الهندى فى صور الدُرج والكَواكب وغيرهم قال:

ثُمّ ظَهر بالمَشرق جابر ابن حيان كبير السّحرة فى هذه الملّة فَتصَفح كتب القوم واستخرج الصّناعة وغاص على زبدتها واستَخرجها ووضع فيها غيرها من التّأليف واكثر الكلام فيها وفى صناعة السّيمياء لانّها من توابعها لانّ احالة الأجسام النّوعية من صورةٍ الى اخرى انّما يكون بالقوة النّفسية لا بالصّناعة العِلميّة فهو من قبيل السّحر كما نذكره فى موضعه قال:

ثمّ جاء مسلمة ابن احمد المجريطى امام اهل الأندلس فى التّعاليم والسّحريات فلّخصَ جميع تلك الكُتُب وهَذّبها وجَمَع طُرقها فى كتابه الّذى سمّاه غاية الحكيم ولم يكتب احد فى هذالعلم بعده ثم قال.

وَلنُقدِّم هنا مقدّمةً يتبيّن بها حَقيقه السّحر وذالك انّ النّفوس البّشرية وان كانت واحدة بالنّوع فهى مختلفة بالخوّاص وهى اصنافٌ كلّ صنفٍ مُختّص بخاصيةٍ واحدةٍ بالنّوع لاتوجد فى الصّنف الآخر وصارت تلك الخواصّ فطرة وجِبلّة لصنفها فنفوس الانبياء عليهم السلام لها خاصيّة تستعدّ بها للمعرفة الربّانية ومخاطبة الملائكة عن الله سبحانه كما مرّ ذالك من التّأثير فى الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتعرّف فيها والتاثير بقوةٍ نفسانيّة او شيطانيّة،

فامّا تاثير الانبياء فَمَددٌ إلّهى وخاصّيةٌ ربانيّة ونفوس الكهنة لها خاصِيّة الاطّلاع على المغيبات بقوىً شيطانية وهكذا كلّ صنفٍ اختصّ بخاصيةٍ لاتوجد فى الآخر والنّفوس السّاحرة على مراتب ثلاثه ياتى شرحها.

فأوّلها: المُؤثّرة بالهِمَّة فقط من غير آلةٍ ولا مُعينٍ وهذا هو الّذى تسميّة الفلاسفة السّحر.

والثّانى: بمُعينٍ من مزاج الافلاك والعناصر او خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبةً من الاوّل.

والثّالث: تاثير القِوى المُتخيّلة صاحب هذا التّاثير الى اقوى المُتخيّلة فيتصرف فيها بنوع من التّصرف ويُلقى منها انواعاً من الخيالات والمُحاكاة وصوراً ممّا يقصده من ذالك ثمّ ينز لها الى الحسّ بين الرّائين بقوّة نفسه المؤثرة فيه فينظر الرّاؤن كانّها فى الخارج وليس هناك شيى من ذالك كما يحكى عن بعضهم انّه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيى من ذالك ويُسمّى هذا عند الفلاسفة بالشّعوذة او الشعبذة هذا تفصيل مراتبه قال.

ثُمّ هذه الخاصة تكون فى السّاحر بالقوّة والشّان وانّما تخرج الى الفعل بالريّاضة ورياضة السّحر كلّها انّما تكون بالتوجّه الى الافلاك والكواكب والعوالم العَلوّية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخُضُوع والتذلّلل فهى لذالك وجهة لغير الله والسّجود والوجهة لغير الله كُفرٌ فلهذا كان له سحر والكفر من موادّه واسبابه كما رأت ولهذا اختلف الفقهاء فى قتل السّاحر هل هو لكفره السّابق على فعله او لتصرّفه بالأفساد وما ينشاء عنه من الفساد فى الاكوان والكلّ حاصل منه.

ولمّا كانت المَرتبتان الأوليان من السّحر لهما حقيقة فى الخارج والمرتبة الثالثة لاحقيقة لها اختلف العلماء فى السّحر هل هو حقيقة او هو تَخيّلٌ فالقائلون بانّ له حقيقة نظروا الى المرتبتين الأوليين والقائلون بان لاحقيقه له نظروا الى المرتبة الثالثة الاخرة فليس بينهم اختلاف فى نفس الأمر بل انّما

جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله اعلم ثم اطال الكلام فى المقام بما لاحاجة لنا فى نقله ومن اراد انّ يطّلع على ما ذكره فعليه بمقدمّته او بمراجعة دائرة المعارف فريد وجدى ج ۵ مادة سحر ص ۵۵.

وقال بعض المُحققين بعد ذكره لمعناه اللّغوى وانّه فى الأصل عبارة عما لَطُف سببه وخفى ما هذا لفظه.

اعلم انّ السّحر على اقسامٍ:

الاوّل: سحر الكلدانيّين الّذين كانو فى قديم الدّهر وهم قَومٌ يعبدُون الكواكب ويَزعُمون انّها المدّبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشّرور والسّعادة والنُحوسة وهم الّذين بعث الله تعالى ابراهيم مُبطلاً لمقالتهم وَرادّاً لمذهبهم وهؤلاء فرق ثلاث.

الاوّل: هم الّذين زَعمُوا انّ هذه الأفلاك والكواكب واجبة الوجود فى ذواتها وانّه لاحاجة بهذيّة ذواتها وصفاتها الى مُوجبٍ ومدبّرٍ وخالق وعلّة اليتة ثم انّها هى المُدبّرة لعالم الكون والفساد وهؤلاء هم الصابئة الدّهرية.

والفريق الثانى: الذّين قالو الجسم يستحيل ان يكون واجباً لذاته لانّ كلّ مركّبٍ فانّه مفتقرٌ الى كلّ واحدٍ من اجزائه وكلّ واحدٍ من اجزائه غيره فكلّ جسم فهو مفتقرٌ الى غيره فهو ممكن لذاته وكلّ ممكن لذاته فهو يحتاج الى المُوثّر وهذه الأجرام الفلكيّة والكوكبيّة لابدّ لها فى مؤثّرٍ ثمّ قالوا ذالك الموثّر امّا ان يكون حادثا او قديماً فان كان حادثاً افتقر الى موثّر ولزم التّسلسل وهو محال وان كان قَديماً فامّا ان يكون كلّ ما لابدّ منه فى مُؤثّريته حاصلاً فى الأزلّ او لَيسَ كذالك ويدخل فى هذا التّقسيم قول من يقول انّه انّما خلق العالم فى الحيّز الّذى خلقه فيه لانّ خلقه فيه اصلح من خلقه فى حيّز آخر ولانّ خلقه كان موقوفاً على انقضاء الأزل او لانّ خلقه كان موقوفاً على حضور وقتٍ مُعينٍ إمّا مُقدّر او محقّقٌ الى ان قال.

الفريق الثالث: الّذين اثبتو لهذه الافلاك والكواكب فاعلاً مختاراً خَلَقها وَ

أوجَدها بعد العَدم الّا انّهم قالوا انّه سُبحانه اعطىٰ قوّةً عالية نافذة فى هذا العالم اليهم قالو الدّليل على كون هذه الأجرام الفلكيّة احياء وجهان.

الاوّل: انّه لاشك فى انّ الحياة اَشرف من الجمادّية فكيف يحسُن فى الحِكمة خلق الحياة فى الأجسام الحِسّيسة نحوابدان الدّيدان والخنا من واِخلاء هذه الأجرام الشّريفة النُّورانيّة عن الحياة.

الثانى: انّ هذه الأفلاك مُتحركّة بالأستدارة فَحَركتها امّا ان تكون طبعيته او فَسّرية او إراديّة، لاجائز ان تكون طبعيته لانّ المهروب عنه بالطّبع لايكون بعينه مطلوباً بالطّبع ولا جائز ان تكون قَسرّية لانّ القسر هو الّذى يكون على خلاف الطّبيعة فاذن قد بَطَلت الطّبيعته فَوَجب بطلان كونها قَسرّية ولمّا بطل القسمان ثبت كونها اراديّة فَثَبِت ان الأجرام والكواكب اجرام حَيَّة عاقلةٌ وهو المطلوب ثمّ اطال الكلام فى الباب بما لامزيد عليه الى ان قال.

النّوع الثانى: من السِّحر سِحرُ اصحاب الأوهام قالوا اختلف النّاس فى انّ الّذى يشير اليه كلّ انسان بقوله انا ما هو فمن النّاس من يقول انّه هو هذه البُنية ومنهم من يقُول انّه جسمٌ سار فى هذه البُنية ومنهم من يقول انّه موجود ليس بجسم ولا جسمانى.

امّا اذا قلنا انّ الانسان هو هذه البُنية فلا شك انّ هذا البُنية مُركّبة من الأخلاط الأربعة فَلِم لايجوز ان يَتّفق فى بعض الأعصار النّادرة ان يكون مزاج من الّا مزجة فى ناحيةٍ من النّواحى يقتضى القدرة على خلق الجسم والعلم بالأمور الغائبة عنّا وهكذا الكلام اذا قلنا انّ الجسم سار فى هذه البُنية امّا ذا قلنا انّ الأنسان هو النّفس فلم لايجوز ان يقال النّفوس مختلفة فيتّفق فى بعض النّفوس ان تكون ذاتها قادرة على هذه الحوادث الغريبة مطلّعة على الأسرار الغائبة عنّا فهذا الاحتمال ممّا لم يقم دلالة على فساده سوى الوُجوه المُتقدّمة وقد بان بطلانها، اَقُول ثُمّ اقام وجُوهاً على تأكيدها هذا الأحتمال لم نذكرها حذراً عن الاطناب الى ان قال.

النّوع الثّالث: من السّحر الأستعانة بالأرواح الأرضّية (المراد بالأرواح الأرضية فى كلمات الفلاسفة هو الجنّ فى لسان المتشّرعة فانّهم قد انكرو وُجود الجِنّ الّا القليل منهم حيث يقولون بوجود الجنّ تبعاً للشريعة مولف.

قالوا والأرواح الأرضّية فى اَنفسها مختلفة منها خَيّرة ومنها شريرة قالوا ثمّ خَلق من هذه الأرواح جواهر قائمة بنفسها (بانفسها) لامُتحيّزة ولا حالة فى المُتحيّز وهى قادرة عالمة مدركة للجزئيّات واتّصال النّفوس النّاطقة بها اَسهَل من اتصالها بالأرواح السّماوية الّا انّ القوّة الحاصلة للنّفوس النّاطقة بسبب اتصالها بهذه الأرواح الأرضيّة اضعف منها بسبب اتّصالها بتلك الارواح السّماوية وذالك لانّ المناسبة بينها وبين الارضيّات اشدّ فيها بينها وبين السّماويات لوجود المشاكلة ثمّ انّ اصحاب الصّنعة وارباب التّجربة شاهدُوا انّ الاتّصال بهذه الأرواح الأرضيّة يحصل باعمالٍ سهلة قليلة من الرّق والدّخن والتجريد فهذا النّوع هو المسّمى بالعَزائم وتسخير الجنّ.

النّوع الرّابع: من السّحر التّخيّلات والأخذ بالعُيوُن فهذا النّوع مبنىّ على مقدّمات.

احدها: انّ اغلاط البصر كَثيرة فانّ راكب السّفينة اذ انظر الى الشّط رأى السّفينة واقفة والشطّ مُتحرّكاً وذالك يدل على انّ السّاكن يَرىٰ مُتحرّكاً والمتحرّك يرى ساكناً والقطر النّازلة يرى خطاً مستقيماً والزّبالّة الّتى تدار بِسرعةٍ ترى دائرة وامثال ذالك فهذه الأشياء قد اهدت العُقول الى انّ القوّة الباصرة قد تبصر الشّيى على خلاف ما هو عليه فى الجملة لبعض الأسباب العارضة.

وثانيهما: انّ القوة الباصرة تقف على المَحسُوس وقُوفاً ولا يتميّز بعض المَحسُوسات عن البعض ولذالك فانّ الرّحىٰ اذا خَرَجت من مركزها الى محيطها خطوطاً كثيرة بالوان مختلفة استدارت فانّ الحسّ يَرى لوناً واحداً كانّه مُركّبٌ من كلّ تلك الألوان.

وثالثها: انّ النّفس اذا كانت مَشغولة بشيئٍ فربّما حصر عند الحسّ شيئٌ آخر فلا يشعر الحس به البّتة كما انّ الانسان عند دخوله على السّلطان قد يلقاه انسان ويتكلّم معه ولا يعرفه ولا يفهم كلامه لما انّ قلبة مشغولٌ بشيء آخر وكذا النّاظر فى المرأة فانّه ربّما قصدان يرى غدّةً فى عَينه فيراها ولا يرى ما هو اكثر منها وربّما قصدان يرى سَطح المِرأة هل هو مستوِام لا فلا يرى ممّا فى المرأة ثم قال.

اذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذالك لك تصوير كيفيّته هذا النّوع من السّحر وذالك لانّ المُشعبد الحاذق يظهر عمل شيئٌ يشغل اذهان النّاظرين ويأخذ عيونهم اليه حتّى اذا استفزّ عنهم الشّغل بذالك الشّى والتحّديق نحوه عمل شيئاً آخر بسرعةٍ شديدةٍ فيبقى ذالك العمل خَفيّاً لتعاون الشيئين احدهما اشتغالهم بالأمر الاوّل والثّانى سرعة الأتيان بهذا العمل الثّانى وح يظهر لهم شيء آخر غير ما اَنتَظُروه فَيتعجبُون منه جِداً وَلو انّه سَكَت ولَم يَتَكلَّم بما يعرف الخواطر الى ضِدّ ما يُريدان يعمل ويتحرّك النُّفوس والأوهام الى غير ما يريد اخراجه لفطن النّاظرون لكلّ ما يَفعله فهذا هو المراد من قولهم انّ المَشعبذ يأخذ بالعُيون.

النّوع الخامس: من السِّحر الاعمال العجبية الّتى تَظهَر من تركيب الألات المُركّبة على النّسب الهندسبة تارةً وعلى ضرورة الخلاء اخرى مثل فازسين يقتيلان فيقتل احدهما الآخر وكفارسٍ على فَرسٍ فى يده بُوق كلّما مضَت ساعة من النّهار ضرب البُوق من غيران يَمسّه اَحَدٌ ومنه الصّور الّتى تصورها الرّوم واهل الهند حتّى لايفرّق النّاظر بينها وبين الأنسان حتّى يُصوّرونها ضاحكة وباكية وحتى يفرق فيها بين ضحك السُّرُور وضحك الخجل وضحك الشّامت فهذه الوجوه من لطيف امور التخائيل وكان سَحر سَحرة فرعون من هذا الضَّرب ومن هذا الباب تركيب صندوق السّاعات ويندرج فى هذا الباب علّم جر الاثقال.

النّوع السّادس: من السّحر الأستعانة بخواص الأدوية من ان يجعل فى طعامه بعض الأدوية المبلّدة المزيلة للعقل والدّخن المسكرة نحو دماغ الحمار اذا تناول الأنسان تبلّد عقله وقلّت فطنته.

النّوع السّابع: من السّحر تعليق القلب وهو ان يدّعى السّاحر انّه قد عَرف الأسم الأعظم وانّ الجنّ يُطيعونه وينقادونه فى اكثر الأمور فاذا اتّفق فان كان السامع لذاك ضعيف العقل قليل التّميز اعتقد انّه حقّ وتعلّق قلبه بذالك وحَصل فى نفسه نوعٌ من الرُّعب والمَخافة فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحسّاسة فح يتمكّن السّاحر من ان يَفعَل ح ما يشاء من وجوهٍ خفيّةٍ لطيفةٍ وذالك شايع فى النّاس.

النّوع الثّامن: من السّحر السّعى بالنميّة وهو ايضاً ممّا لايخفى فهذا جملة الكلام فى اقسام السّحر وحقيقته.

اذا عرفت حقيقة السّحر واقسامه فاعلم انّ السّحر باقسامه مَذمُومة مَطرودة شَرعاً وقد وَردت الأيات والآثار على ذمّ السّحر والسّاحر. فمن الآيات. قال اللّه تعالى:﴿**اَسْحِرٌ هٰذا وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُونَ**﴾[1]

و: ﴿**فَلَمّا اَلْقَوْا قالَ مُوسىٰ ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ اِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُه**﴾[2]

و: ﴿**وَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هٰذا سِحْرٌ وَاِنّا بِهِ كافِرُونَ**﴾[3]

و: ﴿**وَاَلْقِ ما فى يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا اِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَّلا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ اَتىٰ**﴾[4]

و: ﴿**فَاُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا اٰمَنّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسىٰ**﴾[5]

و: ﴿**فَاَلْقَى السَّحَرَةُ ساجِدِينَ**﴾[6] و غيرها فى الآيات الواردة فى ذمّ السّحر ومن اتى به.

وحاصل الكلام فى المقام هو كونه مَذمُوماً شرعاً وامّا حكمه فأن كان مُضِرّاً

١- يونس- ٧٧
٢- يونس- ٨١
٣- الزخرف- ٣٠
٤- طه- ٦٩
٥- طه- ٧٠
٦- الشعراء- ٤٦

بالأعتقاد فهو مُحَرّم قطعاً والّا ففيه تأمّل.

▫ **قوله عليه السلام: وَالسّاحِرُ كَالْكافِرِ ...**

من حيث عدم اعتقاده بالصّانع رأساً وتَزلزله ويمكن ان يكون المراد انّ السّاحر يقول ويعتقد بانّ غير الله تعالى من المُوجودات مؤثّر فى الوجود وهو قول الكافر بعينه وعلى كلّ حال حُكمه حُكمه.

▫ **قوله عليه السلام: وَالْكافِرُ فِي النّارِ ...**

كون الكافر فى النار قد ثبت بنصّ الكتاب والسّنة واجماع الامّة وهو ممّا لاشك فيه فمن الآيات. قال اللّه تعالى:**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لايُقْضىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾**(١)

و : **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ﴾**(٢)

و : **﴿وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا اِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً﴾**(٣)

و : **﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً﴾**(٤)

و : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ اَلِيمٌ﴾**(٥)

و : **﴿فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**(٦)

و : **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْاَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُه﴾**(٧)

و : **﴿لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذابٌ اَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفِرُونَ﴾**(٨)

و : **﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾**(٩)

و : **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾**(١٠)

و : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰياتِنا اُولٰئِكَ اَصْحابُ النّارِ﴾**(١١)

و : **﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**(١٢)

١- الفاطر- ٣٦
٢- ص- ٢٧
٣- الزمر- ٧١
٤- الفصلت- ٢٧
٥- الجاثيه- ١١
٦- الانفال- ٣٥
٧- هود- ١٧
٨- يونس- ٤
٩- يونس- ٧٠
١٠- التغابن- ٧
١١- التغابن- ١٠
١٢- الملک- ٦

و : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[1] والآيات فى الباب كثيرة واظن انه مع صراحة الآيات ودلالتها على كون الكافر فى النّار لانحتاج الى ذكر الأخبار وكلمات الفقهاء واذا ثبت كونه فى النّار وثبت انّ السّاحر كالكافر فالسّاحر فى النّار وهو المطلوب.

تنبيهٌ ـ اعلم انّ الذى ذكره عليه السلام فى المقام يعبّر عند فى المنطق بقياس المساوات فيقال ـ ١ مساوى ب وب مساوى ج ينتج ١ مساوى ج فقال عليه السلام المُنجّم كالكاهن والكاهن كالسّاحر ينتج المنجم كالسّاحر ثم قال السّاحر كالكافر والكافر فى النار ينتج فالسّاحر فى النّار وقد ثبت فى الشّكل الاوّل انّ المُنجم كالسّاحر ينتج انّ المنجّم فى النّار وهو المطلوب.

□ **قوله** عليه السلام: **سِيرُو عَلَى اَسْمَ اللهِ** ...

اَمَر اصحابه بالسيّر الى المَقصد وعدم اعتنائهم بقول المنجّم انّ امير المؤمنين عليه السلام قيّد السّير بكونه على اسم الله ومتوّكلاً عليه وهو فى الحقيقة امرٌ لهم بالأعراض عن الشّرك الخفّى والأقبال الى التّوحيد الحقيقى كما هو غاية آمال الأنبياء والأوصياء والعلماء ولا يبعدان يكون مراده، بقوله على اسم الله ان يقولوا بسم الله الرّحمن الرّحيم ويمكن ان يكون اعمّ منه اعنى التّوبه الى المعبود بالقلب والتلفّظ به باللّفظ والجمع مهما اَمكَن اولىٰ.

١- الذاريات- ٦٠

ومن خطبة له عليه السلام (٧٩)

▫ قوله عليه السلام مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْأَيْمَانِ، نَوَاقِصُ الحُظُوظِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ، فَإِمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَوٰةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضَهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنَ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِن مَّوَارِيثِ الرِّجَالِ،فَاتَّقُوا شِرَارَهُنَّ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنّ عَلَىٰ حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّىٰ لَايَطْمَعْنَ فِي الْمُنكَرِ...

◁ اللّغة

(مَعَاشِرَ) جمع معشر بمعنى الجماعة (النِّسَاءَ)، جمعٌ للمرئة من غير لفظها كذا قال فى المنجد (الحُظُوظِ) جمع حَظّ وهو النّصيب (مَوَارِيث) جمع ميراث (الْأَنْصَافِ)بفتح الهمزة وكسرها وقد يُضمّ جمع النّصف.

◁ المعنى

قال عليه السلام مخاطباً لأصحابه،(إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْأَيْمَانِ، نَوَاقِصُ الحُظُوظِ،) ثمّ استدل على المدّعىٰ وَقال (فَإِمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ) اى الدّليل على نقصان ايمان النّساء (فَقُعُودُهُنَّ) اى قُعود النّساء (عَنِ الصَّلَوٰةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضَهِنَّ) بمعنى عدم وجوبهما عليه (وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنَ

كَشَهادَةِ الرَّجُلَ الْواحِدِ) فی مقام اداء الشّهاده عند القاضی (وَاَمّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الْاِنْصافِ) بالنسبة الی الرّجال قال الله تعالی للذّکر مثل حظّ الأنثیین (فَاتَّقُوا) وَاجتَنبوا (شِرارَهُنَّ) ای شرار النّساء نعوذ بالله مِنهُنَ (وَكُونُوا مِنْ خِيارِهِنّ عَلىٰ حَذَرٍ.) لعدم الأعتماد علیهنّ (وَّلاٰ تُطِيعوُهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ) ای لاتنقادُوا لُهنَّ فی الخیرات (حَتّىٰ لاٰيَطْمَعْنَ فِي الْمُنكَرِ).

الشّرح

قالوا انّ هذا الکلام صدر منه ﷺ بعدم حرب الجمل فی ذمّ عایشة ومن تبعها اوّلاً وذمّ النساء واتباعهنَّ الی یوم القیمة ثانیاً وذالك لانّ فی متابعتهن خسران الدّنیا والآخرة کما تستقف علیه انشاء الله.

- **قوله** ﷺ: **مَعاشِرَ النّاسِ** ...

وغیر ذالك قال ذوالأصبح:

وانتم مَعشرٌ زیدٌ علی مائة فاَجمَعوا اَمرَکم طّراً فکیدُونی

والمَعشر والنَّفَر والقزوم والرّهط معناهم الجمع لاواحد لهم من لفظهم للرّجال دون النّساء وقال اللّیث المَعشر کلّ جماعةٍ اَمرهم واحد نحو مَعشَر المسلمین معشر المشرکین والمعاشر جماعات النّاس انتهی لسان العرب مادة عشر.

اقول: لعلّ وَجهُ التّعبیر بالمعاشر دون المَعشر هو انّ خطابه: یَعُمّ جمیع الفرق من المسلمین والمُشرکین والمؤمنین والفاسقین والأسَود والأبیضَ والعَرب والعَجم وبالجملة جمیع افراد البشر الی یَوم القیمة فلو قال: مَعشر النّاس فعلی قول اللّیث لم یَشمل الّا من کان امرهم واحد اعنی المسلمین وهو خلاف الفرض ولأجل هذ اضافه الی النّاس المفید للعموم.

ثمّ انّه بعد ما خاطب النّاس اَثبَت لَهُم بالدّلیل القاطع انّ فی متابعة النّساء فی غیر موارد الأستثناء ضَرَرٌ وخُسرانٌ فعلی العاقل ان یَحترز مِنهُنّ حتّی لایقع

فيه واستدلّ على مدّعاه بأمورٍ ثلاثة حتّى لايبقى لاحدٍ مجال لِلشّك فى اَصل المتابعة احدها نقصُ الايمان، والثّانى نقص الحُظوظ والثّالث نقص العُقول.

▫ **قوله عليه السلام: فَاَمّا نُقْصانُ اِيمانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلٰوةِ وَالصِّيامِ اَيّامِ حَيْضِهِنَّ ...**

الحيض بفتح الحاء وسكون الياء الدّم الخارج من الرّحم على وصفٍ مخصوص فى وقتٍ مَخصوص،والمَحيض وقت الحيض وموضعه وقد ثبت فى الشرع اعتزال النساء فى ايام الحيض قال الله تعالى.﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ اَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَلاٰ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّىٰ يَطْهُرْنَ**﴾[1] ثمّ انّ الفقهاء ذكر وللحائض احكاماً مَبسُوطة فى كُتب الفِقهيّة منها قُعود المرئة عن الصّلوة والصّيام الّا انّها تَقضى الصّوم دون الصّلوة باجماع الأمّة من العامّة والخاصّة مع انّ الصلوة من اهمّ الواجبات فى الشّريعة المُطهرة بحيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيهاالصلوة عماد الدّين (او عَمود الدين) ان قبلت قبل ماسواها وان رُدّت رُدّ ماسواها وقال صلى الله عليه وآله الصّلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر و قال صلى الله عليه وآله من ترك الصّلوة عَمداً فقد كفر، وغيرها من الأثار ومع ذالك انت ترى حَكم الشارع بوجوب قضاء الصّوم دون قضاء الصّلوة مع انّ القياس يقتضى عكسه وهذا دليل على بطلان القياس الّذى اَبدَعهُ فى الدّين ابو حنيفة وقد استدّل الصّادق عليه السلام على بطلان القياس بما ذكرناه حيث سَئل عليه السلام عن ابى حنيفة هذه المسئلة ولم يقدر على الجواب.

ثم انّه استدلّ على نقصان ايمانهنّ بقعودهنّ عن الصّلوة والصّيام وهو كذالك لا مازعم بعضهم من انّ علّة الْقعُود عنهما قذارتهما وخباثتهما فى ايّام الحيض اوقذارة دم الحيض وخباثته، ضرورة انّ الأمر لو كان كذالك لَوجَب على الرّجُل ايضا تركهما ايّام خباثته لانّ المنّى ايضاً قذر بل هو اَقذَر واَخبث مع انّ الرّجل يجب عليه الصّوم والصّلوة الّا انّه مع فقدان الماء يجب عليه

١- البقرة- ٢٢٢

التَيمُّم فيُعلَم منه انّ علة قعود المِرئة عنهما دُون الرّجل ليس الّا نقصان الأيمان فيها وعدمه فيه وهو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: وَاَمّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهادَةِ الرَّجُلِ الْواحِدِ ...**

وهذا اعنى شهادة امرأتين فى النّساء كَشهادة الرّجل الواحد حُكمٌ مقطوعٌ به فى الشّريعة المطَهرة ولم يخالف فيه احدٌ من العامّة والخاصّة ونحن نـنقُل بعض كلماتهم فيه.

قال الشهيد قدّه فى اللّمعة كتاب الشّهادات باب تفصيل الحقوق ما هذا الفظه).

فمنها- ما يثبت باربعة رجالٍ وهو الزّنا واللّواط والسّحق ويكفى فى الموجب لِلرّجم ثلثة رجال والمرئتان آه وقال قدّه ولِلحدّ رجلان وأربع نسوة انتهى وقال الشهيد الثّانى عند قول المَصنف وحَدّ السّرقة إحتَرز به عن نفس السّرقة فانها تَثبت بهما وبشاهدٍ وامرأتين انتهى.

وقال المصنف ومنها ما يَثبت برجلين ورجُل وامرأتين وامثال ذالك من كلماتهم وحيث انّ المُدّعىٰ من المقطوع به فلا نحتاج الى نقل كلماتهم اكثر ممّا ذكرناه ويكفى فى المقام قوله صلى الله عليه وآله قال اللّه تعالى :﴿**فَرَجُلٌ وَامْرَاَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ**﴾[1] ثمّ انّه ليَعلم انّ بعض الموارد ممّا لايُسمع فيه لشهادة النّساء مطلقاً كالرّدّة، والقذف والشُّرب، وحَدّ السّرقة فانّ فـى هـذه المـوارد يشترط شهادة رَجُلين خاصة ولا عبرة فيها بشهادة النّساءِ مطلقاً.

ومن هذه الموارد ما يثبت الحكم فيه بـاربعة رجـال لاغـيرها وهـو الزّنـا بالمحارم الموجب للقتل واللّواط والسحقّ وامّا الزّنا مع غيرها المُوجب للرّجم فلا بل يثبت شهادة ثلثه رجال والمرئتان هذا.

والغرض انّ شهادة المرئتين كشهادة الرَّجُل الواحد كما قال عليه السلام فى المتن ليس على اطلاقه اعنى فى جميع الموارد بل فى الموارد الخاصّة وبعبارةٍ اُخرى فيما تُقبَل شهادة المرئة فشهادتها كشهادة الرّحل الواحد.

١- البقرة- ٢٨٢

وَوَجهُ كون الحكم دليلاً على نقصان عُقُولهنّ واضح.

▫ **قوله ﷺ: وَاَمّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الْاِنْصافِ فِى مَوارِيثِ الرِّجالِ ...**

هذا الحكمُ ايضاً من القَطعيات فى الشريعة المُقدّسة ومنشائه فى كتاب الله قوله : **«يُوصِيكُمُ اللهُ فِي اَولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ»**[1]

زوى عبدَ الله (فى سنان عن الصّادق) عن علّة هذا الحكم قال ﷺ لما جلعه الله لها من الصّداق.

وفى بعض الأخبار عنه قال ﷺ انّ المرئة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة وانّما ذالك على الرّجال فلذالك جَعَل للمرأة سَهماً واحداً وللرّجل سَهمَين انتهى.

وفى بعضٍ آخر علّل الحكم بقوله لانّ المرئة اذا تزوجّت اخذت والرّجل يُعطى وعلّة اخرى فيه هو انّ الانثى فى عيال الذّكر ان احتاجت وعليه ان يَعُولها وعليه نفقتها ولا عكس قال الله تعالى:**«الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَّبِما اَنْفَقُوا مِنْ اَمْوالِهِمْ»**[2]

▫ **قوله ﷺ: فَاتَّقُوا شِرارِ النِّساءِ وَكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلى حَذَرٍ ...**

الفاء للتفريّع اى اذا ثبت كون النّساء نواقص الأيمان والعقول والحظوظ فاتّقو شرار النّساء الخ.

فانّ من كان ناقص العقل والأيمان والحظّ يجب عقلاً الاتقاء منه كائنا من كان الّا انّ هذه الصفات حيث لاتجمع فى غير النساء وَجَب الاحتراز من شَرارهنَّ والحَذَر من خيارهنّ والمراد بقوله ﷺ شَرارهنَّ كُلّ مرئة فاقدة الايمان والأدب سَيّئة الخلق عديم الحياء او قليله وخيارهنّ على العكس منها وقد وَرَدت الاثار والأقوال فى النّساء بما لاتُحصى ونحن نشير الى شَطرٍ منها فى تنبيهات البحث.

١- النساء- ١١

٢- النساء- ٣٣

□ قوله عليه السلام: وَلاٰ تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتّىٰ لاٰيَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ ...

اى ولا تُطيعوا النِّساء فى المعرُوف وهو كلّ عَملٍ او قول مَستحسنٍ عقلاً وشرعاً حتّى لا يَطمعن النّساء فى اطاعتكم لهنَّ فى فعل المُنكر اذ كلّ مَعرُوفٍ ادّىٰ الى منكرٍ ليس بمعروف وهو من بديع الكلام هذا شرح كلماته فى المقام على سبيل الأجمال وحيث انّ البحث من اجلّ المباحث ولا سيّما فى زماننا هذا لابأس بالأشارة الى بعض ما لابدّ منه تَتيمماً للبحث وتكميلاً للفحص فنقول.

تنبيهٌ ـ اعلم انّ المرئة تأنيث المَرء والمَرء هو الانسان ومنهم من يضمّ الميم فى الرّفع ويفتحها فى النّصب ويكسرها فى الخَفض يتبعها الهمز على حدّ ما يَتبعون الرّاء ايّاها اذا ادخلوا الف الوصل فقالوا (اِمرؤٌ) قال ابو خراش:

جَمعت أُموراً ينفذ المَرء بعضها
من الحِلم و المعروف و الحَسَب الفخّم

وقيل هذا اى كسر الميم لُغة هُذيل ثمّ انّه لايُجمع جَمع السّلاقه لايقال أُمراء ولا امرؤ ولا مَرؤون ولا اَمارىء وامّا ما ورَد فى الحديث اَحسنُو ملاءكم ايّها المرؤون فقيل هو جمع المرء وهو الرّجل وقال اللّيث اِمرئة تانيث اِمرىء كما انّ المِرئة تأنيث المَرء قال وللعرب فى المرئة ثلاث لغات، يقال هى اِمرأتُه وهى مِرأَتُه وهى مرئة بحذف الهمزة وقال الجوهرى ضَمُّ الميم فى المرئة لغة والاصّح الاشهر فيها الفتح.

هذا كلمات ارباب اللّغة فيها وقد دَريت انّ المرئة مشتّقة من المرؤة كما انّ المرء ايضاً كذالك فمأخذ اشتقاقها المرؤة وهى كمال الرّجو ليّته وعليه فوَجه تسمية الأنسان بالمَرء والمرئة هو كماله وتمامه فى خَلقه هذا.

ثمّ انّ المرئة قد تُسمّىٰ نِساء وهو فى اللّغة التّاخير وسميّت المرئة به لتاخّر حيضها عن وقته وبدأ حَملها والجَمع النِّساء ونسوء ويقال نساء الشّى نِساءً اَخّره قال انس ابن مالك من احبّ ان يُبسُط له فى رِزقه ويُنساء فى اجله

فليَصل رَحمَه انتهى اى ويؤخّر فى اجله والأسم منه النسيئة تقول نسأتهُ البيع وانَسئتُه وبعتهُ بِنساةٍ وبعته لكلاءة وبعته بنسئةٍ اى بأخرةٍ وتأخيرٍ هذا تمام الكلام فى لفظ المرئة والنّساء من حَيث الاشتقاق واللّغة وفى هذا التنبيه مباحث.

المبحث الاوّل فى كَيفيّة خلق المرئة وحلّية.

اعلم: ان الآيات والآثار قد دلّت على انّ اوّل ماوَجدٍ على وجه الأرض من هذا الموجود المُسّمى بالبَشرَ او الأنسان هو ابونا آدم وامنّا حوّاء قال الله تعالى فى كتابه:﴿ **يا اَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مَنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً**﴾[1] دلّت الاية الشريفة على انّ الله تعالى قد خَلَقنا مِن نفسٍ واحدة وهو آدم وخَلَق ايضاً زوجها اعنى حوّاء منها ايضاً فقد حَصَل مما ذكرناه انّ افراد البَشَر جميعاً مخلوقون من اَبينا آدم وقد مَرّ الكلام فيه فى المُجَلد الاوّل عند شَرحنا الخطبة الأولى فراجعه ان شئت.

ثمّ انّ الكلام فى المقام انّما هو فى كيفيّة خلق حوّا فقال اَكثَرُ المُفسّرين فى تفسير الأية انّها خُلقت من ضلع من اَضلاع آدم وَرَووا عن النّبى ﷺ انّه قال خُلقت المرئة من ضلع ان اَقَمتها كَسرتَها وَان تركتها وفيها عوج استمتعت بها، وذهب آخرون الى انّها مَخلُوقة مَن فَضل الطّينة الّتى خلق منها آدم.

وقد رَوَوا فيه حديثاً عن الباقر عليه السلام وفى تفسير على ابن ابراهيم انّها خُلقت من اَسفَل اضلاعه...

وقد روى ابو بصير عن الصادق عليه السلام او عن الباقر حديثاً فى خلق آدم وحوّا وفيه فَلِم سمّيت حوّاء حوّاء قال: لانّها خلقت من ضلعٍ حىٍّ يعنى آدم (ضلعِ آدم)...

وفى حديث آخر عن الصّادق عليه السلام: قال سمّيت حوّا حوّاء لانّها خلقتُ من حىٍّ قال الله عزّ وجل خلقكم من نفسٍ واحده وخلقها منها زوجها انتهى...

١- النساء-١

وفی خبر ابن سلام انّه سئل النبی عن آدم لم سُمیّ آدم قال ﷺ لانّه خلق من طین الأرضُ وادیمُها والحدیث طَویل الی ان قال فأخبرنی عن آدَم خُلِقَ من حَوّا او خُلقت حَوّا من آدم قال ﷺ بل خُلقت حَوّا من آدم الی ان قال فمن این خُلقت قال ﷺ من الطّینته الّتی فُضِلّت عن ضِلعه الأسیر انتهی...

والّذی استفدناه من صریح الآیة الشّریفة ومجموع هذه الرّوایات مضافاً الی اجماع الامّة واتّفاقهم هوَ اِنّ حَواء خُلِقت بعد آدم ومنه سَواءٌ خُلِقت من ضِلعه الأیسَر ام من فضل الطّینة الّتی خلق منها آدم فانّا لسنا فعلاً بصدد تحقیق هذا الموضوع وانّها من ایّ شیءٍ خلقت وانّما الغَرض تَأخُّر وجودها عن وجوده وهو المطلوب.

وامّا البحث عن علة وجودها: اعنی العلّة الغائیته دون الفاعلیته فلا نَشَّك انّ الغرض من خلق حَوّا انّما هو کون آدم مأنُوساً بها حتّی یترتّب علیه بثّ الرّجال والنّساء فیهما ضرورة انّها لو لم تُخلق لَما کان من نَسلها فی العالَم خیرٌ ولا اثرٌ قال الله تعالی:﴿**اِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَاُنْثیٰ وَجَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ**﴾[1]

المَبحَث الثّانی: فی ان المَرء اشرف من المِرئة والدّلیل علیه من العقل والنّقل.

امّا العقل: فَلانّ المَرء اعنی الرّجل علی ماعَرَفت هو الأصل فی الأیجاد منه تعالی والمرئة هی الفرع وقد ثبت انّ کلّ اَصلٍ اشرف من فَرعه فَالرَّجُل اَشرَف من المرئة وهو المطلوب.

امّا کونه هی الأصل فلا کلام فیه وقد فَرغنا عن بحثه وقلنا انّ آدم اوّل ما خَلَقه الله وانّما خلقت حوّا له وَ منه سواء خُلقت من ضلعه او من فاضل طینته وامّا کون الأصل اشرف فهو ایضاً قد ثبت عقلاً لانّه لولاه لم یکن للفَرع وُجُود وکلّ تابع اَخَسّ من متبوعه وترتیب القیاس هکذا.

الرّجل اصلٌ فی وجود المرئة وَ کُلّ اصلٍ اَشرَف من فرعه فالرّجل اَشرَف

۱- الحجرات- ۱۳

من فرعه وَ هوالمطلوب.

واما النقل: فلقوله تعالى:﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[1] دلّت الآية على كون الرّجال قوامين على النّساء والمراد بكونهم قَوّامين هو تَسلُّطهم على النّساء بمعنى انّ لِّلرجال تفوّقٌ وَتَحكُّمٌ على النّساء وهذا دليل على كونه اشرف منها ضرورة انّه لاتَحكُّم لِلاخس بل للمساوى على مثله.

المَبحث الثّالث: فى انّه لاتختلف المرئة عن الرّجل باختلاف شكل اَعضاء التّناسل فى كليهما فقط على ما قيل نعم لاشَّك فى انّ تِلك الأعضاء هى اَكبَر الأختلافات اَلتى بينهما ولكن كلّ الأعضاء حتّى الّتى تَظهر انّها اَكثَر تشابهاً فيما بينهما تُرينا تَغايُراً خاصّاً.

قيل انّ تركيبها الجسمانى يَقرُب من تركيب الطّفل ولذالك تراها مثله ذات حساسية حادّة جدّاً وتتأثر بغاية السّهولة بالأحساسات المُختلفة كالفَرح والاَلم والخوف وبما انّ هذه المُوثّرات تُوثّر على تصّورها بدون ان تكون مصحُوبةٌ بتعقّلٍ فلذالك تراها لاتَستَمّر لَديها الّا قليلاً ومن هنا صارت المرئة مَعرضتهً لِعدم الثُّبات ثُمّ قال يعلم النّاس اجمع انّ المرئة قد وهبتها الطبيعة حُبّاً حادّاً لكلّ شىء لامع ولكلّ ما يَزينُها ويزيد فى جمالها وهذ الحُبّ فى ذاته يظهر انّه شَرعىّ مَحضٌ لانّ كلّ شىءٍ فيها يَجعلها محتاجة لِلتّزين وليس ذالك فقط بالنسبة لتركيبها الطَبيعى ولكن بالنسبة لوظيفتها الاجتماعية ايضاً وهى الوظيفة الّتى لايمكن ان تودّيها الّا بالجاذبة الّتى تُوخيها الى النّفوس وهى تعرف انّ قوّتها تَتَعلّق بهذه الجاذبة ولذالك فان كلّ شىءٍ ينفع اللزّينة يُوثّر عِندها تاثيراً شديداً لاتقاومه الّا بصعوبة ويوقظ لديها كلّ ميولها حتّى انّ اَعقلهنّ واَطهرهنّ لاتستثنى من هذه القاعدة قال.

وقال الفيلسوف الاشتراكى الشهير (بُرودون) فى كتابه ابتكار النّظام، انّ وَجدان المرئة اَضعَف من وجداننا بقدر ضعف عقلها من عقلنا ولأخلاقها

١- النساء- ٣٤

طبيعةٌ اُخرى غير طبيعة اخلاقنا فالشّى الّذى تحكم عليه بالحُسن والقُبح لايكون هو عليه ما يحكم عليه الرّجل كذالك بحيث انّ المرئة بالنسبة الينا يمكن ان تعتبر امّا مُفرطة او مُفرّطة فى جنب العدالة فانّ عدم المساواة خاصية نفسها ولا ترى عندها الميل لِتوازن الحقوق والواجبات وهو الميل الّذى يؤلم الرّجل ويسوقه ان لم يتحصّل عليه الى الدّحول مع امثاله فى نزاع شديد فالشّى الّذى تُحبّه اكثر من كلّ شيىء، وتعبده هو الأمتيازات والخصوصيّات امّا العدالة الّتى تُسوّى بين صفوف البَشَر فهى بالنسبة للمرئة تقليد لاتحتملها قال صاحب الكتاب (محمّد فريد وجدى) هذا ما يقوله العلم الأوروبى عن الفرق بين المرئة والرّجل فى الوجهة العلمية ونحن وان كنا لانشارك (بُرودُون) فيما الصَقَه بالمرأة من الصّفات الّا انّنا نقول انّ مايقول فى حقها هو نتيجة القاء حبلها على غاربها تَمَرح فى ميادين اللّهو والتّرف وما اضّر بالمرئة اكثر ممّا اضّر بها اولئك الكتاب الخياليون الّذين تُملى عليهم الاهواء آراء لاتتفّق مع الحقايق العلميّة فيَضعُون المرئة والرّجل فى مستوى واحد من كلّ الوجوه مع انّ الرّجل والمرئة خلقا ليتكاملا لاليتنازعا هذا، انتهى ماقاله فى «دائرة المعارف ج ٨ ص ٥٩٦».

ثم انّ صاحب الكتاب بعد ذكره ما نَقلناه عنه قال ما هذا لفظه.

قال العلامة الكبير (اجوست كوست) موسّس الفلسفية الحسيّة وعلم العمران فى كتابه المسّمى بالنّظام السياسى على حسب الفلسفة الحسية) كلّ ادوارٍ لأنتقالات الاجتماعية قَد وُلدت كما فى زماننا هذا ضلالات خيّالية على حالة النّساء الأجتماعية ولكنّ القانون الطّبيعى الّذى مخصص الجنس المحبّ (النّساء) للحياة المُنزّلية لم يتغيّر اَبداً تَغَيّراً خطراً فانّ هذا القانون صَحيحٌ ومُحققٌ لدرجة انّه ساد من تلقاء نفسه حتّى مع بقاء السّفطّات المُضادة له بدون دحض ثمّ قال.

ومهما كان حرماننا اليوم من اَسّسٍ اجتماعية حقيقته (الرّجل يقول الحق)

اكثر ممّا كنّا وقت الأنتقال من الحالة الوَثنية الى الحالة التوحيدية فانّ العقل الأنسانى فى مقابل ذالك والاحساسات القَلبية صارت اكثر كمالاً وشعوراً فانّ النّساء فى ذالك الزّمان كُنّ فى هُبُوطٍ لايَسمَح لهنّ ان يدحضن كما يجب علَيهنّ ولو بسكوتهنّ الضّلالات الدكتورية الّتى جاء بها الّذين يَزعمون الدّفاع عنهنّ اولئك الّذين كانوا يحاربون فى الواقع ونفس الأمر العقل نفسه ولكن بالنّسبة الى النساء الحاليات فان الحُرّية السعيدة عند غريباتهنّ تَسمح لَهُنّ باظهار كراهتهنّ النهائية الّتى تكفى عند عدم وجود الرّدود العلّمية لمنع انتشار هذا الهذر العقلى الّذى او مسّة القلوب الفاسدة فانّ احساس المرئة اليوم هو الّذى يحتوى وحده على المصائب العلمية الّتى يجب ان تكون هى الّتى ولدت هذه الميول الفوضوية يد فانّ البطالة تريد هذا هذاالخَطر خطراً عند طبقاتنا العالية الّتى فيها يؤثر الغنى تأثيراً سَيئاً للغاية على حالة النّساء الخلقية انتهى.

قال صاحب الكتاب فليحذر اخواننا الشَّرقيون من تصديق بعض قصص اوُرُوبا فانّهم انّما يكبتون امثال هذه الخيالات الفاسدة المُفسدة لتروج لَدى النساء ليكتبو مثلّهن واولئك المسكينات لايعلمن انّ نصائح اولئك الكتاب تُهلكهنّ اهلاكاً وتجعلن اَشَدّ عبوديّة كما سيمربك ان شاء الله من اقوال تلك المدنيّة انتهى.

وانا اقول: الغرض من نقل كلمات القوم هو ان تعلم انّ ما قاله ﷺ فى هذا المقام حقّ لامرية فيه فانّ النّساء كما قال ﷺ لنقصان العقل والأيمان لاينبغى الأعتماد عليهنّ فانّ الملاك فى زعامة الأنسان وكماله الّذى يوجب الأعتماد عليه انّما هو العقل لاغير واذا فرضنا كونه مَعدُوماً او ناقصاً فى الأنسان فحاله معلوم ولا شك انّ النّساء فى منقصة من العقل كما هو الثّابت عند العقلاء بالدّليل والتّجربة وحيث اَنجَّر الكلام الى هنا فلابدّ لنا من اطالة البحث والتّحقيق فيه اكثر مما مضى لكون الموضوع من اهمّ الموضوعات فى يَومنا

هذا ولأجل هذا اى مخالفة كلامه: لما عليه الأراذل والأوباش وعَبَدة الشّهوة من استخدامهم النّساء فى الحقيقة لأطفاء غرائزهم فى المُؤسّسات واللّعب بهنّ فى ايام الفراغ وساعات المجال وسَمّوا هذه الرّوية الكثيفة والنّار المشتعلة لأحتراق الأجتماع والدّين بالتَمدُّن والتَجدّد تقليداً لهم مِمَّن لايعرفون الحرّ من البرّ والأنسانية من الحيوّانية وظَنُّوا هؤلاء المُقَلّدون انّهم أتَوا بشيءٍ و فازوا فوزاً عظيماً ولم يَعلَموا انّهم وقعوا فى خسرانٍ وضلالةٍ وسيعلم الذين ظَلموا ايّ مُنقَلبٍ ينقلبون انّا للّه وانّا اليه راجعون.

ولمّا رأو انّ كلامه فى المقام وغير المقام وهكذا كلمات سائر المعصومين مغايرة لمسلكهم الحيوانى فتارة يُنكرون صُدور هذه الكلمات عنهم عليهم السّلام وتارةً يقولون انّ هذه الكلمات وما شابهما انّما صدرت عنهم فى ذالك العَصر والزّمان ولا ربط لها بهذا العصر فانّ الدّين ينطبق على مقتضيات الزّمان، وتارة يقولون انّ بعض القوانين فى الأسلام لايناسب الزّمان ففى الحقيقة الاسلام عاجزٌ عن ادارة البَشر وامثال ذالك من الأستخراجات الشيطانية الّتى لايُعبأ بها وعليه فيجب عَلَينا وعلى كلّ مكلّفٍ قادرٍ على رفع الشّبهة ان يظهر علمه طلباً لِمرضات الله واداءً لوظيفته الأنسانية فها انا خانضٌ فى المقصود بعون الملك المعبود فنقول:

اعلم: انّ المرئة من جهة الجسم والأدراك تغاير الرّجل وبذالك تختلف وظيفتهما اختلافاً بيّناً.

امّا الجسم فقد أثبتُوا فى علم التّشريح انّ الرّجل أقوىٰ من المِرأة جسماً من سائر الجهات وبدرجةٍ مَحسُوسَةٍ حتّى قال بعضهم انّ المرئة الحالية ليست بأنثى الرّجل الحالى بل هى انثى كائن آخر يشبهها فى تركيبها ووضعها وانّ ذالك الكائن قد انقرض بمزاحمة الأنسان له فى الحياة فتغلب على انثاه الّتى من نسلها المرأة الحاليّة.

فمن ذالك الفرق بين الرّجل والمرئة بحسب الجسم انّ العلم قد أثبَت

بالتجرّبَة، انّ متوسّط طول المرئة اَقَلّ من مُتوسّط طُول الرّجل باثنىٰ عشر (سانتيمتر).

ومنه انّ ثقل الجِسم عند الرَّجُل متوسّطاً سَبعة واربعون (كيلو غرم) وامّا عند المرئة فلا يزيد اثنين واربعين ونصف (٤٢/٥ كيلو غرم).

وامّا من جهة المَجُموع الفَصلى فانّه عند المرئة اقلّ كمالاً منه عند الرّجل بكثيرٍ وقد قيل انّه اَقَلّ حَجماً واضعف منه عند الرّجل بقدر الثّلث وحركاته اَقَلّ سُرعة واَقَلّ ضبطاً.

وامّا من جهة القلب الّذى هو مركز القوى الحيوانية وغيرها بل مَنشَاء الحَياة واصلها وسنامها فقالوا انّه عند المِرئة اصغر واخَفّ منه عند الرَّجُل بمقدار ستّين غرام (٦٠ گرم) فى المتوسّط.

وامّا الجهاز التنفُّسى فانّه لدى الرَّجُل اَقوى منه لدى المرئة فقد ثبت انّ الرّجل يحرق فى السّاعة (١١ گرم احد عشر غراماً) تقريباً من الكربون وامّا المرئة فلا تحرق الّا ستّته وكسراً (٦ وكسراً من الغرام) ولذالك فحرارة المرئة اَقَلّ من حرارة الرّجل.

امّا الحواس الخمس فقد اَثبتوا انّها اضعف عند المرئة فيها عند الرّجل فهى لايستطيع ان تُدرك رائحة عطر اللّيمُون على بعدٍ مخصوص الّا اذا كانت ضعف المقدار الّذى يُدركه الرّجل فيه وشوهد بالأمتحان انّ المرئة لاتدرك رائحة حمض البروسيك المخفّف الّا على نسبةٍ واحد على عشرين الف امّا الرّجل فيدركها على نسبةٍ واحد على مأة الف فهذا فى الشّم.

وامّا فى الذّوق والسّمع فانّ الرّجل ادَّقّ منها بكثيرٍ فيهما ويكفيك الدّليل على المُدّعىٰ انّ اهل الخبرة فى تَمييز الطُّعوم ونقد الأصوات وتوفيق النّغمات كلّهم من الرّجال هكذا قيل.

وامّا اللّمس فقد ثبت انّ الرّجل دّق من المرئة فيه والدّليل عليه هو انّها فى تحمّل الألم اثبت من الرّجُل فيه وهو دليل على قلّة احساس المِرئة به بالنّسبة

الى الرَّجُل وهذا من احس النّظام لنوع الأنسانى فانّ المرئة تكون غالباً فى مَعرَض الآلام والأوجاع الشديدة كالحَمل والوضع وغيرهما ولو كانت فى الحَسّاسية بمثابة الرجل لما تقدر على تَحَمّلها وهذا ظاهر.

فقد ثبت ممّا ذكرنا كلّه فى المقايسة بين الرّجل والمرئة انّها بسبب ضعفها اكثر تَعرّضاً لمصائب الحياة من الرَّجُل واَشَدّ استعداداً فيه لانواع الأمراض وهو الدّليل على انّ حياتها تجب ان تكون بيتيّةً مَحضَة لاخارجيّة وقد نقل عن بعض المُحقّقين انّه قال لاشك انّ المرئة لضعفها ونموّ مجموعها العصبى ترى مزاجها اكثر تَهيُّجاً من مزاج الرّجل وتركيبها اقلّ مقاومةً من تركيبه فانّ تأديتها لوظائفها من الحمل وَالأمُومَة والأرضاع يُسبّب لديها احولاً مرضيّة قليلةً او كثيرة الخطر انتهى.

قال فى دائرة المعارف بعد ذكره عن المأخَذ مانقلناه عنه ما هذا الفظه.

نقول هنا يمكن ان يقول قائل انّ ذالك الضَّعف التّشريحى الّذى اَثبته العلم نتيجة ضغط الرّجل على حريّتها واجبارها على ملازمة مايفسدها، نقول هَب انّ ذالك صحيحٌ فما سَبَب رخامة صَوتها على انّ من الثّابت عِلّمياً انّ سكّان البلاد الحارّة من المتوّحشّين يكلّفون نسائهم بأعمال الحراثة والزّراعة وغيرهما من اوّل الخليقة الى الآن ومع ذالك فانّ تلك الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم حتّى قيل انّ هذا الفرق يشاهد بين الثباجونيين (بعض مُتوحشّى امريكا) كما يشاهد عند سكّان باريز وعليه فلا سبيل للجدل فى هذه القضيّة انتهى.

وامّا جهة الأدراك الّذى هو الأصل فى المقام لِدَوران الشّخصية الأجتماعية والدينيّة عليه فهو ايضاً ممّا لاكلام فيه من حيث انّ الأدراك فيه اقوى واشدّ منه فيها ويكفيك فيه انّ مخّ الرّجل والمرئة مادّة وشكلاً متغايران مختلفان فانّ مُخّ الرّجل يزيد على مُخّ المرئة بمقدار مائة غرام (١٠٠ گرم) فى المتوسّط، لايقال انّ هذا الفرق منشائه الأختلاف بين حَجمى الجسمين وذالك لانّه شوهد انّ

نسبة مخّ الرَّجُل الى جسمه هى كَنسبة واحد الى اربعين مع انّ هذه النّسبة فيها كنسبة واحد الى اربعة واربعين فَبَين النّسبتين فرقٌ واضحٌ مضافاً الى انّ مُخّ المرئة اقل ثنيات وتلافيفه اقلّ نظاماً وهذه المشاهدة يُعدّونها من اكبر مميّزات الجنسين وثالثاً يُوجد الاختلاف بين المخّين فى الجوهر السنجابى الّذى هو المّادة المدركة من المخّ فهو عندها اَقلّ منه عنده بِدرجة مَحسُوسة وامّا مراكز الأحساسى والتَهيّيج عند المِرئة احسن تركيباً منها عند الرَّجُل فالنّتيجة هى انّ الرّجل اَكثَر ذكاءً وادراكاً وامّا المرئة فاكثر انفعالاً وتَهيُّجاً وحيث انّ المدار فى الأفضّليته والأشرَّ فية على الادراك كما هو ثابت فى الفلسفة فكل من كان ادراكه اَتَمّ واَكثر فهو اَفضَل فالرّجل اشرف وافضل وهو المطلوب.

فان قلت ـ لعل حرمان المرئة فى جهة الأدراك معلولٌ لحرمانها من التّهذيب فى طول الزّمان فلا يبعد نُمُوّ مخّها فى صورة المراقبته والتّهذيب حتّى يُساوى مُخّ الرّجل.

قلت ـ كلّا لانّ تِلك الفروق قد شاهدوها فى الشّعرب العريقة فى الوحشة الّتى لاحَظّ لكلا الجِنسين فيها من التّعليم فلو كان السّبب فى الفرق هو التّعلم فلماذا نُشاهدها فيهما وهما على حالةٍ السّذاجة الطبيعة الأولى الّتى يفضل احدهما الآخر فى مَزيّةٍ عقلّيةٍ ما.

فقد تحقّق مما ذكرناه ونقلناه عن القوم انّ المرئة اضعف جسماً من الرّجل واضعف قوىً منه وهذا ممّا لايمكن انكاره وهذا هو السّر فى كونها ضعيفة بتمام الجهات اذا عرفت هذا فنقول.

وظيفة المرئة فى الحياة الأنسانيّة سامية جّلاً وهى عبارة عن حفظ النّوع البَشرى ولا شَّك فى انّه من اعلى الغايات واَحسَنها فى عالم الخلقة فانّ هذا ممّا لايتّأتى فى غيرها لا لِلرجّل ولا لغيره ولا بالاستقلال ولا بمشاركةٍ لها فانّ هذا الأمر اى حَمل الوَلدو وَضعها له وارضاعها ايّاه وتغذيته وتربيته من مُختصّات المرئة فح يَجب ان يعتبر ذالك التّحول عن وظيفتها الخاصّة وهذا

هو كمالها المطلوب فيجب علينا ان نَعمَل كلّ ما يُمكننا لِتتَقرَّب المرئة من كمالها وتدخل الى حدود وظيفتها وان نعتبر كلّ مايُبعدنا عن هذه الوظيفة داءً اجتماعياً وينبغى لنا ايضاً التَّألُّب على مماشاتها وحصرها فى محلّها وان نُصّرح على رؤس الأشهاد بانّ كلّ امرئةٍ مهما قيل انّها مُكتَشفة لنجم او بحاثة الميكروبات او مُعلّمة لعلم التَّشريح او غير ذالك فهى ناقصته وعاصيةٌ للطبيعة وخارجة عن حُدود وظيفتها وان نكره النساء فى احتذاء مثالها لا ان نضرب بها الامثال ونتخَذها نموزجاً للكمال وهذا من الواضحات ولولا مخافة الأطالة وخُروج الكلام بل الكتاب عمّا نحن بصدده لأشبعناك من هذا البحث ولكن قطع الكلام فى هذا المقام اَولىٰ وتَفصيل الكلام يستدعى مقاماً آخر فقد علم ممّا ذكرناه انّ قوله: نواقص الأيمان والعُقُول والحظُوظ فى محلّه فانّ نقص العقل يستلزم نقص الأيمان والحظّ كما انّ المَجنون والسَّفيه ايضاً كذالك وبذالك قد ظهر لك ايضاً وجه قوله ﷺ: **فَاتَّقُوا من شَرارهنّ وَكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلٰى حَذَرٍ**، وذالك لانّ الشّرور فيهن لاايمان لهنّ اصلاً فاالاتّقاء عنهنّ واجبٌ عقلاً فانّ فاقد الأيمان حاله معلوم وامّا الخيار مِنّهن فلعدم كونهنّ فاقد الأيمان رأساً لايجب الأحتراز عَنُهنّ بمعنى عدم معاشرتهنّ الّا انّ هذه الفرقة حيث تكون ناقص الأيمان والعقل فيجب على العاقل ان يكون منهنّ على حَذَرٍ بمعنى عدم الأعتماد عليهنّ فانّ النّساء حالها معلومة ويكفيك شاهداً على المدّعىٰ قصّته الجَمَل وعائشة الّتى اوجَبَت صُدور هذا الكلام منه فانّ هذه المرئة حيث كانت قائدةً للجيش وزعيمةً عليهم والنّاس كانوا مطيعين لها صارت مصداقاً لقول الشّاعر.

اذا كان الغراب دليل قومٍ ... سيَهديهِم سبيل الهالكين

فصارت باعثة على قتل خلقٍ كثير ووَهن الاسلام والمسلمين وهتك حرمة المؤمنين والمسلمين.

خاتمة نذكر فيها اوصاف النّساء.

اعلم: انّ المرئة كما قلنا فى الأبحاث السّالِفة ليست ممّا يمكن لاحدٍ انكار شَرَفها وفضيلتها كيف وهى احد رَكنى الأحتماع بحيث لولاها لَما كانَ من النّظام الأنسانى فى العالم خيرٌ ولا اَثَر قال الله تعالى: **﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾**[1] ولأجل هذا اَعَدّته القُدرة الالّهية وخَلَقها وجَعلَها مونسة للرجّال وشريكة لهم فى تربية الأولاد فوظيفتها من هذه الجهة سامية عالية وهذا من اوضح الواضحات.

ثمّ انهّ لاشك لنا ايضاً فى انّ هذه الطائفة اعنى النّساء ليست على حَدٍّ سواء بل منها سيئة خبيثة ومنها حَسنة شَريفة كما انّ فى الرّجال ايضاً كذالك فهذا التّقسيم لايختصّ بها بل هو من الواقعيّات الصّادقة على الرّجال والنّساء وكلّ صنفٍ من اصناف المخلوقات الّا ان البحث فعلاً يَدُور مدارها حيث انّ الخطبة الشريفة انّما وضُعت لبيان اوصافها ولاسيّما انّه عليه السلام قال فى آخر كلامه فاتّقوا شرارهنّ وكونوا فى خيارهنّ على حَذرٍ، ولأجل هذا توجّهنا الى البحث ثانياً حتّى نذكر بعض اوصاف النّساء وعِلم شرارهنّ من خيارهنّ فانّ العَيش كلّه مقصورٌ على الجَميلة الصّالحة والزّوجة المرافقة والبلاء كلّه موكّل بالقرينة السّوء الّتى لاتسكن النّفس الى كريم عشرتها ولا تقرّ العين برؤيتها

قال عروة ابن الزّبير ما رَفَع اَحَدٌ نفسه بعد الأيمان بالله بمثل منكح صدقٍ ولا وَضَعَ اَحَدٌ نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سُوءٍ.

وفى حكمة سليمان ابن داود عليه السلام المِرئة العاقلة تبنى بيتها والسَّفيه تهدمه.

وقال الجمال كاذب والحسن مُخلّف وانّما تَستَحق المَدح المِرئة المُوافقة.

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال يا عكاف (عكاف ابن وداعة الهلالى) اَلَك امرئة قال لا، قال صلى الله عليه وآله فأنت اذاً من اخوان الشّياطين ان كُنتَ من رُهبان النّصارى فألحَقَ بهم وانكنت منّا فانكح فانّ من سُنتنا النكّاح، وقال صلى الله عليه وآله

١- الحجرات- ١٣

اوصيكم بالنّساء فانّهن عندكم عِوان، يعنى اسيرات...

خَطَب عَمرو ابن حجر الى عوف ابن مُحلّم الشيبانى ابنته امّ اياس فقبل ذالك منه ابوها وانكحه ايّاها فلمّا كان بنائه بها خلت بها اُمّها فقالت اى بُنيّة إنّك فارَقَت بَيتك الّذى خَرَجت منه وعُشّك الذى دَرجت فيه الى رجُلٍ لم تَعرفيه وقرينٍ لم تألفيه فكُونى لَه اُمَة يكن ذلك عبداً واحفظى له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً.

امّا الأولى والثّانية، فالخُشُوع لَهُ بالقناعة وحسن السّمع له بالطّاعة، وامّا الثّالثة والرّابعة، فالتفقّد لموضع عينه وانفه فلا تَقَع عينه منك على قبيح ولا يَشُم منك الّا اطيب ريح، وامّا الخامسة والسّادسة، فالتفقُّد لوقت منامه وطَعامه فانّ تواتر الجوع ملهّبة وتنغيص النّوم مغضبة، وامّا السّابعة والثّامنة، فالأحتراس بماله والأرعاء على حشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التّدبير وامّا التّاسعة والعاشرة، فلا تَعصين له امراً ولاتُفشين له سرّاً فانّك ان خالفت امره او غرت صَدره وان اَفشَيت سِرّه لَم تأمنى غَدره، ثُمّ ايّاك والفَرَح بين يديه اذا كان مُهموماً والكآبَة بين يَديه اذا كان فَرحاً انتهى.

وقال رَجُلٌ ارَدتُ النّكاح فقلت لأستشيرَن اوّل من يطلع عَلىَّ ثمّ اعمل برآيه فكان اَوّل من طَلع هبنقة القيسى وتحته قصبة فعلت له اُريدُ النّكاح فما تُشيرُ عَلىّ قال البِكر لك، واليثب عَلَيك، وذات الولد لاتَقرَبها، واحذَر جوادى لاينفحك.

قيل انّ جاريةً لِأمَية ابن عبدالله ابن خالد ابن اسيد مرّت برجل من بنى سعد وكانت ذات ظرفٍ وجمالٍ وكان شجاعاً فارساً فلمّا رآها قال لها طُوبىٰ لِمن كان له اِمرَئةٌ مثلك، ثمّ انّه اتبعها رسولٌ يسألها الها زَوجٌ ويذكره لها فقالت للرّسول ما عرفته فابلغه الرّسول قولها فقال ارجع اليها فقل لها.

وسائلة ما حِرفتى قُلت حِرفتى مقارعة الأبطال فى كلّ شارقٍ

اذاعَرضَت لى الخَيل يوماً رأيتنى　　امام رعيل الخيل احمى حقائقّ
واصبر نفسى حين لاحرّ صابر　　على اَلَم البيض الرقاق البوارقّ

فانشدها الرّسول ما قال فقالت ارجع اليه وقل له اَنتَ اَسدٌ فاطلب لنفسك لُبؤةً فلستُ من نسائك وقالت:

الّا انّما اَبغى جَواداً بماله　　كريماً مُحيّاه قليل الصّدائق
فَتىً هَمُّه مدكان خُوذٌ كريمة　　يُعانقها باللّيل فوق النّمارق
ويَشربها صرفاً كميتاً مداحةً　　نداماه منها كلّ خرقٍ موافقٍ

قال ابو عمر وابن العلاء اعلم النّاس بالنّساء عبدة ابن الطيّب حيث يقول:

فأن تسألونى بالنّساء فانّنى　　عليمٌ بادواء النّساء طَبيبُ
اذا شاب رأس المَرء او قلّ ماله　　فليس له عن ودُهِنَّ نَصيبُ
يؤدن ثراء المال حيث عَلِمنه　　وَشرح الشّباب عندهنّ عجيبُ

وقال عبد الملك ابن مروان من اراد ان تتّخذ جاريةً للمُتعة فليتخذها بَرّبّرية، ومن ارادها لِلولد فَليتّخذها فارسيّة، ومن ارادها للخِدمة فليتّخذها رُوميّته.

قيل ذُكِرت النّساء عند الحَجّاج فقال عندى اربع نسوة، هند بنت المُهلَب، وهند بنت اسماء ابن حارجه وامّ الجلاس بنت عبد الرّحمن ابن اسيد، و امة الله بنت عبد الرّحمن ابن جرير ابن عبدالله البجّلى فامّا ليلتى عند هند بنت المُهلّب فَليلة فتىً بين فتيانٍ يَلعَب ويَلعَبون، وامّا ليلتى عند هند بنت اسماء فليلة ملكٍ بين الملوك، وامّا لَيلَتى عند امّ الجلاس فليلة اعرابيٍّ مع اعراب فى حديثهم واشعارهم وامّا ليلَتى عند امةالله بنت عبد الرّحمن بن جرير فلَيلَة عالم بين العلماء والفقهاء انتهى.

قال ابو سعيد الشحّام، اصحبتُ ابن سيرين عشرين سنة فقال لى يوماً يا ابا سعيد اِن تزوّجت فلا تَتزوج امرئةً تنظر فى يدها ولكن تَزوّج اِمرئة تنظر فى يَدك انتهى.

وقال صعصعة لمعاوية ابن ابى سفيان كيف تَسبك الى العقل وقد غَلبَ عليك نصف انسان، يريد غلبته امرئته فاختة بنت قرظة عليه فقال معاوية إنّهُنّ يغلَبن الكرام ويغلبهُنّ اللّئام.

وكتب الحَجّاج الى ايوب ابن القُربة ان اخطب على عبد الملك ابن الحجّاج اَمرئةً جَميلةً من بعيد، مليحةً من قريب، شريفةً فى قومها، ذليلةً فى نفسها، موافقة لبعلها، فكتب اليه قد اَصبتها لولا عظم ثديَيها، فكتب اليه لايكُمل حسن المرئة حتّى يَعظُم ثَدياها، فتُدفئ الضجيعُ وتُروى الرّضيع.

وقال السّفاح من خلفاء العبّاسيين لخالد ابن صفوان يا خالد انّ النّاس قد اكثرو فى النّساء فَايّهُن اعَجَب اليك قال اعَجَبّهن الّتى ليست بالضرّع الصغيّرة ولا الفانية الكبيرة وحسبك من جمالها ان تكون فَخمةً من بعيد، مليحة من قريبٍ، اعلاها قضيب، واسفلها كَيبٌ، كانت فى نعمة ثم اصابتها فاقة، فأتّرفها الغنى واَدَّبها الفقر.

وَسُئِل اعرابىّ عن النّساء وكان ذا تجربةٍ وعلم بهنّ فقال افضل النّساء، اَطوَلُهُن اذا قامَت، واعظَمهنّ اذا قَعَدت، واَصدَقهنّ اذا قالت، الّتى اذا غَضبت حَلمت واذا ضَحِكت تبسّمت، واذا صنعت شيئاً جَوّدت، الّتى تطيع زَوجها، وتلزم بيتها، العزيزة فى قومها، الذليلة فى نفسها، الوَدُود الوَلُود، وكُلُّ اَمرها محمود.

قال عبد الملك لرجلٍ من غطفان صف لى احسن النّساء فقال خُذها، مَلساء القَدمين، ذَرماء الكَعَبين، مَملُوتة السّاقين، جماء الرّكبتين، لَفّاء الفَخِدين، مقر مدة الرّفعين، ناعمة الأليَتَين، منيفة المأكمتين بداء الوركين، مَهضُومة الحضرين، ملساء المتين مشرفةً، نعمة العَضدين، فَخمة الذّراعين، رخصةُ الكَّفين، ناهدة الثدَّيين، حَمراء الخدّين، كحلاء العينين، زجّاء الحاجبين، ملياء الشفتين، بلجاء الجبين، شماء العرنين، شنباء الثّغر، حالكة الشّعر، عنداء العُنق، عيناء العينين مكسَّرة البطن، ناتئة الرّكب فقال له ويحك، واين توجد هذه، قال

تجدها فى خالص العَرَب او فى خالص الفُرس.

ونَظَر عمران ابن حطّان الى امرئته وكانت من اَجمَل النّساء وكان هو من اقبح الرّجال فقال انّى واياك فى الجنّته انشاء الله قالت له كيف ذاك قال انّى اعُطِيت مثلِك فشكرتُ، واُعطيتِ مثلى فصَبَرت.

ونظر ابو هريرة الى عائشة بنت طلحة فقال سبحان الله ما احسن ما غذاك اهلك والله مارأيتُ وجهاً اَحسَن منك الّا وجه معاوية على منبر رسول الله (اقول وكان معاوية قَبيحُ المَنظَر) وهى صفة المرئة السّوء قال النّبى ﷺ ايّاكم وخَضراء الدِّمَن، اراد الجارية الّتى ربيّت فى المَنت السّوء.

وفى حكمةَ داود المرئة السّوء مثل شرك الصيّاد لاينجو منها الّا من رضى الله عنه.

قال محمّد ابن عبد السّلام الخشنى فى وصف المرئة السُّوء.

اياك وكلّ امرئة مذكّرة مُنكّرة، جديدة العُرقوب، مادية الطَنبُوب، فُتِفخةُ الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحَسنات، وتغشى السَيّئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزّمان ليس فى قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، ان دخل حرجَت، وان خَرج دَخَلت، ان ضحك بَكَت، وان بَكى ضحكت، وان طلّقتها كانت حَربيّته، وان امسكها كانت مصيبة، سعفاء ورهاء، كثيرة الدّعاء قليلة الأرعاء، تأكل ملأ وتَوسّع ذمّاً، ضحوبُ عَضُوب، بَذّية ديّنة، ليس تطفاً نارها ولا يهدى اعصارها ضيقّة الباع، مهلُوكة القناع، صبيها مَهزُول، وبيتها مهزول، اذا حدّثت تُشير بالأصابع، وتبكى فى المجامع باديةٌ من حجابها، نباحة على بابها، تبكى وهى ظالمة، وتشهد وهى غائبة قد ذلّ لسانها بالزّور، وسال دَمعَها بالفُجُور انتهى اقول كاكثر نساء زماننا هذا مُؤلّف ولنعم ما قال الشّاعر فى وصفهنّ.

لقد كنتُ مُحتاجاً الى موت زوجتى
ولكن قَرين السُّوء باقٍ مُعمّرُ

فـــياليتها صـــارت الى القـبر عـاجلاً

وعـــــذبها فـــيه نكـــيرُ ومُـــنكرُ

وامّا صفة المرئة الحسناء الّتى فهى اَقلّ من كبريت الاحمر ولا سيّما فى زماننا هذا ولا يخفى عليك انّ الحسن فى المرئة او الرَّجُل بالنّظر الشَّرعى غيره بالنظر العُرفى اذ كثير من النّاس يَروُن الحسن فى المرئة بحسب الجمال والثّروة وامثالهما وامّا الشّرع فليس كذالك بل الحُسن من جهة الشّرع غير مايراه العُرف حسناً ونحن قد تكلّمنا فى اوصاف المرئة فى عرف الناس وذكرنا الكَلَمات الّتى تَفَوَّهوا بها فى طول الزّمان ابنائه والآن نشير الى بعض ماورد فى اوصافها فى السنته المتّشر عين ليكون بصيرة للطاللبين إن وجُد وقبل الخوض فى المقصود نبتدء بذكر بعض الآيات والأخبار. قال الله تعالى:﴿فَانْكَحُوا ماطابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾[1]

و : ﴿وَاَنْكَحُوا الْاَيامىٰ مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَاِمائِكُمْ﴾[2]

و : ﴿وَلاٰ جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ﴾[3]

وقال رسول الله ﷺ تزّوجُو الوَلوُد الوَدوُد فانّى مكاثرٌ بكم الأُمم يومَ القيمة الحديث...

وقال ﷺ سوداءٌ ولُودٌ خير من حسناءٍ عَقيم وقال ﷺ اَحسنُ النّساء بركةً احسنهنّ وجهاً واَرخصُهنّ فهراً...

اذا عرفت هذا فينبغى للرّجل اذا اراد ان تَيزّوج اَن يَرغب فى ذات الدّين وان يختار الشّرف والحَسَب دون المال والجمال فقط فانّ حسن النّساء ليس فى جمالها ومالها فَحسب بل الحُسن فيها شىء آخر.

روى فى الفقيه مرسلاً عن امير المؤمنين عليه السلام انّه: قال تَزوّج سمراء، عَيناء، عَجزاء، مَربُوعة وان كرهتها فَعَلّى مهرها، انتهى (السّمراء المتوسّطة

١-النساء- ٣
٢-النور- ٣٢
٣-البقرة- ٢٣٥

بين البياض والسّواد، والعيناء العظيم سواد عينها وسعة عينَها والعَجُزاً العظَيمة العجز، والمَربُوعة الّتى ليست طويلة ولا قصيرة مولّف)...

وعن ابن المُغيرة عن ابى الحَسَن عليه السلام قال سمعته يقول عليكم بذوات الأوراك فانّهن انجَب انتهى اقول والأوُراك جمع وَرك بالفتح والكسر هو ما فوق الفَخِذ مولّف...

وقال الرّضا عليه السلام اذا نكَحَت فانكح عجزاء انتهى اقول قدمَّرَ معناها... هذا من حيث الجَسَد وامّا من سائر الجهات فقد روىَ ابو حمزة عن جابر ابن عبدالله قال كنّا عند النبّى فقال انّ خير نسائكم الولود الوَدوُد، العَفيفة العزيزة فى اهلها، الذّليلة مع بعلها، المُبَترجة مع زوجَها، الحصان على غيره، الّتى تسمع قوله وتطيع امره اذا خلابها بذَلَت له ما يريد منها ولم تبذل كَتبَّذل الرّجل انتهى...(التبذّل ضدّ التَصَّوُن مولّف)

ثمّ قال عليه السلام الا اُخبركم بشرار نسائِكُم، الذّليلة فى اهلها، العريزةُ مَع بعلَها، العقيم الحَقُود الّتى لاتورّع عن قبيحٍ، المُبترجة اذا غاب عنها زوجها (بعلها) الحصان معه اذا حصر لاتسمع قوله ولا تُطيع امره واذا خَلىٰ بها بعلهما تَمنّعت عنه كما تمنّع الصَّعبَة عن ركوبها لاتَقبَل له عُذراً ولا تغفر له ذنباً انتهى...

وعن ابى بصير عن ابى عبدالله عليه السلام قال انّ خير نسائكم الّتى اذا خلت مع زوجها خلعت له دَرِع الحياء واذا خلت مع غيره لبست معه درع الحياء انتهى والأخبار بهذه المضامين كثيرة من طُرقنا...

حُكى انّ نوح ابن مريم قاضى مَرو ارادان يُزوّج ابنته فاستشار جاراً له مَجُوسياً فقال سبحان الله النّاس يستفتونك وانت تستفتنى قال لابدّ ان تشير عَلَّى قال المَجُوسى انّ رئيسنا كَسرى كان يختار المال ورئيس الرُّوم قيصر كان يختار النّسب، ورئيسكم محمّد كان يختار الدّين فَانظر انت بأيّهم تقتدى انتهى.

ولنعم ما قيل:

اذا تَـــزَوَّجت فكُـــن حـــاذِقاً وَاسـئَل عـن العُـص وعـن بـنته

وقال الآخر:

واوّل خُبث الماء خُـبث تـرابـه واوّل خُبث القوم خبث المناكح

وقال الآخر:

صـفات مـن يستحّيب الشّـرع خـطبتها

جَـــلوتها لاوُلِـــى الألبـــاب مـختصراً

صَـــــبيّةٌ ذات ديـــــن زانـــــه ادبُ

بِكـرُ وَلُـودٌ حَكَت فـى نـفسها القـمر

غَـــريبة لم تكـــن فـى أهـل خـاطبها

تـلك الصـفات الّـتى اجلو لِمن نـظرا

فـــيها احـاديث جـائت وهـى ثـابتة

احـاط عـلماً بـها مـن فـى العـلوم قرا

نقل انّ داوُود عليه السلام قال المرأة السُّوء على بَعلها كالحَمل الثّقيل على الشّيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتّاج المُرصَّع بالذّهب كلّما رأها قَرَّت عينه برؤيتها. ختام الكلام فى ماورد فى ذمّ النساء.

فمنه ما عن حكمة داود عليه السلام قال وَجدتُ فى الرّجال واحداً فى اَلف ولَم اَجِد واحدةٍ فى جميع النّساء انتهى.

وقيل انّ عيسىٰ عليه السلام لقى ابليس وهو يَسُوق اربعة احمرة عليها احمال فسئله فقال احمل تجارة واطلب مشترين فقال عيسى ما اعدّها قال الجور قال من يشتريه قال السّلاطين، قال فما الثّانى قال الحَسَد قال فمن يشتريه.

قال العلماء قال فما الثّالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التّحار، قال فما الرّابع قال الكَيد قال فمن يشتريه قال النّساء، وقال حكيمٌ النّساء شرٌّ كلّهن وشرّها منهنّ قلّة الأستغناء منهنّ.

وقال الآخر ـ لاتَثق بأمرئةٍ ولا تَغرّ بمالٍ وان كَثُر وقال النّساء حَبائل الشّيطان قال الشاعر:

تَمتَّع بها ما ساعفتك ولا تكُن جزوعاً اذا بانت فَسُوف تبين
وَخُنها وان كانت تفى لك انّها على قدم الأيّام سَوف تُخون
وان هى اعطتك اللّيان فانّها لغيرك من طلاّبها سَتّلينُ
وان حَلَفت انليس‌تنقض عهدها فليس لعمرو الله ذاك يقين

وقال ابن بشار:

رأيت مَواعيد النّساء كانّها سَرابٌ لمرتاد المناهل حافلُ
ومُنتظر المَوعُود مِنهُنّ كالّذى يُؤمّل يوماً آن ملين الخبادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرئة عن شيءٍ قطّ الّا فَعلته وفيه قال الغنوى.

انّ النّساء قسّىٰ ينهنن عن خُلقٍ فانّه واقعٌ لابدّ مفعولُ

وقال النّخعى من اقتراب السّاعة النّساء، وقال مَن اَطاع عرسه فقد اضاع نفسه.

وقال علىّ ﷺ اياك ومشاورة النّساء فانّ رأيهنّ الى افنٍ وعزمُهنّ الى وهن اكفف ابصارهنّ الحجاب فانّ شدّ الحجاب خيرٌ لهنّ من الأرتياب وليس خُروجهنّ بأضّر من دخول من لايوثق به عليهنّ فان استطعت ان لايعرفن غيرك فَافعَل والى هذا المعنى اشار المعانى حيث قال:

لاتأمنّن على النِّساء ولو اَخاً ما فى الرّجال على النّساء اَمِينُ

وقال الآخر:

انّ الأمين وَاِن تحفّظَ جُهَد لابُدّ انّ بَنظرةٍ سَيخون

وقال الآخر:

لاتَركّنين الى النساء ولا تشق بعودهنّ
فرضاؤهُنّ جميعهنّ معلّقٌ بفُروجهنّ

وايضاً نقل العامّة عن علىٍّ ﷺ انّه قال لاتطلّعو النّساء على مال ولا تأمِنوهنّ

على مالٍ، ولا تَذَروُهنّ الّا لتدبير العيال ان تركن وما يردن اوردن المهالك، وافسدن الممالك، ينسين الخير، ويحفَظن الشّر، يَتهافتن فى البُهتان، ويتمادين فى الطُّغيان انتهى وقال ابوبكر ذلّ من اَسنَد امرَه الى امرأةٍ.

نَقل المورّخون انّ صياداً اَتىٰ خُسرو پرويز، بسَمَكةٍ فأعجبه حسنها وسمتها، فأمر له بأربعة الأف درهم فَخَطّاته مشرين زوجته فقال لها ماذا اَفعل، فقالت له اذا جائك فقل له اَذكراً كانت اَم اُنثى فان قال لك ذَكر فاطلُب منه الأنثى وان قال لك انثى فاطلب منه الذّكر، فلمّا اتاه سأَلَه فقال عمّ الله المَلِك كانت خُنثى فقال للخازن زده واَمَر له بثمانية الف درهم وقال اكتبو فى الحكمة، الغَدر ومطاوعة النّساء يُؤدّيان الى الغُرم الثّقيل انتهى وقال حكيمٌ اعصِ النّساء وهواك وافعَل ما شئت انتهى.

اقول: هذا آخر ما اردنا ايراده فى المقام من الآيات والاخبار وكلمات القوم ممّا ورد فى باب النّساء واُوصا فهُنّ ونحن اقتصرنا فى الباب بأقلّ ما يمكن ذكره وفى نيتىٰ انشاء الله اف ساعدنى التّوفيق ان اكتُب كتاباً مُستقلّاً فى اوصاف النّساء واذكر فيه ما فيه شَفاءٌ للقلوب وحياةٌ لِلنُّفوس وابحثُ فيه ممّا وَرَد منهنّ من الحُقُوق والشّئون الأسلامية والأجتماعيّة حتّى تَرى انّ ما وَقَعنَ فيه الآن وسَمّوه التمدّن او تساوى الحقوق ليس الّا اطفاءٌ لِغرائز هم الشّهوية وانحطاط شُئُونهنّ العقلّية والشّرعية ولكنّ النّساء لاعلم لهنّ بذالك.

الا ترى انّ الصّياد فى اصطياده الطّيور والحيوانات يتشبّث بكلّ حشيشٍ والحيوان ربّما يتحيل انّه يريد ان يطعمه ويستريحه من الجوع فيأكل ممّا اَعدّه له ويَسير اَسيراً فى يده وبعد تسلّط الصّياد عليه يدور امره بين الذّبح ان كان ممّا يوكل لَحمُه والبَيع ان لم يكن كذالك ويقال له فى الحقيقة ايّها الحيوان إفعَل ما شئت ولاتَ حين مناص.

هذا بعينه شأن النّساء والرّجال فى زماننا هذا فانّهم بعد ما رأو انّ النّساء لاعَقل لَهُنّ فى الحقيقة لكونهنّ من الأسارى تَحت الشّهوات والأوهام

الخَيالية، ورأوّ ايضاً انّه لايـمكن لهـم الوصـول اليـهنّ والمُـلاعبته مَـعهُنّ الّا باستخدامهنّ فى المُؤسّسات والأدارات فَاصطادُوهنّ بهذه الطريقة وسمّوها يتساوى الحُقوق وانّه لافرق بين الرّجال والنّسـاء فـى الحـقوق الأجـتماعية ولَستُ اعتقد انّ الرّجال لَم يَعلمُوا بانّهم كاذبون فى قولهم فانّ هذا الأحتمال بعيد ممّن يَدّعىٰ العقل والفَهم بل اَعتَقد انّهم مع علمهم بما ذكرناه اَوقُعوهُنّ فى هذه المهالك واسقَطوهنّ من مقام الأنسانيّة والملاك فيه هو اطفاء الغرائز الحيوّانية لاغير بَقىٰ فى المقام شىء لابأس بالأشارة اليه اجمالاً وهو انّ الشّارح المعتزلى اوردهنا كلاماً حاصله انّ عايشة اخطَأت ثُمّ ثابت وماتَت عن توبةٍ فلا خَرج عليها فى الآخرة بَل اَنّها مِن اهل الجنته و نَحن نَقول البحث فـى انّـها ماتت عن توبة اَو ماتت بلاتوبة لايرجع الى محصّلٍ اذ لانفع فيه وذالك لانّ مدار البحث فى هذه الخُطبة على كون النّساء كذالك مثلاً فيلزم على العاقل ان لايقبل قولهنّ ولا يتبعهنّ بالدّلائل العقليّة والنقليّة الّتى مرّت الأشارة الى شطرٍ منها سواء فـيه، عـائشة او غـيرها، فـانّ خُـصوصيّة مـورد الكـلام لايـوجب تحصيصه بذالك المورد كما ثبت فى محلّه وعليه فالكلام وان كان صُدورُه منه بعد قصّة الجَمَل وامارة عائشة على النّاس الّا انّ ذالك الضّرر حتمٌ بالنّسبة الى كلّ قوم كان مسيرهم فى الأمور هكذا الى يوم القيمة فَتوبة عائشة وعدم توبتها لاتُضَرنا ولا تَنفعناً وانّما النّفع والضّرر فى عدم متابعة النّساء ومتابعتها وهذا ممّا ينبغى ان يعوّل عليه ضرورة انّ الايات والاخبار بل التّواريخ والقـصص كلّها وَردَت لأجل الأعتبار ولا خصوصيّة للموارد فيها ولأجل هـذه الدّقـيقة اعرضنا عن ذالك البحث انتهى.

ومن كلامٍ له عليه السلام (٨٠)

▫ قوله عليه السلام **اَيُّهَا النّاسُ، الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِندَ النِّعَمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ، فَأِنْ عَزَبَ ذالِكَ عَنْكُمْ، فَلاٰ يَغْلِبِ الْحَرامُ صَبْرَكُمْ، وَلاٰ تَنْسَوْ عِندَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ اَعْذَرَ اللهُ اِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُّسْفِرَةٍ ظٰاهِرَةٍ، وَكُتُبٍ بٰارِزَةِ الْعُذرِ وٰاضِحَةٍ...**

◁ **اللّغة**

(**الزَّهادَةُ**) بكسر الزاء وفتحها والفتح اشهر، كسعادة مصدر ومعناها الأعراض عن الشّيء احتقاراً ومنه الزُّهد فهو ايضاً بذالك المعنى يقال زَهِد وزهَدَ وزهُدَ زهداً وزهادةً، فى الشّى وعنه وَ رَغِبَ عنه اى وَتركه (**عَزَبَ**)بالعين المهمله والزّاء المُعجمة، غاب وذهَب (**اَعْذَرَ اللهُ**) اى اَظهر عُذره، (**بِحُجَجٍ**) جَمع حُجّة والباقى واضح.

◁ **المعنى**

خاطب عليه السلام فى المعنى جميع النّاس وناداهم وقال لهم(**الزَّهادَةُ**) فى الدّين والدّنيا (**قِصَرُ الْأَمَلِ**) وحبسه عمّا يَشتهيه الأنسان او يُومّله (**وَالشُّكْرُ عِندَ النِّعَمِ**) اى والشكر له تعالى عند نِعمه الظّاهرة والباطنة (**وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ**) اى الأجتناب عن المُحرمّات الآلهية (**فَأِنْ عَزَبَ ذالِكَ عَنْكُمْ**) اى ان لم تَقدروا علىٰ الأتيان بهولاء الأمور الثّلاثة (**فَلاٰ يَغْلِبِ الْحَرامُ صَبْرَكُمْ**) فاصبُروا على

ترك الحرام ولا تقربوه فأن تصبروا وتتّقُو فَهُو خيرٌ لكُم (**وَلاٰ تَنْسَوْ عِندَ النِّعَمِ**) الالهيّة (**شُكْرَكُمْ**) قال الله تعالى لئن شَكرتُم لأزيدنّكُم (**فَقَدْ اَعْذَرَ اللهُ**)الى اخر كلامه ﷺ اى قد اَظهر الله لكم العُذر بأمُورٍ احدها حُجَجه المُسفره، اى الأنبياء والرّسل وثانيها، كتبه السّماوية.

◁ الشرح

□ قوله ﷺ: اَيُّهَا النَّاسُ، الزَّهٰادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ...

اعلم – انّ الزُّهد والزّهادة فى الدّين والدّنيا من الامور المستحسنة الممدوحة بل الزّهد فى الحقيقة هو الأصل فى المعرفة والأتيان بالتكالّيف الالهيّة فانّ العمل اذا لم يكن صادراً منه عن الزّهد فلا اثر فيه ولأجل هذا عدّ الزّهد من المقامات العالية عند السالكين الى الله كما سَتطلّع عليه قال الله تعالى فى كتابه: ﴿**وَكانُوا فيهِ مِنَ الزّاهِدينَ**﴾[1] والبحث فيه فى مقامين.

اعلم: انّ الزّهد هو ضدّ الرّغبَته والأحَسن ان يقال هو الرّغبته عن الشّىء فمن رَغِبَ عن الدّنيا فهو زاهد ومن رغب الى الدّنيا فهو طالبٌ لها والواجب على المؤمن ان يكون راغباً الى كلّ شىءٍ يؤلُ الى الله ويَرغَب عن كلّ شىء يَؤل الى غيره فمن فعل ذالك دلّ على انّ نفسه رحمّانيته ربّانيته فانّ كلّ شىء يميلُ الى نِدّه ويُنفّر عن ضدّه فمن كان نفسه من انوار الله جلّ جلاله فهو قائلٌ ابداً الى التوجّه اليه وينفرّ من كلّ ما يَحجُب الرّب عنه ويمنعه عن التوجّه اليه.

فالزُّهد سَجيّتهٌ لِمَن خُلق من اَنوار الله والرّغبته الى ماسواه من سَجّية مَن خُلِقَ من الظّلمة هذا وانّما امر النّاس بالزُّهد ومُنعوا من الرّغبة الى الدّنيا وكذالك كلّ صفةٍ من سَجيّة الأيمان والكفر ليهيئوا قوابلهم بالهَيئة الكاملة لتكون سائلة من ربّها رُوح الايمان و رُوح الأنسان الا ترى انّه اذا انعَقدَ فى الرَّحم بَدَنٌ على هَيئة كلب نُفخ فيه رُوح الكَلب واذا انعَقد على هَيئَة الأنسان نفخ فيه رُوح الانسان فكذالك اذا تَهيَّأ الأنسان فى الدّنيا على هيئة الأيمان

١- يوسف- ٢٠

الكامل باتبّاع الشارع صلوات الله عليه نفخ فيه روح الأيمان وهو قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[1] و اذا تهيّاء فى الدّنيا هيئة الكفر بمخالفة الشارع نفخ فيه روح الكفر قال الله ثم بكفرهم ﴿لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[2] و هذا هُو سِرّ التكليف وبه يظهر تَقَلُّب الخلق مادامو فى الدّنيا فى الأيمان والكُفر فلربما يُصبح واسمه فى ديوان السعداء ويُمسى واسمُه فى ديوان الاشقياء وهو سرّ الأستثناء فى قوله تعالى حيث قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[3] صَدق الله العلى العظيم.

وايضاً هو السّر فى دعاء ليلة القدر ان كُنت فى الأشقياء فأمحنى من الأشقياء واكتُبنى من السُّعداء فانّك قلت فى كتابك المُنزل على نبيّك ﷺ يمحُوالله ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

وهذا هو سرّ جميع الدّعوات والصّدقات ودعاء الأنبياء الى الأيمان وامرهم وَنهيهم وقد مَكّن الله جلّ جلاله خَلقَه من هذا التّهيوُءِ وجعلهم مُختارين بقوّته وقدرته وجعلهم على صفة مشيئته فهم مُتمكّنون (مِن التّهيوُءِ، بالهيئات الحسنة والسيّئة فمن تَهيّأء بَهيئآت الأيمان نفخ فيه روح الأيمان فان انسلخ عنها سلب عنه واذا تَهيّأت بهيئة الكفر نفخ فيه روح الكفر فان انسلخ عنها سُلب عنه فلأجل ذالك امرُونا بالزُّهد مع انّه فى سجايا رُوح الأيمان فمن زَهد بتَكلّفٍ ومَشقّةٍ هو رياضةٌ له حتّى يتّهيأ بهيئة الايمان حتّى اذا نفخ فيه الرّوح سَهلُ عليه الزُّهد وصدر عنه بيسير الّا ترى انّ البنّات إذا اراد ان يَحصّل لِنفسه خصال الحيوان بتكلّفٍ ومَشقّةٍ حتّى اذا نفخ فيه روح الحيوان اَبصَر وسَمع وشّم وذاق ولَمِس وتحرّك واراد بسهولة على يُسرٍ لانّها سجّية وكذالك اذا اراد

١- يونس- ٩
٢- المائده- ١٣
٣- هود- ١٠٨/١٠٧/١٠٦

الحيوان ان يتّصف بصفات الأنسان يكُون له مَشَقَّةٌ وكُلفةٌ وتَعَبٌ حتّى اذا نُفخ فيه روح الأنسان صار عليماً حليماً ذكوراً فَكُوراً من غير كُلفةٍ وتكون مَيسُورة له لانّها سَجّية.

ومن هنا يعلم انّ الانسان ما دام فى الدّنيا ودار الطّبيعة الّتى هى على خلاف كَينونة الله يكون فى دار التكلّيف ويكون امتثال الشّارع له تكلّفاً واذا مات ودخل الجنّة فيكون فى غير دار التّكلّيف لانّه يكون ح على حسب الكَينونة فيعمل بمراضى الله جلّ جلاله بسجيّةٍ وطبيعةٍ ويكون لذّته منه كما يكون التّسبيح طعام الملائكة وشرابهم وبه قوامهم فألمؤمن فى الجنّته يكون لذّته فى امتثال او امر الله وتَقوّيه به قال الله تعالى: **﴿وَدِعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاٰخِرُ دَعْوَاهُمْ اَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[1]

و: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، اِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[2] و بالجملة لاشك فى انّ الزّهد فيه كُلفةٌ ومشقّةٌ لغير الأنسان اى النّفس الحَيوانية فَيصعب عليها ان تمنَعها من تناول ما شائت والتّصرف فيما شائت وتحصل ما شائت فامّا اذا تَعلّق بها رُوح الأنسان والأيمان هو بنفسه زاهدٌ فى الدّنيا راغبٌ فى الآخرة زاهدٌ فيما سوى الله راغبٌ اليه بطباعه وسجّيته ولذالك امر النّاس بتكرير الطّاعات حتّى نَصير لهم ملكة تصدر عنهم بسُهولةٍ من غيرتعبٍ.

هذا خلاصة القول فى ماهيّته الزُّهد وحقيقته على ما حققّه بعض السالكين وامّا فوائده فكثيرة.

منها ـ الفراغ لعبادة الله وتُعمير الآخرة فانّ الراغب فى الدّنيا السّاعى فى تُعميرها يضيق وقته عَن عمارتها فمتى يَتفرّغ بتعمير الآخرة فَتعمير الآخرة وعبادة الرّب مخصوصٌ بالزّاهدين.

ومنها ـ صدق المحبّته للّه ولرسوله واوصيائه واوليائه حيث ابغَضَ ما اَبغَضوه وكَره ما يُحولُ بينه وبين محبُوبه ولو لم يكن للرّاغب اِلّاحبُّه ما ابغض

١- يونس- ١٠
٢- القيمة- ٢٢/٢٣

الله وتعظيمه ما صغّر الله لكفىٰ به شِقاقاً للّه ومحادّةً لرسوله وهذا واضح وكفىٰ به شاناً.

ومنها ـ العِزّة فانّه بِزهده يستغنى عن التَملُّق عند اللّئام ومعاشرة الطّغام والتَذَلُّلل لَدى العوام.

ومنها ـ الغنى فانّ الزّاهد اغنىٰ من جميع سلاطين الدّنيا وهُم مَع مالَهم فُقَراء مساكين يستعينون بجيوشهم وخلفائهم على ما يُريدون والزّاهد لايُريد شيئاً حتّى يستعين بأحدٍ.

ومنها ـ راحة البدن عن كلّ سَفَر البحر والبرّ وركُوب المخاوف واهوال قطاعٌ الطّريق والسّهر لأجل حساب المال وحفظه كما نراه فى كثيرٍ من اهل الدّنيا المُعرضين عن الآخرة.

ومنها ـ تَوفير نعيم الآخرة له فلا يقال له،اذهبتُم طيّباتكم فى حياتكم الدّنيا واستَمعتم بها.

ومنها ـ تخفيف الحساب وعدم الوقوف الطّويل يوم العَرصات للحساب فانّ الرّاغب يمكث فيه ماشاءالله حتّى يخرج من عهدة ما حصّله وطَلَبه.

ومنها ـ الفراغ لطلب العلوم اذا الرّاغب المسكين ليس له فراغ حتّى يطلب فيه دينه ويقدر ان يخلو ساعة فَيَتفكّر فى آيات الأفاق والأنفُس ولا شك انّ الفراغ من اَحسن الأمور.

ومنها ـ تمكّنه من التّوبه الى الله ثم لخلّو باله عن هموم الراغبين وافكار الطّالبين.

ومنها ـ انّ الدّنيا والآخرة ضرّتان بضرّ احديهما بالأخرى والمقبل الى الدنيا يَحرُم عن تحصيل الأخرى وتَثقيل الجَسد يمنع تخفيف الرُّوح والمُنهمك فى الدّنيا مُنهمكٌ فى نار جهنّم والمُنهمك فى الاخرة مُنهمِكٌ فى الجنّه فانّ المرء يُحَشر مع ما اَحَبّه.

ومنها ـ انّ الرّغبته الى ما سوى الله تكثف القابليّة وتُغلظها وتُبعدّها من

الرّحمٰن فيقلّ حُبّه للّه وحُبّ الله له والزّهد يلطف القابليّة ويرقّقها ويُقرّبها من الرّحمن فيكثر حُبّه للّه وحُبّ الله له وكذالك يَزيد بالزُّهد معرفته بمقام الرّسالة والولاية فالزّاهدون هم اهل الولاية والرّاغبون هم المدّعون.

ومنها ـ انّ الرّاغب مشاكِلٌ لَجميع الكُفّار والفُجّار والمُنافقين واينما بَلّغ فى الدّنيا يُوجَد كافر او منافق هو اَقوىٰ منه واَعلىٰ مرتبةً بخلاف الزّاهد فانّه مباينٌ لهم ومجانسٌ للأنبياء.

ومنها ـ انّ الزّاهد لايحتاج ابداً الى اعوانٍ وانصارٍ وخدمٍ وحشم وغيرها من اسباب التّفاخر ومتاع الرّاغبين والرّاغب المسكين يحتاج اِلى كلّهاً وغيرها من القوائد المرتبّة عليه.

المقام الاول: فى درجات الزّهد واقسامه فانّ للزّهد درجات.

الدّرجة الأولى: ان يُزهد فى الدّنيا ونَفسه مشتاقةٌ اليها طالبته لها غير مطمئنةٍ فى الأعراض عنها فَيَزهد فيها خوفاً من عذاب الله ومن الأغترار بها لانّ حُبّها رأس كلّ خطيئةٍ فهذا زهد المجاهدين والمُرتاضين ويخاف عليه ان يغلب عليه نفسه وَتُوقعه فى الدّنيا يَوماً.

الثّانية: ان يزهد فى الدّنيا لما عرف من نَعيم الآخرة وجليل آلاء الجَنّة وعَلِم انّ الدّنيا حَقيرة زهيدة ومتاعٌ قليلٌ ان رغب اليها مُنِع من الآخرة وحُرم عظيم اجرها فلأجل ذالك يزهد منها لينال به الآخرة وذالك كرجلٍ يجد على مائدة غذائين متنافيين احدها غذاءٌ خسيسٌ والاخر لذيذٌ ويَعلَم انّه لو اَكَل الخسيس منعٌ من اللّذيذ فيترّك الخسيس ليقدر على تَناول اللّذيذ.

الثّالثة: ان يزهد فى الدُّنيا لانّها مَبغُوضةُ الله ومبغوضة رسله واوليائه ويَزهَد فى الآخرة لانّها غير الله وفيها حظّ النّفس ولذّتها ولانّها تمنع عن التّوبة الى الله فقط وهذا هو الزّاهد فى الحقيقة فانّ حقيقة الزهد هو الأعراض عما سواه كائناً من كان وما كان والأقبال اليه بجميع شُئُونه وتفريغ القلب لأضِانة نور معرفته وعليه فالدّنيا والآخرة عنده سيّان والمدار على محبّة محبوبه اينما وَجَدها

طَلبها وهذا هو اعلى دَرَجات الزُّهد فَلَيس الزّهد فى الحقيقه هو ترك الدّنيا باسرها وانّما الزّهد هو الرّغبته عمّا سواه فما اَمرَه الله سُبحانه به من استعمال الدّنيا يأخُذُ به ومانهاه عنه كذالك فالمدار فى اشتغال الدّنيا ونَعِمها على رضاه تعالى وهذه المَرتَبة لايمكن الوصول اليها الّا بمتابعة الأنبياء ثُمّ الأوصياء فانّهم هم المُبيّنوُن لمقاصد الرّب واليه الاشارة بقوله تعالى:﴿**وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1]فانّه ﷺ كان يأكل ويشرب ويلَبس ويَركب وينكَح ويَسكُن وهو مع ذالك كان ازهد الخلق الى يوم القيمة والسّر فيه هو انّه ﷺ لم يفعل ما فعله الّا لاجل رضى الرّب لالشهوة نفسه ولأجل ذالك كان لايُلهيه شيءٌ منها عن ذكر الله تعالى :﴿**رِجَالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ وَايتَاءِ الزَّكٰوةِ**﴾[2]

المقام الثانى: فى الأخبار الواردة فى مدح الزّهد.

منها ـ ماروى عن الكافى بسنده عن ابى عبدالله ﷺ قال من زَهِدَ فى الدّنيا اَثبَت الله الحكمة فى قلبه واَنطَقَ بها لسانهُ وَ بَصّره عُيُوب الدّنيا دائها ودوائها واَخرَجه من الدّنيا سالماً الى دار السّلام انتهى...

ومنها ـ ما عنه قال ﷺ جُعل الخير كُلُّه فى بيتٍ وجُعل مفتاحه الزُّهد فى الدّنيا انتهى...

ومنها ـ ما عنه تعالى قال قال رسُول الله ﷺ لايَجِدُ الرَّجُل حلاوة الأيمان حتّى يزهد فى الدّنيا انتهى...

ومنها ـ ماروَاه عن ابى هَمزَة عن الباقر ﷺ قال: قال امير المؤمنين من اعوان الأخلاق على الّدين الزّهد فى الدّنيا انتهى...

ومنهاـ ماروى عن عَلىّ ابن الحسين ﷺ حيث سُئل عن الزُّهد فقال ﷺ عشرة اجزاء اَعلىٰ درجة الزُّهد اَدنىٰ دَرَجة الوَرع وَاعلىٰ درجة الوَرَع ادنى درجة اليقين وَاَعلىٰ درجة اليقين ادنى درجة الرِّضاء و إنّ الزّهد فى آيةٍ من

١- الاحزاب- ٢١

٢- النور- ٣٧

كتاب الله تعالى لكيلا تاسوا على مافاتكم ولا تَفرحُو بما آتاكُم انتهى...

ومنها ـ ما عن سفيان ابن عينية قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام وهو يقول كلّ قلبٍ فيه شَكٌّ او شِركٌ فهو ساقِطٌ وانّما اراد وبالزّهد فى الدُّنيا لِتَفرغ قلوبهم للآخرة انتهى...

ومنها- ماروا ه عن محمّد ابن مسلم عن ابى عبدالله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام انّ علامَة الرّاغب فى ثواب الاخرة زُهده فى عاجل زُهرة الدُّنيا اما إنّ زُهد الزّاهد فى هذه الدّنيا لاينقصُه ممّا قَسم الله عزّ وجلّ له فيها وان زَهِد، وحرصُ الحريص على عاجل زهرة الدّنيا لايزيدُه فيها وإن حَرِص، فالمغبون من حَرُّمَ حَظّه عن الآخرة انتهى...

ومنها ـ ما عن طلحة ابن زيد عن ابيعبدالله عليه السلام قال: ما اَعجَبَ رسول الله شيءٌ من الدّنيا إلّا ان يكون منها جائعاً او خائغاً (جائعاً، خائفاً) انتهى...

ومنها ـ ماروا ه عن عبدالله ابن سنان عن ابى عبدالله عليه السلام قال: خَرَج النّبى صلى الله عليه وآله وهو محزون فاتاه مَلَك ومَعه مفاتيح خزائن الأرض فقال يا مُحمّد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربّك افتَح وخذ منها ما شئت من غيران تنقص شيئاً عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الدّنيا دارُ مَن لادارَ لَهُ ولها يَجمَع من لاعقل له فقال المَلَك والّذى بعثك بالحقّ لقد سمعت هذا الكلام من مَلكٍ يقول فى السّماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح انتهى...

ومنها ـ ماروا ه بسنده عن عبدالله ابن سنان (عبدالله ابن القسم صحّ) عن ابيعبدالله عليه السلام قال: اذا اراد الله بعبدٍ خَيراً زَهدّه فى الدّنيا وفَقّهه فى الدّين وبَصّره عُيُوبها ومن اويتهّن فقد اُوتى خَير الدّنيا والآخرة وقال عليه السلام لَم يَطلب اَحَدٌ الحَقَّ بباب افضل من الزُّهد فى الدّنيا وهو ضدّ لما طلب اعداء الحقّ قلت جعلت فداك ممّا ذا قال عليه السلام من الرَّغبته فيها، وقال عليه السلام الّا من صبّار كريم، فانّما هى ايّام قلائل الّا انّه حَرامٌ عليكم ان تَجدُوا طَعَم الأيمان حتّى تَزهَدّوا فى الدّنيا، قال وسمعته عليه السلام يقول اذا تخلّى المُؤمِن من الدُّنيا مسَما ووَجَد

حلاوةَ حُبّ الأيمان (حبّ الله) وكان عند اهل الدّنيا كانّه خُولِط وانّما خالَطَ القوم حلاوة حُبّ الله فلم يشتغلوا بغيره، قال وسمعته: يقول انّ القلب اذا صَفا ضاقت به الأرض حتّى يَسمُوا انتهى...

ومنها ـ ما عن الزُّهرى محمّد ابن مسلم ابن شهاب قال سُئِل علىّ ابن الحسين عليه السلام ايّ الأعمال افضل عند الله عزّ وجل فقال: ما مَن عَملٍ بعد معرفة الله ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضَل من بغض الدّنيا وانّ لذالك شُعَباً كثيرة وللمعاصى شُعَباً فأوّل ماعُصِى الله به الكبر وهو معصية ابليس حين أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين والحِرص وهى معصية آدم وَ حوّا قال الله عزّ وجل لهما، ﴿كُلامن حيث شئتما ولا تقربا هذه الشَّجَرة﴾ فأخذا ما لاحاجة بهما اليه فدخل ذالك على ذُريّتهما الى يوم القيمة وذالك انّ اكثر مايطلب ابن آدم ما لاحاجة به اليه، ثمّ الحسد وهى معصية ابن آدم حيث حَسَد اخاه فَقَتله فتشَّعب من ذالك حُبّ النساء، وحُبّ الدّنيا وحُبّ الرئاسة وحب الراحة وحبّ الكلام وحبّ العلوّ والثَّروة فصرن سَبع خِصال فأجتَمعن كلّهن فى حُبّ الدّنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذالك حبّ الدّنيا رأس كُلّ خطيئة والدّنيا دنيا آن دنيا بلاغ ودنيا ملعُونة انتهى...

ومنها ـ ما عن الوشا قال سمعت الرّضا عليه السلام يقول قال عيسىٰ للحواريّين يا بنى اسرائيل لاتأسوا على ما فاتكُم فى الدّنيا كما لابأسى اهل الدّنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابو دُنياهم انتهى...

ومنها ـ ما عن ابى عبيدة الحذّاء قال قلت لابى جعفر حدّثنى بما أنتفُع به فقال عليه السلام ياعبيدة اكثر ذكر الموت فانّه لَم يكثُر انسان ذكر الموت الّا زهدّه فى الدّنيا انتهى...

ومنها ـ ماروواه فى الوسائل عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ما اقبح بالمؤمن ان يكون له رغبتةً تُذّله انتهى...

ومنها ـ ما عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال الزّاهدون فى الدُّنيا مُلُوكُ الدّنيا

والآخرة ومن لم يزهد فى الدّنيا ويرغب فيها فهُو فَقيرٌ فى الدّنيا والآخرة ومن زهد فى الدّنيا ملكها ومن رغب فيها مَلَكته انتهى...

ومنها ـ ما عن الوسائل عن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين الزّهد فى الدّنيا تُنكِّب حرامها انتهى...

ومنها ـ ما عنه تعالى الزُّهد فى الدنيا قصر الأمل وشُكر كُلّ نعمة والوَرع عمّا حرّم الله عليك انتهى...

ومنها ـ ما عن اسماعيل ابن مسلم عن ابى عبدالله عليه السلام انّه قال ليس الزّهد فى الدّنيا بأضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزّهد فى الدّنيا ان لاتكون بما فى يَدَك اَوثَق منك بما فى يدالله انتهى...

ومنها ـ ما عن حفص ابن غياث قال سمعتُ موسى ابن جعفر عليه السلام عند قبرٍ وهو يقول ان شيئاً هذا آخره فَحقيقٌ ان يُزهد فى اوّله وانّ شيئاً هذا اوّله فَحقيقٌ ان يُخاف من آخره انتهى...

ومنها ـ ما عن العسكرى عليه السلام عن آبائه عن الصادق عليه السلام انّه سئل عن الزّهد فى الدّنيا قال الّذى يَترُك حلالها مخافة حسابه ويَترك حرامها مخافة عقابه انتهى...

والرّوايات فيه كثيرة جدّاً اذا عرفت معنى الزّهد وحقيقته وانّه من الأوصاف المدوحة عند العقل والشّرع.

فأعلم: انّ الزّهد وان كان تَرك الدّنيا قد اُخذ فى ماهيته وانّه عبارة عن اِعراض الدّنيا وما فيها والأقبال الى الاخرة وما اعدّ فيها آلا انّ هذا المعنى لايُفَسر بما توهَّمه بعض من لاخُبرة له من انّ الزّاهد يجب عليه ترك الأستفادة من النّعم الالهيّة مطلقاً وذالك لانّ هذا المعنى لايساعده العقل والنقل.

امّا العقل: فلانّ الله تبارك و تعالى خَلق ما خَلق من النّعم لأجل العباد ضرورة انّه لولاهم لما خَلقَها الله لِكون الموجود اذا لم ينتفع به داخلاً فى العَبث وهو تعالى مُنزّهٌ عن ايجاد الموجود عَبَثاً وقد صَرَح بما ادعيّناه فى كتابه

حيث قال:﴿**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً**﴾[1] و عليه فالفرض الأصلى والمقصد الغائى فى ايجاد المأكولات والملبوسات والمنكوحات وغيرها ليس الاّ الأفاضة منه تعالى على خلقه فكيف يعقل نهيه عباده عن الأستفاضة عن مواهبه ونعمه وايضاً لاشك انّ المؤمن اقرب واحسن عنده تعالى من غيره من المنافقين والكفّار والعصاة فلا محالة حظّ المؤمن منها محفوظٌ لو لم يكن بأكثر من حَظّ غيره وهذا ممّا لاينبغى الشّك فيه هذا بالنّظر الى العقل.

واما النّقل الّذى هو فى الحقيقة يويّد العقل.

فمنها ـ قال الله تعالى:﴿**لاٰتُحَرِّمُوا طَيِّبٰاتِ مٰا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلاٰ تَعْتَدُوا اِنَّ اللّٰهَ لاٰيُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[2]

و : ﴿**وَكُلُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلاٰلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[3]

و : ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبٰادِهِ وَالطَّيِّبٰاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[4] و غيرها من الايات الّتى قد دلّت بمنطوقها على حِلّية الأكل والشُّرب وغيرهما من النِّعم الالهيّة وقد وردت به الأضبار ايضاً.

منها ـ ما عن تفسير النّعمانى عن علىٍ عليه السلام قال انّ جماعة من الصحابة كانو حرّموا على انفسهم النّساء والأفطار بالنّهار والنّوم باللّيل فأخبرت امّ سَلَمة رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الى اصحابه وقال صلى الله عليه وآله اترغبون عن النّساء اِنّى آتى النّساء واكل بالنّهار وانام بالليل فمن رغب عن سُنّتى فليَس منّى وانزَل الله ﴿**ثُمَّ لاٰتُحَرِّمُوا طَيِّبٰاتِ مٰا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ**﴾[5]

ومنها ـ ما عن سكين النّخعى وكان تَعبُّد وتَرك النّساء والطّيب والطّعام فكتب الى ابى عبدالله يسأله عن ذالك فكتب اليم امّا قولك فى النِساء فقد علمت ما كان لرسول الله من النّساء، وامّا قولك فى الطّعام فكان رسول الله يأكل اللّحم والعَسل انتهى.

١- البقرة- ٢٢
٢- المائده- ٨٧
٣- المائده- ٨٨
٤- الاعراف- ٣٢
٥- المائده- ٨٧

ومنها ـ ما عن العبّاس ابن هلال الشّامی مولی ابن الحسن عليه السلام قال قلت له جعلت فداك ما اعجب الی النّاس مَن یأكُل الجَشَب ویلبس الخشن ویتخشَّع فقال عليه السلام امّا علمت انّ یوسف عليه السلام نَبیّ ابن نَبیّ كان یلبس اقبیته الدّیباج مُزوّرَة بالذّهب ویجلس فی مجالس آل فرعون الی ان قال عليه السلام انّ الله لم یحرّم طعاماً ولا شراباً من حلالٍ انّما حَرَّمَ الحَرام قَلّ او كَثر وقال الله تعالی : ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَةَ اللهِ**﴾[1] وكان علیّ ابن الحسین عليه السلام یلبس ثوبین فی الصّیف یشتریان بخمسمائة درهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله یلبس السّاج والطّاق والخمایص ولبس علیٌّ عليه السلام مع زُهده ذاك حلّة قیمتها الف دینار وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كساه ایّاه نعم كان یقتصر غالباً بأقَلّ ما یكفیه فانّه وَجَد رضی الله فی ذالك فانّ الأنسان فی الدّنیا عابر سبیلٍ یكفیه البلغة وما یَسُّد جَوعته ویَسترعورته وكذالك كان سُلیمان نبیاً زاهداً وكذا یوسف كان نبیّاً زاهداً وكان ذوالقرنین زاهداً تقیاً مع ما كان لهم من الملك فانّ ذالك كان منهم للّه وفی الله فلا یلهیهم عن الله وكانوا زُهّاداً عن غیر الله انتهی.

وان شئت قُلت ینقسم الزّهد الی اقسام ثلاثة او اَربَعة او خَمسة.

احدها: ان یزهد الأنسان من حرام الدّنیا وما كرهه الله منها ولا یَرغب عَمّا سواه لعدم النّهی التّحریمی عنه وهو علی سبیل النّجاة لكونه مُتَّصِفاً به فی الجُملة.

وثانیها: ان یَزهد فی المُحرّمات والشُّبهات فَیَرغُب عنها وتقیصر علی المُحلّلات وهو اَعلیٰ درجةً من الأوّل.

وثالثها: وهو اعلی المراتب ان یزهد فی المحرمّات والشّبهات والمكروهات وتقیصر علی المباحات وینال منها نصیباً وافراً.

وقد زاد بعض العرفاء قسماً آخر وهو الزّهد فیما ذكر من الأقسام والزّهد فی كثیرٍ من المُحلّلات ایضاً من فضولها ویستریح من تعبها فانّ جُلّ عناء ابن

١- الاعراف- ٣٢

آدم من تَحصيل الفُضُول ولنعم ما قيل فيه.

لقـــد ذَلَّت ودقّت واَســتَدقت فُضول العيش آعـناق الرّجـال

وزاد فيها بعضٌ آخر مضافاً الى الزُّهد عمّا تَقدَّم التّرك من الأصول كـثيراً والأكتفاء بقدر ما يقيم ظهره والأقتصار على ما يُقوته ويكسى عورته وذالك هو اعلى الدّرجات فيه كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام خـادمى يَـداى ودابّـتى رجلاى وفراشى الأرض ووسادى الحجر ووای فی الشّـتاء مشـارق الأرض وسراجى باللّيل القمر وادامـى الجُـوع وشـعارى الخـوف ولبـاسى الصُّـوف وفاكهتى وريحانتى ما انبتت الأرض للوحُوش والأنعام اَبِيت وليس لى شیءٌ، واصبح وليس لى شیءٌ ولَيس على وجه الأرض اَحَدٌ اَغنىٰ مِنّى انـتهى وامّـا قصص زهد النبّى صلى الله عليه وآله والأئمَة من بعده فمعلوم ومن شاء الاطلاع عليها فعليه بكتب المَوضُوعة لها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله خَمسٌ لاادَعَهّن حتّى الممات، الأكل على الحضيض مع العبيد وركُوب الحمار مؤكفاً، وحـلب العـنزبيدى، ولبس الصُّوف، والتّسليم على الصّبيان ليكون ذالك سُنّةٌ من بعدى انتهى.

وهو الّذى قال لَدّيناكم هذه اهون فى عـينى مـن عـراق خـنزيرٍ فـى يـد مَجذُومٍ.

خاتمة ـ نذكر فيها ما قاله بعض العُرفاء فى الزّهد.

قال الزّهد اسقاط الرَّغبته عن الشّى بالكليّة وهـو للـعامّة قـربة، وللـمريد ضَرورة، وللخاصّة خِسَّة وهو على ثلاث درجات:

الدَّرجة الأولى: الزّهد فى الشُّبهة بعد تَرك الحرام بالحَذَر عن المَعتبة والأنفة من المَنقصة وكراهة مشاركة الفّساق.

والدَّرجة الثّانية: الزّهد فى الفضول ومازاد على المسكة والبلاغ من القول باغتنام التّـفرّق الى عـمارة الوقت وحسـم الجـاش والتـحلى بـحليّة الأنـبياء والصدّيقين.

والدّرجة الثّالثة: الزُّهد فى الزّهد وهو بثلاثة اشياء، باستحقار ما زهدت فيه،

واستواء الحالات عندك والذّهاب عن شُهُود الأكتساب ناظراً الى وادى الحقائق انتهى اقول وشرح هذا المجمل يحتاج الى بيان مفصّل خارج عن طور الكتاب والحمد للّه ربّ العالمين.

□ **قوله** عليه السلام: **وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ**...

وذالك لان الشُّكر عند النَّعَم يوجب تكثيرها مضافاً الى كونه من الوظائف العقلية وفيه اشارة الى قوله تعالى: **﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾**[1]

و : **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾**[2] وامثالها.

واجمال القول فيه هو انّ الزاهد يجب عليه بعد قصر الأمل الشُّكر عند النعم والّا ليس بزاهدٍ اصلاً والوجه فيه هو ما قلناه من انّ الزّاهد لابدّ له من الرّغبة عمّا سواه تعالى ولازم ذالك هو التَوَجُّه اليه تعالى بتمام شُئُونه ووجوده ومن كان كذالك فكيف لايشكره على نِعمه هذا بالنّظر الى العقل وامّا من جهة النقل فقد دلّت الآيات والأخبار الكثيرة على لزومه ووجوبه ونحن نتكلم فى معنى الشُّكر اوّلاً بحسب العُرف واللّغة وفيما ورد فيه من المدح ثانياً فنقول.

اعلم: انّ الشكر بحسب اللغة عبارة عن عرفان الأحسان ونشره وبحَسَب الاصطلاح هو صَرف النَّعمة فى سبيل المنعم وهذا اقصى درجاته، ويُويّد المعنى الاوّل ماروى عن ابى عبدالله عليه السلام انّه قال من أنعم الله عليه بنعمة فَعِرفها بقلبه فقد اَدّى شُكرها ويُويّد الثّانى ماروى عنه: انّه قال شُكر النّعمة هو اجتناب المَحارم وتمام الشُّكر قول الرَّجُل الحمد للّه ربّ العالمين.

ثمّ انّا قد تكلّمنا فى معنى الشُّكر واقسامه وانّه لِسانىٌ وفعلىٌ وحالىٌ وقد ذكرنا ايضاً الفرق بين الأقسام المذكورة فى اوائل المجلد الأول من هذا الكتاب فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً وان شئت فراجعه وقد مرّ الكلام ايضاً فى كون شُكر المُنعم من الواجبات العَقلّية والأن نتَكَلّم فى بعض ماورد فيه وما قالوا فى حقيقته فنقول.

١- السباء- ١٣
٢- ابراهيم- ٧

رَوى فى الكافى باسناده عن النبىّ ﷺ انّه قال الطّاعم الشّاكر له من الأجر كأجر الصّائم المُحتسب والمُعافى الشّاكِرَ لَه من الأجر كاجر المبتلىٰ الصّابِر، والمعطى الشّاكِر له من الأجر كاجر المحروم القانع انتهى...

وعنه ـ قال: ما فَتَح الله على عَبدٍ باب شكرٍ فَخَزن عند باب الزّيادة انتهى...

وعن الصّادق عليه السلام ثلاث لايضرّ مَعهنّ شىءٌ الدّعاء عند الكرب، و الاستغفار عند الذّنب، والشُّكر عند النّعمة...

وعنه عليه السلام من أُعْطِى الشُّكر أُعْطِى الزّيادة يقول الله تعالى :﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وعنه ما أنعَم الله على عبدٍ من نعمةٍ فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فَتَمّ كَلامه حتّى يُؤمر له بالمزيد انتهى...

وعنه شكُر كُلِّ نعمةٍ وَإن عَظُمت أن يَحمد الله عزّ وجل انتهى...

وعنه ـ من قال أربَع مرّات اذا أصبَح الحمد للّه ربّ العالمين فقد أدّىٰ شَكُر يَومه ومن قمالها اذا أمسىٰ فقد أدّىٰ شكر ليلته والأخبار فيه كثيرة وفيما ذكرناه كفاية...

وامّا على مَسلَك العرفاء فالشّكر اسم لمعرفة النّعمة لانّها السّبيل الى معرفة المنعم ولهذا سمّى الله تبارك وتعالى الأسلام والأيمان فى القرآن شُكراً ومعانى الشُّكر ثلاثه اشياء.

معرفة النّعمة، ثُمّ قَبُول النِّعمة، ثمّ الثّناء بها وهو ايضاً من سُبل العّامة وهو على ثلاث درجات.

الدّرَجة الأولى: الشُّكر على المحاب وهذا شُكر شاركت المُسلمون فيه النّصارى واليَهُود والمَجُوس ومِن سَعَة برّ البارى انّه عدّه شكراً ووَعَد عليه الزّيادة واوجب له المَثُوبة.

والدّرجة الثّانية: الشُّكر على المكاره وهذا ممّن يستوى عنده الحالات اظهار الرّضا ومِمّن يُميّز بين الأحوال كظم الغيض وسَتر الشّكوىٰ ورعاية

١- ابراهيم- ٧

الأدب وسلوك مَسلك العِلم وهذا الشّاكر اولىٰ مَن يُدعىٰ الى الجنَّة.

والدّرجة الثّالثة: ان لايَشهد العبد الّا المُنعم فاذا شهد المنعم مَعبُوده استعظم منه النّعمة واذا شهده حبّاً استحلى منه فيه الشّدة واذا شهده تقرباً لَم يَشهد منه نعمة ولا شدّة انتهى فأفهم وتامّل فى هذه الكلمات.

▫ **قوله عليه السلام: وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ ...**

اعلم انّ الوَرع عبارةً عن حفظ النّفس عن المحرّمات الآلهيّة وامّا عند العرفاء فَهُو تَوَقٍ مستقصىٰ على حَذرٍ او تَحرّجُ على تعظيمٍ وكيف كان فله ايضا درجات.

الدّرجةاولى: تجنّبُ القبائح لصون النّفس وتوفير الحسنات وصيانة الأيمان.

الدّرجة الثانية: حِفظ الحدود عندما لابأس به ابقاءً على الصّيانة والتّقوى وصُعوداً عن الدّنائة وتَخَلُّصاً عن اقتحام الحُدود.

الدّرجةالثّالثة: التّورع من كلّ داعيته تدعُون الى شتات الوَقت، والتّعلُق بالتّفرّق وعارضٌ يُعارض حال الجمع ولا شك انّه من الأوصاف الحميدة والملكات الفاضلة الشّريفة الّتى قلمّا يُوجد انسان مُتصّفٌ به وهو ظاهر وقد تَحصّل ممّا ذكره فى معنى الزّهد والزهادة انّ الزّهادة لاتستحقق لأحدٍ من افراد النّاس الّا بشروط ثلاثة، قصر الأَمَل، وشُكر النّعَم، والتّورع عند المحارم فمن لايكون موصوفاً بهذه الأوصاف الثّلاثة فليس فيه من الزُّهد عينٌ ولا اثر لانّ هذه الأمور بِمَنزلة الأركان لِلزهادة وهو مطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: فَإِنْ عَزَبَ ذَالِكَ عَنْكُمْ فَلاٰا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ وَلاٰ تَنْسَوْا عِنْدَ النَّعَمِ شُكْرَكُمْ...**

وحاصل ما افاده عليه السلام فى المقام هو انّه لو كانت الزّهادة الكاملة بالمعنى الّذى ذكرناه مستجمعةً لجميع الأوصاف الثّلاثة مُشكلةٌ مستصبعته فلا محالة ينبغى ان لايغيب عنكم هذين الوَصفين اعنى الورع وشكر النّعم فانّ ما

لايُدرك كلّه لايُترك كُلُّه والمَيسُور لايَسقُط بالمَعسور.

▫ **قوله عليه السلام: فَقَدْ اَعْذَرَ اللهُ اِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُّسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ ...**

كلامه: هذا بمنزلة البُرهان على ما ادّعاه اوّلاً من لزومِّ الاخذ بالزّهد فكانّه قيل له: ولِمَ كان ذالك فقال عليه السلام لِأنّ الله تعالى قد اَتمّ عليكم الحُجّة ظاهرةً وباطنةً تكوّينيةً وتشريعية ومعه فلا مجال للأعراض عن الزّهادة والأهمال فى امر المعرفة والعُبوديّة.

والمراد بالحُجج المسفرة هى الأنبياء والرّسل لكونهم سفراء الله تعالى الى خلقه ومن الكتب، الكتب السّماوية المنزلة عليهم كالتّوراية والأنجيل والقرآن ومع هؤلاء الحجج لامجال لِلغفلة والمُسامحة.

ومن كلامٍ له عليه السلام (٨١)

قوله عليه السلام ما اَصِفُ مِن دارٍ اَوَّلُها عَناءٌ، وَاٰخِرُها فَناءٌ، فِي حَلاٰلِها حِسابٌ، وَفِي حَرٰامِها عِقابٌ، مَنِ اسْتَغْنىٰ فِيها فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيها حُزِنَ، وَمَن ساعٰاها فٰاتَتْهُ، وَمَن قَعَدَ عَنْها وٰاتَتْهُ، وَمَنْ اَبْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ اَبْصَرَ اِلَيْها اَعْمَتْهُ...

اللّغة

(عَناءٌ) بالمدّ المَشقة (فُتِنَ) بالبناء على المجهول من الفتنة بمعنى الأمتحان والأختبار، (وٰاتَتْهُ) المواتاة حُسن المطاوعة والموافقة والباقي واضح.

المعنى

هذا الكلام صدر منه في وصف الدّنيا فقال عليه السلام (مٰا اَصِفُ) اى كَيف اَصِفُ (مِن دارٍ) المُراد بها الدّنيا (اَوَّلُها) اى اوّل هذه الدّار (عَناءٌ) اى مَشقَّة وكُلفَة (وَاٰخِرُها) اى آخر الدنيا (فَناءٌ)، لقوله تعالى :كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ اِلاّٰ وَجْهَهُ[1] (فِي حَلاٰلِها حِسابٌ) يوم القيمة (وَفِي حَرٰامِها عِقابٌ) في القيامة ايضاً (مَنِ اسْتَغْنىٰ فِيها)، بالمال والثّروة (فُتِنَ) واختبر به (وَمَنِ افْتَقَرَ فِيها) وكان فقيراً بلا مالٍ يصير محَزّوناً مَهمُوماً (وَمَن ساعٰاها) اى الدُّنيا (فٰاتَتْهُ) الدّنيا اى مَن طَلبها لَم يَجدها و(وَمَن قَعَدَ عَنْها) ولم يَطلبها (وٰاتَتْهُ) اى صارت ال دّنيا

١- القصص- ٨٨

مطيعة له (**وَمَنْ اَبْصَرَ بِهٰا بَصَّرَتْهُ**)اى من كان فى الدنيا بَصيراً معتبراً بها فالدّنيا بَصَّرته بعيوبها (**وَمَنْ اَبْصَرَ اِلَيْهٰا اَعْمَتْهُ**) اى من اعتمد عليها ولم يتوجّه الى عيوبها واعتباراتها فالدّنيا اَعمته فانّ حُبَّ الشىء يعمى ويُصم.

◁ الشرح

اعلم انّ الدّنيا قد كثر الكلام فيها فى الآيات والاخبار وكلمات القوم ونحن قد تكلّمنا فيها فيماسبق مُفصّلاً ولا نحتاج فعلاً الى اعادة الكلام فنقتصر فى المقام على شرح كلماته فنقول.

اثبَت فى المقام للدّنيا عُيوباً كُلّ واحدٍ منها يكفى للعاقل ان لايعتمد عليها

▫ قوله عليه السلام مٰا اَصِفُ مِن دٰارٍ اَوَّلُهٰا عَنٰاءٌ، وَاٰخِرُهٰا فَنٰاءٌ...

كلمة (ما) فى قوله ما اَصِف موصولة على مسلك القوم او تَعجبيّته او نافيته على مَسلك التحقيق ولكلٍ وجهٌ ثُمّ انّه عَلّلِ عدم وصفه الدّنيا بانّ اوّلها عناء وآخرها فناء.

امّا كون اوّل الدنيا عناء ومَشقّة فهو من الواضحات فانك اذا تأمّلت فى نفسك لدريت انّ الأنسان من مبدء نشوه ووجُوده الى آخر حياته دائما يكون فى مَشقّة وتعبٍ لايمكن له التّخلص منها ابداً سواء كانت المشقّة بالنّظر الى جسمه او بالنّظر الى روحه فانّ الدّنيا دار بالبلاء محفُوفة وبالغَدر معرُوفة، فهو اى الأنسان دائماً يتعب ويَجتهد الى آخر عُمره فان كان فقيراً يسعى لِتحصيل الثّروة وان كان ذليلاً يسعى لِتَحصيل العزّة والمقام وان كان مريضاً فكذالك ثُمّ آخر الأمر ينتهى الى الفناء والدّثور وتبقى الدُّنيا للدنيا وامّا كون آخرها فناء، فهو امرٌ لامرية فيه حِسّاً وعقلاً وشرعاً.

امّا الحس، فانا نرى ونشاهد الموجودات بأسرها تنتهى الى الزّوال والفناء بعد الحياة والبَقاء، وامّا عقلاً، فلانّ الموجود التّركيبى لامحيص له من الدّثور كما مَرَّمِنّا مراراً الأشارة اليه وحيث ان ماسوى الله مُمكن وكلّ ممكن زوجٌ تَركّيبىٌ له ماهيّتهٌ ووجودٌ فعلى القاعدة مسيره الى الزّوال.

وامّا نقلاً: وشرعاً فلقوله تعالى:﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ، وَيَبْقىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُوالْجَلاٰلِ وَالْإِكْرٰامِ**﴾[1] و امثالها من الآيات فتحصّل ممّا ذكرناه ان آخر الدّنيا هو الفناء لاغير وهو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: فِي حَلاٰلِهٰا حِسابٌ، وَفِي حَرٰامِهٰا عِقابٌ، ...**

وهذا هو النّقص الثّانى فيها فانّ الأنسان اذا حصلت له الثّروة والمال لايَخلوا حاله امّا ان يكون المال قد حَصل له من طريق الحلال وامّا من طريق الحرام كما هو الأغلب وكلاهما يُوجبان له الملال فى الآخرة.

امّا الاوّل: اعنى المال المأخوذ من طريق الحلال، لانّه لابدّ لصاحبه من تَصفية الحِساب غداً.

وقد روى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّ الفُقَراء يَدخُلون الجَنَّة قبل الأغنياء بخمسمائة عامٍ قيل له كيف ذالك يا رسول الله قال لِطول الحساب فان الفقير لاحساب له من جهة المال بخلاف الغنى.

وامّا الثانى: اعنى الحرام من المال فهو اوضح من ان يخفى على اَحَدٍ ومع ذالك كلّه نذكر بعض ماورد فى اصل الحساب و انّه حقٌّ لاريب فيه وما يلحقه.

قال الله تعالى:﴿**اَقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾[2]

و : ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٰا وَرُسُلِهِ فَحاسَبْنٰاهٰا حِساباً شَديداً وَعَذَّبْنٰاهٰا عَذاباً نُكْراً**﴾[3]

و : ﴿**إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ**﴾[4]

و : ﴿**إِنَّ إِلَيْنٰا إِيابَهُمْ ،ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسابَهُمْ**﴾[5]

و : ﴿**ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ**﴾[6] و غيرها من الايات الدالة على وجود الحساب وانّه حقّ لاريب فيه.

روى فى البحار باسناده عن الصادق عليه السلام انّه قال اذا كان يوم القيمة وقفَ

١- الرحمن- ٢٦/٢٧
٢- الانبياء- ١
٣- الطلاق- ٨
٤- البقرة- ٢٨٤
٥- الغاشية- ٢٥/٢٦
٦- التكاثر- ٨

عَبدان مؤمنان للحساب كلاهما من اهل الجنة فقيرٌ فى الدّنيا وغنّى فى الدّنيا فيقول الفقير يا ربّ على ما اُوقفَ فَو عـزتكّ انّك لَـتَعلم انّك لم تُـولّنى ولايـة فأعدل فيها اَو اَجُور ولَم تَرزقنى مالاً فأودِّى منه حقاً اواضيع ولا كان رزقى يأتينى منها الّا كفافاً على ما علمت وقدَّرت بى فيقول الله جلّ جـلاله صَـدَق عبدى خلّوا عنه يدخل الجنّة ويبقى الآخر حتّى يسيل منه العرق مالو شربه اربعين بعيرٍ لكفاها ثم يدخُل الجنَّة فيقول له الفقير ما حَـبسك فـيقول طـول الحساب مازال الشّى يجئينى بعد الشّى يغفر لى ثم اسئل عن شىء آخر حتّى تغَمّدنى عزّ وجل منه برحمةٍ والحَقنى بالتّائبين فَمَن انت فـيقول انـا الفـقير الّذى كُنت معك آنفاً فيقول لقد غَيّرك النّعيم بعدى انتهى «ج ٣ ص ٢٦٦».

▫ **قوله عليه السلام: مَنِ اسْتَغْنىٰ فِيهٰا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهٰا حُزِنَ، ...**

وهذا هو العيب الثّالث لها، والوجه فيه انّ الأنسان لايخلو من الفقر والغنى ولا ثالث لهما وهو على كلا التقديرين فى مَشقّةٍ شديدة فانّه اذا كان غنيّاً فهى فى مَعرَض الأمتحان والأختبار قال الله تعالى:﴿**إِنَّمٰا اَمْوٰالُكُمْ وَاَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[1] و اذا كان فقيراً فلا محالة محزون مغمومٌ على فقره فهو على التّقديرين مُبتلى بها ولكلٍ واحدٍ منهما شواهد من الآثار مضافاً الى حكم العقل والحسّ بهما.

▫ **قوله عليه السلام: وَمَن سٰاعٰاهٰا فٰاتَتْهُ، وَمَن قَعَدَ عَنْهٰا وٰاتَتْهُ، ...**

وهذا هو الرّابع فى النقائص الموجودة فيها وحاصله انّ من يطلبها لايصل اليها ومن لم يجدها طاوعته الدُّنيا وهو من العجائب والمَقصُود انّ اقبال الدّنيا وادبارها دائماً يكون على عكس المطلوب ولنعم ما قيل فيه.

سأطلب بُعد الدّار عنكُم لِتقربوا وتَسكُبَ عيناى الدُّموع لِـتَجمدا

والّذى هذا شانه فكيف ينبغى للعاقل الأعتماد عليه.

▫ **قوله عليه السلام: وَ مَنْ اَبْصَرَ بِهٰا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ اَبْصَرَ اِلَيْهٰا اَعْمَتْهُ...**

ومُحَصّل الكلام فيه هو ان من جَعَل الدّنيا سَبباً لبصيرته ووَسيلةً لآخرته

١- الانفال- ٢٨

فالدّنيا تُعنيه عليه وتجعله على بَصيرةٍ وامّا من ابصَرَ اليها بمعنى كونه ناظراً اليها بالأستقلال الملازم لِلرّكُون عليها فقد اعَمتَه الدّنيا وتصيره كمن لاعين له فالدّنيا ممّا به يُنظر لاممّا اليه يُنظر وهو من احسن الكلام هذا ما فهمته من عبارته وَلَعلّك تفهم فيها غير فهمناه.

فهذه الوجوه الخمسة او العَشرَة قد دلّت على انّ الدّنيا لاتليق بان يُعوّل عليها وانّما هى دار مجازٍ والآخرة دار قرار كما قال الشّاعر.

انّـــما الدنـــيا كَـــظلٍّ زائـلٍ او كَضَيفٍ بات فيها وارتَحَل

فعلى العاقل ان ينظر اليها بعين العبرة كما وردت به الاثاث والأخبار لابعين الأستقلال والبقاء فانّ الدّنيا ممّا لابقاء له والتَغيُّر والحُدوث من لوازم ذاتها والحكايات والتمثيلات من الحكماء والعرفاء لها فوق حدّ الاحصاء وقد مرّ شطراً منها فى ما مضى من الكلام وسيأتى تفصيله فى محلّه.

ومن خطبة له عليه السلام (٨٢)

▫ قوله عليه السلام اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی عَلاٰ بِحَوْلِهِ، وَدَنٰا بِطَوْلِهِ، مٰانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَّ فَضْلٍ، وَكٰاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ اَزْلٍ، اَحْمَدُهُ عَلٰى عَوٰاطِفِ كَرَمِهِ، وَ سَوٰابِغِ نِعَمِهِ، وَ اوُمِنُ بِهِ اَوَّلاً بٰادِياً، وَاَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هٰادِياً، وَاَسْتَعِينُهُ قٰاهِراً قٰادِراً، وَ اَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كٰافِياً نٰاصِراً، وَ اَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ اَرْسَلَهُ لِإِنْفٰاذِ اَمْرِهِ، وَاِنْهٰاءِ عُذْرِهِ، وِتَقْدِيمِ نُذُرِهِ متن

◁ **اللّغة**

(بِحَوْلِهِ) الحَول بفتح الحاء القوّة (بِطَوْلِهِ) والطّول بفتح الطّاء القدرة (مٰانِحِ) اسم فاعلٍ من مَنَح بمعنى اعطىٰ اى المُعطى (غَنِيمَةٍ) الفىء (اَزْلٍ) بفتح الهمزة وسكون الزّاء المعجة الشّده والضّيق، (عَوٰاطِفِ) جمع منتهى الجمُوع والمفرد منه عاطفة مُونّث العاطف (بٰادِياً) البادى الظّاهر (اِنْهٰاءَ) الأبلاغ، (عُذْرَهَ) المراد منه العُذر بيان ما يَستحقّ به العاصى العقاب (نُذُرِهِ) بضمّ النّون وسكون الذّال التّخويف.

◁ **المعنى**

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی عَلاٰ) وارتفع ارتفاعاً عقلاً (بَحِوْلَهَ) وقوّته (وَدَنٰا) دُنّواً عَقلّياً الينا (بِطَوْلِهِ) وقدرته (مٰانَحَ) اى معطى (كُلِّ غَنِيمَةٍ وَّ فَضْلٍ،) اذ هو المُعطى على الأطلاق (وَكٰاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ اَزْلٍ) اذ لاكشّاف غيره (اَحْمَدُهُ)

ای اَحمَد الله الّذی مُتصّف بالصّفات المذکورة (**عَلٰی عَوٰاطِفِ کَـرَمِهِ**) ای احمده علی شَفقته وجوده (**وَ سَوٰابِغِ نِعَمِهِ**) الظّاهرة والباطنة (**وَ اوُمِنُ بِهِ اَوَّلاً بٰادِیاً**،) ای اُومن به ایماناً لایخالطه ریبٌ (**وَاَسْتَهْدِیهِ**) ای اطلب الهدایة منه تعالی (**قَرِیباً هٰادِیاً**) لابعیداً (**وَاَسْتَعِینُهُ قٰاهِراً قٰادِراً**) اذ هو القاهر فوق عباده والقادر علی کلّ شیءٍ (**وَ اَتَوَکَّلُ عَلَیْهِ کٰافِیاً نٰاصِراً**،) فمن یتوکّل عَلی الله فَهو حَسبه (**اَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ اَرْسَلَهُ**) ای ارسل الله ایّاه (**لِاِنْفٰاذِ اَمْرِهِ**،) ای امر الله تعالی من تبلیغ الأحکام (**وَاِنْهٰاءِ عُذْرِهِ**،) واتمام الحجّة (**وَتَقْدِیمِ نُذُرِهِ**) اذ هو ﷺ بشیرٌ نذیرٌ.

◁ الشرح

اعلم انّ هذه الخطبة الشّریفة من عجائب کلامه ﷺ ولذالك سُمّیت بالغرّاء کما سَتطّلع علی مضامینها وحقائقها وحیث انّها مفصّلة والبحث فیها فی امورٍ کثیرة قَطّعُوها تقطیعاً یُوجب تسهیل الأمر بالنّظر الی شرح الفاظه ونحن ایضا اِقتضینا اثرهم فیه فنقول.

▫ **قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی عَلاٰ بِحَوْلِهِ، وَدَنٰا بِطَوْلِهِ، ...**

قد مرّ منّا الکلام فی معنی الحمد مفّصلاً فی المجلّد الاوّل من هذا الکتاب وقد تکلّمنا ایضاً فی کلمة (الله ومبدء اشتقاقه ووجه یَسمته تعالی به وانّ هذا الأسم علمٌ علی الاصّح للذّات الواجب الوجود المستجمع لجمیع الکمالات ولذالك لایطلق علی غیره تعالی اطلاقاً حقیقیّاً.

ثمّ انّه ﷺ قد وَصف الله تعالی بما هو یلیق به فقال الّذی عَلا بحَوله، ای انّی احمد الله الّذی علا بحَوله وقوّته ویستفاد منه امران احدهما عُلوّة تعالی وثانیهما انّ العُلُوّ بحوله تعالی وقوته لابحول غیره امّا الاوّل فهو ممّا لاکلام فیه اذ لاشك فی کونه مُتصّفاً به کیف لا وهو خالق السّموات والارضین وقد ثبت فی العُلوم العقلّیة انّ العلّة اعلی واشرف من المعلول وحیث انّه ثبت کونه تعالی غیر جسمٍ ولا جسمانی منزّهاً عن الزّمان والمکان والوضع وغیرها ممّا

هو من لوازم المادّة فلا جرم كان عُلّوه عُلّواً عَقلّياً مَعنوياً لاعُلّواً حَسّياً امّا قوله عليه السلام: **بَطِوْلِهِ** اى بِقوّته ففيه اشارة الى انّ هذا العُلوّ والارتفاع من لوازم ذاته و هو مأخوذ من حقيقته الواجبية لا انّه ماخوذ عن غيره فانّ ذالك يستدعى الاحتياج الى الغير وهو من شئون الممكن بل عينه هف.

وانّما قلنا انّ هذا العُلوّ عَقلّى مَعنوى لانّ العُلوّ الحِسّى لابدّ من كونه فى الوضع والجهة والمكان والواجب مُنَزّهٌ عن هذه النقائص الامكانية.

وامّا قوله عليه السلام: **وَدَنا بِطَوْلِهِ**. فالدّنو وان كان فى اصل اللّغة بمعنى القُرب الّا انّ القرب ايضاً على قسمين حِسّىٌ ومَعنوىٌ والاوّل من شئون المادة والجسم والثّانى من شئون المجرّد وحيث انّه قد ثبت فى موضعه تجرده تعالى فلا جرم قربه وبعده عن الأشياء غير القرب والبُعد فى حقّ غيره وكثيراً مايُعبّر عن القُرب المَعنّوى بالدُّنُو وعن الحسّى بالقُرب قال الله تعالى فى شأن رُسوله ليلة المعراج ﴿**ثُمَّ دَنىٰ فَتَدَلّىٰ فَكانَقابَ قَوْسينِ اَوْ أَدْنىٰ**﴾[1] فانّ قرب النّبى ايضاً بحضرة الواجبية كان مَعنوياً لاحسّياً.

وانّما قال عليه السلام: **بِطَوْلِهِ**، لانّ الطّول فى لغة العرب جاء بمعنى الفَضل والعطاء والقدرة والغنى وعليه فمعنى الكلام انّ هذا الدُّنُوّ المَعنوّى مُسبَّبٌ عن فضله تعالى وعطائه وقُدرته وغناه والكُلّ مُحتمل.

امّا كون الطّول بمعنى الفَضل فلانه تعالى دائم الفضل على البريّة ورَحمته وسعت كلّ شىءٍ فلا يعزب عن فصله ورحمته شىء ولازم ذالك كونه تعالى قريباً بهم قال الله تعالى وهو اَقرَب اليكم من حَبل الوَريد، وعلى المَعنى الثانى اعنى كون الطّول بمعنى العطاء، فهو ايضاً واضح فانّ عطائه وجوده يعمّ الموجودات بأجمعها فكيف يُعقل بعده عنهم وهكذا الكلام فى القدرة والغنى وعلى كلّ حالٍ فهو تعالى قريبٌ بهم بل اقرب اليهم من انفسهم وقد مرّ الكلام فى هذا المعنى ايضاً فى المجلّد الاوّل عند شرحنا لخطبة الشّريفة (اوّل الدّين

١-النجم- ٨/٩

معرفته الخ ان شئت فارجع هناك.

▫ **قوله** عليه السلام: **مانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَّ فَضْلٍ، وَكاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ اَزْلٍ ...**

اشار بقوله هذا الى وصفين آخرين له تعالى احدهما كونه هو المعطى لكلّ غنيمة والآخر كونه هو الكاشف عَن الكَرب وهو اقتباس عن قوله تعالى:﴿**وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾[1]

والوجه فيه انّ الأنسان يحتاج الى الربّ فى جميع شئونه فكما انّه يحتاج اليه فى الرّزق كذالك يحتاج اليه فى دفع الكُربات والبليّات وفيه اشارة الى ضعف الأنسان وقدرة الخالق وانّ المخلوق لابدّ له من التوجّه الى خالقه فى حالتى الرّخاء والشدّة كما قيل.

اَزِقّة الأمُور طُرّاً بيده ... والكلّ مستمدةٌ من مَدَده

▫ **قوله** عليه السلام: **اَحْمَدُهُ عَلٰى عَواطِفِ كَرَمِهِ، وَ سَوابِغِ نِعَمِهِ ...**

الكريم من اسمائه تعالى وقد قالوا فى معناه انّه الّذى اذا قَدر عَفىٰ واذا وَعدَ وفىٰ واذا اعطى زاد على مُنتهى الرّجاء ولا يُبالى كم اَعطى ولِمَن اَعطىٰ وان وقعت حاجة الى غيره لايرضى ولا يَضيعُ من لاذبه والتَجاءَ ويغينه عن الوسائل والشُفَعاء فمن اجتمع له جميع ذالك لا بالتَكلّف فهو الكريم المطلق وهو الله ثم فقط.

واما قوله عليه السلام: وَ سَوابِغِ نِعَمِهِ ففيه اشارة الى قوله تعالى حيث قال:﴿**اَلَمْ تَرَوا اَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[2]

وانّما قال عليه السلام ما قال من الحمد على عواطف كرمه الخ لانّ الله تعالى منعِمٌ وقد ثبت انّ شكر المُنعم واجبٌ عقلاً فكذالك شَرعاً قال الله تعالى ﴿**لئن شَكَرتُم لأزيدَنكُم ولَئِن كفرتم إنّ عذابى لشديدٌ**﴾

و: ﴿**ومن يَشكر فانّما يشكر لِنفسه ومن كفر فان الله غنىٌ حميد**﴾ وقد مرّ الكلام منّا فى الشُكر وما يناسبه مراراً.

١- النحل- ٥٣ ٢- اللقمان- ٢٠

▫ **قوله عليه السلام: وَ اوُمِنُ بِهِ اَوَّلاً بٰادِياً، وَاَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هٰادِياً، ...**

والضمير فى قوله عليه السلام: (به) يرجع اليه تعالى وكذا فى قوله عليه السلام: (وَاَسْتَهْدِيهِ) والمعنى انّى اومِن به اى بآلهيّته وَوحدانيّته اِيماناً فى ابتداء الأمر قبل الأستعانة والحمد والأستهداء منه وذالك لانّ الأيمان بالله تعالى مُقدّمٌ على جميع هذه الأمور فَمَن لَم يُؤمن به كيف يستعين به ويستهديه.

وامّا قوله عليه السلام: وَاَسْتَهْدِيهِ اى اطلُب منه الهداية والأرشاد الى الطَريق المستقيم قال الله تعالى مخاطباً لِنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿**إِنَّكَ لاٰتَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ**﴾[1] والأيات فى الباب كثيرة.

▫ **قوله عليه السلام: وَاَسْتَعِينُهُ قٰاهِراً قٰادِراً، وَ اَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كٰافِياً نٰاصِراً، ...**

اى اَستعين بالله تعالى فى جميع الأمور قال الله تعالى فى سورة الحمد: ﴿**اِيّاك نعبد واِيّاك نستعين**﴾ و قوله عليه السلام: قٰاهِراً قٰادِراً، وكذالك قوله كافياً ناصراً فى الجملة الاتيته كلّها منصوبٌ على الحاليته من الضَمير فى قوله اَستَعينه وعليه اى اَستَعينه حالكونه قاهراً واتوكّل عليه حالكونه كافياً ناصراً.

ثمّ انّه عليه السلام اَثبتَ للّه تعالى فى المقام اَوصافاً اربعة.

احدها: القاهرية.

وثانيها: القادريّة.

وثالثها: كونه كافيا.

ورابعها: كونه ناصراً والكلّ صحيح.

امّا كونه ثم قاهراً فانّ القهارية هى الّتى تقصم الجبابرة من اعدائه فَيقهرهم بالأماتة والأِذلال بل لاموجود الّا وهو مُسخَّرٌ تحت قهره وقدرته عاجز فى قَبضَته ولا شَكّ انّ الله تعالى كذالك بل لايصدق القّهار حَقيقةً الّا عليه.

وامّا كونه قادراً فلانّ القدرة عبارة عن المعنى الّذى يوجد الشّىء مُقتدراً بتقدير الأرادة والعلم واقعاً على وفقهما والقادر المطلق هو الّذى يخترع كلّ

١- القصص - ٥٦

موجودٍ اختراعاً يتفَرّدٍ ويَستغنى فيه عن معاونة غيره وهو الله تعالى لاغيره وامّا العَبد فله قُدرة لكنّها ناقصة اذ لايصلح الاختراع فهو تعالى قادرٌ مطلق وهو المطلوب.

وامّا كونه تعالى كافياً فلأنّه هو الخالق لكلّ شيىءٍ والقادر على كلّ شيىءٍ واذا ثبتت قدرته ثبت كونه كافياً ايضاً وذالك لانّه لو لم يكف فلا محالة ضعيف لايقدر وقد ثبتت قدرته المطلقة مف.

وامّا كونه ناصراً فهو ايضاً واضح فانّ العبد اذ استعان به تعالى وتَوَكّل عليه فهو ينصره قطعاً بصريح الآيات قال اللّه تعالى:﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[1]

و: ﴿**وَ لَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[2]

و: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ**﴾[3]

و: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[4] وغيرها من الآيات.

▫ **قوله عليه السلام: وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وتَقْدِيمِ نُذُرِهِ...**

بعد التمحّيد والأستعانة بالله تعالى اردَف كلامه عليه السلام بالشّهادة على الرّسالة كما هو الحقّ فانّ من لم يَعرف الله تعالى بالأيمان به والأقرار بشهادته كيف يؤمن بانّ محمّداً صلى الله عليه وآله رَسوله وسفيره فالشّهادة بوحدانيّته تعالى قبل الشّهادة برسالة الرّسول وهذا ظاهر ثمّ فى كلامه عليه السلام هذا نكات ولطائف.

احدٰيها: تصريحه بانّ **محمّداً عَبدُه ورُسوله** بتقديم العُبوديّة على الرّسالة وهو كذالك فانّ مقام العبوديّة اشرف المقامات قال الله تعالى:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[5]و نقول فى التَشَهُد ايضاً اَشهدُ انّ

١- الغافر- ٥١
٢- الحج- ٤٠
٣- آل عمران- ١٦٠
٤- محمد- ٧
٥- الاسرء- ١

محمّداً عبده ورسوله.

الثّانية قوله عليه السلام: **اَرْسَلَهُ لِاِنْفاذِ اَمْرِهِ...**

وفيه اشارة الى انّه صلى الله عليه وآله رسول من عند الله لانفاذ امره مَشيّته وهو وظيفة الرّسول فى مقام البعثة والرّسالة. قال الله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[1]

و : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[2]

و : ﴿**وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[3] و الآياتُ المصرّحة بكونه صلى الله عليه وآله رسولاً من عندالله كثيرة وامّا قوله عليه السلام: **لِاِنْفاذِ اَمْرِهِ**، ففيه اشعار بانّ النّبى لايقول ولا يعمل الّا بأذن الله قال الله تعالى:﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ، اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ**﴾[4].

الثّالثة قوله عليه السلام: **وَاِنْهاءِ عُذْرِهِ**، وفيه اشعار بل تصريحٌ بوظيفته الثّانية وهى اِتمام الحجّة على العباد لئلايكون للنّاس عَلى الله حجّة.

الرّابعة قوله عليه السلام: **وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ**، اى انذار الخلق وتخويفهم من العقاب فانّ الأنذار شأن الرّسول كما انّ التّبشير له صلى الله عليه وآله فانّ كونه صلى الله عليه وآله بشيراً وَ نذيراً من المُسلّمات.

وبالجملة يستفاد من قوله عليه السلام هذا انّ الرّسول حُجّةٌ من الله على النّاس اَمره اَمرُه ونَهيه نَهيُه قال الله ثم:﴿**قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[5]

و : ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[6] واذا كان الأمر فيه صلى الله عليه وآله على هذا المنوال فيجب على آحاد الامّة اتّباعه بالعمل بكلّ ما اَمرَهم به والأجتناب عن كلّ مانهاهم عند ما آتيكُم الرَّسُول فخذُوه ومانهاكُم عنه فَانتَهُوا والحمد للّه رب العالمين.

١- التوبة- ٣٣
٢- آل عمران- ١٣٤
٣- الاحزاب- ٤٠
٤- النجم- ٣/٤
٥- آل عمران- ٣١
٦- الاحزاب- ٢١

«ومن هذه الخطبة»

▫ قوله عليه السلام أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِى ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ، وَأَرْفَعَ لَكُمُ الْمَعاشَ، وَأَحاطَ بِكُمُ الْإِحْصاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ وَالرِّفَدِ الرَّوافِعِ، وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ، فَأَحْصاكُمْ عَدَداً، وَّ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِى قَرارِ خِبْرَةٍ، وَدارِ عِبْرَةٍ ،أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها، وَمُحاسَبُونَ عَلَيْها، فَإِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ مَّشْرَبُها، رَدِغٌ مَشْرَعُها، يُونِقُ مَنْظَرُها، وَيُوبِقُ مَخْبَرُها، غُرُورٌ حائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَّظِلٌّ زائِلٌ، وَسِنادٌ مائِلٌ، حَتّٰى إِذا أَنِسَ نافِرُها، وَاَطْمَئَنَّ ناكِرُها، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِها، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِها، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِها، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهاقَ الْمَنِيَّةِ، قائِدَةً لَهُ إِلى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَ وَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوابِ الْعَمَلِ، وَكَذٰلِكَ الْخَلَفُ يَعْقِبُ السَّلَفَ: لاتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً، وَلا يَرْعَوِى الْباقُونَ اجْتِراماً، يَحْتَذُونَ مِثالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسالاً ،إِلىٰ غايَةِ الْإِنْتِهاءِ ،وَ صَيُّورِ الْفَناءِ...

◁ اللّغة

(**الرِّياشَ**) اللباس الفاخر (**أَرْفَعَ**) اى أوسعَ (**الْمَعاشَ**) بالفتح بمعنى الحياة (**أَرْصَدَ**) أعدَّ (**الرِّفَدِ**)جَمْع الرَّفدة وهى العطيّة (**خِبْرَةٍ**) اسمٌ من الأختبار (**عِبْرَةٍ**) اسمٌ من الأعتبار (**رَنِقٌ**) بكسر الرّاء وفتحها بمعنى الكَدِر (**رَدِغٌ**)بالغين المُعجمة على وزن الكتف كثير الوَصل(**يُونِقُ**) اى يُعجب (**يُوبِقُ**) اى يُهلك (**حائِلٌ**)مُتغيّر اللّون (**آفِلٌ**) من أَفَل اذا غابَ (**سِنادٌ**) مايُستند اليه من حائطٍ ونحوه (**قَمَصَتْ**) اى ضربَت (**قَنَصَتْ**) اى صادت (**أَوْهاقَ**)جمع وَهَق مُحرّكة وهو الحَبل (**ضَنْكِ**) الضَّنك الضّيق (**اخْتِراماً**، الأختِرام الأخذ (**يَرْعَوِى**) يرتدع(**اجْتِراماً**) من الجُرم (**يَحْتَذُونَ**) الأحتذاء الأقتداء والباقى واضح.

المعنى

(اُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ) فانّ التّقوىٰ خير الزّاد (الَّذِى ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثالَ) فى كتابه التّدوينى والتّكوينى(وَوَقَّتَ) وعَيَّن لكم الوقت (لَكُمُ الْآجالَ) فى اعماركم (وَاَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ) اى، اَلبسة الفاخرة (وَاَرْفَعَ) واَوسَع (لَكُمُ الْمَعاشَ وَاَحاطَ بِكُمُ الْأِحْصاءَوَاَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ) يوم القيمة (وَاَتَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ) فانّ النّعم كلّها من عندالله (وَالرِّفَدِ الرَّوافِعِ) اى العطايا الكثيرة (وَ اَنذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ) هم الأنبياء و الرُّسل (فَأَحْصاكُمْ عَدَداً، وَّ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً) لكونه تعالى رازقاً لكم. (فِى قَرارِ خِبْرَةٍ)وهو الدّنيا فانها دار الأختبار (وَدارِ عِبْرَةٍ) لكونها دار الأعتبار ايضاً (اَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها) اى انتم تُختَبرُون فيها (وَمُحاسَبُونَ عَلَيْها) على الدّنيا ونَعِمها (فَاِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ) كَدِرٌ (مَّشْرَبُها) وهو كناية عن خِسّتها (رَدِغٌ مَشْرَعُها) فلا ينبغى الاعتماد عليها (يُونِقُ مَنْظَرُها) اى يُعجب (وَيُوبِقُ مَخْبَرُها) اى يُهلك ويُغنى مَخبر الدّنيا (غُرُورٌ حائِلٌ) مُتغيّر اللّون (وَضَوْءٌ آفِلٌ) فانّ الأفول شأن الحُدوث (وَّظِلٌّ زائِلٌ) لادوام لها (وَسِنادٌ مائِلٌ) لايُعتمد عليها (حَتّٰى اِذا اَنِسَ نافِرُها) اى نافر الدنيا (وَاَطْمَئَنَّ ناكِرُهاقَمَصَتْ بِأَرْجُلِها) قمَصت، اى ضربت بأرجلها (وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِها)، وهو كناية عن مكرها (وَاَقْصَدَتْ)، الدّنيا (بِأَسْهُمِها، وَاَعْلَقَتِ) الدّنيا (الْمَرْءَ اَوْهاقَ الْمَنِيَّةِ) فتجعل الانسان فى حبال الموت (قائِدَةً لَهُ) اى الأنسان (اِلٰى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ) وهو القبر (وَ وَحْشَةِ الْمَرْجِعِ) وهو عالم الآخرة (وَمُعايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوابِ الْعَمَلِ) فى الآخرة (وَكَذالِكَ الْخَلَفُ يَعْقِبُ السَّلَفَ: لاتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً، وَلايَرْعَوِى الْباقُونَ اجْتِراماً،) الى آخر الخطبة والغرض انّ هذا رسمَها وديدنها من اوّلها الى يوم القيمة.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام **أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِى ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثالَ، ...**

قد مرّ الكلام فى التَّقوىٰ وَ ماوَرد فيها من الآيات والأخبار مفصّلاً فلا نطول الكلام بذكرها ثانياً واماّ قوله ضرب لكم الأمثال فهو مقتبسٌ من قوله تعالى حيث قال: **﴿كَذالِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ﴾**[1]

و : **﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[2]

و : **﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ﴾**[3]

و : **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها اِلَّا الْعالِمُونَ﴾**[4]

و : **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[5] و غيرها من الآيات.

والغرض من هذه الايات والأمثال المذكورة فيها هو التّنبيه والتّذكر بالنسبة الى المُكلّفين.

▫ قوله عليه السلام: **وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجالَ، ...**

ولا شك انّ الله تعالى هو الّذى وَقّت لنا آلا جال، والآجال جمع اَجَل، وما ذكره عليه السلام اشارة الى قوله تعالى فى كتابه . قال اللّٰه تعالى : **﴿لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ اِذا جاءَ اَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**[6]

و : **﴿وَما نُؤَخِّرُهُ اِلّا لِاَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾**[7]

و : **﴿وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحامِ ما نَشاءُ اِلىٰ اَجَلٍ مُسَمًّى﴾**[8]

و : **﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضىٰ اَجَلاً﴾**[9]

و : **﴿ما تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ﴾**[10]

▫ قوله عليه السلام: **وَأَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ،...**

١- الرعد- ١٧
٢- ابراهيم- ٢٥
٣- ابراهيم- ٤٥
٤- العنكبوت- ٤٣
٥- الحشر- ٢١
٦- يونس- ٤٩
٧- هود- ١٠٤
٨- الحج- ٥
٩- الانعام- ١
١٠- المؤمنون- ٤٣

اشارة الى قوله تعالى:﴿**يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً**﴾[1] والرّيش والرّياش بمعنى والمقصود انّ الله تبارك و تعالى هو الّذى ألبسنا الرّياش حقيقة فانّ النّعم كلها ترجع اليه وما سَواه سَببٌ وواسطةٌ أبى الله ان يجرى الامور الّا باسبابها.

▫ **قوله عليه السلام: وَأَرْفَعَ لَكُمُ الْمَعاشَ، ...**

والمعنى اوسَع لكم المعاش وهو اشارة الى قوله تعالى:﴿**نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا**﴾[2]

و : ﴿**وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ**﴾[3]

و : ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ**﴾[4]

و : ﴿**وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً**﴾[5] و المراد بسِعة المعاش هو نِعَمه الغير المتناهية الّتى أنعَم الله بها علينا وسِعَتها عبارة عن عدم اشتراطها بشرطٍ وعدم تَقَيُّدها بقيدٍ من القُيود فهو تعالى قد وسَّع على العباد نِعمَه الظّاهرة والباطنة مطيعاً كان او عاصياً كما هو شأن الجواد الكريم فانّه دائم الفَضل على البَرّية وباسط اليدين بالعطيّة.

▫ **قوله عليه السلام: وَأَحاطَ بِكُمُ الْأِحْصاءَ، ...**

اى هو تعالى يَعلَم عَددكم وذالك لانّه تعالى هو الخالق لنا والخالق لابدّ له من العلم بمخلوقه والّا لايكون خالقاً هف ومع ذالك هو مُؤيّدٌ بالنّقل ايضاً. قال الله تعالى:﴿**وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾[6]

و : ﴿**أَحْصاهُ اللهُ وَنَسُوهُ**﴾[7]

و : ﴿**لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَّ لا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصاها**﴾[8]

و : ﴿**لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً**﴾[9]

١- الاعراف- ٢٦
٢- الزخرف- ٣٢
٣- الحجر- ٢٠
٤- الاعراف- ١٠
٥- النباء- ١١
٦- الجن- ٢٨
٧- المجادلة- ٦
٨- الكهف- ٤٩
٩- مريم- ٩٤

و : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْناهُ فِي إمامٍ مُبينٍ﴾[1]

و : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾[2]

□ قوله عليه السلام: وَارْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ،...

الرّصد الاستعداد لِلتَّرقُّب يقال رَصد له وترصَّد ارصَدته له وانّما جَعَل الله تعالى الجزاء رَصداً لنا تنبيها على انّ مجاز النّاس عليه اذ لامَخلَص ولا مَهرَب عنه فى الدّنيا والآخرة. قال الله تعالى:﴿فَاِنَّه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[3]

و : ﴿اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾[4]

و : ﴿وَاِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَه﴾[5]

و : ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[6]

و : ﴿اِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً﴾[7]وفى هذه الآيات اشارة الى انّ العاقل لاينبغى له الأهمال فى الأمور الأخرويّة والغفلة عن نتيجة اعماله واقواله فانّه يَسرى ما يترتّب على اعماله يوم القيمةقال اللّه تعالى:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[8]قال رسُول الله ۶ النّاس مَجزيُّون بأعمالهم إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً ومع ذالك الآيات الدّالة على ثبوت الجزاء للأعمال فكثيرة. قال اللّه تعالى:﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[9]

و : ﴿سَواءٌ عَلَيْكُمْ اِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[10]

و : ﴿لاتَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ اِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[11]

و : ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ اِلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[12]

۱- يس- ۱۲
۲- النباء- ۲۹
۳- الجن- ۲۷
۴- الفجر- ۱۴
۵- التوبة- ۱۰۷
۶- التوبة- ۵
۷- النباء- ۲۱
۸- الزلزله- ۷/۸
۹- الجاثية- ۱۴
۱۰- الطور- ۱۶
۱۱- التحريم- ۷
۱۲- السباء- ۳۳

و : ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنٰاهُمْ بِمٰا كَفَرُوا وَهَلْ نُجٰازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[1]

و : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَسْوَاَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

و : ﴿إِنَّ السّٰاعَةَ اٰتِيَةٌ اَكٰادُ اُخْفِيهٰا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ﴾[3] و غيرها منها وحاصل الكلام انّه لاشك لنا فى ثبوت الجزاء يوم القيمة عقلاً ونقلاً وهو المطلوب.

▫ قوله عليه السلام: وَاٰثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ وَالرِّفَدِ الرَّوافِعِ،...

اَثَر الشّى حصول مايدّل على وجوده والجمع الآثار وقد يستعار الأثر للفضل، والأيثار لِلتفضُّل ومنه آثَرته، وقوله تعالى:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ﴾[4]

و : ﴿قٰالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءٰاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنٰا﴾[5] اذا عرفت هذا فاعلم انّ قوله عليه السلام وآثَركُم بالنِّعم الخ المراد منه انّه ثم قد تَفَضَّل علينا بنعمه تحنّناً منه ورَحمَةً، وذالك لانّ اصل الايجاد منه تعالى بمقتضى جُوده وكرمه وفضله ورحمته فكذالك ايثاره علينا بالنِّعم ضرورة انّه فرع اصل الأيجاد وايضاً فيه اشعار بانّ النّعم الآلهيّة ليست فى مقابلة العبادة كما هو الحَقّ .

وانّما وصَفَ النِّعم السّوابغ تبعاً لقوله تعالى حيث قال فى كتابه:﴿وَاَسْبَغَ عَلَيْكُم نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَبٰاطِنَةً﴾[6] و إسباغُ النِّعم هو كمالها وتمامها فعليه المعنى هو الذّى قد اتَّمَ واوسَعَ عليكم نِعمه الظّاهرة والباطنة.

وامّا الرِّفَدِ الرَّوافِعِ، قال الرّاغب فى المفردات الرَفْد المَعُونة والعطيّة والرَّوافع صيغة منتهى الجُموع وعليه فالمعنى هو الّذى اَثركَم بالعطايا العالية هذا.

ثمّ انّ الشارح الخوئى قده قال فى شرحه لهذا الكلام ما هذا لفظه، الرِّفد جمع رفَدة وهى العطيّة والصِّلة ونَحنُ ايضاً وافقناه فيه عند شَرح اللّغات وبه قال الشّارح المُعتزلى والشّارح البحرانى والحاصل إنَّهُم إجمَعُوا على انّ الرِّفد

١- السباء- ١٧
٢- الفصلت- ٢٧
٣- طه- ١٥
٤- الحشر- ٩
٥- يوسف- ٩٦
٦- اللقمان- ٢٠

جمع رفدة ونحن بعد ما تفحصنا كُتب اللُّغة لم نَجد قولاً موافقاً لهم بل قالوا الرَّفد العطيَّة قال فى المَجمَع فى قوله ثم بئس الرِّفد المرفود، اى بئس العطاء المُعطى ثمّ قال الرَّفد بالكسر العطاء والعَون وبالفتح المَصدر يقال رَفده رفداً من باب ضرب اعانه واعطاه والرِّفد اسمٌ منه انتهى.

وقال فى المنجد، رَفَده رَفدا، اعطاه ثمّ قال الرِّفد مصدر انتهى.

وقال الرّاغب الرِّفد المَعُونة والعَطيَّة والرَّفد مَصدر انتهى.

فقوله ﷺ: **وَالرِّفَدِ الرَّوافِعِ**، لايخلو امّا ان يُقرء بكسر الراء او بفتحها فعلى الأول فهو اسم المَصدر وعلى الثّانى مصدر وعلى كلا التقديرين معناه العطَاء واما كونه جمع رَفدة فلا ادرى من أيَن اَخذُوه.

□ **قوله ﷺ: وَ اَنذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ، ...**

اى وانذركم الله بالحجج البوالغ والمراد بالحُجَج الأنبياء والأوصياء ان حملنا اللَّفظ على الظَّاهر والاعمّ منهم والعقل الّذى هو الحجة الباطنة ان اردنا منه معناها الأعمّ وانّما عبرّ عن الأنبياء والأوصياء والعقل بالحُجَج لانّ الحجة هى الدّليل والأنبياء إدّلاء فى هذا المضمار والتّعبير بالأنذار للأشارة الى انّ شأنهم الأنذار والتّبشير كما دلّت عليه الايات وقد مرّت.

وفى توصيفهم بالبوالغ اشارة الى كونهم فى غاية البلوغ والكمال من حيث الصُّورة والسّيرة لانّهم لَو لَم يكونوا كاملين من جميع الجهات فيحتاجون الى شخصٍ آخرٍ ليكملوا بسببه والمفروض انّ الرّسول اَكمَل المَخلوقات وقد قال الله تعالى :﴿**اَفَمَنْ يَهْدِي اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لايَهِدِّي اِلّا اَنْ يُهْدى فَمالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[1]

□ **قوله ﷺ: فَأَحْصاكُمْ عَدَداً، وَّ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، ...**

اى فاحصىٰ الله تعالى عَدَدكم احصاءً لاخلاف ولا اشتباه فيه ووَظَّف اى عَيَّن لكُم رزقاً طِبقاً لِعددكُم فلا يأكل احدٌ رزق الآخر وايضاً مارزقه الله

١- يونس- ٣٥

للموجودات لايَزيدُ ولا ينقُص وهو دليل على علمه واحاطته بمعلولاته وهو كذالك ويويّده الايات. قال اللّه تعالى:﴿اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[1]

و : ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلّا عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾[2]

و : ﴿اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3]

و : ﴿وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَه بِرازِقِينَ﴾[4]

و : ﴿وَارْزُقْنا وَاَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾[5] والآيات فى الباب كثيرة جدّاً وانّا بعد العلم بانّ الله هو الرّزاق لِمخلوقاته فلا نحتاج الى اطالة الكلام فى المقام

▫ **قوله عليه السلام: فِي قَرارِ خِبْرَةٍ، وَدارِ عِبْرَةٍ ...**

والمراد بالقَرار هو الدّنيا ووَصف الدّنيا بها لانّ الدّنيا محلّ الاختبار والأمتحان ثُمّ وصَفها بالعبرة لكونها محلّ الاعتبار ايضاً ففيها الأختبار والأعتبار وقد مرّ الكلام فى الدّنيا واوصافها مُفصّلاً فيما مضى وذكرنا بعض الآيات والأخبار الدّالة على انّها محلّ العبرة والخبرة. قال الله تعالى:﴿فَاعْتَبِرُوا يا اُولِي الْاَبْصارِ﴾[6]

و : ﴿اِنَّ فِي ذالِكَ لَعِبْرَةً لِاُولِي الْاَبْصارِ﴾[7]

و : ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِاُولِي الْاَلْبابِ﴾[8]

و : ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ اِنَّ فِي ذالِكَ لَعِبْرَةً لِاُولِي الْاَبْصارِ﴾[9]

و : ﴿اِنَّ فِي ذالِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ﴾[10] والآيات كثيرة.

▫ **قوله عليه السلام: اَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها، وَمُحاسَبُونَ عَلَيْها، ...**

اى انتُم مُختَبرون فى الدّنيا ومحاسَبُون على الدّنيا قال الله تعالى:﴿الٓمٓ، اَحَسِبَ النّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا اٰمَنّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ﴾اى لايُختبرون وامّا

١- الروم- ٤٠
٢- هود- ٦
٣- الذاريات- ٥٨
٤- الحجر- ٢٠
٥- المائده- ١١٤
٦- الحشر- ٢
٧- آل عمران- ١٣
٨- يوسف- ١١١
٩- النور- ٤٤
١٠- النازعات- ٢٦

المحاسبة عليها فقد مرّ الكلام فيها فى شرح قوله فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ مَّشْرَبُهٰا، رَدِغٌ مَشْرَعُهٰا، يُونِقُ مَنْظُرهٰا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهٰا، ...**

بعد ما ذَكَر كَونَ الدّنيا محلاً لِلاختبار والأعتبار آردَف كلامه بذكر الأوصاف المُترتّبة على الدّنيا حتّى لايميل اليها احَدٌ من العقلاء.

احدها قوله عليه السلام: **رَنِقٌ مَّشْرَبُهٰا**، شبّه الدّنيا بالمَشرب ونِعمها بالماء الموجود فيه اذا كان كَدِراً غير صافٍ فكما انّ الأنسان لايشتهى هذا الماء الكثيف الكَدِر الّا بقدر الضَّرُورة فى صُورة العطش فكذالك العاقل لايأخذ من نعم الدّنيا الّا بقدر الضَّرورة وامّا مازاد عليها فلا وهو معلومٌ.

وثانياً قوله عليه السلام: **رَدِغٌ مَشْرَعُهٰا** رَدِغٌ على وزن كَتِف، الوَحل يقال مكانٌ رَدِغ، اى وَحِلٌ اعنى الماء المَمزوُج بالطّين وهو ايضا من الاستعارات العَجَبية وجه الشّبه هو انّ الأنسان اذا وقع رجلاه فى الوَحل لايقدر على المَشى سَريعاً بل لابدّ له من المَشى بطيئاً وهكذا حال الدّنيا فانّ العاقل ينبغى له الأحتياط فى جميع اُمُوره فانّ السُّرعة فيها تُوجب السُّقوط والهَلاكة.

ويمكن ان يكون وجه الشّبه شيءٌ آخر اَدَقّ من الاوّل وهو انّ الخروج من الوَحل الكثير مشكلٌ جدّاً بل كثيراً ما يُوجب الموت فالعاقل ينبغى له ان لايَدخُل فيه من الاوّل حتّى لايَقَع فى الأشكال، وهكذا حال الدّنيا فانّ الأنسان اذا وقع فيها فالخُروج عنها مشكلٌ جدّاً فالأولى تَرك الدّخول فيها ولا يذهب عليك انّ الدّخول فيها ممّا لابدّ منه لكلّ فردٍ من الأفراد فكيف تقول ينبغى للعاقل عدم الدّخول فيها، لانّا نقول المراد بالدخول الممنوع المَذموم ليس هو الدّخول اللّغوى بل المراد به الدّخول الواقعى بمعنى الأعتماد عليها والتّوجُّه بها بجميع الشّئون كما هو شأن ابناء الدّنيا.

ثالثها: قوله عليه السلام: **يُونِقُ مَنْظَرُهٰا**، والمعنى انّ الدّنيا بظاهرها ممّا يَتعجّب

الأنسان منه فهى كالحيّة لَيِّنٌ مَسّهاوسمٌّ فى جوفها وبَطنها والعاقل لاينظر الى الظّاهر بل ينظر الى الباطن ولا شك انّ كثيراً من الأفراد وقَعُوا فيها بهذه الجَهَة.

ورابعها: قوله عليه السلام: **وَيُوبِقُ مَخْبَرُهٰا**، لِما فى باطنها من سمّ القاتل الباعث على هلاك المتناول فيه فيجب الأحتراز عنه قطعا.

▫ **قوله عليه السلام: غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَّظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ، ...**

هذه الأوصاف الأربعة ايضاً من اوصاف الدّنيا اذ لاشك فى كونها بسبب الأعتراز بِزخُرفها وزبرجها وانّها كَضَوء الأفِل لعدم ثباتها ودَوامها، وظلٌّ زائلٍ، لعدم قوامها واستقلالها برأسها كما انّ الظّل لاقوام له، وَسِناد مائلٍ، لعدم صلاحيّتها للأعتماد عليها كما انّ السّناد المائل لايُعتمد عليه والحاصل انّ الدّنيا لاينبغى الرُّكُون عليها اصلاً للوجوه المذكورة وغيرها وقد مرّ الكلام فيها تفصيلاً.

▫ **قوله عليه السلام: حَتّٰى إِذٰا اَنِسَ نَافِرُهٰا، وَاَطْمَئَنَّ نَاكِرُهٰا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهٰا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهٰا، وَاَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهٰا،...**

فى هذه الكلمات بيّن حال من اعتَمد عليها آنساً بها واطمئنَّ بها ناكرها، فقال عليه السلام: **قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهٰا** ، شبّه الدّنيا بالدابة القامصة المُمتنعة عن رُكوب الأنسان عليها فانّ القَمص هو الرَّفع بالرّجلين معاً، ثمّ قال عليه السلام: **وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهٰا** كالقناص الذى يقنص الصيّد ويصيده بشرَكه، وهذا الكلام منه ايضاً استعاره حيث شَبَّه الدّنيا بحبائل الصيّاد وشَبَّه الأنسان بالصَّيد الواقع فيها ووجه الشّبه عدم الفرار من هذه الورطة الخمصة.

قوله عليه السلام: **وَاَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهٰا** ، شَبَّه الدّنيا بالرّامى الّذى لايُخطى فى رَميه واسَهُم الدّنيا كناية عن الأمراض والمَوت وغيرهما من الحوادث الواقعة فيها ولهذا عقب كلامه بقوله عليه السلام: **وَاَعْلَقَتِ الْمَرْءَ اَوْهٰاقَ الْمَنِيَّةِ**، اى اوقَعته واعلَقته حبالها وتسلم الأنسان الى المَوت الّذى لابُدّ منه.

▫ **قوله عليه السلام: قَائِدَةً لَهُ إِلٰى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَ وَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ**

الْمَحَلِّ وَثَوابِ الْعَمَلِ،...

اى الدُّنيا تَجُّره وتُوقِعه الى ضنك المَضجع وهو القبر، ووَحشَة المرجع وهو عالم البرزخ والقيامة ومعاينة المَحَلّ، الّذى نَطق به الكتاب والسّنة من اهوال القيامه والميزان والحساب وغيرها، وثواب العَمل، الّذى قد عَمل فى الدّنيا على ما مرّ تفصيله.

□ قوله ﷺ: وَكَذٰالِكَ الْخَلَفُ يَعْقِبُ السَّلَفَ: لاٰتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً،...

وهكذا حال الدّنيا بالنّسبة الى الخَلف كما هو حاله بالسّلف فهى تفعل بهم ما فَعلت بهم، واما قوله ﷺ: لاتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِراماً الى قوله ﷺ: اجتراماً) فالمراد به عدم كفّ المنيّة عن اهلاكم واستيصالهم وعدم ارتداع الباقين منهم عن جرمهم وحريرتهم.

□ قوله ﷺ: يَحْتَذُونَ مِثالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسالاً ،اِلىٰ غٰايَةِ الْاِنْتِهاءِ ،وَ صَيُّورِ الْفَنٰاءِ ...

اى ويَقتدُون هؤلاء الخَلَف بأمثالهم الماضين فى الأعمال والأفعال او فى الهلاكة والاستيصال الى غاية الأنتها وَصَيُور الفناء اى هذا الأقتداء ثابت لهم الى آخر الدّهر والوُرود على الملك الدّيان هذا.

«ومن هذه الخطبة»

□ قوله ﷺ حَتّىٰ اِذٰا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَ اَزِفَ النُّشُورُ، اَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرٰائِحِ الْقُبُورِ، وَاَوْكٰارِ الطُّيُورِ، وَاَوْجِرَةِ السِّبٰاعِ، وَمَطٰارِحِ الْمَهٰالِكِ، سِرٰاعاً اِلىٰ اَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ اِلىٰ مَعٰادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً، قِيٰاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدّٰاعِى، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْاِسْتِكٰانَةِ، وَضَرَعُ الْاِسْتِسْلاٰمِ وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كٰاظِمَةً، وَ خَشَعَتِ الْأَصْوٰاتُ مُهَيْمِنَةً، وَالْجَمَ الْعَرَقُ ،وَ عَظُمَ الشَّفَقُ، وَ اُرْعِدَتِ

الْأَسْمٰاعُ لِزَبْرَةِ الدّٰاعِي اِلىٰ فَصْلِ الْخِطٰابِ ،وَمُقٰايِضَةِ الْجَزٰاءِ، وَنَكٰالِ الْعِقٰابِ ،وَنَوٰالِ الثَّوٰابِ...

◁ اللّغة

(تَصَرَّمَ) ذَهَب (تَقَضَّتِ) تَقطَّعت، (اَزِفَ) قَرُبَ ودَنىٰ (نَشَرَ) حَيَّ (اَوْكٰارِ) جمع وكر بمعنى الأغشاش (اَوْجِرَةِ)جَمع وجار وهو حُجر الضَّبُع (مُهْطِعِينَ) اى مُسرعين (رَعِيلاً)الرّعيل قَطعَة من الخيل والجماعة من النّاس (صُمُوتاً) صَمُوت جمع صامت بمعنى السُّكوت (لَبُوسُ) بفتح اللّام ما يُلبس (الْاِسْتِكٰانَةِ) الخُضُوع (ضَرَعُ) الذّلة والخُضُوع (هَوَتِ) هوى الشّى اذا سقط (كٰاظِمَةً)يقال رجلٌ كظيم ومَكظُومٌ، مكرُوب (مُهَيْمِنَةً) اليمينمة الصَّوت الخفّى (اَلْجَمَ) الجَمه الماء اذا بلغ فاه (الشَّفَقُ)الخوف (الزَّبْرَةِ) زَبَره زَبراً زجره ونَهره (مُقٰايَضَةِ) المُعاوضة (نِكٰالِ) العَقُوبة (نَوٰالِ) العَطاء.

◁ المعنى

(حَتّىٰ اِذٰا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ،) اى تعطَّلَت اُمور النّاس بمُوتهم وانقَطَعت الأزمنة (وَ اَزِفَ النُّشُورُ،) اى دَنِى وقَرُب الحَياة بعد المُوت (اَخْرَجَهُمْ) اى اخرَجهم الله (مِنْ ضَرٰائِحِ الْقُبُورِ) الّتى كانوا مدفُونين فيها (وَاَوْكٰارَ الطُّيُورِ، وَاَوْجِرَةِ السِّبٰاعِ،) ان كانوا مأكولين لهما (وَمَطٰارِحِ الْمَهٰالِكِ) ان كانوا مقتولين فى المَعارك (سِرٰاعاً اِلىٰ اَمْرِهِ) بالأحياء (مُهْطِعِينَ اِلىٰ مَعٰادِهِ،) اى مُقبلين اليه(رَعِيلاً صُمُوتاً) اى جماعة ساكتين (و قَيٰاماً صُفُوفاً)لايقدرون على التكَلّم والقُعود (يَنفُذُهُمُ الْبَصَرُ)اى بصر الجبار تعالى (وَيُسْمِعُهُمُ الدّٰاعِي) اى يَسمَع آخرهم كما يَسمَع اوّلهم (عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْاِسْتِكٰانَةِ)والخُضُوع (وَضَرَعُ الْاِسْتِسْلاٰمِ) اى خُضُوع(وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ) الدُنيّوية (وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ)كذالك، (وَهَوَتِ) اى سقطت (الْأَفْئِدَةُ كٰاظِمَةً) اى خَلَت من السُّرور والفَرح (وَ خَشَعَتِ الْأَصْوٰاتُ) اى رقّقت وخَفيت (

مُهَيمِنَةً) حالكونها ذات ميمُنةٍ وخِفاء (**وَالْجَمَ الْعَرَقُ**) اى بَلَغ اَفواهم (**وَ عَظُمَ الشَّفَقُ**)والخوف (**اُرْعِدَتِ الْأَسْماعُ لِزَبْرَةِ الدّاعِي اِلىٰ فَصْلِ الْخِطابِ**) اى اخَذتَها الرّعدة والاضطراب.

(**وَمُقايِضَةِ الْجَزاءِ**) ومعاوضتها (**وَنَكالِ الْعِقابِ**) ان كَسب السيّئة فى الدّنيا و (**وَنَوالِ الثَّوابِ**) ان كَسَب الحَسَنة فيها.

الشرح

اعلم: انّ امير المؤمنين عليه السلام بعد ما بَيّنَ فى صدر كلامه فى هذه الخطبة الشَريفة انّ الله تعالى هو الّذى خَلَق الأنسان والبسه الرّياش وَ وَقّت له الأجال وغيرها ممّا ذكره عليه السلام من النّعَم وفَصّلَ ايضا مضارّ الدّنيا والأعتماد عليها وانّ الأنسان ينبغى له التَحلّى بصفة التّقوى اداءً لبعض حقوقه الواجبة وشكراً لنعمائه المُتواترة السّابغة بالتَفضُل الّذى مَرَّ ذكره عند شرح كلماته اردَف كلامه بهذا الفصل وهو قوله حتّى اذا تصرمّت الأمُور الخ إشعاراً بانّ الدّنيا لابقاء لها وانّ مسيرها الى الزّوال والفناء لاالفناء فَحسب، بل الفناء الّذى بَعده الحياة والنُشور لأهل الدّنيا حتّى لايعتمد من يعتمد عليها ويعلم بانّ مسيره فى الدّنيا الى الأخرة والبعث بعد المَمات لأجل السئوال وهذا هو المسّمى بالمعاد فى لسان الشَّريعة الّذى لابدّ منه ويجب الأعتقاد به لكلّ انسانٍ مُسلم ففى الحقيقة هذا الفصل من كلامه فى اثبات المعاد ونَحنُ قبل شرح كلماته لابدّ لنا من تحرير محلّ النّزاع وانّ المعاد ما هو وحيث ان الموضوع من اهمّ المسائل الاعتقادية فى الشّريفة المطّهرة فلابدّ لنا من البحث فيه تفصيلاً وقبل الخوض فى اصل البحث ونقل كلمات الفلاسفة فيه نَذكُر بعض ماورد فى اثباته من الآيات والاخبار الواردة فيه فلا محالة يقع البحث فى جهاتٍ.

الجهة الأولى: البحث فى المعاد من جهة الشّرع وانّه يجب الأعتقاد به بحسب الآيات والأخبار امّا الآيات. قال اللّه تعالى:﴿**وَالْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ اِلَيْهِ**

يُرْجَعُونَ﴾[1]

و : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّاكُمْ بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضىٰ اَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]

و : ﴿ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]

و : ﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ اَيُّ الْحِزْبَيْنِ اَحْصىٰ لِما لَبِثُوا اَمَداً﴾[4]

و : ﴿وَكَذالِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾[5]

و : ﴿فَاَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَه﴾[6]

و : ﴿وَاَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ اَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ اَحَداً﴾[7]

و : ﴿وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ اِلىٰ يَوْمِ الْقِيمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾[8]

و : ﴿وَالْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ اِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[9]

و : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُو﴾[10]

و : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً يَحْلِفُونَ لَه كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[11]

و : ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيّاً﴾[12]

و : ﴿قُلْ بِلىٰ وَرَبّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ﴾[13]

و : ﴿ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[14]

و : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾[15]

و : ﴿قالَ اَنْظِرْنِي اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[16]

و : ﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[17]

١- الانعام- ٣٦
٢- الانعام- ٦٠
٣- البقرة- ٥٦
٤- الكهف- ١٢
٥- الكهف- ١٩
٦- البقرة- ٢٥٩
٧- الجن- ٧
٨- الاعراف- ١٦٧
٩- الانعام- ٣٦
١٠- المجادلة- ٦
١١- المجادلة- ١٨
١٢- مريم- ٣٣
١٣- التغابن- ٧
١٤- المؤمنون- ١٦
١٥- التغابن- ٧
١٦- الاعراف- ١٤
١٧- المؤمنون- ١٠٠

و : ﴿وَلاٰ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[1]

و : ﴿وَمٰا يَشْعُرُونَ اَيّٰانَ يُبْعَثُونَ﴾[2]

و : ﴿لَلَبِثْتُ فِي بَطْنِهِ اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]

و : ﴿اِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَاِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ﴾[4]

و : ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتٰابِ اللهِ اِلىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذٰا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاٰتَعْلَمُونَ﴾[5]

و : ﴿مٰا خَلْقُكُمْ وَلاٰ بَعْثُكُمْ اِلاّٰ كَنَفْسٍ وٰاحِدَةٍ﴾[6]

و : ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ اِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾[7]

و : ﴿وَقٰالُوا ءَاِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً ءَاِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾[8]

و : ﴿قٰالُوا ءَاِذٰا مِتْنٰا وَكُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً ءَاِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ﴾[9]

و : ﴿اَلا يَظُنُّ اُولٰئِكَ اَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[10]

و : ﴿اِنْ هِيَ اِلاّٰ حَيٰاتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَنَحْيٰا وَمٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[11]

و : ﴿وَاِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ﴾[12]

واما الأخبار. فمنها- ماورواه المجلسى قدّه فى البحار باسناده عن حفيص ابن غياث قال شهدت المسجد الحرام وابن ابى العوجأ يَسئَل ابا عبدالله عن قوله تعالى : ﴿كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ﴾[13] ماذَنب الغير. قال: عليه السلام ويَحك هِي هِي وهِي غيرها فقال فَمثّل لى ذالك شيئا من امر الدّنيا قال عليه السلام نعم ارأيت لو انّ رجلاً اخذ لبَنَته فَكَسَّرها ثمّ ردّها فى ملبنها فهِي هِي وهِي غيرها انتهى «ج ٣ ص ١٩٩ كمپانى»...

١- الشعراء- ٨٧
٢- النمل- ٦٥
٣- الصافات- ١٤٤
٤- الحج- ٥
٥- الروم- ٥٦
٦- اللقمان- ٢٨
٧- هود- ٧
٨- الاسراء- ٤٩
٩- المؤمنون- ٨٢
١٠- المطففين- ٤/٥
١١- المؤمنون- ٣٧
١٢- الانفطار- ٤/٥
١٣- النساء- ٥٦

ومنها- ماروا ه فيه ايضاً باسناده عن علىٍّ قال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لايؤمن عبدٌ حتّى يُؤمن بأربعة حتّى يشهد ان لا اله الّا الله وحده لاشريک له، وانّى رسول الله بَعَثنى بالحقّ، و حتّى يؤمن بالبَعث بعد الموت، و حَتّى يؤمن بالقَدر انتهى «ص ٢٠٠»...

ومنها- ماروا ه فيه ايضاً باسناده عن ابى جعفر قال: كان فيما وعظ به لُقمان ابنه ان قال يا بنىّ ان تَكُ فى شكٍّ من المَوت فأرفع عن نفسك النَّوم ولن تَستَطيع ذالك وان كنت فى شكٍّ من البعث فأرفع عن نفسك الأنتباه ولن تَستَطيع ذالك فانّك اذا فكرت فى هذا علمَت انّ نفسك غيرك وانّما النَّوم بمنزلة الموت وانّما اليَقظة بعد النّوم بمَنزَلة البعث بعد الموت انتهى« ص ٢٠٠»

ومنها- ماروا ه باسناده عن علىّ ابن الحسين عليه السلام قال عجبت للمتكبر الفَخُور كان من نطفة وهى غَداً جيفة والعَجَب كلّ العَجَب لِمن انكر النشّاة الأخرى وهو يَرى الأولى والعَجَب كلّ العَجَب لِغافر دار الفناء و يَترُك دار البَقاء انتهى «ص ٢٠٠»...

ومنها- ماروا ه عن ابن مُعمّر عن علىٍّ عليه السلام فى قوله تعالى:﴿اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ اَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾يقُول: يُوقنون انّهم مبُعوثُون والظّن منهم يقين انتهى« ص ٢٠»...

ومنها- ما عن ابى عبدالله عليه السلام قال تتوّقوا فى الأكفان فانّكم تُبعَثون بها انتهى «ص ٢٠١»...

ومنها- ما عنه ع سُئِل عن المَيّت يُبلىٰ جَسَده قال نعم حتّى لايبقىٰ لَحمٌ ولاعظم الّا طينة الّتى خُلق منها فانّها لاتُبلى تبقىٰ فى القَبر مُستديرة حتّى يُخلق منها كما خُلق اَوّل مرةٍ انتهى« ص ٢٠١»...

ومنها- ماروا ه عن القواعد للصّدوق ره انّه قال اعتقادنا فى البعث بعد الموت انّه حقّ وقال النّبى صلى الله عليه وآله يا بنى عَبدالمطلّب انّ الرّايد لايكذب اَهلَه والّذى بعثنى بالحَقّ لَتمُوتُنّ كما تَنامون ولُتَبعثُنّ كما تستيقظون وما بعد المَوت دارٌ الّا جنّتهٌ او نارٌ وَ خَلَقٌ جَميع الخلق وبَعثُهم على الله عَزَّ وَجَل كخلقِ نَفسٍ

واحدة وبعثُها قال الله تعالى:﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1] انتهى «ص ٢٠٢»...

اقول: لاشكّ عندنا انّ البعث حقّ بعد الموت كما انّا لانشك فى ان الجنّة والنّار والصّراط والحساب وجميع ما جاء به النّبى ﷺ بالنّسبة الى عالم الآخرة حقٌّ لامرية فيه فهذا دينى الّذى على اموت واحيىٰ انشاء الله الّا انّه لابدّ لنا من التّكلّم فى المعاد ونقل بعض الاقوال والشُّبهات فيه، والجّواب عنها تتميماً للبحث وتكميلاً لِلعقائد فنقول و به نستعين.

اعلم: انّ المعاد بفتح الميم، المصير، والمرجع، والآخرة، وذالك لأنّك تقول عاد الشى يَعُود عَوداً ومَعاداً اى رجع، وهو إمّا مصدر وامّا ظرف وملخّص الكلام فيه هو انّ كلّ شىء اليه المصير هو المَعاد وانّما يطلق على البَعث المعاد لانّ الأنسان فيه يَعُود الى اَوّله وهذا ممالا كلام فيه.

ثمّ انّ المَعاد على قِسمين جسمانيٍ، و رُوحانى خلافاً لبعض المُتكلّمين حيث انّهم حَصرَوه فى الجسمانى فَقَط وخلافاً لبعض المتفلسفين ايضاً حيث انّهم حَصرَوه فى الرّوحانى لاغير والحقّ انّ القسمين ثابتان بالأدلة العقلية ولا وجه لاختصاصة بواحدٍ منهما.

والدّليل على ما ذهبنا اليه تبعاً لاكثر الحُكماء العُرفاء هو انّ العوالم ثلاثة، عالم العقل، وعالم المثال وعالم الحسّ وان شئت قلت عالم المَعنىٰ، وعالم الصُّور القائمة بذواتها، وعالم الصّور القائمة بالطّبيعة المُعبّر منه بعالم المَادة او عالَم العناصر.

ثمّ انّ الأدراكات ايضاً على ثلاثه، تَعَقُّل، وتَخَيُّل واحساس، وامّا التَّوهّم فهو مُلحَقٌ بالتّخيُّل وليس ادراكاً برأسه، والمُدركات ايضاً ثلاثه، كاملٌ ومُتوسطٌ وناقصٌ، وقد يُعبّر عنها فى لسان الشريفة بالمُقرّبين واصحاب اليمين واصحاب الشّمال كما نطقت به الآية الشريفة وامّا بحسب التفصيل فهى سبعة،

١- اللقمان- ٢٨

الكامل فى العلم والعَمل والكامل فى العلم والمُتوسّط فى العَمَل، والكامل فيه والنّاقص فيه، والكامل فى العمل والمتوسّط فى العلم، والكامل فى العمل والناقص فى العلم، والمتوسّط فيهما، النّاقص فيهما فهذه سبعة اصناف اذا عرفت هذا فاعلم انّ من غلب عليه اتّصال نفسه بالجُزئيّات الحسيّة والنعمات الوَهميّة الدُنيويّة الّتى كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظّمان ماءً من اللذّات العاجلة الفانية فهو من اصحاب الشّمال وَ يرجع امره بالآخرة الى الوبال والنِكال والخُسران والعقاب.

ومن غلب عليه اتّصال نفسه بالصُّور الدّائمة الأخرّوية و طلب لَذّاتها الأجلة فهو من اصحاب اليمين .َمآله الى النّعيم الدّائم والخلاص عن العذاب.

ومن غلب عليه اتّصال نفسه بالصُّور المعقولة فصارَت نفسه عقلاً بالفعل المتّحد مع العقل بالمُستفاد فهو من المُقرّبين فالمعاد الرُّوحانّى ثابت له بلا كلام وهذا هو المراد فى المعاد الرُّوحانى فى كلماتهم.

قال الشّيخ ابن سينا فى هذا المعنى انّ النّفس النّاطقة كما لها الخاصّ بها ان تصير عالماً عقليّاً مُرتَسماً فيها صُور الكلّ والنّظام المَعقُول فى الكلّ والخَير الفايض فى الكُلّ مبتدئة من مَبدَء الكُلّ وسالكة الى الجَواهر الشّريفة الرُّوحانية المُطلقة ثم الرُّوحانية المُتعلّقة نَوعاً مامن التّعلق بالأبدان ثُمّ الاجسام العلوية بهئياتها وقُواها ثُمّ كذالك حتّى يستو فى نفسها هيئة الوجود كلّه فتنقلب عالماً مَعقُولاً مُوازياً لِلعالم المَوجُود كلّه مُشاهداً لما هو الحُسن المُطلَق والخَير المُطلَق والجَمال الحقّ ومُتحدّةٌ به ومُنتقشة بمثاله وهيئته وَ مُنخَرِطةٌ فى سِلكه وصائرةٌ من جَوهره انتهى.

وقال الشّيخ الأشراق شهاب الدّين السّهروردى ما هذا لفظه والكامل من المُدبّرات بَعد المُفارقة تلحق القواهر فيَزداد عَدَد المُقدّسين فى الأنوار الى غير النّهاية.

وقال ايضاً واذا تجلّى النُّور الأسفهبدى (اى النّفس الناطقة) بالاطّلاع على

الحقائق عشق ينبوع النُّور والحَياة وتطّهر من رجس البرازخ فاذا شاهَدَ عالم النُّور المَحض بعد المَوت تخلَّص عن الصَيّصَيته بالكُليّة وانعكَست عليه اشراقات لايتناهى من نُور الأنوار من غير واسطةٍ ومع الواسطة على ما سبقت الأشارة ومن القواهر ايضاً ومن الأسغهبدُيّة الطّاهرة الغير المتناهية فى الآزال من كلّ واحدٍ وما اشرق اليه من كلّ واحدٍ مراراً لاتتناهى فَيلتَذ لذةً لاتَتناهىٰ انتهى.

اقول: هذا هو المعاد الرُّوحانى فى مسلكهم ومذهبهم ولابأس به لعدم منافاته الشَريعة المقدّسة نعم لوقلنا فى المعاد بهذه المقاله فحسب بمعنى حصر المعاد الوارد فى الشّرع فيه فهو مخالف لمفاد الآيات والأخبار قطعاً فانّ مفادها هو ثبوت المعاد الجسمانى لا الرُّوحانى فَقَط وامّا الجمع فلا بأس به بل هو اَولىٰ من الطَّرح وذالك لانّ اللذّات الرّوحانية لايمكن للعارف بها انكارها بل هى اَلذّ وَاَدوَم وابقىٰ من اللّذات الجِسمانيّة بمراحل والفرق بينها هو الفرق بين الرُّوح والجسم فى الشَّرَف الّا انّ درك اللذّات الرُّوحانية لايمكن الّا لِمن ذاق من مَشرَب التّوحيد الخاصّ او اخصّ الخواصّ كأساً وسَلَك فى مسلَك العرفان بقدمٍ راسخ ومن المعلوم انّ دَرك هذا المقام يَحتاج الى التّجريد والتَخَلُّص عن عوائق التّرقى والوصول الى الحقيقة من المادّة ولوا حقها نسئل الله التّوفيق فانّه الموفّق والمُعين ولنعم ما قال العارف الكامل فى سلسلة الذّهب بالفارسية:

حَدِّ انسان بمذهب عامة	حيوانى است مُستوى القامة
پهن ناخُن برهنه پوست ز موى	بدو پاره سپر به خانه وكوى
هر كِرا بنگرند كاينسانست	ميبرندش گمان كه انسان است
آدمى چيست برزخى جامع	صورت خلقُ وحقّ در او واقع
متصّل با حقائق جبروت	مشتمل بر رقايق ملكوت
ظاهرش خشك لب به ساحل فرق	باطنش در محيط وحدت غرق

ولنعم قال المحقّق الطّوسی قده فی هذه اللّذة، ایـن المُـلوك وایـن أبـناءُ المُلوك من هذه اللّذة بل نقول اللّذة الحقیّقته الواقعیّة لیست الّا الرّوحانیة منها فانّها مقام الرضوان الّذی قال الله تعالی فی کتابه ورضوانٌ من الله اَکبَر والأنسان الحقیقی لایطلب الّا هی قال الشاعر الفارسی:

آن‌هـا کـه رُبُـوده اَلَست‌انـد — از عـهد اَلَست بـاز مسـتند
تا شربت بی‌خودی چشیدند — از بـیم وامـید بـاز رسـتند
چالاک شدند پس به یک گام — از جوی حدوث بـاز جسـتند
انـدر طـلب مـقام اصـلی — دل در ازل وابـد نـه بسـتند
فـانی ز خـود وبـدوست بـاقی — این طُرفه که نیستند و هستند
ایـنطایفه‌انـد اهـل تـوحید — باقی همه خویشتن پـر بسـتند

وقد اکثر والکلام فی هذا المضمار نثراً ونظماً وللکلام فیه مقام آخر.

وامّا المعاد الجِسمانی الّذی کلامنا فیه فهو ایضاً ممّا لاکلام فی ثُبوته شرعاً وعقلاً امّا شرعاً فقد مضی الکلام فیه وذکرنا شطراً من الآیات والأخبار الواردة فیه وقد اجَمعت الأمّة علی انّه حقّ ومن اَنکَره فُهو کافرٌ لانّه من ضروریّات الدّین ومنکر الضروری خارج عن الاسلام قطعاً سواء فیه یمکن لنا تَعقُّله اَم لَم یُمکن فهذا اعنی بثُوته شرعاً ممّا لاکلام فیه لِلمؤمن بالله والیوم الآخر.

وامّا عقلاً: فهو ایضاً ممّا لابائس به ولا تنفیه الأدلّة العقلیة والبراهین القَطّعیة الیقیّنیة کما ستعرف انشاءالله ونـحن نُشیر الی بـعض الوُجـوه ثُـمّ نـتعرّض للشّبهات الواردة فیه ونجیب عنها بحوله وقوّته وقبل ذکر الأقوال فی المعاد الجسمانی لابدّ لنا من تمهید اُصُول ومقدّمات عقلیّة وهی ستّة.

الأصل الاوّل: انّ الموجود المُرکّب مـن المـادّة والصّـورة شـئیته بِـصوُرة لابمادّته کما ان شیئة النّوع بفصله لابجنسه الا تری انّ النّوع یُحدّد بالفصل بل قال بعض المَنطّقین انّ التّحدید للنّوع بالفصل الأخیر وَحدَه هو من قبیل الحدّ التّام لکون الفصل الأخیر واجداً لِجمیع المَراتب الفِعلّیة السّابقة.

ثُمّ انّ الصّورة قال ابن سينا فى تعريفها صُورة الشىء مهيته الّتى هُو بها هو كما انّ مادّة الشى حاصل القُوة، والامكان يُعتبر فيها بنحو الأبهام وعليه فالسّرير بصورته سريرٌ لابمادّته فالأنسان ايضاً انسانٌ بصورته لابمادّته ولذا قالو الحكمة صيرورة الأنسان عالماً عقلّياً مضاهياً للعالم العَينى و من المعلوم انّ الصُّور العقليّة لامادّة لها.

الأصل الثانى: التّشخص فى كلّ شىءٍ هو نحو وجوده الخاصّ وامّا العوار من المُشخّصة فهى امارات التشخُّص لانفسه وعليه فالتّشخص فى ذوات الأنفس هو وجود النّفس الا ترى انّ زيداً مثلاً مع كونه فى التّغير والتبدّل من الصّباوة والشباب والكُهولة والشّيوخيّة والصِحة والمَرض والضّعف والقوّة وامثالها من العوارض لايتغيّر فى هويّته الأنسانيّته والسّر فيه هو بقاء النّفس النّاطقة فيه وهى حقيقته فانّ الفصل فى المُركّب العقلى بمنزلة الصُّورة فى المركّب الصُّورى المَادى وقد قلنا انّ شيئة الشّى بصُورته لابمادّته.

الأصل الثالث: من الأصول انّ التّشخُّص غير التّميزُ فانّ التّميز فى الكُليّات والتّشخص فى الجُزئيات وَذالك لانّ التّشخُّص كما قلنا هو نحو وجود الخاصّ فى كلّ شىء وقد ثَبت فى العلوم العَقلية انّ الشّى ما لم يتّشخّص لم يُوجَد ولهذا قالو انّ الكلّى بوصف الكُليّة اعنى العقلى فيه غير موجودٍ فى الخارج فاذا وجد فى الخارج تصير جُزئّياً متشخّصاً فالتّشخُّص من لوازم الجُزئيّته بل عينها.

الأصل الرّابع : من الأصول وجود عالم المثال وهو من المسّلمات وان كانت التّعابير عنه مختلفة. فالعُرفاء يسّمونه بعالم الفرق وشهادة المضاف، والقدماء من الحكماء عَبَّر و عنه بعالم (هُو رقليا وعناصر) وعَبَّروا عن مدنها بجابلقا وجابرسا، والمُتأخِرون منهم بعالم الأشباح، وعالم البرزخ، والخيال المنفصل، والمِثال المُطلق وامثال ذالك من التّعبيرات المُختلفة الّا انّهم فى اصل وجوده وثبوته لاكلام لهم فيه وروايانا ايضاً قد دَلّت على ثُبوته وعَبَّرت

عنه بعالم البَرزخ وَالدّليل عليه هو انّ العوالم ثلاثة، عالم العقل وعالم المِثال وعالم الطّبع والمّادة، والاوّل مُجَرّدٌ عن المادّة والمِقدار، والثّانى مُجَرّدٌ عن المادّة فَقَط دُون المقدار، والثّالث مقترنٌ بهما اعنى المادّة والمِقدار وفى المقام كلمات لايسعها المقام.

الأصل الخامس: من الأصول انّ الموجُود المُمكن على قسمين جوهرٌ وعرضٌ والجوهر هو الموجود لافى المَوضُوع والعَرَض فى الموضُوع، ثمّ انّ الوجود فى الجواهر يقبل الأشتداد وعَدمه والأشتداد حركة قَطَعيّة وهى مُتصلة واحدةٌ والأتّصال الوحدّانى مساوقٌ للوحدة الشّخصيّة كما هو ثابت فى محلّه.

الأصل السّادس: من الأصول انّ الوَحدة الشّخصية من مراتب مُطلق الوَحدة وهى مع ذالك مَقُولةٌ بالتشكيك كما انّ الوجود ايضاً كلّىٌ مُشكّك بل قالو انّ الوحدة الشّخصيّة عين الوجود مِصداقاً ومساوقه مفهوماً.

اذا عرفت الأصول المذكورة وامعنت النّظر فيها حَقّ الامِعان فنقول.

البدن المحشور يوم النّشور هو هذا البدن المحسُوس المشاهد بعينه فى الدّنيا، كما هو المُدّعىٰ فى باب المعاد لاغيره بل ولا مثله وذالك لانّ المُشّخص لهذا البدن المحسوس هو وجود نفسه لاغير كما هو مقتضى الأصل الاوّل اعنى شيئة الشّى بصورته لابمادّته والنّفس فى الأنسان بمنزلة الصُّورة للجسم بل لافرق بين الفَصل والصّورة الّا بالاعتبار كما ثبت فى محلّه والنّفس النّاطقة هى فصله الأخير بلا كلام.

ثمّ انّ لازم ذالك هو كون النّفس فى الأبدان الثلاثة لِلأنسان اعنى البَدَن الدُنيوى، والبَدَن البَرزَخى والبَدَن الأُخروى واحدة لا متكثرة هذا فى النّفس.

والبَدَن ايضاً واحدٌ فى الحقيقة بمقتضى الأصلين الأخيرين لكون الموضوع فى الأبدان واحد وهو كونه واجداً لمقام الوَحدَة الحقّة الظِلّية الجَمعيّة.

ولا تَميّز فيها بمقتضى الأصل الثّالث لانّ التّميزُ فى الكليّات لافى

الجُزئيّات.

وايضاً هذه الأبدان متفاوتة من حيث الشّدة والضّعف واللطافة والكثافة فانّ هذه المراتب كلّها اَطوارٌ و دَرجات لشخصٍ واحدٍ وتَشخّصٍ واحدٍ قال الله تعالى لَقَد خَلَقَكُم اطواراً واذا توجّهنا الى هذه الأصول عَلمنا عِلماً قطعياً بانّ البدن المَحشُور ليس غير هذ البدن وهو المطلوب ونحن قد اعرضنا عن ذكر سائر الادّلة على اثبات المعاد الجسمانى عقلاً، حذراً عن الاطناب المُمّل مع انّ فيما ذكرناه كفاية.

الجَهَة الثّانية: فى ذكر بعض الأقوال الواردة فيه من الفلاسفة وغيرهم.

احدها انَسب الى الشّيخ والفارابى وحاصله انّ الأجرام الفَلكية مَوضُوعة لِتخَيُّل النُّفوس المُتوسّطة كما انّ الجِرم الدخّانى موضوعٌ لِتخيّلُ النُّفُوس النّاقصة.

ثمّ قالا انّ هذه النُّفُوس بعد مفارقتها عن هذه الأبدان لابدّ لها من التعلّق بِبَدَنٍ آخر وحيث انّ الأجرام الفَلكيّة اَعلىٰ واشرَفَ من الأبدان العنصرى لامحالة لاتتعلّقون بها فانّ الأدنىٰ لايتعَلّق بالأعلىٰ فَتَعلّقُها بها بعنوان الأنجذاب لا انّها نُفوس لها ومُدبّرة لها بل نقول انّ الأجرام السّماوية موضوعات لِتَخيّلات النُّفوس فكلّ نفسٍ بعد التّعلّق بها تَتخَيّل الصُّور المَوعُودة المعتقدة لها من الأنذارات والنّبوات والولايات وغيرها هذا خلاصة مرامهما فيه بتَلخيصٍ منّا.

والحقّ انّ هذا الكلام لايَرجع الى مُحصّل بل لاينبغى ان يُنظَر اليه وذالك لانّ الأجرام الفَلكية من الموهُومات ولاسيّما فى هذا العصر فانّ الفَلَك لَيس الّا مدار الكَواكب وهو لَيسَ من المُوجودات المَستقلّة فَضلاً عن كونه ذا جِرمٍ ضرورة انّ المدار فى كلّ كوكب له وجودٌ خيالّىٌ لاغير فما ذهبا اليه انّما هو على مَسلكهم تبعاً لبطليموس فى مُستخرجاته ومَظنُوناتهٌ فى الفَلكيّات وحيث انّه انهدم اساس تلك الهيئة فلا مَجال للبحث فى هذا القول وامّا ثانياً

فلانّه على فرض التّسليم يجرى فى المعاد الرّوحانى وليس هذا القول من المَعاد الجسمانى الّذى كلامنا فيه فانّ تَعلّق النُّفوس بالأجرام السّماوية وتَصوّرها هناك لاربط له بِما نحن بصَدَده من عَود الجِسم العنصرى مع روحه و هذا ظاهر.

نعم يظهر من بعض كلمات الشّيخ القول بالمعاد الجسمانى على ما قرّرته الشّريفة تعبُّداً فانّه قال فى الّهيٰات الشفاء إنّه يحب ان يعلم انّ المعاد منه ما هو مقبول من الشّرع ولا سبيل الى اثباته الّا من طريق الشّريفة وتصديق خبر النُبوّة وهو الّذى للبدن عند البعث وخيراته وشروره معلومٌ لايحتاج الى ان يعلم وقد بسطت الشّريعة الحقّه الّتى اتانابه سَيّدَنا ومولانا مُحمّد ﷺ حال السّعادة والشّقاوة الّتى بحَسبَ البَدَن ومنه ما هو مُدرَكٌ بالعقل والقياس البُرهانى وقد صَدّقه النُبوّة وهو السّعادة والشّقاوة الثّابتان بالقياس الى نفس الأمر وان كان الأوهام منّا تقصر عن تَصوّرهما الآن انتهى.

وقال الرّازى فى كتاب نهاية العقول على مانَقل عنه قد عَرَفت انّ من النّاس من اَثبت النَّفس النّاطقة فلا جرم اختلف اقوال اهل العلم فى امر المَعاد على وجوهٍ اربعة.

احدها: قول من قال انّ المَعاد ليس الّا لِلنَفس وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة.

وثانيها: قول من قال المَعاد ليس الّا لهذا البَدن وهذا قول نفاة النَّفس النّاطقة وهم اكثر اهل الأسلام.

وثالثها: قول من اثبت المَعاد للأمرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع اكثر النّصارى.

ورابعها: قول من نَفى المَعاد عن الأمرين ولا اعرف عاقلاً ذهب اليه بل كان جالينوس من المُتوقّفين فى امر المَعاد وغرضنا اثبات المعاد البَدَنى وللناس فيه قولان.

احدهما: ان الله تعالى يعدم اَجزاءَ الخَلق ثُمَّ يُعيدها.

وثانيهما: انّه تعالى يُميتُهم ويُفرّق اجزائهم ثمّ انه يَجمَعها وَيردّ الحياة اليها ثمّ قال.

والدّليل على اثبات الأعادة فى الجملة انّا قد دلّلنا فيما مضى انّ الله تعالى قادرٌ على كلّ الممكنات عالمٌ بكلّ المعلومات من الجُزئيات والكُلّيات والعلم بهذه الأصول لايتوقّف على العلم بصحة المعاد البدنى واذا كان كذالك امكن الاستدلال بالسّمع على صحة المعاد لكنّا نعلم باجماع الأنبياء من اوّلهم الى آخرهم على اثبات المعاد البَدنى فوجب القَطع بوجود هذا المَعاد انتهى.

وقال العلاّمة الدّوانى فى شرحه على العقائد العضُدَية، والمَعاد اى الجسمانى فانّهُ المتبادر من اطلاق اهل الشّرع اذ هو الّذى يجب الأعتقاد به ويكفّر من اَنكَره باجماع اهل الملل الثّلاث فى شهادة نصوص القران فى المواضع المتعددة بحيث لايقبل التأويل كقوله ثم-اَو لَم ير الانسان الى قوله بِكلّ خلقٍ عليم قال المفسّرون نزلت هذه الآية فى ابن ابى خلف خاصم رسول الله ﷺ واتاه بعظم قدرم وبَلى فَفَّته بيده وقال يا مُحمّد اَترى الله يُحيى هذه بعد مارم فقال ﷺ ويَبعَثك ويدخلك النّار وهذا ممّا يُقلع عِرق التأويل بالكُلية ولذالك قال الأمام الرازى الأنصاف انّه لايمكن الجمع بين الأيمان بما جاء به النّبى ﷺ وبين انكار الحَشر الجِسمانى، قلت ولا الجمع بين القول بِقَدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسمانى لانّ النّفوس النّاطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعى حشرها جميعاً اَبداناً غير مُتناهية وَ امكنتةً غير مُتناهية وقد ثبت تناهى الأبعاد بالبُرهان وباعترافهم يحشر الأجساد ويعاد فيها الأرواح باعادة البدن المَعدُوم بعينه عند المتكلمين بل اكثرهم وبانّ تَجمّع اجزاؤه المتفرّقة كما كانت اوّلا عندهم (عند بعضهم) وهم الّذين ينكرون جواز اعادة المَعدُوم موافقة للفلاسفة واذ استحال اعادة المعدوم تَعَيّن الوجه الثّانى وهو ان يكون يجمع الأجزاء المُتفرّقة وتأليفها كما كانت اوّلاً الى

آخر ما ذكره بتَفصيله.

و قال شارح المقاصد اتَّفقَ المُحقّقون من الفلاسفة والملييّن على حقيقة المعاد واختَلفوا فى كيفيته فذهب جمهور الفلاسفة الى انّه رُوحانّى فَقَط لانّ البدن مُنعدمٌ بِصُوره واعراضه فلا يعاد والنّفس جوهرٌ مُجرّدٌ باق لاسبيل اليه للفناء فيعود الى عالم المُجرّدات بقطع التَّعلّقات ثّم قال.

و ذهب كثير من علماء الأسلام كالغزالى والكعبى والحليمى والرّاغب والقاضى ابُو زيد الرُّبوسى الى القول بالمَعاد الرُّوحانى والجِسمانى جميعا ذهاباً الى انّ النَّفس جوهرٌ مُجردٌ يعُود الى البدن وهذا رأى كَثيرٍ من الصُّوفية والشّيعة والكَلاميّة و به يقول جمهور النّصارى والتناسخيّة قال.

و قال الأمام الرازى الّا انّ الفرق انّ المسلمين يقولون بحدُوث الأرواح وَرَدّها الى الابدان لافى هذا العالم بل فى الآخرة والتَّناسّخيّة بِقدمها وردّها اليها فى هذا العالم وينكرون الآخرة والجنّة والنّار وانّما بَنَّهنا على هذا الفرق لانّه جبلت على الطّباع العامية انّ هذا المذهب يجب ان يكُون كُفراً وضلالاً لكونه ممّا ذهب اليه التَّناسخيّة والنَّصارىٰ ولا يَعلمُون ان التَّناسُخيّة انّما يُكّفرُون لانكارهم القيٰمة والجَنَّة والنّار، والنَّصارى لقولهم بالثّليث (بالتّثليث) وامّا القول بالنّفوس المُجرّدة فلا يرفع اصلاً من اصول الدّين بل رُبَّما يويّده ويبيّن الطّريق الى اثبات المعاد بحيث لايقدح فيه شبه المنكرين وقد بالغ الغزالى فى تحقيق المعاد الرّوحانى وبيان انواع الثّواب والعقاب بالنّسبة الى الرّوح حتّى سبق الى كثير من الأوهام انّه يُنكر حَشَر الأجساد افتراءً عليه انتهى ما اردنا نقله عنه.

وقال السّبزوارى قده فى المنظومة فى الفريدة الثالثة، والحَقَّ عينيّته البَدَن الأخرَوِى لِلبَدن الدُّنيوى لامثلّيته بحيث لوراه احدٌ يقول هُو هُو بعينه وهو فلان الّذى كان فى الدّنيا و من انكر هذا انكر الشريعة ثمّ اَقام قدّه الرّاهين العَقلية عليه فى كون شَيئة الشّىء بصُورته وانّ وجُود الشىّ شخصّيته، والأشتداد فى

الوجود وامثال ذالك ممّا ذكره قده فى كتابه ونحن نكتفى فى نقل مرامه بأشعاره قال:

والحقّ عينيةُ اذ شيئتُه ... بصُورةٍ وكونه شخصيّته
والأشتداد فى الوجُود قد قبل ... وواحدٌ وجُود اجز المُتّصل
ومدّةُ على العموم اعُتبرت ... مادام ضَعفها اليها افتقرت
فالنّفس حيث عينّيت ايّ جَسَد ... قد دبَّرَت وان تفاوت اتحدّ
من ثمّ كلّ مَن رسُولنا رأى ... رؤياً بايّ صُورةٍ ما اَخطاء

والحاصل انّه قدّه من القائلين بالمعاد الجسمانى جسما عرفت فى صريح كلامه هذا.

و قال المحقّق الطّوسى فى التّجريد ما هذا لفظه.

وَ وُجوب ايفاء الوَعد والحِكمة يقتضى وُجُوب البَعَث والضَّرورة قاضيةٌ بثبوت الجسمانى من دين مُحمّدٍ ﷺ مع امكانه ولا يجب اعادة فواضل المكلّف انتهى.

و قال صدر المُتالّهين فى الأسفار بثبوت المعاد الجسمانى ونحن ننتقل كلامه اوّلاً ثم نقول ما فى كلامه وكلام غيره ممّا ذكرناه وحيث انّه اطال الكلام فى المقام ولا سيّما فى مقدمات البحث فَحَرّىٌ بنا ان نلّخص كلامه حذراً عن الأطناب فنقول ما حَقّقه فى المقام قد رَتّبه على اصولٍ.

الأصل الأول: انّ الوجود فى كلّ شىءٍ هو الأصل فى الموجودية والماهيّة تبعٌ له وانّ حقيقة كلّ شىء هو نحو وجوده الخاصّ به دون ماهيّته وشئيته وليس الوجود من المَعقُولات الثّانية الانتزاعيّة الّتى لايحاذى بها امرٌ فى الخارج بل هو من الهُويّات العَيّنية التى لايحاذيها امرٌ ذهنّى ولا يمكن الأشارة اليها الّا بَصريح العِرفان الشُّهودى.

الأصل الثانى: انّ تَشخُّص كُلّ شىءٍ ما يُتميّز به هو حين وجوده الخاصّ وانّ الوجُود والتّشخّص مُتّحدان ذاتاً متغايران مَفهوماً واسماً وامّا المسّمىٰ عند

القوم بالعوارض المُشخصّة فليست الّا امارات ولوازم للهُويّة الشّخصيّة الوجُودية لاباعيانها بل على سبيل البدليّة.

الأصل الثالث: انّ طَبيعةَ الوجود قابلةٌ لِلشّدة والضّعف بنفس ذاتها البسيطة الّتى لاتركيب فيها خارجاً ولا ذهناً فالأختلاف فى افرادها بالشّدة والضّعف الذاتيّين والتقدّم والتّاخر كذالك والشّرف والخِسة ايضاً كذالك وليس الأختلاف فيها بمُميّزٍ فصلي ذاتي او بمصنّفٍ عَرضى او بِمُشخّصٍ زائدٍ على اصل الطبيّعة كما رُبما يُتخَيّل.

الأصل الرابع: انّ الوجود يقبل الحركة الأشتدادية وانّ الجوهر فى جَوهَريته يقبل الأستحالة الذّاتية وقد ثبت انّ الاجزاء الحركة الواحدة المُتّصلة وحدُودها ليست موجودةً بالفعل على نعت الأمتياز بل الكلّ موجودٌ بوجودٍ واحدٍ فليس شيءٌ من تلك الماهيّات الّتى بازاء تلك المراتب الوجُوديّة موجُودة بالفعل بوجُودها على وجه التّفصيل بل لها وُجودٌ اجماليٌ فى اجزاء الحدّ على ما ثبت فى محلّه.

الأصل الخامس: انّ الوَحدةَ الشّخصّية فى كلّ شيءٍ وهى عين وجوده لَيست على وتيرةٍ واحدةٍ ودرجةٍ واحدةٍ كالوجُود ليس على نحوٍ واحد فالوَحدةً الشخصّية فى المقادير عين مُتصلّيتها وامتدادها وفى الزّمان والمُتدرّجات عين تجددّها وتَقضيّها وفى العدد عين كثرتها بالفعل وفى الأجسام بالقوّة وايضاً حُكمها فى الجواهر المُجرّدة غير حكمها فى الجواهر المادّية وهكذا فالجسم الواحد يستحيل ان يكون مَوضُوعاً لأوصافٍ مُتضادة كالسّواد والبياض والحلاوة والمرارة لنقص وجوده وضيق وعائه عن الجمع بين الامُور المُتخالفة فَموضع البَصَر فى بدن الأنسان غير موضع السّمع وموضع الشّم غير مَوضع الذّوق و هكذا واما الجَوهر النّفسانى فانّه مع وحدّته يُوجد فيه صورة السّواد والبياض وغيرهما فى المتقابلات وكلّما زاد الأنسان تَجرُداً وتَجوهراً واشتدّ قوةً وكمالاً صار احاطته بالاشياء اكثر وجَمعيّته

للمتخالفات اتمّ.

الأصل السادس: انّ هُويّة البدن وتشخّصة انّما يكونان بنفسه لابجرمه فَزيد مثلاً زيدٌ بنفسه لابجسده ولاجُل ذالك يستمر وجُوده وتَشخّصه مادامت النّفس باقية فيه وان تبدلّت اجزائه وتحوّلت لوازمه من اَينه وكَمّه وكَيفه ووضَعه ومتاه وكذا لو تَبدلّت صُورته الطّبيعيته بصُورةٍ مثاليةٍ كما فى المنام وفى عالم القبر والبرزخ الى يُوم البَعث او بصُورةٍ اُخرويّةٍ كما فى الآخرة فانّ الهُويّة الانسانيته فى جميع هذه التقلّبات والتّحوُلات واحدة هى هى بعينها لانّها واقعة على سبيل الاتّصال التّدريجى ولاعبرة بخصوصيات جوهرية وحُدودٍ وجُودّيةٍ واقعة فى طريق هذه الحركة الجوهرّية الخ.

الأصل السابع: انّ القُوّة الخياليّة جوهرٌ قائم لافى محلٍّ من البدن واعضائه ولا هى موجودة فى جهة من جهات هذا العالم الطّبيعى وانّما هو مُجرّدةٌ عن هذا العالم واقعة فى عالم جوهريٍ متوسّطٍ بين العالمين عالم المفارقات العَقلّية وعالم الطبيعيّات المّادية.

الأصل الثامن: انّ الصّور الخيالّية بل الصُّور الادراكية ليست حالّةً فى موضوع النّفس ولا فى محلٍّ آخر وانّما هى قائمةٌ بالنّفس قيام الفِعل بالفاعل لاقيام المَقبول بالقابل وكذ الأبصار عندنا ليس بانطباع شبح المَرئى فى عضو كالجليدية ولابخُروج الشّعاع، ولا باضافةٍ علمّية تَقَع للنّفس الى الصّورة الخارجّية لانّ هذه الاراء كلّها باطلة بل النّفس مادامت متعلّقة بالبدن كان ابصاره بل احساسه مطلقاً غير تَخّيله وامّا عند خروجها عن هذا العالم فلا يبقى الفرق بين التّخيّل والأحساس اذا القُوّة الخياليّة وهى خزانة الحَسّ قد قَويت وخَرجت عن غبار البَدَن وزال عنها النّقص والضّعف واتّحَدَت القوىٰ ورَجَعت الى مبدئها المُشترك فتفعل النّفس بقوّتها الخُياليّة ما تَفعَله بغيرها وترى بعين الخيال ما كانت تراه بعين الحسّ الى ان قال بل لَيس فى الجنّة الّا

شَهَوات النّفس ومراداتها كما قال تعالى :﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾[1] وقوله فيها ما تشتهى الأنفس وتلذّ الاعين.

الأصل التّاسع : انّ الصّبور المقداريّة والأشكال والهيئات الجرميّة كما تحصل من الفاعل بمشاركة المادة القابلة كذالك قد تَحصل من الجهات الفاعليّة وحيثياتها الأداركيّة من غير مشاركة المادّة ومن هذا القبيل وجود الأفلاك والكواكب من المبادى العَقلية على سبيل الأختراع بمُجرّد التَصوّرات والصُّور الخِيالّية الصّادرة من النّفس بالقُوّة المُصوّرة من الأجرام والأعظام المشكلة ونحوها.

الأصل العاشر: انّ اجناس العوالم والنَشآت مع كثرتها الّتى لاتُحصىٰ ثلاثه ادناها عالم الصُّوَر الطبيعّيته الكائنة الفاسدة، واوسطُها عالم الصُّور الادراكّية الحِسيّة المُجرّدة عن المادة واعلاها عالم الصُّور العقلّية والمُثل الآلهيّة والنّفس الانسانية مختصّةٌ من بين الموجودات بانّ لها هذه الأكوان الثّلاثة مع بقائها بشخصها.

فللأنسان الواحد من مبدَء طُفوليّته كونٌ طبيعىٌ وهو بحسبه انسانٌ بشرى ثُمّ يتدرّج فى هذا الوجود ويَتَصفّىٰ ويتلّطف شيئاً فشيئاً فى تَجَوهره الى ان يحصُل له كونٌ آخر نفسانى وهو بحسبه انسانٌ نفسانّى أُخرَوّى يصلح للبعث والقيام وله اعضاء نَفسانية وهو الأنسان الثّانى ثُمّ قد ينتقل منه على التّدريج فيَحُصل له كونٌ عقلى وهو بحسبه انسان عقلّى وله اعضاءٌ عقلية وهو الأنسان الثّالث وهذه التَّحولات المذكورة مُختصّةٌ بنوع الأنسان الى آخر ما قال.

ثمّ قال انّ من تَامّل وتَدَبّر فى هذه الأصول تأمّلاً كافياً وتَدَبُّراً وافياً بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية والأعوجاج لم يَبقَ له شَكٌّ ورَيبٌ فى مسئلة المعاد وحَشر النُّفوس والأجساد ويَعلَم يقيناً ويحكُم بانّ هذا البدن بعينه سيُحشّر يوم القيامة بصورة الأجساد وينكشف له انّ المَعاد فى المعاد مجموع

١- الفصلت- ٣١

النَفس والبَدَن بعينها وشخصها وانّ المبعُوث فى القيامة هذا البَدَن بعينه لابدنٌ آخر مبائنٌ له عنصرياً كان كما ذهب اليه جمعٌ من الاسلاميّين او مثالياً كما ذهب اليه الاشراقيُّون فهذا هو الأعتقاد الصَحيح المطابق للشّريعة والملّة الموافق للبرهان والحِكمَة فَمَن صدَّق وآمن بهذا فقد آمن بيوم الجزاء وقد اصبح مُؤمناً حَقّاً والنقصان عن هذا الأيمان خذلانٌ وقُصور عن دَرَجة العرفان قولٌ بتعطُّل اكثر القوى والطَبائع عن البلوغ الى غاياتها والوصُول الى كمالاتها ونتائج اشراقها وحَركاتها ويلزم ان يكون ما اودَعَه الله فى غرائز الطبائع الكَونيّة وجبلاتها من طلب الكمال والتَوجُّه الى ما ثوقها هَباً وباطلاً وهَدَراً الى ان قال.

ومن تحقّق بهذا تَيَقّنَ بلزوم عود الكمال ولم يشتبه عليه ذالك وهذا مقتضى الحِكمة والوفاء بالوعد والوعيد ولزوم المكافات فى الطَّبيعة والمجازاة ولنا رسالة على حِدَة فى هذا الباب بيّناً فيه حشر جميع الأشياء الكائنة حتّى الجماد والبنّات الى الدّار الآخرة وحشر الكلّ اليه تعالى ببيانات واضحة وقواعد صَحيحة بُرهانيّة مبناها على ان لامُعطّل فى الطّبيعة ولا ساكن فى الخليقة فالكلّ مُتوجّهٌ نحو الغاية المَطلُوبة الّا انّ حشر كلّ اَحَدٍ ما يناسبه ويجانسه فللأنسان بحسبه وللشّياطين بحَسبهم وللحيوانات بحَسبها وللبّنات والجماد بجسبها كما قال تعالى : فى حشر افراد النّاس، **﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً، وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً﴾**[1] و فى الشّياطين فَو رَبّكَ ليحشُرنَّهم والشّياطين، وفى الحيوانات و اذ الوُحوش حُشِرت والطّير مَحشُورَةٌ كلٌّ لداوابّ وفى البنات والنجم والشّجر يَسجُدان وفى حقّ الجميع يوم نُسَيِّر الجبال وترى الأرض بارزةٌ حشرناهُم فلم نغادر منهم احلاً الى آخر الايات هذا خلاصة كلامه قُدّه فى الباب.

وانا اقول: كلامه قدّه وان كان لايخلو عن نظرٍ الّا انّه قُدّه حيث اعترَف واقَرَ بالمعاد الجسمانى وهو رئيس الفلاسفة فقد ثبت المطلوب وموارد النّظر فى

١- مريم- ٨٥

كلامه انّما هو فى طُرق الأستدلال على المُدّعىٰ لا فى اصل البحث وهـو لا يهتمنا بعد ثبوت اصل المدّعىٰ ولنختم الكلام فى هذا البحث فانّ العاقل يكفيه الأشارة وكيف كان لاشك ولا مرية فى كون المعاد الجسمانى حقّاً سواء امكَنَ لنا الأستدلال عليه عقلاً ام لا.

الجهة الثالثة: فى دَفع شُبه المنكرين وشُكوك الجاهدين لِحشر الأجساد.

منها ـ شُبهَة المَشهورة بشُبهة الآكِل والمَاكُول وهـى الأصـل فـى جـميع الشّبهات الواردة فى المقام وحاصله انّه اذا صار انسـانٌ غـذاءً لأنسـانٍ آخـر فالأجزاء المأكُولة امّا ان يعاد فى بَدن الأكل او فى بدن المأكُول وايّـاماً كـان لايكون احدهما بعينه معاداً بتمامه وايضاً اذا كان الأكَل كافراً والمأكُول مؤمناً يلزم امّا تعذيب المُطيع وتنعيم الكافر او ان يكُون شخّص واحدٌ كافراً مُعذّباً ومُؤمناً مُنّعماً لكونها جسماً واحداً هذا خلاصة تقرير الأشكار على مـا فـى الأسفار.

وقد اجاب عنه قده فى الأسفار بما حاصله انّ تشخّص كلّ انسان انّما يكون بنفسه لابِبَدَنه وانّ البَدَن المُعتبر فيه اَمرٌ مُبهمٌ لاتَحُصّلَ فيه الّا بنفسه وليس له من هذه الحَيثّية تَعَيُّنٌ ولا ذاتٌ ثابتة ولا يلزم من كون بدن زيد مَثلاً محشُوراً ان يكون الجسم الّذى منه صار مأكولاً لِسَبُع او انسانٍ آخرٍ محشوراً بل كُلّما يتَعلّق به نفسه بعينه بدنه الّذى كان فالاعتقاد بحشر الأبدان يوم القيمة هو ان يُبعَث ابدانٌ فى القبور اذا راى اَحَدٌ كلّ واحدٍ منها يقول هذا فلان بعينه او هذا بدن فلان ولا يلزم منه ان يكون غير مبدّل الوجود وَالهُويّة كما لايـلزم ان يكـون مُشّوه الخلق والأقطع والأعمىٰ والهرم محشوراً على ما كان من نقصان الخِلقَة وتَشويه البُنية كما ورد فى الأحاديث انتهى.

وامّا المتكلّمون فقد اجابوا عنها بطريقٍ آخر وحاصله انّ الأجزاء المُعادة هى اعضائه الأصليّة الّتى خُلِقت من المِنى ومعلوم انّ هذه الأجـزاء الاصُـلّية لاتَصير جُزءً لبدنٍ آخر انتهى اقول لايخفى ركاكة هذا الجواب.

وامّا جواب صاحب الأسفار فهو ايضاً مَخدُوشٌ بل خروجٌ عمّا نحن بصدد اثباته وان كان المتاخّرون من الفلاسفة كالسبزّواری قده وغيره تَلَقّوه بالقَبُول.

وجه النّظر فيه هُو انّ المدّعیٰ عَود البَدَن بعينه لاعَود النّفس وبعبارةٍ اخرى اذا فَرضنا انّ انساناً صار ماكولاً لِغيره وصارت اجزائه جُزءً لبدنه فالمدّعیٰ على القول بالمعاد هو عودها بعينها مُتشكّلةً بالشّكل الاوّل وهذ غير عَود نَفسه بایّ بَدَنٍ كان، قوله قده انّ البَدَن المُعتبر فيه اَمرٌ مُبهمٌ لاتَحصُّل فيه، هو اوّل الكلام لِمَ لاتحصُّل فيه بل هُو مُتحصّلٌ غير مُبهم، نعم لو قلنا بانّ المطلوب هُو عَود البدن سواء كان هذا البَدَن او غيره فالأمر كما ذكره اِلّا انّا لانقُول به بل نقول بعود هذا البَدَن المأكُول بعينه فكَم فرقٌ بَينَ عَود البَدَن وبين عَود بدنٍ لاعلى اليقين.

والعجب كلّ العَجَب من الفلاسفة المتاخرين حيثُ لَم يتفطّنو لهذه الدّقيقة ونحن نقول انّ لها جوابين احدهما عقلّى، والآخر نقلّى مأخوذٌ من كتاب الله تعالى.

امّا الجواب العقلى انّه قد ثَبت فى الفلسفة انّ الأنقلاب فى المادّة محال وانّما تنقلب الصّورة لاغيرها بيان الموضوع، انّ مادّة المائية مثلاً فى كِلتا الصُّورتين اعنى المائية والبخارية مَحفوظة والمُنقلب هو الصُّورة فاذا صار الماء بخاراً تنقلب صُورته المائية الى الصّورة البخارية دون مادّية والّا كيف يمكن تبديل البخار بالماء ثانياً والسّر فيه هو انّ الهَيولى الأولى من الأمور المبهَمة السّارية فى الأشياء والمادّة القابلة لها ايضاً كذالك اذا ثبت هذا فنقول.

الأنسان المأكول فى مورد الفَرض له مادّة وصورة لانّه من المُركّبات الخارجية امّا المادة فهى مَحفوظة فى الحالتين كما قلنا والمُنقَلَب هو الصُّورة الأنسانية وهى لا تَضرُّ بالمدّعیٰ فى المقام فانّ المادّة شأنها القَبُول والصُّورة شأنها التّغيير والتّبديل ولأجل هذا قالو انّ المادّة بالنّسبة الى قبولها الصّورة لابشرط بمعنى انّها تقبل ايّة صورةٍ وجدت وامّا الصُّورة بالنّسبة الى المادة

فليست كذالك.

وعليه فَمادّةُ الأنسان المأكول فى بدن الأكّل مَحفوظة والصُّورة لاتعباء بها اينّما وجُدت فتأمل فى المقام وامّا الجواب المأخوذ من النّقل فهو قوله تعالى فى قصّة ابراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿**رَبِّ اَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتىٰ قَالَ اَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

روى عن ابى بصير عن ابى عبدالله عليه السلام انّ ابراهيم نظر الى جيفةٍ على ساحل البحر تأكلها سُباع البرّ وسُباع البحر ثمّ يثبّ السُّباع بعضها على بعضٍ فيأكل بعضها بعضاً فتعجّب ابراهيم فقال :﴿**رَبِّ اَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتىٰ**﴾[2]فأخذ ابراهيم عليه السلام الطّاوس والديك والحَمام والغُراب قال الله عَزَّ وَجَل ﴿**فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ**﴾اى قطّعن ثمّ اخلط لحماتهنّ وفرقّها على كلّ عَشرَة جبال ثمّ خدفنا قيرهنّ، **وَادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً**، ففعل ابراهيم ذالك وفَرقَهّن على عشرة جبال ثمّ دعاهنّ فقال اجيبينى بِاذن الله تعالى فكانت يجتمع وتيألّف كلّ واحدٍ وعظمه الى رأسه وطارت الى ابراهيم فعند ذالك قال ابراهيم ﴿**إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

قال بعض المُحقّقين فى بيان هذا الحديث يظهر من هذا الخبر و امثاله من الأخبار انّ ابراهيم اراد بهذا السئوال ان يظهر للنّاس جواب شبهة تمسّك بها الملاحدة المنكرون للمعاد حيث قالو اكَلَ انسان انساناً وصار غذاءً له وجزءً من بَدنه الى آخر الشُّبهة وقد نقلناها.

اقول: هذه الآية الشّريفة كانّها وردَت فى جواب الشُّبهة كما ذكره المُحقّق المذكور ولا شك انّه تعالى قادرٌ على كلّ شيءٍ والآية لاتنافى ما ذكرناه من كون المادّة الأصلّية باقية والصّورة مُتبدّلة.

ان قلت ـ اَليس الله بقادرٍ على ان يخلُقَ المادّة ثانياً كما خَلقها اوّلاً فاذاً

١- البقرة- ٢٦٠

٢- البقرة- ٢٦٠

لانحتاج الى القول ببقائها.

قلت ـ لاشك فى كونه قادراً عليه الّا انّ البحث فى المَعاد وهو لايصدق على المخلوق ثانياً بل هو مثله لاعينه وبعبارة اخرى المُدّعىٰ اثبات المَعاد اى عود الموجُود الاوّل بعينه لا الأيجاد ثانياً ثمّ انّه قد سُئل عن الصّادق ﷺ عن نظير هذه الشُّبهة بل عينها واجاب ﷺ بما لامزيد عليه ونحن ننقُل السُئوال والجواب بالفاظ الحَديث على مارواه فى الأحتجاج والحديث طويل.

قال الزِندیق فيما قال وانّىٰ له بالبَعث والبَدن قدبلى والأعضاء قد تَفَرّقت فَعُضوٌ ببلدةٍ يأكُلها سباعها وعضوٌ باخرى تُمزّقه هوّامها وعضوٌ قد صار تُراباً بنى به مع الطّين حائطٌ .

قال ﷺ فى جوابه انّ الّذى اَنشأه من غير شىء وصوّره على غير مثالٍ كان سَبَق اليه قادرٌ ان يعيده كما بَداه قال الزّنديق اوضح لى ذالك.

قال ﷺ انّ الرُّوح مُقيمة فى مكانها روح المُحسن فى ضياءٍ وفسحةٍ وروح المسىءِ فى ضيقٍ وظلمةٍ والبَدَن يَصيرُ تُراباً كما منه خُلق وما تقذف به السّباع والهَوّام من اجوافها ممّا اكلته وفَرّقته كلّ ذالك فى التُّراب مَحفُوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرةٍ فى ظُلمات الأرض ويَعلَم عَدَد الأشياء وَوَزنها و إنّ تُراب الرّوحانيين بمنزلة الذّهب فى التُّراب اذا كان حين البعث مَطَرت الأرض مَطَر النّشور فَتَربوا الأرض ثم تَمَخض مَخض السّقاء فيصير تراب البشر كمصير الذّهب من التّراب اذا غُسّل بالمآء وَالزّبد من اللّبن اذا مخّض فيجتمع تراب كلّ قالب الى قالبه فَيَنتقل باذن الله القادر الى حيث الرُّوح فتعُود الصّور باذن المُصور كهيتها و تَلجُ الرُّوح فيها فاذا قد استوى لاينكر فى نفسه شيئاً انتهى.

وهذا الحديث وان كان من المُشكلات ونحن لانفهم بعض عباراته الّا انّه قد استفد نامنه بقاء المَادة فى جميع الحالات نعم يَظهَر منه عود الصُّورة الّتى كانت فتأمّل فى المقام فانّه من مَزّال الأقدام وهذه الشّبهة اعنى شُبهة الأكِل

والمَأكُول من اعظم الشّبهات فی الباب وهی الّتی جعلت القوم حیاری والأفهام صَرعیٰ وقد نقل انّ الناصر خسرو العَلوی هو اَحَد المنکرین للمعاد لأجل هذه الشُّبهة فقال بالفارسیّة:

مرغکی را (مردکی را) به دشت گرگ درید
زان بخوردند کرکس و مرغان
این چنین کس بحَشر زنده شود
تیز بر ریشِ آدم نادان

واجاب عنه الرّازی بقوله:

کردگارش بحَشر زنده کند گر چه اعضاء او شود جَو جَو
ز اوّلین بار نیت مشکلتر تیز بر ریشِ ناصر خسرو

و الی هذا المعنی یشیر قوله تعالی:﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي اَنْشَاهَا اَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[1].

ومنها ـ انّ جرم الأرض مقدارٌ مَحصُورٌ محدُودٌ مَمسُوحٌ بالفراسخ والأمیال والذّراع وعدد النّفوس غیر متناهٍ فلایفی مقدار الأرض ولا یَسع لأن تَحُصل منه الأبدان الغیر المُتناهیة.

وقد اجابُوا عنها بما اجابُوا به عن الشُّبهة الأولی وحاصله ان لاعبرة بخُصوصیّة البَدَن وانّ تشخصّه والمُعتبر فی الشَّخص المَحشور جِسمیّةٌ مَا اَیّة جِسمیّةٍ کانت وإنَّ البَدَن الأخُروی یُنشاء من النّفس بحسب صفاتها لا انّ النَّفس یحدث من المادّة بحَسب هیأتها واستعداداتها کما فی الدّنیا انتهی ما فی الأسفار.

وفیه ما مرّ من الجواب عن الشُّبهَة الاولی وانّ العبرة بخُصوصیّة البَدَن کما هو مدار البحث فانّ المدّعیٰ فی المعاد هو معاد هذا البَدَن بعینه مع جَمیع خُصوصیّاته وتَشَخُّصاته قوله المعتبر فی الشخص المحشور جِسمیّةٌ ما ایّة

۱- یس- ۷۹

جِسميّةٍ كانت خروجٌ عن حَريم البحث ودخولٌ فى غير ما نَحنُ بصدَدَ اثباته فانّ البحث فى هذه الجِسميّة لاايّه جِسميّة كانت كما هو ظاهر الآيات والأخبار واجماع المسلمين.

ثمّ انّ قوله وانّ البدن الأخروى يَنشاء من النَّفس بِحَسَب صفاتها لا انّ النَفس يحدث من المادّة الى آخره، ففيه انّ هذا القول مَبنىٌ على انّ البَدَن الأخروى ينشاء منها وهو اوّل الكلام وعليه بالأثبات مضافاً الى انّ البَدَن النّاشى من النّفس لايصدق عليه المَعاد اصلاً بل هو بَدَنٌ حادثٌ جديدٌ وكلامنا فى عود البدن لافى حُدوثه ثانياً.

فالحقّ فى الجواب هو ان يقال لانُسَلّم كُون الأبدان غير متناهية وكيف يقال انّها غير متناهية مع انّ لها اوّلٌ وآخر اَليس بدن آدم هو اوّل الأبدان والآخر ايضاً معلومٌ فى عِلم الله تعالى وعدم عِلمِنا بها واحاطتنا باعدادها من جَهة انّا لانَعلَم آخِر الأبدان لايدلّ على عدم تناهيها واقعاً وقد قالوا بثبوت التناهى فى المَحصُورَ بين الحاصِرين فى اثبات تناهى الأبعاد وقد غفلوا عنه فى المقام.

ومنها ـ انّ الجنّة والنّار اذا كانتا مَوجُودتين فاَين مكانهما وفى ايّ جهةٍ من جهات العالم حُصُولها فاَن كان حصولهما او حُصُول احديهما فوق مُحدّد الجهات فيلزم ان يكون فى اللّامكان مكانٌ وفى اللّاجهة جهة وان كان فى داخل طَبقات السَّموات والأرض او فيما بين طبقةٍ وطبقةٍ فيلزم اِمّا التّداخُل (التّداخُل) وامّا الأنفضال بين سَماءٍ و سَماءٍ والكلّ مُستحيلٌ ومع هذا ينافى قوله تعالى :**«وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰاتُ وَالْاَرْضُ»**[1].

قال فى الأسفار بعد ذكره ما ذكرناه من الشُّبهة ما هذا لفظه.

هذا تقرير الشُّبهة وطريق اِندفاعها مكشُوفٌ لِمَن تدبّر فى الأصول الّتى بَيّناها واَمّا المتكلّمون فحيث لم يَدخُلوا البُيُوت من ابوابها ليس فى وسعهم التَفَصّى عن امثال هذا الأشكال فاجابوا عنه تارةً بتجويز الخَلاء وتارةً بعدم

١- آل عمران- ١٣٣

كون الجَنَّة والنّار مَخلُوقين بَعدُ وتارةً بانفتاق السَّموات على قدرٍ يَسعَ بينها الجنّة ولَيتَهُم قَنَعوا بدين العَجائز واكتَفوا بالتقلّيد ولم يَستنكُفوا ان يَقولوا لانَدرى انتهى.

اقول ـ ما مرّ من اصوله لايُسمن ولا يُغنى فحوالة الجواب عليه كلامٌ بلا محصّل وامّا قوله فى المتكلّمين فلسنا نحن بصدد البحث فيه نفياً واثباتاً وللبحث فيه والقضاء بذالك مقام آخر.

والجواب عن الشُّبهة هو انّ البحث فعلاً فى المَعاد وانّه هل يمكن عود البَدن ام لا وليس البحث فى الجَنَّته والنّار ومكانهما وانّهما مَخلُونان اَم لا الآن ضَرورة انّ البحث فيه بَحث اخر لانّ الجنّة والنّار ودُخول النّاس فيهما بعد البَعث على قول المُخالف والمُوافق فامتناع وجودهما رأساً لايستلزم امتناع البعث كما انّ امكان وجودهما فى الحال او فى الاستقبال لايلزم فيه امكان البَعث وايّ ربطٍ بين امكان عَود البدن وعدم امكانه وبَين خَلق الجنّة والنّار فهذه الشُّبهة فى الحقيقة خُروجٌ عما نحن فيه لولا نقول بانّها مغالطة فلا نحتاج فى الجواب بما فَصَّله فى الأسفار بانّ الجنّة والنّار لهما مكان من غير جنس امكنة الدّنيا الى آخر ما ذكره.

ومنهاـ لزوم مفسدة التّناسُخ وتقرير الشُّبهة هو انّه بناءً على القول بالمَعاد يلزم تعلُّق النّض ببدنٍ آخر وهو محال لانّ النّفس حدثت بحدوث هذا البدن الطّبيعى الدّنيوى فكيف يعقل تَعَلّقها ببدنٍ طبيعى آخر فانّ البدن الآخر ان كان فى كونه طبيعياً عين الاوّل فقد اَجمَعوا على استحالته للزوم كون الشّىء الواحد شَيئين وان كان غيره فهو شيءٌ آخر وليس من المعاد بشيءٍ وقد اجيب عنها بوجوهٍ.

احدها: انّ التناسخ المحال عبارة عن تعلّق النّفس من بدنٍ طبيعّي الى بدن طبيعيٍ آخر بعد مفارقتها عن الاوّل وفى المقام ليس الأمر كذالك فانّ البدن الثّانى لايغاير الأول من جهة المادّة بل مُتحدٌ معه فيها فتعلُّق النّفس بالثّانى فى

الحقيقة هُو تعلّقها بالأوّل ولا مجذور فيه.

وبعبارةٍاخرى ـ ان كان البدن الاوّل مغاير للثّانى من حيث المادّة فلا يمكن تعلق نفسه بالآخر والّا فلا اشكال فيه وما نحن فيه من هذا القبيل لانّ المادة فى كلتا النشأتين موجُودة محفوظة كما هو المفروض.

وثانيها: ما نُسب الى الغزالى وحاصله انّ البحث ليس فى الألفاظ فانّ التّناسخ ان كان بهذا المعنى فهو مما لااشكال فيه لكون الشّارع قد اجازه فى المقام وان كان غيره فهو محال وبعبارة اخرى كلّ ما جوزّه الشارع فهو غير محالٍ وما نحن فيه من هذا القبل وغير ذالك من الأجوبة المذكورة فى المفصّلات.

اقول: لابدّ لنا من تنقيح البحث اوّلاً ثمّ التّكلّم فيه ثانياً فيقع البحث فى مقامين.

المقام الاوّل: التّناسُخ عبارة عن تَعَلُّق النّفس من بدنٍ الى بدنٍ آخر وهو على اربعة اقسام.

نَسخٌ وفَسخٌ ورَسخٌ ومسخٌ وتوضيحه انّ النّفس بعد المفارقة عن البدن ان تعلّقت ببدنِ انسانٍ غيره.

فهو الاوّل: وان تعلّقت ببدنِ حيوانٍ آخر.

فهو الثّانى: وان تعلّقت ببدن الجَماد.

فهو الثّالث: وان تَعلّقَت ببدن النّبات .

فهو الرّابع: فالتناسخ عبارة عن تَعلّق نفس انسانٍ ببدن انسان آخر، والمسخ عبارة عن تعلّقها ببدن الحَيوان والرّسخ ببدن الجماد والفَسخ ببدن البنّات.

ثمّ ان التّناسُخ على قسمين صُعُودّى ونُزُولّىٌ فانّ النّفس اذا تعلّقت بشىء آخر فان كان الآخر اَشرَف من الاوّل فهو المُسمّىٰ بالصُّعودى وان كان اخَسّ منه فهو النّزولى وَوَجه التّسمية بهما ظاهر فانّ النّفس على الاوّل تَترقّىٰ وتَصعد وعلى الثّانى تَتَنزّل وقد ثَبت فى الفلسفة بطلان كلا القِسمين قال صدر

المتالهين فى الأسفار ما هذا لفظه.

ونحن بفضل الله وإلهامه علمنا ببرهانٍ قَوّى على نفى التّناسخ مطلقاً سواء كان بطريق النُّزُول او الصُّعود وهو انّ النّفس كما عَلمت مَراراً لها تَعَلّقٌ ذاتّى بالبدن والتّركيب بينهما تركيبٌ طَبيّعىّ اتّحادى وانّ لكلٌّ منهما مع الآخر حَرَكةٌ ذاتّية جَوهرّية والنّفس فى اَوّل حُدوثها امرٌ بالقُوّة فى كلّ حالها من الأحوال وكذا البدن ولها فى كلّ وقتٍ شأنٌ آخر من الشُئوُن الذّاتية بازاء سنّ الصّبا والطُّفولية والشّباب والشّيخُوخة والهِرم وغَيرها وهُما معاً يَخرُجان من القُوّة الى الفعل ودرجات القُوّة والفعل فى كلّ نفسٍ معينة بازاء درجات القُوّة والفعل فى بدنها الخاصّ به مادام تَعلّقُها البدنى وما نفسٌ الّا وتخرج من القوّة الى الفعل فى مدّة حياتها الجِسمانيّة ولها بحَسب الأفعال والأعمال حَسَنةً كانت او سَيئة ضربٌ من الفِعلّية والتّحصيل فى الوجوب سواء كان فى السّعادة او الشّقاوة فاذا صارت بالفعل فى نوعٍ من الأنواع استحال صيرورتها ثارةً اخرى فى حدّ القُوّة المَحَضة كما استحال صيرورة الحيوان بعد بلوغه الى تمام الخلقة نُطفة وعَلقة لانّ هذه الحَرَكة جوهرّية ذاتيّة لايمكن خلافها بقَسرٍ او طبعٍ او ارادةٍ او اتّفاقٍ فلو تعلقتَ نفسٌ مُنسلخِة ببدنٍ آخر عند كونه جنيئاً او غيرٍ ذالك يلزم كون احدهما بالقوة والآخر بالفعل وكون الشّىء بما هو بالفعل بالقُوّة وذالك ممتنع لانّ التركيب بينهما اتّحاديّ والتّركيب الطّبيعى يستحيل بين اَمرين احدهما بالفعل والآخَر بالقُوّة انتهى ما ذكره بالفاظه وامّا بطلانه على مسلك القوم فهو بطريق آخر غير ما سَلَكه قده.

وحاصله انّ الصُّورة والمادّة فى كلّ مُركّبٍ طَبيعى سواء كانت الصُّورة نفساً او طبيعةً والمادّة بَدَناً حيوانياً او جسماً طبيعياً آخر بينهما نوع اتحادٍ لايمكن زوال احدهما وبقاء الأخرى بما هما مادّة او صُورة فانّ نسبة المادّة الى الصُّورة نسبة النقص كما ثبت فى مَحَلّه فوجود كلّ مادّةٍ انّما هو بصورتها الّتى تَخرُج بها من القُوّة الى الفعل، وهذّيةُ كلّ صورة من حيث ذاتها وماهياتّها بماهى تلك

الصُّورة بمادّتها الّتی هی حامِلة تَشخصّها ومُخصَّصة احوالها وافعالها الخاصّة وعلیه فتکون المادّة انّما هی بصورتها الّتی من سنخها فاذا فَسَدت فسدت معها صُورتها لِما علمت انّ صورة کلّ شیء تمامه وکمالُه وکذا کمالُ الشی بما هو کَماله اذا فَسد فَسد ذالك الشّی فانّ النّفس من حیث هی صورةٌ نوعیّةٌ لِلبدن وعلّةٌ صُوریّة لماهیة النّوع المُحصّل النّفسانی، والبَدَن بما هو بدن مادّةٌ لِلنفس المُعَلقة به وعلّة مادّیة للنوع فاذا کان الأمر بینهما علی هذا النّحو کان التّلازم فی الوجود والمعیّته الذّاتیة بینهما علی الوجه الّذی تقدّم ذکره فی مبحث تّلازُم الهیولی ثابتاً لامُحالة فکان زوال کلّ منهما یُوجب زوال الآخر فقد ثبتَ وتَحَقّق انّ انتقال نفسٍ عن بَدَنٍ الی بَدَنٍ آخر مُستحیلٌ وهذا برهانٌ عامٌ یبطلُ به جمیع اقسام التّناسُخ سواء کان من جَهة الصُّعود او من جهة النُّزُول انتهی

هذا خلاصة مرامهم فی ابطال التناسخ ولنا مَعَهم فی المقام کلامٌ موکولٌ الی محلّه.

اذا عرفت هذا وعلمت انّ التناسخ باقسامه باطل عقلاً فقد دَرَیت انّ شُبهة التّناسخ وهی تَعلُّق النّفس بِبدنٍ بعد کونها فی بدنٍ آخر قَبَله لاربط لها بمَسئلَة المعاد اصلاً لابما ذکره الغزالی من انّ التّناسخ المُحال هو ما لَم یُجوّزه الشّرع وامّا ماجوّزَه الشارع فهو لیس بمحالٍ وان کان تناسخاً.

وجه العدم هو انّ ما ذکره فی المقام مبنیّ علی مسلکه فی الأُصول من عدم الحُسن والقُبح العقلّیین بل الحُسن والقُبح تابعان لتجویز الشّارع او اَمرهُ به و نَهیه عنه فَکُلّ ما هو مأمورٌ به منه هو الحَسَن وان کان فی العرف قبیحا وکلّ ما هو منهیّ عنه قبیحٌ وان کان فی العُرف حَسَناً وعلیه فالحُسن والقُبح الذّاتیان لامعنی لهما کما هو مذهب الأشاعرة و هُو منهم وعلی هذا المسلك فالتناسُخ حیثُ جَوزَه الشارع فَهُو حَسن لابأس به وانت خَبیرٌ بِاَنّ هذا المذهب باطل من رأسه ضرورة انّ القُبح الذّاتی والحُسن الذاتی ممّا لایمکن انکارهما وامر الشّارع او تجویزه او نهیه لایوجب الأنقلاب عما هو علیه وکیف یقول عاقل

انّ الظّلم لَوجوّزه الشّارع يصير حسناً وانّه قبيحٌ لنهى الشارع عنه لا انّه قبيح ذاتاً وتفصيل الكلام فيه فى محلّه و حاصل الكلام انّ جوابه عن الشّبهة لايتمّ الّا على مذهبه خاصّة وامّا على مذهب غيره فلا.

وقال بَعضُ الاعلام فى رَدّ التّناسخ على ما نَقلَه فى الأسفار بما حاصله انّ للنّفس الأنسانيّة ضربين من التّعلُّق بهذا البدن اولهما اوّليّ وهُو تعلّقها بالرُّوح البخارى وثانيهما ثانويّ وهو تَعلُّقُها بالأعضاء الكَثيفه فاذا انحَرف مزاج الرُّوح وكادان يَخرُج عن صلاحية التَعلُّق اِشتدّ التَعلُّق الثّانوى من جانب النّفس بالأعضاء وبهذا يَتعيّن الأجزاء تَعيّناً مّا ثُمّ عند المَحشَر اذا جمعت وتمّت صورة البدن ثانياً وحُصل الرُّوح البُخارى مرةً اُخرىٰ عادَ تَعلُّق الرُّوح كالمَرّة الأولى فذالك التَّعلُق الثانوى يمنع من حدوث نفسٍ اُخرىٰ على مزاج الأجزاء فالمَعاد هى النَّفس الباقية لنيل الجزاء انتهى.

ما نقله قال صاحب الأسفار بعد ذكره ما ذكرناه وانت تعلم انّه قد سَبَقت الأشارة الى بطلان هذا القول من انَّ تَعلُّق النَّفس بالبَدَن اَمرٌ طبيعيٌ مَنشَائه المُناسبة التّامّة والأستعداد الكامل لِلمعادة المُخصّص لها بهذه النَّفس دون غيرها ولابدّ ان يكون هذا التَّخصص والأستعداد ممّا لم يُوجَد الّا لهذه المادّة الواحدة بالقياس الى النّفس المُعنية الواحدة لئلاّ يلزم التَخصّص بلا مُخصّص او تعلّق نفسٍ واحدٍ ببدَنين على انّك قد علمت انّ مَنشاء حُدوث النَّفس وما يجرى مَجراها هو الحَرَكة الذّاتية الاستكمّالية لمادّةٍ مّا فى الصّور الجُوهريّة على سبيل التّرقى من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ حتّى يَقَع الأكوان الصّورية الى النّفس وما بعدها فعلى هذا لامعنى لبقاء المناسبة الذّاتيّة للاجزاء التّرابية اليها الى آخر ماذكره فى ردّه.

ثمّ نقل فى الأسفار ثانياً كلاماً عن الغزالى فى بعض كُتبه وقال انّ الغزالى صَرّح فى كثير من مواضع كُتُبه انّ المعاد الجسمانى هو اَن يَتعلّق المفارق عن البَدن ببدنٍ آخر واستبعد بل استنكر عَود اجزاء البَدن الأوّل قال انّ زيداً الشّيخ

هو بعينه زيد الّذى كان شاباً وهو بعينه الّذى كان طفلاً صَغيراً وجنيناً فى بطن الامّ مع عَدم بقاء الأجزاء فَفى الحَشر ايضاً كذالك والمُلتزمون بعود الأجزاء مُقلّدون من غير درايةٍ انتهى.

قال صاحب الأسفار هذا الكلام فى غاية الأجمال ولَم يَظهر فيه الفرق بين التّناسخ والحَشر وقد بَيّنا انّ الحقّ فى المعاد عود البَدن بعينه كالنّفس بعينها كما يدلّ عليه الشَّرع الصّحيح الصّريح من غير تأويل ويحكم عليه العقل الصّحيح من غير تعطيلٍ.

ثمّ قال الغزالى وليس هذا بتناسخ فانّ المعاد هو الشّخص الاوّل والمُتناسخ هو شَخصٌ آخر والفرق بين الحَشر والتّناسُخ انّ الرُّوح اذا صار مرّةً اخرى مُتَعلّقاً ببدنٍ آخر فان حَصل من هذا التّعلّق الشّخص الاوّل كان حَشراً واقعاً لاتناسخاً.

واعجب من هذه كلّها انّه قال فى موضع آخر بهذه العبارة انّ الرُّوح يعاد الى بَدَنٍ آخر غير الاوّل ولا يشارك له فى شيىءٍ من الأجزاء، فان قيل هذا هو التّناسُخ. قلنا سلّمنا ولأمشاحة فى الأسماء والشّرع جَوّز هذاالتّناسُخ وَمَنَع غيره وقال فى موضعٍ آخر.

اعلم ـ انّ هذا يستنكره من يبطل حَشر الأجساد ويُحيل رَدّ النُّفوس الى الجَسَد وليس يقوم على استحالته برهانٌ يَقيّنى وكلّما ذكره الاوائل فى الدّلالة على استمالته ليس ببرهانٍ مُحَقّق والشّرع قد ورد به فَيجب تصديقه ثم اطال الكلام بما لافائدة فى نقله.

اقول ما ذكره الغزالى فى المقام ليس من المعاد بشيءٍ ولا فرق بينه وبين التّناسُخ اصلاً قوله والشّرع قد وَرَد به فيجب تصديقه، ففيه انّ الشّرع ورد بثبوت المَعاد الجسمانى وهو عود البَدَن بعينه لاتَعلُّق النَّفس بِبَدَنٍ آخر كما ظَنَّه فما وَرد الشّرع به غير ما لَفَّقه و مالفَقَّه غير ما وَرد الشّرع به والحقّ فى الجواب هو ان يقال التّناسخ عبارة عن تَعلّق النّفس بعد مفارقتها عن بدن الاوّل ببدنٍ

آخر غيره والمعاد تعلّقها كذالك ببدن الاوّل ثانياً والفرق بينهما واضح فانّ الملاك فى الأوّل هو تغاير البدنين وفى الثّانى وحدَتهما وبينها بَونٌ بعيد.

ومنها ـ انّ الأعادة لالغرضٍ عَبثٌ وجزاف لايليق بالحَكيم والغَرَض ان كان عائداً اليه تعالى كان نقصاً له فَيَجب تنزيهه عنه وان كان عائداً الى العَبد لزم العَجز وخلاف الحِكمة والعدالة فانّ ذالك الغرض ان كان إيصال اَلَم فهو غير لائقٍ بالحكيم العادل فكيف عن خالق الحِكمة والعَدل وان كان ايصال لذّةٍ فاللذّات سِيّما الحيات دفع الآلام فانّ اكل الطّعام وان كان حَسَناً لذيذاً لايلتذ به من كان مَمتلئاً شَبُعاً وانّما يستلذّه الجائع وكذا سائر اللّذات الحِسّية وكيف يليق به ان يُؤلم احداً اوّلاً ثمّ يدفع عنه هذا ومن ذالّذى يُريد إحساناً بأحدٍ فيقطع بعض اعضائه ويَجر ثم يَضَع عليه المراهم ليلتّذ بها هذا خلاصة الكلام فيها وقد أُجيب عنها بوجوهٍ.

احدها: ما ارتضاه الأشاعرة وحاصله مَنع لزوم الغَرَض فى أفعال الله وقُبح الخلّو عنه اوّلاً ومَنع كون الغَرض مُنحصراً فى ايصال اللّذة والألم ثانياً، ومنع كون اللّذه دفعاً للألم ثالثاً، ووضع كون اللّذات الأخرَوّية كَالدُّنيوية رابعاً.

وثانيها: قول المعتزلة وحاصله انّ الغرض من المعاد نيل الجَزاء وظُهور صدق الأنبياء.

وثالثها: الفرق بين الغَرض والضَرُورّى وانّ للأفعال غايات طَبَيعيّة ولوازم ضرورية وانّ الموت هو الأنتقال من هذه النشأة الى نشأةٍ أُخرىٰ فوقها وانّ اللّذات الاخرَوّية ومقابلها من الآلام هى ممّا كسبته او اكتسبته ايدى النُّفُوس ارادةً او عادةً فَلحقته اللّوازم والتّبعات والله تعالى ـ مُنَزّهٌ عن حُسن طاعة المُطيعين او قبح سَيّئة المُسيين وليس فعل الله فى عباده من اثابة اهل الثّواب وعُقُوبة اهل العقاب يضا هى افعال المُلوك والسّلاطين لانّهم ذوى اغراضٍ وحاجاتٍ وانّما يُضاهى فِعله تعالى فعل الطّبيب فى المَرضىٰ اَمر بالأحتماء وتَناوُل الدَّواء ونهى عن ترك الإحتماء وفعل مايَزيدُ فى الدّاء فمن اَطاع اَمره

فَلَصى ونَجا ومن تَمَرَّد هَلك وهَوى وهُو فارغٌ مِن اطاعة المَريض وتَعَصّيه فكذالك النُّفوس فى هذا العالم بمنزلة المَرضىٰ والأرض دار المَرضَ والأنبياء هم الاطّباء المَبعوثون من قبل الله فمنهم من اطاع ومنهم من عَصىٰ والله بَرئ من المُشركين ورسوله، قل الحقّ من ربّك فمن شاءَ فليؤمن ومن شاءَ فليكفر، ثمّ انّ اللّذات اِلاخُرَويّة ليست مِن مقولة لذّات الدّنيا وآلآمها حتّى يكون لذّاتها دفع الآلام كما فى الدّنيا فانّ هذه اللّذات الدّنيوية كلّها انفعالات لِلنَّفس بما يَردُ عَليها من الخارج ويوثّر فيها بخلاف اللّذات الأخروَية فانّها ابتهاجات لِلنَّفس بذاتها وبلوازمها وافعالها من حيث انّها افعالها ولمّا كان الفعل والأنفعال مَقُولتان مُختَلفتان لااشتراك لهما فى امرٍ ذاتيٍ هكذا اللّذة الفعلية غير اللّذة الأنفعالية فى الجِنس والحَدّ فلا مُجانسة بينهما فلا يقاس احدايها بالأخرى ففى الجَنّة جميع المَلاذ النَّفسانيّة على وجه الكمال رَزَقنا الله وايّاكم انشاءالله.

وامّا شُبهة اعادة المَعدُوم فانّها منتفية رأساً كما حقّق فى محلّه ضَرورة انّه لامَعدُوم حتّى يقال يُعاد او لايُعاد، بل الأنسان بحقيقته موجود وان كان بصُورته غير موجود فالأنقلاب فى الصُّورة والهيئة التّركيبية وهو غير المَعدُوم كما هو ظاهر وقد بَيّنا بقاء المادّة الاصلّية او النّفس الناطقة الأنسانية على اختلاف المسالك فيه وامّا انّ الأنسان وغيره من الموجودات صار مَعدوماً ثُمّ عاد فليس الأمر كذالك بالأجماع المركّب فافهم ولَنختم الكلام فى بحث المَعاد خَوفاً لِلأطالة فى الكلام وفيما ذكرناه كفاية لأُولى الالباب ولنَرجع الى شرح المَتن مُستعيناً بالله ومُتوكّلاً عليه فنقول.

▫ **قوله** عليه السلام: **حَتّىٰ اِذٰا تَصَرَّمَتِ الْأُمُور وَتَقَضَّتِ الدُّهُورِ ...**

اى لابدّ فى تحقق المعاد من تَصرُّم الأمور وذهابها وَ تَقضّى الدُّهور وانقضائها فانّه لايكون الّا بعد تعطيل امُور النّاس بموتهم وانقضاء العالم و خُلّوه عَمّا فيه .

▫ **قوله** عليه السلام: **وَاَزِفَ النُّشُورُ ...**

اى بعد اقتراب السّاعة وفى كلامه عليه السلام هذا اشارة الى قوله تعالى:﴿اَزِفَتِ الْاٰزِفَةُ﴾[1] لانّ كلّ ما هوآتٍ فهو قريب فى نفسه. قال الله تعالى:﴿اَقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَر﴾[2]

و : ﴿اقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[3]

و فى التّعبير بالنُّشور ايماء الى قوله تعالى : ﴿وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[4]

و : ﴿ثُمَّ اَماتَهُ فَاَقْبَرَهُ، ثُمَّ اِذا شاءَ اَنْشَرَهُ﴾[5]

و : ﴿فَأَحْيَيْنا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذالِكَ النُّشُورُ﴾[6]

و : ﴿وَكُلوا مِنْ رِزْقِهِ وَاِلَيْهِ النُشُورُ﴾[7]

و : ﴿لاٰيَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاٰ حَيٰاةً وَلاٰ نُشُوراً﴾[8]

و : ﴿بَلْ كانُوا لاٰ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾[9]

و : ﴿يَخْرُجُونَ فِى الْاَجْداثِ كَاَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[10]

و : ﴿اِنَ هِىَ اِلاّ مَوْتَتُنَا الْاُولىٰ وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[11] وغيرها من الآيات

▫ قوله عليه السلام: اَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرائِحِ الْقُبُورِ ...

اى اخرجَهم الله حينَ البَعث من ضرائح القُبور المَدفونين فيها فانّ القبر فى اللّغة مَقَّر الميّت سواء كان تُراباً او غير ذالك وفيه اشارة الى قوله تعالى.

حيث قال: ﴿اِذا بُعْثِرَ ما فِى الْقُبُورِ﴾[12]

و : ﴿وَما اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِنْ فِى الْقُبُورِ﴾[13]

▫ قوله عليه السلام: وَاَوْكارَ الطُّيُورِ وَاَوْجِرَةِ السِّباعِ وَمَطارِحِ الْمَهالِكِ ...

وفيه اشارة الى انّ القبر الواقع فى الأرض لاخُصُّوصية فيه بل لابدّ لِلميّت ان

١- النجم- ٥٧
٢- القمر- ١
٣- الانبياء- ١
٤- التكوير- ١٠
٥- العبس- ٢١/٢٢
٦- الفاطر- ٩
٧- الملک- ١٥
٨- الفرقان- ٣
٩- الفرقان- ٤٠
١٠- القمر- ٧
١١- الدخان- ٣٥
١٢- العاديات- ٩
١٣- الفاطر- ٢٢

يَخرُج من مَقَرّه سواء كان في القبر المُصطَلح او كان في اوكار الطّيور واوجرة السُّباع ومطارح المهالك كما اذا قتل في المعركة ففي جميع هذه المَوارد يُبعَث حيّاً وفي قوله عليه السلام: **وَاَوْكَارَ الطُّيُورِ وَاَوْجِرَةِ السُّبَاعِ**، اشارة الى ردّ الشبهة المَعرُوفة بالأكل والمأكُول وقد ذكرناها مع اَجوبتها.

▫ **قوله عليه السلام: سُرَاعاً اِلىٰ اَمْرِهِ، مُهْطَعِينَ اَلىٰ مَعَادِهِ ...**

اى يَخرجُون من القُبور وما كانوا فيه مُسرعين الى امره تعالى ـ وبحيبين دعوته من غير توقفٍ منهم ولا مَكثٍ وهذ الأسراع الى النّداء دليل على ضَعفهم وعَدم قُدرتهم وتَمكنّهم عن رَدّ الاجابة بل لابدّ لهم منها.

قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْاَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذٰالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾[1]

و: ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ سِرَاعاً**﴾[1]

واما قوله عليه السلام: **مُهْطَعِينَ اَلىٰ مَعَادِهِ**، اى غير مُماكثين والفرق بينه وبين قوله سُراعاً هو انّ المُهطع هو المُسرع الخائف وفيه اشارة الى انّ اجابة الدّعوة الى المعاد اَمرٌ فيه خوفٌ ورُعبٌ بخلاف الأجابة الى نفس الدّاعى فانّه لاخَوف فيه وهو ايضاً اشارة الى قوله ثم حيث قال فى كتابه: ﴿**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ اِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدَاثِ كَاَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِينَ اِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ**﴾[2]

▫ **قوله عليه السلام: رَعِيلاً صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً ...**

اى يَحشُرون جماعة بعد جماعة حالكونهم صامتين لايَتَكَلَّمُون بشيءٍ قائِمين لايُؤذن لهم بالقعود صَفوفاً اى صَفّاً صَفّاً وهو كناية عن كونهم بعد البَعث مُنظّمين لاأعوجاج ولأنحراف فيهم.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَرَضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفّاً**﴾[3]

و: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً**﴾[4] كما انّ قوله عليه السلام: **رَعِيلاً** اشارة الى

١- ق- ٤٤
٢- القمر- ٦/٧/٨
٣- الكهف- ٤٨
٤- النباء- ٣٨
ا- المعارج- ٤٣

قوله تعالى :يوم يُنفَخ فى الصُّور فتأتون افواجاً.

▫ **قوله عليه السلام: يَنفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدّاعِي ...**

والمقصود انّهم مع كثرتهم لايَخفى اَحَدٌ منهم عن ادراكه وعِلمِه ثم قال الله تعالى:﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاتَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ**﴾[1] والمراد بقوله عليه السلام: **يُسْمِعُهُمُ الدّاعِي** انّه لايخفى صوت الدّاعى عنهم مع كثرتهم ويَسمَع الصّوت آخرهم كما يَسمَعه اوّلهم واليه الاشارة بقوله تعالى.

حيث قال:﴿**يَوْمَ يُنادِي الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذالِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ**﴾[2]

▫ **قوله عليه السلام: عَلَيْهِمْ لبُوسُ الْاِسْتِكانَةِ وَضَرَعُ الْاِسْتِسْلامِ وَالذِّلَّةِ...**

اى على المبعوثين يوم الحَشر لبُوس الأستكانة، وهو كناية عن نهاية خُضُوعهم وخُشُوعهم فى ذالك اليوم.

قال الله تعالى:﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾[3]

و :﴿**كَاَنَّهُمْ اِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ، خاشِعَةً اَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذالِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوْعَدُونَ**﴾[4]

▫ **قوله عليه السلام: قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كاظِمَةً ...**

اشار فى هذه الكلمات الى اوصاف ذالك اليوم والّذى فيه من الخوف والرّعب وهى امور.

احدها قوله عليه السلام: **قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ،...**

اى الحيل الدُّنيوية الّتى كانوا متمسّكين بها فى دار الدّنيا لِلنّيل الى مقاصدهم من التّوسّلات والتّشبّثات الى الدّرهم والدّنيا رأو الافراد وغيرها من الأمور فهذه كلّها منتفيةٌ هناك يومَ لايَنفَع فيه مالٌ ولابَنون الّا من اتى الله بقلبٍ سليم.

١- الحاقه- ١٨
٢- ق- ٤١/٤٢
٣- طه- ١١١
٤- المعارج- ٤٣

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ**،...

اى فى ذالك اليوم الآمال منقطعة واللاّم فى قوله (الأمل) لِلجنس فيشمُل الآمال كلّها وانّما قال عليه السلام ذالك لانّ الأنسان فى الدّنيا له آمال لامُحالة مادام باقياً فيها وليس كذالك يوم البَعث وهو ظاهر.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً**...

قال الله تعالى فى كتابه: ﴿**لَايَرْتَدُّ إِلَيهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[1] والمقصود انّ النّاس يوم البعث قلوبهم خالية من كلّ شىء او من كلّ سُرورٍ وطَمَعٍ فى الخير لشدّة مايَرَون من الأهوال هكذا قيل فى شرح العبارة.

قال فى المُنجد، هَوَت تهوى هُوياً، الطَّعنة فتحت فاها، العقاب، والأفئدة جمع فُؤاد وهو القَلب والكاظمة، الكَظَم، مَخرَج النَّفسَ، والكظُوم اجتباس النَّفس تاله الرّاغب فى المفردات.

وعليه فلا يبعد ان يكون معنى العبارة انّ فى ذالك اليوم تُحَبس الأنفاس وتَسقُط الافئدة وهو كناية عن شدّة هَول المطلع والى هذا المعنى اشير فى الكتاب الالهى حيث قال. ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ**﴾[2]

و : ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ**﴾[3]

ورابعها قوله عليه السلام: **وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيمِنَةً**، ...

و : ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً**﴾[4] قال بعض المفسّرين فى تفسير الاية اى خَضَعت الأصوات بالسّكُون لِعَظمة الرَّحمن والهَمى هو صوت الأقدام وقوله عليه السلام: **مُهَيْمِنَةً** اى ذات هيمنةٍ وخِفاء.

خامسها وسادسها قوله عليه السلام: **وَالْجَمَ الْعَرَقُ وَعَظُمَ الشَّفَقُ** ...

اى بلغ افواههم والأشقاق هو البياض بعد كونه اسوداً والغرض انّ ابدانهم تَبَيَض من شدّة الخوف بعد ما كانو مُتَّصفين بالسَّواد.

١- ابراهيم- ٤٣
٢- الاحزاب- ١٠
٣- الغافر- ١٨
٤- طه- ١٠٨

سابعها: قوله عليه السلام: **وَاُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَىٰ فَصْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ ،وَنَوَالِ الثَّوَابِ...** والأسماع جمع سَمع، اى اَخذتها الرَّعدة والوَحشَة والأضطراب من زَجر الدّاعى وهَيبة صوته، فيقال ايتها العِظام البالية والأوصال المُنقَطعة واللحوم المُتمزقّة قُومى لفصل القضاء ومقايضة الجزاء اى مبادلتها ومعاوضتها، ونكال العقاب بما كَسَبت اَيديهم فى الدّنيا، ونوال الثواب اى عطاياه قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[1] و خلاصة الكلام فى هذا الفصل من الخطبة الشّريفة هو بيان المعاد والآثار المترتبة عليه من الثّواب والعقاب لِيهلك من هَلَك عن بنّيتةٍ ويحيىٰ من حَيَّ عن بنّيتةٍ. ونحن بفضل الله تعالى واحسانه قد تَكلّمنا فى المَعاد واجبنا عن بعض الشُّبهات الواردة فيه حَسَب ما اقتضاه المقام مراعياً للأختصار ونَرجُوا مِنهُ تعالى ان يُوفّقنا لأتمام هذا الكتاب ذُخراً لِيَوم المعاد والحَمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وآله الطّاهرين.

«ومن هذه الخطبة»

▫ **قوله عليه السلام عِبَادٌ مَّخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً، وَمُضَمَّنُونَ اجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ اَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً، قَدْ اُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيبِ ،وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، وَ رَوِيَّةِ الْأِرْتِيَادِ، وَاَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ، فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ، فَيَالَهَا اَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَّوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَّاَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَّ اٰرَاءً عَازِمَةً، وَّاَلْبَاباً حَازِمَةً، فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَن**

١- الزلزله- ٧/٨

سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَأعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحاذَرَ فَبادَرَ، وَأيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَأعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ ،وَ زُجِّرَ فَازْ دَجَرَ، وَأجابَ فَأَنابَ، وَراجَعَ فَتابَ، وَاقْتَدىٰ فَاحْتَذىٰ، وَأُرِيَ فَرَاىٰ، فَأَسْرَعَ طالِباً، وَنَجا هارِباً، فَأَفادَ ذَخِيرَةً، وَأَطابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعاداً، وَاسْتَظْهَرَ زاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحالِ حاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ. فَاتَّقُواللهَ عِبادَاللهِ جِهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنهَ ما حَذَّرَكُم مِن نَّفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما أعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ ...

◁ اللّغة

(عِبادٌ) بكسر العين جمع عَبد (اقتِساراً) مصدر اقتَسَر وهو مأخوذ من القسر وهو القَهر، (احتِضاراً) يقال احتَضَر فلان اذا كان مُشرفاً على الموت وهو فى اصل اللّغة السَوق قيل سمّى به لحضور المَوت والمَلائكة المُوكّلين به اعاذنا الله منه (أجْداثاً) جمع جَدَث وهو القبر(رُفاتاً) بضمّ الرّاء ما تناثَرَ من كلّ شىء (اَلْمَنْهَجِ)الطّريق الواضح (سُدَفُ) بضَمّ السّين وفتح الدال جمع سُدفَة كغُرفة وغَرَف وهى الظّلمة (الرّيبِ) الشكّ (لِمِضْمارِ)المَضمار الموضع الّذى تضمر فيه الخيل (الرَّوِيَّةِ) الفِكر (الْإِرْتِيادِ) الطّلب (الأَنَاةِ) اسمٌ من التّانى (المُقْتَبِسِ) طالب العلم والنّار (صائِبَةً)يقال سَهمٌ صائب اذا لم يُحطى (حازِمَةً) الحَزم الاتقان (الْأقتراف) الأكتساب (حاذَرَ) اى خافَ (والباقى واضح.

◁ المعنى

بعد ما ذكر عليه السلام فى الفصل السّابق المعاد على ما مرّ تفصيله اردَف كلامه السّابق بهذا الفَصل وقال:

(عِبادٌ مَّخْلُوقُونَ) له تعالى (اقْتِداراً) لانّه تعالى خَلَقهم بِقدرته (وَّ مَرْبُوبُونَ) اى عبادٌ مَربُوبُون فانّ الله تعالى اذا كان ربّاً لَهُم كما قال الحمد للّه ربّ العالمين فلامحالة يكون العَبد مَربُوباً له تعالى (اقْتِساراً) اى المَربُوبيّته

لهم ليست باختيارٍ منهم بل العَبد مَربُوبٌ لامحالة بحكم الأضافة(وَمَقْبُوضُونَ) اى العباد (احتِضاراً) اى تقبض ارواحهم عند الأحتضار (وَمُضَمَّنُونَ) اى مَدفُونون (اَجْداثاً) اى فى القُبور (وَكائِنُونَ رُفاتاً،) اى ثابتون فيها حتّى صاروا رفاتاً بالأنتشار (وَمَبْعوثُونَ اَفْراداً) اى وَحيداً فَريداً (وَمَدِينُونَ جَزاءً،) اى يُعطون الجزاء ان خيراً فَخيراً وان شرّاً فشرّاً (وَمُمَيَّزُونَ حِساباً) اى تَتَميّزُون من جهة الحساب (قَدْ اُمْهِلُوا فِى طَلَبِ الْمَخْرَجِ) فى دار الدّنيا (وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ) اى هدو الى الطّريق الواضح ببَركة العقل وبعثة الأنبياء (وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ) اى عُمّرُوا فى الدّنيا واُمهلوا فيها لطلب رضا الله تعالى (وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ) اى العباد (سُدَفُ الرِّيبِ) بأزالة ظُلمات الشُكوك والشُبهات عنهم (وَخُلُّوا لِمِضْمارِ الْجِيادِ) اى تركهم الله فى الدّنيا لِيَستّعد والسبّاق الى الاخرة (وَرَوِيَّةِ الْاِرْتِيادِ) اى التفكر فى طلب الحَقّ (فِى مُدَّةِ الْأَجَلِ،) فى الدّنيا (وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ) الّذى قُدّر فى حقّهم (فَيالَهَا اَمْثالاً صائِبَةً، وَمَواعِظَ شافِيَةً) خاليةً عن الخَطاء (لَوْ صادَفَتْ)، تلك المواعظ (قُلُوباً زاكِيَةً،) طاهرة (وَّاَسْماعاً واعِيَةً) اى حافظة (وَّ اٰراءً عازِمَةً) قاصدةً على الرّشد (وَّاَلْباباً حازِمَةً) مُتقنة مُحكمة (فَاتَّقُوا اللهَ) مثل (تَقِيَّةَ مَن سَمِعَ) نِداء الله ودعوته (فَخَشَعَ) قلبه للّه(وَاقْتَرَفَ) الأثم والذّنب (فَأَعْتَرَفَ)بالتقصير (وَوَجِلَ) العُقبى (فَعَمِلَ وَحاذَرَ) العُقوبة(فَبادَرَ) المَثُوبة (وَايْقَنَ فَاحْسَنَ) عمله (وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ) بما فيه الأعتبار (وَحُذِّرَ فَحَذِرَ ،وَ زُجِّرَ) بالسّخط (فَازْ دَجَرَ) عن سُو عاقبة العَمل (وَاَجابَ) دَعوة الدّاع (فَاَنابَ) اِلىٰ ربّه بالتّوبة (وَراجَعَ) عَقله (فَتابَ) عمّا فَعله (وَاقْتَدىٰ)بالأنبياء والصُلحاء (فَأَحْتَذىٰ) اى فاتّبع عبادالله، (وَاُرِىَ) اى الآيات الالهيّة (فَرَأىٰ) اى رأى الحقيقة بعين الحس والايمان (فَاَسْرَعَ) الى الخيرات (طالِباً) لها (وَنَجاها رِباً) من الشّر (فَأَفادَ ذَخِيرَةً) ليوم المعاد (وَاَطابَ سَرِيرَةً) من الأرجاس (وَعَمَّرَ مَعاداً) بالأعمال الصّالحة (وَاسْتَظْهَرَ زاداً) من مكارم الخِصال (لِيَوْمِ رَحِيلِهِ) من الدّنيا (وَوَجْهِ سَبِيلِهِ)

الى الآخرة (وَحالِ حاجَتِهِ)، فى القيامة (وَمَوْطِنِ فاقَتِهِ) يوم الآخر (وَقَدَّمَ اَمامَهُ) التَّقوىٰ (لِدارِ مُقامِهِ) اعنى الآخرة (فَاتَّقُواللهَ عِبادَاللهِ جَهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ) من تَحصيل العِرفان واليقين (وَاحْذَرُوا مِنْهُ) اى حقّ الله تعالى (كُنهَ ما حَذَّرَكُم مِن نَّفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ) اى من الله تعالى (ما اَعَدَّ لَكُمْ) فى الآخرة (بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ) اذ هو تعالى اصدَق القائلين (وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ)، يوم البعث والحَشر.

الشّرح

اعلم انّ هذا الفصل من الخُطبة مشتمل على ذكر اوصاف النّاس وتنبيههم على ما لابدَ لهم من الأهوال يَوم البعث وبعده الى يوم القيامة وقد ذكر اوصافاً لَهُم.

احدها قوله عليه السلام: عِبادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِداراً...

وفيه اشارة الى انّ النّاس عبادٌ له تعالى مخلوقون له بقُدرته وحِكمته فانّ الله تعالى اذا كان خالقاً لهم كما ثَبَت فى بَحث التَوحيد مُفصّلاً فلا محالة يكون العَبد مَخلوقاً له قضاءً لحكم التَضايف ضروره انّ الخالق لايَصدُق بدون وجود المَخلوق كما انّ المخلوق لا يصدق بدون الخالق وانّما قال عليه السلام بقدرته لانّ هذا الخلق إنّما نَشَاء عن قدرته تعالى والباء فى بقدرته للسّببية.

ثمّ انّ القُدرة فيه تعالى عبارة عن المعنى الّذى يُوجد الشّىء مقتدراً بتقدير الأرادة والعلم واقعاً على وفقهما والقادر المُطلق هو الّذى يَخترع كلّ موجودٍ إختراعاً يتفرّد ويستغنى فيه عن معاونة غيره وهو الله تعالى فامّا العبد فله قدرةٌ فى الجُملة ولكنّها ناقصة اذ لايَتناوَل بعض المُمكنات ولا يصلح الأختراع.

قال الله تعالى:﴿وَكانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1]

و : ﴿وَكانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيراً﴾والآيات كثيره ومعنى القدرة فيه تعالى

١- الكهف- ٤٥

كونه بحيث ان شاء فَعَل وان لَم يَشاء لَم يَفعل لا اَنَّ القُدرة فيه تعالى صِّحة الفعل والترك كما عليه المُتكلّمون اذا لصحّة هـى الأمكـان وواجب الوجـود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات فَكَيف يؤخذ الأمكان فى تعريف قدرته تعالى.

وامّا الدّليل على كونه تعالى قادراً فهو انّه تعالى نُورٌ والفياضّية لازمة لها لانّ النُّور هو الظاهر بالذّات والمُظهر للغير وهذ النّور غير المَشّية والشُّعور كما ثَبت فى محلّه.

وامّا كون قدرته تعالى عامّة فلان المجعولّيته عامّة لجميع الممكنات لعموم ما هو مناطها وهو الأمكان.

وامّا انّ العباد مَخلوقون له تعالى فَهُو معلومٌ عقلاً ونقلاً.

امّا عقلاً: فقد مضى الكلام فيه فى المجلّد الاوّل.

وامّا نقلاً:قال اللّه تعالى :﴿**اَلرَّحْمٰنُ، عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ، خَلَقَ الْاِنْسٰانَ**﴾[1]

و : ﴿**خَلَقَ الْاِنْسٰانِ مِنْ صَلْصٰالٍ كَالْفَخّٰارِ**﴾[2]

و : ﴿**اَلاٰ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ**﴾[3]

و : ﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً**﴾[4]والآيات فى هذالباب كثيرة لانحتاج الى اطالة الكلام بذكرها.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَمَرْبُوبُونَ اقْتِساراً** ...

اى وعبادٌ مَربُوبُون، امّا كونهم مربوبون له تعالى فلانّه رَبٌّ والرَبّ لايصدق الّا بعد تَحقُّق المَربُوب كما قلنا فى الخالق والمخلوق وانّما اطلق عليه تعالى الرَّب لانّه يُربّى العباد قال الله تعالى : ﴿**اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمينَ**﴾واذا كان كذالك فلامحة يصير العبد مَربُوباً له وامّا انّ هذه المَربُوبيّة لهم بالاقتسار والقهر فلان العبد مَقهُورٌ له لامحالة كما انّ كلّ مَربُوبٍ مقهورٌ بالنّسبة الى ربّه والّا فالتربية

١- الرحمن- ١/٢/٣
٢- الرحمن- ١٤
٣- الملك- ١٤
٤- مريم- ٩

غير صادقة.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَمَقْبُوضُونَ اخْتِضاراً ...**

اى تقبض ارواحُهم فى حال الأحتضار والقابض هو مَلک المُوت بامر الله تعالى والعَبد مَقبُوضٌ له قال الله تعالى:﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ**﴾[1]

و : ﴿**اللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[2]والتعبير منه بالأحتضار امّا لاجل حضور الملائكة عند الميّت او لحضور الموت قال الله تعالى: ﴿**حتّى اذا حَضَر احدهم المَوت قال انّى تُبتُ الآنَ**﴾ الاية وقال اللّه تعالى : ﴿**شَهٰادَةُ بَيْنِكُمْ اِذا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ**﴾[3]

ورابعها قوله عليه السلام: **وَمُضَمَّنُونَ اَجْداثاً ...**

والمقصود انّهم يدخلون فى القُبور الّتى هى دار الوَحشة والوَحدة بحيث لايمُكن لهم الفرار منها فهم ساكنُون فيها الى يوم النُّشُور قال الله تعالى:﴿**وَاِذَ الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ**﴾[4]

و : ﴿**اَفَلا يَعْلَمُ اِذا بُعْثِرَ ما فِى الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ ما فِى الصُّدُورِ**﴾[5]

وخامسها قوله عليه السلام: **وَكائِنُونَ رُفاتاً ...**

الكائن هو الثّابت والمعنى انّهم ثابتون فى القُبور حالكونهم رفاتاً اى اجزاءً متفرقات وعظاماً باليات وهو كناية عن تَلاشى اجزائهم واعضائهم وقوله عليه السلام رُفاتاً مأخوذ عن قوله تعالى حيث قال فى كتابه: ﴿**وَقالُوا ءَاِذا كُنّا عِظاماً وَّ رُفاتاً ءَاِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾[6]

وسادسها قوله عليه السلام: **وَمَبْعُوثُونَ اَفْراداً ...**

اى يُبعَثُون فى القُبور لامال لَهم ولا وَلَد وهو اشارة الى قولم تعالى حيث قال:﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادىٰ كَما خَلَقْناكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَّ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَما نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اِنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ**

١- الزمر- ٦٧
٢- البقرة- ٢٤٥
٣- المائده- ١٠٦
٤- الانفطار- ٤
٥- العاديات- ٩/١٠
٦- الاسراء- ٤٩

مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1]

و : ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْداً﴾[2]

و : ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾[3]

وسابعها قوله عليه السلام: وَمَدِينُونَ جَزَاءً ...

وفيه اشارة الى انّ النّاس مَجزيّون باعمالهم ان خيراً فخيراً وان شَرّاً فشَرّاً قال الله تعالى فى كتابه:﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4]

و : ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5]

و : ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[6]

و : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[7]

و : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[8]

و : ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[9]

و : ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[10] وغيرها من الايات والتّعبير بقوله عليه السلام (مَدينون) اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله كما تُدين تُدان.

وثامنها قوله عليه السلام: وَمُمَيَّزُونَ حِساباً ...

اى حساب كلّ واحدٍ منهم مُتميّزٌ عن حساب الآخر شقّياً كان او سعيداً مؤمناً كان او كافراً وفيه اشارة الى قوله تعالى حيث قال:﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[11]

و : ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[12]

و : ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

١- الانعام- ٩٤
٢- مريم- ٩٥
٣- مريم- ٨٠
٤- الانعام- ١٦٠
٥- الجاثية- ١٤
٦- طه- ١٥
٧- الغافر- ١٧
٨- التحريم- ٧
٩- الاعراف- ١٤٧
١٠- الواقعه- ٢٤
١١- يس- ٥٩
١٢- الانفال- ٣٧

الطَّيِّبِ»[1] ثمّ انّه عليه السلام بعد ما ذكر لهم اوصافاً ثمانية فى تلك النَشأة اردفَها باوصاف لهم فى الدنيا فقال عليه السلام.

▫ قوله عليه السلام: قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ...

اى قد اَمهلَهم الله تعالى فى دار الدّنيا بطلب المَخرج والمَفرّ من الآلام الأُخرَوية اتماماً للحجّة لانّهم كانوا متمكنّين من الخُروج من الظُّلمات الى النُّور الّا انّهم قد غَفلوا وسامحوا فيه ولم يَتوجّهوا الى ما جاء به الكتاب والسّنة فلا جَرم وقعوا فيما وَقعوا ثمّ انّه عليه السلام قد عَبَّر فى المقام بالأمهال اقتباساً من قال اللّه تعالى :فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ اَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً»[2]

و : «وَ ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً»[3]

▫ قوله عليه السلام: وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ...

اى هداهم الله تعالى بِسَبَب العقول وبَعَث اليهم الأنبياء والرّسل لِيهتَدو بهم ولا شكّ انّ طريقهم طريق الحقّ وهو الصّراط المستقيم الموصل سالكه الى جنّة الفردوس وحظيرة القُدس ومقام القرب.

▫ قوله عليه السلام: وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ ...

اى عُمَرُّوا اهل الدّنيا او عباد الله والمقصود وهُم المكلّفون لاغيرهم من الموجودات اذ الثّواب والعقاب فرعٌ على وجود التكليف وثبوته والحاصل انّهم عُمَرُّوا فى الدّنيا وامهلوا فيها مَهل من يطلب رضائه للخُروج عن معصيته والدّخول فى طاعته.

▫ قوله عليه السلام: وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيبِ ...

وذالك بأزالة الشّكوك والشبهات عنهم ببركة العقول وبعث الأنبياء وانزال الكتب السّماوية فانّ العاقل اذا تأمّل فى ما جاء به النّبى من الاحكام والنّواميس الالهيّة فلا يبقى له شك فى كون الدّين حقّاً وهو ظاهر.

١- آل عمران- ١٧٩
٢- الطارق- ١٧
٣- المزمل- ١١

▫ قوله عليه السلام: وَخُلّوُا لِمِضْمارِ الْجِيادِ وَرَوِّيَةِ الْأَرْتِيادِ وَاَناةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتادِ ...

اى تركهم الله فى الدّنيا وامهلهم ليستعدّ والسبّاق الى الآخرة كما هو شأن الخيل فى المسابقات وفيه اشعار بانّ الدّنيا انّما وضعت لأجل السّباق الى عالم آخر كما هو كذالك قال صلى الله عليه وآله الدّنيا مزرعة الآخرة وقد مرّ منه عليه السلام نظير هذه العبارة فيما مضىٰ.

وامّا قوله عليه السلام: وَرَوِّيَةِ الْأَرْتِيادِ ففيه اشعار بانّ تفكّر الأنسان فى عجائب صُنعه او فى نفسه من احسن الامور قال صلى الله عليه وآله تَفكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سَنة وقد وردت به الآيات ايضاً.

قال اللّٰه تعالى:﴿اَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنىٰ وَفُرادىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾(١)

و : ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)

و : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْاَعْمىٰ وَالْبَصِيرُ اَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)

و : ﴿اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فى اَنْفُسِهِمْ﴾(٤)

و : ﴿وَاَنْزَلْنا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٥)

وامّا قوله عليه السلام: وَاَناةِ الْمُقْتَبِسِ الخ ففيه اشارة الى التّانى فى الأمور فانّ الأقتباس من الأنوار الملكوتة لايمكن بسُرعةٍ وعَجَلة بل لابدّ للمُقتبس منها من الرّياضة وتهذيب الباطن ليتسعّد القلب لِلاستضائة من الأنوار وهذا هو العلّة الغائية لجعل الأحكام الشّرعية فافهم.

▫ قوله عليه السلام: فِى مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ ...

اى الأستضائة بِنُور الحق تبارك و تعالى فى مدّة الأجل الّتى عَيّنَها الله تعالى لهم وقَدّرها فى حقّهم اذ لولا ذالك لكان من قبيل التكلّيف بما لايُطاق وهو قبيحٌ عقلاً.

١- السباء- ٤٦
٢- البقرة- ٢١٩
٣- الانعام- ٥٠
٤- الروم- ٨
٥- النحل- ٤٤

▫ قوله عليه السلام: فَيالَهَا اَمْثالاً صائِبَةٍ وَمَواعِظَ شافِيَةً ...

والغرض انّ الله تعالى قد مَثَّل لَهُم بامثلة مطابقةٍ للواقع ووعَظَهم بمواعظ شافية لِمرض جَهلهم وغَيِّهم بحيث لو كانو متوجّهين الى هذه الأمثلة والمواعظ ونظر وا اليها بعين الدِّقة والأعتبار لاستفادُو ومنها حقّ الأستفاده والآيات ايضاً مُصرحة بها. قال اللّه تعالى:﴿وَلَقَدْ اَنْزَلْنا اِلَيْكُمْ اٰياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقينَ﴾(١)

و : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فى هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾(٢)

و : ﴿يا اَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَه﴾(٣)

و : ﴿اِنَّ اللهَ لايَسْتَحيى اَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما﴾(٤)

و : ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ لِلنّاسِ اَمْثالَهُمْ﴾(٥)

و : ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثالَ﴾(٦)

و : ﴿وَتِلْكَ الْاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها اِلَّا الْعالِمُونَ﴾(٧)

و : ﴿وَتِلْكَ الْاَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٨)و غيرها من الايات.

والآيات فى الثانى اعنى الموعظة ايضاً كثيرة.

قال اللّه تعالى:﴿هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَهُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقينَ﴾(٩)

و : ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقينَ﴾(١٠)

و : ﴿يا اَيُّهَا النّاسُ قَدْ جائَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ﴾(١١)

و : ﴿وَلَوْ اَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾(١٢)

و : ﴿ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾(١٣)

١- النور- ٣٤
٢- الاسراء- ٨٩
٣- الحج- ٧٣
٤- البقرة- ٢٦
٥- محمد- ٣
٦- الرعد- ١٧
٧- العنكبوت- ٤٣
٨- الحشر- ٢١
٩- آل عمران- ١٣٨
١٠- النور- ٣٤
١١- يونس- ٥٧
١٢- النساء- ٦٦
١٣- الطلاق- ٢

و : ﴿يَعِظُكُمُ اللّٰهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ اَبَداً اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]

و : ﴿اِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2] وغيرها من الآيات.

▫ **قوله عليه السلام: لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَاَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَآرَاءً عَازِمَةً وَاَلْبَاباً حَازِمَةً...**

عَلّق ما ذَكره من كون الأمثال صائبة والمواعظ شافية، على امورٍ ومعنى التّعليق هو انّ الشرط متى وُجد وُجد المشرُوط والّا فلا فوجود المشرُوط يدُور مدار وجود الشّرط وعدمه كذالك.

احدها: مصادفة الأمثال والمواعظ قُلُوباً زاكيةً طاهرة فانّ القلب اذا لم يكن طاهرة من الأرجاس والخبائث من التّعصُب والحَسد والبُخل والشِّرك وغيرها فلا اثر للأمثال والمواعظ فيه لانّ شرط تأثير المُوثّر هو قابلية المَحَلّ فاذا لم يكن لِلمحلّ قابليّة التّاثر فكيف يتاثّر وينفعل به.

وثانيها: مصادفتها للأسماع الواعية القابلة لحفظ النصيحة والدّليل العقلى عليه ما ذكرناه.

وثالثها: مصادفتها للآراء العازمة القاصدة على الرّشد والسّداد اذ لو لم يكن قاصداً له لانفع لها.

ورابعها: مصادفتها البابأً حازمة كذالك بدليل ما ذكرناه وقد دلّت الآيات عليها ايضاً.

امّا الايات الدالة **على الاوّل:**

قال اللّه تعالى: ﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ اَمْ عَلٰى قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا﴾

و : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[3]

و : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾[4]

و : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ﴾[5]

١- النور- ١٧
٢- النساء- ٥٨
٣- الاعراف- ١٧٩
٤- البقرة- ٧٤
٥- البقرة- ٨٨

و : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾[1]

و : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ﴾[2]

و : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾[3]

و : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[4]

و : ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾[5]

و : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[6]

ومن الثانى:

و : ﴿وَّ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾[7]

و : ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَسْمَعُونَ﴾[8]

و : ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[9]

و : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[10]

و : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَايَسْمَعُونَ﴾[11]

و : ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[12]

و : ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا﴾[13]

و : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ لَايَسْمَعُونَ﴾[14]

و : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[15]

و : ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَايَسْمَعُوا﴾[16]

ومن الثالث:

١- البقرة- ١٠
٢- آل عمران- ٧
٣- الفصلت- ٥
٤- التوبة- ١٢٥
٥- المؤمنون- ٦٣
٦- الزمر- ٢٢
٧- الاسراء- ٤٦
٨- الاعراف- ١٠٠
٩- البقرة- ٧
١٠- البقرة- ٩٣
١١- الانفال- ٢١
١٢- القصص- ٧١
١٣- الاعراف- ١٧٩
١٤- الانبياء- ١٠٠
١٥- الفرقان- ٤٤
١٦- الاعراف- ١٩٨

و : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(١)

و : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢)

و : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٣)

و : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾(٤)

و : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٥)

و : ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾(٦)

ومن الرّابع:

و : ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٧)

و : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٨)

و : ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٩)

و : ﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(١٠)

و : ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١١)

و : ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١٢)

و : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(١٣)

و : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(١٤)

و : ﴿كَذَالِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١٥) والآيات فيها كثيرة.

وقد تحصّل مما ذكرناه من الآيات انّ الأمثال والمواعظ المَوجُودة فى القران انما تَنتفع لمن كان له تَدَبّرٌ وفكرٌ صحيح وامّا من لايكون كذالك فلا يَنتفع بها ولأجل هذه الدقيقة قال عليه السلام لَو صادفت الخ والسّر فيه ماذكرناه من

١- آل عمران- ١٨٦
٢- اللقمان- ١٧
٣- الشورى- ٤٣
٤- طه- ١١٥
٥- آل عمران- ١٥٩
٦- محمد- ٢١
٧- الحديد- ١٧
٨- الزخرف- ٣
٩- المائده- ٥٨
١٠- البقرة- ١٧١
١١- الرعد- ٤
١٢- النحل- ٦٧
١٣- الحج- ٤٦
١٤- العنكبوت- ٦٣
١٥- الروم- ٢٨

كون القابلية شرطاً فى تأثير الموثّر فى المتاثّر فافهم.

▫ **قوله** عليه السلام: **فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَن سَمِعَ فَخَشَعَ، ...**

الفاء لِلتّفريع اى اذا كان الأمر على هذا المِنوال من انّكُم مَخلوقون له تعالى خَلقكُم الله ثُم يُميتكم ثُم يُحييكم لِلحساب وضَرب لكم الأمثال والمواعظ لتَعتبروُ بها فاتّقو الله مثل تَقيّة مَن سَمع الحقّ فَخشع له لامثل من سَمع من غير خُشوع وخُضُوع. قال الله تعالى:﴿**اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**﴾(١)

و : ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾(٢)

و : ﴿**لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَاَيْتَه خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾(٣)

و : ﴿**وَاِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ اِلاّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾(٤)

و : ﴿**وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ**﴾(٥)

و : ﴿**خَاشِعَةً اَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾(٦)

و : ﴿**وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ**﴾(٧)

و : ﴿**قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَهُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾(٨)و غيرها من الآيات.

فالغرض الأصلى من تلاوة القرآن هو التّدبّر فيه ومعلومٌ انّ التّدبُر يوُجب الخُضوع والخشوع وانّما قال عليه السلام: **فَاتّقُوا الله** لانّ الخُشُوع لايَحصُل لغير المُتّقى لعدم القابلية.

▫ **قوله** عليه السلام: **وَاقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ، ...**

والواو للعطف اى فاتّقوا الله تقية مَن خَشع وتَقّية من اَقتَرفَ اى اكَتسب فاعتَرف بذَنبه وفى قوله عليه السلام: **اقْتَرَفَ** اشارة الى . قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْلَه فِيهَا حُسْناً**﴾(٩)

١- الحديد- ١٦
٢- الاسراء- ١٠٩
٣- الحشر- ٢١
٤- البقرة- ٤٥
٥- الشورى- ٤٥
٦- القلم- ٤٣
٧- الاحزاب- ٣٥
٨- المؤمنون- ٢
٩- الشورى- ٢٣

و : ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾(١)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾(٢)

و : ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾(٣)

وفى قوله عليه السلام: فاعتَرَف اشارة الى قوله تعالى:﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ﴾(٤)

و : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾(٥)

و : ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٦)

▫ قوله عليه السلام: وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحاذَرَ فَبادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَأَعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ ،وَ زُجِّرَ فَازْ دَجَرَ، وَأَجابَ فَأَنابَ، وَراجَعَ فَتابَ، وَاقْتَدىٰ فَاحْتَذىٰ، وَأُرِيَ فَرَاىٰ، ...

وَجَل اى خاف او استشعر به والمعنى وَجَل من عَواقب اَعماله فَعمِل عملاً صالحاً حتّى لايعاقب عليه. قال اللّٰه تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٧)

و : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾(٨)

و : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾(٩)و امّا الايات فى الحثّ على العَمل فكثيرة قد مرّ شطراً منها فى الأبحاث السابقة ولكثرة وضوحها لانحتاج الى ذكرها فى المقام والفاء فى قوله عليه السلام: فَعَمِلَ الظّاهر انّها للتفريع لانّ العمل الصّالح فرعٌ على الخوف من الأعمال السّيئة الّتى عواقبها وخَيمة خَطيرة وامّا غير الخائف فلا.

▫ قوله عليه السلام: وَحاذَرَ فَبادَرَ،...

اعلم: انّ بعض من شرح كلامه عليه السلام كالخُوئى وغيره على ما يَظهر من

١-الانعام- ١١٣
٢-الانعام- ١٢٠
٣-التوبة- ٢٤
٤-الغافر- ١١
٥-التوبة- ١٠٢
٦-الملک- ١١
٧-الانفال- ٢
٨-الحج- ٣٥
٩-المؤمنون- ٦٠

كلامهم ذَهَبو الى انّ قوله عليه السلام: **حاذَرَ**، من الحَذر وهو عبارة اخرى للخَوف ولذا قال فى شرحه (**حاذر**) اى العُقُوبة (**فبادر**) اى المَثُوبة، والحقّ ان الامر ليس كذالك والاّ فما الفرق بينَه وبَين قوله (وجَل، فى الجُملة السابقة.

والّذى يظهر من كلام اهل اللّغة انّ، حاذر معناه استعدّ وتَهَيّاء وهذا اوفق بسياق العبارة وعليه فالمعنى استعد للموت فبادَر الى الأعمال الحَسَنة فانّ المبادرة الى العَمَل الصّالح فرع الأستعداد والتّهياء للمَوت الاترى انّ الغافل لايُبادر الى الحَسَنات والمُبادرة المُسابقة. قال اللّه تعالى:﴿**وَاِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ**﴾[1]

و : ﴿**وَسارِعُوا اِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[2]

و : ﴿**وَيُسارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَاُولٰئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾[3]

و : ﴿**اِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً**﴾[4]

و : ﴿**اُولٰئِكَ يُسارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ**﴾[5]

وامّا على ما سَلكُوه من كونه من الحَذر اِن وافقته اللّغة فالآيات فيه كثيرة. قال اللّه تعالى:﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ**﴾[6]

و : ﴿**وَاَطيعُوا اللهَ وَاَطيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوه**﴾[7]

و : ﴿**وَ يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَه وَاللهُ رَؤوفٌ بِالْعِبادِ**﴾[8]و غيرها من الايات وما ذكرناه اَولىٰ.

قوله عليه السلام: **وَاَيْقَنَ فَأَحْسَنَ**، قالوا واَيقَن، اَجلَه، فأحَسن، عَملَه. والأحسن فى المقام ان نحمل اليقين على اليقين بالجَزاء اذ هو يوجب العَمَل الصّالح لامجرّد اليقين بالمَوت والأجل اذ يَمكن ان يكُون مُوقناً بالأجل ولا يكون مُوقناً بالجزاء بعد المَوت فان اليقين بالأجل غَير اليَقين بالجَزاء ولا شك انّ المُوجب

١- الشعراء- ٥٦
٢- آل عمران- ١٣٣
٣- آل مران- ١١٤
٤- الانبياء- ٩٠
٥- المؤمنون- ٦١
٦- النور- ٦٣
٧- المائده- ٩٢
٨- آل عمران- ٣٠

لِلعَمَل الصّالح هو الثّانی لاغیر وعلی ایّ التقادیر لاشك انّ الأتیان بالأعمال الحَسَنة فَرع الیَقین بالموت والحساب بعده والآیات مصّرحة به ایضاً. قال اللّٰه تعالی:﴿تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْاٰيٰاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(۱)

و : ﴿وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(۲)

و : ﴿اَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا لاٰيُوقِنُونَ﴾(۳)

و : ﴿هٰذٰا بَصٰائِرُ لِلنّٰاسِ وَهُدىً وَّرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُّوقِنُونَ﴾(۴)

و : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمٰا يَبُثُّ مِنْ دٰابَّةٍ اٰيٰاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(۵)

و : ﴿قٰالَ رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا اِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ا

والایات فی الأحسان ایضاً کثیرة. قال اللّٰه تعالی:﴿وَاَحْسِنُوا اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(۶)

و : ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ﴾(۷)

و : ﴿لِّلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَزِيٰادَةٌ﴾ا

و : ﴿وَمَنْ يَّقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْلَه فِيهٰا حُسْناً﴾(۸)

و : ﴿اِنْ اَحْسَنْتُمْ اَحْسَنْتُمْ لِاَنْفُسِكُمْ﴾(۹)

و : ﴿مَااتَّقَوْا وَّاحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(۱۰)

ثمّ انّ للیقین مراتب قد تَعرضّنا لذکرها فیما فضیٰ ان شئتَ فراجعه.

قوله علیه السلام: وَعُبِّرَ فَأَعْتَبَرَ، ای عَبَّرَ بما فیه وعظٌ وعَبرة، فَاعتَبر، بما رآه فَحَصل له الاتّعاظ والأنزجار. قال اللّٰه تعالی:﴿فَاعْتَبِرُوا يٰا اُولِي الْاَبْصٰارِ﴾(۱۱)

و : ﴿لَقَدْ كٰانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّاُولِي الْاَلْبٰابِ﴾(۱۲)

۱- البقرة- ۱۱۸
۲- المائده- ۵۰
۳- النمل- ۸۲
۴- الجاثیة- ۲۰
ا- الشعراء- ۲۴
۵- الجاثیة- ۴
۶- البقرة- ۱۹۵
۷- النجم- ۳۱
۸- الشوری- ۲۳
ا- یونس- ۲۶
۹- الاسراء- ۷
۱۰- المائده- ۹۳
۱۱- الحشر- ۲
۱۲- یوسف- ۱۱۱

و : ﴿وَاِنَّ لَكُمْ فِى الْاَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾(۱)

و : ﴿اِنَّ فِي ذٰالِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَّخْشٰى﴾(۲)

و : ﴿يُقَلِّبُ اللهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اِنَّ فِي ذٰالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْاَبْصارِ﴾(۳) وقد مرّ الكلام فيه مفصلاً.

قوله ﷺ: وَحُذِّرَ فَحَذِرَ ،وَ زُجِّرَ فَازْدَجَرَ، اى تحرّز من سُوء عمله فمنع النّفس عن الأقتحام فيه وقد دلّت الآيات عليه . قال اللّه تعالى:﴿وَلَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْاَنْبَاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾(۴)

و : ﴿فَالزّٰاجِرٰاتِ زَجْراً﴾(۵)

وامّا الآيات الواردة فى الحَذر فقد مرّت والى هذه المعنى يشير قال اللّه تعالى:﴿وَاَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ﴾(۶)

قوله ﷺ: وَاَجٰابَ فَأَنٰابَ، اى اَجاب دَعوَة الحقّ وانـاب اليـه، وقـد دلّت الآيات عليه ايضاً. قال اللّه تعالى:﴿يٰا قَوْمَنٰا اَجِيبُوا دٰاعِيَ اللهِ وَاٰمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ﴾(۷)

و : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مٰاذٰا اُجِبْتُمْ﴾(۸)

و : ﴿وَمَنْ لاٰيُجِبْ دٰاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْاَرْضِ﴾(۹)

و : ﴿وَاِذٰا سَئَلَكَ عِبٰادِي عَنِّي فَاِنِّي قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ﴾(۱۰)

و : ﴿اَلَّذِينَ اسْتَجٰابُوا لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مٰا اَصٰابَهُمُ الْقَرْحُ﴾(۱۱)

و : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنىٰ﴾(۱۲)

و : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمْ وَ اَقٰامُوا الصَّلٰوةَ﴾(۱۳)

۱- المؤمنون- ۲۱
۲- النازعات- ۲۶
۳- النور- ۲۴
۴- القمر- ۴
۵- الصافات- ۲
۶- النازعات- ۴۰/۴۱
۷- الاحقاف- ۳۱
۸- المائده- ۱۰۹
۹- الاحقاف- ۳۲
۱۰- البقرة- ۱۸۶
۱۱- آل عمران- ۱۷۲
۱۲- الرعد- ۱۸
۱۳- الشورى- ۳۸

و : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١)

و : ﴿ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٢)

و : ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٣)

و : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾(٤)

و : ﴿تَبْصِرَةً وَّ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾(٥)

و : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسِ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾(٦)

و : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾(٧)

اعلم: انّ الانابة غير التّوبة لانّ التّوبة رجُوعٌ عن المخالفة الى الموافقة، والأنابة هى الرّجُوع الى الله فهى اعلى منها والأنابة على اقسام.

أحدُها: الرّجُوع الى الحقّ اصلاحاً كما رَجَع اليه اعتذاراً.

وثانيها: الرّجُوع اليه وفاءً كما رَجَع اليه عهداً.

ثالثها : والرّجُوع اليه حالاً كما رَجَع اليه إجابةً.

والاوّل : يَحُصل بثلاثة اشياء بالخروج عن التّبَعَات، والتّوجُع لِلعَثرات، واستدراك الفائِتات.

والثانى: ايضاً بثلاثة، بالخلاص من لَذّة الذّنب، وتَرك استهانة اهل الغَفلة، والأستقصاء فى روّيّة علل الخدمة.

والثالث: ايضاً بثلاثة بالأيأس مِن عَمَلك، وبمعاينة اضطرارك، وَيشَم بَرق لُطفه بِك، ولكلّ هذه المَراتب تَفصيلات مذكورة فى مَحَلّه فافهم.

قوله عليه السلام: **وَرَاجَعَ فَتَابَ،** قالُوا اى راجَعَ عَقله فتاب عَمّا فَرطَ وقَصَّر.

والظّاهر انّ المراد من هذا الكلام هو الرّجُوع عمّا فعله من المعاصى والتّوبة منها وانّ كُلّ ما ذكروه ايضاً لاينافى ما ذكرناه لانّ الرّجُوع عمّا فَعَله لايمكن

١- هود- ٨٨
٢- الشورى- ١٠
٣- الممتحنه- ٤
٤- الزمر- ٥٤
٥- ق- ٨
٦- الروم- ٣٣
٧- هود- ٧٥

بدون التَفكُّر والرّجوع الى العقل والأمر سَهلٌ بعد وضوح المراد والآيات فى التّوبة كثيرة ونحن قد تكلّمنا فى معنى التّوبة وانّها عبارة عن الرّجُوع الى الله وذكرنا بعض الآيات الواردة فيها وحيث انّ الحوالة توجب الملالة فينشر الى بعضٍ آخر منها. قال اللّه تعالى:﴿اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾(١)

و : ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا اِنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾(٢)

و : ﴿فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَاَصْلَحَ فَاِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾(٣)و غيرها من الآيات.

قوله عليه السلام: وَاقْتَدىٰ فَاحْتَذىٰ، اى واقتدى بالأنبياء والصُّلحاء واحتذىٰ، اى نحذو حَذوهُم فى الخَيرات. قال اللّه تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٤)

و : ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي اِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَه﴾(٥)

و : ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ﴾(٦)

وفى قوله عليه السلام: راجِعَ فَتابَ، وَاقْتَدىٰ فَاحْتَذىٰ، وَاُرِىَ فَرَاىٰ،وَاحْتَذىٰ اشارة الى انّ الأقتداء بهم يلزم العَمل فان الأحتذاء هو المطابقة فى العَمَل.

قوله عليه السلام: وَاُرِىَ فَرَاىٰ، قالو اى اَرى الآيات فى الآفاق والأنفس فَرَآى الحَقيقة بعيان الحسّ.

اقول : لايبعد ان يكون مراده عليه السلام انّ من اَرى الآيات التّكوينة والتّدوينية الالٰهية فَهُو يَرى بعين البَصيرة الأشياء على ما هى عليه.

▫ قوله عليه السلام: فَأَسْرَعَ طالِباً، وَنَجا هارِباً، ...

اى فَأسرَعَ الى الخَيرات طالباً لَها ونَجى من الشُّرورها رباً عنها والآيات دالّة عليها.

اما الاول:

١- التوبة- ١٠٤
٢- التوبة- ١١٨
٣- المائده- ٢٩
٤- الاحزاب- ٢١
٥- الممتحنه- ٤
٦- الممتحنه- ٦

قال اللّٰه تعالى:﴿وَيُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصّٰالِحِينَ﴾ (١)

و : ﴿أُولٰئِكَ يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَهُمْ لَهٰا سٰابِقُونَ﴾(٢)

و : ﴿وَسٰارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٣)

و : ﴿إِنَّهُمْ كٰانُوا يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَيَدْعُونَنٰا رَغَباً وَرَهَباً﴾(٤)

ومن الثانى:

و : ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي نَجّٰانٰا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ﴾(٥)

و : ﴿لاٰتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ﴾(٦)

و : ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكٰانُوا يَتَّقُونَ﴾(٧)

و : ﴿وَنَجَّيْنٰاهُمْ مِنْ عَذٰابٍ غَلِيظٍ﴾(٨)

و : ﴿وَنَجَّيْنٰاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كٰانَتْ تَعْمَلُ الْخَبٰائِثَ﴾(٩)و لا شك انّ الأسراع الى الخيرات بعد النّجاة عن الهَلكات فَمَن اَسرَع اليها لامحالة نجى.

▫ **قوله عليه السلام: فَأَفٰادَ ذَخِيرَةً، وَأَطٰابَ سَرِيرَةً،...**

اى فاناد ذخيرةً ليوم المعاد بسبب الأعمال الصالحة واطاب سَريرةً من الخبائث والأرجاس القلبية من البخل والحَسَد والكبر وامثالها ممّا يبخس القلب بل يُميته.

▫ **قوله عليه السلام: وَعَمَّرَ مَعٰاداً، وَاسْتَظْهَرَ زٰاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحٰالِ حٰاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فٰاقَتِهِ، ...**

اى وعَمَّر معاداً، بالأعمال الحَسَنة الّتى اَتى بها فى الدّنيا خالصاً لوجه الله، واستَظهر زاداً ليوم رَحيله.

اى يوم رحيله من الدّنيا الى الآخرة وهو كناية عن يوم مَوته، ووَجه سَبيله، الى الآخرة، وحال حاجته، فى يَومٍ لايَنفَع فيه مالٌ ولا بَنُون الّا من اتى الله بقَلبٍ

١- آل عمران- ١١٤
٢- المؤمنون- ٦١
٣- آل عمران- ١٣٣
٤- الانبياء- ٩٠
٥- المؤمنون- ٢٨
٦- القصص- ٢٥
٧- الفصلت- ١٨
٨- هود- ٥٨
٩- الانبياء ٧٤

سَليم، ومواطن فاقته فی مراتب القيامة او مُطلقَ عالم الاخرة من مَوطن القَبر وعالم البَرزخ والصّراط والميزان وغيرها من المواطن.

- **قوله عليه السلام: وَقَدَّمَ اَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ ...**

اى وقدّمَ امامه لِنفسه ما يَنفَعُه من الأعمال، ليكون ما قَدَّمه نافعاً لِدار مقامه فی الآخرة، وفيه اشارة الى انّ العبد يجب ان يَعمل لآخرته فی دنياه فانّ اليوم عملٌ ولا حِسابٌ وغداً حِسابٌ ولا عَمَل

- **قوله عليه السلام: فَاتَّقُواللهَ عِبادَاللهِ جَهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَروُا مِنْهُ كُنهَ ما حَذَّرَكُم مِن نَّفْسِهِ، ...**

اى فاتّقوا الله فی جِهةَ خَلقِكُم له، وهی الأتيان بما اَمرَ الله به والتّرك عما نهى الله عنه قال الله تعالى:﴿**وما خلقتُ الجنّ والأنس الّا ليَعبدُون**﴾ اى لِيعرفُون ولازم العِرفان ما ذكرناه.

واحَذروا منه‌اى مِن الله كُما حذَّركم من نفسه قال اللّٰه تعالى:﴿**فَلْيَحْذَرِ ﴿الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمرِهِ اَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ**﴾(۱)

- **قوله عليه السلام: وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما اَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ ...**

اى واستَحقُّوا منه تعالى ما اَعَدَّ لكُم من الجنّة والرّضوان ومقام القُرب، بالتّنجز لصِدق ميعاده تعالى بما وعَدالله المُتقين والحَذر من هَول معاده وخَوف بَعثه.

وفيما ذكره عليه السلام اشارة الى انّ الله تعالى صادق الوَعد كما قال تعالى:﴿**وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللهِ قيلاً**﴾و حيث انّه وَعدَ الصّابرين والصالّحين من عباده الجَنّة ومقاماتها وخَوّفهم من يوم البَعث والحِساب فينبغی للعاقل من التّوجُّه الى عَمله حتّى لايقع فی العذاب ولايقول ربّ ارجعون لعَلّیَ اعمل صالِحاً فيما تركت، ولا يقال فی جوابه كلاّ انّها كَلمةٌ قائلها ومن المعلوم انّ علاج كلّ واقعة

۱-النور- ۶۳

قبل وقوعها لابعده، اللّهم وفقنا لما تُحبّ وترضى بحق مُحمّدٍ وآل والحمد لله رب العالمين آمين.

«و من هذه الخطبة»

▫ قوله عليه السلام وَجَعَلَ لَكُمْ اَسْماعاً لِتَعِيَ ماعَناها، وَاَبْصاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها، وَاَشْلاءً جامِعَةً لِاَعْضائِها، مُلائِمَةً لِاَحْنائِها، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِها، وَمُدَدِ عُمُرِها، بِاَبْدانٍ قائِمَةٍ بِاَرْفاقِها، وَقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِاَرْزاقِها فِي مُجَلِّلاتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِباتِ مِنَنِهِ، وَحَواجِزِ عافِيَتِهِ، وَقَدَّرَ لَكُمْ اَعْماراً سَتَرَها عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِن آثارِ الْماضِينَ قَبْلَكُمْ، مِن مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَناقِهِمْ، اَرْهَقَتْهُمُ الْمَنايا دُونَ الْآمالِ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْها تَخَرُّمُ الْآجالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلامَةِ الْأَبْدانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي اُنُفِ الْأَوانِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ اَهْلُ بَضاضَتِهِ الشَّبابِ اِلّا حَوانِيَ الْهَرَمِ؟ وَاَهْلُ غَضارَةِ الصِحَّةِ اِلّا نَوازِلَ السَّقَمِ؟ وَاَهْلُ مُدَّةِ الْبَقاءِ اِلّا اُونَةَ الْفَناءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيالِ، وَاُزُوفِ الْاِنْتِقالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَاَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفُّتِ الْاَسْتِغاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْاَقْرِباءِ، وَالْاَعِزَّةِ وَالْقُرَناءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْاَقارِبُ؟ اَوْ نَفَعَتِ النَّواحِبُ ؟وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْاَمْواتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوامُّ جِلْدَتَهُ، وَاَبْلَتِ النَّواهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَّتِ الْعَواصِفُ اثارَهُ، وَمَحَى الْحَدَثانِ مَعالِمَهُ، وَصارَتِ الْاَجْسادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِها، وَالْعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها، وَالْاَرْواحُ مُرْ تَهَنَةً، بِثِقْلِ اَعْبائِها، مُوقِنَةً بِغَيْبِ اَنْبائِها، لاتُسْتَزادُ مِن صالِحِ عَمَلِها، وَلا تُسْتَعْتَبُ مِن شَيءٍ زَلَلِها، اَوَلَسْتُمْ اَبْناءَ الْقَوْمِ وَالْآباءَ، وَاَخْوانَهُمْ وَالْاَقْرِباءَ؟ تَحْتَذُونَ اَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جادَّتَهُمْ، فَالْقُلُوبُ قاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها، لاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِها، سالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمارِها، كَاَنَّ الْمَعْنِيَّ سِواهُ! وَكَاَنَّ الرُّشْدَ فِي اِحْرازِ دُنْياها...

فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا! وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا...

اللغة

(**أَسْمَاعاً**) جمع سَمع (**لِّتَعِيَ مَاعَنَاهَا**) عناه الأمر أهمّه (**عَشَاهَا**) اى سوء البَصَر (**أَشْلَاءً**) جمع شَلو وهو الجَسَد (**أَحْنَائِهَا**) الحِنو بالكسر والفتح كلّ ما فيه إعوجاج كالعظم من الضِّلع (**أَرْفَاق**) جمع رِفق وهو النَّفع (**رَائِدَةٍ**) الرَائد الطَّالب (**حَوَاجِزِ**) جمع حاجز وهو المانع وحواجز عافيته ما يمنع المضّار ويدفِعها (**خِنَاقِهِمْ**) بكسر الخاء المُعجمة الحبل الّذى يُخنق به (**أَرْهَقَتْهُمْ**) الأرهاق الأعجال (**أُنُفِ**)أوّل الشّى او أشدّه (**بِيَضَاضَتِهِ الشَّبَابِ**) صفائه (**حَوَانِي**) جمع حانية وهى الّتى تُحنى ظَهر الشّيخ (**الهَرَمِ**)البُلوغ اقصى الكِبَر (**غَضَارَةِ**) غُضارة العيش طِيبه (**آوِنَةَ**) جَمع آوان كاز فنة جَمع زمان (**الزِّيَالِ**) بالكسر المُفارقة (**أُزُوفِ**) أزِفَ الرّجل اذادَنى (**عَلَزِ**) عَلَز المَريض اذا اخذته القَلق والأضطراب (**المَضَضِ**) بفتحين، وجَعَ المُصيبة (**غُصَصِ**)كصُرد جمع غُصَّة (**الجَرَضِ**) الغصّ (**تَلَفُّتِ**)الألتفات (**الحَفَدَةِ**) حَفَدة الرَّجُل اولاده (**النَّوَاحِبُ**)النّاحية الباكية أشدّ البكاء (**غُودِرَ**) تُرِكَ (**الهَوَامُّ**) جمع هامّة تبشديد الميم وهى المخوّف من حَشَرات الأرض كالحيَّة والعقرب (**النَّوَاهِكُ**) النّاهكة الغالبة(**الحَدَثَانِ**) حَدَثان الدّهر نَوائبه (**شَحِبَةً**) يقال شحب لونه اذا تغيّر من هزالٍ اوجُوعٍ او غير ذالك (**بَضَّتِهَا**) البَضَّة البضاضة (**نَخِرَةً**) البالية (**أَعْبَائِهَا**) اعباء جمع عِبء بالكَسِر وهو الحَمل والثِقل (**قِدَّتَهُمْ**) القِدة بكسر القاف الطّريقة (والباقى واضح.

المعنى

(**جَعَلَ**) الله تعالى (**لَكُمْ**) يا عباد الله (**أَسْمَاعاً لِّتَعِيَ**)الأسماع (**مَاعَنَاهَا**) وأَهَمَّها (**وَأَبْصَاراً**) اى جَعَل لكم أبصاراً (**لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا**)اى عشا الأبصار

وذالك بعد ما لم تكونو مبصرين (وَاَشْلاءً) اى جَسَداً (جٰامِعَةً لِّاَعْضٰائِهٰا) الظاهرة منها والباطنه (مُلاٰئِمَةً) تلك الأعضاء(لِّاَحْنٰائِهٰا) وما فيها من الأعوجاج (فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهٰا) اى جَعَل الأعضاء مناسبةً لِلجهات (وَمُدَدِ عُمُرِهٰا) اى جَعَل مدّة عمر كلّ واحدٍ من الأعضاء مُقارنةً موافقة لِمُدّة عمر الآخر بمعنى عدم فناء واحدٍ منها قبل الآخر (بِاَبْدٰانٍ قٰائِمَةٍ بِاَرْفٰاقِهٰا) اى بسبب خلق ابدانٍ لكم قائمة بمصالحها (وَقُلُوبٍ رٰائِدَةٍ لِاَرْزٰاقِهٰا) اى قلوب طالبةً لأرزاقها (مُجَلِّلاٰتِ نِعَمِهِ، مِنَنِهِ) اى جَعَل الله تعالى هذه المذكورات لكم فى مُجَلِّلاّت نعمه وقد مَنَّ الله تعالى بها عَليكُم (وَحَوٰاجِزِ عٰافِيَتِهِ) اى فى عافيةٍ تمنع عنكم المَضّار (وَقَدَّرَ) الله تعالى (لَكُمْ اَعْماراً سَتَرَهٰا عَنْكُمْ) وهُو ايضاً من النِعَم الآلهيّة اذ فى اظهار مدّة العُمر عَليهم مُفاسد(وَخَلَّفَ) الله تعالى (لَكُمْ عِبَراً مِن اٰثارِ الْماضِينَ) من القصص الموجودة فى القرآن والأخبار (قَبْلَكُمْ، مِن مُّسْتَمْتَعِ خَلاٰقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنٰاقِهِمْ،) اى جَعَل الله تعالى القصص والعِبَر من الَّذين كانوا قَبلكُم مِن استمتاعهم بخلاقهم وانتفائهم بحظُوظهم (اَرْهَقَتْهُمُ الْمَنٰايٰا) اى إختَرمهم المَوت (دُونَ الْآمٰالِ) اى قبل وصولهم الآمال (وَشَذَّبَهُمْ عَنْهٰا تَخَرُّمُ الْآجٰالِ،) المُقَرّرة لهم من غير تقديمٍ وتأخيرٍ (لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاٰمَةِ الْأَبْدٰانِ) اى لم يُهَيِئوُا فى حال صحّتهم ليوم المعاد (وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي اُنُفِ الْأَوٰانِ) اى فى اوّل الازمنة بالعَبر النّافعة (فَهَلْ يَنتَظِرُ اَهْلُ بَضٰاضَتِهِ الشَّبٰابِ اِلاّ حَوٰانِيَ الْهَرَمِ) والأستفهام لِلأنكار اى لاينتظر الشّاب الّا انحناء ظهره بالهَرم (وَاَهْلُ غَضٰارَةِ الصِحَّةِ اِلاّ نَوٰازِلَ السَّقَمِ) اى لاينتظر الصَّحيح الّا المَرَض (وَاَهْلُ مُدَّةِ الْبَقٰاءِ اِلاّ اٰونَةَ الْفَنٰاءِ) اى لاينتظر الحىّ الّا الموت (مَعَ قُرْبِ الزِّيٰالِ) والفراق (وَاُزُوفِ الْاِنْتِقٰالِ) وقُربه (وَعَلَزِ الْقَلَقِ) اى خِفّته وهلَعَه (وَاَلَمِ الْمَضَضِ) ووَجعه (وَغُصَصِ الْجَرَضِ) وشجاه (وَتَلَفُّتِ الْاَسْتِغٰاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْاَقْرِبٰاءِ، وَالْاَعِزَّةِ وَالْقُرَنٰاءِ) والمعنى انّه وان كان فى سَكَرات المَوت مُلتَفِتاً اليهم إلّا انّ هذا الألتفات لانَفع فيه فهو يَستغيثُهم

ويَستَنصرهم ولا يقدرُون على الأجابة (**فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ**) عند الموت (**أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاجِبُ**) اى الباكون عليه والجَواب (**لاَ**) (**وَقَدْ غُودِرَ**) المُستغيث فى (**فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً**) لايمكن له الفرار منها (**وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ**) اى القبر (**وَحِيداً**) فريداً (**قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ**)اى هَوَام الأرض (**جِلْدَتَهُ**) وصار طَعمة لها (**وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ**) فصارَ خلقاً بالياً بعد ما كان غَضيضاً طرّياً(**وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ**) اى الرياح (**آثَارَهُ، وَمَحَى**) اى أعدَم (**الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ**) فَلَم يَسبقَ منه شيءٌ (**وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً**) مُتغيرة (**بَعْدَ بَضَّتِهَا**) اى امتلائها (**وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا**) اى العظام فى القبر صارت باليات (**وَالْأَرْوَاحُ**) الّتى كانت فى ابدانهم صارت (**مُرْتَهَنَةً**)مقبُوضة (**بِثِقْلِ أَعْبَائِهَا**) واحمالها (**مُوقِنَةً**) تلك الأرواح (**بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا**) اى الأرواح تَتَيَقنُون لا تشكّون بالأخبار الّتى أخبَر النبىّ بها (**لاَتُسْتَزَادُ مِن صَالِحِ عَمَلِهَا**)اى لايطلب منها زيادة فى العمل الصّالح (**وَلاَ تُسْتَعْتَبُ مِن شَيءٍ زَلَلِهَا**) اى لايطلب منها التّوبة لانّه قد مَضى وقتها (**أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ، وَأَخِوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ**) اى حالكم حال من كان قبلكم وحكم الامثال واحدٌ (**وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ**،) اى تفعلُون مثل افعالهم وتسلكون مسالكهم (**فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا**) لاتنتفع بمَواعظ الله (**لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا**) لكونها مُعرضة عن الحقّ (**سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا**) وطريقها الّذى عيّن لها (**كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ**) اى المقصود (**سِوَاهُ**) اى غيرها (**وَكَأَنَّ الرُّشْدَ**) لها (**فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا**) وانتفاعها بها فحسب.

◁ **الشرح**

▫ **قوله عليه السلام: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا ...**

اى جَعَل الله تعالى بحِكمَته البالغة لكم أسماعاً لتسمَعُوا بها ما يليق بها وينفع لها من الأمور المُهمّة و فى قوله عليه السلام: (**لِتَعِيَ**) اشارة الى قوله تعالى حيثُ

قال:﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَّ تَعِيَهَا اُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾[1] والوَعَى فى اصل اللّغة الحُفِظ وعليه فالمَعنٰى لتحفَظُوا وتضبطوا بها ما ينفَع لكم من الأمور النّافعة، لا ان تَسمَعُوا وتحفَظُوا بها ما لايليق بها من المُنكَرات والأصوات المَمنُوعة المُضّرة.

ثمّ ان السَّمع من المواهب الالهية الّتى مَنَّ الله تعالى به علينا وهو على ما عَرّفوه فى الفَلسفَة عبارة عن قوّةٍ مُوَّدعةٍ فى العَصَب المَفرُوش على سَطح باطن الصّماخ تدرك الأصوات بسَبَب تَمَوّجِ الهواء الحاصل بالقَرع والقَلع العنيفين.

ثمّ انّ هذه القوّة لَها آلةٌ تَسمَع بها وتُسمّى بالأذن فهو آلة السّمع عند الأنسان والحيوان والأذن كثير الأجزاء جدّاً بحيث يَصعَب تَصوُّرها الّا برؤيته مُشرَّحةً وقد بيّنّو له ثلاثة اجزاء.

احدها: الأُذن الظاهرة وهى مَريئة بالنَظر ومكَّونَةٌ فى تلك الصّحيفة الفُضرّوفّية وتسمّى فى اصطلاحهم بالصّيوان وهى بارزة تمسك باليد، ومن القناة السّمعية وهى قناة تُحسّ بالإصبع الصّغير وهى تَمتَدّ داخل العَظم الصّدغى وعلى جانبيها عدّة ثُقُوب تَنفتح فيها قَنوات متّصلةٍ بِغدَدٍ تَضّرر دهناً شَخيناً اصغَر يُسمّى الصّملاخ ضَرورىٌ لِصحّة الأذن متّى ادّىٰ وظيفته خَرج وتكون خارج الأذن فَيرفعه الأنسان بأصبعه عند الوضوء و كثيرٌ من النّاس يدخل الى تلك القناة اصابع من العاج او الخَشَب يستأصلُون بها ذالك الدّهن الضَرورى للأُذُنُ قبل ان يَخرج بنفسه فيضرّون انفُسَهم ضَرراً بليغاً ويوُجدون لأنفسهم امراضاً خطيرة.

وثانيها: الأذن المُتوسّطة وهى منفصلة عن الأذن الظّاهرة بغشاء الطَّبلة وهو غشاءٌ شفّافٌ تحت صندوقٍ وهو تجويفٌ ضيق يتصّل بالفم الخَلفى بواسطة قِناة مُعدّة لتوصيل الهواء من الخارج الى باطن صَندوق الطّبلة ويُوجد فى

١- الحاقة- ١٢

اقصى الصَندوق فتَحتان مَسدُودتان بغشاءٍ مَشدُودٍ، هاتان الفَتَحتان متصّلتان بالأذن الباطنة احدى هاتين الفَتحتين متّصلٌ بها اربع عظيمات تَتَحرّك، بعضلات صغيرة وتحدث تواتراً او استرخاءً فى الغِشاء المرتكزة عليه.

وثالثها: الأذُن الباطنة فهى الجزء الأنتهائى وهى مُكَونةٌ من دِهليزٍ موضُوع فى الوَسط تنفتح فيه قَنوات شكلها كنصف الهلال مَملّوةٌ بسائلٍ من نوع السائل الّذى يملاء ذالك الدّهليز وبجانب تلك القنوات عُضوٌ يشبه القوقعة مَملّوة بالسائل ومتّصلٌ بصندوق الطّبلة فى هذ الأذن الباطِنة تتوَّزع اَقرع العَصَب السَّمعى هكذا قالوا فى المقام.

ثمّ قالو فى كيفيّة السّمع انّه يَحدَث للأنسان ارتجاجاً فى الهواء على توقيعٍ خاصّ فَتَصل تلك الأرتجاجات الهَوائيّة الى صَيوان الأذن ومنه تدخل الىّ القناة السّمعية الظّاهرة ومنها الى غشاء الطّبلة الّذى هو اسفل تلك القناة فترجه فَيَرتج، فَتَتنبه العظمات السّمعية الّتى ذكرناها فَتحدث فى ذالك الغِشاء تواتراً او رخاوة بواسطة عَضُلاتها على حسب شدّة الصّوت وضعفه فانّه مُوثّرٌ حَدث عليها من الخارج وفى الوقت نفسه تحدث الأرتجاجات عينها فى الهَواء المَوجود فى صندوق الطّبلة فنتقل منها الى الأذن الباطِنة بواسطة الفَتَحتين اللّيّتَن ذكرناهما وهنا لك تتأثر الأعصاب السّمعية وينتقل الصّوت الى المُخّ فتدركه الرّوح وتَفهمه وهذه الحاسّة توجد عند سائر الحيوانات ايضاً على اشكال متعدّدة وقد شُوهد انّ الحشرات تَسمَع ولكن لايعلم كيف تسمع و شوهد عند الحيوانات الرّخوة عضو السّمع على شكل مَحفظة ليّفة مَملّوُة بسائلٍ سابح فيها جُسميات صلبة ويوُجد على سَطحها عَصَبٌ آتٍ فى العقد المجاورة اذاً عرفت هذا فنقول.

لاشك انّ السّامعة كاخواتها من الحوّاس قُوّةٌ نافعةٌ لامحيضَ للأنسان عنها لأستماعه الأصوات بها وحيث انّ وظيفتها انتقال ارتجاجات الهواء من الخارج الى صَيوان الأذن كما ذكرناه فلا محالة تقدر على الانتقال المذكور بايّ

نحوٍ اتّفَقَ سواء كان حقّاً او باطلاً الّا انّ الأنسان لابُدّ له من مراعات ذالك والأستفادة بها على ما هو اهمّ له من الأصوات واحترازه عمّا هو لايليق به عقلاً و شرعاً. قال الله تعالى فى كتابه:﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَه اُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَاُولئِكَ هُمْ اُولُوا الْأَلْبابِ﴾(١)

و : ﴿اَطيعُوا اللهَ وَرَسُولَه وَلا تَوَلَّوْ عَنْهُ وَاَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾(٢)

و : ﴿يَسْمَعُ اٰياتِ اللهِ تُتْلىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَاَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾(٣)

و : ﴿وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤)

و : ﴿وَهُوَ الَّذِي اَنْشَاَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ وَالْاَفْئِدَةَ﴾(٥)

و : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ وَالْاَفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ﴾(٦)

و : ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَاَبْصاراً وَّاَفْئِدَةً فَما اَغْنىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾(٧)

و : ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ اَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَاَبْصارَكُمْ وَخَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ مَّنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَاْتِيكُمْ بِهِ﴾(٨)

▫ قوله عليه السلام: وَاَبْصاراً لِتَجْلُو عَنْ عَشاها ...

ابصار جمع بَصَر وهو الة للباصرة كما انّ السّمع آلة للسّامِعة وكما انّ السّامعة من المواهب العظيمة قد مَنَّ الله بها علينا فكذالك الباصرة بل هى اشرف منها على قول كثيرٍ من اهل التحقيق.

ثمّ انّ البَصَر على ما عرّفوه قُوّةٌ مُودَعةٌ فى فُلتَقَى العصَبَتين المُجوّفتين اللّتَين ينبُتان فى غور البطَنين المُقدّمين من الدّماغ يتيامِن النّابت منهما يَساراً وبالعكس حتّى يلتَقيا عَلى تَقاطِعٍ صَليبِيٍ ثُمّ يَمتدّ النّابت يَميناً الى الحدقة اليُمنى والنّابت يساراً الى اليُسرى تدرك الأضواء والألوان اوّلاً وبالذّات وسائر المُبصرات ثانياً وبالعَرض انتهى والى هذين المعينين للسّمع والبَصر اشار

١- الزمر- ١٨
٢- الانفعال- ٢٠
٣- الجاثية- ٨
٤- النحل- ٧٨
٥- المؤمنون- ٧٨
٦- السجدة- ٩
٧- الاحقاف- ٢٦
٨- الانعام- ٤٦

السبزوارى فى منظومته قال:

فى عَصب الصماخ سمعُ والبَصَر عـــند تـقاطع الصّـلّيبى ظَـهر

وامّا الكلام فى كيفيّة الأبصار وانّه هل هو بالأنطباع كما ذهب اليه عـلماء الطبيعة او يخروج الشّعاع كما هو مذهب الرّياضيين او بمقابلة المُستنير للعضو الباصر الّذى فيه رطُوبةٌ شفافَةٌ صَيقليةٌ مرآيّة كما هو مذهب الأشراقيين مـن الحكماء او بافاضةِ الصُّور للنفس كما هو مذهب صدر المتالّهين، فقد تكلّمنا فيه مُفَصلاً فى المجلّد الاوّل من كتابنا هذا وفَصّلنا الكلام فيه ان شئت فراجعه.

ثمّ انّ العين الّتى هى آلة الأبصار مُركّبة من اجزاء ظاهرة وهـى الحـاجب والجَفنان والأحداب ومن اجزاء باطنة وهى نوعان.

احدهما: اغشِية المُلتحمة وهى غشاءٌ رقيقٌ شفّافٌ وهو سبب لَمعان العَين طبيعته مُخاطية وهو يغشى الجهة الأمـامية مـن كـرة العـين والكـرة الخَـلَفيّة للجفنَين.

وثانيهما: الصّلبة اى بياضُ العَين وهى غشاءٌ ليَتفيّ متينٌ مثقُوب من الخلف ثقباً ضيّقاً يَمُرّ فيه العَصب البَصرى وفيه من الأمام ثقبٌ اكبر منه تدخل فـيه القرنية وهى غشاءٌ شفافٌ موضوعٌ فى الجهة المُقدّمة من الصّلبة وهى كزجاجة السّاعة، والمَشيمة وهى غشاء وعائىّ اسمر اللّون او اسوده موضُوع فى داخل الصُّلبة، والقزحية وهى غِشاء ليفى دعائى موضوع خلف القرنية وفيه فـتحةٌ وهى المُسّماة بالحَدَقة تختلف الوانها وهى موضوعة خلف القرنية فقد تكون سَوداء اوزرقاء وهى المُعطية لون العين وهى لَطيفةٌ تنقبض من الضّوء الشّديد وتَنسط فى الضّوء الخفيف.

والشّبكية، وهى امتداد فى العَصَب البَصرى وهو الجُزء الحَسّاس من العين و بها يَتُمّ الأبصار اذ عليها يَنطَبع الشئ المَرئى اوّلاً ثمّ ينتقل الى المُخ بواسطتها.

وامّا الرُّطُوبات فاوّلها الرطوبة المائية وهى تُوجَد فى خزانتين مُـنَفصلتين احديهما عن الأخرى بالقزجية

ثانيتها البُلّورية وهى رُطُوبةٌ مُنجمدة شكلها عَدَسىّ موضوعة فى الجسم الزّجاجى.

ثالثتها: الجِسم الزّجاجى وهو مادّة تشبه الهلال الشّفاف موضُوع داخل الشَبكيّة هكذا قالوا.

واما الايات الدالة على انّ العين من مواهب الله تعالى فكثيرة. قال اللّٰه تعالى:﴿اَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾(١)

و : ﴿وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ﴾(٢)

و : ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَاَبْصاراً وَّاَفْئِدَةً﴾(٣)

و : ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ اَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَاَبْصارَكُمْ﴾(٤)

و : ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَاَبْصارَهُمْ﴾(٥)و غيرها من الآيات.

▫ **قوله عليه السلام: وَاَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها...**

اَشلاء جمع شِلو وهُو العُضو ونقل الشّارح الخوئى عن القاموس انّ الشِّلو بالكسر العُضو والجَسد من كلّ شىءٍ فعلى ما قالوه يصير المعنى انّ الله تعالى جَعَل لكم الاعضاء او جَعَل لكم الأجساد بناء على كون اشلاء جمع شِلو بالكسر قالو انّ معنى الآخير اوفَقَ بسياق العبارة بدليل قوله عليه السلام بعده جامعة لأعضائها فانّه لامعنى له ان يقال (قيل) عضو او اعضاء جامعة لاعضائها لانّه من التكرار المُستَهجن فى كلام البُلغاء وهذا بخلاف المعنى الثّانى اذا المعنى عليه جَعل لكم اجساداً جامعة لأعِضائها وهو متينٌ.

نعم يمكن ان يقال انّ المعنى الاوّل ايضاً يرجع الى الثانى فانّ كلّ عضوٍ من اعضاء الأنسان من اليد والرّجل والرأس والسّمع والعَين والصّدر وغيرها له ايضاً اعضاء كثيرة كما بُيّن فى علم الطّب والتّشريح فانّ اليد مثلاً تصدق على مجموع الاعضاء من الأصابع الى المِرفق بل الى المنكب والرّأس يصدق على

١- يونس- ٣١
٢- النحل- ٧٨
٣- الاحقاف- ٢٦
٤- الانعام- ٤٦
٥- البقرة- ٢٠

مجموع العظم والشَعر والسَمع والبَصر والأنف والفم والأفراس وغيرها وهكذا بقية الأعضاء والعضو كما يطلق على المجموع يطلق على الفرد ايضاً فاليد عُضوٌ والأصبع ايضاً عُضوٌ والرأس عُضوٌ والأنف ايضاً عُضوٌ وهكذا ويويّد ما ذكرناه، الضّمير فى قوله عليه السلام: **لأعضائها** فانها ترجع الى آشِلاء كما هو الظّاهر وان كان رجوعها الى (جامعة) ايضاً لابأس به وعليه فالمراد بقوله عليه السلام: **اشِلاء الأعضاء** الرئيسة كالرأس والصّدر وامثالهما ومن اعضائها غيرها من الأجزاء الضّعيفة الصّغيرة وعلى كلّ حال فالأمر اوضح من ان يخفى على آحدٍ.

وذالك لانّه لاشكّ فى انّ بدن الانسان له اجزاء كثيرة كل واحدٍ منها فى مورده ومحلّه فتبارك الله احسن الخالقين.

□ **قوله عليه السلام: مُلاٰئِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَمُدَدِ عُمُرِهَا ...**

لمّا بيّن عليه السلام انّه لِمَ خَلَق الأجساد او الاعضاء الجامعة ذكرلها اوصافاً.

احدها: كونها اى الأجساد ملائمة لأحنائِها، اى جَعَل الأعضاء مناسبةً للجوانب الّتى جُعلت فيها وذالك لانّ كلّ عضوٍ من الأعضاء قد جَعَله الله فى محلّه بحيث لايُوجَد محّلاً له انسَب ممّا هو الآن فيه فانّ الرّجل لو كان فى الرأس والرأس فى محلّ الرّجل والعين فى القفا واليد فى العُنق وهكذا سائر الأجزاء لكان قبيحاً واقعاً فى غير محلّه ولنعم ما قيل بالفارسية.

جهان چون چشم وخطّ وخال ابروست

كه هر چيزى بجاى خويش نيكو است

وثانيها: انّ الاجساد ملائمة للاعضاء فى صُورها التَركّيبية وهو ايضاً من عجائب الخلقه فالأنسان الطَويل تَجدر جلاه ايضاً مناسباً له ويداه وسائر اعضائه كذالك حتّى بَطنه وآنفه وعيَنه فَلو كان له رجلاً قصيراً مثلاً لكان قبيح المنظر جدّاً كما انّ الأنسان القصير لو كان له رجلاً او يداً طويلاً لايكون مناسباً له وهذا ايضاً واضح.

وثالثها: انّ كلّ جَسَدٍ من الأجساد او عضوٍ من الأعضاء له مُدّةٌ مُعيّنةٌ من

العُمر ولذالك ترى الأشخاص فيه متفاوتة فَمِنهم من يعيش خَمسين سنة ومنهم من يَعيش ستّين وهكذا الا ترى انّ الأعمار فى الأمم الماضية كانت اكثر منها فى هذا الزّمان والوجه فيه هو انّ اجسادهم كانت غير اجسادنا واعضائهم غير اَعضائنا بل نَقُول هذه القاعدة لاتختصّ بالبَشَر بل تعم الموجودات باجمعها سواء كان المَوجُود انساناً او حيواناً او نباتاً او جَماداً الا ترى انّ بعض الحيوانات اكثر عُمراً من بعض الآخر وبعض الأشجار ايضاً كذالك وهكذا الأمر فى الجَماد فعمر الفيل مثلاً اكثر من عُمر النّحل وكذا الغراب بالنسبة الى سائر الطّيور فانّه على ما قيل كثيراً ما يعيش خمسماتة سنة او اكثر وتفصيل الكلام فى هذا الموضوع خارج عن طور الكتاب ويدلّ على اصل المُدّعى اعنى كون الله تعالى خالقاً للأجساد والأعضاء قوله تعالى حيث قال:﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً**﴾(١)

و : ﴿**يا اَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُو رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾(٢)

و : ﴿**يا اَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ**﴾(٣)

و : ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمٰا تَعْمَلُونَ**﴾(٤)

و : ﴿**هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾(٥)

و : ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰاكُمْ**﴾(٦)

و : ﴿**اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمٰا خَلَقْنٰاكُمْ عَبَثاً وَاَنَّكُمْ اِلَيْنٰا لاٰ تُرْجَعُونَ**﴾(٧)

و : ﴿**نَحْنُ خَلَقْنٰاكُمْ فَلَوْلاٰ تُصَدِّقُونَ**﴾(٨)

و : ﴿**اَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مٰاءٍ مَّهينٍ**﴾(٩)

و : ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دافِقٍ**﴾(١٠)و من الآيات الدّالة على **الوصف الاوّل والثّانى**: اعنى ملائمة الأعضاء للأجساد وملائمتها لأحنائها.

١- مريم- ٩
٢- البقرة- ٢١
٣- النساء- ١
٤- الصافات- ٩٦
٥- الغافر- ٦٧
٦- النحل- ٧٠
٧- المؤمنون- ١١٥
٨- الواقعه- ٥٧
٩- المرسلات- ٢٠
١٠- الطارق- ٦/٧

قال اللّٰه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١)

و: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾(٢)

و: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(٣)

و: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّه عَيْنَيْنِ ،وَلِسَاناً وَّ شَفَتَيْنِ﴾(٤)

ومن الثّالث:

قال اللّٰه تعالى: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَّ بَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾(٥)

و: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَّأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾(٦)

و: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾(٧)

و: ﴿وَلَنْ يُّؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾(٨)

و: ﴿وَّمَا نُؤَخِّرُه إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾(٩)

و: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(١٠)

و: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَايُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١١) والآيات فيه كثيرة ولا شك انّ لكلّ مخلوقٍ من المخلوقات اجلٌ معيّن ومدّةٌ لاتتغير هذا اذا كان الضمير فى قوله عليه السلام: (عمرها) راجعاً الى الأجساد وان كان راجعاً الى الأعضاء فهو ايضاً كذالك لانّ المركّب ينتفى بانتفاء اجزائه بل لاوجود على التّحقيق له الّا وجود اجزائه فالموجود فى الحقيقة هو الأجزاء وامّا الكلّ فلا وجود له الّا بها ولذا قالواانّ الوجود فيه اعتباريٌّ تبعى وفيها حقيقى اصلى.

□ **قوله عليه السلام: بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ...**

الباء للسّببية اى هذه الأعضاء والأجساد انّما خُلقت وجُعلت بسبب ابدانٍ قائمة بأرفاقها ويمكن ان يكون الباء للمصاحبة اى بمصاحبة ابدانٍ الخ

١- التين- ٤
٢- الصافات- ١٢٥
٣- الحشر- ٢٤
٤- البلد- ٨/٩
٥- الانعام- ١٢٨
٦- الانعام- ٢
٧- المؤمنون- ٤٣
٨- المنافقون- ١١
٩- هود- ١٠٤
١٠- الحج- ٥
١١- نوح- ٤

وحاصل الكلام هو انّ الله تعالى خلق الأعضاء والجوارح فى ابدانٍ او بمصاحبة ابدان او بسبب ابدان تقوم بمصالحها ومنافعها اذ لو لم تكن الأبدان موجودة لاآثر فيها فقيامها بمصالح امورها وتأثيرها من حيث الأدراك الحسى يترتّب على وجود البَدن ومن هنا يظهر انّ المراد بقوله ﷺ: (اشلاء) هو الأعضاء لاالأجساد والّا لما كان فى ذكر الأبدان كثير نفع وامّا قوله ﷺ رائدة لأرزاقها، فالظّاهر انّ الضمير اعنى (لارزاقها)، فالظّاهر انّ الضمير اعنى **(لارزاقها)** يعود الى الأعضاء دون القلوب نفسها كما احتمله الشّارح الخوئى وذالك لانّ القلب رائد لأرزاق الأعضاء بلا كلام فانّ الدّم يصل منه الى سائر اعضاء البَدن فوصول الرّزق اليها موكولٌ به وهو الأصل فى البَدن كيف لارحياة لأبدان والأعضاء تدور مدار حياة القلب فاذا عجز القلب عن ايصال الرّزق الى الأعضاء بمرضٍ وغيره فلا سبيل لها الّا المَوت وانّما قلنا ذالك ونَفّينا احتمال الخوئى من كون الضّمير راجعاً الى القلوب لانّ معطى الشّى لايكون فاقداً له فكَيف يعقل ان يكون القلب رائداً لِرزقه فحَسبُ والمفروض كونه رائداً الى غيره ممّا يحتاج اليه حتّى تتّم حكومته ورياسَته عليه واظنّ انّ غرضه ﷺ هو هذا المعنى والّا فثبوت الشّيى لنفسه ضرورىّ لايحتاج الى بيان ونتكلّم فى القَلب ونقول.

قال الرّاغب فى المفردات قلب الشّيى تصريفه وصَرفه عن وجهٍ الى وجهٍ كقلب الثّوب وقلب الانسان اى صَرفه عن طَريقته والإنقلاب الأنصراف انتهى هذا فى اصل اللّغة.

وامّا انّ القلب ما هو فقالوا فى تعريفه انّه عضو مُجوَّف موضوع فى باطن التّحويف الصّدرِى الأثير شكله مخروطى غير منتظم قاعدته الى اعلى وقمته الى اسفل ووَضعه منحرف من اعلى الى اَسفل ومن اليمين الى اليسار ومن الخلف الى الأمام وبذالك يكون مِحور القلب غير تابعٍ لمحور الصّدر بل مصالب له اصلى من وَسط هذا المحور بثلاث سنتيمرات تقريباً وبهذا يقسم

محور الصّدر والقلب الى جزئين علوى صغير وسفلى كبير فالعلوى موضوع فى التّجويف الأيمن للصّدر والسّفلى فى تجويفه الأسير وقاعدة القلب موجودة خلف جسم القصّ وفى محاذاة الفقرة السّادسة الظّهرية فى المسامة الموجودة بين الغُضروف الرّابع والخامِس واِما قُمّته فموضوعة خلف الطّرف المقدّم للغضروف السّادس والسّابع اليساريين وحجم القلب قَدر قبضته يد شَخصٍ بالغ وطوُله من اَسفَل الاورطى الى قسمته (٩٨ ميليمتراً) وعرض قاعدة البَطنين فى محاذاة الميزاب الأذنبى البَطينى (٥٢ ميليمتراً) ودائرة قاعدة البَطينَين، (٢٢٨ ميليمتراً).

يميز للقلب وجهان مقدم وخلفى وحافتان جانبيتان وقاعدة وقسمة فالوجه المقدّم محدّب وينقسم الى جزآين بميزابٍ عمودى تار على وسطه الى قسمته ثمّ ينعطف من القّسمة الى وجهه الخلفى الّذى هو مُسطّح ويمرّ على وسطه الى قاعدته وهذا الميزاب يقسم القلب الى قسمين يمينى ويسارى ويتصالب مع الميزاب الأفقى الّذى هو ظاهر على الوجه الخفى للقلب بالخصوص ويكون مُغطى امن الامام بأصل الشّرائين الغليظة وعلى جانبى هذا الاصل استطالتان يُمنى ويُسرى ذات شكلٍ غير منتظم تسميان الأستطالتين الأذنيتّين ويوجد فى باطن القلب فى مقابلة هذين الميزابين حاجزان يقسمان تجويفه كما انّ الميزابين قسّما سَطحه الظّاهر وامّا الحافتان فيمنى ويسرى فاليمنى تكاد تكون مستقيمه أُفقيه مرتكزة على الحجاب الحاجز الّذى يفصلها عن الكبد ثم يرتفع فجأةً جهة طرفه، وامّا اليسرى فتكون يسمكة متديرة نازلة عُمودته تقريباً على الحافة السّفلى للضّلع الثّانية الى حدود الرّابعة الّتى حذاها وتنتهى مكوّنة مع الحافة اليمنى قسمة القلب اى طرفه، والقاعدة هى الجزء المشغول بالأذنيين ومنحرقة الأتجاه من اعلى الى اسفل ومن الأمام الى الخلف ولذا تكون جدار الكُتلة البطنية اكثر طولاً من الاقام من الخلف ويوُجد فى القاعة اتّصال الاذنيين بالبطنين وفيها من المخلب عدّة اوردة غليظة معدة

لحَمل الدّم الى الأذنيين ومن الأمام اصل الشرائين الغليظة الّتى ذكرت، وامّا القسمة فمستديرة ومقسومة بالميزاب العمودى الى جزئين اليسارى اكبر من اليَمينى بسبب ميل الميزاب الى اليمين.

حدوُد القلب قاعدته تقابل خطّاً افقيّاً ممتدّاً من الغضروف الثانى الى الجزء السّفلى لجسم الفقرة الخامسة الظّهرية.

وامّا قسمته فتظهر وضعاً كثير الأختلاف ومع ذالك فلا تكون موضوعة فوق حظّ افقى يمرّ من وَسط المسافة الخامسة الضليعة اليسرى والعرض العظيم للقلب يقابل المسافة الخامسة بين الأضلاع وفى هذه الحالة يكون محصوراً بين سطحين عموديّين فالقلب الأيمن يكون بعيداً عن حافة القصّ باربعة سنتيمرات من الخطّ المتوسّط لهذا العظم والقلب الأسير بثمانية سنتيمرات من الخطّ المتوسّط او تسعة تجاويف القلب.

يوجد للقلب تجاويف اربعة منفصلة بعضها عن بعضٍ بحواجز مقابلة لميازيب السَّطح الظّاهر فعلى ذالك يوجد حاجز عمومى وحاجز افقى وهذان الحاجزان متصالبان ويكون كلّ واحدٍ منهما مزدوجاً ويوجد حاجز أُفقى يمينى فاصل للبطين اليمنى عن الاذين اليمنى وافقى يسارى فاصل للبطين اليسارى عن الأذين اليسارى والحاجزان العموديان كاملان وامّا الافقيان ممثقوبان وح يكون بطين كلّ جهةٍ متصلاً باذينها وامّا النّصف اليمنى واليسارى فمنفصلٌ احدهما عن الآخر انفصالاً تامّاً.

التّجويف الاوّل: الاذين اليمنى وهو موضوع فى الجهة العليا اليمنى للقلب خلف الاورطى والشّريان الرّئوى ينفتح فى جداره الخلفى الوريد الأجوف الضلّى وفى الجدار العولى منه فتحة الوريد الأجوف العلوى.

التجويف الثّانى: منه يسمّىٰ بالأذين اليسارى وهو موضوع فى الجهة الخليفة العليا اليسرى من القلب خلف الاورطى والشّريان الرّئوى وشكله مكّعب كالاذين اليمينى ويميّز له ثلاثة جُدُر،علوى، سفلى انسى، فيوجد فى

العلوى الاربع الفَتَحات للأوردة الرّئوية، وفى السّفلى الفَتَحة الأذنية البَطنية وامّا الأنسى فتوجد فيه الحفرة البيضيّة الّتى يوجد فى حافتها السّفلى صمام صغير يغطّى حفرة صغيرة غير نافذة هى الأثر الدّال على الثّقب البيضى المسمّىٰ شقب برقال.

التّجويف الثّالث: يسمّىٰ بالبطين اليمينى الّذى يشغل الجهة اليمينى المقدّمة السّفلى من القلب وشكله مثّلث وقاعدته الى اعلى وقمّته الى اسفل وتجويفه كلّما اتّجه الى اليمين بحيث اذا قطع قطعاً أفقياً يرى شكله هلالياً ويوجد فى قاعدة هذا البطين فتحتان احداهما موصلة للأذين اليمنى والأخرى للشّريان الرّئوى فالأولى تسمّىٰ بالاذنية البطنية وشكلها سَيفى وتغلق بصمام ذى ثلاثة اهداب (تريكسيد) تنشاء من دائرة هذه الفتحة، والفتحة الثانية تسمّىٰ بالبطنيّة الشريانية موضوعة امام السّابقة ويسارها وتنغلق بثلاثة صمامات هلالية الشّكل تسمّىٰ بالصّمامات الهلاّلية السنّية شكلها كشكل جيوب فتحاتها الباطنية مُشرِفة على باطن الشّريان.

التجويف ارّابع: من القلب هو البطين اليسارى ويشغل الجهة الخليفته العليا واليسرى من القلب وشكله بيضى قاعدته الى اعلى وقسمته الى اسفل وتجويفه اسطو انى بحيث اذا قُطع قطعاً أفقياً يشاهد انّه مستدير وجداره سميك جدّاً يصل الى (١٥ ميليمتر، الى آخر ما ذكروه فيه.

تركيب القلب القلب مرّكب من هيكل ليفى والياف وعضيّلته مكوّنة واوعية واعصاب وغشائين مصلبين احدهما معظّ له من الباطن وثانيهما مغطّ له من الظّاهر ويسمّىٰ بالتّامور.

وظيفة القلب ينصب فى الاذين اليمنى من الأوردة الجوفاء الدّم الّذى طاف بالجسم فَيصل الى البطين المَيمنى وهذا يدفعه فى الشّريان الرّئوى فَنَّمُر فى الرّاتين وفيهما يلتقط الأوكسجين الموجود فى الحُوِلصلات الرِئوية الّذى وصَل اليها بواسطة الشّهيق التّنفسى وتخلّص من حمض الكربونيك الموجود

فيه فيخرج هذا الحمض بواسطة الزّفير في التّنفس والاذين اليسارى يقبل الدّم المذكور اى الآنى من الرّستين بواسطة الأوردة الرّئوية ويتركه يمرُّ الى البطين اليسارى الّذى يدفعه فى الشّريان الاورطى ومنه الى جميع فروعه فى الجسم ليغذيه ولأجل دوران الدّم فى القلب بهذا النّظام يجب ان تكون فَتَحات تجاديف الأتصالات القلبيّة (الاذينات مع البطنيات) تارة مفتوحة وتارة مُغلقة وهذا الفَلق والفتح يحصل بواسطة صمامات موجودة فى الفَتَحات البَطنية الأذنية والشّريانية الى آخر ماذكره فى دائرة المعارف تاليف محمّد فريد وجدى ج ٧ مادة قلب ص ٩٠٩.

ثمّ انّ ماذكرناه فى معنى القلب او نقلناه انّما هو فى القلب الجسمانى اعنى به اللّحم الصّنوبرى شكلاً المودّع فى الجانب الأسير من الصّدر وهو بهذا المعنى موجود فى الأنسان والحيوان حيّاً وميّتاً.

ولنا فى المقام قلبٌ آخر غير ما عرّفناه وهو جوهرة لطفةٌ ربّانية نورانية روحانية لها تعلّق بالقلب الجسمانى وهى حقيقة الأنسان وبها تمامه وكماله وهى المدركة العالمة الّتى قيل فيها قلب المؤمن عرش الرّحمن وقد يعبّر عنها بالرّوح تارةً وبالنّفس النّاطقة الانسانيّة اخرى والقلب بهذا المعنى هو الّذى يحكم على تمام الأعضاء والجوارح بل قيل انّ المُدرِك فى الأنسان فى الحقيقة هو لاغيره كما ثبت فى محلّه وحيث انّ الكلام ليس فيه فعلاً فلا نطول الكلام بشَرحه.

▫ **قوله عليه السلام: فِي مُجَلِّلاٰتِ نِعَمِهِ مِنَنِهِ وَحَوٰاجِزِهٰا عٰافِيَتِهِ ...**

افاد عليه السلام فى المقام انّ الأنسان مُتنعِمٌ بنَعمه العامّة الشّاملة والآلة الكاملة الموجبة للشّكر وافاد ثانياً انّ هذه النِّعم كلّهما منه تعالى منّةٌ على عباده، وثالثاً انّ الأنسان يكون فى عافيته تعالى الّتى تكون عائقة عن طريان المضارّ والآلام وعروض الأوجاع والأسقام على الأبدان هكذا قيل.

اقول: قبل الخوض فى شرح كلماته عليه السلام وبيان مراده لابدّ لنا من الاشارة الى

بعض الآيات الواردة.

فمن الاوّل: قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[1]

و : ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[2]

و : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[3]

و : ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[4]

و : ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[5]

و : ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[6]

و : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[7]

و : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾[8]

و : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[9]

و : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[10] و غيرها من الآيات

و من الثاني:

و : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[11]

و : ﴿كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[12]

و : ﴿لَوْلَا أَنْ مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾[13]

و : ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[14]

و : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾[15]

١- المائده- ٢٠
٢- النحل- ٥٣
٣- النحل- ١٨
٤- النحل- ٧١
٥- النحل- ١١٤
٦- النحل- ٧٢
٧- ابراهيم- ٦
٨- الفصلت- ٥١
٩- البقرة- ١٢٢
١٠- الفاطر- ٣
١١- آل عمران- ١٦٤
١٢- النساء- ٩٤
١٣- القصص- ٨٢
١٤- الحجرات- ١٧
١٥- القصص- ٥

ومن الثالث:

و: ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾[1]

و: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2] اذا عرفت هذا فنقول فى شرح كلامه عليه السلام.

امّا قوله عليه السلام: **مجلّلات نِعَمه**، فهو اشارة الى انّ الأنسان مستغرق فى بحار نِعَمه الظّاهرة والباطنة الماديّة منها والمعنوية فيجب عليه الشّكر لها دائماً اداءً لوظيفته العقليّة المويّدة بالشّرع ايضاً وهذه النِّعَم على اقسامٍ بعضها اهمّ فى بعضٍ مع كون الجميع مشتركة فى أصل صدق النِّعمة عليها.

فمنهما ـ نعمة الوجود الّتى افاض الله تعالى على عباده ومَنّ الله بها عليهم وهى اعلا مراتبها واسنىٰ مراحلها وذالك لانّ سائر النَعم من شئون الوجود اذ لولاه لما ينتفع بها فلا نعمة اشرف من نعمة الخلقة.

ومنها ـ ما أنعَم الله على العَبد من القُوىٰ والحواسّ الظّاهرة منها والباطنة وقد عدوّا لكلّ واحدةٍ منهما خمساً وسمّوها بالحواسّ الظّاهرة والباطنة وتفضيلها موكول الى محلّه مضافاً الى الأعضاء والجوارح وغيرها ممّا هو موجودٌ فى بَدن الأنسان بالنّظر الى بَدَنه العُنصرى.

ومنها ـ العقل الّذى هو بعد نعمة الوجود أشرَفها واكملها اذ به يتميّز الحقّ عن الباطل والخير من الشرّ.

ومنهما ـ ما يتحاج اليه العبد من الغذاء واللّباس والشّرب والتّنفس والمَسكَن والشّهوة وغيرها.

ومنها ـ العلم والأدراك والحكمة والتّفكر والتّدبر وغيرها من الأمور المعنويّة الواقعية.

ومنها ـ ارسال الرّسل وانزال الكُتب والوَعد والوَعيد ودرجات الآخرة وبالجملة الشرايع والأديان اذ بها يحصل للأنسان كماله الصّورى والمعنوى

١- النمل- ٦١
٢- الحاقة- ٤٧

ويتخلّص من علائق المادّة ويُصل الى مقام القرب والسّعادة وهكذا الامر بالنسبة الى سائر النِّعم الّتى لايمكن لأحدٍ احصائها قال الله تعالى ان تُعدّو نعمة الله لاتُحصوُها، وهذا امرٌ واضح بيّن لمن تدَّبر وتفكّر فيهما.

وانّما عَبَّر عليه السلام عنها بالمجّللات لوجهين، احدهما كونهما مجلّلات فى نفسها، وثانيهما كونهما من مواهب الله وعطايا ربّنا الجليل وقد ثبت انّ الجليل لايُعطى الّا الجليل فكلّ ما هو من عنده فهو خير فى نفسه والشّرور مِنّا فالنِّعم كلّهما من الخيرات الّا انّا قد نستعملهما فى غير مواضعها فتصير شُروراً بالعَرض واذا كان الأمر على هذا المنوال فيجب على الأنسان عقلاً شكره تعالى بقدر الأستطاعة والشكر لايكون الّا بعد معرفة النّعمة والمُنعِم والمعرفة توجب الخضوع والخشوع فى جميع الشئون وهذا هو الغاية لِما خُلق له وهو المطلوب.

وامّا قوله عليه السلام: **وموُجبات مِنَنه**، فهو اشارة الى انّ النّعم المذكورة ليست باستحقاقٍ من العبد بل كانت افاضات منه تعالى وذالك لانّا قد بيّنا ان ذاته تعالى لايقتضى الأعطاء ولا عدم الأعطاء ولا الأيجاد ولا عدم الأيجاد وهكذا بل حقيقة ذاته المقدسة لااقتضاء لها فى نفسها اَصلاً كما هو معنى تفرّده وبساطته وقد مرّ الكلام فيه مفصّلاً وعليه فالمراد بكونهم فى مجلّلات نِعَمه كونهم مُستغرقين فيها حالكونهم طالبين لهما بلسان الحال ولأجل هذه الدّقيقة يجب عليهم يشكره فافهم فانّه دقيق.

وامّا كونهم فى موجبات مِنَنه، ففيه اشارة الى انّ الله تعالى انّما اعطى ما اعطى من النِّعم الظّاهرية والباطنية مِنّةً له عليهم كما هو مقتضى الأفاضة والجود فانّ الجود افادة ما ينبغى لالَعوضٍ ولا لَغرض وقد ثبت فى الفَلسفة كونه تعالى فاعَلاً بالتّجلى وهو العلم الأجمالى بالفعل فى عين الكشف التفصيلى وقد يقال له العناية بالمعنى الأعم.

وامّا قوله عليه السلام: **وحواجز عافيته**، فقد ذكر الشارح المعتزلى فى شرحه ما هذا

لفظه‌ای فی عافیة تحجز وتمنع عنکم المضّار، وارتضاه الشّارح الخوئی اوّلاً ثمّ اَعرض عنه وقال والأظهر الأقوی انّ الأضافة لامیة والمراد الموانع التی تمنع العافیة عن الزّوال والعَدَم وتکون عائقة عن طریان المضارّ والآلام وعروض الأوجاع والأسقام علی الأبدان والأجسام ثمّ قال وعلی ایّ تقدیر فالمراد بهما نعمة الصّحة والسّلامة الّتی هی من اَعظم نعَم الله سُبحانه بل هی رأس کلّ نعمةٍ وبهما یُدرك کلّ لذّةٍ وبَهجةٍ انتهی.

اقول: امّا ماذکره المعتزلی فهو بعید عن سیاق العبارة وذالك لانّ المضار ان کان المراد بها الآلام والأسقام والفقر وامثالهما فلیس الأمر کما ذکره لانّ هذه المصائب لامحالة تَصِل الینا ولَسنا فی عافیة تمنع هذه الأمور عنّا کیف والدنیا دارٌ بالبلاء محفوفة ولا سیّما بالنّسبة الی المؤمنین فانّ المضارّ الموصلةً الیهم اکثر بمراتب من غیرها کماتری والکفّار وانّ کانت المضارّ فی الدّنیا بالنّسبة الیهم اقلّ لِانّ الدّنیا لیست بدار العقوبة الّا انّ الکلام لیس فی الکفّار مع انّهم ایضاً لیسوا فی عافیة الله بالمعنی الّذی ذکره والحاصل انّ هذا لادّعا ینکره الحسّ والمشاهدة.

وامّا ماذهب الیه الخوئی قدّه فهو ایضاً کلامٌ بلا محصّل وذالك لانّ لازم ما ذکره ان یکون العبد فی موانع العافیة وهو کماتری واعجب منه قوله بعد ذالك (عن الزّوال والعَدم) ای انتم فی موانع العافیة عن الزّوال والعَدم ﷺ والوجه فی المَنع هو شهادة الحسّ والعیان بخلافه مضافاً الی انّ القول ایضاً یرجع الی القول المعتزلی کما هو ظاهر والجواب الجواب.

والّذی حَصَل لی فی المقام بعد التّامل والتّدبر والفحص التّام فی کتب اللّغة الموجودة بأیدینا هو انّ الحواجز وان کانت جمع حاجز الّا انّ الحاجز لیس بمعنی المانع فقط کما ظنّوه وکذالك العافیة بل لهما معنی آخر هو اشبه بالمقام وهو انّ الحاجز بمعنی الفاصل لکونه اسمٌ من الحَجز قال فی لسان العرب الحجز الفصل بین الشیئیّن حَجَز بینهما حَجزاً وحَجازةً فاحتجز، واسم

مافصل بينهما الحاجز قال الله تعالى وجَعَل بين البحرين حاجزاً، اى حجازاً بين ماء ملح دماء عذب لايختلطان انتهى.

وامّا العافية فقد استعملت فى معانٍ.

احدها: ما ذكروه وهو ان يعافيه الله من سُقمٍ او بليةٍ وهى الصّحة، وثانيهما، الواردة يقال عافية الماء واردته واحدهم عافٍ والعافى الوارد والرّائد.

وثالثها: الطّلب قال ابو عبيدة الواحد من العافية عافٍ وهو كلّ من جائك يطلب فضلاً او رزقاً فهو عافٍ ومُعتَفٍ انتهى لسان العَرب ج ١٥ مادّة عفا.

اذا عرفت هذا فنقول لايبعدان يكون مراده عليه السلام بكلامه هذا، هو ان يكون الحاجز بمعنى الفاصل والعافية بمعنى طلب الرّزق او الفضل فيصير المعنى انّكم من حيث طلب الرّزق والفضل منه تعالى فى فواصل اى لَستُم فيه على حدٍّ سواء فانّ الرّزق مختلف بالنّسبة الى المرزوق وهذا الأختلاف من قبل الطّالب لامن قِبل الفاعل بناء على ما ذكرناه من انّه تعالى فى حدّ ذاته لااقتضاء فيه، والأفاضات الفائضة منه انّما هى باستدعاء الطّالبين استدعاءً حالياً فكلّ مخلوقٍ من مخلوقاته يستدعى منه شيئاً فهو تعالى يُعطيه لعدم البخل فيه فالتّقصير او القُصور منّا لامنه وبهذا يختلف الرّزق والأعمال الّتى توجب كثرة الرّزق او قلّته على ما يستفاد ومن الرّوايات او الأدعية والأوراد تويّد ماذكرناه وهذا المعنى اَنسب بسياق الكلام ممّا ذكروه فتن فانّ الظّن لايغنى من الحقّ شيئاً.

▫ **قوله عليه السلام: وَقَدَّرَ لَكُمْ اَعْمٰاراً سَتَرَهٰا عَنْكُمْ ...**

افاد عليه السلام فى المقام امّا اوّلاً كون الأعمار مقدّرة وثانياً انّهما مستورةٌ على العباد، والآيات دالة عليهما

فمن الاوّل: قال اللّٰه تعالى :**وَمٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ اِلاّٰ فِي كِتٰابٍ**»[1]

١- الفاطر- ١١

و : ﴿هُوَ اَنْشَاكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]

و : ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ اِلىٰ اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[2]

و : ﴿وَلٰكِنَّا اَنْشَاْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾[3]

و : ﴿اَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَائَكُمُ النَّذِيرُ﴾[4]

وعلى التّقدير،

و : ﴿اِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[5]

و : ﴿وَاِنْ مِّنْ شَيْءٍ اِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُه وَمَانُنَزِّلُه اِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[6]

و : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَه بِمِقْدَارٍ﴾[7]

و : ﴿وَكَانَ اَمْرُاللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾[8]

و : ﴿وَلَنْ يُّؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً اِذَا جَاءَ اَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[9]

و : ﴿اِنَّ اَجَلَ اللهِ اِذَا جَاءَ لَايُؤَخَّرُ﴾[10]

و : ﴿قُلْ لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَاتَسْتَاْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾[11]

و : ﴿مَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾[12]

الثاني:

و : ﴿وَّمَاتَدْرِي نَفْسٌ بِاَيِّ اَرْضٍ تَمُوتُ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[13]

ففي قوله عليه السلام: **وقدّر لكم اعماراً**، اشارة الى انّ تقدير العُمر بيد الله تعالى ولا دَخل لأحدٍ من مخلوقاته فيه وهو من الطافه العَميمة العَجيبة وذالك لانّ تقدير الأعمال لو كان بيد غيره لاختلّ النّظام وفَسَد العالم وفي قوله سترها عنكم، اشارة الى عدم اطّلاع العباد على تقدير الله تعالى وهو ايضاً لطيف

١- هود- ٦١
٢- النحل- ٧٠
٣- القصص- ٤٥
٤- الفاطر- ٣٧
٥- القمر- ٤٩
٦- الحجر- ٢١
٧- الرعد- ٨
٨- الاحزاب- ٣٨
٩- المنافقون- ١١
١٠- نوح- ٤
١١- السباء- ٣٠
١٢- آل عمران- ١٤٥
١٣- اللقمان- ٣٤

ضرورة انّ فی عِلم العَبد به مفاسد کثیرة.

▫ **قوله ﷺ: وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثارِ الْماضِينَ قَبْلَكُمْ ...**

وفیه اشارة الی قوله تعالی حیث قال: **لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ»**[1]

و: **«إِنَّ فِي ذالِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ»**[2]

و: **«فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ»**[3]

و: **«فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ»**[4] و غیرها من الآیات وقد تکلّمنا فیه مفصّلاً فی ما مضیٰ.

▫ **قوله ﷺ: مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خِناقِهِمْ ...**

اشار ﷺ بالاوّل الی استمتاعاتهم فی الدّنیا وانهماکهم فی حظوظها ولذائذها، وبالثّانی الی عدم دوام اللّذات لهم وصیرورتهم اطعمة للموت.

ویدلّ علی الاوّل: قوله تعالی: **بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلاءِ وَآبائَهُمْ حَتّىٰ جاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ»**[5]

و: **«وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ حَتّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكانُوا قَوْماً بُوراً»**[6]

و: **«فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلىٰ حِينٍ»**[7]

و: **«أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا»**[8]

و: **«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ»**[9]

و: **«وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلىٰ عَذابِ النّارِ»**[10]

و: **«نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلىٰ عَذابٍ غَلِيظٍ»**[11]

و: **«وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ»**[12]

۱- یوسف- ۱۱۱
۲- النازعات- ۲۶
۳- الحشر- ۲
۴- الزخرف- ۵۶
۵- الزخرف- ۲۹
۶- الفرقان- ۱۸
۷- الصافات- ۱۴۸
۸- القصص- ۶۱
۹- الشعراء- ۲۰۵
۱۰- البقرة- ۱۲۶
۱۱- اللقمان- ۲۴
۱۲- هود- ۴۸

و : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

و : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[2]

و : ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ﴾[3] والآيات فيه كثيرة.

وامّا الثّاني: اعني ومُستنفح خناقهم، الفسيح الواسع من المكان والتّفسح التّوسع، والخناق ما يُخنق به كالحَبل يقال خَنَعة خَنقاً، شُدّ على حَلقه حتّى يموت وفى الكلام استعارة شبّه عليه السلام الموت بالحَبل وانغمارهم فى العيش واللّذة بالمكان الواسع والمعنى انّ الموت اَهلَكهم مع كونهم فى فسحة من العيش وقد دلّت الآيات عليه ايضاً. قال اللّه تعالى:﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾[4]

و : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾[5]

و : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾[6]

و : ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾[7]

و : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[8]

و : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[9]

و : ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾[10]

و : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[11]

و : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[12]

و : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾[13]

١- الحجر- ٣
٢- الزمر- ٨
٣- التوبة- ٦٩
٤- مريم- ٧٤
٥- القصص- ٧٨
٦- النجم- ٥٠
٧- آل عمران- ١١٧
٨- يونس- ١٣
٩- القصص- ٥٨
١٠- الزخرف- ٨
١١- القمر- ٥١
١٢- الانعام- ٦
١٣- الانعام- ٦

و : ﴿فَاَهْلَكْنٰاهُمْ اِنَّ فِي ذٰالِكَ﴾[1]

▫ قوله عليه السلام: اَرْهَقَتْهُمُ الْمَنٰايٰا دُونَ الْآمٰالِ ...

رهِقَة الأمر غشيه بقهرٍ يقال رهقته وارهَقته ومنه ارهَقتُ الصّلوة اذا اخرّتها حتّى غَشِي وقت الأخرى.

قال الرّاغب فى المفردات وعليه فالمعنى اخترمهم الموت واخرّهم عن آمالهم اى ماتوا والآمال منهم باقية بمعنى انّهم ما وَصَلو الى آمالهم ومُشتَهياتهم فى دارِ الدّنيا وهُو ايضاً ماخوذٌ مِن الكتاب المجيد. قال اللّٰه تعالى:﴿وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهٰا قَتَرَةٌ﴾[2]

و : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئٰاتِ جَزٰاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهٰا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[3]

و : ﴿خٰاشِعَةً اَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[4]

و : ﴿وَ لاٰ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاٰ ذِلَّةٌ﴾[5]

و : ﴿فَخَشِينٰا اَنْ يُرْهِقَهُمٰا طُغْيٰاناً وَكُفْراً﴾[6] و غيرها من الآيات.

▫ قوله عليه السلام: وَشَذَّبَهُمْ عَنْهُمٰا تَخَرُّمُ الْآجٰالِ ...

اى اَنفَرد بهم عن آمالهم المَوت والهلاك وهو كناية عن عدم بلوغهم اليها بسبب تحرّم الآجال المقدّرة لهم وهم كانوا فى غفلةٍ عنها مُعرضون.

▫ قوله عليه السلام: فَهَلْ يَنتَظِرُ اَهْلُ بِضٰاضَةِ الشَّبٰابِ اِلاّٰ حَوٰانِيَ الْهَرَمِ ...

والأستفهام فى المقام لِلأنكار اى لاينتظر والمعنى انّه بناءٌ على ما ذكرناه من عدم اعتبار الدّنيا وبقائه على حالةٍ واحدةٍ فلا محالة ينبغى للشّبان ان لاينتظر اِلّا حوانى الهَرم واثاره من انحناء الظّهر والضّعف فى القُوى الاعصاب وانّه لايمكن بقاء بضاضة الشّباب لَهم والعقل يحكم فى هذا المورد ان لايغفل الأنسان عن عاقبة الأمر واغتنم الفُرصة فانّها تمرّ مرَّ السَّحاب.

▫ قوله عليه السلام: وَاَهْلُ غَضٰارَةِ الصِّحَةِ اِلاّٰ نَوٰازِلَ السَّقَمِ ...

١- الشعراء- ١٣٩
٢- العبس- ٤٠/٤١
٣- يونس- ٢٧
٤- القلم- ٤٣
٥- يونس- ٢٦
٦- الكهف- ٨٠

اى فَهل ينتظر اهل غضارة الصحّة اِلّا ما سينزل عليه من السّقم والأمراض وفيه ايضاً اشارة الى انّ الصّحة لاتبقى له فينبغى ان يغتنم الفُرصة ويعمل فى ايّام الصّحة بما هو يفيده فى الآخرة

▫ **قوله عليه السلام: وَاَهْلُ مُدَّةِ الْبَقٰاءِ اِلاّٰ اوِنَةَ الْفَنٰاءِ؟...**

اى فَهل ينتظر اهل مدّة البقاء فى الدّنيا الّا الفناء والموت فانّ بعد الحيوة ممات وبعد الصّحة مَرض وهذه الكلمات منه ماخوذ من قول الرّسول صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله. اغتنم خمساً قبل خمسٍ شبابك قبل هِرَمك، وغناك قبل فقرك، وصحّتك قبل سُقمك، وحَياتك قبل موتك، وعزّك قبل ذلك.وقد تكلّمنا فى الموت وما يتبعه تفصيلاً.

▫ **قوله عليه السلام: مَعَ قُرْبِ الزِّيٰالِ، وَاُزُوفِ الْاِنْتِقٰالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَاَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، ...**

اى كيف يكون ذالك مع قرب الزّيال والفراق عن الأحبة وهو كناية عن الموت وفيه ايماء الى انّ المَوت ليس الّا الفراق كما هو الحقّ، وازوفِ الأنتقال، اى دنوّ الأنتقال من دارٍ الى دارٍ اعنى مِن الدّنيا الى الآخرة وعَلَز القَلَق، اى وَقرُب الأضطراب الّذى لابدّ منه لكلّ مُحتَضر واَلَم المَضَض، وهو الحُزن من القلب عند الموت، وغُصص الجَرض، اى ريقه وشجاه.

▫ **قوله عليه السلام: وَتَلَفُّتِ الْاَسْتِغٰاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْاَقْرِبٰاءِ، وَالْاَعِزَّةِ وَالْقُرَنٰاءِ، ...**

والواو للعطف والمقصود انّهم كيف غفلو عمّا ذكرناه حالكونهم ملتفتين الى اهلهم واولادهم حين الموت والأستغاثة بهم والأستمداد مِنهم وهم لايقدرون على الأجابة لهم.

▫ **قوله عليه السلام: فَهَلْ دَفَعَتِ الْاَقٰارِبُ؟ اَوْ نَفَعَتِ النَّوٰاجِبُ ؟ ...**

والأستفهام للأنكار اى لايمكن للأقارب ومن رَفَع صَوته بالبكاء عليه دفع الموت عنه.

▫ **قوله عليه السلام: وَقَدْ غُودِرَ فِى مَحَلَّةِ الْاَمْوٰاتِ رَهِيناً، وَفِى ضِيقِ الْمَضْجَعِ**

وَحِيداً، ...

اى حالكونه منتقلاً الى محلّة الأموات وساكناً فيها لايمكن له الفرار منها مع كونه وحيداً فريداً فى القبر بلا مونِس ولا اَنيس.

▫ قوله عليه السلام: قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَاَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، ...

وهذا كلّه من تَبعات القبر اى قطع هوام الأرض جلده وصار طعمة للحشرات تحت الأرض من العقارب والحيّات وصار خلقاً بالياً بعد ما كان غضيضاً طرّياً وهو كناية عن تلاشى جَسده وصيرورته رميماً.

▫ قوله عليه السلام: وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ اٰثَارَهُ،...

اى عَفَت الرّياح آثاره من سطح الأرض وهو كناية عن مَحو اثاره الموجودة.

▫ قوله عليه السلام: وَمَحَى الحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ، ...

قال فى شرح هذه الكلام اى محىّ النوائب والحَدثان معالِمه، ولا يبعدان يكون المراد بالحَدَثان اليوم واللّيل فانّ الحَدَثان كثيراً مايطلق عليهما وعليه فالمعنى مَحىَ اليَوم واللّيل اعنى الزّمان معالمه واثاره فلم يبق منه اسم ولا رسم ولا عين ولا اثر.

▫ قوله عليه السلام: وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا،...

اى صارت اجسادهم متغيّرة متلاشية بعد امتلائها وصحّتها وهو ايضاً ظاهر محسوس.

▫ قوله عليه السلام: وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، ...

وذالك لانّ العظام الصحيحة القوية قبل الموت تصير بالية بعده وهو معلوم.

▫ قوله عليه السلام: وَالْأَرْوَاحُ مُرْ تَهَنَةً، بِثِقْلِ اَعْبَائِهَا، ...

الأعباء الأعمال وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]

و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]

▫ قوله عليه السلام: مُوقِنَةً بِغَيْبِ اَنْبَائِهَا، ...

١- الطور- ٢١ ٢- المدثر- ٣٨

ای الأرواح موقنته بالأخبار الغیبیّة الّتی اَخبر بها الرّسول وابناء بها الکتاب الآلهی من اخبار القبر والبرزخ والقیامة والحساب والکتاب وغیرها وانّما قال ﷺ مؤقنة بعد الموت لانّ الأنسان مادام کونه حیّاً فی هذه النشأة لایری ما یراه بعد الموت وذالك لانّ العلائق المادّیة مانعة عن رؤیة الحقائق الواقعیة ولذالك قال رسول الله ﷺ النّاس نیامٌ اذا ماتوا انبتهوُ.

فاالموت بمنزلة رفع الحُجب والأستار المانعة عن الرّویة هذا کلّه بالنّسبة الی من هو اسیرٌ فی غواشی الظّلمة وامّا الأولیاء والأصفیاء فحالهم فی الدّنیا والآخرة علی حدٍّ سواء من هذه الجهة لکونهم غیر فنُعمرین فی المادّیات ولوازمها مُعرضین عنها اعراضاً لایُخرجهم عن حدّ التّوسط کما قال علّی ﷺ لو کُشف الغطاء ما ازددتُ یقیناً.

فالعارف الحقیقی یریٰ بعین البصیرة فی هذه الدّنیا ما یراه غیره بعین الحسّ والعیان بعد هذا النّشأة ولا یمکن الوصول الی هذا المقام الّا تبرك الهویٰ والأطاعة للّه ولرسوله قال الله تعالی قل ان کنتم تحبّون الله فاتّبعونی یُحببکم الله ولنعم ما قیل بالفارسیة.

چشم دل باز کن که جان بینی — آنچه نادیدنی است آن بینی
گر باقلیم عشق رو آری — همه آفاق گلستان بینی
آنچه بینی دِلت همان خواهد — و آنچه خواهد دِلت همان بینی
بر همه اهل این زمان بمراد — گردش دور آسمان بینی
بی‌سر و پا گدای آنجا را — سر ز ملک جهان گران بینی
اندر آن پا برهنه قومی را — پای بر فرق فردان بینی
هر چه داری اگر بعشق دهی — کافرم من اگر زیان بینی
از مضیق جهان چه در گذری — وسعت ملک لامکان بینی
آنچه نشنیده گوش آنشنوی — وآنچه نادیده چشم آن بینی
دل هر ذرّه را که شکافی — آفتابیش در میان بینی

كه‌یکی هست وهیچ‌نیست جز او وَحـــــده لا اله الّا هـــــو

▫ **قوله** عليه السلام: **لاتُسْتَزَادُ مِن صَالِحِ عَمَلِهَا،وَلاَ تُسْتَعْتَبُ مِن شَيءٍ زَلَلِهَا، ...**

ای انّ الارواح لاتطلب زیادة فی الأعمال الصالحة الّتی اَتَت بها فی الدّنیا ولا تطلب التّوبة من قبائح اعمالها کذالك والسّر فیه هو انّ الاخرة لیست بدار العمل والتّوبة وانّما هی دار الحساب قال الله تعالی:﴿**فَالْيَوْمَ لاَيُخْرَجُونَ فِيهَا وَلاَ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾[1]

و:﴿**فَيَوْمَئِذٍ لاَيَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾[2]والحاصل انّ طلب الزیادة فی العَمل الصّالح والتّوبة من العمل القبیح من وظائف المکلّف فی دار التکلیف (اعنی الدّنیا وامّا الآخرة فلا) فانّ الیَوم عملٌ ولا حساب وغداً حساب ولا عَمَل

▫ **قوله** عليه السلام: **اَوَلَسْتُمْ اَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ، وَاَخِوانَهُمْ وَالأَقْرَبَاءَ؟ ...**

والأستفهام لِلأنکار ای انتم ابناء القوم الذین وصَفنا حالهم وشرحنا مالهم وقد ثبت انّ حُکم الأمثال فیما یجوز وفیما لایجوز واحد فحالکم حالهم ومآلکم مآلهم.

فَهمْ فی بطون الأرض بَعد ظُهورها
مَحاسِنهُم فیما بوالُ دَواثر
خَلَت دُورهم منهم واَقوَت عراصهم
وساقتهم نحو المَنایا المقادر
وخَلّو عن الدّنیا وما جَمعوا اَما
وضَمَّنهم تحت التّراب الحفائر
وفی دوُن ما عاینت من فجعاتها
الی رفضها داع وبالزّهد آمرُ

۱-الجاثیة- ۳۵ ۲-الروم- ۵۷

فَـــجُدّ ولا تـــغفِل فـــعَبشك زائـــل

وانت الى دار المّـــــنية صـــــائرُ

▫ **قوله عليه السلام: تَحْتَذُونَ اَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُم ...**

اى كيف لايكون كذالك مع انّكم تفعلون مثل افعالهم وتقتفون آثارهم وتسلكون مسالكهم وبعبارةٍ اخرى انتم تَتبعونهم حَذواً بالحَذو ونعلاً بالنَعل قال الله تعالى انّا وَجدنا آبائنا على امّةٍ وانّا على آثارهم مقتدوُن.

▫ **قوله عليه السلام: فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، ...**

يعنى انّ اللاّزم لكم العبرة بما مضىٰ وحيث انّكم لستم كذالك فلاجرم قلوبكم قاسية عن حظّها الّذى ينبغى ان تنتفع به لاهية غافلة عن رشدها سالكة فى غير مضمارها الّذى جُعلت له فهذه امور ثلاثة وقد أُشير الى الاوّل فى الكتاب الإلهى.

حيث قال:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]

و:﴿وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

و:﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْاَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[3]

و:﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[4]

و:﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَّالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[5]

والى الثانى: اشار بقوله تعالى:﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[6]

والى الثالث: اشار بقوله تعالى:﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَائَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[7]

و : ﴿كَذَالِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[8]

١- البقرة- ٧٤
٢- الانعام- ٤٣
٣- الحديد- ١٦
٤- المائده- ١٣
٥- الحج- ٥٣
٦- الانبياء- ٣
٧- المدثر- ٤٢/٤١/٤٠
٨- الشعراء- ٢٠٠

و : ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾[1]

▫ قوله عليه السلام: كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا ...

اى كأنّ ما قُصِد فى الشّريعة المطّهرة ما كنتم تعملون به وكأنّ الرُّشد والسّعادة الّذى أُمِر به انّما هو فى الوصول الى الآمال الدّنيوية الّتى تطلبونهما مع انّ الأمر ليس كذالك.

«و من هذه الخطبة»

▫ قوله عليه السلام :وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَ مَزَالِقِ دَحْضِهِ ،وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ ،فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَ أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ ،و أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هوَ اَجِر يَوْمِهِ، و ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ،وَ أَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِهِ ،تَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ،وَ سَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكَ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَ لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ، وَ لَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وَ رَاحَةِ النَّعْمَى ،فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَ آمَنَ يَوْمِهِ. وَ قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً،وَ قَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ ،و أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ،و رَغِبَ فى طَلَبٍ، و ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ،وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَ نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَ نَوَالاً، وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالاً وَ كَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِيراً و كَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَ خَصِيماً !

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، و أَحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ ،وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً،وَ نَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً،فَأَضَلَّ وَ أَرْدَى ،وَ وَعَدَ فَمَنَّى ،وَ زَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ،وَ هَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ،حَتَّى

[1]- النحل- ۶۹

إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَ أَسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ،أَنْكَرَ مَازَيَّنَ ،واسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ،وحَذَّرَ مَا آمَّنَ (آمّن خ ل) متن...

◁ اللّغة

(**مَزالِق**) على وزن مساجد صيغة منتهى الجُموع جمع. مَزلقِ كمساجد جمع مَسجِد و هوالموضع الّذى يزلق فيه القدم. (**دَحْضِهِ**)اَلدَّحَض بالفَتح فالسّكون الزّلق . (**تَارَاتٍ**):جمع تارة و هى المُرّة. . (**أَنْصَبَ**) انَصَبه‌اى اتعَبه. (**التَّهَجُّدُ**) تَهجَّد سَهرِو استَيقظ .(**غِرَارَ**)بكسر الغين النَوم القليل، (**اَظْمَأَ**)الظَّمَاء العَطَش .(**هَوَ اجِرَ**)جمع هاجرة نصف النّهارِ عندا اشتداد الحرّ .(**ظَلَفَ**)ظَلَفَ نفسَه اى‌مَنَعه .اَلمخارج اَلمشاغل. (**تَفْتِلُهُ**)فَتَلهاى صَرَفه) لم تَعَم من العمى عالَم تَخَفَ. (**النُّعْمَى**)كبشرى النعمه .(**اطَعمِ نَوْمِهِ**) اى اَطَيب راحته .(**مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ**)الدّنيا(**اكْمَشَ**)اسرَعَ. (**قُدُما**)بالضّم ،السّابق فى الأمر (**نَفَثَ**)نفَخَ. (**اسْتَدْرَجَ**) خَدَع (**قَرِينَتَهُ**)التّابع لِرَأيه.

◁ المعنى

قال ﷺ(**وَاعْلَمُوا**)،عباداللّه (**اَنَّ مَجَازَكُمْ**) و مَمَّركم (**عَلَىٰ الصَّرَاطِ**) الّذى هو جسر جَهنّم (**وَ مَزَالِقَ دَحْضِهِ**) لكونه احَدُّ من السَّيف وادَقَ من الشَّعر(**وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ**)اى زلل الصّراطِ كماستعرف .(**وَ تَارَاتِ أَهْوَ الِهِ**)اى هَولُه ليس مرّةً واحدة بل دَفَعات و مرّات .(**فَاتَّقُواللَّهَ، عِبَادَ اللَّـهِ، تَـقِيَّةَ ذِى**)صاحب (**لُبٍّ**)و عقل،اى اتّقو اللّة كتقّية صاحب عقل، و درايةٍ . (**شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ**)اى قلب صاحب العَقل . (**وَ أَنْصَبَ**)اى اتعَبَ الخَوف بَدنَه (**وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ**) اى ازالَ قيام اللّيل . (**غِرَارَ نَوْمِهِ**)و **قلّته** (**وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَ اجِرَ يَـوْمِهِ**)فكان صائم النَهار .(وظَلَفَ)اى منَعَ (**الزُّهْدُ**)فى الدّنيا (**شَهَوَاتِهِ**) الحيوانيه .(**وَأَوْجَفَ**)اى اَسرَع (**الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ**)بلابطؤٍ فيه . (**وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ**)اى قَدَّم الخوف مِنه تعالى للأمن مِن فِى‌العذاب . (**وتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَـحِ السَّـبِيلِ**)اى

نحاه الشّواغل عن الصراط المستقيم . (**وَسَلَكَ أَقْصَدَ المَسَالِكِ**)واَعدَلها . (**إِلَىٰ النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ**)الّذی هُومنهج الشَّرع القويم . (**وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ**)ای لَم تَصرفه الَموانع عن الطّاعات . (**وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ**)حتّی تقتَحِم فی الهَلَکات . (**ظَافِراًبِفَرْحَةِ الْبُشْرَىٰ**)ای مُستبَشر ابما بشَّرَه اللّه به من نعيم الآخرة . (**وَرَاحَةِ النُّعْمَى**)فی الجنّة العالية. فی (**أَنْعَمَ نَوْمِهِ**) ای اطيَب راحته.(**وَ آمَنِ يَوْمِهِ**)و آمَن اوقاته .(**قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ العَاجِلَةِ حَمِيداً**)ای قد خرج عن الدّنيا سَعيداً . (**وَ قَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً**)ای قّدم لِنفسه الزّاد لِيَوم الآخر. (**وَ بَادَرَ**)ای سَبَقَ (**مِن وَجَلٍ**)ای لأجل الخَوف . (**وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ**)ای و اُسرع الی لطّاعات فی ايّام مُهلته . (**وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ**)ای طلب الحقّ رَغبةً فيه وتَرَک الباطل مُعرضاًعنه . (**وَ رَاقَبَ فِي يَوْمِهِ**)اعنی الدّنيا (**غَدَهُ**)اعنی الآخرة . (**وَ نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ**) فادخَر الآخِرة ما يَنفَعه فيها . (**فَكَفَىٰ بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَ نَوَالاً**)للمُتّقين .و كفی بالنّار عِقاباً ووبالاً للمُجرمين . (**وَ كَفَىٰ باللّه مُنتقِماً و نصيراً**)ای مُنتقماً من لظّالمين و نَصيراً للمظلومين . (**وَ كَفَىٰ بِالْكِتَابِ**)ای القرآن (**حَجيجاً و خَصِيماً**)مُحاجّا و مُخاصماً . (**أُوصِيكُمْ ،عباداللّه بِتَقْوَىٰ اللّهِ الَّذِی أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ**) ای ازالَ العُذر بما اُنذُركم به مِن العُقوبات . (**وَ احْتَجَّ بِمَانَهَجَ**)ای اقام الحُجّة عليكم بالادلّة الواضِحة . (**وَ حَذّرَكمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً،وَ نَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً**)و هو الشّيطان لَعَنه اللّه تعالی (**فَأَضَلَّ وَ أَرْدَىٰ**)كما هو شأنه . (**وَ وَعَدَ**) الشّيطان (**فَمَنَّى**)ای مَنّا هُم الأمانی الباطلة . (**وَزَيَّنَ**)الشّيطان (**سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ وَ هَوَّنَ**)ای خَفّف . (**مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ**)فزّين فی انظارهم قبائح المعاصی وهَوّن مُهلكات الكبائر(**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ**) ای حتّی اذا خدَع قرينته .(**وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ**)لَهم (**وَاستَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَاآمَّنَ**).

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دحْضِهِ وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتارَاتِ أَهْوَ الِهِ...

اعلم: انّ الصّراط فی الأصل الطّریق والمراد به فی المقام هو الطّریق المَخصُوص به شرعا اعنی جسر جهَنّم الّذی علیه یَمُرّا النّاسَ عِلیه حسبَما دلّتَ علیه الأخبار ولَه مَزالق و اَهاویل وتبَعات واخاوِیف ونحن نتکَم فیه و فیها علی طریق الأجمال والکلام یقع فی مقامین :

المقام الاوّل: فی بیان ماهیّته ولزوم الاعتقاد به شَرعاً، والثّانی فی تَبعاته و اهَاویله فنقول :

امّا البحث فی المقام الاولّ: فاعلم انّ الصّراط المَبحُوث عنه علی مایستفادمن الأخبار هو جسرِ جهنّم الّذی لابّد لکّل اَحَدٍ من النّاس العُبور منه و هو ادَّقَ من الشّعَر وَاحَدَّ من السّیف.

فمن الاخبار: الصّراط طبقات وهُوادَّقَ من الشّعَر واحَّد من السّیف فمنهم مَن یَمرّ مثل البرق وفمنهم مَن یَمُّر مثل عَدوِالفَرسَ و منهم من یَمرُّحَبواًو منهم مَن یَمُرّ مَشیاً ومنهم مَن یَمُّر مُتعلّقاً قد تأخذالنّار منه شیئاً،و تَترک منه شیئاًانتهی «ج ٤ ص ٣٨»...

وایضاً بأسناده عن ابی جعفر(ع)قال لمّا نزلت هذه الآیة ،وجیءَ یومئذٍ بجهَنّم ،سُئل عن ذالک رَسُول اللّه ﷺ فقال رسُول اللّه (ص)اَخبَرنی الرّوح الأمین انّ اللّه الّذی لااِله غیرَه اذابَرزَ الخلائق و جَمَع الاوّلین والآخرین أتی بجَهنّم تُقاد بألف زمام تَقُودها مأئة الف مَلَک من الغِلاظ الشّداد لها هِدّةً و غَضَبٌ وزَفیرٌ و شَهیقٌ و انّها لتَزفَرا لزّفرَة فلوَلا انّ اللّه عزّوجلّ اَخرَّهم للحساب لأهلکَت الجمیع ثّم یخرُج منها عُنُق فیحُیط بالخلائق البَّرُ منهم والفاجر فما خَلَق اللّه عزّوجَل عبداً من عباده مَلَکاً و لانَبیّا الاّ یُنادی ربِّ نَفسی نَفسی وانت یانَبیّ اللّه تُنادی اُمّتی اُمّتی ثُمَّ یُوَضع عَلَیها الصّراط ادَّقَ

مِنَ الشّعر واَحَدّمن السّيف عليهاثلاث قَناطر فامّا واحدةً فعلَيها الأمانة ،والرّحم ،و امّا ثانيها فعَليهاالصّلوة ،وامّا الثّالثة فعلَيها عَدلُ ربّ العالمين لااله غيره، يَنكلّفون اَلمَمرّ عليها فتحبسهم الرّحم والأمانة فإن نَجِوَ فَنهما حَبَستُهم الصّلوة فان نَجَو مِنها كان المُنتهىٰ الى ربّ العالمين جلَّ وعزَّ وَ هو قوله تَبارک وتعالى انّ ربّک لَبالمِرصاد و النّاس على الصّراط فمتعلّقٌ بيدٍ و تَزُول قَدم ويستمسک بقَدَم والملائكة حولَهاينا دون يا حليم اِغفِر واصفَح وَعِديفضلک وسَلّم وسَلّم والنّاس يتَهافتُون بالنّار كالفراش فاذا نَجا ناجٍ برَحمةِ اللّه عزّوجلّ مرّبها فقال الحمدللّه و بنعمته تتّم الصّالحات وتزكوا الحَسنَات والْحَمدُلِلّه الّذى نَجّأنى منک بَعَدا ياس بَمنّه وفَضله انّ ربّنالغفورٌ شكور «ص ٣٨»...

وباسناده ايضاًعن المفضّل قال سئلتُ اباعبداللّه عن الصّراط فقال عليه السّلام هو الطّريق الى معرفة اللّه عزّوجلّ وهما صراطان صراطٌ فى الدّنيا وصراطٌ فى الآخرة فامّا الصّراط الّذى فى الدّنيا فهو الآمام المَفرُوض الطّاعة من عَرَفه فى الدّنيا واقتَدى بهُداه امَرَّه عَلى الصّراط الّذى هو جسر جَهنّم فى الآخرة فتَردىٰ فى ثارجهنّم انتهى« ص ٣٨»...

و ايضافى رواية ابى الجارود فى قوله تعالى:﴿**وإنَّ جَهنَّمَ لَمِوعِدَهُمْ اَجْمَعِينَ**﴾[1].فَوقُوفُهم على الصّراط انتهى «ص ٣٨»...

وايضا بأسناده عن ابى عبداللّه عليه السلام فى قول اللّه عزّوجلّ ﴿**انّ ربّک لبالمرصاد**﴾،قال عليه السلام قَنطَرةٌ على الصّراط لايجوزها عبدٍ بمظلمةٍ انتهى« ص ٣٨»...

هذاتمام الكلام فى ماهيّة الصّراط وحقيقته شَرعاً.

واما البحث فى المقام الثّانى: اعنى تَبعاته واهاويله فنقول :

روى فى البحارباسنادٌ عن اَنَس قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى

١-الحجرات-٤٣

فلا اقتحُم العَقَبة ،انّ فَوقَ الصّراط عقبةً كَؤُداً طولها ثلاثة الآف عام ،الف عام صَعود والف عام شَوک وعقارب وحيّات والف صُعوداَنا اوّل من يقطع تلک العَقَبة والثّانی مَمَّن يَقطع تلک العَقَبة علیّ ابن ابيطالب وقال بعد کلام لايَقطعها فی غير مشقّةٍ الاّ محمّد واهل بيته ،انتهی «ص ۳۸»...

وفی الأخبار العامية انّه يأتی قوم فيقَفَ علی الصّراط فيقولون نخاف من النّار و يَتعاسَرون بالمُرورعليه فيأتی جبرئيل ويقول ما مَنَعكم ان تَعبُرو الصّراط فيقولون نخاف من النّار فيقول جبرئيل اذا استقبلكم فی الدّنيا بحرٌ عميق کيف تَعبرُون فيقولون بالسُّفُن فيأتون بالمساجد الّتی کانوا يُصلّون فيها کَهَيئِة اِلسُّفُن فيجَلسُون عليها و يعبُرون الصّراط يقال لهم هذا مَساجدکم الّتی صَلّيتُم فيهابالجماعة.

وعن الحسن البَصری انّ الصّراط ميسرَة ثلاث سَنَة آلاف سَنَة ادَقّ من الشّعر وَاَحَدَّ من السَيف اَلف اَلف صُعُود واَلف استواءوالف هُبُوط انتهی

وامثال ذالک من الرّوايات.

ثمّ انّه يستفاد من الأخبار انّ العُبورعلی الصّراط لايمکن الأبولاية علّیٍ عليه السّلام واهل بيته الطّاهرين .

فمنها ـ مارواه فی البحار باسناده عن ابی جعفر عليه السلام قال) قال رسُول اللّه صلی الله عليه وآله يا علیّ اذاکان يوم القيمة اَقعُد انا وانتَ وجبرَئيل علی الصّراط فلم يَجُز اَحدٌ اِلاّ من کان معه کتابه فيه براءةٌ بولايتک انتهی« ج ٦ ص ۳۸»...

ومنها ـ مارواه بأسناد عن عبداللّه ابن انس ابن مالک عن ابيه عن جدّه عن النّبی صلی الله عليه وآله قال صلی الله عليه وآله اذاکان يوم القيمة ونُصب الصّراط علی جَهنّم لَم يَجزُعليه اِلاّمنَ کان معه جواز فيه ولاية علیّ ابن ابيطالب انتهی« ۳۹»...

ومنها ـ ماباسناد عن اَبی هريرة انّ رسول اللّه صلی الله عليه وآله قال اتانی جبرئيل عليه السّلام فقال اُبَشّرُک يا محمّد بماتجُوز علی الصّراط قال صلی الله عليه وآله قلت بلی قال تَجُوزبنوراللّه وتجُوز علّیٌ بنُورکُ ونورکُ منٍ نوراللّه وتجوز امّتک بنُور

علي ونُور علىّ من نُورك ومَن لَم يجَعل اللّه له نُوراً فما له من نُور ـ انتهى« ص ٣٩»...

ومنها ـ ماروا ه باسناده عن الصّادق عليه السلام عن آبائه قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم اثبَتكم قَدماً على الصّراط اَشدَّكم حُبّاًلأهل بَيتى «٣٩»...

ومنها ـ ماروا ه باسناد عن الباقر عليه السلام عن آبائه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعلّى ماثَبَت حُبّكِ فى قلب امرءِى مؤمن فزَلَّت به قَدَم على الصّراط الاّ تَثبَت له قَدَمٌ حتّى اذَخَله اللّه بحُبّك الجنّة ـ انتهى «ص ٣٩»...

اقول :و اقول الأخبارمن طريق العامّة والخاصّة كثيرة لانطيل الكلام بذكرها ومن ارادها فلْيراجع الى مظانّها ثم انّ هذا الّذى ذكرناه فى معنى الصّراط هو ما استفدناه من الأخبار و حيث انجَرّ الكلام الى هنا فلابأس بذكربعض ما اورده بعض المُحقّقين من الفلاسفة والعُرفاء فيه تكميلاًللبحث .

فمنه :ماذهب اليه صَدرالمتألّهين صاحب الأسفار فى كتابه المُسمّى بمفاتح الغيب قال (قدّه) ما هذا لفظه :

المَشهَد الحادى عَشَر ـ فى الأشارة الى صراط طريق الحق ،اعلم انّ لكّل شيىء حركةً جِبلِيّة و تَوَجُّهاً عزيزياً الى اللّه سُبحانه و هذالمعنى يشاهد لِمَن انكَشف النّقاب عن بَصيرته فى اَكثَر المَوجودات خُصوصاً الانْسان لسِعَة دائرة وجوُده وعِظَم قوسَه الصّعُودى وللأنسان مع تلك الحَركة الكمَاليّة حركةً اِراديّه دينِيّة وانّك لتهَدَى من تَشاء الى صراطٍ مُستقيم ،صراط اللّه الّذى مافى السّموات و ما فى الأرض فالأستقامة علَيه والثّبات فيه هو الذّى اراده اللّه تعالى عن عباده وارسَل رَسُوله اليهم وانزَلَ الكتاب عليهم لأجله وهذا الصّراط مُختّص بأهل الكمال بل كلّ واحدٍ منهايؤدّى سُلوكه الى صفةٍ من صفاته تعالى واسمٌ من اسمائه غيراسم اللّه كما حَقّقه العرفاء و دلّ عليه الحديث المشهور قل هذه سبيلى ادعوُ الى اللّه على بصيرةٍ انا ومَن اتبَعَنى والأستقامة عليه هى

المراد بقوله فأستقم كما أُمرت و من تابَ مَعک و لاتَطغوا، والأنحراف عنه يؤجب السّقوط عن الفِطرة و الهُوِّی الی جَهنّم التّی قیل لها هل امتلأتِ و تقول هل من مزیدٍ و هذا الصّراط هو المَدعُّو فی قوله تعالی : ﴿**اِهدنَا الصَّراطَ المُستَقیمَ**﴾ ادَقَّ من الشَّعر واحَّدَ من السَّیف لأن کمال الأنسان فی سُلُوکه الی الحقّ مَنوطٌ باستعمال قُویتّه امّاالعِلمیّه فیجب اصابة الیقین فی الأنظار الدّقیقةَ التّی هی ادَقَّ من الشَّعر.

واَمّا العَمَلیّة :فیجب تَوَسَّط قواه الثّلاثه الشّهَویة والغَضبیّة والفِکّریة فی الأستعمال لتحصیل مکارم الاخلاق و ملکة العِدالة قال اللّه تعالی: ﴿**وانّک لَعلیٰ خُلُقٍ عظیمٍ و هی احَدَّ من السّیف فالصَّراط المُستقیم**﴾ لّه وبجهان.

احدهما: ادَقَّ من الشَّعر والآخراحَدَّ منالسَّف والأنحراف عن الوجه الأوَّل یوجب الهَلاک الدّائم قال اللّه تعالی: ﴿**انَّ الَّذینَ لایُؤمِنُونَ بِالأخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناکِبُون**﴾[1]

والوقوف علی الوجه الثانی : یوجب الشّقَ والقَطع کما قیل مَن وقَف شَقَّه بنصفین والیه اشیر بقوله یسُحَبُون فی الحَمیم وبقوله اثاقَلتُم الی الأرض ارَضیتُم بالحیوة الدّنیا من الآخرة، و قوله تعالی: ﴿**وَاَنَّ هٰذا صِرَاطِی مُستَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ**﴾[2]ای مُروعلی الصّراط الآخرة مُستَویاً من غیر انحرافٍ و قیلٍ الی آخر ما ذکره .

اقول: هذاالّذی ذکره فی المقام لایرجع الی مُحَصَّلٍ و لا ینطبق علیه ظاهرا الشّریعة نعم ما ذکره من الصّفات الجّیدة و اعمِال قوّتی العِلمیّة والعَمَلیّة والألتزام بملَکَات الأخلاق و حَسنات الأعمال له دخل تامّ فی العُبور علی الصّراط و عدَم السُّقوط منه الی نارجَهَنّم وامّا انّ هذا هُو الصّراط المشارالیه فی الشّرع المُطّهر فهو ممّا یابأه العقل والشّرع ضَرورة انّ المستفاد من الأخبار واجماع الأمّة فی هذا الباب هو انّ الصّراط المبحوث عنه من الموجودات

۱- المؤمنون- ۷۴ ۲- الانعام- ۱۵۳

الخارجيّة المتأصّلة كغيره من مراحل الآخرة من المِيزان والحِساب والقيامة والنّار والجَنّة و امثالها و هذا هو الّذى يحب علينا الأعتقاد به شرعاً، لا ما ذكره فى معنى الصّراط ولعَمَرى ليس هذا القول و امثاله ممّا ذكره فى الجَنّة والنّار وغيرهما الآجرئة على اللّه ورسوله وتأويل الآيات على غير المراد منها فالبحث عن الحقائق الفَلسفيّة شيءٌ والبحث عن الأعتقادات الشّرعيه و لاسيّما ما هو مَنُوط بعالم الغَيب شئ آخر وليست الآيات و الأخبار الواردة من قبيل كلمات ارسطو وافلاطون و ابن سينا حتّى يقال فيه ما يقال فانّ هذه الأمور ممّا لا يحُلّل حُراماً و لايُحرّم حلالاً و امّا المبحوث عنه فليس كذالک والعجب منه (قدّة) مع انّه من الفلاسفَة الأسلاميّه الّذى يدّعى حُسن الأعتقاد و الالتزام بالأحكام والتّمسک بذيل اهل بيت الأطهار فكيف يقول هذا و نحن وان اقتَفينا اثره فى الفَلَسفه والتَزَمنا بما حَقّقَه فى كثيرٍ من الموارد الاّ انّ للأمور الشّرعيّة التّعُبدية مقام آخر فلا نقول فيها الاّ ما وَصَل الينامن مصادر الوحى و التّنزيل و عليه نَمُوت و نَحيا انشاء اللّه تعالى.

مضافا الى انّ صريح كلامه فى المقام يدلّ على وجود الصّراط و انّه لابّد لكلّ الأفراد من العُبُور عَليه فى المستقبل فانّ قوله عليه السلام: **واعَلَموا انّ مجازكم على الصّراط** ،مُشعربان هذا ممّا سَيَقع لاانّه وقع فى الماضى اوالحال وما حقّقه فيه يدلّ على انّ الصّراط عبارة عن الأعمال الصّالحة الّتى امّرنابها فى هذه الدّنيا كما علمت من استدلاتة و شواهده والفرق بَين المَوردين واضح .

ثمّ انّه عليه السلام بعد ما اشارفى كلامه بوجود الصّراط و لزوم المجاز عليه لا محالة اثْبَت له اموراً ثلاثه.

احدها قوله عليه السلام: **وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ...**

مزالق جمع مزلق كمساجد جمع مسجد و الدّحَض هو الفَحص بالرّجل فى مكانٍ زَلِق وفيه اشارة الى انّ الصّراط لا يمكن المجاز عليه بِسُهولةٍ كما انّه لايُمكن العبُور بسُهولة فى مكانٍ زَلق، بل لابّد من الفَحص بالرّجل ثمّ وَضع

القَدَم عليه و هو كناية عن هَول الصّراط وخَطَره.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ...**

والأهاويل جمع هَول وهوالخَوف و فيه اشارة الى انّ الصّراط له هَول بل اهاويل تَزلُّ فيها الأقدام.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ ...**

وفى هذا الكلام اشارة الى انّ هذه الاهوال ليست تارةً و مرتبةً واحدة بل تارات ومراتب عديدة كثيرة لا يَعلَمها الاّ اللّه .

□ **قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِى لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ...**

امَرَنا بتقوى اللّه والتَّمسُک بذيل عنايته والعَمَل بأوامره والتّرک من نواهيه خالصاً لوجهه الكريم و انّما اَمَرنا به لأن المقام مقام العائذبه فأن العُبُور على الصّراط لايُمكن بدون التّقوىٰ والأستمداد منه تعالى

و الأستعانة به ثّم قَيد عليه السلام التّقوى المأمور بها بأمورٍ لابّد للمُتّقى مراعاتها فانّ التّقوى لها مراتب كثيرة.فاشار عليه السلام الى.

الاوّل بقوله عليه السلام: **تَقِيَّةَ ذِى لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ...**

اى اتّقواللّه كتقوى العاقل المُتفكّرالّذى قد شَغَلَ قَلْبَهُ التَّفَكُّرُفى عاقبة هذه الحياة الفانية لا كَمَن هُو متّصف بالتّقوى اِلاّ انّه غافِلٌ غِير متوجّه إلى المآل والمَرجَع فأن هذه التّقوى لا تَفيد فانِ الغَفلة منَشاء السّقَطات والهَلَكات و فيه حثٌ على حُسن التّفكر وانّ العاقل اللّبيب يكون كذالک والآيات الّدالة على لزوم التّفكر كثيرة. قال الّله تعالى:**﴿كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾**[1]

و : **﴿قُل هَل يَستَوِى الأعمىٰ والبَصِيرُ افَلا تَتَفَكَّرُون﴾**[2]

و : **﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُو فِى أَنفُسِهِم﴾**[3]

١- البقرة- ٢١٩و٢٢٦ ٢- الانعام- ٥٠

٣- الروم- ٨

و : ﴿كَذَالِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] و غيرها من الآيات اذا عرفت هذا فنقول قال بعض المحقّقين.

اعلم : انّ الفكرُمن قوى النّفس النّاطقة القدُسيّةٌ فِعلٌ من افعالها فهو من حيث النِّسَب تَفَكُّرات جُزئيّة خاصّة متعلّقة بأمورٍ خاصّه، و من حيث صُدوره عن النّفس له ابهامٌ نَوعَىٌ وله مادّةٌ صادرةٌ عن النّفسَ نوعَية يشترک مع الخيال والوَهم والعِلم والتّعقُّل صُورةٌ نوعيّةٌ يمتاز بهاعن اخواته وهى خصوص دَرک النّسبَيةبين الصّوُرتَين الحاصلتَين فيه وقد يَخدِم الوَهم فيدرک النّسبة بَينَ المعنَيين الّذين فيه و قد يخدمها معاً فيدرک النّسبة بين معنى مُدركٍ للوَهم وصورة مُدركة للخيال فهو خادِمِ الذّاكرة بقولٍ مطلقٍ فلايقدر على الفكر مَن لا يذكُر صُورةً و لا معنى فاذا استَحَضرتَ صُورا الاشياء او معانيها امكَنَکَ التّفكُرفيها ودركَ النِّسَب بينها.

وتوضيحه على نحوالأجمال انّ اللّه سبحانه خَلَق الانسان انُموُزجاً لهذا العالم و جَعَل فيه ممّا جَعَل فيه ممّا جعل فيه فَخَلق فيه حِصّة من العرش و جعلها قَلبهاى عقله الجسمانى وحِصّة من الكُرسى فجعَلَها صدره الجسمانى و حِصّةً من فَلَک الشّمس وجعَلها طبعَه وجوده الثّانى اى الشّخصى و حِصّةً من زُحَل و بها تَعلّقه من المُشترى و بها عالِمته و حِصّةً من المِرِيّخ و بها واهمتُه وحِصّةً من الزّهرة و بها خيالة وَ حِصّته من عَطارد و بَها فكره وَحَصّته من القَمَر و بها حياته و المقصود انّه تعالى احَدَث مثلها و مساويها فى الدّرجة و اللّطافة فى الانسان لانّه نزع قطعةً من الأفلاک وجعلها فيه.

فاذا صَعِد بخار الدّم الصّافى الّذى فى القلب الى الدّماغ و وَصَل الى مقام الفكر و هو على ما قالوه التّجويف الاوسط ،حكى فعل النّفس وله صَبغٌ مّا من طبعه وخصوص المَحلّ فانصَبغ مثال النّفس انصباغاًادركت به فيه النّسب الفكريّه كما انصَبَغ مثال النّفس فى الخيال انصباغاً ادركت به فيه الصّور

۱-يونس-۲۴

الفكرّيه و قد يسّمُون المُتفكّرة المتخيّلة يعنى تلك القّوة فى الانسان متفكّرة و فى الحيوان مُتخيّله و على ايّ حالٍ هى قوّة تخدم الواهمة و الخيال ،و كُرسيّها على الماء و شُغلُها دَرک النّسَب بين الصّورتين اى مايَنطبع فى هذه الصّورة من هذه الصّورة و ما فى هذه من هذه وبين المعنَيين كذالک وبين الصّورة و المعنى و عكسه كذالک و هو ناظر ابداً فى لَوح الخيال اوالوهم و يَتفكّر فى نَسَب ما فيها و يدركها ثمّ يعرضها على العالمة فتجّردها عن عَرضَ اقترآنهاو ارتباطها بالموادّ و يعرضها على العاقلة كما كان الخيال يعرض الصّورةالّتى فيه على الواهمة فتدرک العاقلة ما فيها من المعنى المجرّد الكّلى كما انّ الواهمه تدرک ما فى الخيال من المعانى الجزئيّة والمُدرِک لجميع ذلک هوالنّفس ولكّنها ينتظّر من هذه المناظر و من كّل منظرةٍ تدرک ما يشاكلها ويناسبها و انّما عَيَّن القوم التّجويفات لانّهم رأوانّ الانسان اذا اصاب مقدّم دماغه آفةٌ فسَدَ خياله و اذا اصاب.

وسطه آفة فسد فكره و اذا اصاب مؤخّره آفة فَسَد حفظه و قد اطال الكلام فيه وفى سائرالقوى بمالامزيد عليه و قال السّبزوارى فى منظومته :

اَلفِكــر حَــركةٌ الى المَــبادى وَمِــن مــبادى الى المُــراد

اذا علمت الفكرومحلّةٌ فى الأنسان فلابأس بالاشارةالى بعض ماوردفى مدح التّفكر من الأخبار :

منها ـ ماعن الصّادق عليه السلام انّه قال اعتبروا بماضى من الدّنيا هل بقَى على اَحَدوهل اَحَدٌ فيها باقٍ من الشّريف والوضيع والغَنّى والفقير والوّلى والعدوّ وكذالک مالم يأت منها بمامَضىٰ اشَبه من الماءبالماءانتهى...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كفى بالموت واعِظا وبالعَقل دليلاً وبالتّقوى زاداً وبالعبادة شُغلاً وباللّه مؤنساً وبالقرآن بياناً ـ انتهى...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله: تفكّر ساعةٍ خير من عبادةسنةٍ ولاينال منزلة التّفكرالاّمن خَصَّه اللّه تعالى بنور التّوحيدوالمعرفة ـ انتهى وعَن علىٌ عليه

السّلام لاعلم كاالتّفكر،وعنه ﷺ الفِكرةمِرآةٌ صافية...

وعن الصّادق ﷺ انّه قال كان اميرالمؤمنين ﷺ يقول نَبّه بالتّفكرقلبَك وجاف عن اللّيل جَنبَك ،واتّق اللّه ربّك انتهى وعنه ﷺ افضل العبادةادِمان التّفَكُرفى اللّه وفى قدرته-انتهى...

عن معمّرابن خلادقال سمعت اباالحسن الرّضايقول ليست العبادة كثرة الصّلوة و الصّوم انّما العبادة التّفكر فى امر اللّه عزّوجلّ -انتهى

و عن ربعى قال قال ابوعبداللّه ﷺ قال اميرالمؤمنين ﷺ التّفكر يَدعُوالى البِّر و العَمَل به -انتهى...

و عن النّبى ﷺ لاعبادة مثل التّفكر انتهى و الأخبار فيه كثيرة...

اقول:اذا كانت هذه العباده الشّريفة بهذه المثابة مَحبُوبة له سبحانه وتعالى فلا ينبغى اهمالهاكيف و المعرفة و الايمان من الامور الكَسبيّه بمعنى انّهما لا يحصلان الاّ بالتّفكرفى آيات اللّه سبحانه فَمن لاتَفَكُّر له لا ايمان له و عليه فهو اوّل الفرائض الواجبة و اعَظَمها و مَن اخَلَّ بها اخَلَّ بجميع الفرائض ومن اَتىٰ به يُرجىٰ له وصُول ما كُتب له و لّما كان الشيطان عالما بمسالك الاغِواء منَع النّاس منه حتّى انّ الرّجل يَعمُر ستّين سنة او اكثرو لا يتفكّر فى امرنفسه ساعة نعوذ باللّه من هذه الغفلة.

- **قوله ﷺ: وَ أَنْصَبَ الْخَوفَ بَدَنَهُ ...**

هذه هواللاّزم الثّانى و هو معطوف على قوله ﷺ: **تـقّية ذِى لُبٍّ الخ اى اتَّقُواللَّهِ تَقِيَّةَ مَن انصَبَ الخوفَ بدنه** ،والنّصب فى اصل اللّغة التّعَبَ وعليه فالمعنى اتّقوتقيه من كان بدنه فى الخوف عنه تعالى فى تَعَب ومشقّةٍ وانّما قال ﷺ ذالک لاّن المتّقى اذا كان قلبه مَشغُولاً بالتّفكُر فلا محالة يكون بدنه فـى تَعَب لانّ التّفكر يوجب الخوف من العاقبة وهو يوجب التّعَبَ فى البَدن من جهه الرّياضة وترک المشتهيات النّفسانيّة و سهرا للّيالى والبكاء من خشيته و غيرها فنقول :

الْخوف هو توقّع النّفس ضرراً ينالها من منافرٍ لها فی نفسها او مايؤل اليها مع تألّم منه و له اصلٌ وفرعٌ ،اَمّا اصله فادراكه الشّیء المنافی لكينُونتها فاذا قابلَت الّنفس بمرآت مدركها الی الشی وَ وَقع شَبَحه فی مدركها فوَجدَته منافياً لكينونتها واعتقدت انّه مفْنيها و واصل اليها فوقعت ضرره فهذا التّوقُع والتّألُم هو خوفها علی نفسها و عليه فاعتقاد الأفناء الخالص عن شوب الرّجاء و علمه بوصوله اليه يوجب توقّع ضرره البّته و هو خوف الكائن وذالک لاسترة عليه.

وامّا فَرعه وثَمَره الهَرب فاَن النّفس اذاخافت ای تـوَقّعت انّ هـذا الشّـیی القارن مفنيها هرَبَت منه ابقاءً علی نفسها و لربّما يسبق ذالک التّوقُع الهَـرَب فيموت الانسان و هذ الخوف يقوی و يضعف علی حسب مراتب الأعتقاد و المُعتقِد فالشّاک فی ضرر المقارن لا يخاف البّتة و اولی مـنه بـعدم الخـوف المتوهّم للضّرر فاذا ظنّ الضّرر حصَل له اقلّ درجات الخوف ويشـتدّ كـلّما يشتدّ الظّن الی ان يحصل اليَقين فَيَتقّوی الخوف بمقداره وكلّما يشتّد اليقين بالضّرر يشتدّ الخوف و كذالک يتفاوت الخوف بحسب تفاوت قلّة الضّرر و كثرته فغاية الخَوف اذاحَصَل اَشدّ اليقين بتلف نفسه و هلاكه بالمرّة فما لم يبلغ الخوف حدّ الموت لم يصل الی الغاية فأصل الخوف الّذی ينشاء منه امّا خارجیّ موجود فی الحال كالأسد المُقبل فيقع شَبَحه فی العين ثّم فی الحِسّ المُشترک ثّم فی الخـيال فـيدرک النّـفس صـورته المـجرّدة فـتجدها مـنافية لِكينُونتها فنِخاف منه وهذا القسم من الخوف يحصل فی الحيوانات ايضا.

و إمّا ذهنیّ وهوكان بتفكّر فی انّه لوكان كذا كيف يكونِ ضررها فيتصوّر فی ذهنه صورةً فتنتزع النّفس صورته المجرّدة فتجدها منافيةً و تَعتقد انّها تنالها منها ای تتوّقع نيل ضررها فاذا حَصَل العلم بالشّی ءالضّار فی النّفس واعتقدت و صوله اليها خافت منه و هرَبت عنه فاَن النّفسِ تُعرض عّما يضرّها و تنفرعنه فَيَقع شبَحها و شَبح خوفِها و اعِراضـها فـی القَـلب فـيضْطَرب القَـلب و اذا ضطَرَب القلب اضطَرب البَدن والأضطراب فی البدن يوجب كونه فی تَعَبٍ

ومَشَقَّةٍ.

اذ اعرفت الخوف ومعناه فقد دَرَبت انّ الخوف فى الأنسان لاينفكّ عن تَعَبه ومحِنته فكلّما اشتدّ الخوف يشتدّ التّعَبَ و لاشكّ انّ مَنشَاء الخَوف هوالتّفكّر و التّوجُه و لاسيّما فى الخوف الّذهنى الّذى كلامنا فيه فمن كان غافلاً لا يحصل له الخوف البّتة وعليه فالأنسان اذا اَشغَل قلبه التّفكر فى الموت وتَبعاته من القّبر والبَرزخ والّصراط والحساب و امثالها فلامحالة يخاف منها و اذا خاف يَصير بدنه فى التّعَب و هذا معنى قوله عليه السلام: **وَانْصَبَ الْخَوفَ بَدَنَهُ** فافهم...

ثُم انّ الخوف للعبد السّالک الى اللّه مَمدُوحٌ و هو من المقامات العالية للسّالک اليه تعالى والآيات والأخبار الواردة فيه اكثر من ان تُحصىٰ و قد تَكَلّمنا فيه سابقا و نُشير الى بعض الآيات والآثار فى المقام فمن الآيات قال اللّه تعالى :﴿**فَلا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونِ اِنْ كُنتُم مؤْمِنِينَ**﴾(١)

و : ﴿**ذَالِکَ يُخَوّفُ اللّهُ بِه عِبادَهُ يا عِبَادِ فَاتّقُون**﴾(٢)

و : ﴿**تَتَجَا فَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ المَضاجِعِ يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفاً و طمعاً**﴾(٣)

و : ﴿**وَ لَيُبَدّلَنّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم اَمناً**﴾(٤)

و : ﴿**و ما نُرسِلُ بِالآياتِ اَلاّ تَخوِيفاً**﴾(٥)

وروى عن الصادق عليه السلام :انّه قال منَ خَافَ اللّه اَخَافَ اَللّه منه كُلَّ شيئٍ ومَن لمَ يَخَفَ اللّه اَخافَه اللّه من كلّشيئٍ -انتهى...

وعن ابى حَمزَة قال ابوعبداللّه عليه السلام من عَرف اللّه خافَ اللّهُ سَخَت نفسه عن الدّنيا -انتهى...

وعن صالح ابن حَمزَة رفَعه قال قال ابوعبداللّه عليه السلام انّ من العبادة شِدَّة الخَوف من اللّه عزّوجلّ قال اللّه تعالى:﴿**اِنّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَماءُ**﴾(٦)

١- آل عمران- ١٧٥
٢- الزمر- ١٦
٣- السجدة- ١٦
٤- النور- ٥٥
٥- الاسراء- ٥٩
٦- الفاطر- ٢٨

(فـاطر-٢٨) و : ﴿ولاتَـخش النّـاس و اخشُـونى﴾ و : ﴿وَمَـن يَـتَّقِ اللّـهَ يَـجعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾[1] انتهى.

وعنه عليه السلام :قال انّ حُبّ الشّرف والذِّكر لا يكونان فى قلبِ الخائِف الرّاهب - انتهى...

وعن ارشاد الدّيلمى :قال علّى ابن الحسـين يـابن آدم انّک لاتَـزال بـخيرٍ ماكان لک واعظ من نفَسک وماكان الخَوف شِعارک والحُزن دِثارک يـابنَ آدم انّک مَيتٌ ومُحاسَبٌ فَاَعِدُّالُجواب - انتهى...

وروى انّه اَوحى اللّه الى موسى ابن عمران ياموسى خفِنِى فى سِرّامَرک احفِظُکَ فى عَوراتک - انتهى...

وقال الصّادق عليه السلام :ماالدّنيا عندى الاّ بمنزله المَيتة الى ان قال عليه السلام فاَزوَاللّه الأبرار و خسَر الا شَرار تدَرى مَن الأبرار الّذين خافوه واتّقوه و قرَّبواالـيه بالأعمال الصّـالحة و خْشَوَه فى سرِّ امرهم وعلانيتهم كفى بخشية اللّه علماً وكفى بالأغترار به جهلاً الى ان قال عليه السلام انّ اعلم النّاس بـاللّه اخَـوَفهم مـنه و اخشياهم له ازهَدَهم فى الدّنيا الحديث...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله :من كان باللّه اعرَف كان من اللّه اخَوَف...

وقال صلى الله عليه وآله :يابن مَسعُود اخِش اللّه تعالى بالغَيب كانّک تـراه فـان لم تـره فـانّه يـراک يـقول اللّـه تـعالى ﴿مَـنْ خَشِيَ الرَّحـمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلبٍ مُنيبٍ﴾ ادُخلوهابسلامٍ ذالک يوم الخُلود - انتهى...

وقال النّبى صلى الله عليه وآله :اذا اقشَعَرّ قلب المؤمن من خَشَية اللّه تَحاتت عنه خطاياه كما يتَحاتت من الشَّجَرة ورَقَها - انتهى...

وروى انّه مرّالحَسَن ابن علىّ بشابٍّ يَضحَک فقال هل مررتَ بـالصّراط قال لا،و هل تَدرى الى الجنّة تصيرام الىالنّار؟ قال لا، قال فما هذا الضّـحِک ؟قال فما رأى ذالک الفتى بعد ذالک ضاحِكاً -انتهى...

١- الطلاق- ٢

وروى عن الامامَ موسى ابن جعفر عليه السلام انّه قال قال اميرالمؤمنين عليه السلام انّ المؤمن لايُصبح الاّ خائفاً و ان كان مُحسِناً و لا يَمُسى‌ء الاّ خائفاً و ان كان مُحسِناً لانّه بين امرين بينَ وقتٍ قد مَضى لا يدَرى ما اللّه صانعٌ به وبَين اَجَلٍ قد اقتَرب لا يدرى ما يُصيبه من الهَلَكات الحديث...

و اَلاحاديث فى الخوف كثيرة قد مضى شَطرٌ منها فى الأبواب السّابقه و مع هذه الآيات و الاحاديث كيف لاينصب الخوف بدن المؤمن و هذامعنى قولناانّ لازم الخوف هو هذا افمن كان متّصِفاً به لامحالة يكون مُضطرباً مُتوحِّشاً و هو المطلوب.

تذنيبٌ :نَذكُر فى فيه سِرّ انَّ الخَوف ينصب البدن.

اعلم: انّ الخوف كمامرّتحقيقه من الأوصاف القَلبيّه وعليه فليس الخوف محض ادّعاءٍ وقولٍ بل له علامات وثوب الرّيا يَشُفّ عَمّا تَحَته وانِ التَحفتَ به فانّک عار.

فعلامة صدِق الخوف وصحتّه ،الهَرَب من صفات النّفس والعَمَل بمقتضاها مِن فعل المعاصى وترک الطّاعات والفرار من الأخلاق الرّدية الباطلة وترک الأخلاق الحَسَنة، والفرار من العلوم الباطلة الخبيثة، و الهَرَب عن ترک العلوم الطّيبة اعنى علوم آل محمّد عليهم السّلام والهَرَب عَن الأعراض عن اللّه تعالى و ترک ذكره وبالجملة علامة الخوف ترک جميع ماكرَه اللّه وابغَضَه.

ثمّ انّه ربّما يظهر آثار الخوف فى طبيعة الأنسان فيَظهر فى لَونه ،و اعضائه و اقواله الظّاهرة والباطنة آثاره بحيث لويراه احَدٌ يعلم انّه رَجلٌ خائِف وذالک لانّ الأعضاء.وَالجوارح البدنَية كلّها تابعة للقلب فاذا كان القلب خائفا وَجِلاً يظهر آثار خوفه فى الأعضاء التّابعه له فلايمكن تَحَقّقُ الخَوف القَلبى مع عدم الأنكسار فى الاعضاء و هذا مراد من قال انّ الخائف له علامات.

- **قوله عليه السلام: وَاسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ...**

وهذا هو الثالث: من الأثار المُترتبّه على تَقوى اللّه وحاصله انّ من اتّقى اللّه

بالمعنى الّذى ذكرناه لابّد من ان يكون متُهجّداً مُتوّجهاً الى ربّه لا ينام إلاّ قليلا و كانت القلّة مُستندة الى التّهَجُد والقيام بذكرالله لانّ مطلق قلّة النّوم مطلوب وذالک لانّه قال عليه السلام: **اسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ** لاشئ ءاخر فهذا هو المعنى الظّاهرو امّا تحقيق القول فيه فنقول :

قال اللّه تبارک وتعالى مخاطبالنبيّ صلى الله عليه وآله **«و من اللّيلِ فتَهَجّدْبِهِ نَافِلَةً لَکَ»**[1]

و : **«قُم اللّيلِإلاّ قليلاًنصفُه اوانقُصْ منه قليلاً»**[2]اصل السّهرعدم النّوم فى اللّيل يقال سَهَرسهراًلم يَنمْ ليلاً فهو ساهِرو سهران ،اسهره جعَله يسَهر والتّهجُد مأخوذ من الهَجد وهوالنّوم ،والهاجد النّائم يقال هجّدته فتهجّد اى ايقَظتُه فَتيقّظ قاله الراغب فى المفردات اذا اعرفت هذا فنقول :

اشارعليه السلام بذالک الى انّ الخائف من اللّه من علاماته القيام باللّيل للصّلوة والدّعاء فانّ من علامات المؤمن المُتّقى هوالتّوجه الى المعبُودُ والنّاس نِيام وامّا من ليس كذالک فهو ليس بخائفٍ واقعاً .

الاترى انّ الأنبياء والأوصياء والاولياء و الصُّلحاء كانو يدُيمُون على المناجات والقيام بذكرالله فى اللّيل حتّى.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعلّي عليه السلام ياعليّ عليک بصلوة اللّيل علَيک بصلوة اللّيل عليک بصلوة اللّيل والأخبار فى مدح التّهَجُد فى اللّيل كثيرة، هذا ان اريد بالنّوم معناه المُصطلح كما هو الظّاهر و يمكن حمله على ما هو اعّم منه اعنى نوم الغفلة كما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله النّاس نِيام اذا ماتو انتبَهُوا.

و عليه فالمعنى انّ المؤمنِ ينبغى له ان يتيقّظ عن نوم الغفلة فى جميع شئونه واطواره ليلاًكان اونهاراً سفراًكان او حضراً قياماًكان او قُعُوداً فتأملَ .

وعن كشف الْغمّة قال قال طاوس رأيت رجلا يُصلّى فى المَسجد الحرام تحت الميزاب ويَدعُواويبكى فى دعائه فجئته حِين فَرَغَمن صلوته فاذا هو علّى ابن الحسين عليه السلام فقلت له يابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله رأيتک ،على حالة كذاكذا

۱- الاسراء- ۷۶
۲- المزمل- ۳

ولک ثلاثة ارجوانَ تُؤمنک من الخوف ،احداهاانّک ابن رسول اللّه ،الثّانی شفاعة جدّک رسول اللّه ﷺوالثّالث رحمة اللّه تعالی فقال عليه السلام یاطاوس امّا انّی ابن رسول اللّه فلا یُؤمننی لانّ اللّه تعالی یقول فلا انسابَ بینَهُم یومئذٍ ،وامّا شفاعة جدّی.

فلا تُؤمننی لأنّ اللّه تعالی یقول و لا یشَفَعُون الاّلِمن ارتَضیٰ .و امّا رحمة اللّه فانّ اللّه تعالی یقول:﴿**إِنَّ رَحمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحسِنِينَ**﴾[1].

وعن الحلیة عن ابن بابویه بسنده عن طاوس الیمانی قال مررت بالحجر فاذا انا بشخص راکع و ساجد فتأملته فاذا هو علیّ ابن الحسین علیه السّلام فقلت یانفس رجل صالح من اهل بیت النّبوة واللّه لأغتنمنّ دعائه فجعلت ارقبه حتّی فَرغَ من صلوتِه ورفَعَ باطن کفیّه الی السّماء وجعل یقُول سیّدی سیّدی هذه یدای قد مددتُها الیک بالذّنوب مَملُوّة وعیناى بالرجّاء ممَدُدَة وحقّ لِمن دعاک بالنّدم تَذَلُّلاًان تُحِبیَبه بالکَرَم تفَضُّلاً اَمِن اهل الشّقاءِ خلَقتنی فَأُطیل بکائی‌ام مِن‌اهل السّعادة خلقتنی فابشر رجائی سیّدیٍ اَللِضّرب خَلَقت اعضائی ام لشُرب الحَمیم خَلقَت امعائی سیّدی لوانّ عبداً استطاع الهرَبَ من مولاه لَکُنتُ اوّل الهاربین منک لکنّنی اَعلَمُ انّی لا اَفُوتک الحدیث بطوله...

وروی فی البحارباسناده عن حبّه العَوفی قال بینا ونُوف نائِمَیَن فی رحُبة القِصر اذنَحن بامیرالمؤمنین فی بقیّةٍ من اللّیل واضعا یده علی الحائط شبیه الواله یقول:﴿**اَنَّ فِی خَلقِ‌السَّمواتِ وَالأرض**﴾[2] قال ثّم جَعَل یَقرء هذه الآیات ویَمُرّ شبه الطّائر عقله فقال لی اَراقِدٌ انت یا حبّه ام رامِقٌ قال قلت رامقٌ انت تعمل هذا العمل فکیف نحن قال فأرخی عینه فبکیٰ ثّم قال لی یاحبّة انّ للّه مَوقِفاً و لنابَین یَدیَه موقفاً لا یَخفی علیه شیی ء من اعمالنا یا حَبُّة انّ اللّه اقرَب اِلیَّ والیکَ من حبلَ الوَرید یاحبّة انّه لن یحَجُبنی ولا ایّاک عن اللّه شی ءٌ قال

۱- الاعراف- ۵۶ ۲- البقرة- ۱۶۴

ثّم قال عليه السلام أراقِدٌ انت يانوف قال ياامير المؤمنين ما أنا براقدٍ ولقد أطلتُ بكائى هذه الليّلة فقال عليه السلام يانُوف إن طال بكاؤك فى هذاالليّل مخافَةٌ من اللّـه قَـرَّت عيناك غَداً بينَ يَدى اللّه عزّ وجلّ الحديث «ج ٩ ص ٥١٢ ط كمپانى»...

ومن صفاته عليه السلام ماذكره نُوف لمعاوية فقال له مافُرِشِ له فراش فى ليـلٍ قّطُ الى قال اشَهد لقد رأيته فى بعض موافقة وقِد ارخَيِ اللّيل سُدُولُه وغارت نُجومه و هو قابِضٌ بِيَده عَلى لِحيته يتَملَيل تَملُمل السّليم ويبكى بكاءالحزين ـ انتهى« ص ٥١٣»...

وفيه مارواه باسناد عن ابى يعلى فى المسندعن اميرالمومنين عليه السلام انّه قال ماتركت صلوة الليّل منذُسمعت رسول اللّه يقول صلوةاللّيل نُور(قول النّبى صلوه الليّل نور)فقال ابن الكَّواء ولاليـلة الهـرير قـال عـليه السّـلام ولالـيلِة الهَرير ـ انتهى« ص ٥١١»...

وعن سلمان ابن المغيرة عن امّه قال سئلت امّ سعيد عن صلوة علّيٍ فـى شهررمضـان فقالت رمضـان وشـوّال سَـواءِيُـحيى اللّـيل كـلَّه ـ انـتهى «ص ٥١١»...

والاحاديث فى البابِ بالنّسبة الى المعصومين كثيرة.

- قوله عليه السلام: وَأَظْمَأَالرّجَاءُهَوَاجِرَيَوْمِهِ ...

وهذا هوالرّابع – من الأوصاف المذكورة فى المتن وفيه اشارة الى انّ المَتقى ينبغى ان يكون راجياً كماانّه يكون خائفا فالخوف بدون الرّجاء مذموم كما انّ الرّجاء بدون الخوف ايضاً مذموم والمؤمن حقّه ان يكون بين الخوف والرّجاء فانّ خيرالأمور اوسَطَها قال بعض المحقّقين فى المقام .

ثّم انّ الرّجاء هو تَوقُّع النّفس النَّفع مِن ذيِ نَفع فى ارتياحٍ وله سَبَبٌ وثَمَر. امّا سببه فيقين الأنسان بشى ء انّه نافع له مُقوٌّ لوجُودِه او نافع لِما يَؤُل اليه فاذا تيَقَّن بالشّى ءانّه نافع له اذا اقتَرن به تَوقَّعَ نفَعه وثَمر هـذا التّـوقع طَـلَبه والأقتران به والمَيل اليه والاتّصال به والمرّجوّ ما يَتَرُدّ فيه الانسان كالمخوف و

لا يقال للمقطوع به مَرجوّاً ومخوفاً،الاترى انّه لايقال ارجُوان يَطلَع الشّمس و اخافُ انْ تَغرُب الاّ عند ملاحظة مشيّة اللّه فيهما و يقال ارجو ان ينزل المَطَرو اخافُ ان ينقَطِع فاليقين الّذى هوسبب الرّجاء هو اليقين بحصول المُقتضيات وكذالعلم بالخوف هو العلم بحصول المقتضيات ومحّل التّردد فيها هو وقوع المقتَضىٰ بالفتح فيتردّد المؤمن لانّه تحت مشّية اللّه و لاتلتزم بشى ء ثّم انّ لحصول المَرجُوّ سببين فاعِلّىٌ وقابِلّىٌ .

فالفا عِلِىّ مَشيّة اللّه وعطفه وجوده وعطف اوليائه و هو لا نقصان فيه .

و امّا القابَلى فاستعداد العَبد وعَمَله و هو مَنشَاء التّردُد اذ لايدَرى هل هو قابل لتعلّق الجُود به ام لامعَ القطع بانّ اللّه لايقطع عطائه عن السّائلين ولا يَمنع فَيضَه عن المُستعّبدين فيَجب على من بَلَغ هذالمقام من المعرفة ان يسَعىٰ ليلاً ونهاراً فى الأعمال الصّالحة الخالصة وتكميل القابليّة و كلّما يكمل العبد قابليّتة يظهر له بدايات المَرجُوّ وكلّما يظهر له شى ء منها يَزدادُ شَوقاً ورجاءً واذا حَصَل الرّجاء لنفس الأنسان فى نفع شيءٍ ادرَكَته مالَت اليه طَبعاً ووقع شَبَحه فى خياله فَأدام تَصَوّره والفكر فيه كيف يَتَوصّل اليه وكيف يَنتفع به كيف يَسترضى صاحبه وكيف يحتال فى طلب ما عنده فيقع شَبَحٌ مّافى فكره فى اخلاط بدنَهَ فَتهيج و يُهيّج روحه ويَميل الى الظّاهر تدَريجاً ليحتال فى طلب مااعتقد نفعه ويشايعه الدّم بمشاركه البَلَغم فَيحَمّر الوَجَنات ويسَخن الأعضاءبخلاف الميل فى الغَضَب فانّه بمشاركة الصّفراء انتهى ما اردَنا نقلَه فى المقام وقدسبق الكلام منّافيه مفَصلاً و نشير فى المقام الى شطرٍ من الأيات والاخبار الواردة فى فضله تَيمّناً وتبرّكاً فنقول:

فمن الآيات. قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوو الَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرجُونَ رَحمةاللَّهِ**﴾(١)

و : ﴿**فَمَن كَانَ يَرجُو لِقاء رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**﴾(٢)

١- البقرة- ١٨ ٢- الكهف- ١١٠

و : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُو اللَّهَ وَ اليَومَ الآخِرَ﴾[1]

و : ﴿يَحذَرُ الآخِرَةَ وَ يَرجُوا رَحمة رَبّهِ﴾[2] وغيرها من الآيات.

ومن الاخبار: مارواه فى الوسائل بسنده عن الصّادق عليه السلام انّه قال اذا ارد اَحدَكم ان لايسَئل ربّه شيئاً الاّعطاه فَلَيأس النّاس كلّهم ،ولا يكون له رجاء الاّمن عنداللّه فاذا اعلم اللّه ذلک من قلبه لَم يَسئَل اللّه شيئاً الاّاعطاه انتهى...

ومنها – ماعن الكافى عن ابيعبداللّه عليه السلام قال قلت له قوم يَعمَلون بالمعاصى ويقولون نَرجُو فلا يزالون كذالک حتّى يأتيهَم المَوت فقال عليه السلام هؤلاء قوم يتَرَجَّحون فى الأمانى كذبُو لَيسُو براجِين انٍّ منِ رجَا شيئاً طَلبه و من خاف من شىءٍ هَرب منه انتهى...

ومنهاـ ماعنه عليه السلام نظير مامرّ ذكره وزاد عليه السلام فيه وطريق تحصل الرّجاء ان تعرف اللّه سبحانه فان مَن عَرف انّ اللّه جلّ جلاله وعَظُم آلائه نُورٌلا ظُلمة فيه وكامل لانقَص فيه وسلطانٌ قادرٌ لا عجز فيه و قَويٌّ لا ضعَف فيه ومُدِركٌ لايفوته شى ء وعَزيزٌ لا ذُلّ فيه وغنيٌّ لافقَر فيه وجوادٌ لابُخل فيه ،وكريمٌ لايُوم فيه وصادقٌ لاكذَب فيه ومُحيطٌلايُحاط به وواجد لافقدان منه و قاهرٌ لامقهُوريّة فيه وخيرٌ لاشَرّفيه وحيٌّ لامَوت فيه ودائمٌ لافناء له و ثابت لازوَال له و هكذا سائر كمالاته عرف انّ من توَّجه اليه ودَنا منه وتَقَّرب اليه حَصَل له هذه الكمالات بلا ارتيابٍ وانّما امرالعباد بالتّوجه اليه والتّقرب فيه لأجل حصول هذه الكمالات كماانّک وللّه المَثَل الأعلى لو توجَّهَت الى الشّمس استنار وَجهک ولود نَوَت من النّار سخن بدنک وهذا وَعدٌ من اللّه الصّادق وحُكمٌ من اللّه العدل. و قال سبحانه:﴿ادعُونى أستَجب لَكُمْ إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّم﴾[3]

١- الاحزاب- ٢١
٢- الزمر- ٩
٣- الغافر- ٦٠

و : ﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[1] ومحصّل الكلام فى المقام هو انّ العبد اذا كان راجياًباللّه تعالى بما وعَدَالمؤمنين الصّابرين يسَهل عليه كلّ مشكلٍ وصعبٍ و هذا واضح.

▫ **قوله عليه السلام: وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ...**

و هذا هوالخامس وحاصله انّ من كان كذالک اى متفكّراً خائفاً راجياً وَظَلَف اى منع الزّهد شهواته الى آخرماذكره عليه السلام وسيأتى بيانه فهو متصّف بالتّقوى حقيقةً وتوضيح المقام بحسب الاجمال ان نقول :

الزُّهد هو ضدّالرّغبة والأحسَن اَن يقال هو الرّغبة عن الشّى ء فمن رغب عن الدّنيا فهو زاهد ومن رغب اليها فهو الطّالب المائل المُريد والواجب على المؤمن ان يكون راغباً الى كلّ شى ءيؤَلُ الى اللّه و يرغب عن كلّ شى ء يَؤُل الى غيره وحيث انّ النّفس الامّارةً ومُشتهياتها مُبعِّدةٌ عن اللّه تعالى ومُقرّبةٌ الّى الشّيطان فلامحالة يكون الزّهد من تركها والطّالب من فعلها فالزّهد يَمنَع النّفس عن متابعة الشّهوات و هوالمطلوب .

و هذا معنى قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله من كَفَّ عن مَحارم اللّه فهومِن ازهَد النّاس و قدمَرَّالكلام فيه ايضا.

▫ **قوله عليه السلام: وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ...**

و هذا هوالمطلوب السّادس والمقصود من هذا الكلام هو ان يكون ذاكراللّه تعالى بلسانه سَريعاً وفيه ايماءٌ الى انّ المؤمن باللّه لايقول الاّحقّاولا يتَرنّم بالباطل اَبَداً والمراد بالذكرفى المقام ليس الذّكر المُصطلح بل المرادمنه ما هو فيه رضى اللّه ورضى رسوله وتوضيحه يستدعى التّكلم فيه فنقول :الذّكر للّه تعالى ممَدوحٌ وقدحثّ اللّه تعالى العباد اليه فى كثير من الآيات. قال اللّه تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ و ذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ﴾[2]

۱- البقرة- ۱۸۶ ۲- الاعلى- ۱۵

و : ﴿كلاّ انّها تذكرة فَمَن شاءَ ذَكَره﴾[1]

و : ﴿لِمَنْ كَانَ يَرجُو اللّهَ وَاليَومَ الآخِرَو ذَكَرَ اللّهِ كَثِيراً﴾[2]

و : ﴿فَاذكرُونى أذكُركُمْ فاشكُروالى وَ لا تَكْفُرونَ﴾[3]

و : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تبَتَّل إلَيهِ تَبتِيلاً﴾[4]

و : ﴿وَاذكُر اسمَ رَبّكَ بُكرَةً و اصيلاً﴾[5]

و : ﴿الَّذِينَ يَذكُرُونَ اللّهِ قِياماً و قُعُوداً﴾[6]

و : ﴿واذكُر رَبَّكَ كَثِيراً﴾[7]

و : ﴿يا ايُّها الَّذِينَ آمنُو اذا لَقِيتُم فِئةً فَاثْبَتُووَا ذكُرُو اللّهَ كَثِيراً﴾[8] و غيرهامنها.

وانت لو تدبّرت فى هذا الأيات لَعلِمَت انّ خَيرالدّنيا والآخرة فى ذكراللّه عزّوجلّ كما انّ شرّالدّنيا والآخرة فى الغفلة عنه فالذّاكر سالِكٌ اليه بأقدَام ذِكرِه والغافل مُوَلٍّ عنه مُدبرٌ فيتَقَرّب السّانک اليه تعالى بذكره بكلّ ذكرٍ منه عشر خُطاً اوسبَعَمائة خُطُوات او بغير حساب على حسب اختلاف توّجه الذّاكرين واخلاصهم كما ثبت وتحقّق فى محلّه والأخبار فى فضل الذّكر والحثّ عليه كثيرةايضاً.

منها - ماعن الوسائل بسنده عن ابى حمزة الثّمالى عن ابى جعفرعليه السلام قال عليه السلام مكتوب فى التّوراية التّى لم تغيّرانّ موسى سَأل ربّه فقال ياربّ اقريب انتَ منّى فأناجيک ام بَعيدٌ فانااديک فأوحى اللّه عزّوجلّ اليه ياموسى انا جليس مَن ذَكَرنى فقال موسىٰ فَمَن فى ستَرک يوم لاسَتر الاّسَترک قال الّذين يذكُرونني فأذكُرهم ويتحابُّون فِّى فَأحبّهم فأولئک الذّين ان اردتُّانَ اُصيب اهل الأرض بسؤ ذكرهم فَدَفعتُ عنهم بهم، وبهذاالأسناد قال سكتوب فيها انّ موسى سَأل ربّه فقال الهى انّه ياتى عَلّىَ مجالس اَعزُّک واَجلّکَ ان

١- المدثر- ٥٥
٢- الاحزاب- ٢١
٣- البقرة- ١٥٢
٤- المزمل- ٨
٥- الانسان- ٢٥
٦- آل عمران- ١٩١
٧- آل عمران- ٤١
٨- الانفال- ٤٥

اذكُرکَ فيها قال ياموسى انّ ذكرى حَسَن على كلّ حال-انتهى...

وعن الباقر عليه السلام قال لايزال المؤمن فى صلوةما كان فى ذكراللّه قائماً كان اوجالساًالحديث...

وعن السّكونى عن ابى عبداللّه قال عليه السلام اوحى اللّه الى موسى ياموسى لاتَفرح بكثرةالمال و لا تَدَع ذكرى على كلّ حالٍ فانّ كثرةالمال تُنسى الذّنوب وانّ تَرک ذكرى يُقسى القُلوب انتهى...

وعن النّبى صلى الله عليه وآله قال ابخل النّاس رجل يَمُرّ بمُسلمٍ ولايُسَلِم علِيه، واكَسَل الناس عَبدٌصحيحٌ فارغٌ لا يذكراللّه بشَفَهٍ و لا لسانٍ واسُرَق النّاس الّذى يَسرق من صلوته تلف كمايَلِفّ الثّوب الخَلِق فيضرب بها وجهه واجَفَى النّاس رجل ذكُرِت عنده فَلَم يُصلّ عَلَّى واعَجَز النّاس من عجَز عن الدّعاء انتهى...

و عن داود ابن سرحان عن ابى عبداللّه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من اكثر ذكراللّه احَبَّه اللّه ومن ذكراللّه كثيراً كُتبت له برائتان برائةٌ من النّار وبَرائةٌ من النّفاق انتهى...

وعن ابى عبداللّه انّه قال انّ الصّاعقة تصيب المؤمن والكافر ولاتصيب الذّاكِر (ذاكرا)انتهى...

وعنه عليه السلام: انّ الذّاكرللّه عَزّوجَلّ فى الغافلين كالمقاتل فى الحاربين...

اقول: الأحاديث فى فضل الذّكر لاتُحصى ولاشكّ انّ ذكر اللّه من احسن العبادات والقُرُبات اليه بل العبادات كلّها ليست الاّ ذكره تعالى قال اللّه تعالى **﴿الابِذِكرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ القُلُوب﴾**[1]

وانّما ذكرعليه السلام كلامه اللّسان وخصّ الذّكربه مع انّه لايختصّ به لانّ اللّسان مُظهرله كمالا يخفى.

- **قوله عليه السلام: وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِهِ ...**

۱- الرعد- ۲۸

و هذا هو السّابع ممّا ذكره ﷺ واهتَمّ به وَالّذى فى نُسَخ المُوجُودة عندنا (قدم) بالتّخفيف هكذاضبَطُوه والّذى فى بعض آخر (قَدَّم) بالتّشديد و هو اوفَقَ بسياق الكلام و عليه فالمعنى تقديمه الخوف من اللّه تعالى ليأمن من عذابه الأليم وانّما قال ﷺ: **قَدَّم الخوف** لانّ تأخرالخَوف لا يُوجب الأمن منه ضرورة انّ الخوف منه تعالى يجب ان يكون فى الدّنيا والامَن من عذابه فى الآخرة و الدّنيا قبل الآخرة مُقدّمٌ عليها فالخوف مقدّم على الأمن وهو المطلوب.وفيه اشارةالى قوله تعالى حيث قال: **﴿الَّذِى اطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ و آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**[1]

و : **﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**[2] فالا مَن من عذابه لايتحقّق الاّ لِمن كان خائفاً منه فى الدّنيا كمامرّ تفضيله.

□ **قوله ﷺ: وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ...**

و هذا هو الامر الثامن قال الشّارح الخوئى فى شرح الجملة ما هذ الفظه ،اى نَحّاه الشّواغل والصّوارف عن صراطه المُستقيم انتهى وفيه مالا يخفى فان من نَحّاه الشّواغل عن صراطه المُستقيم فهو شَقِىٌّ غاية الشّقاوه مع انّ البحث فى اوصاف من اتّقى اللّه حقّ تقاته وبعبارةٍ اخرى قوله ﷺ: **وَتَنَكَّبَ الخ عطف على ماسبق اى اتّقُواللّهَ تَقِيَّةَ ذِى لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَتَنَكَّبَالْمَخَالِجَ** الخ ولازم هذا العطف هو تقدير اتّقواللّه فيمانحن فيه ايضاً و عليه فالمعنى اتّقواللّه من تَنَكّب الخ وماذكره لايستقيم ضرورة انّه من نَحّاه الشّواغل عن صراطه المستقيم لا يليق بالأتّباع فكيف يقول ﷺ: **اتّقواللّه** كتقيّتة و هذا واضح.

والّذى اوقَعَه فيه هوعلمه اوظنّه بان التّنكّب فى اللّغة بمعنى العُدول لا غير يقال تَنكّبَ عنه‌اى عَدَل وَ مالَ فقال من غيرتوّجهٍ الى معنى الجملة وانّه هل يستقيم ام لا.

وحلّ الاشكال هو انّ التّنكب كما جاء بمعنى عَدَل ومالَ كذالک جاء بمعنى

۱- القريش- ۴

۲- الاعراف- ۹۸

تجَنَّب واعتَزلَ قال فى المنجد تنكب عنه، عَدلَ عنه ،نجنَبه واعتَزَلَه وعليه فيصيرمعنى الجملة هكذا.

اتّقواللّه تقيّة من تجَنَّب واعتَزل المشاغل والصّوارف عَن وَضَحِ السَّبِيلِ والمنهج القَويم اى لاتكونو كمن كان كذالک لانّه من الشّقاوة فانّ الانغمار فى الماديّات والصّوارف والشّواغل من السّقَطَات والهَلَكات فكونو كالمُعرض عنها لاكالمنُغَمرفيها فتأمّل.

▫ **قوله عليه السلام: وَسَلَکَ أَقْصَدَالمَسَالِکِ اِلَىٰ النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ...**

وهذه هو التّاسع والمقصود منِ هذالكلام هوسُلوک المكلّف مسَلَک الأعتدال والتّوسط مُعرضاً عن الأفراط والتّفريط المَذُمومين فى الشّريعة المقّدسة، والنَّهْجِ الْمَطلُوب هو الطّريق الواضح الّذى لا اعوجاج فيه المدلول عليه بقوله تعالى:﴿**اِهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾.

▫ **قوله عليه السلام :وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ...**

و هذا هوالعاشر وحاصله انّه ينبغى للسّالک الى اللّه بقدم المعرفة ان لاتصرفه الموانع الموجودة فى الدّنيا عن بلوغه الى مقصده وغايته وفى ذكرالغرور اشارة الى انّ الدّنيا وزخارفها كثيراً ما تعُوق الأنسان عن سيره وسلوكه فينبغى له انّ لايصير مَغُروراً بها لانّها فانية دائرة لابقاء لهاوقد صّرح القرآن بذالک فى موارد كثيرة. قوله تعالى:﴿ **ذَلِکَ بِأَنَّکُمُ اِتَّخَذتُم اياتِ اللّه هُزُواً و غرتّکُم الحَيوةُ الدُّنيا**﴾[1]

و : ﴿**و ذَرَالّذينَ اتَّخَذو دِينَهم لَعِباً و لَهواً و غرَّتَهُم الحَياةُ الدُّنيا**﴾[2]

و : ﴿**يٰا ايُّها الاِنسَانُ مَاغَرَّک بِرَبِّکَ الكَرِيمِ**﴾[3]

و : ﴿**و غَرَّهم فى دِينهم ما كانو يفتَرون**﴾[4]

و : ﴿**فَلاَ تَغرَّنكم الحياة الدّنيا و لا يَغرَّنكم باللّه الغَرُور**﴾[5]

١- الجاثية- ٣٥
٢- الانعام- ٧٠
٣- الانفطار- ٦
٤- آل عمران- ٤٤
٥- الفاطر- ٥

و : ﴿فلا يغررك تَقَلُّبُهُم فِى البَلادِ﴾[1]

و : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الْغُرورِ﴾[2]

و : ﴿إِن الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ﴾[3]

و : ﴿يَعِدُهُم ويُمنّيهِم ومايَعِدهُم الشَّيطانَ الاّ غُروراً﴾[4]

و : ﴿حتَّى جَاءَ أمرُ اللَّهِ و غَرَّكُمْ باللَّهِ الغَرُورُ﴾[5] والآيات فى الباب كثيرة ولاشكّ فى انّ الدّنيا و ما فيها تكون كذالک فمن اعتَمَد عليها و اخَذَ بها فقد اَخطاء خطاءً فاحشاً ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً وقدمرّالكلام منّافى الدّنيا و بيّنا حقيقتها و ماهيّتها و وظيفة الانسان بالنّسبة اليها وانّها عبرة لمن اعتَبَر بها بما لامزيد عليه .

□ **قوله عليه السلام: وَ لَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ...**

وهوالحايعشرمن الأمورالمذكورة فى المتن وفيه اشارة الى انّ السّالک العارف بالحقايق اعنى من سلَکَ مسلَک العبودّيه الكاملة لاتشتبة عليه الأمور فكذالک من يَحذُو حذَوَه ويتبع اثرَه والمراد بالأمورالمشُتبهة الأمور التّى خفيت على كثيره من النّاس سواء كانت من الموضوعات ام من الأحكام والأعتقاديّات وفى ماذكره عليه السلام ايماء بل تصريح بحكم العطف بانّ الأنسان اذالم يكن متّصفا بالتّقوى ولَم يسَلک مسَلَک المتّقين المَوصُوفين بالاوصاف المذكورة وبالجملة ما لم يستضى ء بنُور المعرفة لا يحصل له هذاالمقام و هو كذالک.

الاترى انّ كثيرا من المُسلمين فى صدرالاسلام حيث انّهم سَلَكو مَسلَكاً غيرمسلَک الحقّ و اعرَضوعن اهل البيت الّذين أُمِرُو بالتّمسک بهم فلاجَرَم وقَعوا فيما وقَعُوامن السّقَطات والهلَكات و عَميت عليهم الأمور كلّها فَفَسدُوا،وافسَدو او هلَكو او اهلَكو او سقَطو او اسقَطوا ذالک هو الخُسران

١- الغافر- ٤
٢- آل عمران- ١٨٥
٣- الملک- ٢٠
٤- النساء- ١٢٠
٥- الحديد- ١٤

المبين فى الدّنيا والآخرة اعاذنا اللّه منه و قد ذمّ اللّه تعالى فى كتابه الكريم العمى فى الدّين. قال اللّه تعالى:﴿وَلَكِنْ تَعمَى القُلُوب التّى فِى الصُّدورِ﴾[1]

و : ﴿افَمَن يَعلم بما انزِلَ اليكَ مِن ربّك الحَقّ كمن هو اَعمىٰ وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أعمَىٰ فَهُوَ فِى الآخِرة اعمَىٰ﴾[2]

و : ﴿وَ مَا يَستَوِي الاَعمَىٰ والبَصِيروَ لا الظُّلُمات وَالنُّورُ﴾[3]

و : ﴿قُل هَل يَستَوِي الأعمَىٰ وَالبَصِيرٌ اَم هَلْ تَستَوى الظُّلُماتُ وَ النُّور﴾[4] وهذه الآيات وغيرهاممّالم نذكرها مخافة الأطناب قد دلّت على انّ العمى مذموم ومعلوم انّ المراد بالعمى ليس عدم البصرالحسّى بل المرادالعمى فى الدّين ولاشكّ انّ العمى فيه فى الأمو رالمشتبهة و امّا غيرها فلا خفاء فيه و هو ظاهر.

▫ قوله عليه السلام: ظَافِراً بِفَرْحَةِ البُشْرَىٰ وَ رَاحَةِ النُّعْمَىٰ فِى أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَ آمَنِ يَوْمِهِ...

كلمة (ظافرا) منصوب على الحاليّهاى حالكونه ظافراً والظَّفَر فى الاصل الغَلَبة والمعنى انّ من كان متّصفا بالأوصاف المذكورة فى جادّة الشّريعة فهو فى الحقيقة قد ظَفَر بفرحة البُشرىٰ من اللّه تعالى وَرَاحَةِ النُّعْمَى فِى أَنْعَمِ نَوْمِهِ واطَيَب راحته وآمن اوقاته.

فقول عليه السلام: ظَافِراً بِفَرْحَةِ البُشْرَىٰ ،اشارة الى قوله تعالى حيث قال:﴿لَهُمْ البشرىٰ فِى الحَياة الدّنيا وفِى الآخرَة﴾[5]

و : ﴿بشراكم اليومَ جَنّاتٌ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأنهارُ﴾[6]

و : ﴿وجُوُهٌ يومئذٍ مسفره ضَاحِكةٌ مُستَبشِرةٌ﴾[7]

و : ﴿الاّ تَخَافُوا وَ لا تَحزَنووا بشِرُوا بِالجَنَّةِ التّى كُنتُم تُوعدون﴾[8]

و : ﴿يَستَبشِرُونَ بنعمةٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ﴾[9]

١- الحج- ۴۶
٢- الاسراء- ٧٢
٣- الفاطر- ١٩/٢٠
۴- الرعد- ١۶
۵- يونس- ۶۴
۶- الحديد- ١٢
٧- العبس- ٣٩
٨- الفصلت- ٣٠
٩- آل عمران- ١٧١

و : ﴿يُنذِرَ الّـذين ظَـلَمُو او بُشرىٰ لـِلمُحْسِنـِينَ﴾[1]

و : ﴿والّذِينَ اجتَنَبُو الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدهَا وَ أنَا إلَى اللّهِ لَهُمُ البُشرىٰ﴾[2]

و : ﴿فَامّا الّذِينَ آمَنُو فَزادَتهُم إيمَاناً وَ هُم يَسْتَبْشِرُونَ﴾[3] و غيرها من الآيات.

و قوله عليه السلام: وَرَاحَةِ النُّعْمَىٰ، اشارة الى قوله تعالى: ﴿فَامّاانِكانَ مـنالمُـقرّبين فَروَحٌ ورَيْحَانٌ وجَنـّةُ نَعِـيمٍ﴾[4]

و قوله عليه السلام: وآمن يومه ففيه اشارة الى قوله تعالى: و هُم مِن فَـزَعٍ يَـومَئِذٍ آمِنُونَ﴾[5]

و : ﴿يَدعُونَ فِيهَالِكُلّ فَاكِهَهٍ آمِنِينَ﴾[6]

و : ﴿وَلَيُبدلَّنهُم من بَعدِ خَوفِهِم أمناً﴾[7]

و : ﴿الَّذِينَ آمَنُووَ لَم يَلبِسُو إيمَانَهُم بِظُلمٍ اولَئِکَ لَهُمُ الأمَـنُ﴾[8] و امثالها من الآيات.

▫ قوله عليه السلام: قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَ قَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً...

و هذا هوالثانى عشر و الثّالث عشر من الأمور و حاصلها انّ من كان كذالک فهو قدعَبَرالخ و من كان تابعا فهو ايضا هكذا، شبّه عليه السلام الدّنيا بالجسر الّذى لابّد من العُبور منه و هو كذالک و قدمرّ الكلام فيه و امّا قوله: عليه السّلام وَ قَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ الخ ففيه اشارة الى تحصيل الزّاد للآخرة فى الدّنيا وانّ الآخرة ليست بدار العمل والى هذا المعنى اشيرفى الكتاب المجيد حيث قال.

قال اللّه تعالى: ﴿وما تفعَلُوا مِنْ خَـيْرٍ يَـعْلَمَهُ اللّـهُ و تَـزَوَّدُ و افَـاِنَّ خَـيْرَ الزّاد التَّقْوىٰ﴾[9]

قال الشّاعر:

وآخرً فازَبكلتيها قد جَمَع الدّنيا مع الآخرة

١- الاحقاف- ١٢
٢- الزمر- ١٧
٣- التوبة- ١٢٤
٤- الواقعه- ٨٩
٥- النمل- ٨٩
٦- الدخان- ٥٥
٧- النور- ٥٥
٨- الانعام- ٨٢
٩- البقرة- ١٩٧

و ذالک لانّا قد بيّنا سابقا مراراً انّ الدّنيا لا تنافی الآخرة والّذی ينافيها هوحبّ الدّنيا و هوشیء آخرو امّانفس الدّنيافلا بل هی جُعلت لتحصيل الآخرة والوصول الی مقاماتها العالية.

▫ **قوله عليه السلام: وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ و أَكْمَشَ فِی مَهَلٍ...**

و هذا هو الرابع عشرو الخامس عشر من الأوصاف و حاصله انّ من اتّقی اللّه حقّ تقاته فهو يبادر الی الطّاعات من اجل الخوف عن المعاصی ويسرع الی الخيرات فی ايّام الرّفق والمُهلة فی الدّنيا .

والی الأوّل: اعنی المبادرة الی الطّاعات اشير فی الكتاب . قال اللّه تعالی: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم﴾**[1]

و : **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِی الْخَيْرَاتِ و يَدْعُونَنَا رَغَباً و رَهَباً﴾**[2]

و : **﴿ و يُسَارِعُونَ فِی الخَيرَاتِ وَاولٰئِکَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[3]

و : **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَايُؤمَرُونَ﴾**[4] وامثالها منها.

والی الثّانی: اعنی التّسريع فی العمل فقدمرّت الآيات فيه فانّ الآيات الحاثّة علی العمل الصّالح كثيرة.

▫ **قوله عليه السلام: وَرَغِبَ فِی طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ ...**

و هَذا سادس عشرها و سابع عشرها والمعنی انّ طلبه و سعيه للحقّ كان عن شوقٍ و رَغبةٍ كما انّ فراره عن الباطل كان من خوفٍ و رَهبةٍ و فِيه اشارة الی انّ طلب الحقّ والفرارعن الباطل انّمايفيدان اذا كانا عن رَغبةٍ وخوفٍ دوُن داعٍ آخر و بعبارة اخری ينبغی لطالب الحقّ وتارک الباطل ان يراعی جهة التّقرب الی اللّه والخُلوص له حتّی يكون عَمَله صالحاً. قال اللّه تعالی اليه: **﴿يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفَعُهُ﴾**[5]

و : **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِی الْخَيْرَاتِ ويَدعُونَنَا رَغباً و رهَباً﴾**[6]

۱- آل عمران- ۱۳۳
۲- آل عمران- ۱۱۴
۳- الفاطر- ۱۰
۴- الانبياء- ۲۰
۵- النحل- ۵۰
۶- الانبياء- ۹۰

و : ﴿والى ربّک فارغب﴾[1]

و : ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[2]

□ **قوله عليه السلام: وَرَاقَبَ فِي غَدَهُ ونَظَرَ قُدُماًأَمَامَهُ ...**

و هذا ثامن عشرها وتاسع عشرها و حاصلها انّه راقَبَ فی يَومه اعنی فی الدّنيا ،غَدَه اعنی الآخرة و نظر فی سابقة امره الی مابيَن يدَيه ولَم يلَتفت الی غيره هكذا شرحوه .

و لا يبعدان يحمل اللّفظ علی ظاهره بان يكون المراد بالغَد هو الغِد العُرفی وباليوم ايضاكذالک و عليه فالمعنی انّه راقب فی اليوم الحاضر غَده بان يكون غَده خيراً ممّا هو فيه اعنی اليوم وبعبارةٍ اخری: المؤمن الواقعی من كان غَده احسَن من يومه كماقال عليه السلام من ساوای يوماه فهو مَغبُون.

ومعلوم انّ من كان كذالک فلابّد له المُراقبة فی الأمس بالنّسبه الی الغدو هو ظاهر وليت شعری ما الّذی حمَلَهم علی صرف ظاهر اللّفظ و تأويله بالدّنيا والآخرة وان كان ما ذكروه ايضاً لابأس به الاّ حمل الكلام علی المتفاهم العرفی مهماامكن اولی من تأويله .

و ممّا ذكرناه فی معنی الجملة اعنی (راقَبَ فی يِومه) قد ظهرلک معنی الثّانية فانّ الامام و ان كان يحتمل ان يراد به الآخرة الاّنّ حمله علی ما ذكرناه اولی و اوفَقَ بسياق العبارة و عليه فالمعنی انّه ينبغی له التوّجه الی مستقبل امره فی الدّنيا حتّی يكون مستقبل امره خيراً من ماضيه واللّه اعلم . قال اللّه تعالی: ﴿و لا يَرقُبُونَ فِی مُؤمِنٍ إلاّ وَ لاَ ذِمَّةً﴾[3]

و : ﴿فَارتَقِبْ إِنَّهُم مُرتَقِبُونَ﴾[4]

□ **قوله عليه السلام: فَكَفَىٰ بِالْجَنَّةِ ثَوَاباًوَنَوَالاً...**

الفاء للتّفريع ای انّ الجنّة متفرّعة علیٍ ماذكرناه فمَن كان موصُوفاً -

---

۱- الشوری- ۸
۲- القلم- ۳۲
۳- التوبة- ۱۰
۴- الدخان- ۵۹

بالأوصاف المذكوره تكفّيه الجنّة ثواباً و نوالاً، وثوابا منصوبٌ على الحال اوالتّميز و نوالاً معطوف عليه امّا الآيات الدّالة على الثّواب. قال اللّه تعالى:﴿وَ لأُدخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحتِهَا الأنهَارُ ثَواباً مِنْ عِندِ اللّهِ﴾(۱)

و : ﴿هُنَا لِكَ الوَلايَةُ لِلّهِ الحقِّ هُوَ خيرٌ ثَواباًو خيرٌ عُقْباً﴾(۲)

و : ﴿والبَاقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيرٌ أملاً﴾(۳)

و : ﴿والبَاقِياتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيرٌ مُرَّداً﴾(۴)

و : ﴿ويلكُم ثواب اللّه خَيرٌلِمَن آمَن وعَمل صالحاً﴾(۵)

و : ﴿و مَن يُرِدْ ثَوَابِ الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنْهَا﴾(۶)

و : ﴿وَ حُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾(۷)

و : ﴿وَاللّهِ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(۸)

و : ﴿فَعِندَاللّهِ ثَوَابُ الدُّنيا وَ الآخِرَةِ﴾(۹)

و : ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأرَائكِ نِعمَ الثَّوَابُ و حَسُنَت مُرتَفَقاً﴾(۱۰) وغيرها منها.

والآيات الدّالة على الثّانى اعنى ثبوت النّوال فى الجَنّة ايضا كثيرة .

قال الله تعالى: ﴿وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجرِى مِنْ تَحتِهَا الأنهارُ كُلَّمَا رَزُقُو مِنها مِنْ ثَمَرةٍ رِزقاً قالُو هَذَاالَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْل وَ أتُوُ بِهِ مُتَشَابِهاً وَ لَهُمْ فِيهَا أزوَاجٌ مُطَّهرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(۱۱)

و : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُو الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(۱۲)

و : ﴿قُل أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيرٍ مِنْ ذالِكُم لِلَّذِينَ اتَّقَو عِندَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجرِى مِن تَحتِهَا

۱- آل عمران- ۱۹۵
۲- الكهف- ۴۴
۳- الكهف- ۴۶
۴- مريم- ۷۶
۵- القصص- ۸۰
۶- آل عمران- ۱۴۵
۷- آل عمران- ۱۴۸
۸- آل عمران- ۱۹۵
۹- النساء- ۱۲۴
۱۰- الكهف- ۳۱
۱۱- البقرة- ۲۵
۱۲- البقرة- ۸۲

الأنهارُ خَالِدِين فِيهَا وَ أزوَاجٌ مُطَهَرةٌ وَ رِضوَانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرُ بالعِبَادِ-﴾[1]

و : ﴿وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكم وَجَنَّاتٍ عَرضُهَا السَّمواتُ وَ الأرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقِينَ﴾[2]

و : ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرةٌمِنْ رَبِّهم وَ جَنَّاتٌ تَجرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نَعِم أجرُ العَامِلِينَ﴾[3]

و : ﴿لأُكَفِّرَنَ عَنهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لأُدْخِلَنَّهُم جَنَّاتٍ تَجرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ ثَوَاباً مِنْ عِندَاللّهُ عِندَهُ حُسْن الثَّوَابِ﴾[4]

و : ﴿وَلَو اَنَّ اهَلَ الكِتابِ آمَنُوا واتَقَّو الكفَّرنا عَنهُم سَيِّئاتِهِمْ ،و لأدخَلنَا هُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[5]فهذه الآيات و غيرها ممّالم نذكرها مراعاةً لِلايجاز والاختصار قد دلّت على انّ اللّه تعالى جعل الجّنة و نعيمها ثواباً و نوالاً للمتّقين و حيث انجّر الكلام الى المقام فلابأس بالاشارة الى بعض ما ورد فى صفةالّجنة.

روى فى البحارباسناده عن ابى بصيرعن الصّادق عن آبائه عن علّيٍ عليه السّلام قال قال رسول اللّه ﷺانّ فى الجنّة غُرفاً يرىُ ظاهرها من باطنها و باطنهامن ظاهرها يَسكنها مِن اُمتّى من اطابَ الكلام واطعَم الطّعام ،وافشَىَ السّلام وصلّى باللّيل والنّاس ينامّ الخَبَر«ج ٣ص ٣٢٥ط كمپانى»...

وروى ايضاباسناده عن ابى بصير قال قلت لابى عبداللّه جعلت فداك يابن رسول اللّه شَوّقِنى فقال ياابا محمّد انّ الجَنَّة توجد ريحها من مسيرة الف عام وانّ ادَنى اهل الجنّة مَنزلاً لونَزَل به الثّقلان الجنّ والأنسِ لوسَعَهم - طعاماً وشراباً لاينقص ممّا عنده شيئاً وانّ ايَسَر اهَل الجنّة منزلةً مَن يدخل الجَنّة فرفع له ثلاث حدائق فاذا دخل ادَنا هنّ رأى فيها من الأزواج ،والخِدم والأنهار والثّمار ماشاءاللّه فاذا يشكرللّه و حَمده قيل ارفَع رأسك الى الحديقة الثّانية ففيها ما ليس فى الاوّلى فيقول: ياربّ اعطنى هذه فيقول لَعَلّى

١-آل عمران- ١٥
٢-آل عمران- ١٣٣
٣-آل عمران- ١٣٦
٤-آل عمران- ١٩٥
٥-المائده- ٦٥

ان اعطُيتكها سألتنى غيرها فيقول ربّ هذه فاذاهو دخَلهاوعظَمت مسرّته شكَراللّه وحَمدِه قال فيقال إفتُحوله بابالجَنّة و يقال له ارفع رأسك فيقول ربّ ادخلنى الجنّة و نَجّنِى من النّار قال ابوبصير فبكيتُ وقلت له - جعلت فداك زدنى قال عليه السلام المؤمن يزّوج ثمانمائة عَذراء .اربعة الاف ثيبّ و زوجتين من الحُورا العين قلت جعلت فداك ثمانمائة عذراء قال نعم مايفترش منهّن شيئاً الاّ وجدها كذالك قلت جعلت فداك من ايّ خُلقن الحُور العين قال عليه السلام من الجنّة ويرىُ مخّ ساقيهامن وراء سَبعين حُلّة قلت جُعلت فَداك اَلَهُنّ كلام يُكلمّن به فى الجنّة قال عليه السلام نعم كلامٌ يُكلّمَن به لَم يسَمع الخلائق بمثله فلت ما هو قال عليه السلام يقلن نَحنُ الخالدات فلانَموُت ونحن النّاعمات فلانبؤس ونحن المُقيمات فلانَطعن ونحن الرّاضيات فلائسَخط طُوبى لِمن خُلق لناوطُوبى لِمنَ خُلقنَا له نَحنُ اللّواتى لَوانَ قَرَن احدانا عُلّق فى جَوّ السّماء لأغشى نُوره الأبصار انتهى «ج ٣ ص ٣٢٦»...

اقول :والاحاديث فى اوصاف الجنّة كثيرةفمن شاء الاطّلاع عليها فعليه بالمُطوّلات المَوضُوعة لهذا الأمور و لا سيّما كتاب بحار الانوار للعّلامه المجلسى (قدّس سرّه) ونُوراللّه ضريحه فانّك تجده كُنزاًلايُفنى وبَحراًلاساحل له فللّه دُرّ مُؤلّفه وجزااللّه عن الأسلام والمسلمين خيَرالجَزاء وهكذا غيره من علمائنا الماضين رضوان اللّه عليهم اجمعين آمين ياربّ العالمين فانّهم قد اتعِبو انفُسهم الشَّريفة فى جمع الاخبار والآثار وضَبطوها فى كُتُبهم حتّى وصلت بأيدينا نشُكرهم شُكراً جَميلاً على هذه النّعمة و من يَشُكر فانّما يَشكُر لنفسه و من كفر فانّ اللّه غنّى عن العالمين .

▫ **قوله عليه السلام: وَكَفَىٰ بِالنَّارِ عِقَابَاًوَوَبَالاً ...**

بعد ما ذكرعليه السلام فى الجملة السّابقة الجنّة و نعيمها لِلمتّقين المُطيعين لرّب العالمين وحَكَم عليه السلام بانّها تكفى لهم لانّ فيها كلّ ماتشتَهيه الأنفس وتلّذ الاعين اردَفَ عليه السلام كلامه ثانياً بقوله: **وكَفى بالنّار** الخ وبحكم المقابلة بين الجّنة والنّار

فاذا كانت الجّنة لِلمُطيعين فلاجرم تكون النّار و عقابهاوَ وبالها للعاصين و كما انّ الجنّة تكفهيم كذالک النّار تكفهيم فانّ فيهامن العذاب ما لا يتصّور فوقه .

ثّم انّ الوَبال بفتح الواو مَصدَر من وَبَل ومعناه الشّدة والوخامة وسُؤ العاقبة كما انّ النّوال العطاء . قال اللّه تعالى:﴿ **فَاتَّقُو النَّارَ الَّتى وَقُودهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ**﴾(١)

و : ﴿**أُولَئِکَ أصحابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(٢)

و : ﴿**وَلَوْ تَرَىإِذْ وُقِفُو عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيتَنَا نُرَدُّ**﴾(٣)

و : ﴿**وَاتَّقُو النَّار الَّتِى أُعِدَّت لِلكَافِرِينَ**﴾(٤)

و : ﴿**وَ مأواهُم النَّارُ وَ بِئَس مَثوَىَ الظَّالِمِين**﴾(٥)

و : ﴿**أُولَئِکَ لَيسَ لَهُمْ فِى الآخِرَة الاّ النَّارُ**﴾(٦)

و : ﴿**أُولَئِکَ ما يأكُلُونَ فِى بُطُونُهمْ الاّالنَّارِ**﴾(٧)

و : ﴿**أُولَئِکَ مَأوَاهُمْ النَّارَ بِمَا كَانُو يَكسِبُون**﴾(٨)

و : ﴿**قُل تَمَتَّعُو فَاِنَّ مَصِيرَكُمْ اِلى النَّار**﴾(٩)

و : ﴿**تَلَفحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾(١٠)

والى الثّانى اعنى الوبال وسؤالعاقبة اشير فى الكتاب ايضا.

قال الله تعالى: **فَسَوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ**﴾(١١)

و : ﴿**فَانظرُ كَيفَ كَانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾(١٢)

و : ﴿**فأنظَرو كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ**﴾(١٣)

و : ﴿**وَ سَيعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقبَى الدَّارِ**﴾(١٤)

١- البقرة- ٢٤
٢- البقرة- ٢١٧
٣- الانعام- ٢٧
٤- آل عمران- ١٣١
٥- آل عمران- ١٥١
٦- هود- ١٦
٧- البقرة- ١٧٤
٨- يونس- ٨
٩- ابراهيم- ٣٠
١٠- المؤمنون- ١٠٤
١١- الانعام- ١٣٥
١٢- يونس- ٣٩
١٣- الاعراف- ٨٦
١٤- الرعد- ٤٢

و : ﴿فَأنتقَمنا مِنهُم فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبةُ المُكَذِّبِينَ﴾[1]

و : ﴿فَكَانَ عَاقِبتَهُمَا انَّهُمَا فِى النَّارِ﴾[2]

والآيات كثيرة جدًا فى النّار و ما اعَدالله فيها اعاذنااللّه منها.

روى فى البحارباسناد عن ابى بصيرقال قلت لأبى عبداللّه يابن رسول اللّه خَوّفنى فأنِ قلبى قدقَسِى قال عليه السلام :ياابامحمّد استعِدّ للحياة الطّويلة فانّ جبرئيل جاءرسول اللّه صلى الله عليه وآله و هو قاطب و قد كان قبل ذلک. يجيىء و هو مُتبسِّم فقال رسول اللّه ياجبرئيل جئتَنى اليوم قاطباً فقال يامحمّد قد وضعت منافخ النّار فقال صلى الله عليه وآله و ما منافخ النّار يا جبرئيل؟ فقال يامحمّد انّ اللّه عزّوجلّ امر بالنّار فَنفُخ عليها الفَ عام حتّى ابيضَّتَ ثّم نُفِخ عليهاالف عام، حتّى اَحمَرّتَ ثُّم نَفُخ عليهاالف عام حتّى اسوَدّتّ فهى سَوداء مُظلمة لوانّ قطرةً من الضّريع قَطرت فى شراب اهل الدّنيا لمات اهلهامن نتنها و لوان حلقةً واحدةً من السّلِسة التّى طولها سَبعُون ذراعاً وضُعت على الدّنيا لذابَت الدّنيا من حَرّها ولوانّ سِربالاً من سرابيل اهل النّار عُلّق بين السّماء والأرض لمات اهل الدّنيا قال عليه السلام فَبكى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل فبَعَث اللّه اليها ملَكاً فقال ربّكما يَقرؤ كماالسّلام ويقول قد اَمنْتكما ان تذنبا ذنباً اُعذّبكما عليه فقال ابوعبد اللّه عليه السلام فما رأى رسول اللّه صلى الله عليه وآله جبرئيل مُتبسّماً بعد ذلک انتهى «ص ٣٧١ ج ٣»...

و روى ايضاًباسنادٌ عن عمروابن ثابت عن ابى جعفر محمّد ابن علّى الباقرعليه السلام قال انّ اهل النّار يتعاوَوُونَ فيها كما يتَعاوى الكلب ممّا يلقون من اَليم العذاب فماظنّک ياعَمرو بقومٍ لايقضى عليهم فَيَمُوتوا و لا يخفَّف عنهم من عذابها عطاش جياع كَليلة ابصارهم صُمٌّ بكمٌ عُميٌ مُسوّدةٌ وجُوهم خاسئين فيها نادمين مَغضُوبٌ عليهم فلايُرحمَون من العذاب ولا يُخفّف عنهم و فى النّار يُسجرون و من الحَميم يشَربون ومن الزَّقُوم يأكلون و

١- الزخرف- ٢٥ ٢- الحشر- ١٧

بكلاليب النّار يُحمطون - (يحطمون) وبالمقامع يُضربون والملائكه الغلاظ الشّداد لا يَرحّمون فهم فى النّار يسُحَبون على وَجوههم مع الشّياطين يَقرنون و فى الأنكال والاغلال يُصفّدُون ان دُعوالَم يَستجب لهم وان سَأَلُو حاجةًلَم نُقَض لهم هذه حال من دَخَل النّارانتهى «ص ٣٧٣»...

اقول: وفى هاتين الرّوايتين كفاية لمن تدبّر منهما حقّ التّدبر اعاذنااللّه من النّار بحقّ محمّد و آله الأطهار.

▫ **قوله عليه السلام: وَكَفَىٰ بِاللَّهِ مُنْتَقِماًوَنَصِيراً...**

معطوف على السّابقة فبعد مااثبَت الجنّة للمُطيعين والنّار للعاصين و حَكَم بانّهما تَكفيانهم حكم ثالثاً بانّ اللّه تعالى يكفى حالكونه منُتقماً من -الظّالمين ونَصيرُ اللمظلومين المَقُهورين و قد دَلّت الآيات على المُدّعىٰ ايضاً.

امّاالاوّل : قال اللّه تعالى: **﴿فأنْتَقَمْنَا مِنْهُم فَاغْرَقْنا هُمْ فِى اليَّم﴾**(١)

و : **﴿فأنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَ اِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾**(٢)

و : **﴿فَأنتَقَمْنَا مِنْ الّذيَن اَجرَمَو﴾**(٣)

و : **﴿ولَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُوانتِقَام﴾**(٤)

و : **﴿فَأنْتَقَمْنَا مِنهُمْ فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكَذّبِينَ﴾**(٥)

و : **﴿و من عَادَ فَيَنتَقِم اللَّهُ مِنهُ وَاللَّهِ عَزِيزٌ ذُوانتِقام﴾**(٦)

و : **﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِلفَ وعَدِهِ رُسُلَهُ انَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُوانتِقَام﴾**(٧)

و : **﴿وَمَنْ يَهدِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ اَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انتِقام﴾**(٨)

و : **﴿انَّا مِنَ المُجرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾**(٩)

و : **﴿فَامَّا نَذهَبَنَّ بِكَ مِنْهُم منُتَقِمُونَ﴾**(١٠)

١- الاعراف- ١٣٦
٢- الحجر- ٧٩
٣- الروم- ٤٧
٤- آل عمران - ٤
٥- الزخرف- ٢٥
٦- المائده - ٩٥
٧- ابراهيم - ٤٧
٨- الزمر- ٣٧
٩- السجدة- ٢٢
١٠- الزخرف- ٤١

يَوْمَ يَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبرى إنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[1]

و : **﴿فَلَمَّاءَ اسفونا انتقمْنا مِنهُم فأغْرَقناهُمْ اجْمَعِينَ﴾**[2]

واما الثّاني: اعنى كونه تعالى نَصيراً للمؤمنين.

قال الله تعالى: **﴿وَ مَالَكُم مِنْ دُون اللَّهِ مِنْ وَلِىٍّ و لا نَصِير﴾**[3]

مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِىٍّ وَ لا نَصِير﴾[4]

و : **﴿وَانِ تولَو فاعلمُو انَ اللّه مَوالاكم نعِم المَولى و نِعمَ النَّصِير﴾**[5]

و : **﴿و مالَهُمْ فِى الأرضِ مِنْ وَلِىٍّ وَلا نَصِير﴾**[6]

و : **﴿و مَا لَيْسَ لَهُم به عِلمٌ وَ مَالِلظَّا لِمِينَ مِنْ نَصِيراً﴾**[7]

و : **﴿وَالظَّالِمُونَ مَالَهُم مِّنْ وَلِىٍّ وَ لا نَصِير﴾**[8]

و : **﴿و كَفَى بِاللَّهِ وَلياً وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾**[9]

و : **﴿و كَفَى بِربِّكَ هَادِياً وَ نَصِيراً﴾**[10]

و : **﴿واجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنكَ نَصِيراً﴾**[11]

و : **﴿واجْعَل لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾**[12] فهذه الآيات كماترى صرَّحت بكونه تعالى منُتقما و نَصيراً و هوالمطلوب ونتَكَلَّم فى معنى هذين الوصفين فى حقّه تعالى فنقول :

امّا كونه تعالى منُتقماً فمعناه انّه ينَتقُم من الظّالم لِلمظلُوم فى حقوق الآدميّين لكونه تعالى وليّاً لهم و من قُتِل مظلوماً فقد جَعلنا لولّيه سلطاناً و ولاية الخالق على المخلوق ثابتة بالأصالة وولاية الغير يواستطتها.

و معنى كونه منُتقماًبالنّسبة الى العاصين فى حقوق اللّه تعالى هوانّه يجزنهم باعمالهم كما قال النّاس مَجزيّونُ بأعمالهم ان خيراً فخيراً وانّ شرّاً فشرّا وعن

١- الدخان- ١٦
٢- الزخرف- ٥٥
٣- البقرة- ١٠٧
٤- البقرة- ١٢٠
٥- الانفال- ٤٠
٦- التوبة- ٧٤
٧- الحج- ٧١
٨- الشورى - ٨
٩- النساء- ٤٥
١٠- الفرقان- ٣١
١١- النساء- ٧٥
١٢- الاسراء- ٨٠

الجزاء بهذا المعنى يُعبّر بالانتقام مجازاً، و امّا الأنتقام بمعنى التّشفى للنّفس فهو محال فى حقّه لانّه يوجب النّقص فى ذاته وهو تعالى كامل فى ذاته و صفاته لانقص فيه اصلا.

وامّا كونه تعالى نصيراً فهو ايضا ممّا كلام فيه و معنى كونه نصيراً هوانّه ناصرمن لاناصرله وهذا يشمل جميع ماسواه .

▫ **قوله ﷺ: وَكَفَىٰ بِالْكِتَابِ حَجيجاً وخَصِيماً ...**

والمراد بالكتاب هوالقرآن كما هو الظّاهر من سياق الكلام مع انّه ليس لناكتاب غيره واللاّم فيه للعهد الذّهنى اَعنى الكتاب المعهود و فى قوله ﷺ حجيجاً وخَصيماً اشارة الى انّ الكتاب يكفى للنّاس من جهتين.

احدايهما : انّه حجّة على العباد لانّه كلام الخالق الّذى لاريب فيه .

وثانيهما : كونه خَصيماً لهم فالاوّل عامّ لجميع النّاس فانّ الكتاب حجّة عليهم والثّانى خاصّ بالأشقياء لانّ الكتاب ليس خَصيماً إلاّلهم قال اللّه تعالى ربّ تالِ لقرآن والقرآن يلَعَنه الآية و عليه فقوله ﷺ: **خَصيماً** بعد قوله **حجَيجاً** من ذكرالخاصّ بعدالعّام .

والى الاوّل: اعنى كون الكتاب حُجّةً ودليلاً اشار بقوله تعالى:﴿ **يَا ايُّهَا الَّذِينَ اوُتُوالكتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا**﴾[1]

و : ﴿**إنَّا انزَلْنَا اِليكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ**﴾[2]

و : ﴿**آمِنُو بِاللَّهِ و رَسُولِهِ والكِتابَ الَّذى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ**﴾[3]

و : ﴿**قَد جَاءكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ**﴾[4]

و : ﴿**وَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾[5]

و : ﴿**الَّذِينَ آتَيناهُم الكِتابَ يَعْرِفُونَ كَمَا يَعْرِفُونَ اَبنائَهُمْ**﴾[6]

١- النساء- ٤٧
٢- النساء- ١٠٥
٣- النساء- ١٣٦
٤- المائده- ١٥
٥- المائده- ٤٨
٦- الانعام- ٢٠

و : ﴿هَذا كِتابٌ أَنْزَلناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [1] وغيرها من الآيات.

والى كونه خصيماً اشير فى الكتاب بقوله تعالى:﴿قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ اِلَيكُمْ بالوَعِيدِ﴾ [2]

و : ﴿ثُمَّ انَّكُم يَوْمَ القِيامَةِ عِندَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُونَ﴾ [3]

و : ﴿إنَّ ذالِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلَ النَّارِ﴾ [4] و محصّل الكلام هو انّ القرآن من حيث انّه كلام الحقّ وكتابه المُنزل على نبيّه يكفى فى كونه حُجّةً على العباد وخَصيماً عليهم يوم القيمة و سيأتى الكلام فيه انشاءاللّه تعالى فى بعض المقامات و قد مرّمنّا الكلام فيه اجمالاً فى المجلّد الاوّل من هذا الكتاب والحمد اللّه ربّ العالمين.

□ **قوله** عليه السلام: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَوَ احْتَجَّ بِمَا نَهَجَ...**

عاد عليه السلام الى الوصّية بالتّقوى ثانياً اشعاراً باهمّيّته الموضوع وانّه ينبغى ان يتوجّه اليه فقال عليه السلام أُوصيكم الخ.

و فى قوله عليه السلام: **أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ**،دلالة و اشعار بانّ اللّه تعالى اعذر للعباد بما انذرهم به اى ازال العُذر عنه بماانذرَكم به وفى قوله عليه السلام: **احْتَجَّ بِمَا نَهَجَ** ،اشارة الى انّه تعالى قد اقام عليكم الحجّة بما اوضَحه لكم من الادلّة والآيات ولاشكّ انّ الأنذار منه تعالى والأحتجاج عنه كلا هما قد وصلا الينا بسبب الأديان والشّرايع و كتبه السّماويّة و رسله و سفرائه فهذا امر لاخفاء فيه فى كلّ عصر وزمان وَالقُرآن يصرّح به.

فمن الوّل :قوله تعالى: **فَأَنْذَرتُكُم نَاراً تَلَظَّىٰ**﴾ [5]

و : ﴿**إنّا أَنذَرنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرءُ**﴾ [6]

و : ﴿**وَ لَقَدَ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوا بالنُّذُرِ**﴾ [7]

١-الانعام- ٩٢
٢-ق- ٢٨
٣-الزمر- ٣١
٤-٦٤
٥-الليل- ١٤
٦-النباء- ٤٠
٧-القمر- ٣٦

و : ﴿و لتُنذِرَ اُمَّ القُرىٰ و مَنْ حولَها﴾[1]

و : ﴿إنَّما انْذَركُم بالوَحْيِ وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[2]

و : ﴿و تُنذِرَ يَوْمَ الجَمعِ لارَيبَ فِيهِ﴾[3]

و : ﴿إنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتّبَع الذِّكرَ و خَشِى الرَّحمَنَ بِالغَيبِ﴾[4]

و : ﴿وَ يَنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتّخَذَ اللَّهُ وَ لَداً﴾[5]

و : ﴿و لِيُنذِرُوا قومَهُم إذَا رَجَعُوا لَيهِم﴾[6]

و : ﴿وَ اَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْ يُحْشَرُو﴾[7]

و : ﴿وَ اَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأتِيهُم العَذَابُ﴾[8]

و : ﴿وَ اَنذِرْ عَشِيرتَكَ الاَقْرَبِينَ﴾[9]

و : ﴿انَ اَنذَرَ قَومَكَ مِنْ قَبلَ أن يَأتِيَهُم عَذَابٌ أليم﴾[10]

و : ﴿يَا ايُّها المُدّثِّر قُمْ فَأنذِرْ﴾[11]

و : ﴿وَ اَنذِرهُمْ يَومَ الازِفَةِ اذِا القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ﴾[12]

و : ﴿فألمُلقيات ذكر اَعُذْراً اَو نُذراً﴾[13]

و : ﴿يَا ايُّهَا النَّاسُ إنَّما اَنالَكُم نَذِيرٌ مُبِين﴾[14]

و : ﴿إنَّما أنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهَ عَلَىٰ كُلّ شَيء وكِيلٌ﴾[15]

و : ﴿أنْ هُوَإلاّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[16]

و : ﴿وَ إنْ مِنْ اُمَّةٍ الاّ خَلافِيها نَذِيرٌ﴾[17]

ومن الثّانى:

١- الانعام- ٩٢
٢- الانبياء- ٤٥
٣- الشورى- ٧
٤- يس- ١١
٥- الكهف- ٤
٦- التوبة- ١٢٢
٧- الانعام- ٥١
٨- ابراهيم- ٤٤
٩- الشعراء- ٢١٤
١٠- نوح- ١
١١- المدثر- ٢
١٢- الغافر- ١٨
١٣- المرسلات- ٦
١٤- الحج- ٤٩
١٥- هود- ١٢
١٦- السباء- ٤٦
١٧- الفاطر- ٢٤

و : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَو شَاءَ لَهَدیکُم اَجمَعِینَ﴾[1]

و : ﴿وتِلکَ حُجَّتُنَاءَ آتیناهاِ برَاهِیمَ﴾[2]

و : ﴿لئلاّ یَکُونُ للنَّاسِ عَلَی اللَّهِ حُجَّةُ بَعدَ الرُّسُل﴾[3]

و : ﴿اَلَم تَرَ اِلَی الَّذِی حَاجَّ ابرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ﴾[4]

و : ﴿وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اَتُحَاجُّونّی فِی اللَّهِ و قَدْ هَدَانِ﴾[5]

و : ﴿فَلِم تُحاجُّونَ فِیما لَیْسَ لَکُم بِهِ عِلمٌ﴾[6]

و : ﴿فَمَن حاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَائَکَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَو انَدعُ ابنائنا وَاَبنائکُم﴾[7]

وقدظَهَرمن هذه الآیات وغیرها ممّالم نذکرهاانّ اللّه تعالی قداتّم الحَجَّة علی العباد بالأنذار والأرشاد بسبب الانبیاء و انزاله الکتب السّماویّه وحیث قدتَمَّتَ الحجّة فالمطلوب ثابت.

قال سیّدنا وامامنا الکاظم ﷺ فی حدیث رواه فی الکافی وغیره من الکتب المعتبرة ،انّ للّه علی النّاس حُجّتین حُجّة ظاهرة وحجّة باطنه امّا الحُجّة الظّاهر فهی الانبیاء والرسّل وامّا الحجّة الباطنة فهی العقل، والأخبار فی الباب کثیرة ولانحتاج الی ذکرها والتّعرض لهافی المقام بعد هذه الأیات الدّالة علی المقصود واللّه تعالی هوالهادی الی سبیل الرشّاد...

□ قوله ﷺ: وَحَذَّرَکُمْ عَدُوّاَنَفَذَفِی الصُّدُورِخَفِیّاً...

ای اُوصیکم بتقوی اللّه الّذی حذَّرَکم عَدُوّاً الخ والمراد بالعَدُّو وهوالشّیطان لعَنَه اللّه تعالی وفیه اشارةالی وجوب الأحتزاز عنه عَقلاً وشَرعاً وقد دَلَّت علیه الأیات ایضا. قال اللّه تعالی: ﴿کُلُوا مِمَّا فِی الأرضِ حَلالٌ وَ طَیّباً و لا تتَّبَعُوا خُطُوَاتِ الشَّیطَانِ﴾[8]

۱- الانعام- ۱۴۹
۲- الانعام- ۸۳
۳- النساء- ۱۶۵
۴- البقرة- ۲۵۸
۵- الانعام- ۸۰
۶- آل عمران- ۶۶
۷- آل عمران- ۶۱
۸- البقرة- ۱۶۸

و : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيطَانُ لِيُبدِيَ لَهُما مَا و وُرِيَ عَنهُما مِن سَوْاتِهِما﴾[1]

و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدوٌّ مُبِينٌ﴾[2]

و : ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[3]

و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4]

و : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[5]

و : ﴿وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[6]

و : ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[7]

و : ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُم عَدُوّ فاتّخذُوه عَدُوّاً﴾[8] و غيرها من الآيات ثّم انّه لاشكّ في كون الشّيطان عَدُوّاًللأنسان وقدتَكَلَّمنافيه فى المجلّد الاوّل بمالامزيد عليه والمراد بقوله عليه السلام: نَفَذَفِي الصُّدُورِخَفِيّاً هووساوسه والهاماته والى هذالمعنى اشيرفى الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُل اعوذبِربّ النَّاس الى قوله مِنْ شَرِّ الوَسواسِ الخَنَّاسِ الّذى يُوَسوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وقدذكرناهناك مداخل نفوذه فى الصّدوران شئت فراجعه .

▫ قوله عليه السلام: وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً ...

و هو معطرف على الجملة السّابقه والّنفثَ فى اصل اللّغة قذف الرّيق القليل وهواقّل من التّفل.

والأذان جمع الأذان وهو آلة الأستماع والمقصود انّ الشّيطان ينَفثَ فى الآذان وفيه اشارة الى قوله تعالى حيث قال :﴿ومن شرّ النّفاثات فى العُقد﴾.

▫ قوله عليه السلام: فَأَضَلَّ وَأَرْدَىٰ وَوَعَدَفَمَنَّى ...

بعد ما بَيَّن عليه السلام انّ الشّيطان عَدوٌّ للأنسان و دأبه الوَسوَسة والنَّفث فى الآذان شَرَع فى ذكربعض اوصافه فقال عليه السلام فأضَلَ اَى الشّيطان، وارَدَى اى اهلَكَ

١- الاعراف- ٢٠
٢- الاعراف- ٢٢
٣- الاعراف- ٢٧
٤- يوسف- ٥
٥- الاسراء- ٥٣
٦- الاسراء- ٦٤
٧- الفرقان- ٢٩
٨- الفاطر- ٦

والمُراد اضَلَ واهلَکَ مَن تبَعه وَ وَعَدَهم بالمواعيد الکاذبة ومَنا هُهم الأمانی الباطلة. قال اللّه سبحانه: ﴿**ومَن يَتَّخِذُ الشَّيطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللّـهِ فَقَد خَسِرَ خُسرَاناً مُبِيناً**﴾(۱)

و : ﴿**يَعِدُهُم و يُمَنِّيهِم وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيطَانُ الاّ غُرُورا**﴾(۲)

و : ﴿**إنَّما يُرِيدُ الشَّيطَانُ اَنْ يُوقِعَ بَينَكُم العَداوَةَ والبَغضَاءَ**﴾(۳)

و : ﴿**الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ ويَأمُرُكُم بالفَحشَاءَ**﴾(۴)

و : ﴿**وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيطَانُ اِلاّ غُرُوراً**﴾(۵)

و : ﴿**و كَانَ الشَّيطَانُ لِلأنسانِ خَذُولاً**﴾(۶)والآيات والاخبار فی کون الشّيطان کذالک کثيرة بل لاشُغل له غيرهاوهومعلوم.

▫ **قوله** عليه السلام: وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ ...

ای وزيَّنَ لهم الشَّيطان قبائح المعاصی وهوَّنَ لهم مُهلکات الکبائر والی هذاالمعنی ايضاً اشير فی الکتاب. قال‌اللّه تعالی:﴿**وَاِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ اَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لاَغَالِبَ لَكُمُ اليَومَ**﴾(۷)

و : ﴿**تَاللّـهِ لَقَد أرسَلنَا إلَى اُمَمٍ مِنْ قَبلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ اَعْمَالَهُمْ**﴾(۸)

و : ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ اَعْمَالَهُم فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾(۹)

▫ **قوله** عليه السلام: حَتَّىٰ اِذَااسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ...

ای اذا خدَعَ قَرينه وتابِعَه بتزيين الباطل فی نَظَره و اوقَعَه فی الذّنوب الّتی اکتَسَبها کالرّهن المُعلق فی مقابل المال. قال اللّه تعالی:﴿**وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾(۱۰)

و : ﴿**فَأنسَلَخَ مِنهَا فَأتبَعَهُ الشَّيطَانُ**﴾(۱۱)

۱- النساء- ۱۱۹
۲- النساء- ۱۲۰
۳- المائده- ۹۱
۴- البقرة- ۲۶۸
۵- الاسراء- ۶۴
۶- الفرقان- ۲۹
۷- الانفال- ۴۸
۸- النحل- ۶۳
۹- النمل- ۲۴ العنکبوت- ۳۸
۱۰- النساء- ۳۸
۱۱- الاعراف- ۱۷۵

و : ﴿وَ مَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكرِ الرَّحمانِ نُقَيِّض لَهُ شَيطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1]

□ قوله عليه السلام: أَنْكَرَمازَيَّنَ ،وَاسْتَعْظَمَ مَاهَوَّنَ وحَذَّرمَاأَمَّنَ - ...

اى بعد ما فَعَل الشّيطان بهم ما فَعَل من الأغواء والأضلال والوَعد و غَيرها انكَرَ مازيّن لهم فكانّه يقول ما زَيّنته لهم، واستَعظم الشّيطان ما هَوّنه قبلِ ذالک لَهم وَحَذّر ما آمنَهم قَبله والحاصل انّ الشّيطان دأبه -المكروالكِذب فى الأمور فعلى العاقل ان لايفتِنِ به قال اللّه تعالى فى كتابه : ﴿يا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَما اخْرَجَ اَبَوَيكُمُ مِنَ الجَنَّةِ﴾ [2] والى ماذكره عليه السلام من انكاره مازّين الخ. اشير فى الكتاب المجيد حيث قال فى سُورة الانفال :

قال اللّه تعالى :﴿و اِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانَ اَعْمَالَهُم وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُم اليَوْمَ مِنَ النَّاس وَ اِنّى جَارٌ لَكُم فَلَمّا تَرَائَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَ قَالَ اِنّى بَرِىءٌ مِنكُمْ اِنّى اَرىٰ مَا لا تَرَوْنَ اِنّى أُخَافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[3]

و : ﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ اِذ قَالَ لِلإنسَانِ اِكفُر فَلَمّا كَفَرَوا قَالَ إنّى بَرِىءٌ مِنكَ اِنّى أخَافُ اللّهَ رَبَّ العَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُما أنَّهُما فِى النَّارِ خَالِدِينِ فِيها وَ ذَالِکَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ،﴾[4]و غيرها من الآيات.

اقول: هذا تمام الكلام فى هذاالفصل من الخُطبة الشّريفة وقد تَحَصّل منه امورٌينبغى التّوجه اليها :

احدها : التّوجه الى الآخرة وانّ الدّنيا لسيت بباقية بل هى فى مَعرَض الفناء والدّثُور والآخرة باقية. ببقاءاللّه ومن تَعمّقَ فى هذين الأمرين لايعتمد على الدّنيا.

وثانيها: التّوجه الى مالابّد له منه فى الآخرة من الأعمال الصّالحة التّى توجب دخوله الجّنة .

وثالثها: الأحتزاز عن الشّيطان ومكائده والتّوجه الى كونه عدوّاً له وهذه

١-الزخرف- ٣٦
٢-الاعراف- ٢٧
٣-الانفال- ٤٨
٤-الحشر- ١٦/١٧

الامور الثّلاثة رأس المال فی تجارة الدّنیا لربح الآخرة والحمدللّه ربّ العالمین.

«ومن هذه الخُطبة»

أَمْ هَذاالَّذِی أَنْشَأَهُ فِی ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ،وَشُغُفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً، وَ عَلَقَةً مِحَاقاً ،وَجَنِیناً وَ رَاضِعاً ،وَ وَلِیداً وَ یَافِعاً ،ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً ،وَلِساناً لافِظاً، وَبَصَراً لاحِظاً، لِیَفْهَمَ مُعْتَبِراً، ویُقَصِّرَ مُزْدَجِراً ، حَتّی إِذَاقَامَ اعْتِدَالُهُ، واسْتَوَیٰ مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَکْبِراً ،وَخَبَطَ سَادِراً ،مَاتِحاً فِی غَرْبِ هَوَاهُ کَادِحاً سَعْیاً لِدُنْیَاهُ ،فِی لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لایَحتَسِبُ رَزِیَّةً، وَلایَخْشَعُ تَقِیَّة، فَمَاتَ فِی فِتْنَتِهِ غَرِیراً، وَعَاشَ فِی هَفْوَتِهِ یَسِیراً ،لَمْ یُفِدْعِوَضاً، وَلَمْ یَقْضِ مُفْتَرَضاً دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ المَنِیَّهِ فِی غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وسَنَنِ مَرَاحِهِ، فَظَلّ سَادِراً وِ بَاتَ سَاهِراً،فِی غَمَرَاتِ الآلَامِ، وَ طَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ ،بَیْنَ أَخٍ شَفِیقٍ، وَ وَالِدٍ شَفِیقٍ، وَدَاعِیَةٍ بِالوَیْلِ جَزَعاً، وَ لادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، وَالْمَرءُ فِی سَکْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وَغَمْرَةٍ کَارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ،وجَذْبَةٍ مُکْرِبَةٍ ،وَ سَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِی أَکْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِیَ عَلَیٰ الأَعْوَادِ ،رَجِیعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الاِخْوَانِ ،إِلَیٰ دَارِغُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَ حْشَتِهِ حَتَّیٰ إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَیِّعُ وَ رَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِی حُفْرَتِهِ نَجِیّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الاِمتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَاهُنَالِکَ بَلِیَّةً نُزُولُ الْحَمِیمِ،

وتَصْلِیَةُ الْجَحِیمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِیرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِیرِ، لافَتْرَةٌ مُرِیحَةٌ، وَلادَعَةٌ مُزِیحَةٌ وَلاقُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ،وَ لا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَ لا سِنَةٌ مُسَلِّیَةٌ، بَیْنَ أَطْوَارِ المَوْتَاتِ، وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ. عِبَادَ اللَّهِ، أَیْنَ الَّذِینَ عُمِّرُوا فَتَعِمُوا؟ وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَ أُنْظِرُوا فَلَهَوا، و سُلِّمُوا

فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَ مُنِحُوا جَمِيلاً، وَ حُذِّرُوا أَلِيماً ،وَ وُعِدُوا جَسِيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَ الْعُيُوبَ الْمُسخِطَةَ ،أُولِى الأَبْصَارِوَالأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ،

هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلاَصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ! أَمْ لا؟ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ! وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَ الْعَرْضِ قِيدُقَدَّةٍ، مُتَعَفِّراً عَلَىٰ خَدِّهِ! اَلآنَ عِبَادَاللَّهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ ،وَاَلرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِى فَيْنَةِ الإِرْشَادَ، وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ ،وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ ،وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ ،وأَنُفِ المَشِيَّةِ ،وَإِنْظَارِالتَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّ هُوقِ ،وَقَبْلَ قُدُومِ الغَائِبِ الْمُنتَظَرِ، وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

◁ اللّغة

(شُغُفِ)بضمّتين جمع شغاف كسحاب وَسحُبُ وَهوغلافِ القَلب . (دِهَاقاً)بالدّال المُهملة مِن دَهَق الماء اَفرَغَه افراغاً شَديداً(مُحَاقاً)بضمّ الميم نقص الشّى ء اوذِها به رأساً بحيث لم يبقَ منه شى ٌء (يَافِعاً) مُرتفِعاً (مَنَحَهُ) اى اعطاه (خَبَطَ) إشتَبه . (سَادِراً) اى مُتحيّراً (مَاتِحاً)الماتح هوالّذى يستَسق الماء من البئر و هو على رأسها . (غَرْبِ) بالفتح والسُّكُون النّشاط والدَّلو العَظيمة . (كَادِحاً)الكدح السَّعى يقال كَدح فى العَمل اذا سَعى فيه من خيرٍ او شرٍّ (بَدَوَاتِ) بالفَتَحات جمع بدَو وَ هُو الرّاى الَّذى يَبدُو ويظَهر . (أَرَبِهِ)الأَرَبَ بفتحَتَين الحاجة (رَزِيَّةً) المُصيبة . (غَرِيراً) المَغرور (هَفْوَتِهِ) الهَفوة الزّلة (دهِمَتْهُ) دهَم الشّى ء غَشيه . (اَلْمَنِيَّةِ)المِوت . (غُبَّرِ جِمَاحِهِ) غُبَرالشّى ء بضَم الغَين وتشدَيد الباء بقاياه والمفرد بمنه الغابر كُركَعَ وراكع و جَمَح الرَّجُل ركَب هواه . (مِرَاحِهِ)مرَحَ من باب فَرح اى نَشَط و تبَختروا لمراح اسم منه . (فَظَلَّ سَادِراً) اى مُتحيّراً فى جميع نهاره لشِدَّة مانَزَل به . (سَاهِراً)اى لاينُوم (غَمَرَاتِ الآلامِ)الغَمرة الشِّدة . (طَوَارِقَ) الحَوادِث (شَفِيقٍ) كلّ ماانشَق نصفين .

(لادِمَةٍ) اللَّدم اللَّطم (مُلْهِثَةٍ) لهَثَ من باب سَمِع ولُهاثاً بالضَّم، اى اخرَج لسانه عَطَشاً (وَغَمْرَةٍ) اى شدّةٍ (كَارِثَةٍ)كَرِثه الغِمّ اشتَدّ علَيه . (أَنَّةٍ) اَنَّ المَريض اَنّاً اذاتأوَّهَ (مُبْلِساً)ابلَسَ بمعنى يئِس و تَحيَّر. (رَجِيعَ)المرجوع (وَصَبٍ) بفتحتين المَرَض. (نِضْوَ)بكسرالنّون المَهزُول من الأبل (سَقَم) كجَبَل المَرَض . (حَشَدَةٌ) جَمع حاشِد يقال حَشَد القوم اذا دُعُو فاجابوا مُسرعين او اجتمعو على امرٍ واحدٍ (لِبَهْتَةِ)الأخذ بغتَتَة (نُزُولُ) بضَمتين طعام الّذى يُهيّؤ له . (والْحَمِيمِ) الماء الحارّ (تَصْلِيَةُ) التّسخين (سَوْرَاتُ)الحِدّة . (الزَّفِيرِ)يقال زَفر النّار تُسمع لِتوقّدِها صَوت (وَلادَعَةٌ)السَّعِة . (الأزاحة) الأزالة (الوَرَطة) الهَلَكة (المَناص)المَلَجاء. (المَحار) المَرجع (اهَمله) اى تَركه (القِيد)المِقدار. (مُتَعَفِّراً)المعفر مُحرّكه التّراب (اَلْخِنَاقُ)ككتاب حَبل يُخنق به . (فَيْنَةِ) السّاعة والحين (البَاحَةِ) السّاحة والفَضاء(الاِحْتِشَادَ) الاجتماع. (أُنُفُ) بضمتّين ،اَوّله (وَاِنْظَارِ) السّعه (الحَوْبَةِ) الحاجة . (الضَّنْكِ) اَلضّيق (الرَّوْعِ) الفَزَع (الزُّهُوقِ)الخروج، انتهى.

◁ **المعنى**

(ام هذا) اى الأنسان (الّذى انشَائه) اللّه تعالى. (فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ) اعنى ارحام الا مّهات . (وَشُغُفِ الأَسْتَارِ) و هو بمنزلة التّفسير لجملة الأولى . (نُطْفَةً دِهَاقاً) اى مفرَغةٍ افراغاً شديداً . (وَعَلَقَةً مِحَاقاً) اى ناقصةٍ غير كاملةٍ فى بَدوالامر. (وَجَنِيناً و رَاضِعاً وَ وَلِيداً وَ يَافِعاً)على التّرتيب الطّبيعى على ماسيجى ء شرحها (ثُمَّ مَنَحَهُ) اى اَعطَاه اللّه (قَلباً)حافظاً(وَلِساناً لافِظاً) يتَلفّظ به . (وبَصَراً لا حِظاً) ينَظُربه (لِيَفْهَمَ)الأنسان (مُعْتَبِراً) بما فهمه . (ويُقَصَّرَ مُزْدَجِراً)اى فيَنزجرعن الخلاف والعصيان . (حَتَّىٰ إِذَاقَامَ اعْتِدَالُهُ)بالتّناسب والأستقامة فى كَم وكيفٍ . (وَاسْتَوَىٰ مِثَالُهُ)اى اعتَدَل مقداره وصفته (نَفَرَ)وفَرَعَنَ . (مُسْتَكْبِراً) و مُعرضاً عن الأمتثال. (وَخَبَطَ)اى سَلَك . (سَادِراً)لايبالى ماصنَعَ (مَاتِحاًفِي غَرْبِ هَوَاهُ)بجلبه ماتشتهيه نفسه . (كَادِحاً

سَعْياً لِدُنْيَاهُ)من جميع الجهات غيرمتوّجهٍ لآخرته . (فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ)اى حاجتة التّى تبدو و تَظهر له . (لايَحْتَسِبُ رَزِيَّةً) اى مُصيبتةً (وَلايَخْشَعُ تَقِيَّةً) اى لا يخاف من اللّه تعالى لأجل تقيّةٍ لفراط اغتراره بالدّنيا . (فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ) وضلالته (غَرِيراً)اى مَغرُوراً . (وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ) وزَلّته (يَسِيراً)وقليلاً . (لَمْ يُفِدعِوَضاً) اى لم يستفد عوضاً من الكمالات . (وَلَمْ يَقضِ مُفْتَرَضاً)من الطّاعات المفروضة. (دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ)اى فاجاته دواهى الموت. (فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ وسَنَنِ مَراحِه)اى فى طرق نشاطه ولذّاته . (فَظَلَّ سَادِراً)متحيّراً (وَبَاتَ سَاهِراً)لايَقدر على النَوم . (فِي غَمَرَاتِ الآلامِ) و شدائدها (وَطَوَارِقَ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ)اى فى حوادث الواقعة بهِ من الأمراض و الأوجاع . (بَيْنَ أَخٍ شَفِيقٍ)اى عَطُوف (وَ وَالِدٍ شَفِيقٍ)ورؤف (وَ دَاعِيَةٍ بِالوَيْلِ جَزَعاً)من النّساءالأقاربَ . (وَ لا دِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً)من البنَات والامّهات . (وَالْمَرءُ)الواوللحال (فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ)يلوك لسانه ويخرجه عَطَشاً . (وغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ)اى شّدة بلغ الغاية . (وَ أَنَّةٍ موجِعَةً) اى تاوَه يُوجب لوَجَع الحاضرين . (وَ جَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ)اى جذب الملائكه روحه وَسَوَقه الى خارج البَدن (ثُمَّ) بعدموته (أَدْرِجَ فِي اكْفَانِهِ مُبْلِساً) اى يُلفّ فى اكفانه آيساً حزيناً. (وَجُذِبَ مُنْقَاداً)اى مُطيعاً(سَلِساً)اى سَهلاً ليّنا(ثُمَّ أُلْقِيَ)الميّت بعد التّكفين (عَلَى الأَعْوَادِ)والأخشاب والمراد بهاالسّرير. (رَجِيعَ وَصَبٍ)وتَعَبٍ (ونِضْوَسَقَمٍ) اى كالجَمَل النّضو الّذى يَهزل من كثرة الاحمال والأثقال . (تَحْمِلُهُ)اى الميّت (حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ و حَشَدَةُ الاِ خْوَانِ)اى اجتماع الاقرباء(اِلَىٰ دَارِغُرْبَتِهِ)وهى عالم الَقبَر و مايليه . (وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ)وضَيق قبره (حَتَّى اِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ)عن تشييعه ايّاه . (وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ) من الاقرباءعن دفنه (أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ)وقبره. (نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ)ودهشته (و عَثْرَةِ الاِمْتِحَانِ)وزلّته . (وَ اعْظَمُ مَاهُنَالِکَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيم وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ).

كماقال اللّه تعالى:﴿ لا يذوقُونَ فِيهَا بَرداً وَ لا شَراباً إلاّ حَمِيماً وَ غَسّاقاً﴾[1]

(وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ)وهى شدّة غليان نارالسّعير. (وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ) و هى شدّة صوتها(لافَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ)لهم من العذاب . (وَ لا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ) عنهم العقاب (وَ لا قُوّةٌ حَاجِزَةٌ)مانعة عن العقاب . (وَ لا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ)اى عاجلة (وَ لا سِنَةٌ مُسَلَّيَةٌ)لِهَمّه وغَمّه . (بَيْنَ أَطْوَارِالْمَوْتَاتِ ،وَعَذَابِ السَّاعَاتِ) اعنى الالام والاوْجاع (إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ)والى جنابه تعالى مُلتجؤن . (عِبَادَاللَّهِ ،أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا)اى اعطاهم اللّه العُمرالطّويل مع كونهم فى النّعمة (وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا)اى علّمهم اللّه تعالى الأحكام الشّرعيّه فَفَهِمُو الحلال والحرام . (اُنْظِرُوا)اى امهلوفى مدّة الأجل(فَلَهُوا)بطَول الأمَل (وَسُلِّمُوافَنَسُوا) اى سلّمو لعَاجلة فنَسوها. (أُمْهِلُوا)فى الدّنيا (طَوِيلاً،وَ مُنِحُوا جَمِيلاً) اى عُمروا فى الدّنيا طويلا فى العيش الرّغيد (وَ حُذِّرُوا) فى الدّنيا عذاباًأَلِيماً)فى الآخرة. (وَ وُعِدُوا) ثواباً (جَسِيماً) و عظيماً(احْذَرُوا لِذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ) المُوقعة فى ورطة الهَلاك والعقاب . (وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ)المُوجبة لِغَضب الرّب . (أُولِى الأَبْصَارِ وَ الأَسْمَاعِ وَ الْعَافِيَةِ وَ المَتَاعِ).خاطبهم وقال لهم (هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أوخَلاَصٍ)من هذه الأهاويل والشّدايد (أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ) حتّى نلتجىء اليه (أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ)من الحَميم والجَحيم . (أَمْ لا؟«فَأَنَّى تُؤفَكُونَ)و اينَ تذهبُون و تَنقلبون . (أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ)وتلتفتون (أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ)وتفتنون . (وَ إِنَّمَاحَظُّ اَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ)اى من نعمها. (قِيدُ قَدَّةِ)وقامته (مُتَعَفِّراً عَلَىٰ خَدِّهِ)ووجَنته و. (اَلآنَ عِبَادَ اللَّهِ) فى هذاالزّمان . (وَالْخِنَاقُ مُهْمَلُ وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ)اى اعناق نفوسكم مُهملة من الأخذ بخناق الموت (فِى فَيْئَةِ الإِرْشَادِ)والهداية الى الجنان . (وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ)استراحةالبدن . (وَ بَاحَةِ الاِحْتِشَادِ) ايَاجتماع الأشباه والأقران . (وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ .وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكَ وَ

1- النباء- ٢٤/٢٥

الْمَضِيقِ) اعنى عالم القبر(**وَ الرَّوْحِ وَ الزُّ هُوقِ)** اى خروج الرّوح عن البدن وقبل قدُوم الغالب **المنتظر**)قالوالمراد به الموت . (**وَاِخْذَةِ الْعَزِيزِالمُقْتَدِرِ**)و هو معلوم.

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: **أَمْ هَذَ الَّذِى أَنْشَأَهُ ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَ شُغُف الأَسْتَارِ...**

كلمة (ام) فى المقام امّا استفهاميّة على حقيقتها كما عليه الشّارح - المعتزلى او استفهاميّة فى معرِض التّفريع للأنسان كما ذهب اليه البحرانى او متّصلة مَسبُوقة بهمزة الأستفهام كما اختاره الخوئى والمشارإليه بكلمة (هذا) هوالانسان لا غَير والمقصود فى هذا الفصل بيان خلقة الانسان من بَدو تُكَوّنه ونَشوه فى عالم الرّحم الى عالم القبرالّذى لابدّله من الوُرود عليه والوقوف به والآيات الدّالة على انّ اللّه تعالى هوالّذى اَنشاءَ الأنسان و غيره كثيرة. قال اللّه تعالى:﴿**هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَودَعٌ**﴾(۱)

و : ﴿**كَمَا أنشأَكُم مِنْ ذُرِّيَّةِ قَومٍ آخَرِينَ**﴾(۲)

و : ﴿**هُوَ اعلَمُ بِكُم إِذْأَنشَأكُم مِنَ الأرضِ**﴾(۳)

و : ﴿**هُوَ أنشَأكُم مِنَ الأرضِ واستَعْمَركُمْ فِيهَا**﴾(۴)

و : ﴿**انَا أَنْشَأنَا هُنَّ إنشَاءً**﴾(۵)

و : ﴿**قُل يُحْيِيهَا الَّذِى أنشَأها اَوّلَ مَرَّةٍ**﴾(۶)

و : ﴿**ثُمَّ أَنْشَأناهُ خَلقاً آخرَ**﴾(۷)

و : ﴿**وَ كَم قَصَمْنَا مِنْ قَرْيةٍ كَانَتْ ظَالِمةً وَ اَنشأنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ**﴾(۸)و غيرهامن الآيات .

۱-الانعام- ۹۸
۲-الانعام- ۱۳۳
۳-النجم- ۳۲
۴-هود- ۶۱
۵-الواقعه- ۳۵
۶-يس- ۷۹
۷-المؤمنون- ۱۴
۸-الانبياء- ۱۱

وَمن الآيات الدّالة على كون الانسان فى ظُلُمات الأرحام واللّه تعالى اخرجه منها. قال اللّه تعالى: **هُوَالَّذِى يُصَوِّرُكُم فِى الأرحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾(١)

و: ﴿**اَمَا اَشْتَمَلَت عَلَيْهِ اَرحَامُ الاُنثَيَينِ اَمْ كُنتُم شُهَدَاءَ اِذوَصَّاكُمُ اللّهُ بِهٰذَا**﴾(٢)

و: ﴿**اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحمِلُ كلُّ أُنثىٰ وَ مَا تَغِيضُ الأَرحَامُ وَ مَا تَزْدَادُ**﴾(٣)

و: ﴿**وَ نُقِرُّ فِى الأَرحَامِ ما نَشَاءُ إلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾(٤)

و: ﴿**اَنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِى الاَرحَامِ**﴾(٥)

و: ﴿**وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ اِنْ مَا يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِى أَرحَامِهِنَّ**﴾(٦)فهذه الآيات باسرها تدلّ على انّ اللّه تعالى هوالّذى انشأءالانسان فى ارحام الأمّهات وهوالمطلوب.

وامّا قوله عليه السلام: **فِى الأَرْحَامِ** فهو اشارةالى قوله تعالى حيث قال: **يَخْلُقُكُم فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلَقٍ فِى ظُلُماتٍ ثَلاثٍ**(٧)

و امّا الاستار فهى جمع سترو المراد بها هو الظّلمات فكانّها تفسير لها و قد قيل انّها ظُلمة البطن والرّحم والمَشيمة، اوا الصّلب ،و الرّحم و البَطن و قيل غيرذالک.

□ **قوله** عليه السلام: **نُطْفَةً دِهَاقاًوَعَلَقَةً مِحَاقاً**... فيه اشارةٌ الى انّ الانسان كان اوّلاً نطفة ثُم صارت النُطّفة عَلَقه والآيات قد دلّت عليه ايضا.

قال اللّه تعالى:﴿**خَلَقَ الاِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾(٨)

و: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ**﴾(٩)

و: ﴿**وَاللّهُ خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾(١٠)

و: ﴿**اَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِّيٍ يُمنَىٰ**﴾(١١)

١- آل عمران- ٦
٢- الانعام- ١٤٤
٣- الرعد- ٨
٤- الحج- ٥
٥- اللقمان- ٣٤
٦- البقرة- ٢٨٨
٧- الزمر- ٦
٨- النحل- ٤
٩- المؤمنون- ١٣
١٠- الفاطر- ١١
١١- القيامة- ٣٧

و : ﴿إِنّا خَلَقْنَاالأنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أُمشَاجٍ﴾(١)

و : ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرهُ﴾(٢)

و : ﴿أَكَفَرتَ بِالَّذِى خَلَقِكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(٣)

و : ﴿أَولَم يَرَ الأنسَانُ اِنَّا خَلَقناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَاِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾(٤)

والى كونه عَلقَة اشيرفى القرآن ايضا.

قال اللّه تعالى:﴿فَاِنَّا خَلَقنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾(٥)

و : ﴿ثُمَّ خَلَقنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً﴾(٦)

و : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ﴾(٧)

و : ﴿خَلَقَ الأنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(٨)

و : ﴿وَقَال ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فخَلقَ فَسَوّىٰ﴾(٩)

وفى كونالنّطفة دِهاقاً والعلقةً مِحاقااشارةالى انّ النّطفه لها شدّة حين خروجها وهى تمتلى الظّرف اعنى الرّحم لكثرتها يقال ماء دهاق اى كثر

وامّا المِحاق فهو فى اصل اللّغة المَحو والأبطال والنّقص ولاجل هذايقال المحاق لآخر الشّهر القمرى.

قال الشّارح الخوئى فى شرح العبارهاى ناقصة لم تتضوّربعد بصورة الانسانيّة و فى الاتيان بهذه الاوصاف تحقير للأنسان كما او مى اليه بالأشارة (وجنينا راضعاً)الخ.

اقول: والّذى افهم من هذاالكلام هوانّه ﷺ اشاربه الى ابطال النُّطفة من حيث الصُّورة بعد صيرورتها عَلَقة و ذالک لأن صَيرورة النُّطفةَ علَقَة انّماهى بتغيير الصّورة فيها اليها مع • حفظ المادّة والهَيولى فانّ الأنقلاب فى المادّه اوالنّقص فيها غير معقول كما ثبت فى الفلسفة وحيث انّه ثبت فيها انّ شَيئيّة

١- الانسان- ٢
٢- العبس- ١٩
٣- الكهف- ٣٧
٤- يس- ٧٧
٥- الحج- ٥
٦- المؤمنون- ١٤
٧- الغافر- ٤٧
٨- العلق- ٢
٩- القيامة- ٣٨

الشّی ء بصورته لابمادّته والصُّورة هی مابه الشّی شیی ءبالفعل فتبدیل صورة النُّطفة بصورت العَلَقة بطلانٌ ومَحوٌ للأوِلی وثبوت و وجود للثّانیة و علیه فکیف یعقل النّقض فی العَلَقة مع انّها مَرتبة الکمال بالنّسبة الی النّطفة کما انّ المضُغغة کمال العلقه و هکذا.

□ **قوله ﷺ: وجَنِیناً وَرَاضِعاً وَوَلِیداً وَیَافِعاً ...**

اشار ﷺ الی وصفین آخرین للأنسان وهماکونه جنَیناً ولَیداً و انّما یسمیّ الجنین به لأستتاره فی الرّحم. قال اللّه تعالی:﴿ **هُوَ اعلَمَ بِکُمْ اذِأَ نشَأکُم مِنْ الأرضِ وَ اِذأَنتُم اَجِنَّةَ فِی بُطُون اُمَّهَاتَکُمْ**﴾(۱)

و : ﴿**اَلَم نُرَبِّکَ فِینَا وَلِیداً و لَبِثْتَ فِینَا مِنْ عُمُرِکَ سِنِینَ**﴾(۲)

قال الرّاغب فی المفردات: الولید یقال لَمن قرب عهده بالولادة وان کان فی الاصل یصّح بمن قَرُبَ عهده او بَعُد کما یقال لمن قرب عهده بالأجتناه جِنّی فاذاکبرالولد سقطٍ عنه الاسم و جمعه ولدان انتهی قال اللّه تعالی:﴿**یَوْمأیَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَیباً**﴾(۳)

وانّما وصف ﷺ الجنین بکونه راضعاً والوَلیدبکونه یا فعالانٌ شأن الاوّل یقتضی کونه راضعاً .امّا الولید فلا محالة یکون قابلاً لکونه یافعاً یقال غلام یافع اذا تَرَعرَعَ وناهز البُلوغ وفیه ایماء الی کونه تعالی قادراً علی ان یجعل الطّفل الرّضیع غلاماً یافعاً والی کون الطّفل مُرتضعاً بلَبَن امّه اشار اللّه تعالی:﴿**وَ امَّهَاتَکُم البِلاَّتِی ارضَعْنَکُمْ وَ أخَوَانُکُم مِنَ الرَّضَاعَةَ**﴾(۴)

و : ﴿**لِمَن اَرَادَ اَنْ یُتِمَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ**﴾(۵)

و : ﴿**وَ أوحَینَا اِلَیٰ اُمِّ مُوسَیٰ اَنْ أرَضِعِیهِ**﴾(۶)

و : ﴿**والوَالِدَاتُ یُرْضِعْنَ أولاَدَهُنَّ**﴾(۷)

۱- النجم- ۳۲
۲- الشعراء- ۱۸
۳- المزمل- ۱۷
۴- النساء- ۲۳
۵- البقرة- ۲۳۳
۶- القصص- ۷
۷- البقرة- ۲۳۳

وقيل انّ الولد بَعد ولادته يكون راضعاً يرضع امّه‌اى يمتّص ثدَيها،ثّم يكون وليداً اى فطيماً فاذا ارتَفع قيل هو يافَع والأمر سَهل بعد وضوع المنى.

▫ **قوله عليه السلام: ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِساناً لافِظاً وَبَصَراً لاحظاً...**

اى ثمّ اعطاه الله تعالى قلباً حافظاً يحفظ به الأمور و لساناً يتلفّظ، و ينَطق به بصراً يلحظ به ما من شأنه ان يُلحَظ و كلّ هذه الأمور من المواهب الالهيّه التّى مَّنَ الله بها على عباده.قال الله تعالى:﴿**اَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِساناً وَ شفَتَيْنِ**﴾(۱)

وقد تكلّمنا فى‌القَلب والبَصر وغيرهمامن الَحّواس بما لا مزيد عليه فلا نعبد الكلام بذكرها ثانيا.

▫ **قوله عليه السلام: لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً...**

والّلام للغايةاى منَحه قلبًا الخ ليفَهم الحقائق العلميّة و يرى الاثار الحسّية روءية فهم تَدَبُّرٍ حتّى يعتبر بما يراه و ينتهى عمّا يفضيه الى اَليم النّكال و شَديد الوبال و الاّ فمجرّد الحِفظ و التّلَفْظ و الرّوءية لا عبرة به و قد اشار اللّه تعالى الى هذا المعنى فى كتابه. حيث قال:﴿**إِنْ اَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُم وَأبصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيرَ اللّهَ فَأتِيكُم بِهِ**﴾(۲)

و : ﴿**اَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا**﴾(۳)

و : ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُم اَعْيُنٌ لا يَبْصِرونَ بِهَا**﴾(۴).و قد مرّت الآيات فيه

▫ قوله عليه السلام: **حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اَعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَىٰ مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَ خَبَطَ سَادِراً...**

اى حتّى اذا قام اعتدال الأنسان بالتّناسب الطّبيعى فى كَمٍّ و كَيفٍ، و غيرهما و بعبارة اخرى: تَمَّت خلقته كَمُلت اعضائه بالخُلّو عن الزّيادة، والنّقصان، نَفَرَ وفرَعَن عن امتثال اوامره وخبَطَ اى سَلَك و سار على غير طريق الحقّ، سادِراً،

۱- البلد- ۹
۲- الانعام- ۴۶
۳- محمد- ۲۴
۴- الاعراف- ۱۷۹

حالكونه لا يبالى بما صنَعَ من الأفعال القبيحه والاعمال الشّنيعة مع انّ وظيفته ليست كذالک فانّ المخلوق ينبغى له ان يعرف خالقه ولازمٌ العرفان هوالأطاعة والأنقياد لآن شكر المنْعم واجب عقلاً و شرعاً و فيما ذكره عليه السلام ايماءٌ الىا نّ الانسان كثيراً ما يسلک مَسلک الطُغيان ويتطَرق- بطريق العصيان قال الله تعالى فيه:﴿كَلاَّ اِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى﴾.ثمّ انّ فى قوله عليه السلام: حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اَعْتِدَا لُهُ وَ اسْتَوَىٰ مِثَالُهُ ، اشارةالى قوله تعالى:﴿الَّذِى خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ﴾(١)

و : ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾(٢)

و : ﴿سبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الأَعْلىَ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى﴾(٣)

و : ﴿اَكفَرْتَ بالَّذِى خَلَقَکَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطفَةٍ ثُمَّ سَوَّاکَ رَجُلاً﴾(٤)

و : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾(٥)

و : ﴿فَاذَا سَوَّيتُه وَ نَفَختُ فِيهِ مِنْ رُوحِى﴾(٦)

و : ﴿وَ لَمَّا بَلَغَ اشُدَّهُ وَاستَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكمًا و عِلمًا﴾(٧)

و : ﴿ما غَرَّکَ بِربِّکَ الكَرِيم الَّذِى خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ﴾(٨)

فى قوله عليه السلام: نَفَر مُستَكْبِرًا، اشارة الى قوله تعالى حيث قال:﴿وَ إِذَا تُتلَىٰ عَلَيهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكبِرًا كأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾(٩)

و : ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأن لم يسَمَعها﴾(١٠)

و : ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرةٌ وَهُمْ مسْتَكبِرُونَ﴾(١١)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَستَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١٢)

و : ﴿إِنَّهُم كَانُوا اِذَا قِيلَ لَهمُ لا اَلِهَ اَلا اللَّهُ يَستَكبِرُونَ﴾(١٣)

١- الانفطار- ٧
٢- القيامة- ٣٨
٣- الاعلى- ١/٢
٤- الكهف- ٣٧
٥- السجده- ٩
٦- الحجر- ٢٩ =ص- ٧٩
٧- القصص- ١٤
٨- الانفطار- ٧
٩- اللقمان- ٧
١٠- الجاثية- ٨
١١- النحل- ٢٢
١٢- الغافر- ٦٠
١٣- الصافات- ٣٥

و : ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُم وَ رَأَيتَهُم يَصُدّونَ وَهُم مُستَكبِرُونَ﴾[1] وغيرها من الايات.

و فى قوله عليه السلام: خَبَطَ سَادِرًا..اشارة الى قوله تعالى:﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ﴾[2] والخبطه فى اصل اللّغة الضّرب على غير استواً والسّادر المتحيّر و عليه فالمعنى انّه سلَكَ مسلك الباطل متُحيّراً فيه لا يعلم انّ مسيره على الباطل و لاشكّ انّ الحيرة فى الدّين من اعظَم المهالک.

□ قوله عليه السلام: كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ...

الكدح السّعَى والعناء والغرض انّ سيعه وهمّته من جميع الجهات كان مقصورا على جمع المال والوصول الى المقام وغير هما من الامال الدّنيوية غافلا عن آخرته كيف لا و هو منْهمک فى لذّات طَربه وعيَشه وحاجاته التّى تَبدوُله وتظهر ومن المَعلُوم انّ منَ كان كذالک فهو من الأشقياء والى الاوّل اعنى قوله عليه السلام: كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، اشارفى القرآن الكريم. قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّکَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّکَ كدحًا فَمُلاقِيهِ﴾[3]

و : ﴿وَ إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأرضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾[4]

و : ﴿وَ أَنَ لَيْسَ لِلإنسَانِ الاّ مَا سَعَىٰ﴾[5]

و : ﴿يَوْمَ يَتَذَكّرُ الإنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾[6]

و : ﴿وَ الَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ اوُلَئِکَ اَصحَابُ الَجَحِيمِ﴾[7]

و : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادِ اَخْفِيهَا لِتُجزَىٰ كُلُّ نَفسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[8]

و : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾[9] و غيره‌ها.

والحاصل آن السّعى فى الدّنيا للدّنيا مذمومٌ لانّه ينشاء عن حُبّها فانّ السّعى الى غير المحَبوُب لا معنى له وقد قال رسول الله حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئةٍ وقدمرّ الكلام فيها مفصّلا.

١- المنافقون- ٥
٢- البقرة- ٢٧٥
٣- الانشقاق- ٦
٤- البقرة- ٢٠٥
٥- النجم- ٣٩
٦- النازعات- ٣٥
٧- الحج- ٥١
٨- طه- ١٥
٩- الكهف- ١٠٤

▫ **قوله** ﷺ: **لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لا يَخْشَعُ تَقِيَّةً...**

الرَّزِية البَليّة و الدّاهية و المعنى انّه لا يظنّ نزول العذاب و البلأ عليه و لا يخشع ولا يخاف من الله تعالى و ذالک لفرط اغتراره بالدّنيا و شدّة ابتلائه بها قال الله تعالى:﴿**الَمْ يَأنِ لِلَّذِينَ آمَنُو أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم**﴾(۱)

▫ **قوله** ﷺ: **فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً...**

اى فمات الانسان فى ضلالته مغروراً و عاش فى زلّته زماناً يسَيراً فى الدّنيا و معلوم انّ العيش الموقّت لا ينبغى للعاقل ان يعبأبه و قد مضى الكلام فيه مفصّلا.

▫ **قوله** ﷺ: **لَمْ يُفِد عِوَضاً وَ لَم يَقْضِ مَفْتَرضاً...**

اى لم يستفد ولم يكتسب من الكمالات والخيرات عِوضًا ممّا اِنعَم الله عليه و لمَ يأت شِيئاً من الطّاعات والتّكاليف التّى فَرَض الله تعالى عليه كذا، قال الخوئى فى شرحه. واظنّ ان يكون المراد غير ما ذكره (قدّه)و ذالک لأن تفسير قوله ﷺ: (**يفُدِ**) بقوله (قدّه) (**يستفيد**) بعيد عن الصّواب غاية البعد و ذالک الآن الأفادة غير الأستفادة فقوله ﷺ: (**يفد**) اصله يُفيد و قد صار مَجزوماً بدخول (**لَم**) عليه و المَصدَر منه الأفادة و امّا قوله:ﷺ اى يستفيد و يكتسب فالتّأفى الفعل للقبول و المَصدَر منه الأستفادة و الأكتساب فكيف يعقل تفسير احد هما بالآخر و هما متقابلان و هو ظاهر على من له ادنى تأملٌ فى العبارة.

فالحقّ فى المقام هو انّ قوله ﷺ: (**لم يُفِدِ**) معناه لم يأت عوضًا عمّا انعم الله عليه و ذالک لانّ المكلّف مسْتغرق دائماً فى بحار رحمته ونعمته و شُكر المنْعم واجب عقلا و قد ثَبت انّ الشّكر حالّىّ و مقالّى و فعلّى و هولا يتحقّق اَلا بصرف العبد جميع ما انعَمَه الله عليه فى مورَده وهذ ا اعنى الشّكر بهذا المعنى يكون عوِضاً عن النّعِمَة فان اتى به المكلّف فقَدا اَفاد عِوضَاً و الاّ فلا فقوله عليه السلام لم يفُدِ عوضاً اشاره الى غفلته واعراضه عن وظيفته العقليّة

۱-الحديد-۱۶

بتركه الطّاعات ثمّ انّ المكلّف بعد ذالک يجب عليه قضاء مافات منه من الطّاعات بالتّوبة كما قال عليه السلام اقِض مافات كمافات وعَليه فان اتى بالقضا بعدالنّدَم على ما مضى فهو، وإلّا فهو مصداق قوله عليه السلام لم يقض مُفترِضا وعلى ما ذكرناه فلايبعد ان يكون المقصود من هذه العبارة هو الاتيان بما يجب عليه من التّكا ليف الشّرَعية عِوَضاً عمّا انعم الله عليه و امّا فى صُورة العصيان او الغفلة فيجيب عليه قضأ مافات منه من الحقوق فمن كان كذالک فهو قدادّىٰ وظيفته و من لم يكن كذالک فلا، والحاصل انّ كلامه عليه السلام مشْعر بوجوْب التّوجه الى الله و الأنقيا دلطاعته وترک معصيته والله اعلم بحقائق الامور.

▫ قوله عليه السلام: **دهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّر جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ ...**

شَرَع عليه السلام: فى بيان حال الأنسان المَغرُور بالدّنيا بعد انقضاء و حياته حلول اجَلَه فقال عليه السلام: **دهَمِته** الخ و المقصود انّ الموت يأخذه و هو فى الغفلة و الأشتباه راكباً لهواه مخالفاً لأمِر مولاه فى طرَف نشاط و وقت عيشه فانّ الموت يأتى الانسان بغتتهً و ينتقله من دار الغرور و الغفلةالى دار البقأ و من النّوم الى اليقظة. قال الله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّ المَوتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنهُ فَإِنَّهُ مَلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾[1]

و : ﴿**أَينَمَا تَكُونُوا يُدرِككُم المَوتُ وَلَو كُنتُم فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾[2]

و : ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ وَ يَبقَىٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُوالجَلَالِ وَ الاَكرَامِ**﴾[3] و غيرها من الآيات و قد تكلّمنا فى الموت و حقيقته و تبَعاته و عَقباته بما لامزيد عليه فى سالف الكلام ان شئت فراجعه.

▫ **قوله عليه السلام: فَظَلَّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الآلامِ وَ طَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ ...**

اشار عليه السلام: فى هذه الكلمات الى مقام احتضاره قبل موته ادعاذنا الله منه و

١- الجمعه- ٨
٢- النساء- ٧٨
٣- الرحمن- ٢٦/٢٧

حاصل كلامه عليه السلام هو انّه بعد حلولٍ اجَلَه و انقضأمدتّه فَظَلّ سادراً متُحيّراً مبهوتاً ممّا وقع فيه و بات ساهراً فى غَمرات الألام وشدائدها مِن النّزع و طوارق الأوجاع الواردة عليه و الأسقام النّازلة به فلايدرى ما يصنَع و لا يعلم ما يَفعَل و هولا يقدر علىٰ الفرار من هذه الحالة لانّه سارا سيرًا بين يدى الموت ذليلا فى مخالبه كما قيل:

و اذالمنيّة انشَبَت اظفارها الفيَتَ كلّ تميمَةٍ لا تنفَع

اعلم:انّ الموت داهية من الدّواهى العظمى و ما بعد الموت اعظَم و ادهى قال الله تعالى فى كتابه الكريم:﴿ **وَ اِذْ زَاغَتِ الابصَارُ وَ بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظّنُونَاْ هنَالِکَ ابتَلِیَ المُؤمِنُونَ وَ زُلزِلُوا زِلزَالاً شَدِیداً**﴾[1] و فى الآيه الكريمة اشار الى مقام الأحتضار وَالنّزع فهى اشارة الى شّدته والوجه فيه هو انّ الرّيه تنفخ من شّده الرّوع فير تفع القلب بارتفاعها الى رأس الحَنجرة و هى منتهى الحلقوم مدَخل الطّعام والشّراب وقال امير المؤمنين عليه السلام انّ للموت غمَرَات افظَع من ان يستوصف بصفةٍ او تَعدل على عقولٍ اهل الدّنيا. وقال الصّادق عليه السلام انّ بيَن الدّنياو الآخرة الف عَقَبة اهوَنها وايَسرَها الموَت انتهى وعن النّبى صلى الله عليه و آله لَسكَرَةٌ من سكَرَ اتالموَت اشَدّ من ثلثَمائة ضَربة بالسَّيف قال بعض المحقّقين فيه والوجه فى ذالک انّ المْدرک لِلاَ لم هو النّفس بتوّسط الرّوح الحَيوانى فمهما اصاب العُضو الّذى فيه الرّوح جرَحٌ اوحرَقٌ سرى الأثر الى الأجزأ فلايصيب الرّوح الّا بغض الأثرو الَم النّزَع يُهجم على نفَس الرّوح و يستَغرقه حتّى لم يَبقى جُزءٌ من اجزَاء الرّوُح المْنتشرة فىاعماق البدن الّا وقد حَلَّ به الألَم لانّه ينزع ويجذب من كلّ عِرقٍ وعَصَب وَجُزءٍ و مفَصَلٍ و من اصل كلّ شَعرةٍو بشَرَة من القَرن الى القَدم فالكَرب يبالغ فيه ويتصاّعد على قلبه و يغَلب على كلّ موضَع منه فلايترک له قوّة استغاثة .

امّا العقل: فَيغُشّيه ويشُوشّه وامّا اللّسان فيَبكمُه و امّا الأطراف فيضُعفها و

١-الاحزاب- ١٠/١١

ينتشر الألَم داخله و خارجه و هو بَظْنّ ان بَطَنه ملئت شَوكاً وكانّما نفسه نخرج من ثَقب ابرةٍ وكانّما السّماً. مُنطبقة علىٰالارض و هو بينهما و مثّلَه بغض الصّحا به بغصن كثيراً الشّوَك ادخَله فى جوَف رجلٍ فجَذَ به انسأن شديد البَطش ذو قوةٌ ففَظَع ما قَطَع وابقى ما ابقى عند ذالک يرشّح جَبينَه و تَدوُر عَيناه ترتَفعّ اضلاعهو تَعلُو نفَسه ويَصَفّر لَونَهُ وَ يتَقَلصّ لسانه الى اصله ويرَ تَفع انثياه الى اعالى مواضعها وتخضرّ انامله ثُمَّ يموُت كلّ عضوٍ من اعضائه تدريجا فتبرد اوّلاٍ قدَمَا ثُمَّ فَخِذاه لكلّ عضوٍ سَكَرة بعدسَكَرة وكَربة بعد كَربّه حتّى يبلغ بها الى الحُلقُوم فعند ذالک ينقطع نَظَره عن اهلّ الدّنيا ينكشف له مالم يكن- مَكشُوفا فى الحياة الدّنيا كما ينكشف لِلمتّيقظ مالم يكن مَكشُوفاً فى النّوم و النّاس ينام اذا ماتو انتَبهو انتهى ما اردنا نقله.

اقول: لاشكّ انّ النّزع الّذى قد يُعبّر عنه احياناً بالسّكَرة عند الموت من اعَظَم الدّ واهى والبليّات و لا سيّما على مخالف الحقّ و قد دلّت على شدتّه و صعوبته الآيات و الاخبار.

فمن الآيات قوله‌تعالى:**﴿وَجَائَت سَكرَةُ المَوتِ بِالْحَقَّ ذَالِکَ ما كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ﴾**

و : **﴿فَلَوَ لا إِذَا بَلَغَتِ الحُلقُومُ وَ أَنتُمْ حِينَئذٍ تَنظُرُون وَ نَحْنُ اَقرَبُ اِليَه مِنكُم وَ لٰكِن لا تُبْصِرُونَ﴾**[1]

و : **﴿كَلاَّ إِذَا ابَلَغَتِ التّرَا قِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَ ظَنَّ اَنَّهُ الفِرَاقُ وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق اِلَىٰ رَبُّکَ يَومَئِذٍ المَسَاقُ﴾**[2]

و : **﴿و اَنفِقُوا مِنْ مَا رَزقَناكُم مِنْ قَبلُ أَنْ يَأتِيَ احَدَكُم المَوتُ فَيَقُولَ رَّبِ لَوَ لا اُخرَّ تَنِى اِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَاَ صَّدَّقَ وَاَكُن مِنْ الصَّالِحِينَ﴾**[3] و امّا الاخبار الواردة فيه فكثيرة جداً اشرنا الى شَطرٍ منها فى المقام و تعرّ ضنالها فى بحث الموت فى مامضى وسَنُورد انشأ الله كثيرا ممّالم نذكره هناک فى المُستَقبل ونذكرفى

١- الواقعة- ٨٣
٢- القيمة- ٣٦
٣- المنافقون- ١٠

خاتمه البحث روايةً عن البحار.

روى المجلسى (قده)باسناده عنالمُفضّل قال قال ابو عبدالله عليه السلام يا مفُضّل ايّاكَ والّذنُوب و حَّذرها شِيَعتنا فوالله ما هى الى احدٍاسَرع منهااليكم انّ احد كم لتصيبه المَعرّةمن اَلسّلطان و ما ذالک الّا بذنُوبه وانّه ليُصِيبه السّقَم و ما ذالک الّابذنوبٍ وانّه ليحُبَس عنه الرّزق وما هو الّا بذنوبه وانّه ليشدّد عليه عندالموت و ما هو الّا بذنوبه حتّى يقول من حضَرَه لقدغَمَّ بالموت الحَديث« ج ٣ ص ١٣٥»...

▫ قوله عليه السلام: **بَيْنَ اَخٍ شَفِيقٍ وَ وَالِدٍشَفِيقٍ الخ...**

اى الانسان بقع فى هذه الخَطرات والمَهالک بعد مَوته مع كونه فى الدّنيا بَينَ اَخٌ شَفِيقٍ عطُوفٍ و وَالِدٍ شَفِيقٍ رؤفٍ هكذا قالو فى شرح الجملة. قال الرّاغب فى المفردات :فلان شِقّ نفسى و شقيق نفسى اى كانّه شِقٌّ منّى لمشابهة بغضنا بعضا انتهى.

و عليه فالمعنى بين اخ هو شَبهُيه ونظيره و والد هو شفيقه و فى كلامه عليه السلام هذا دِقّة و هى انّه عليه السلام افاد بهذ الكلام انّ الطّوارق والأوجاع النّازلة به لا تخَتصّ به بل هى نازلة بشقيقه ايضا لانّ حكم الأمثال واحد اوَالمقصود انّ شقيقه لا يقدر على دَفع هذه الألام عنه كماانّ والده الشّفيق لا يقدرا وَانّ هذ الوصال يبدّل بالفراق كما هو حقيقه المَوت و الامر واضح.

▫ **قوله عليه السلام: دَاعِيَةٍ بِالوَيْل جَزَعاً وَلادِمَةٍلِلصَّدْرقَلَقاً ...**

والواو للعطف والتّقدير بين اخٍ شقيق و داعية الخ والمراد با لدّاعية كلّ من يدعوه بالوَيل من النّاحين والباكين على الميّت اعنى الاقربأ،و النّسأ والأمأو غيرهها.

و امّا قوله عليه السلام: **وَلادِمَةٍ لِلصَّدرِ قَلَقاً**،اللّدَم فى اصل اللّغة اللّطم والصّدر معلومٌ و القَلَق اَلأضِطراب والمعنى انّ من اهل الميّت وعشيرته مَن يدَعُوه بالويَل والثّبور و منهم من يلَطم وجَهه و صدَره قَلقاً اى مضُطرباً كألابنأو البَنات

و غرضه عليه السلام انّ هذه الحوادث لا يفيده هذا كلّه بالنّسبة اليهم و امّا حال الميّت فقد اشار عليه السلام اليه بقوله:

▫ **قوله عليه السلام: وَالْمَرءُفِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَاَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَ جَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَ سَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ ...**

اشار عليه السلام بهذه الامور الى اوصاف الأنسان حينِ احتضاره للموت و هى خمسة.

احدها: كون المرءاعنى المحتضرفى سَكَرةٍ ملُهِثَة، يلوك لسانه و يُخْرجه تَعَباً و عطَشاً.

ثانيها: كونه فى غَمَرةٍ كارثةٍ: اى شدّه بلَغَت الغاية فى الصّعُوبة.

و ثالثها: كونه فى اَنَّةٍ مَوجُعةٍ، اى تَاوَّهُ يوجُب وجَع الحاضرين حَول جَسَده والسّامعين له .

و رابعها: كونه فى جَذَبةٍ مُكربةٍ اى جذَب الملائكة لِروُحِه وسَوقهم ايّاه الى خارج البَدَن قال الله تعالى:﴿ **وَ لَوْتَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوتِ وَ المَلائِكَةُ بَاسِطُوا ايْدِيَهِم اَخرِجُوا اَنفُسَكُمُ**﴾[1]

وخامسها: كونه فى سَوقةٍ متعبته و هى سَوق الرّوح اوسَوَق الميّت الى عالم القبرا او سوقه الى الموت والمآل واحد. قال الله تعالى:(﴿**وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُو إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً**﴾[2]

و : ﴿**كَاَنَّما يُسَاقُون اِلَى المَوتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ**﴾[3]

و : ﴿**وَ جَائَتْ كُلّ نَفسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ**﴾[4]

و : ﴿**إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذِالمَسَاقُ**﴾[5] و غيرها من الآيات والغرض من هذه الكلمات الصّادرة عن مقام الولاية و العصمة هوالتّنبه والتّوجه للأنسان قبل وقوعه فى هذهِ المهالك التّى لايمكن له الفرار منها فانّ الموت ممّا لابّد منه

١- الانعام- ٩٣
٢- الزمر- ٧١
٣- الانفال- ٦
٤- ق- ٢١
٥- القيامة- ٣٠

لكلّ مخلوقٍ ربّ يسّر و لا تُعسّر.

□ **قوله** ﷺ: **ثُمَّ أُدْرِجَ فِي اكْفَانِهِ مُبْلِساً وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ...**

كلمة ثُمَّ مفيدة للتّراخي اى بعد ما ذكرناه من احواله حين الأحتضار و موته تصل النّوبة الى ادراجه فى الاكفان وحمله الى القَبر الّذى هو اوّل منزلٍ من منازل الآخرة و آخر منزلٍ من منازل الدّنيا و الأكفانِ جمع كفن و هو ثَوبٍ يُلفّ الميّت فيه على تفصيل يأتى شرحه وقوله ﷺ: (**مُبْلِساً**)اى آيساًاو حَزيناً.و جذِب اى الميّت ،منْقاداً او مطيعاً لا يقدر على شىٰ سَلِساً،اى سَهلاً ليّنا و توضيح ذالک هوان نقول :الكفن بالتّحريک ما يلبسه جمع اكفان قاله فى المنجد و درج الميّت فيه و لاخلاف فيه بين المسلمين نصّاً و فتوى و المشهور بين الاصحاب انّ الكفن المفروض ثلاثة اثواب :مئزرٌو قميصٌ وازار .ولأجل هذا قال ﷺ: **فى اكفانه** بصيغة الجمع و لم يقل فى كفنه .

امّا المئِزر بكسرالميم ثمّ الهمزة السّاكنة فهو عند الفقهأما يستر ما بين السّرْة و الرّكبة و يجوز كونه الى القدم باذن الوَرَثة اَوصيّة الميّت النّافذة،و الواجب منه هو الاوّل ويحتمل ان يكون ما يستربه العورة كافيا لانّه موضع ابتدأسترها و يستحّب ان يكون يستر مابين صدره وقدمه. .والقميص عندِهِم مايصل الى نصف السّاق لانّه المتعارف ويجوز الى القدم بمراعات ماتقدّم و يحتمل جوازه مطلقاً .

والازار- بكسر الهَمزة ثَوبٌ شامل لجميع البَدَن قالو و لابّد من زيادته على ذالک بحيث يمک شَدّه من قِبَل رأسه و رَجلَيه والواجب فيه عَرضاًان يشمل البدَن ولو بالخياطة و ينبغى زيادته بحيث يمكَن جعل احد جانبيه على الآخر كما تشهد به الأخبار و عن سلاّر الاكتفأبثوب واحد اختياراً.

قال المحقّق البحرانى (قدّه)فى الحدائق بعدما نقلناه عنه وانت خبير بانّ ماذكره الاصحاب من هذه الأثواب الّمعينة لم يوجد له مُستند ظاهر من الأخبار الواردة فى المَسئلة و انّما الموجود ثوبان وقميص او ثلاثة اثواب والمتبادر

منها كونها شاملة للبدن انتهى اقول وتفصيل الكلام فى الفقه .وحاصل الكلام انّ الانسان بعدموته يجب اوّلاً تغسيله على ماورد فـى الشّـرع المـقدّس ثـمّ ادراجه فى اكفانه الثّلاثه على ماتقدّم فهواى الكفن بمنزلة لباسه فى القُبرو ما بعَده .

وقوله عليه السلام:**مُبْلِساً** ،اسم فاعل من ابَلسَ بمعنى آيسَ ولأجل هذاسُمىَ ابليس ابِليساً لانّه آيس من رحمة الله،و هو اعنى (**مُبلِساً**) حال من نائب الفاعل اعنى الميّت والمعنى انّ الميّت بعد ما ادْرِجَ فِى اكْفَانِهِ حالكونه آيِساً و مُنكسراً و مَحزوناً لا مِن رحمةاللّه فانّاليأس من رحمته من اعظم الكبائر بـل آيسـاًعن الدّنْيا و زخار فها و آمالها لِعلمه بعدم امكان رجوعه اليها ثانياً للعمل ،و يحتمل ان يكون المراد كونه آيساً عن رحمته لكثرة ذنوبه و خطاياه. قال الله تـعالى :**﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**(1)

و : **﴿أُولٰئِکَ يَئِسُوا مِنَ رَحمَتِى﴾**(2)

و : **﴿قَد يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ اَصحابِ القُبُور﴾**(3)

و : **﴿وَلا تَتَوَلَّو قوماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِـرَةِ﴾**(4)و غـير هـامن الآيات .وامّا قوله عليه السلام: **وجُذِبَ مُنْقاداًسَلِساً**،فهو اشارة الى انّ الميّت لا يـقدر على شئٍ من جلب منفعةٍ او دفع مضّرةٌ بل هو مُطيع و مـنْقاد لمـنَ يُـغسّله اويُكفّنه وهكذافى عالم القبر وسائر النّشآت الأخروّية مع انّه كان فـى الدّنـيا طاغيا ياغياً عاصياً مُتمرّداً لأوِامره و قوله عليه السلام: (**سَلِساً** فهو حال عن الميّت اى حالكونه سَلسِاً اى سَهلاً ليّناً فى جميع شئوته بعد موته و الجَذب ضدّ الدّفع.

□ **قوله عليه السلام: ثُمَّ الْقِيَ عَلَىٰ الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَ صَبٍ وَ نِضْوَ سَقَمٍ ...**

اى ثُمّ بعد التّغسيل والتّكفين الْقِى الميّت على الأعواد والأخشاب اعـنى السّرَير الّذى يوضع الميّت عليه ويحمل الى المقابر لِلدّفن وقالوا فى شـرح

۱-المائده-۳
۲-العنكبوت-۲۳
۳-الممتحنة-۱۳
۴-الممتحنة-۱۳

قوله عليه السلام: **رَجِيعَ وَصَبٍ وَنِضْوسَقَم**،يعنى انّه من جهة ابتلائه بتارات الامراض وتردّده فى اطوار الألقاب و الأوصاب صار كالأبل الرّجيع الّذى يردّد فى الأسفار مرّةً بعد اخرى ولأجل نَحْوَل جسمه من الأسقام كان كالجَمَل النّضِو الّذى يهزل من كثرة الأثقال و الأحِمال انتهى .

اقول :الرّجيع من الدّواب مارجع به سَفرٍالى سفرٍ فكَلَّ والوصب التّعَبَ والنّضِوبكسر النّون مهزول و عليه ففى الكلام تشبيه واستعاره شبّه عليه السّلام الميّت بالدّابة التّى رجَعَ من سفرٍ الى سفرٍ فكَلَّ والميّت ايضا كذالک فانّه ايضا رجَعَ من سفر الدّنيا الى سفر الآخرة وحيث انّ السّفركان بعيدا غاية البعد فهو كَلَّ وَ شبَّهَه ثانياًبالدّابة المهُزولة التّى لاتقدر فى الحقيقة على طَىّ الطّريق و هو ايضاً كذالک فانّه مَهزُول لنِحُولِ جسِمِه بسبب مرَضه و مَوته.

□ قوله عليه السلام: **تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدَانَ وَ حَشَدَةُالأَخْوَانِ ....**

اى تَحمَل الميّت على الأعوادالى ومدَفَنه اَعوانه وَوِلدانه و اَحِبّائه و إخوانه و فيه اشعاربانّ الدّنيا لاقيمة لها والأقرباً والولدان و الاحبّأ،و امثالهم ممّن كان الميّت يعتمد عليهم فى الدّنيا بجمع المال لهم ،الآن ينتقلونه الى القبر ويرجعون الى منازلهم و بيوتهم من غير توجّهٍ منهم الى الميّت و مايفْعَل به و هو عَجيب.

روى الكافى باسناده عن اميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال انّ ابنِ آدم اذاكان فى آخريومٍ من الدّنيا واوّل يَومٍ من الآخرةمُثّلِ له مالُه ووِلدهوعَمله فيلَتَفت الى عَمَله فيقول انّى واللهكنتُ فيک لزاهداًو ان كنتَ عَلَىّ ثقيلا فما لى عندک فيقول انا قَرينک فى قَبرک ويَوم نَشرِک حتّى اعُرِضَ انتَ وانَا على ربّک فيلتفت الى ماله فيقول والله انّى كنت عليک حريصًا شحَيحاً فما لى عندک فيقول خُذ منّى كفَنکَ فيلتفت الى وُلْده ،فيقول والله انّى كنت لكم محبّاًوانّى كنت عليكم مْحامياً فمالى عندكم فيقولون نُودّيک الى حُفْرتک فنواريک فيها-الحديث.....

فَظَلَّ احَبُّ القَوم كان لِقرُبه يَحُثّ على تجَهيزه ويُبادر

و شَمّرَ منَ قد احضَروه لغسله و وَجّه لمّا فاظَ لِلقبر حافرُ
وكُفِن فی ثوبين فا جتُمَعَت له مُشيّعه اخوانه والعشائر

▫ قوله ﷺ: اَلِیٰ دَارِغُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ ...

ای یحملونه الی دار غربته وهی عالم القبرومابعده الّذی یُقطَع به الأمل .

▫ قوله ﷺ: ای حَتّیٰ اِذَاانْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ اُقْعِدَ فِی حُفْرَتِهِ نَجِيّاًلِبَهْتَةِالسُّؤالِ وَعَثْرَةِالاِمْتِحَانِ...

اِی حتّی رجَع المُشیّع عن تشییعه ایّاه والمُتفجّع الباکی من الولدان و الأقربأالی مقَّرَهم اقْعِدالمیّت فی قبِره لِسئوال النّکیرن ودهشته و عثرة الامتحان و زلّته وفی کلامه ﷺهذا اشارة بل تصریح بالسّئوال فی القبرو انّه حقّ لا مریة فیه بضرورةٍ من المذَهَب بل و مَن الدّین .

روی فی البحار بسنده عن النّبی ﷺانّه قال لبعض اصحابه کیفانت اذا اتاک فَتّانا القبر فقال یا رسول الله و ما فَتّانا القبر قال ﷺ مَلکَان فَظّانّ غلیَظان اصَواتهما کالرَعّد القاصِف و ابصَارهما کالبَرق الخَاطِف یطَئان فی اشعارهما و یَحفران الأرض بانیابها فیسألانک قال و انا علی مثل هذا الحال قال و انت علی مثل حالک هذه قال اذِنَ اکفیهما انتهی« ج ۳ ص ۱۵۲ ط کمپانی»...

وروی ایضابسنده عن سلیمان ابن خالد قال سئلت ابا عبدالله ﷺ عمّا یلقی صاحب القبر فقال ﷺانّ ملَکَین یقال لها منُکر و نکیر یأتیان صاحب البقر فیَسئَلانه عن رسول الله ﷺ فیقولان ما تقول فی هذاالِرّجل الّذی خرَجَ فیکم فیقول منَ هُو فیقولان الّذی کان یقول انّه رسُول الله اَحَقٌّ ذالک فاذا کان من اهل الشّک قال ما ادَرِی قد سمَعتُ النّاس یقولون فَلَستُ ادَری اَحَقّ ذالک ام کذبٌ فیَضَربانه ضَربةً یسمَعَها اهل السّموات والأرض اّلا- المشرکین و اذا کان مْتیقّناًفانّه لایفزَع فیقول عن رسول الله تسئلانی فیقولان اتَعلَم انّه رسول اللهفیقول اشهد انّه رسول الله حقّاً جأبالهدی و دین الحقّ قال

عليه السلام فيرى مقعده من الجنّة يفسح له من قبره ثُمَّ يقولان له ثُمَّ نُومةً ليسَ فيها حلم اطيب...

وعن موسى ابن جعفر عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال اذامات المؤمن شيّعهَ سبعُون الف ملَكَ الى قبره فاذااُدخِل قبرَه اتاه مُنكرَ ونكيره فيقُعدانه ،ويقولون له منَ رَبّک وما دِينِکِ ومن نبيّک فيقول الله ربّى و محمّد صلى الله عليه وآله نَبيّى والأسلام دينى فيفسَحان له فى قبره مَدّبَصرَه ويأتيانه بِالطّعامِ عن الجنّة ويَدْخِلان عليه الرّوَح والرَّيحان وذالک قول عزّوجلّ فامّا انِ كان من المُقرّبين فرَوحٌ و ريَحانٌ يعنى فى قبره وجَنّة نعيمٍ يعنى فى الآخرة. ثمّ قال عليه السلام :اذامات الكافر شَيّعه سبعوُن الفامن الزّبانيّة الى قبَره وانّه ليناشد حامِليه بصوت يَسَمعه كلّ شيءٍ اِلاالثّقَلَان و يقول لوانّ لى كَرّة فاكَون من المؤمنين ويقول ربّ ارجعون لعَلّى اعمَلَ صالحاً فيما تركتُ فتجيبه الزّبانية كّلا انّها كلمة انت قائلها و يُناديهم مَلَکَ لورْدّ لعادَلما نهْى عَنه فاذااُدْخِل قبره وفارقه النّاس اتاه مُنكَر ونكَير فى اَهوَلَ صُورةٍفيقيمانه ثمّ يقولان له مِنَ ربّک ومادِينک ومنَ نَبيّک فيتَلجَلج لسانه ولا يقدر على الجواب فَيَضربانه ضربةً من عذاب الله يذعر امّاكلّ شئٍ ثمّ يقولان لَه منَ ربّک و ما دِينک و مَن نبيّک فيقول لاادرَى فيقولان له لا دريَت و لا هديتَ ولا افَلحَت ثّم يفتحان له باباًمن النّار وينز لان من الحَميم من جَهنّم وذالک قوله عزّوجل و امّا ان كان من المكذّبين الضّالين فنُزُل من حَميمٍ يعنى فى القَبر و تصَلية جَحيمٍ يعنى فى الآخرة انتهى «ص ١٥٤»...

وقال الّصادق عليه السلام: من انكر ثَلَاثه اشيأفليس من شيعتنا المِعراج و المسألة فى القبر والشّفاعة انتهى «ص ١٥٤»...

والرّويات لِلسّئوال فى القبر كثيرة فيما ذكرناه كفاية لمن تَدَبّر فيه.ثمّ انّ قوله عليه السلام:فى آخركلامه (وَعَثْرَةِ الاِمتِحَانِ)فلَعَلّه اليه الاشاره فى.

ماورواه المجَلسى باسناده عن سعَيدابن المسيّب قال كان علّى ابن

الحسين عليه السلام يَعظ النّاس ويْزهّدهم فى الدُّنيا ويُرغّبهم فى اَعمال الآخرة بهذا الكلام فى كلّ جمعة فى مسجدالرّسول صلى الله عليه وآله وحفظ عنه وكتب كان يقول ايهّاالنّاس اتّقو الله اعلمو انّكم اليه تُرجَعِون فتَجَدِ كلّ نفس ماعَمِلت فيٍ هذه الدّنيا من خيرٍ مُحضراً وِ ماعَمِلت من سُوءٍ تَوَدّلو انّ بَينَها وبيَنه اَمَداً بعيداً،و يُحذّركُم الله نفسه ويَحَك يابن آدم الغافل و ليس بمغفولٍ عنه يابن آدم انّ اجِلَكَ اَسرَعَ شيئٍ اِليك قداقبَلَ نَحوك حثيثاً يطَلبكْ ويُوشك ان يُدرکک و كاّنَ قد اوفيَتَ اجلکَ و قبَض المَلکَ رُوحک و صِرتَ الى قَبرک وَحيداً فريدافَرُدّ اليک فيه رِوحک واقتَحَم عليکِ فِيه ملَکَاک مُنكرٍ ونكَيرٍ لمَسَألنک وشديد -امتحانک اَلاوانّ اوّل مايَسألانک عن ربّک الّذى كُنتَ تَعبدُه وعن نبيّک الّذى ارُسلِ اليکَ وعن دِينک الّذى كنت تدين به وعن كتابک الّذى تتَلوُه وعن امامِک الّذى كنت تَتوّلاه ثُمّ من عُمرک فيما افنَيَته و مالک من اين اكتسَبَته و فيما اتلفَتَه فَخُذ حذِرَک وانظْر لنفسک واعِّدَ للجواب قبل الأمتحان ،و المسَئَله والأختبار فان تک مْؤمناً تقيّاً عارفاً بد ينک مْتبّعاً للصّادقين مُواليا لأولياألله لقاک اللّه حُجّتَک وانطَقَ لسانک بالصّواب فأحسنّت الجواب فبشّر بالجّنة والرّضوان من الله والخيرات الحسان و استقَبلَتک الملائكة بالرَّوح و الرَّيحان و ان لم تكن كذالک تلجَلَج لسانک ودحضَت حُجّتک و عمَيت من الجواب وبشّرت بالنّار و استقَبلتک ملائكه العذاب بنُزُلٍ من حَميمٍ و تصليةِ جَحيمٍ الحدَيث« ص ١٥٤ ج ٣ط كمپانى»...

□ قوله عليه السلام: **وَاَعْظَمُ مَاهُنَا لِکَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَمِيمِ وَتَصْلِيَةُ الجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَ سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ ...**

ثمّ انّه عليه السلام بعد ما اشار الى المسَئَاله فى القبر اشار عليه السلام ثانياً الى عقباته وتبَعاته ان كان الميّت مسْيئاً و قد ذكر عليه السلام فى المقام منهاى من البلّيات النّازلة هناک اموراًاربعة :

احدها : نُزْل الحَميم، هوالمأالحارّ الشّيد الحَرارة يُسقىٰ منه اهل النّار او

يُصَبّ على اَبدانهم و عن بغض المُفسّرين انّه لو سَقَطت منه قطرةٌ على جبال الدّنيا لأذا متها.

وثانيها: تصَلية جَحَيم ،التّصلية مأخوذة من الصَّلى واَصل الصَّلى على ما قاله الرّاغب لأيقاد النّار والجَحيم من الجَحَمة و هى شّدة تأجُّجَ النّار يقال جَحَم و جَهه من شدّة الغضب وذالک من ثوران حرارة القلب و جحمت الأسد عيناه لتوقّد هما انتهى.

وثالثها: فوَرات السّعير وهى شدّه غليان نارالجَحيم ولهَبها كذا فى شرح الخوئى والحق انّ الامر ليس كذالک بل الفَورات فى كلامه ﷺ جمع فورة و هى فى اللّغه الحِدّة من الحَرّ اوالغَضب وِعليه فالمعنى ظاهر وهوانّ النّار فى جهنّم لهاحِدّة وفورة ولعلّه قدّه اخذه من الفوّر الذّى هو غليان المأوارتفاعه ومنه الفَورِان ولوكان الامر كماذكره لينبغى ان يقال فوَران السّعَيرمع انّهم ضبَطوها فوَرات السّعَير.

ورابعها: سوَرات الزّفير ،قال (قدّه) فى معناها اى شدّة صوت توقّد النّار ،وهو ايضافى غير محلّه فاّن السّوَرات جمع سَورة هى السَّطوة و الهَيبة و الشّدة وامثالها و الزّفير صوَت تُوقّدُ النّار كما ذكره (قدّه)و عليه -فالمراد بسَوَرات الزّفير سطَوة النّار و هيبَتها و المآل واحد و الأمر سَهل و الآيات دالّة على ماذكره ﷺ. قال الله تعالى:**﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكفُرُونَ﴾**(١)

و : **﴿ثُمَّ اِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوباً مِنْ حَمِيمٍ﴾**(٢)

و : **﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُون﴾**(٣)

و : **﴿هذا فلَيذُوقُوهُ حَمُيمٌ و غَسَّاقٌ﴾**(٤)

و : **﴿قُطّعِتْ لَهُمْ ثِيَابٌ يُصَبُّ مِنْ فَوق رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ﴾**(٥)

و : **﴿فِى الحَمِيمِ ثُمَّ فِى النّارِ يُسْجَرُونَ﴾**(٦)

١- الانعام- ٧٠
٢- الصافات- ٦٧
٣- يونس- ٤
٤- ص- ٥٧
٥- الحج- ١٩
٦- الغافر- ٧٢

و : ﴿ثُمَّ صُبُّو فَوْقَ رأسِهِ مِنْ عَذابِ الحَمِيمِ﴾[1]

و : ﴿وَ اَصحَابُ الشِّمَالِ مَا اَصحَابُ الشِّمَالِ فِی سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[2]

و : ﴿وسُقوا مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ اَمْعَآءَهُمْ﴾(محمّد-١٥)

و : ﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرداً ولا شَرَاباً اّلا حَمِيماً و غَسَّاقاً﴾[3]

و : ﴿كَالمُهل يُغْلی فِی البُطُونِ كَغَلی الحَمِيمِ﴾[4]

و : ﴿يَومَ يُحْمیٰ عَلَيهَا فِی نَارِجَهَنَّمَ﴾[5] وغيرها.

وامّاقوله عليه السلام: وتصلية الجحيم فاشارة ايضاًالی قوله تعالی .حيث قال:﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَیٰ نَارًاحَامِيَةً﴾[6]

و : ﴿فَسَوفَ يَدعوُا ثُبُوراً و تَصلیٰ سَعِيراً﴾[7]

و : ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الاَشقَی الَّذِی يَصْلَیٰ النَّارَ الكُبْریٰ﴾[8]

و : ﴿سَيَصلَیٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

و : ﴿ثُمَّ جَعَلنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذمُوماً مَّدحُوراً﴾[9]

و : ﴿فَاَنذَرْتُكمْ نَارًا تَلَظَّیٰ لاَ يصْلاهَا اّلا الأَشْقیٰ﴾[10]

و : ﴿انَّمَا يَأكلُوْنَ فِی بُطُونِهِم نَاراً وَ سَيَصلَون سَعِيراً﴾[11]

و : ﴿جَهَنَّمَ يَصلَونهَا وَ بِئسَ القَرارُ﴾[12]

و : ﴿جَهَنَّمَ يَصلَونهَاوَبِئسَ المَهادِ﴾[13]

و : ﴿حسبُهُم جَهَنَّمَ يَصلَونهَا فَبئسَ المَصِيرَ﴾[14]

و : ﴿وَ اِنَّ الفُجَّارَ لَفِی جَحِيمٍ يَصْلَوْنهَا يَوْمَ الدِّينَ﴾[15]

و : ﴿اِصْلَوهَا اليَومَ بِماكُنتُم تَكفُرُونَ﴾[16]

١-الدخان-٤٨
٢-الواقعة-٤٢
٣-النباء-٢٥
٤-الدخان-٤٦
٥-التوبة-٣٥
٦-الغاشيه-٤
٧-الانشقاق-١٢
٨-الاعلی-١٢
٩-الاسراء-١٨
١٠-الليل-١٥
١١-النساء-١٠
١٢-ابراهيم-٢٩
١٣-ص-٥٦
١٤-المجادلة-٨
١٥-الانفطار-١٥
١٦-يس-٦٤

وامّاقوله عليه السلام: وفوَرَات السّعير فهو ايضاً اشارة الى قوله تعالى. حيث قال:﴿مَأواهُم جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَا هُم سَعِيرًا﴾[1]

و : ﴿إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ و سَعِيرٍ﴾[2]

و : ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ السَعِيرِ﴾[3]

و : ﴿فَاعترَفُوا بِذَنبِهِم فَسُحقاً لأصحابِ السَّعِيرِا﴾[4]

و : ﴿إنَّ اللَّهَ لعَنَ الكَافِرِينَ وَ اعَدَّلَهُم سَعِيرًا﴾[5]

و : ﴿فَسَوفَ يَدعُوا ثُبُوراً وَ يَصلىٰ سَعِيرًا﴾[6]

و : ﴿إنَّما يَدعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونوا مِن اَصحابِ السَّعِيرِ﴾[7]

و : ﴿اَوَ لَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدَعُوْهُمْ إلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾[8]

وامّاقوله عليه السلام: وَسَورَاتُ الزَّفِيرِ فهو ايضا اشارة الى قوله (تعالى). حيث قال:﴿فامّا الّذينِ شَقَوُا فِفَى النّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ﴾[9]

و : ﴿إذَا راتَهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَقَيُّظاً وَ زَفِيراً﴾[10] و غيره هامن الآيات.

□ قوله عليه السلام: لافَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لا قُوَّةٌحَاجِزَةٌ وَلا مَوْنَةٌ نَاجِزَةٌ وَلا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ ...

بعد ما اثبت عليه السلام فى كلامه امُوراً من نزْل الحَميم وتصلية الجَحيم وفوَرَات السّعير و سورات الزّفير.نفى عليه السلام عن عالم القبر و ما يتبَعَه اُمورًا ايضاًوهى خمَسَة :

احدها: انّه ليس هناكَ فَترةٌ مريْحةٌ لهم من العذاب ،الفَترةمن الفتور وهو فى الاصل السّكون بعَد حِدّةٍ ولينٍ بعد شدّةٍ وضعفٍ بعد قُوّةٌ. قال الله تعالى:﴿يُسَبِّحوْنَ اللَّيلَ وَ النَّهَارَ و لا يَفْتَرُونَ﴾[11]

١- الاسراء- ٩٧
٢- القمر- ٤٧
٣- الشورى- ٧
٤- الملک- ١١
٥- الاحزاب- ٦٤
٦- الانشقاق- ١٢
٧- الفاطر- ٦
٨- اللقمان- ٢١
٩- هود- ١٠٢
١٠- الفرقان- ١٢
١١- الانبياء- ٢٠

و : ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُم وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[1]

و : ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَد جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] لهذا سُمِّيَ العهد والزّمان الذّى بين عيسى ونبيّنا بعهد الفترة وزمانها لعدم الحَرَكة العِلمّية والمعنوّية فى ذالک الزّمان .

و روى عن النّبى ﷺ انهّ قال لكلِّ عالِم شرّة و لكلّ شرّةٍ فَتَرة فمن فَتَر الى سنّتى فَقد نَجا والاّ فقد هَلَک .وامّا قوله ﷺ: **مرْيحِة ،من الرّاحة** اعنى الاستراحة والرّاحة وحاصل المعنى انّه ليس هناک قرارٌوسکوْن يوجب الأستراحة وانّما عَبّر ﷺبالفترة لأن المقصود هو سلب السّکون بعد شدّة السّئوال وضَغطة القبر و غيرهما من انواع المشَقّات الموجودة فيه .وثانيها – انّه ليس هناک دَعةٌ مزيحِة ،والدّعة ،العَيش وقوله ﷺ: **(مزيْحِة)** اسم فاعل من ازاحَ يُزيح بمعنى ازال فقوله مزيْحِة اى مزُيلة ،و معنى الجملة انّه ليس هناک عيش يزُيل الهَمّ والغَمّ او الشّدّة والصّعَبة.

وثالثها: قوله ﷺ: و **لا قوةٌ حاجزةٌ** اى مانعة ومعلوم انّه ليس هناک قوّة تمنَع عن سئوال النکّيرين وعن ضغطة القبر و وحشَته و غيرها من الشّدائد و هو معلوم .

و رابعها : انّه ليس هناک مَوَتةٌناجزِة اى عاجلة تريحه من اَلَم الوبال وفيه اشارة الى انّ الالَم والعذاب ثابت لهم وليس الألام هناک مِن سنخ الالام الدّنيويّة لانّهاباقية بخلافهافى الدّنيا فانّها فانية داثرة ولا اقلّ بالموت وامّا فى عالم القبر و ما ورائه فلالعدم الموَت هناک كماقيل (الاايّها الموت الّذى انَت قاصِدى) ارَحنِى فقد افنيَتَ كلّ خليلٍ.

وخامسها: انّه ليس هناک سِنة مسْلِيته ،اى نوم خفيف مُسلية لِهَمّه و مُزيلة لِغَمّه قال الله تعالى:﴿**لاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾[3]والمقصود انّ عالم ماوراءالطّبيعة

١- الزخرف- ٥٧
٢- المائده- ١٩
٣-البقرة- ٢٥٥

غير هذاالعالم من جميَع الجهات وذالک لانّ عالمنا عالم المادّة و لو احقها فكلّ موجود فيه انّما هو ينا سب المادّة وامّا ذالک العالم فهو عالم المثال اوالبَرزَخ والقيامة والموجودفيه ماينا سبه وحيث انّ الفَترة والدَّعَة والقُّوة والمَوتة والسِّنة كلّهامن لواحق المادّة والجسم العنصرى فلا محالة تنتفى با نتفائه.

▫ **قوله** عليه السلام: **بَينَ اِطْوَارِالْمَوْتَاتِ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ اِنَّابِاللهِ عَائِذُوْن ...**

قالواالمراد بالمَوتَات الآلام الشّديدة والمَشّاق العَظيمة مجازاً فلا ينافى قوله عليه السلام: **و لا موتَةٌ ناجِزة** انتهى .

اقول :يمكن حمل الكلام على حقيقته فانّ الحقيقة خير من المجاز ،و التّعبير بالمَوِتات وارادة الآلام بعيد فى النّظر غاية البعد فانّا لمَ نَرفى كلام العرَب منَ عبّرعن ألالَم بالموَت لعدم المناسبة .نعم يْعبر عن الفراق بالموَت والحقّ فى المقام الأخذ بظاهر الكلام ففى العبارة وجوه من الأحتمالات .

احدها:ان تكون العباره، بين اطوارالموتان ،بالنّون فى آخرها دون التّأكماهو قوَىّ فى النَّظَر والموتَان بفتح الميم وضَمّها مَوتٌ يقع فى الماشية يقال هذا موتان الفؤادای بليد ،وعليه فالمعنى اَن الميّت بعد موته فى عالم القبر الى يوم القيامة بلَيدٌ فى مشّيه غير سريعٍ فيه لشدّة هَول الآخرة وكثرة العَقَبات الموجودة فيها ويْستضاد من الاخبار انّها تبلغ سبعين.

وثانيها: المَوَتان بفتح الميم والواو و هو اَرضٌ لم يجر فيها احيأبعد فكونه بين اطوار المَوَتان اشارة الى خلّو الأرض هناک من المأ والكلامً الحسّيَين والله اعلم بحقائق الامور.

▫ **وامّا قوله** عليه السلام: **وَعَذَابِ السَّاعَاتِ** ففيه اشاره الى انّ فى الاخرة انواع من العذاب لِلمستحقّ له و هو ظاهر.

▫ **وقوله** عليه السلام: **اِنَّابِاللَّهِ عَائِذُونَ** اشارةالى انّه لا مفرّ لأحَدٍ من الورُودُ على ما ذكرناه ولا ملجَأهناک اَلا الله تعالى فحرّى بالعَبد التعّوذ به والألتجأ اِليه كماهو

الشّأن فی جمیع المَهالک فی الدّارین الاتری انّه تعالی قد علمّنا فی الدّنیا ایضا التّعوّذ به فنقول اَعوذُ بالله ،والحَمدُلِلّهِ رَبِّ العَالَمِینَ.

▫ **قوله** ﷺ: **عِبَادَاللّهَاَیْنَ الَّذِینَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا وَانْظِرُوا فَلَهَوا وَسُلِّمُوا فَنَسَوا...**

ثمّ خاطبَهم ثانیاً فقال عبادَالله این الّذین عُمّرو ،فی الّدنیا بالأعمار الطّویلة وانُعِمُو فیها بالّنِعَم الکثیرة فیها وَعلّموا بالعُلوم المُختلفة المُتفنّنة ففَهِمُوفیها وعقلوا وصاروامن العُقلاءُ وانْظِرُو، فیهاُ مدّةً طَویلةً فلَهَو بالأباطیل والخرافات ،وسْلّموْ فی الّدنیا من الآفات والبَلیّات فنَسَوالله ولم یشکرْوله وکلمه (ایَنَ)من ادَوات الأستفهام ،وامّا فی المقام فلم یرد بها الأستفهام حقیقةً کماهو ظاهر بل المراد التّوبیخ المستلزم للعبَرة والتّوجُه و علی کلّ حال اشار ﷺ فی المقام الی امور ینبغی التّوجه الیها لکلّ عاقلٍ والأعتبار بها لکلّ ناظرٍ ونحن نوضحهافی المقام فنقول :امّاقوله ﷺ: **عِبَادَاللّهَ اَیْنَ الَّذِینَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا** ،ففیه اشارة الی امرین :

احدها : کثره اعمار هم فی الّدنیا ،و قد ثبت هذا المعنی بالنسبة الی الأمم السّالفة حیث انّ الأعمارکانت فهیم طویلة ومع ذالک ماتُو و لم یبقَ منهم عَینٌ ولا اثَرَ و نحن نشیر الی بعضٍ منهم امّا الانبیأ فمنهم :

آدم ابوالبشر ﷺ: فانّه بقی فی‌الدّنیا تسعمائة و ثلثون سنة(۹۳۰ سال)

شیت ابن آدم ﷺ: ولادته سنه (۱۳۰)بعد الهْبوُط ووفاته (۱۰۴۲) مُدةَ عمره ۹۱۲ سال .

ادریس النّبی ﷺ: ولادته سنه(۸۳۰)ورفعَه الی السّمأ(۱۶۹۵) مدّة عمره (۸۶۵ سال .

نوح النّبی ﷺ: ولادته سنه (۱۶۴۲)بعدالهبُوط وفاته (۲۵۹۲)مدّة عمره (۹۵۰ سال)وقیل اکثَرَمن ذالک .

هُودالنّبی ﷺ: ولادته سنه (۲۶۴۸)بعَد الهبُوط وفاته (۳۱۱۲) مدّة عمره

(۴۶۴) سال.

صالح النّبی ﷺ: ولادته سنه (۲۹۷۳)بعد الهبُوط وفاته (۳۲۵۳) مدّه عمره (۲۸۰ سال).

ابراهیم الخلیلﷺ: ولادته سنه (۳۳۲۳) وفاته سنه (۳۵۰۸) مدّة عمره (۱۸۰ سال – و من اولاد الانبیأ:

سام ابن نوح عاش: بعد الطّوفان خمسمائة سنة و مدّة عمره جمعاً کان ستمّاسنة (۶۰۰سال).

ارفخشد ابن نوح عاش: فی الدّنیا اربعمائة و ستوّن سنة– (۴۶۰ سال.و امّا خیر الانبیاء و اولادهم:

جمشید الملک: کانت مدّة سلطنته خمسمائة سنة (۵۰۰ سال **ضحّاک**: مدّة ملکه الف سنة (۱۰۰۰ سال).

فریدون:،مدّة ملکه خسمأة سنة (۵۰۰ سال .

نمرود: مدّة ملکه خمسمائة سنة (۵۰۰ سال).

نینایس: مدّة اربعمائة سنة (۴۰۰سال).

شدید ابن عاد:مدّة ملکه ثلثمائة سنه (۳۰۰ سال).

شدّاد ابن‌عاد: مدّة ملکه ثلثمائه سنة (۳۰۰سال).

عایرابن ارم: مدة ملکة مائتین سنة (۲۰۰سال).

مصرائیم: (۲۰۴ سال .

سنان ابن علوان: (۲۳۴).

ریان: (۱۸۲ سال .

بوزیریس: (۲۵۲ سال) .

فرعون موسی: ،مدّة ملکة اربعمائة سنة (۴۰۰ سال) وامثالهم کثیرة ،و لا شک انّ هؤ لأکانوا فی مدّة حیاتهم وحکومتهم فی النّعمة وهذا هوالمراد بقوله ﷺ: **این الّذین عُمِرّو فنَعمِوُا** غرضه ﷺ من الاشارة الی المُعمّرین هو انّ

الأخلاف يجب عليهم ان يَعتبرو باسلافهم فكما انّ الأعمار الطّويلة والنّعم الكثيرة لم تنفع لهم فی بقائهم و دوامهم فماتوا بأجمعهم ولَمَ يبق منهم اثر فكذالک الحال بالنّسبة الی غير هم من الأخلاف الی يوم القيمة فانّ حكم الامثال واحد مضافا الی وجود الاولويّة فی المقام فنقول نعم ماقيل :

ايــن الوجــوه التّــی كـانت مُـنَعّمةً
مــن دوُنـها يُـضرب الأسـتار والكَـلَلَ
وطـال مـا اكَـلوُدا هَـرًا و مـا شـرَبوُا
فـاصبحَوا بعد طوْل الأكل قـد اكَـلُوا
وطــال مــا عَـمَّروا دُورً التـحَصِنهْم
فــفَازِقْوا لدّهَــرو الأهـلِين وانـتَقلَوا
وطــال مـا كـنَزَو الأمـوال وادَخّـرْوا
فــخلّقوها عــلی الاعــدأ وارتـحَلّوُا
اضَــحت مــنازِلَهم فــقَرًا مــعُطَّلةً
و سـاكـنوها الی الأحـداث قـدر حَلوا

وقيل بالفارسيّة :

جـوان و پـيركه در بـند مـال و فـرزنداند
نـه عـاقل انـد كـه طـفلان نـاخرد مـنداند
جـماعتی كـه بِگـرينَد بـهر عَـيش ونشـاط
يـقين بـدان كـه بَـر خـويشتن هـمی خـندند
خو شاكسان كه گذشتند پاک چون خورشيد
كـه سـايهِ بـر سَـرِ ايـن خـاكـدان بـيفكندند
بــخانه‌ای كــه رَهِ جــان نـميتوان بسـتَن
چــه ابـلهَند كسـانی كـه دل هـمی بـندند

بـــه ســـبزه زار فـــلک طـــرفه بـــاغبانند
کـــــه هـــرنهال نشـــاندند بـــازبرکندند
جـــمال طَـــلعت هـــمصحبتان غـــنیمت دان
کـه مـیروند نـه آنسـان کـه بـاز پیوندند
بقا که نیست در او حاصلی همه هیچست
چـه بـنگری هـمه مـردم بـهیچ خـورسندند
بســـاز تـــوشه زبـــهرِ مســـافران وجـــود
کـــه مـــیهمان عـــزیزند روزَکـــی چـــندند
اگـــر تـــو آدمـــیْ در سگَـان بـطنَز بـبین
کـه بـهتر از مـن وتـو بـندهٔ خـداونـداند
تـــو را بـــهاز عـمل خـیر نـیست فـرزندی
کـــه دشـمناند تـرا زادگـان نـه فـرزندان

▫ **وامّا قوله ﷺ: عُلِّمُوا فَفَهِمُوا....**

ففیه اشارة الی انّ الماضین کانو عالمین مُتفکرّین ومع الوصف عاشُوافی غَفلَةٍ عن مآلهم وهذا من قبیح الأوصاف وذالک لانّ ثَمَرة العلم والفهم انّما هی التّدبُرفی الأمور والتّعمق فی حوادث الدّ هْور لیعتبربها حقّ الأعتبار ففی الحقیقة هذا الکلام منه ﷺ صدر علی سبیل التّوبیخ لعلماءِالماضین ومن یَحذُو حَذوَهم الی یوم القیامة .

و لا یبعدان یکون المراد انّ العلم والفهم ایضاً لا یمنعان الموت کما انّ طول العُمر و النّعم ایضاکذالک فالعالِم یَمَوت کما انّ طویل العُمریموت وظنّی انّ المعنی الاوّل اوفَق واصلَح بالمقام و علیه فحاصل المعنی هوالحثّ علی العمل وعدم الاکتفأبالعلوم فقط فانّه وحده لا یغنی من الحقّ شیئا .

▫ **و امّا قوله ﷺ: وَانْظِرُوا فَلَهَوا...**

ای فانْظِرُو فی الدّنیا مُدّةً معیّنة وَرأً و فیها مارَأو لیَعتبرُوا بها و ینتبهُو من نوم

الغفلة ،إلاّانّهم من حيث المتابعة لأ هوائهم و عدم التّوجه الى مَبدئهم و معادهم لم يَتفطّنوا فيها بل لَهَوا فيها كما انّ الاطفال يلَهون ولعَبو بها كما انّ المجانين والسّفهأيَلعبُون و معلوم انّ العاقل المُتوّجه لايكون كذالک. قال الله تعالى:﴿وَ ذَرِ الَّدِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتهُمُ اَلحَيَاةُ الدُّنيَا﴾[1]

و : ﴿وإذَا رأَو تَجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّو إلَيْهَا﴾[2]

و : ﴿إنَّمَا الحَيَاةَ الدُّنيَا لَعِبٌ وَ لَهوٌ﴾[3]

و : ﴿قُلْ مَا عِندَاللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ و مِنَ التِّجَارِةِ﴾[4]

و : ﴿لا هِيَةَ قُلُوبُهُم﴾[5]

وفى قوله عليه السلام: وانظِرواإشارة الى النّظر بعين العبرة وبهذايُفرق بينه وبين قوله وأمهِلو، و الى ما ذكره عليه السلام أُشير فى الكتاب. قال اللّه تعالى:﴿فَسِيرُوا فِى الأَرضِ فَانظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾[6]

و : ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الأَرضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾[7]

و : ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾[8]

و : ﴿قُلِ انظُرُا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَ الأَرضِ﴾[9]

و : ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الأَرضِ فَانظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلُ﴾[10]

وغيرهامن الآيات.

وحاصل الكلام انّ الله تعالى قدانَظرَنا حتّى نَظُر الى المُوجودات الآفاقيّة والأنفسِيّة ثُم تتَفكّر فيها و نَعتبر بها وهذاهو الغرَضَ الأصلى ،والمقصد النّهائى قال الله تعالى و فى انَفسْكم اَفلا تبْصرون ولنْعم ماقيل :

جـــهان چـيست بگـذر زنـيرنگ او
رهـــائى بـــچنگ آور ازچـــنک او

١- الانعام- ٧٠
٢- الجمعة- ١١
٣- محمد- ٣٦
٤- الجمعه- ١١
٥- الانبياء- ٣
٦- آل عمران- ١٣٧
٧- الانعام- ١١
٨- الاعراف- ٨٦
٩- يونس- ١٠١
١٠- الروم- ٤٢

فَـــلک در بـــلندی زمـین درمـغاک
یکی طَشت خُونُ و یکی طشت خـاک

نـــوشته در ایـــن هـــردو آلوده طشت
زخـــون ســـیاوش بســـی ســـرگذشت

جـهان گـرچـه آرامگـاهی خـوش است
شـــــتابنده رالعـــــل در آتش است

مـــقیمی نـــه بـــینی دراین بـاغ کس
تـــماشا کـــند هـــرکسی یک نـــفس

دُو دَر دارد ایـــــن بـــــاغ آراســـته
دَرو بـنَد ازایـن هـر دُو بـر خـاسته

درآی از دَرِ بـــــاغ و بـــنگر تـــمام
ز دیگـــر دَرِ بـــاغ بـــیرُون خـــرام

در او هـــر دمـــی نَـــوبَری مـــیرسد
یکـــــی مـــیرود دیگـــری مـــیرسد

نـــه‌اِیـــم آمـــده از پـــی دلخـــوْشی
مگـــر از پـــی رنـج و مـحنت کشـی

در ایـــنَدم کـــه داری بشـــادی بـهیچ
کـــه آیـــنده ورفـــته هـــیچ است هـــیچ

□ **امّاقوله** ﷺ: **وَسُلِّمُو فَنَسُوا...**

ای و سْلَمو فی الدّنیا من الأفات والأمراض فَنَسوا الآخرة و المَآل و هـذا ایضاً لیس من شأن العاقِل فانّ الانسان ینبغی ان یعلم انّ الصّحة و السّلامة لا تبقیان له فیجب ان یتزّود من صحّته لآخرته ومن حیاته لفنائه. قال الله تعالی:﴿**وَ ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا**﴾[1]

۱- السجده- ۱۴

و : ﴿وَ قِيلَ اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هذا﴾[1]

و : ﴿كَذَالِكَ أَتَتكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾[2]

و : ﴿نَسُوا اللَّهِ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[3]

و : ﴿فَاليَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَأَيَوْمِهِم هَذَا﴾[4]

و : ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُم سُخرِيّاً حَتَّى أَنسَوكُمْ ذِكرِى﴾[5]

و : ﴿وَلا تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[6] و غيرا من الآيات.

▫ **قوله عليه السلام: أُمهِلو طَويلاً ومنَحَو جميلاً ...**

اى امهَلَهم الله تعالى فى الدّنيا زماناً طَويلاً واعطا هم الله فيها من النِّعَم الجَميلة ما لايقدر على احصائها ألا هو .قال الله تعالى:﴿ **وَانْ تَعَدُّوانِعْمَةَ اللَّهِ لاَتُحْصُوهَا**﴾[7] ثمّ انّهم مع هذه المُهلة الطَويلة والنّعم الجميلة لم يشكروله تعالى حقّ شكره فكانّهم عاشُوا فيها باطلاً اليَس الله تعالى قد امهلَنا لأجل التّنبّه واعطَانالأجل المعرفة والشّكر بعدها اليَس شكر المنْعِم واجب عقلاً و شرعاً.

قال الله تعالى:﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَئٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾[8]

و : ﴿**إِنَّا اَعطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَر**﴾[9]

و : ﴿**وَ إِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾[10]

و : ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[11]

و : ﴿**هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامنُنْأَ و اَمسِك بِغَيرِ حِسَابٍ**﴾[12]

و : ﴿**جَزَأَمِن رَّبِّكَ عَطأً حِسَاباً**﴾[13]

▫ **قوله عليه السلام: وَ حُذِّرُوا اَلِيماً وَ وُعِدُوا جَسِيماً...**

١- الجاثية- ٣٤
٢- طه- ١٢٦
٣- التوبة- ٦٧
٤- الاعراف- ٥١
٥- المؤمنون- ١١٠
٦- القصص- ٧٧
٧- النحل- ١٨
٨- طه- ٥٠
٩- الكوثر- ١
١٠- التوبة- ٥٨
١١- هود- ١٠٨
١٢- ص- ٩٣
١٣- النباء- ٩٦

اشار الى امرين:

احد هما: تحذير الله ايّاهم بالعذاب الاليم.

وثانيها: وعده ايّاهم بالثّواب العظيم.

الاوّل : اشير فى الكتاب بقوله تعالى:﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَن اَمْرِهِ اَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾(١)

و : ﴿**يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِم**﴾(٢)

و : ﴿**وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ اِذَا رَجَعُوا اِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾(٣)

و : ﴿**وَ احْذَرْهُمْ اَن يَفتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ اِلَيكَ**﴾(٤)

و : ﴿**وَاعْلَمُوا اَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى اَنفُسِكُمْ فَا حْذَرُوهُ**﴾(٥)

و : ﴿**وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اِلَى اللَّهِ المَصِيرُ**﴾(٦)

و : ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُف بِالْعِبَادِ**﴾(٧)

و : ﴿**وَاَطِيعُو اللَّهَ وَ أَطِيعُو الرَّسُولَ وَ احْذَرُو**﴾(٨)

والى الثّانى: اشير فيه ايضابقوله تعالى:﴿ **وَعَدَاللَّهُ الَّذِينَ ءَآمَنُوا وَ عَمِلُو الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغفِرَةٌ وَ اَجرٌ عَظِيمٌ**﴾(٩)

و : ﴿**فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدرَبُّكُمْ حَقّاً**﴾(١٠)

و : ﴿**وَعَدَاللَّهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍتَجْرِى مِن تَحْتِهَاالأَنْهَارُ**﴾(١١)

و : ﴿**هَٰذَا مَا وَعَدَالرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ المُرْسَلُونَ**﴾(١٢)

و : ﴿**وَعَدَاللَّهُ الَّذِينَءَ آمَنُو مِنكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ**﴾(١٣)

١- النور- ٦٣
٢- التوبة- ٦٤
٣- التوبة- ١٢٢
٤- المائده- ٤٩
٥- البقرة- ٢٣٥
٦- آل عمران- ٢٨
٧- آل عمران- ٣٠
٨- المائده- ٩٢
٩- المائده- ٩
١٠- الاعراف- ٤٤
١١- التوبة- ٧٢
١٢- يس- ٥٢
١٣- النور- ٥٥

و : ﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً﴾[1]

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾[2]

و : ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيمَةِ﴾[3]

و : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ﴾[4]

و : ﴿أَفَمَن وَعَدنَاهُ حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ﴾[5].والآيات فى الباب كثيرة فاذاكان الأمر على هذاالمنوال ينبغى للِمكلّف الاتيان بما امَرَه الله به والتَّرک لما نَهىٰ عنه فانّ وعَدَالله حقٌّ لامرِية فيه ومن اصَدَق مِن الله قيلا.

▫ **قوله** عليه السلام: **احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ وَالْعُيوبَ الْمُسْخِطَةَ** ...

بعد ما اثبتَ عليه السلام فى الجملة السّابقة انّه تعالى حذَّرَهم بـالعذابِ ،وعَـدَهم بالثّواب اردَفَ كلامه بقوله عليه السلام: **احْذَرُوا** الخ اى اذاكان تحذيره – تعالى و وعَده حقّاً فينبغى ان يحذر الأنسان عمّايوْجب سخَطَه ومقتَه وقد حذَّرَهَم ،فى المقام عن امرَين مهْلكيَن هما اصلان فى الشّقاوة واالخلود فى عذابه يوم القيمة.

احد هما: الذّنوب المْورّطة اى المْوبقه فى ورطة الهلاک .

ثانيهما: العُيوب المُسخطة المُوجبة لغضب ربّ الأرباب ولا يبعدان يكون المراد بالاوّل الكبائر فيهادون الصّغائر ،اوان يكون المراد بها مطلق الذّنب من غير توبةٍ بعدَه وعلى التّقديريَن لاشکّ انّ الذّنب يوجْب الهلاک فى النّشأتَين **وَالْعُيوبَ الْمُسْخِطَةَ** فهى عبارة عن العيْوب الّتى توجب سَخَطه وغَضَبه كالبْخل والحَسَد وَالتّكبّر وغيرها من رَذائل الأ خلاف ومفاسد الأوصاف. والى **الاوّل** :اشير بقوله تعالى:﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِم وَاللَّهُ شَدِيدُالعِقَابِ﴾[6]

و : ﴿أَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنشَأنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾[7]

و : ﴿لَوْ نَشَأ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾[8]

١- الاعراف- ۴۴
٢- ابراهيم- ٢٢
٣- آل عمران- ١٩۴
۴- الاحزاب- ٢٢
۵- القصص- ۶١
۶- آل عمران- ١١
٧- الانعام- ۶
٨- الاعراف- ١٠٠

و : ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾[1]

و : ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[2]

و : ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[3] و غيرها من الآيات.

والى الثانى: قال الله تعالى:﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[4]

و : ﴿ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسخَطَ اللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[5]

و : ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَآءَ بِسَخطٍ مِنَ اللَّهِ﴾[6]

□ قوله عليه السلام : أُولِى الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ وَالعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ...

خَصَّ عليه السلام بالذكر من النّاس هؤلاء الأصناف الأربعة لانّهم الّذين قدّم علَيهم النّعمة الظّاهرة منها والباطنة وبذَلَ لهم من الصّحة والسّلامة فى الجسم مالم يبذل به لغير هم من الأصناف وان كان هذه الا مور صارت موْجبة لطغيانهم وعصيانهم كماهو دأب اكثر النّاس حيث انّهم لعدم قابليّتهم ومعرفتهم يعْرضون عن الآخرة فيما اذا اقبلت الدّنيا اليهم و يَسُون الرّب و يَتركُون سبيّله و يُطيعون الشّيطان و يسلكونِ طريقه و لَم يَعلموا انَّ متاع الدّنيا ليس الّا غْرورا و ذالک لانّ الدّنيا قد تَزيّنت فى اعيُنهم وقد ذَمّهم الله تعالى فى كتابه.

حيث قال:﴿وَ لَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[7]

و : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[8]

و ذكرناالآيات الا الدالة على المقصود فيما مضى من القول.

□ وقوله عليه السلام: هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلاَصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ أَمْ لا؟ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ ...

كلمة (هل)للأستفهام الأنكارى والتّقدير وليس مناص قال الله تعالى ولات

١- الانفال- ٥٢
٢- المائده- ١٨
٣- الغافر- ٢١
٤- المائده- ٨٠
٥- محمد- ٢٨
٦- آل عمران- ١٦٢
٧- الانعام- ٤٣
٨- النمل- ٢٤

حينَ مناص.

والمقصود انّه لايوجد مَناص من العذاب اوالمَوات ولا خلاص ولا مخلصَ من العَقَبات بعدَه ولا معاذ و لا مَجاً من الوبال و لا مِلاذمن النّكال و لا فرار من العقاب والحساب و لا محار ممّا وعدا وتوعّد عليه وَ اذا كان كذالک ،فانّىٰ تُؤفكُون و اينَ تَذهبُون وتنقلبُون .

▫ قوله ﷺ: أَمْ أَيْنَ تُصرَفُونَ وَ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ...

اى أم اينَ تَذهبون وبما ذاتفتنون وقد علمتُم حال الدّنيا وانّه لابَد من الأنتقال منها والأعراض عنها الى الآخرة فى قوله ﷺ هذا اشارة الى قوله تعالى. حيث قال:﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(١)

و: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِىءَ آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾(٢)

و: ﴿ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لاَإِلَهَ إلاّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٣)

▫ وقوله ﷺ: أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ففِيه... اشارة الى قوله تعالى:﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَ غَرَّتهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٤)

و: وَ غرَّتْكُمُ الأَمَانِىُّ﴾(٥)

و: ﴿و غَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾(٦)

و: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَاكَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(٧)

و: ﴿وَ مَاالحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾(٨)

▫ قوله ﷺ: وَإِنَّمَا حَظُّ اَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَ الْعَرْضِ قِيدُ قَدَّهِ مُتَعَفِّرٍ اعَلَىٰ خَدَّهِ ...

ثمّ انّه بعد مابيَّنَ اعتباريّة الدّنيا وما فيها وحذَّرَ النّاس على حُبّها والأنس بها والأغترار بها عَيّنَ لكلّ واحدٍ من افراد النّاس حَظّه ونصَيبه من الأرض العَبرأ

١- يونس- ٣٢
٢- الغافر- ٤٩
٣- الزمر- ٦
٤- الانعام- ٧٠
٥- الحديد- ١٤
٦- الانعام- ١٣٠
٧- آل عمران- ٤٤
٨- آل عمران- ١٨٥

وهو قَيدُ قَدَهِ وقافته مُتعفِراً على خَدّه و وَجَنتهِ ، و هو كناية عن قبَره و وضَعه فيه مُتعَفِراً خدّه الأيمن على التّراب حينَ الدّفن .وحاصل الكلام انّ حظّ كلّ واحِد منّا ليس ألا مدفَنه و قبرَه من هذه الأرض الطّويلة العريضة و فيه اشارة الى انّ باقى النّعم فى الدّنيا اعتباريّة فكلّ ما يقال فى حياته انّه له من الأراضى والأملاک والدّوْر وغيرها ليس فى الحقيقة له بل هى لوارثه والّذى له هو قبره لا غيره و هذا معنى كون الحياة الدّنيا لَهوولَعِب.

▫ **قوله عليه السلام: اَلآنَ عِبَادَاللّٰهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلُ وَ الرُّوحُ مُرْسَلُ فِى فِيْنَةِ الأَرْشَادِ وَ رَاحَةِ الأَجْسَادِ ...**

والتّقدير ،وقت العمل الآن ،واعملوا الآن عبادالله لآخرتكم ،والخِنَاقُ مُهْمَلُ ،اى حالكون اعناق نفوسكم مهْملة من الأخذ بخناق الموت والرّوحُ مُرسَلٌ ،اى و اروَاحكم مَترُوكة من الجذاب بحبال الفَنأوالفَوت ،فِى فِيْنَةِ الأَرْشَادِ، والهداية الى الجنان، وَرَاحَةِ الأجسَادِ ،واستراحتها.

▫ **قوله عليه السلام: وَبَاحَةِالاحْتِشَادِ وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ وَإِنْظَارِالتَّوْبَةِ وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ ...**

وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ ،اى ساحة اجتماع الأقران والأمثال ،ومهل البقية وانف المشية ،اى مْهلة بقية الحياة واوّل ازَمنة الأرادات والمقصود انّ الانسان ينبغى ان يكون هَمّه مَصرُوفاً فى اكتساب االكمالات والفضائل واجتناب الرذَائل حتّى يكون مايُردعلى لَوح نَفسه وارداً على لوحِ صافية من الكدورات اذلو انعكس الامر انعكس ألامر و هو خلاف المطلوب.و ا مّا قوله عليه السلام: **وَ إِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ** ،ففيه اشارة الى امهال الله تعالى ايّاهم لأجل تحصيل التّوبة و وسْعَهَم المجال لأكتساب حسَنات الأعمال .

▫ **قوله عليه السلام: قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ وَاِخْذَةِالْعَزِيزِالْمُقْتَدِرِ ...**

اى اغتنمو الفُرصة قبل ضيق الزّمان ومضيق المكان اعنى قبل حلول الأجَل

والدّخُول فی القبر، وقبل الرّوح و الفزع و الزّهوق و هو خروج الرّوح عن الأبدان و قبل قدوم الغائب المنتظر، اعنی الموت الّذی ننتظره ،وقبل اخذه العزیز المقتدر ،و هو الله تعالی. و حاصل هذه الکلمات هو انّ الانسان ینبغی ان یتوجّه الی مرَجَعه ومآله و اعَماله و اقواله وبعبارة إخری: یجب علیه ان یحاسب نفسه قبل یوم الحساب فی ایّام الفرصة فان کانت حسنة زاد فیها و ان کانت سیّئة تاب عنها قال امیرالمؤمنین علیه السلام فی بغض کلماته حا سبوا انفَسْکم قَبلَ ان تحاسبوا و ذالک لأن الموت اذا قدم علیه بطَل التّکَیف واستحال تدارک الذّنوب و لا یَنفَع له النّدامة قال الله تعالی حکایة عن العاصین ربّ ارجعون لَعلّی اعَمل صالحاً فیما ترکتْ فیقال له کَلا انّها کلمةٌ هو قائلها .هذا تمام الکلام فی شرح الخطبة الشّریفه ولعمری هذه الخطبة کافیة لمن تدَبّرَ فیها حقّ التّدَبیرُ وتَعَمَّق فیها حقّ التَّعَمُقْ کیف لا وهی صَدَرت عن مقام الولایة والعصمة الّذی اذهَبَ الله عنه الرّجَس وطهّرَه تطهیراً.

«الفهرست»

ومن خطبة له عليه السلام (٦٤) ٥

قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ تَسبِقْ لَهُ‌الى المَرْهوُبُ مَعَ النِّعَمِ‌متن ٥

اللّغة ٥

المعنى ٦

الشّرح ٧

قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ تَسبِقْ لَهُ حالٌ حٰالاً فَيَكوُنَ و..... ٧

قوله عليه السلام: كُلُّ مُسَمّىٰ بِالْوَحدَة غَيره قَليلٌ، ١٥

قوله عليه السلام: وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيرُهُ ذَلِيلٌ، ٢١

قوله عليه السلام: وَكُلُّ قَوِىٌّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ٢٣

قوله عليه السلام: كُلُّ مٰالِكٍ غَيرُهُ مَمْلوُكٌ، ٢٧

قوله عليه السلام: وَكُلُّ عٰالِمٍ غَيرُهُ مُتَعَلِّمٌ، ٢٨

قوله عليه السلام: وكُلُّ قٰادِرٍ غَيرُهُ يَقدِرُ وَيَعْجِزُ، ٣٣

قوله عليه السلام: وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيرُهُ يَصَمُّ عَن لَطِيفِ الأَصواتِ و..... ٣٧

قوله عليه السلام: وَكُلُّ بَصيرٍ غَيرُهُ يَعمىٰ عَنْ خَفِّيِ الأَلْوانِ وَلَطِيفِ الأَجسامِ .. ٤٩

قوله عليه السلام: وَكُلُّ ظٰاهِرٍ غَيْرُهُ غَيرُ بٰاطِنٍ وَكُلُّ بٰاطِنٍ غَيرُهُ غَيرُ ظٰاهِرٍ، ٥٧

قوله عليه السلام: لَمْ يَخْلُقْ مٰا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطٰانٍ وَلاٰ تَخَوُّفٍ مِنْ و..... ٦١

قوله عليه السلام: وَلٰكِنْ خَلاٰئِقُ مَرْبُوبوُنَ، وَعِبٰادٌ دٰاخِروُنَ ٧٩

قوله عليه السلام: لَمْ يَحْلُلْ فِى الْأَشْيٰاءِ فَيُقٰالَ هُوَ كٰائِنٌ فِيهٰا وَلَمْ يَنْاَ و..... ٨٠

قوله عليه السلام: وَلَمْ يَنَاءَ عَنهٰا فَيُقٰالَ هُوَ مِنهٰا بٰائِنٌ ٨١

قوله عليه السلام: لَمْ يَؤُدهُ خَلقُ مَا ابتَدَءَ وَلاٰ تَدْبِيرُ مٰاذَرَءَ، ٨١

قوله عليه السلام: وَلاٰ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمّٰا خَلَقَ وَلاٰ وَلَجَتْ عَلَيهِ شُبْهَةٌ و..... ٨٢

ومن كلام له عليه السلام (٦٥) ٨٥

قوله عليه السلام مَعٰاشِرَ النّاس ،اِسْتَشْعِروُا الْخَشْيَةِ الى وَلَنْ يُبَرِّكُم اَعْمٰالَكُمْ‌متن ٨٥

اللّغة ٨٥
المعنى ٨٦
الشّرح ٨٧
قوله عليه السلام: مَعاشِرَ النّاس ،اِسْتَشْعِروُا الْخَشْيَةِ ٨٧
قوله عليه السلام: وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ ٩٠
قوله عليه السلام: وَعَضُّوا عَلَى النَّواجِذِ فَاِنَّهُ اَنبى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهامِ ٩٢
قوله عليه السلام: وَاَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ، ٩٣
قوله عليه السلام: وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي اَغْمادِها قَبْلَ سَلِّها ٩٣
قوله عليه السلام: وَالْحَظُوا الْخَزْرَ ٩٣
قوله عليه السلام: وَاَطْعَنُوا الشَّزْرَ ٩٣
قوله عليه السلام: وَنافِحُوا بِالظُّبا، ٩٣
قوله عليه السلام: وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطا ٩٥
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ(ص) ٩٥
قوله عليه السلام: فَعاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَاِنَّهُ عارٌ و..... ٩٦
قوله عليه السلام: وَطِيبُوا عَنْ اَنفُسِكُمْ نَفْساً ٩٦
قوله عليه السلام: وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوادِ الْأَعْظَمِ وَالرِّواقِ الْمُطَنَّبِ..... ٩٧
قوله عليه السلام: فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَاِنَّ الشَّيْطانَ كامِنٌ فِي كِسْرِهِ و..... ٩٨
ومن كلام له عليه السلام (٦٦)..... ١٠١
قوله عليه السلام: فَهَلَا اَحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِاَنَّ الى وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَامتن ١٠١
اللّغة ١٠١
المعنى ١٠١
الشّرح ١٠٢
قوله عليه السلام: فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِاَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) وَصّى بِأَن و..... ١٠٢
قوله عليه السلام: لَوْ كانَتِ الْاِمارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ١٠٦

قوله عليه السلام: فَماذا قالَتْ قُرَيْشٌ قالُوا احْتَجَّتْ بِاَنَّها شَجَرَةٌ و..... ١٠٦
قوله عليه السلام: وَاَضاعُوا الثَّمَرَةَ اى افسدوها وَضيّعوها ففيه حقائق..... ١١١
ومن كلامٍ له عليه السلام (٦٧)..... ١١٣
قوله عليه السلام وَقَدْ اَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هاشِمَ ابْنَ الى وَكانَ لِيَ رَبِيباًمتن... ١١٣
اللّغة..... ١١٣
المعنى..... ١١٣
الشّرح..... ١١٤
وَقَدْاَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مَصْرَ هاشِمَ ابْنَ عُتْبَتِه و..... ١٢٤
قوله عليه السلام: وَلَوْ وَلَّيْتُهُ اِيّاها لَما خَلّىٰ لَهُمُ الْعَرْصَتَه وَلاٰ اَنْهَزَمَ الفُرْصَتَه... ١٢٤
قوله عليه السلام: بِلاٰ ذَمٍ لِمُحَمَّدٍ فَلَقَدْ كانَ اِلَيَّ حَبِيباً وَكانَ لِي رَبِيباً..... ١٢٤
ومن خطبة له عليه السلام (٦٨)..... ١٢٧
قوله عليه السلام كَمْ اُداٰرِيكُمْ كَما تُداٰرَى الْبِكارُ الى بِي شَرّاً لَهُمْ مِنّي متن... ١٢٧
اللّغة..... ١٢٨
المعنى..... ١٢٨
الشّرح..... ١٢٩
قوله عليه السلام كَمْ اُداٰرِيكُمْ كَما تُداٰرَى الْبِكارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيابُ و..... ١٢٩
قوله عليه السلام: كُلَّما اَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنسِرٌ مِن مَّناسِرِ اَهْلِ الشّامِ اَغْلَقَ و..... ١٣٠
قوله عليه السلام: وَانْحَجَرَ انْحِجارَ الضَّبَّةِ فِي حُجْرِها وَالضَّبُعِ فِي و..... ١٣٠
قوله عليه السلام: اَلذَّلِيلُ وَاللهِ مَن نَّصَرْتُمُوهُ..... ١٣٥
قوله عليه السلام: وَمَنْ رُّمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رَمىٰ بِاَفْوَقَ ناصِلٍ..... ١٣٦
قوله عليه السلام: وَوَاللهِ اِنَّكُمْ لَكَثِيرٌ فِي الْباحاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرّاياتِ..... ١٣٦
قوله عليه السلام: وَاِنّي لِعالِمٌ بِما يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ اَوَدَكُمْ..... ١٣٦
قوله عليه السلام: وَلٰكِنّي لاٰ اَرىٰ اِصْلاٰحِكُمْ بِاِفْسادِ نَفْسِي..... ١٣٦
قوله عليه السلام: اَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ وَاَتْعَسَ جُدُودَكُمْ..... ١٣٧

قوله عليه السلام: لاٰتَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْباطِلَ، وَلاٰ تُبْطِلُونَ و..... ١٣٧
ومن خطبة له عليه السلام (٦٩)..... ١٣٩
قوله عليه السلام: مَلَكْتَنِى عَيْنِي وَ اَنَا جٰالِسٌ،**الى** بِى شَرَاً لَهُمْ مِنِّى متن..... ١٣٩
قوله عليه السلام: مَلَكْتَنِى عَيْنِي وَ اَنَا جٰالِسٌ الى آخر الخطبة ١٣٩
ومن خطبة له عليه السلام (٧٠)..... ١٤٣
قوله عليه السلام اَمّٰا بَعد يٰا اَهْلَ الْعِرٰاقِ فَاِنَّمٰا**الى** وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ متن . ١٤٣
اللّغة..... ١٤٣
المعنى..... ١٤٣
الشّرح..... ١٤٤
قوله عليه السلام: اَمّٰا بَعْدُ يٰا اَهْلَ الْعِرٰاقِ الى قوله ٧: وَاللهِ..... ١٤٤
قوله عليه السلام: اَمٰا وَاللهِ مٰا اَتَيْتُكُمْ اخْتِيٰاراً وَلٰكِن جِئْتُ اِلَيْكُمْ سَوْقاً..... ١٤٥
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ بَلَغَنِى اَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قٰاتَلَكُمُ اللهُ و..... ١٤٦
قوله عليه السلام: كَلاّٰ وَاللهِ وَلٰكِنَّهٰا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهٰا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ اَهْلِهٰا ١٤٧
قوله عليه السلام: وَيلُ اُمِّه كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كٰانَ لَهُ وِعٰاءٌ وَلَتَعْلَمُنَّ و..... ١٤٧
ومن خطبة له عليه السلام (٧١)..... ١٤٩
قوله عليه السلام اَللّٰهُمَّ دٰاحِيَ الْمَدْحُوّٰاتِ،**الى** الطُّمَانِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرٰامَةِ متن.. ١٤٩
اللّغة..... ١٥٠
المعنى..... ١٥٠
الشّرح..... ١٥١
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ دٰاحِيَ الْمَدْحُوّٰاتِ..... ١٥١
قوله عليه السلام: وَدٰاعِمَ الْمَسْمُوكٰاتِ..... ١٥١
قوله عليه السلام: وَجٰابِلَ الْقُلُوبِ الخ..... ١٥١
قوله عليه السلام: وَجٰابِلَ الْقُلُوبِ عِلىٰ فِطْرَتِهٰا شَقِيِّهٰا وَسَعِيدِهٰا..... ١٥٣
قوله عليه السلام: اِجْعَلْ شَرٰائِفَ صَلَوٰاتِكَ وَنَوٰامِيَ بَرَكٰاتِكَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ و..... ١٥٤

قوله عليه السلام: الْخاتِمِ لِمٰا سَبَقَ وَالْفاتِحِ لِمٰا اَنْغَلَقَ ١٥٩
قوله عليه السلام: وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدّٰافِعِ جَيْشٰاتِ الْأَبٰاطِيلِ و..... ١٦٠
قوله عليه السلام: كَمٰا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قٰائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً و..... ١٦٢
قوله عليه السلام: مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضٰاتِكَ ١٦٣
قوله عليه السلام: غَيْرَ نٰاكِلٍ عَن قُدُمٍ وَلاٰ وٰاهٍ فِي عَزْمٍ ١٦٣
قوله عليه السلام: وٰاعِياً لِوَحْيِكَ ١٦٤
قوله عليه السلام: حٰافِظاً لِعَهْدِكَ ١٦٤
قوله عليه السلام: مٰاضِياً عَلىٰ نَفٰاذِ اَمْرِكَ ١٦٤
قوله عليه السلام: حَتّىٰ اَوْرىٰ قَبَسَ الْقٰابِسِ وَاَضٰاءَ الطَّرِيقَ لِلْخٰابِطِ ١٦٤
قوله عليه السلام: وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضٰاتِ الْفِتَنِ ١٦٤
قوله عليه السلام: وَاَقٰامَ مُوضِحٰاتِ الْأَعْلاٰمِ وَنَيِّرٰاتِ الْأَحْكٰامِ ١٦٤
قوله عليه السلام: فَهُوَ اَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ١٦٥
قوله عليه السلام: وَخٰازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ،..... ١٦٥
قوله عليه السلام: وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ... وهو ايضاً مُويّدٌ بالعقل والنّقل..... ١٦٨
قوله عليه السلام: وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولِكَ اِلَى الْخَلْقِ ١٧٠
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ وَاجْزِهِ مُضٰاعَفٰاتَ و..... ١٧٥
قوله عليه السلام: وَاجْزِهِ مُضٰاعَفٰاتَ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ١٧٥
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ وَاَعْلِ عَلىٰ بِنٰاءِ الْبٰانِينَ بَنٰائِهُ ١٧٦
قوله عليه السلام: وَاَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ ١٧٧
قوله عليه السلام: وَاَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ١٧٧
قوله عليه السلام: وَاجْزِهِ مِن ابنٰائِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهٰادَةِ وَمَرْضِيَّ الْمَقٰالَةِ..... ١٨١
قوله عليه السلام: ذٰا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطَّةٍ فَصْلٍ ١٨٢
قوله عليه السلام: اللّٰهُمَّ اَجْمَعْ بَيْنَنٰا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرٰارِ و..... ١٨٣
قوله عليه السلام: وَرَخٰاءِ الدَّعَةِ وَمُنتَهى الطُّمَانِينَةِ وَتُحَفِ الْكَرٰامَةِ ١٨٥

ومن خطبة له عليه السلام (٧٢)..... ١٨٧
قوله عليه السلام: اَوَلَمْ يُبَا بِـعْنِى بَـعْدَ قَـتْلِ عُـثْمَانَ؟**الى** وَمِـن وُلْـدِهِ يَـوْماً اَحْـمَرَ
متن..... ١٨٧
اللّغة..... ١٨٧
المعنى..... ١٨٧
الشّرح..... ١٨٨
اُخِذَ مَروانُ ابْنُ الْحَكَمِ اَسِيراً يَوْمَ الْجَمَلِ، و..... ١٨٨
قوله عليه السلام: اَوَلَمْ يُبَايِعْنِى بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لاٰحاجَةَ لِى فِى بَيْعَتِهِ..... ١٩٠
قوله عليه السلام: اِنَّهَا كَفٌّ يَهودِيَّةٌ لَوْ بٰايَعَنِى بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ..... ١٩٠
قوله عليه السلام: اَمٰا اِنَّ لَهُ اِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ اَنفَهُ..... ١٩٠
قوله عليه السلام: وَهُوَ اَبُو الْاَكْبُشِ الْاَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْاُمَّةُ مِنْهُ وَمِن و..... ١٩٢
ومن خطبة له عليه السلام (٧٣)..... ١٩٥
قوله عليه السلام وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنِّى اَحِقُّ بِهٰا مِنْ غَيْرِى،**الى** لَاَجْرَ ذٰالِكَ مِن متن ١٩٥
اللّغة..... ١٩٥
المعنى..... ١٩٥
الشّرح..... ١٩٦
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنِّى اَحِقُّ بِهٰا مِنْ غَيْرِى،..... ١٩٦
قوله عليه السلام: وَ وَاللهِ لَاُسَلِّمَنَّ مٰاسَلِمَتْ اُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ و..... ١٩٧
ومن كلامٍ له عليه السلام (٧٤)..... ٢١١
قوله عليه السلام اَوَلَم يَنْهَ بَنِي اُمَيَّةَ عِلْمُهٰا عَن قَرفِى، **الى** تُجٰازىَ الْعِبٰادُ متن.. ٢١١
اللّغة..... ٢١١
المعنى..... ٢١١
الشّرح..... ٢١٢
قوله عليه السلام: اَوَلَمْ يَنْهَ بَنِى اُمَيَّةَ عِلْمُهٰا بِى عَن قَرفِى..... ٢١٢

قوله عليه السلام: أَوَ مٰا وَزَعَ الْجُهّٰالَ سٰابِقَتِي عَن تُهْمَتِي ٢١٦
قوله عليه السلام: وَلَمّٰا وعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِن لِسٰانِي ٢١٦
قوله عليه السلام: أَنَا حَجِيجُ الْمٰارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتٰابِينَ ٢١٧
قوله عليه السلام: وَ عَلىٰ كِتٰابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثٰالُ ٢١٨
قوله عليه السلام: وَبِمٰا فِي الصُّدُورِ تُجٰازَى الْعِبٰادُ ١٩
ومن خطبةٍ له عليه السلام (٧٥) ٢٢٥
قوله عليه السلام رَحِمَ اللهُ عَبْداً (امْرَاءً) سَمِعَ حُكْماًالى وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ متن ٢٢٥
اللّغة ٢٢٥
المعنى ٢٢٦
الشّرح ٢٢٦
قوله عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْداً (اَمْرءً) سَمِعَ حُكْماً فَوَعىٰ ٢٢٦
قوله عليه السلام: وَدُعِيَ إِلىٰ رَشٰادٍ فَدَنىٰ ٢٢٨
قوله عليه السلام: وَاَخَذَ بَحِجْزَةِ هٰادٍ فَنَجىٰ ٢٢٨
قوله عليه السلام: رٰاقَبَ رَبَّهُ ٢٢٨
قوله عليه السلام: وَخٰافَ ذَنْبَهُ ٢٣١
قوله عليه السلام: قَدَّمَ خٰالِصاً وَعَمِلَ صٰالِحاً ٢٣٥
قوله عليه السلام: إِكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَاَجْتَنَبَ مَحْذُوراً ٢٤٠
قوله عليه السلام: رَمىٰ غَرَضاً واَحْرَزَ عِوَضاً ٢٤١
قوله عليه السلام: كٰابَرَ هَوٰاهُ وَكَذَّبَ مُنٰاهُ ٢٤١
قوله عليه السلام: جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجٰاتِهِ ٢٤٤
قوله عليه السلام: وَاَلتَّقْوىٰ عُدَّةَ وَفٰاتِهِ ٢٥٢
قوله عليه السلام: رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرّٰاءَ وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضٰاءَ ٢٥٣
قوله عليه السلام: اَغْتَنَمَ الْمَهَلَ ٢٥٥
قوله عليه السلام: وَبٰادِرَ الْأَجَلَ ٢٥٥

قوله عليه السلام: وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ ٢٥٦
ومن كلامٍ له عليه السلام (٧٦) ٢٥٧
قوله عليه السلام اِنَّ بَنِي اُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ**الى**اَلْوِذَامَ التَّرِبَةَمتن ٢٥٧
اللّغة ٢٥٧
المعنى ٢٥٧
الشّرح ٢٥٧
قريش وانّما هُم يلحقون بهم ويُصدّق ذالك قول اميرالمؤمنين عليه السلام: اِنَّ بَنِي وَاللهِ لَئَن بَقِيتُ لَأَنفُضَنَّهَا نَفْضَ القصّاب: الوِذَامَ التَّرِبَةَ ٢٥٨
و من كلامٍ له عليه السلام (٧٧) ٢٦١
قوله عليه السلام اَللّٰهُمَّ اَغْفِرْلِي مٰا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ **الى**،وَهَفَوٰاتِ اللِّسٰانِمتن ٢٦١
اللّغة ٢٦١
المعنى ٢٦١
الشّرح ٢٦٢
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اِغْفِرْلِي ما اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنّي ،فَاِنْ عِدْتُ و..... ٢٦٩
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي مٰا وَأَيْتُ مِن نَّفْسي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفٰاءً عِندِي.. ٢٧٠
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي مٰا تَقَرَّبْتُ بِهِ اَلَيْكَ بِلِسٰانِي ثُمَّ خٰالَفَهُ قَلْبِي.... ٢٧٠
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي رَمَزٰاتِ الْأَلْحاظِ، وَاسْقَطٰاتِ الْأَلْفاظِ ،و..... ٢٧٠
ومن كلامٍ له عليه السلام (٧٨) ٢٧١
قوله عليه السلام اَتَزْعَمُ اَنَّكَ تَهْدِي اِلَى السّٰاعَةِ **الى** سِيرُوْا عَلَى اسْمِ اللهِمتن.. ٢٧١
اللّغة ٢٧١
المعنى ٢٧٢
الشّرح ٢٧٢
قوله عليه السلام: اَتَزْعَمُ اِنَّكَ تَهْدِي اِلَى السّٰاعَةِ التّي مِن سٰارَ فِيهٰاو..... ٢٨٥
قوله عليه السلام: وَتُخَوِّفَ مِن السّٰاعَةِ الَّتِي مِنْ سٰارَ فِيهٰا حٰاقَ بِهِ الضُّرُّ..... ٢٨٥

قوله عليه السلام: فَمَن صَدَّقَكَ بِهٰذا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ٢٨٦
قوله عليه السلام: وَاسْتَغْنىٰ عَنِ الْاِسْتِعانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ و..... ٢٨٧
قوله عليه السلام: وَيَنبَغِي فِي قُولِكَ لِلْعامِلِ بِأَمْرِكَ اَن يُوَلِّيَكَ و..... ٢٨٨
قوله عليه السلام: لِاَنَّكَ بِزَعْمِكَ اَنْتَ هَدَيْتَهُ اِلَى السّاعَةِ الَّتِي نالَ فِيهَاو..... ٢٨٩
قوله عليه السلام: اَيُّهَا النّاسُ اِيّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ اِلّا ما يُهْتَدِى بِهِو..... ٢٨٩
قوله عليه السلام: فَاِنَّها تَدْعُوا اِلَى الْكَهانَةِ ٢٩٠
قوله عليه السلام: وَالْمُنَجِّمُ كَالْكاهِنِ ٢٩٣
قوله عليه السلام: وَالْكاهِنُ كَالسّاحِرِ ٢٩٣
قوله عليه السلام: وَالسّاحِرُ كَالْكافِرِ ٣٠١
قوله عليه السلام: وَالْكافِرُ فِي النّارِ ٣٠١
قوله عليه السلام: سِيرُو عَلَى اَسْمَ اللهِ ٣٠٢
ومن خطبةٍ له عليه السلام (٧٩) ٣٠٣
قوله عليه السلام مَعاشِرَ النّاسِ ، اِنَّ النِّساءَ نَواقِصُ **الى** فِي الْمُنكَرِمتن ٣٠٣
اللّغة ٣٠٣
المعنى ٣٠٣
الشّرح ٣٠٤
قوله عليه السلام: مَعاشِرَ النّاسِ..... ٣٠٤
قوله عليه السلام: فَاَمّا نُقْصانُ اِيمانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلٰوةِ و..... ..... ٣٠٥
قوله عليه السلام: وَاَمّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهادَةِ الرَّجُلِو..... ٣٠٦
قوله عليه السلام: وَاَمّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الْاِنْصافِ فِي و..... ٣٠٧
قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا شِرارِ النِّساءِ وَكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلى حَذَرٍ ٣٠٧
قوله عليه السلام: وَّلاٰ تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتّىٰ لايَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ..... ٣٠٨
ومن كلامٍ له عليه السلام (٨٠) ٣٣١
قوله عليه السلام اَيُّهَا النّاسُ، الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ،**الى** بارِزَةِ الْعُذرِ واضِحَةٍمتن ٣٣١

اللّغة ٣٣١
المعنى ٣٣١
الشّرح ٣٣٢
قوله عليه السلام: اَيُّهَا النّاسُ، الزَّهادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ ٣٣٢
قوله عليه السلام: وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَم ٣٤٤
قوله عليه السلام: وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحارِمِ ٣٤٦
قوله عليه السلام: فَاِنْ عَزَبَ ذالِكَ عَنْكُمْ فَلا يَغْلِبِ الْحَرامُ صَبْرَكُمْ و..... ٣٤٦
قوله عليه السلام: فَقَدْ اَعْذَرَ اللهُ اِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظاهِرَةٍ وَكُتُبٍ و..... ٣٤٧
ومن كلامٍ له عليه السلام (٨١) ٣٤٩
قوله عليه السلام ما اَصِفُ مِن دارٍ اَوَّلُها عَناءٌ، وَاخِرُها **الى** اَبْصَرَ اِلَيْها اَعْمَتْهُ متن ٣٤٩
اللّغة ٣٤٩
المعنى ٣٤٩
الشّرح ٣٥٠
قوله عليه السلام ما اَصِفُ مِن دارٍ اَوَّلُها عَناءٌ، وَاخِرُها فَناءٌ ٣٥٠
قوله عليه السلام: فِي حَلالِها حِسابٌ، وَفِي حَرامِها عِقابٌ، ٣٥١
قوله عليه السلام: مَنِ اسْتَغْنىٰ فِيها فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيها حُزِنَ، ٣٥٢
قوله عليه السلام: وَمَن ساعاها فاتَتْهُ، وَمَن قَعَدَ عَنْها واتَتْهُ، ٣٥٢
قوله عليه السلام: وَ مَنْ اَبْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ اَبْصَرَ اِلَيْها اَعْمَتْهُ ٣٥٢
ومن خطبة له عليه السلام (٨٢) ٣٥٥
قوله عليه السلام اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي عَلا بِحَوْلِهِ، **الى** وِتَقْدِيمِ نُذُرِهِ متن ٣٥٥
اللّغة ٣٥٥
المعنى ٣٥٥
الشّرح ٣٥٦
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي عَلا بِحَوْلِهِ، وَدَنا بِطَوْلِهِ، ٣٥٦

قوله عليه السلام: مانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ، وَكاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ اَزْلٍ ٣٥٨
قوله عليه السلام: اَحْمَدُهُ عَلى عَواطِفِ كَرَمِهِ، وَ سَوابِغِ نِعَمِهِ..... ٣٥٨
قوله عليه السلام: وَ اوْمِنُ بِهِ اَوَّلاً بادِياً، وَاَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هادِياً..... ٣٥٩
قوله عليه السلام: وَاَسْتَعِينُهُ قاهِراً قادِراً، وَ اَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كافِياً ناصِراً..... ٣٥٩
قوله عليه السلام: وَ اَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً ٩ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ اَرْسَلَهُ لِإِنْفاذِ..... ٣٦٠
«ومن هذه الخطبة»..... ٣٦٢
قوله عليه السلام: اُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِى الى،وَ صَيُّورِ الْفَناءِمتن .. ٣٦٢
اللّغة..... ٣٦٢
المعنى..... ٣٦٣
الشرح..... ٣٦٤
قوله عليه السلام: اُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِى ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثالَ،.... ٣٦٤
قوله عليه السلام: وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجالَ،..... ٣٦٤
قوله عليه السلام: وَاَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ،..... ٣٦٤
قوله عليه السلام: وَاَرْفَعَ لَكُمُ الْمَعاشَ،..... ٣٦٥
قوله عليه السلام: وَاَحاطَ بِكُمُ الْإِحْصاءَ،..... ٣٦٥
قوله عليه السلام: وَاَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزاءَ،..... ٣٦٦
قوله عليه السلام: وَاثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوابِغِ وَالرِّفَدِ الرَّوافِعِ،..... ٣٦٧
قوله عليه السلام: وَ اَنذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوالِغِ،..... ٣٦٨
قوله عليه السلام: فَأَحْصاكُمْ عَدَداً، وَ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً،..... ٣٦٨
قوله عليه السلام: فِى قَرارِ خِبْرَةٍ، وَدارِ عِبْرَةٍ..... ٣٦٩
قوله عليه السلام: اَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيها، وَمُحاسَبُونَ عَلَيْها،..... ٣٦٩
قوله عليه السلام: فَاِنَّ الدُّنْيا رَنِقٌ مَشْرَبُها، رَدِغٌ مَشْرَعُها، يُونِقُ مَنْظَرُها، و..... ٣٧٠
قوله عليه السلام: غُرُورٌ حائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زائِلٌ، وَسِنادٌ مائِلٌ،..... ٣٧١
قوله عليه السلام: حَتّى اِذا اَنِسَ نافِرُها، وَاَطْمَئَنَّ ناكِرُها، قَمَصَتْ و..... ٣٧١

قوله عليه السلام: وَاَعْلَقَتِ الْمَرْءَ اَوْهاقَ الْمِنِيَّةِ، اى اوقعته واعلقته..... ۳۷۱
قوله عليه السلام: قائِدَةٌ لَهُ اِلى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَ وَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، و..... ۳۷۱
قوله عليه السلام: وَكَذالِكَ الْخَلَفُ يَعْقِبُ السَّلَفَ: لاتُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اَخْتِراماً،.... ۳۷۲
قوله عليه السلام: يَحْتَذُونَ مِثالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسالاً ،اِلىٰ غايَةِ الْاِنْتِهاءِ ،و..... ۳۷۲
«ومن هذه الخطبة»..... ۳۷۲
قوله عليه السلام: حَتّىٰ اِذا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ،الى الْعِقاب وَنَوالِ الثَّوابِ متن ... ۳۷۳
اللّغة..... ۳۷۳
المعنى..... ۳۷۳
الشَرح..... ۳۷۴
قوله عليه السلام: حَتّىٰ اِذا تَصَرَّمَتِ الْأُمُور وَتَقَضَّتِ الدُّهُورِ..... ۴۰۶
قوله عليه السلام: وَاَزِفَ النُّشُورُ..... ۴۰۶
قوله عليه السلام: اَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرائِحِ الْقُبُورِ..... ۴۰۷
قوله عليه السلام: وَاَوْكارَ الطُّيُورِ وَاَوْجِرَةِ السِّباعِ وَمَطارِحِ الْمَهالِكِ..... ۴۰۷
قوله عليه السلام: سُراعاً اِلىٰ اَمْرِهِ، مُهْطَعِينَ اِلىٰ مَعادِهِ..... ۴۰۸
قوله عليه السلام: رَعِيلاً صُمُوتاً قِياماً صُفُوفاً..... ۴۰۸
قوله عليه السلام: يَنفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدّاعِي..... ۴۰۹
قوله عليه السلام: عَلَيْهِمْ لبُوسُ الْاِسْتِكانَةِ وَضَرَعُ الْاِسْتِسْلامِ وَالذِّلَةِ..... ۴۰۹
قوله عليه السلام: قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كاظِمَةً..... ۴۰۹
قوله عليه السلام: قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ،..... ۴۰۹
قوله عليه السلام: وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ،..... ۴۱۰
قوله عليه السلام: وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كاظِمَةٌ..... ۴۱۰
قوله عليه السلام: وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ مُهَيمِنَةً،..... ۴۱۰
قوله عليه السلام: مُهَيْمِنَةٌ اى ذات هيمنةٍ وخِفاء..... ۴۱۰
قوله عليه السلام: وَالْجَمَ الْعَرَقُ وَعَظُمَ الشَّفَقُ..... ۴۱۰

قوله عليه السلام: وَاُرْعِدَتِ الْأَسْمٰاعُ لِزَبْرَةِ الدّٰاعِي إِلىٰ و..... ٤١١
«ومن هذه الخطبة»..... ٤١١
قوله عليه السلام عِبٰادٌ مَّخْلُوقُونَ اقْتِدٰاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسٰاراً،الى لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعٰادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعٰادِهِمتن ٤١٢
اللّغة ٤١٢
المعنى ٤١٢
الشّرح ٤١٤
قوله عليه السلام: عِبٰادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدٰاراً ٤١٤
قوله عليه السلام: وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسٰاراً ٤١٥
قوله عليه السلام: وَمَقْبُوضُونَ احْتِضٰاراً ٤١٦
قوله عليه السلام: وَمُضَمَّنُونَ اَجْدٰاثاً ٤١٦
قوله عليه السلام: وَكٰائِنُونَ رُفٰاتاً ٤١٦
قوله عليه السلام: وَمَبْعُوثُونَ اَفْراداً ٤١٦
قوله عليه السلام: وَمَدِينُونَ جَزٰاءً ٤١٧
قوله عليه السلام: وَمُمَيَّزُونَ حِسٰاباً ٤١٧
قوله عليه السلام: قَدْ اُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ٤١٨
قوله عليه السلام: وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ٤١٨
قوله عليه السلام: وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ ٤١٨
قوله عليه السلام: وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرَّيبِ ٤١٨
قوله عليه السلام: وَخُلُّوا لِمِضْمٰارِ الْجِيٰادِ وَرَوِّيَةِ الْأَرْتِيٰادِ وَاَنٰاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتٰادِ ٤١٩
قوله عليه السلام: فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ ٤١٩
قوله عليه السلام: فَنٰالَهٰا اَمْثٰالاً صٰائِبَةً وَمَوٰاعِظَ شٰافِيَةً ٤٢٠
قوله عليه السلام: لَوْ صٰادَفَتْ قُلُوباً زٰاكِيَةً وَاَسْمٰاعاً وٰاعِيَةً وَاَرٰاءً عٰازِمَةً و..... ٤٢١
قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَن سَمِعَ فَخَشَعَ،..... ٤٢٤

قوله عليه السلام: وَاقْتَرِفْ فَأَعْتَرِفَ، ۴۲۴
قوله عليه السلام: وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحاذَرَ فَبادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، و..... ..... ۴۲۵
قوله عليه السلام: فَأَسْرَعَ طالِباً، وَنَجا هارِباً، ۴۳۰
قوله عليه السلام: فَأَفادَ ذَخِيرَةً، وَأَطابَ سَرِيرَةً، ۴۳۱
قوله عليه السلام: وَعَمَّرَ مَعاداً، وَاسْتَظْهَرَ زاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، و..... ..... ۴۳۱
قوله عليه السلام: وَقَدَّمَ اَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ ۴۳۲
قوله عليه السلام: فَاتَّقُوااللهَ عِبادَاللهِ جَهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا و..... ..... ۴۳۲
قوله عليه السلام: وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما اَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ و..... .... ۴۳۲
«و من هذه الخطبة»..... ۴۳۳
قوله عليه السلام وَجَعَلَ لَكُمْ اَسْماعاً لِتَعِيَ ماعَناها، **الى** اِحْرازِ دُنْياهامتن.... ۴۳۳
اللغة..... ۴۳۴
المعنى..... ۴۳۴
الشّرح..... ۴۳۶
قوله عليه السلام: جَعَلَ لَكُمْ اَسْماعاً لِتَعِيَ ما عَناها..... ۴۳۶
قوله عليه السلام: وَاَبْصاراً لِتَجْلُو عَنْ عَشاها ۴۳۹
قوله عليه السلام: وَاَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها ۴۴۱
قوله عليه السلام: مُلائِمَةً لِأَحْنائِها فِي تَرْكِيبِ صُوَرِها وَمُدَدِ عُمُرِها..... ۴۴۲
قوله عليه السلام: بِأَبْدانٍ قائِمَةٍ بِأَرْفاقِها وَقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِأَرْزاقِها..... ۴۴۴
قوله عليه السلام: فِي مُجَلِّلاتِ نِعَمِهِ مِنَنِهِ وَحَواجِزِها عافِيَتِهِ..... ۴۴۹
قوله عليه السلام: وَقَدَّرَ لَكُمْ اَعْماراً سَتَرَها عَنْكُمْ..... ۴۵۴
قوله عليه السلام: وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثارِ الْماضِينَ قَبْلَكُمْ..... ۴۵۶
قوله عليه السلام: مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خِناقِهِمْ..... ۴۵۶
قوله عليه السلام: اَرْهَقَتْهُمُ الْمَنايا دُونَ الْآمالِ..... ۴۵۸
قوله عليه السلام: وَشَذَّبَهُمْ عَنْهُما تَخَرُّمُ الْآجالِ..... ۴۵۸

قوله عليه السلام: فَهَلْ يَنتَظِرُ اَهْلُ بِضاضَةِ الشَّبابِ اِلاّ حَوانِيَ الْهَرَمِ ۴۵۸
قوله عليه السلام: وَاَهْلُ غَضارَةِ الصِّحَةِ اِلاّ نَوازِلَ السَّقَمِ ۴۵۸
قوله عليه السلام: وَاَهْلُ مُدَّةِ الْبَقاءِ اِلاّ اُونَةَ الْفَناءِ؟ ۴۵۹
قوله عليه السلام: مَعَ قُرْبِ الزِّيالِ، وَاُزُوفِ الْاِنْتِقالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، و..... ۴۵۹
قوله عليه السلام: وَتَلَفُّتِ الْاَسْتِغاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْاَقْرِباءِ، و..... ۴۵۹
قوله عليه السلام: فَهَلْ دَفَعَتِ الْاَقارِبُ؟ اَوْ نَفَعَتِ النَّوادِبُ ؟ ۴۵۹
قوله عليه السلام: وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْاَمْواتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ و..... ۴۵۹
قوله عليه السلام: قَدْ هَتَكَتِ الْهَوامُّ جِلْدَتَهُ، وَاَبْلَتِ النَّواهِكُ جِدَّتَهُ، ۴۶۰
قوله عليه السلام: وَعَفَّتِ الْعَواصِفُ اٰثارَهُ، ۴۶۰
قوله عليه السلام: وَمَحَى الحَدَثانِ مَعالِمَهُ، ۴۶۰
قوله عليه السلام: وَصارَتِ الْاَجْسادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِها، ۴۶۰
قوله عليه السلام: وَالْعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها، ۴۶۰
قوله عليه السلام: وَالْاَرْواحُ مُرْ تَهَنَةً، بِثِقْلِ اَعْباۤئِها، ۴۶۰
قوله عليه السلام: مُوقِنَةً بِغَيْبِ اَنْباۤئِها، ۴۶۰
قوله عليه السلام: لاٰتُسْتَزادُ مِن صالِحِ عَمَلِها،وَلاٰ تُسْتَعْتَبُ مِن سَيِّءِ زَلَلِها، ... ۴۶۲
قوله عليه السلام: اَوَلَسْتُمْ اَبْناءَ الْقَوْمِ وَالْاٰباءَ، وَاَخِوانَهُمْ وَالْاَقْرِباءَ؟ ۴۶۲
قوله عليه السلام: تَحْتَذُونَ اَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جادَّتَهُم ۴۶۳
قوله عليه السلام: فَالْقُلُوبُ قاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها، لاٰهِيَةٌ عَنْ رُشْدِها، و..... ۴۶۳
«و من هذه الخطبة»..... ٤٦٤
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّ مَجازَكُمْ الى ،وحَذَّرَ مَا اَمَّنَ (اَمّن خ ل) متن .. ۴۶۵
اللّغة ۴۶۵
المعنى ۴۶۵
الشّرح ۴۶۷
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَىٰ الصِّراطِ وَمَزالِقِ دَحْضِهِ و..... ۴۶۷

قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِی لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ و..... ۴۷۳
قوله عليه السلام: وَ أَنْصَبَ الْخَوفَ بَدَنَهُ ۴۷۶
قوله عليه السلام: وَاسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ۴۸۰
قوله عليه السلام: وَأَظْمَأَالرَّجَاءُهَوَاجِرَيَوْمِهِ ۴۸۳
قوله عليه السلام: وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ ۴۸۶
قوله عليه السلام: وَأَوْجَفَ الذِّكْرُبِلِسَانِهِ ۴۸۶
قوله عليه السلام: وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِهِ ۴۸۸
قوله عليه السلام: وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ۴۸۹
قوله عليه السلام: وَسَلَكَ أَقْصَدَالمَسَالِكِ اِلَىٰ النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ۴۹۰
قوله عليه السلام :وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ ۴۹۰
قوله عليه السلام: وَ لَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ ۴۹۱
قوله عليه السلام: ظَافِراً بِفَرْحَةِ البُشْرَىٰ وَ رَاحَةِ النُّعْمَىٰ فِی أَنْعَمِ نَوْمِهِ و..... ۴۹۲
قوله عليه السلام: قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَ قَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً ۴۹۳
قوله عليه السلام: وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ و أَكْمَشَ فِی مَهَلٍ ۴۹۴
قوله عليه السلام: وَرَغِبَ فِی طَلَبٍ وَذَهَبَعَنْ هَرَبٍ ۴۹۴
قوله عليه السلام: وَرَاقَبَ فِی غَدَهُ ونَظَرَ قُدُماًأَمَامَهُ ۴۹۵
قوله عليه السلام: فَكَفَىٰ بِالْجَنَّةِثَوَاباًوَنَوَالاً ۴۹۵
قوله عليه السلام: وَكَفَىٰ بِالنَّارِ عِقَابَاًوَوَبَالاً ۴۹۸
قوله عليه السلام: وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ مُنْتَقِماًوَنَصِيراً ۵۰۱
قوله عليه السلام: وَكَفَىٰ بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وخَصِيماً ۵۰۳
قوله عليه السلام: اُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ الَّذِی أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَوَ احْتَجَّ بِمَا نَهَجَ .. ۵۰۴
قوله عليه السلام: وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاًنَفَذَفِی الصُّدُورِخَفِيّاً ۵۰۶
قوله عليه السلام: وَنَفَثَ فِی الآذَانِ نَجِيّاً ۵۰۷
قوله عليه السلام: فَأَضَلَّ وَأَرْدَىٰ وَوَعَدَفَمَنَّىٰ ۵۰۷

قوله عليه السلام: وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائم وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائم ٥٠٨
قوله عليه السلام: حَتَّىٰ إِذَااسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ٥٠٨
قوله عليه السلام: أَنْكَرَمَازَيَّنَ ،وَاسْتَعْظَمَ مَاهَوَّنَ وحَذَّرمَاأَمَّنَ ٥٠٩
«ومن هذه الخُطبة» ٥١٠
قوله عليه السلام: أَمْ هَذاالَّذِى أَنْشَأَهُ فِى ظُلُمَاتِ الىالْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرمتن ٥١١
اللّغة ٥١١
المعنى ٥١٢
الشّرح ٥١٥
قوله عليه السلام: أَمْ هَذَ الَّذِى أَنْشَأَهُ ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَ شُغُف الأَسْتَارِ..... ٥١٥
قوله عليه السلام: نُطْفَةً دِهَاقاًوَعَلَقَةًمِحَاقاً..... ٥١٦
قوله عليه السلام: وجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً..... ٥١٨
قوله عليه السلام: ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاًوَلِسَاناًلافِظاًوَبَصَراًلاحظاً..... ٥١٩
قوله عليه السلام: لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراًوَيُقَصِّرَمُزْدَجِراً..... ٥١٩
قوله عليه السلام: حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اَعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَىٰ مِثَالُهُ نَفَرَ و..... ٥١٩
قوله عليه السلام: كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِى لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ ٥٢١
قوله عليه السلام: لا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لا يَخْشَعُ تَقِيَّةً..... ٥٢٢
قوله عليه السلام: فَمَاتَ فِى فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِى هَفْوَتِهِ يَسِيراً ٥٢٢
قوله عليه السلام: لَمْ يُفِد عِوَضاً وَ لَم يَقْضِ مَفْتَرَضاً ٥٢٢
قوله عليه السلام: دهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِى غُبَّرِ جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ ٥٢٣
قوله عليه السلام: فَظَلَّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِى غَمَرَاتِ الآلامِ وَ طَوَارِقِو..... ٥٢٣
قوله عليه السلام: بَيْنَ اَخٍ شَفِيقٍ وَ وَالِدِشَفِيقٍ الخ ٥٢٦
قوله عليه السلام: دَاعِيَةٍ بِالوَيْلِ جَزَعاً وَلادِمَةٍلِلصَّدْرقَلَقاً..... ٥٢٦
قوله عليه السلام: وَالْمَرءُفِى سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَاَنَّةٍ مُوجِعَةٍ و..... ٥٢٧
قوله عليه السلام: ثُمَّ أُدْرِجَ فِى اكْفَانِهِ مُبْلِساً وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً..... ٥٢٨

قوله عليه السلام: ثُمَّ الْقِيَ عَلَىٰ الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَ صَبٍ وَ نِضْوَ سَقَمٍ ٥٢٩
قوله عليه السلام: تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدَانَ وَ حَشَدَةُالأخْوَانِ ٥٣٠
قوله عليه السلام: اَلِىٰ دَارِغُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ ٥٣١
قوله عليه السلام: اى حَتَّىٰ اِذَاانْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ اُقْعِدَ و..... ٥٣١
قوله عليه السلام: وَاَعْظَمُ مَاهُنَا لِکَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَمِيمِ وَتَصْلِيَةُ الجَحِيمِ و..... ٥٣٣
قوله عليه السلام: لافَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لا قُوَّةٌحَاجِزَةٌ و..... ٥٣٦
قوله عليه السلام: بَينَ اِطْوَارِالْمَوْتَاتِ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ اِنَّابِاللهِ عَائِذُوْن ٥٣٨
قوله عليه السلام: وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ٥٣٨
قوله عليه السلام: اِنَّابِاللَّهِ عَائِذُونَ اشارةالى انّه لا مفرّ لأحَدٍ من الورُودُ على ما ٥٣٨
قوله عليه السلام: عِبَادَاللَّهَاَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا و..... ٥٣٩
قوله عليه السلام: عُلِّمُوا فَفَهِمُوا ٥٤٢
قوله عليه السلام: وَانْظِرُوا فَلَهَوا ٥٤٢
قوله عليه السلام: وُسُلِّمُو فَنَسُوا ٥٤٤
قوله عليه السلام: اُمهِلو طَويلاً ومنَحو جـ ٥٤٥
قوله عليه السلام: وَ حُذِّرُوا اَلِيماً وَ وُعِدُوا جَسِيماً ٥٤٥
قوله عليه السلام: احْذَرُوالذُّنُوبَ المُوَرِّطَةَ وَالْعُيوبَ الْمُسْخِطَةَ ٥٤٧
قوله عليه السلام: أُولِى الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ وَالعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ٥٤٨
قوله عليه السلام: هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلاَصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ أَوْ فِرَارٍ و..... ٥٤٨
قوله عليه السلام: أَمْ أَيْنَ تُصرَفُونَ وَ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ٥٤٩
قوله عليه السلام: أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ففِيه و..... ٥٤٩
قوله عليه السلام: وَاِنَّمَا حَظُّ اَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ و..... ٥٤٩
قوله عليه السلام: اَلاَنَ عِبَادَاللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ فِى فِيْنَةِ و..... ٥٥٠
قوله عليه السلام: وَبَاحَةِالاحْتِشَادِ وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ و..... ٥٥٠
قوله عليه السلام: قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ وَقَبْلَ و..... ٥٥٠

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٣٨
التاريخ ٢٠١٠/٨/٩